

التيسيرُ في فهم التفسيرِ

د. محمود خالد الزهار

المجلد الخامس

من سورة فصلت إلى سورة الناس

الطبعة الأولى

٢٠٢١م - ١٤٤٣هـ

المحتويات

٥	سورة فصلت
٣٢	سورة الشورى
٥٨	سورة الزخرف
٨٩	سورة الدخان
١٠٥	سورة الجاثية
١٢٤	سورة الأحقاف
١٤٣	سورة محمد
١٦١	سورة الفتح
١٧٩	سورة الحجرات
١٩٣	سورة ق
٢١١	سورة الذاريات
٢٢٦	سورة الطور
٢٣٩	سورة النجم
٢٥٤	سورة القمر
٢٦٩	سورة الرحمن
٢٨٥	سورة الواقعة
٣٠٦	سورة الحديد
٣٢٤	سورة المجادلة
٣٣٨	سورة الحشر
٣٥٢	سورة الممتحنة
٣٦٢	سورة الصف
٣٦٨	سورة الجمعة
٣٧٥	سورة المنافقون
٣٨١	سورة التغابن
٣٨٩	سورة الطلاق
٣٩٨	سورة التحريم
٤٠٦	سورة الملك
٤١٨	سورة القلم
٤٣٣	سورة الحاقة
٤٤٥	سورة المعارج

٤٥٥	سورة نوح
٤٦٣	سورة الجن
٤٧٢	سورة المزمل
٤٨٠	سورة المدثر
٤٩٢	سورة القيامة
٥٠١	سورة الإنسان
٥١٠	سورة المرسلات
٥١٩	سورة النبأ
٥٢٧	سورة النازعات
٥٣٦	سورة عبس
٥٤٥	سورة التكويد
٥٥٢	سورة الانفطار
٥٥٧	سورة المطففين
٥٦٥	سورة الانشقاق
٥٧٠	سورة البروج
٥٧٧	سورة الطارق
٥٨١	سورة الأعلى
٥٨٥	سورة الغاشية
٥٩٠	سورة الفجر
٥٩٩	سورة البلد
٦٠٤	سورة الشمس
٦٠٨	سورة الليل
٦١٤	سورة الضحى
٦١٧	سورة الشرح
٦٢٠	سورة التين
٦٢٣	سورة العلق
٦٢٩	سورة القدر
٦٣١	سورة البينة
٦٣٥	سورة الزلزلة
٦٣٧	سورة العاديات
٦٤٠	سورة القارعة
٦٤٣	سورة التكاثر

٦٤٦	سورة العصر
٦٤٧	سورة الهمزة
٦٤٩	سورة الفيل
٦٥١	سورة قريش
٦٥٢	سورة الماعون
٦٥٤	سورة الكوثر
٦٥٦	سورة الكافرون
٦٥٩	سورة النصر
٦٦١	سورة المسد
٦٦٣	سورة الإخلاص
٦٦٥	سورة الفلق
٦٦٧	سورة الناس
٦٧٠	الخاتمة:



تسمى سورة فصّلت بـ (حم السجدة)؛ لأنها تميّزت عن بقية السور المفتحة بحروف حم بأنّ فيها سجدة القرآن؛ لذا سميت سورة حم السجدة في بعض التفاسير، وبسورة فصلت في المصاحف وكثير من كتب التفاسير، وهي سورة مكّية بالاتفاق، نزلت بعد سورة غافر، وقبل سورة الشورى، وترتيبها (٤١) في المصحف، وعدد آياتها (٥٤) آية عند أهل الكوفة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿حم﴾ (١)

اعتمادًا على ما يقوله علماء النحو والبلاغة إنّ الضمائر في الكلام الأصل أن تعود على متقدم في اللفظ والرتبة، ولا تعود على متأخر في اللفظ والرتبة، بمعنى ما هو الاسم الذي سبق، أي على ما من يعود الضمير، فالحرفان ﴿حم﴾: أرى، والله أعلم، أنّها تعني اسم محمد ﷺ، كما جاء في السور السابقة وما جاء هنا في الآية رقم (٢) ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وقد نزل القرآن الكريم على محمد ﷺ ويعزز هنا ما جاء في الآية (٣) ﴿كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ وهو القرآن الذي نزل على محمد ﷺ، وجاء في الآية رقم (٤) ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ وهو محمد ﷺ، والقرآن الذي نزل عليه ويعزز هذا ما جاء في الآية رقم (٥) ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ والداعي هو محمد ﷺ وقالوا ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾، والضمير يعود على الذي تلقى القرآن الكريم وهو محمد ﷺ وجاء في الآية (٦) ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ والضمير القائل أنا: يعود على محمد ﷺ.

﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٢)

﴿تَنْزِيلٌ﴾: نزل هذا القرآن الكريم ﴿مِنَ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الزمانيّة والمكانيّة، هنا المقصود الغاية الكليّة ﴿الرَّحْمَنِ﴾: من الله ﷻ، صاحب الرحمة الواسعة، وهي خاصّة بعموم الخلق ﴿الرَّحِيمِ﴾: وهذه خاصّة بالمؤمنين.

التكليف: جاء الوصف لله ﷻ الرحمن الرحيم بالذكر؛ لأنّ الخلق في هذا العالم كالمريض المحتاجين، فجاء القرآن الكريم مشتملاً على كلّ ما يحتاج إليه المرضى من الدواء، وما يحتاج إليه الأصحاء من الغذاء، فكان النفع العام من الله ﷻ؛ إنزال القرآن رحمةً ولطفًا بخلقه.

﴿كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٣)

﴿كِتَابٌ﴾: هو القرآن الكريم ﴿فُصِّلَتْ﴾: وضّحت معانيه بأفضل صورة، وأحكمت ﴿آيَاتُهُ﴾: بأفضل حرفٍ وأفضل أحكامٍ وبيّنت أحكام الحلال والحرام من الله ﷻ ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾: جاء باللغة العربية واضحًا، واللفظ جاء من مصدر "قرأ" وهو كتاب المسلمين المقدس؛ وهذا يُبطل الادعاء لمن يقول فيه من اللغة العبرانية والنبطية ما لم تعرفه العرب ﴿ل﴾: حرف تملك وتخصيص ﴿قَوْمٍ﴾: أهل العلم والناس عامّة ممن ﴿يَعْلَمُونَ﴾: يعرفون أنّه مُعجَزٌ في لفظه ومعناه، يشهد بذلك العلماء.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (٤)

﴿بَشِيرًا﴾: فيه آياتٌ تُبشّرُ المؤمنين، أولياء الله ﷻ بالجنة، والتمكين في الأرض ﴿و﴾: أيضًا ﴿نَذِيرًا﴾: لأعداء الله ﷻ؛ وفيه ما يُنذر، ويُهدد، ويُخوّف بالعذاب الأليم ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿أَعْرَضَ﴾: رفضه ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: غالبية أهل قريش، لم يفهموه رغم وضوح بيانه، فقد طبع الكفر على قلوبهم بعبادة الحجارة ﴿فَهُمْ﴾: هم ضمير الجمع المذكور، وهي للتخصيص، هنا تحديدًا الذين ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْمَعُونَ﴾: جاء السمع لأنّه أبلغ وسائل الإدراك، منهم من رفض الاستماع إليه، ومنهم إذا سمع لم يفهم، ومنهم إذا سمع لم يقبل.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمَلْ إِنَّا نَدْعُمُومُونَ﴾ (٥)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿قَالُوا قُلُوبُنَا﴾: والقلوب هي مصدرُ الفهم والاستيعاب ﴿فِي أَكِنَّةٍ﴾: جمع كنان، هي الوقر والحجاب؛ وهي الغطاء؛ لقد استخدم كُفَّارُ قريشٍ هنا أسلوب سدّ كلّ أسباب الاستماع الأولى؛ والصدّ والإعراض فقالوا قلوبنا مُغلقة، ومغطاةً بأغلفةٍ وبهذا حُجبت قلوبهم عن العلم والإدراك السليم ﴿مِمَّا﴾: من بعض أو جزء ﴿تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾: تقوله لنا لنؤمن

بما جئت به ﴿و﴾: أيضًا ﴿فِي آذَانِنَا وَقُرْ﴾: وحُجبت آذانهم عن السماع؛ فلم يسمعو ولم يُدركوا، وكأنه يوجد في آذانهم صمغ الأذن؛ الذي يفصل ما هو خارج الأذن عن طبلة الأذن؛ والتي يسبب لها الصوت اهتزازاتٍ فتتحول في عصب السمع إلى موجات كهربائية؛ تصل إلى مركز السمع في المخ؛ فيترجمها ويعي معانيها. إنَّ عدم سمع ما جئت به؛ كنايةً عن رفض الاستجابة المسبق ﴿وَمِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد بيانٍ وتمييزِ النوع يفيد أيضًا هنا بداية الغاية ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾: يوجد حاجزٌ بينهم وبين محمد ﷺ والمعركة بيننا مفتوحة ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿اعْمَلْ﴾: يكون العمل مصحوبًا بالنية ويكون الفعل مصحوبًا بالحواس، اعمل ما تستطيع عمله بطريقتك يا محمد ﴿إِنَّا﴾: ونحن بالتأكيد ﴿عَامِلُونَ﴾: ونحن نعمل بطريقتنا وأسلوبنا؛ فقد لجؤوا إلى تكثير الرسول ﷺ بأجداده الذين عبدوا الأصنام، ثم لجؤوا وعرضوا على عتبة بن ربيعة مآلاً بعد أن أذهلته الآية، وقال ما قاله محمد ليس بشعرٍ، ولا كهانةٍ، ولا سحرٍ، ثم بعد ذلك لجؤوا إلى كلِّ وسائل العنف، والتكذيب، والعدوان.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ (٦)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ للكافرين ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصرٍ مركبة؛ تُفيد التحديد والتخصيص ﴿أَنَا بَشَرٌ﴾: من بني آدم ﴿مِثْلُكُمْ﴾: رجلٌ مثلكم، لست ملكًا، ولا شيطانًا ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾: يُنزلُ الله ﷻ علي بالوحي الرباني ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصرٍ تُفيد التوكيد ﴿إِلَهُكُمُ﴾: معبودكم المستحق بالطاعة ﴿إِلَهٌ﴾: معبودٌ ﴿وَاحِدٌ﴾: وليست هذه الأصنام، والأوثان ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿استَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾: أخلصوا له العبادة كما أمركم ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾: أيضًا اطلبوا منه المغفرة على ما اقترفتُم من ذنوبٍ سابقة ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيد الحال ﴿وَيْلٌ﴾: واجتنبوا واديًا في جهنم؛ فيه دمار وهلاك ﴿لِّلْمُشْرِكِينَ﴾: قال ابن عباس: تخصيصًا الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله ﷻ، الذين يعبدون مع الله ﷻ غيره من الخلق.

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (٧)

﴿الذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع مَنْ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْتُونَ﴾: يدفعون لمستحقيها
﴿الزَّكَاةَ﴾: وهي طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة، وخاصة الشرك، وزكاة المال، سميت زكاة؛
لأنها تطهره من الحرام؛ فتزيد بركته، وقال السدي: الذين لا يؤدون الزكاة، وقال ابن جرير،
وقتادة: يمنعون زكاة أموالهم، وهذا هو عند أغلب المفسرين ﴿وَهُمْ﴾: بالتأكيد ﴿بِ﴾: حرف باء
السببية ﴿الْآخِرَةَ هُمْ كَافِرُونَ﴾: مُنكرون ثواب القيامة؛ فمنعوا الزكاة والصدقات في الدنيا.

﴿إِنَّ الذِّينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٨)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الذِّينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾:
بالله، وملائكته، ورسله، واليوم الآخر ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: يكون العمل مصحوبًا بالنية ويكون
الفعل مصحوبًا بالحواس، الذين قاموا بما أمر الله ﷻ به من عباداتٍ ومعاملاتٍ ﴿لَهُمْ﴾:
تخصيصًا وتمليًا ﴿أَجْرٌ﴾: ثوابٌ ﴿غَيْرٌ﴾: حرف استثناء بمعنى إلا ﴿مَمْنُونٍ﴾: قال مجاهد
وآخرون: غير مقطوع، ولا محبوب، لهم ثوابٌ خالدٌ وهو الجنة.

﴿قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٩)

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ حقيقة أمرهم ﴿أَنَّ﴾: حرف استنهام إنكاري توبيخي ﴿إِنَّكُمْ﴾: إنكم أنتم
بالتأكيد ﴿لَنْ﴾: حرف تخصيص ﴿تَكْفُرُونَ﴾: تُتكرون وجود الله ﷻ؛ وتغطون وتخفون الحقيقة
عن الله ﷻ ﴿بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق وجود ﴿الْأَرْضَ فِي
يَوْمَيْنِ﴾: وهذه معلومة لا يتخيلها هؤلاء الذين يكفرون بالحقائق الكونية، الدالة على صدق دعوة
الرسول ﷺ، جاء اللفظ القرآني "يوم" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى الأيام الستة التي خلق الله
ﷻ فيهن الدنيا، ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [هود-٧]؛ فجاء خلق الأرض في
يومين، وتفيد أنه ﷻ خلق الأرض أولًا بدليل الآية: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
نُمْ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [البقرة-٢٩] ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال
﴿تَجْعَلُونَ﴾: تختلقون ﴿لَهُ﴾: لله ﷻ ﴿أَنْدَادًا﴾: نظراء، وأمثالًا تطيعونها من دون الله ﷻ
﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿رَبِّ﴾: وتعني المعبود، والمُربي، وهو المنشئُ للشيء من طُورٍ إلى طُورٍ
إلى حدِّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا،

والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، ومالك الأمر كله ﴿الْعَالَمِينَ﴾: عوالم المخلوقات، الإنسان، والجن، والنبات، والحيوان.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ﴾
(١٠)

﴿وَجَعَلَ﴾: خلق ﴿فِيهَا﴾: في الأرض ﴿رَوَاسِيَ﴾: جعل الله ﷻ فيها الجبال ﴿مِنْ فَوْقِهَا﴾ التي تُحافظ على توازن الأرض، وهي تدور حول الشمس ﴿وَبَارَكَ﴾: زاد الخيرات ﴿فِيهَا﴾: قال ابن عباس: جعلها كثيرة الخيرات؛ ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾: جعلها دائمة الخير لأهلها؛ وهي الأماكن التي تُزرع، فجاء خلق الأرض والزرع ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً﴾: بصورة واضحة ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿السَّائِلِينَ﴾: لمن يستفسر، ولمن يريد من الأرض من طعامٍ أو شرابٍ أو سفرٍ أو إقامة، جاء اللفظ القرآني "سواء" على ستة أوجه؛ هنا بمعنى عدل وجاءت بنفس المعنى أيضًا في قوله ﷻ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران-٦٤]، وفي قوله أيضًا ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة-١٠٨] وقال عكرمة و مجاهد: جعل في كل أرضٍ ما لا يصلح في غيرها، وقال ابن زيد: على وفق مراده؛ أي من أراد زرعًا احتاج إليه؛ قدره له الله ﷻ: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم-٣٤].

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾
(١١)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفيد تتابع زمني غير سريع ﴿اسْتَوَى﴾: وهي كَيْفِيَّةٌ خاصَّةٌ بالله ﷻ، نُؤمِّنُ بِهَا، ومعناها قصد وعهد بإرادته ﷻ ﴿إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾: عهد وقصد إلى السماء قصدًا سويًا وقد كانت من قبل دخانًا أي غازًا وبخارًا وقيل بخارُ الماء المُتصاعد منه، حين خلق الله ﷻ الأرض، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ

شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»^(١)،
﴿ف﴾: بسبب هذا **﴿قَالَ لَهَا﴾**: للسماء **﴿و﴾**: أيضًا قال **﴿لِلْأَرْضِ انْتِيَا﴾**: استجيبا لأمرى
﴿طَوْعًا﴾: مختارين، والطوع هو الانقياد بإرادتهم، ورغبتهم، وبحبٍ **﴿أَوْ﴾**: حرف عطف بغرض
التخيير **﴿كُرْهًا﴾**: أو مجبرتين وكارهتين، رغمًا عنكما قال ابن عباس، و ابن جرير: قال ﷺ
للسماء: أطلعي شمسي، وقمري، ونجمي، وقال للأرض شققي أنهارك، وأخرجي ثمارك
﴿قَالَتَا﴾: السماء والأرض **﴿أَتَيْنَا﴾**: جئنا ونفدنا أمرك **﴿طَائِعِينَ﴾**: قال الحسن البصري: لو
أبيا، أي رفضتا أمره؛ لعذبهما عذابًا شديدًا، جاء التعبير القرآني عن قدرته ﷺ في السماوات
والأرض بأمر السلطان، من رعيته بتنفيذ ما أمر بسرعة.

**﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنٍ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ
وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (١٢)**

﴿ف﴾: حرف سبب بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ **﴿قَضَاهُنَّ﴾**: جاء اللفظ القرآني
"قضى" على عشرة أوجه، هنا بمعنى خلق أي أتم ﷺ خلقهن، وتسويتهن **﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي
يَوْمَيْنٍ﴾**: آخرين؛ انظر تفسير قوله ﷺ **﴿قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنٍ
وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** [فصلت-٩] **﴿و﴾**: حرف عطف يفيد الحال **﴿أَوْحَىٰ
فِي كُلِّ سَمَاءٍ﴾**: رتب ﷺ مقرًا في كل سماء **﴿أَمْرَهَا﴾**: ما أراد الله ﷺ وما أمر به، وما تحتاج
إليه من الملائكة، وما فيها من مخلوقات **﴿وَزَيْنَا﴾**: أيضًا جعل فيها الزينة هي التجميل **﴿السَّمَاءَ
الدُّنْيَا بِ﴾**: حرف باء التعددية **﴿مَصَابِيحٍ﴾**: هي النجوم، والكواكب المُنيرة المُشْرِقة على أهل
الأرض **﴿وَحِفْظًا﴾**: وضعنا حرسًا ضد الشياطين؛ كيلا تتسمع إلى الملائكة الأعلى **﴿ذَلِكَ﴾**: الخلق
البيدع الذي جاء ذكره في هذه الآيات **﴿تَقْدِيرُ﴾**: ما أَرَادَهُ وَقَدَرَهُ **﴿الْعَزِيزِ﴾**: الله ﷺ الذي لا
يغلبه أحدٌ **﴿الْعَلِيمِ﴾**: الذي يعلم حركات، وسكنات كل المخلوقات.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (١٣)

(١) صحيح البخاري ١٠٥/٤ (٣١٩١).

﴿فَإِنْ﴾: حرف تأكيدٍ وشرط ﴿أَعْرَضُوا﴾: جاء التعبير بالإعراض لأنه أخفُّ حرفٍ جرٍّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الزمانية والمكانية، التأكيد أو التولّي، الحديث إلى محمد ﷺ عن الكفّار؛ إذا رفضوا، وابتعدوا عن دعوتك ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ﴾: حذرتكم ونصحت لكم أن تصيبكم ﴿صَاعِقَةً﴾: هذه الشحنات الكهربائية العظيمة، التي تتكون في السماء؛ فتسبب أضراراً جسيمة بالناس والممتلكات ﴿مِثْل﴾: شبيهة ﴿صَاعِقَةٍ عَادٍ﴾: وهم قوم هود عليه السلام ﴿و﴾: أيضاً مثل صاعقة قوم ﴿ثَمُودَ﴾: صاعقة قوم صالح عليه السلام عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: اجْتَمَعَتْ فُرَيْشٌ يَوْمًا، فَأَتَاهُ عُنْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفَرَعْتَ؟» قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حَم تَنْزِيلٍ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت-٢] حَتَّى بَلَغَ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت-١٣] فَقَالَ لَهُ عُنْبَةُ: حَسْبُكَ حَسْبُكَ، مَا عِنْدَكَ غَيْرُ هَذَا؟ قَالَ: «لَا» فَرَجَعَ عُنْبَةُ إِلَى فُرَيْشٍ، فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ؟ فَقَالَ: مَا تَرَكْتُ شَيْئًا أَرَى أَنْكُمْ تَكْلِمُونَهُ إِلَّا قَدْ كَلَّمْتُهُ، قَالُوا: فَهَلْ أَجَابَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، لَا وَالَّذِي نَصَبَهَا بِنَبِيِّهِ مَا فَهَمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ أَنَّهُ أَنْذَرَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ. قَالُوا: وَيَلِكُ يُكَلِّمُكَ رَجُلٌ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَلَا تَدْرِي مَا قَالَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا فَهَمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ، غَيْرَ ذِكْرِ الصَّاعِقَةِ^(١).

﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلْنَا مِنْ سَمَاءٍ مَاءً مَلِيحًا﴾ (١٤)

﴿إِذْ﴾: حرف يفيد هنا التوكيد وحدث في الماضي ﴿جَاءَهُمْ﴾: بعث الله ﷻ فيهم ﴿الرُّسُلُ﴾: جاءت النذر إلى الكفّار؛ فحلت النقم في الأمم السابقة، وحذروهم من العقاب الذي ينتظرهم ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز النوع يفيد هنا بداية الغاية الزمانية ﴿بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: أمامهم، مستقبلهم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: ماضيهم كناية عن أنّ الرُّسل الكرام لم يوفروا جهداً، ولم يتركوا مناسبةً أو طريقةً إلاّ أبلغوا قومهم، ودعوهم لعبادة خالقهم ﷻ ﴿أَلَّا﴾: بمعنى أنّ لا، حرف تخصيص للتبنيه ﴿تَعْبُدُوا إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿اللَّهِ﴾: ألاّ تُطيعوا غير الله ﷻ ﴿قَالُوا﴾: الكفّار ﴿لَوْ﴾:

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٢٧٨/٢ وقال: صحیح الإسناد، ولم يُخرّجَاهُ. ووافقه الذهبي.

حرفٌ يُفيد الاستحالة **﴿شَاءَ﴾**: أراد **﴿رَبَّنَا﴾**: المعبود، والمُربي، وهو منشئ الكون من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيّدُ، فهو مالكُ أمرنا. العجيب أنهم يعترفون بالله ﷻ ويقولون ربنا **﴿ل﴾**: حرف تخصيص **﴿أَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾**: يطلبون نزول ملائكةٍ رُسلًا، بأنهم يُنكرون رسالة الأنبياء، ويَدعون لو أرسل الله رسلًا ملائكةً من عنده **﴿ف﴾**: لهذا السبب **﴿إِنَّا﴾**: نحن بالتأكيد **﴿بِمَا﴾**: اسم موصول بمعنى الذي **﴿أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾**: الرسالات التي تحملونها من الله **﴿كَافِرُونَ﴾**: نكفروا نغطيها وننكرها لأنكم بشرٌ مثلنا، هذه محاولة للهروب من الإيمان.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (١٥)

﴿فَأَمَّا﴾: حرفٌ بمعنى أي، للتفصيل والتوكيد **﴿عَادٌ﴾**: قوم هود عليه السلام **﴿ف﴾**: حرف استثنائي يهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ **﴿اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾**: **﴿غَيْرُ﴾**: حرف استثناء بمعنى إلا **﴿الْحَقِّ﴾**: تعالوا، وظلموا، وبغوا، وعصوا معتمدين على ما آتاهم الله ﷻ من قوة **﴿و﴾**: عطفًا على هذا **﴿قَالُوا مَنْ﴾**: حرف استفهام عن العاقل من الخلق **﴿أَشَدُّ﴾**: أكثر **﴿مِنَّا﴾**: حرف يفيد بداية الغاية المكانية **﴿قُوَّةً﴾**: ظنًا أنّ قوتهم تمنع عقاب الله ﷻ لهم **﴿أَوْلَم﴾**: اسم مركب يفيد استفهامًا بغرض الاستنكار والتوبيخ، ألم يعلموا **﴿يَرَوْا﴾**: يشاهدوا **﴿أَنَّ﴾**: حرف تأكيد الفعل ونفي الإنكار والشك **﴿اللَّهُ الَّذِي﴾**: اسم موصول هنا بالواحد الأحد ﷻ **﴿خَلَقَهُمْ﴾**: أوجدهم ولم يكونوا من قبل، فهو الأشدُّ منهم قوة؛ ألا يتفكرون في الذي خلقهم، ولم يذكر الحق ﷻ خلق السماوات والأرض لأنَّ خلقهم أبلغ في تكذيبهم في ادعائهم بالانفراد بالقوة، إنَّ الذي خلقهم أقوى منهم **﴿هُوَ﴾**: في اللغة يعني ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المنكر هنا المقصود ﷻ الذي أودع فيهم قوتهم هو سبحانه **﴿أَشَدُّ﴾**: أكثر **﴿مِنْهُمْ﴾**: حرفٌ يفيد بداية الغاية المكانية **﴿قُوَّةً﴾**: فكما أعطاهم، فهو قادرٌ أن يأخذ منهم **﴿وَكَانُوا بِ﴾**: حرف باء السببية **﴿آيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾**: كانوا يكفرون بقوة الله وآياته.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١٦)

﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿أَرْسَلْنَا﴾: سَخَّرَ ﴿عَلَيْهِمْ رِيحًا
صَرْصَرًا﴾: شديدة الهبوب، وقيل شديدة البرودة، وقيل ذات الصوت، ويبدو أنها ذات الصفات
كلها؛ والله ﷻ أعلم، من واقع ما يشهده العالم في بعض البلدان مثل أمريكا من عواصف
وأعاصير ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾: أيام متتابعة من النكد، والشؤم، وقد جاء: ﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ
مُسْتَمِرٍّ﴾ [القمر-١٩]، وجاء أيضًا: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة-٧] ﴿ل﴾:
حرف علّة وسبب ﴿نُذِيقَهُمْ﴾: حتى يشعروا بالألم شديد ﴿عَذَابَ الْخِزْيِ﴾: الذي يُذَلِّمُ الله ﷻ به
﴿فِي الْحَيَاةِ﴾: ويذيقهم الخزي في حياتهم ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿لَعَذَابُ الْآخِرَةِ
أَخْزَىٰ﴾: وعذاب الآخرة أشد خزيًا ونكالًا ﴿وَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُبْصِرُونَ﴾:
لا نصر لهم في الدنيا، ولا في الآخرة.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةٌ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ﴾ (١٧)

﴿وَأَمَّا﴾: حرف تفضيل وتأكيد لحال قوم ﴿ثَمُودُ﴾: قوم سيدنا صالح ﷺ ﴿ف﴾: حرف سبب
بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿هَدَيْنَاهُمْ﴾: قال ابن عباس، وابن جبير، وقتادة،
والسدي، وابن زيد: بيّنا لهم، وقال الثوري: دعوناهم، وقيل بَصَّرْنَاهُمْ، وبيّنا، ووضحنا لهم الحق
على لسان نبيهم ﴿فَاسْتَحَبُّوا﴾: طلبوا وفضلوا بحبٍ ﴿الْعَمَىٰ﴾: أحبوا الضلال ﴿عَلَى الْهُدَىٰ﴾؛
فكذبوا رسولهم، وعقروا الناقة ﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾: حرف الفاء تعني أصابتهم بقوة وسرعة ﴿صَاعِقَةٌ
الْعَذَابِ الْهُونِ﴾: صيحة ورجفة كأنه صوت الرعد، وزلزال فتك بهم ﴿ب﴾: حرف باء السبب
﴿مَا﴾: الذي ﴿كَانُوا﴾: في ماضيهم ﴿يَكْسِبُونَ﴾: بما اقترفوا من آثام ومعاصي، وتكذيب للرسول.
﴿وَنَجِّنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (١٨)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿نَجِّنَا﴾: أنقذ الله ﷻ، وجاءت بصيغة الجمع؛ لعظم الحدث ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: المؤمنون حقاً ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾: عبدوا بحقٍ وصدقٍ ويقينٍ؛ طمعًا في رحمة الله ﷻ، وخوفًا من عذابه، لم يمسه سوء.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٩)

﴿وَيَوْمَ﴾: القيامة ﴿يُحْشَرُ﴾: يُجمع الخلق جمعَ زحامٍ، ودفعٍ، وإهانةٍ ﴿أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾: الذين ناصبوا الله ﷻ العداة ﴿إِلَى النَّارِ﴾: يأمر الله ﷻ رسوله ﷺ أَنْ ذَكَرَهُمْ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يُجْمَعُونَ حَشْرًا إِلَى النَّارِ ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب، وبعدها يُساقون إلى النَّارِ مجتمعين ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المذكور، للتخصيص، وتحديدًا ﴿يُوزَعُونَ﴾: يُحبس أولهم ليلحق آخرهم، جاء في المعنى ﴿وَنُسَوِّقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًّا﴾ [مريم-٨٦].

﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٠)

﴿حَتَّى﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد انتهاء الغاية الشرطية ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿مَا﴾: مصدر بمعنى إذا ﴿جَاءُوهَا﴾: وقفوا على النَّارِ، وأنكروا ما عملوا من معاصٍ وجرائمٍ ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ﴾: ما استحبوا سماعه من القول الفُحش والكُفر ﴿و﴾: حرفٌ يفيد هنا الاستئناف ﴿أَبْصَارُهُمْ﴾: ماذا استحبوا من النظر إلى المحرّمات ﴿وَجُلُودُهُمْ﴾: أيضًا شهدت بما فعلت بقية أعضائهم ﴿بِمَا﴾: اسم موصول، بمعنى الذي ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: يكون العمل مصحوبًا بالنية ويكون الفعل مصحوبًا بالحواس، في الحياة الدنيا من كلّ عملٍ منكرٍ.

﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢١)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال ﴿قَالُوا﴾: هم أهل النَّارِ ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿جُلُودِهِمْ لَمْ﴾: حرفٌ استفهامٍ، بغرض التعجب لأنّها لم تكن تنطق في الحياة الدنيا؛ وجاءت للتوبيخ لأنَّ ﴿شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾: يسأل المحشورون للعذاب جلودهم التي فيها أدوات الإحساس والألم مستكترين هذا مشهدٌ رهيبٌ: جلد الإنسان ينطق بما عمل، فهل من بعد ذلك شهادة صدق، وعدل ﴿قَالُوا﴾:

قالت أعضاء السمع، والبصر، والجلد ﴿أَنْطَقْنَا﴾: جعلنا نتكلم ﴿اللَّهُ الَّذِي﴾: اسم موصولٌ هنا بالواحد الأحد ﷻ ﴿أَنْطَقَ كُلٌّ﴾: تعيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة لتؤكد العموم، إنَّ صاحب الخلق ﷻ أمر صنعه أن تتطوق؛ ففعلت ﴿وَهُوَ﴾: ﷻ ﴿خَلَقَكُمْ﴾: أوجدكم من غير سابق وجود ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: فكيف يخالفُ المخلوقُ يوم القيامة أمرَ خالقه ﴿وَالِيهِ تَرْجَعُونَ﴾: ها أنتم رجعتُم، إنَّ السبب في نُطق الجسم أن الكافر يدعى يوم القيامة أن المَلَك قد كتب عليه ما لم يفعل، فتتطوق الأعضاء شاهدة عليه.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢٢)

تستمر الأعضاء في شهادتها ﴿و﴾: أيضًا ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كُنْتُمْ﴾: في الحياة الدنيا ﴿تَسْتَتِرُونَ﴾: ما كنتم تستخفون حين ارتكبتم الآثام، بل جاهرتم بالعمل الحرام والكفر ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ﴾: جوارحكم ﴿سَمْعُكُمْ﴾: خوفًا من أن تشهد عليكم آذانكم، وأنتم تستمتعون بالمحرمات ﴿وَلَا﴾: تشهد عليكم ﴿أَبْصَارُكُمْ﴾: وظننتم أن لن تشهد عليكم أبصاركم، وأنتم تنظرون إلى المحرمات ﴿وَلَا جُلُودُكُمْ﴾: وأنتم ترتكبون كلَّ الموبقات ﴿وَلَكِنْ﴾: حرف عطف واستدراك ﴿ظَنَنْتُمْ﴾: تيقنتم ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ونفي الإنكار والشك ﴿اللَّهُ لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا﴾: من الذي ﴿تَعْمَلُونَ﴾: يكون العمل مصحوبًا بالنية ويكون الفعل مصحوبًا بالحواس، لم تُصدّقوا حساب يوم القيامة، ولا شهادة أجسادكم عليكم.

﴿وَدَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢٣)

﴿وَدَلِكُمْ﴾: اسم إشارة للبعيد أيضًا ﴿ظَنُّكُمْ﴾: اعتقادكم الخاطيء ﴿الَّذِي ظَنَنْتُمْ﴾: الاعتقاد والتفكير الفاسد ﴿بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿رَبِّكُمْ﴾: المعبود، والمُرَبِّي، وهو منشئ الكون من طورٍ إلى طورٍ إلى حدِّ التمام وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحِيط، والمُدَبِّر، والجابِرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فهو مالك كلِّ أمركم الذي اعتقدتم أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعلمون ﴿أَرْدَاكُمْ﴾: أهلككم، أتلفكم، ألقى بكم في النار ﴿ف﴾: حرف استثناء بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿أَصْبَحْتُمْ﴾: صرتم ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍّ يفيد بيان وتمييز

النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿الْخَاسِرِينَ﴾: أهل خسران ثواب العمل في الدنيا وخسران الجنة.

التكليف: إنَّ اعتقاد الكافرين بأنَّ الله ﷻ لا يعلم كثيرًا مما يعملون؛ جرأهم على المعصية؛ فتسارعوا فيها، وهذا ما أهلهم للهلاك في الدنيا، وطرحهم في النَّار في الآخرة.

﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ (٢٤)

﴿فَإِنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَصْبِرُوا﴾: إن صبروا وإن لم يصبروا على العذاب ﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿النَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾: جاء اللفظ القرآني "مَثْوًى" هنا بمعنى المأوى ومحل الإقامة، التي لا خروج منها ﴿وَإِنْ﴾: حرف شرط ﴿يَسْتَعْتِبُوا﴾: إذا طلبوا العُتْبَى، وهي رضى الله ﷻ فلا يُعْتَبُونَ؛ أي لا يرضى الله ﷻ عنهم؛ فلا يرفع العذاب ﴿فَمَا﴾: حرف عطف يفيد خبرهم ليسوا ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص ﴿مِن﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿الْمُعْتَبِينَ﴾: لن يكون اعتذارهم سببًا في رفع غضب الله ﷻ عليهم.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (٢٥)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قَيَّضْنَا﴾: هيأنا وسببنا فبعثنا وأرسلنا ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿قُرَنَاءَ﴾: جمع قرين، وهو ملازمٌ، مجاورٌ، لصيقٌ من شياطين الإنس والجن، كان قرناؤهم فاسدين ﴿فَزَيَّنُوا﴾: جمّلوا، وحببوا لهم قبائح أعمالهم في الدنيا ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿مَا﴾: الذي ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: مستقبلهم ومصيرهم في الآخرة ﴿وَمَا﴾: أيضًا جمّلوا لهم الذي ﴿خَلْفَهُمْ﴾: ما اقترفوا من ذنوب في الدنيا ﴿وَحَقَّ﴾: ووجب ﴿عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: قول الله تعالى العذاب ﴿فِي أُمَّمٍ﴾: شعوب ﴿قَدْ﴾: حرف جرّ أفاد التأكيد لأنه دخل هنا على الفعل الماضي ﴿خَلَتْ﴾: مضت ﴿مِن﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الزمانية ﴿قَبْلِهِمْ﴾: الذين سبقوهم، وجب العذاب عليهم كما وجب على أممٍ سبقتهم ﴿مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾: الذين عملوا مثل عملهم ﴿إِنَّهُمْ﴾: بالتأكيد ﴿كَانُوا خَاسِرِينَ﴾: لقد تساوا معهم في العذاب والخسارة، كانوا خاسرين ما

عملوا في الدنيا وخاسرين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، لقد استحقوا دخول النار في أمم كفرت من الإنس والجن.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ (٢٦)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق **﴿قَالَ﴾**: بعضهم لبعض **﴿الَّذِينَ﴾**: اسم موصول يفيد جميع من **﴿كَفَرُوا لَا﴾**: حرف نهي **﴿تَسْمَعُوا ل﴾**: حرف تخصيص **﴿هَذَا الْقُرْآنِ﴾**: تواسى المجرمون على محاربة القرآن الكريم، فقالوا لا تسمعوه، وامنعوا الناس أن يسمعوه **﴿و﴾**: عطفاً على هذا **﴿الْغَوْا فِيهِ﴾**: صيخوا بالصفير، والبكاء، وقولوا بخلط المعاني، وقال الضحاك، وابن عباس: عيّبوه، وقال قتادة: جحدوا به، وأنكروا دعواه **﴿لَعَلَّكُمْ﴾**: حرف توقع وترجي عند البشر بأمل أتكف **﴿تَعْلَبُونَ﴾**: تنتصرون على المؤمنين، وهنا ندرك أن غياب القرآن في قلوب البشر سبب الهزائم.

﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٧)

﴿ف﴾: حرف يفيد الاستئناف بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ **﴿ل﴾**: حرف لام القسم **﴿نُذِيقَنَّ﴾**: سنصلي بالتأكيد **﴿الَّذِينَ﴾**: اسم موصول يفيد جميع من **﴿كَفَرُوا﴾**: يؤكد الله **﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾**: دلالة على عظم العذاب **﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾**: أليماً، بالغ القوة والتتكيل **﴿و﴾**: عطفاً على كفرهم **﴿ل﴾**: يفيد القسم **﴿نَجْزِيَنَّهُمْ﴾**: نجازيهم **﴿أَسْوَأَ﴾**: أكثر شراً وضرراً من **﴿الَّذِي كَانُوا﴾**: في الحياة الدنيا **﴿يَعْمَلُونَ﴾**: يكون العمل مصحوباً بالنية ويكون الفعل مصحوباً بالحواس، يحاسبهم الله تعالى على أعمالهم الأكثر سوءاً، محاربة القرآن، وتسفيهه، وتحريفه، ومنعه في الدراسة، والمساجد، والبيوت، واعتقال حفظته، وقتلهم، وقطع أرزاقهم.

﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارِ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (٢٨)

﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد هذا العذاب **﴿جَزَاءً﴾**: ما استحقه وعاقبة **﴿أَعْدَاءِ اللَّهِ﴾**: الذين حاربوا القرآن وحاربوا الرسول والمؤمنين **﴿النَّارِ﴾**: جهنم **﴿لَهُمْ﴾**: تخصيصاً **﴿فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾**: المقام الدائم، الذي لا خروج منه **﴿جَزَاءً﴾**: عاقبة **﴿ب﴾**: بآء السببية **﴿مَا﴾**: بالذي **﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾**: كانوا يُنكرون، ويستبعدون وقوعه ويعملون من السيئات.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرَبْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا نَحْتِ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ (٢٩)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قَالَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: سيسمح لهم الله ﷻ أن يسألوا يوم القيامة ﴿رَبَّنَا﴾: فهو مالك أمرنا كله، لم يقولوا ربنا في الدنيا، أمّا في الآخرة فلا مناص ﴿أَرَبْنَا﴾: اجعلنا نشاهد ﴿الَّذِينَ﴾: الصنفين ﴿أَضَلَّانَا﴾: جعلنا ننحرف عن الإيمان ﴿مِن﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الزمانية والمكانية، جنس ﴿الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾: قال عليّ ؑ: المقصود إبليس، وقابيل ابن آدم الذي قتل أخاه هابيل، وقال ﷺ: لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ (١)؛ حتى ﴿نَجْعَلُهُمَا﴾: نضعهما ﴿نَحْتِ أَقْدَامِنَا﴾: أسفل منّا، ندوس عليها؛ ليكونا في عذاب أشدّ ﴿ل﴾: حرف علّة وسببٍ ﴿يَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾: في الدرك الأسفل؛ قال ﷻ ﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف-٣٨].

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿قَالُوا رَبَّنَا﴾: مالك أمرنا كله ﴿اللَّهُ﴾: هذا هو الوجه الآخر للبشر؛ الذين أقروا بالعبودية لله ﷻ يقينًا، واستسلامًا وأمنًا فأعلنوا بالقول الواضح الصريح بلا لبسٍ ولا مواربةٍ ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التباعد الزمني مع التراخي ﴿اسْتَقَامُوا﴾: أتبعوا إيمانهم بالثبات التام والإخلاص، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّخَعِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ - وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرِكَ - قَالَ: قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، فَاسْتَقِمْ (٢) ﴿تَتَنَزَّلُ﴾: تنزل من السماء إلى الأرض ﴿عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: ملائكة الموت يوم موتهم ويوم الخروج من القبور ليوم البعث؛ يقولون لهم ﴿أَلَّا﴾: حرف تخصيصٍ، لا ﴿تَخَافُوا﴾: جاء اللفظ القرآني "الخوف" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى الخوف من العذاب كما جاءت بنفس المعنى في قوله ﷻ ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمْ﴾

(١) صحيح البخاري ١٣٣/٤ (٣٣٣٥).

(٢) صحيح مسلم ٦٥/١ (٣٨).

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَنْبِشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿[آل عمران-١٧٠]، وفي قوله ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف-٥٦]، وفي قوله أيضًا ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة-١٨٢] ﴿و﴾: أيضًا ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿تَحْزَنُوا﴾: لا تخافوا من الموت ولا من بعده، ولا تحزنوا على ما تركتموه وراءكم من أمور الدنيا، من مالٍ وولدٍ، وأهلٍ، وعبادة، وأبشروا بما أنتم عليه قادمون من أمر الآخرة، فالله تعالى يخلفكم فيهم ﴿وَأَبْشِرُوا﴾: تأكدوا بالبشرى بما يسركم ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿الْجَنَّةِ﴾: قال ابن جرير عن ابن عباس: تنزل عليهم الملائكة، وقال ابن أسلم: يوم موتهم، ويوم خروجهم من القبر، وهذا أشمل؛ والله أعلم ﴿الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾: التي وعدكم الله ﷻ وأنتم في الحياة الدنيا.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ (٣١)

﴿نَحْنُ﴾: تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار بغرض طمأنة كلٍّ من آمن نحن ﴿أَوْلِيَاؤُكُمْ﴾: كنا أنصاركم، وأحبابكم، والمؤيدين لكم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: وأنتم أحياء في الأرض ﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال، نحن أحبابكم وأنصاركم ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾: ونكون معكم، نؤنس وحشتكم في القبور، وعند نفخة الصور، ونؤمّنكم يوم البعث والنشور ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا وتمليغًا ﴿فِيهَا﴾: في الجنة بعد دخولها ﴿مَا﴾: الذي ﴿تَشْتَهِي﴾: تتمنى بشغف ﴿أَنْفُسُكُمْ﴾: كل ما تريده وترغب فيه النفوس؛ التي هي جوهر الإنسان ﴿وَلَكُمْ﴾: تمليغًا ﴿فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾: ستجدون ما تطلبونه في الجنة حاضرًا.

﴿نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (٣٢)

﴿نُزُلًا﴾: مقامًا مهما طلبتم من شيء وجدتموه بين أيديكم ضيافةً وإنعامًا لكم ﴿مِنْ﴾: حرف جرٌّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الكلية من الله تعالى ﴿غَفُورٍ﴾: مسامحٍ للذنوب

﴿رَحِيمٌ﴾: بكم، حيث غفر وستر قال ﷺ: مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ (١).

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣)

﴿وَمَنْ﴾: أيضًا من سؤال عن العاقل ﴿أَحْسَنُ﴾: الأفضل، من هو الذي أحسن ﴿قَوْلًا﴾: كلامًا ﴿مِمَّنْ﴾: من الذي من البشر ﴿دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾: طلب من الناس عبادة الله وحده، والذي يدعو إلى المعروف ويأتيه؛ وهذه عامّة لكلّ من دعا إلى خيرٍ، وقيل المقصود المؤذنين الصالحين، قال ﷺ: الْمُؤذِنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٢)، وبهذا قالت عائشة رضي الله عنها، و ابن عمر، وعكرمة، والمعنى إنها جاءت عامّة في المؤذنين وغيرهم؛ وهي الأصح؛ حيث إنّ الآية مكّية والأذان شرّع في المدينة بعد الهجرة ﴿و﴾: عطفًا على إيمانه ﴿عَمِلَ﴾: يكون العمل مصحوبًا بالنية ويكون الفعل مصحوبًا بالحواس ﴿صَالِحًا﴾: الذي أتبع قوله الصالح بعمله ﴿وَقَالَ﴾: كلامًا ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿مِنَ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿الْمُسْلِمِينَ﴾: المصدقين الموقنين بالإسلام.

التكليف: هنا بُشِرى أخرى لأهل الدعوة إلى الله ﷻ: لن تجد أفضل ممن سار في طريق الدعوة إلى الله ﷻ؛ ابتغاء وجهه الكريم، وفاخر بالإسلام مُعتزًا به.

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤)

﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿تَسْتَوِي﴾: لا تتساوى هذه مع تلك، فرقٌ عظيمٌ بينهما ﴿الْحَسَنَةُ﴾: من الإحسان للناس، وللنفس، بطاعة الله ﷻ، وكسب رضاه ﴿وَلَا﴾: أيضًا لا تستوي؛ وجاء تكرار عدم المساواة لزيادة التأكيد ﴿السَّيِّئَةُ﴾: كلُّ ما يُغضب الله ﷻ، وما أساء شخصٌ لآخر، من قولٍ أو فعلٍ، المطلوب ﴿ادْفَعْ﴾: تكن معاملتك ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: عامل من أساء إليك بعفوك وحلمك وإحسانك لمن أساء إليك؛ فتكون النتيجة ﴿ف﴾: حرف مفاجأة بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب والسرعة ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة

(١) صحيح البخاري ١٠٦/٨ (٦٥٠٧).

(٢) صحيح مسلم ٢٩٠/١ (٣٨٧).

ربط ما بعدها بما قبلها **﴿الَّذِي﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ﴾**: من عاديت أو عاداك **﴿كَأَنَّهُ﴾**: حرف يفيد التشبيه **﴿وَلِيٍّ﴾**: قريبٌ إليك **﴿حَمِيمٍ﴾**: محبٌ، وناصرٌ، ومؤيدٌ، ومُحسنٌ إليك، وقريبٌ، وصادقٌ.

﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا نُو حَظِّ عَظِيمٍ﴾ (٣٥)

بعد إصلاح العلاقة لهذه الخصلة الحميدة بين البشر؛ بالدفع بالتي هي أحسن؛ يأتي ثواب الآخرة **﴿وَمَا﴾**: حرف نفي **﴿يُلْقَاهَا﴾**: ما يُوفق، وما يأخذ، وما يفوز هم أصحاب الخصال الجميلة، جاء اللفظ القرآني "التلقي" على وجهين، هنا بمعنى الأخذ وجاءت أيضًا بنفس المعنى في قوله **﴿وَأَنَّكَ لَتَلَقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾** [النمل-٦] وبمعنى النزول كما في قوله **﴿أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾** [القمر-٢٥]، وفي قوله **﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾** [غافر-١٥] **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع مَنْ **﴿صَبَرُوا﴾**: على الأذى، وما يشق على الأنفس **﴿وَمَا يُلْقَاهَا﴾**: هذه الخصال الجميلة لا يُلقاها **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿ذُو﴾**: صاحب **﴿حَظِّ﴾**: النصيب **﴿عَظِيمٍ﴾**: الوافر، جاءت بصيغة النكرة لتفيد العموم، بمعنى الوافر من السعادة في الدنيا وفي الآخرة.

التكليف: قال ابن عباس: في هذه الآية: أمر الله **﴿صَبَرُوا﴾** المسلمين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة؛ فإذا فعلوا عصمهم الله **﴿صَبَرُوا﴾** من الشيطان، وخضع لهم عدوهم، كأنه وليٌّ حميمهم.

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْغٌ فَاَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٦)

﴿وَأَمَّا﴾: وعندما **﴿يَنْزَغَنَّكَ﴾**: إذا وسوس إليك الشيطان وإذا صرفك بترك عمل وقول الخير وعن الدفع بالتي هي أحسن؛ وزيّن لك أن تقابل السيئة بمثلها في السوء، أو بأشدّ منها، جاء الفعل المضارع ينزغك ليفيد استمرار وسوسة الشيطان **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية **﴿الشَّيْطَانِ نِزْغٌ﴾**: وسوسة الشيطان، الذي هو أخطر إذا وسوس **﴿ف﴾**: حرف جواب **﴿اسْتَعِذْ﴾**: استجر واطلب العون **﴿بِاللَّهِ﴾**: إذا طلبت من الله **﴿عَلِيمٌ﴾**،

والتجأت إليه؛ كَفَّ وردَ الشيطان عنكَ ﴿إِنَّهُ﴾: ﴿بِاللَّهِ﴾ بالتأكيد ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، وهو هنا الله ﷻ ﴿السَّمِيعُ﴾: يسمع كلَّ خلقه ﴿الْعَلِيمُ﴾: بكلِّ أحوالهم، قالَ عَدِيُّ بْنُ ثَابِتٍ: سَمِعْتُ سُلَيْمَانَ بْنَ صُرْدٍ، رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا، فَاسْتَدَّ غَضْبُهُ حَتَّى انْتَفَخَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لِأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ» فَاِنْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: «تَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ» فَقَالَ: أَتَرَى بِي بَأْسٌ، أَمْجُونٌ أَنَا، اذْهَبْ^(١).

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٣٧)

﴿وَمِنْ﴾: حرفٌ يفيد التبعية ﴿آيَاتِهِ﴾: من البراهين الدالة على قدرة الله ﷻ ﴿اللَّيْلُ﴾: الذي يأتي عندما يُحجب ضوء الشمس عن الأرض ﴿و﴾: أيضاً من آيات الله تعالى والأدلة على قدرته ﷻ ظاهرة ﴿النَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾: أنه خلق الليل بظلامه، والنهار بضياءه، وهما متعاقبان يقران، والشمس ونورها وإشراقها، والقمر وضياءه وتقدير منازلها في فلكه، واختلاف سيره في سمائه؛ ليعرف باختلاف سيره وسير الشمس مقادير الليل والنهار، والجمع والشهور والأعوام، ويتبين بذلك حلول الحقوق، وأوقات العبادات والمعاملات. ثم لما كان الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي، نبه ﷻ على أنهما مخلوقان، عبدان من عبيده، تحت قهره وتسخيره؛ عندما تتعرض الأرض لضوء الشمس، النجم المركزي للمجموعة الشمسية، التي تحتوي على بلازما حارة مُتشابكة، يمثل الهيدروجين (٧٥%) من مكوناتها، ويبلغ قطرها (١٠٩) أضعاف قطر الأرض، وتصل درجة الحرارة في داخلها إلى (١٥) مليون درجة مئوية، وفي أطرافها تكون درجة الحرارة (٦) ملايين درجة مئوية ﴿لَا﴾: حرف نهي وتحريم ﴿تَسْجُدُوا ل﴾: حرف تخصيص ﴿الشَّمْسِ﴾: سجود عبادة تخصيصاً ﴿وَلَا﴾: أيضاً لا تسجدوا، حرف نهي وتحريم السجود ﴿لِلْقَمَرِ﴾: لأنها مخلوقات أمثالكم، صحيح أن فوائد الشمس للإنسان، والحيوان، والنبات عظيمة؛ لكنها مخلوقٌ مُسَخَّرٌ، بالقمر تُعرف الأيام والشهور، وبالشمس تُعرف

(١) صحيح البخاري ١٥/٨ (٦٠٤٨).

الأيام والشهور والسنون ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿اسجدوا﴾: مظهر من مظاهر العبادة
﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿اللهِ الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ هنا للمفرد، الواحد، الأحد ﷻ ﴿خَلَقَهُنَّ﴾:
أوجدهن من غير سابق وجود؛ لأنَّ الشمسَ والقمرَ وغيرهما لا تملك لكم نفعًا إلاَّ بأمر الله ﷻ،
والله لا يغفر أن يُشرك به ﴿إِنَّ﴾: حرف شرط إذا ﴿كُنْتُمْ إِيَّاهُ﴾: الله تحديدًا ﴿تَعْبُدُونَ﴾: إن
أطعتموه ﷻ حقًا.

﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ (٣٨)

﴿فَإِنْ﴾: حرف ت: يد الفعل والتوكيد على اللفظ ﴿اسْتَكْبَرُوا﴾: أبوا وتعالوا وتكبروا ونشدوا التعالي
والتكبر عن طاعة الله ﷻ ﴿فَ﴾: حرف سبب ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجماعة مَنْ
﴿عِنْدَ﴾: حرفُ زمانٍ ومكانٍ ﴿رَبِّكَ﴾: هو ﷻ مالك أمرك كلّه، والمقصود هم الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ
لَهُ﴾: ينزهون الله ﷻ عن كلِّ النواقص ﴿بِ﴾: حرف باء الظرفية ﴿اللَّيْلِ وَ﴾: أيضًا يسبحونه
في ﴿النَّهَارِ﴾: ينزهون خالقهم ﷻ عن النواقص، ليلاً ونهارًا ﴿وَهُمْ﴾: تحديدًا ﴿لَا﴾: حرف نفي
﴿يَسْأَمُونَ﴾: لا يضرجون، أو يكلون، أو يغضبون.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا
لَمُخْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٩)

﴿و﴾: حرفُ عطفٍ يفيد الحال ﴿مِنْ﴾: حرفُ جرٍ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية
المكانية ﴿آيَاتِهِ﴾: علامات وبراهين وحدانية الله ﷻ وقدرته، ﷻ إحياء الموتى؛ للبعث والنشور
والحساب يضربُ الله ﷻ مثلًا ﴿أَنْتَ﴾: أنت أيها الإنسان ﴿تَرَى﴾: تُشاهد عيانًا ﴿الْأَرْضَ
خَاشِعَةً﴾: في حالة الجذب والقحط جامدةٌ هامدةٌ ميتةٌ، لا حراك فيها؛ لأنّه لا نبات فيها ﴿فَإِذَا﴾:
حرف مفاجأة لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها
﴿أَنْزَلْنَا﴾: وجاءت بصيغة الجمع، صيغة العظمة، والقدرة، الربانية ﴿عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾: ساق الله
ﷻ إلى الأرض الماء من السحاب النقال؛ نبت الزرع ﴿اهْتَزَّتْ﴾: انتفخت، واستطالت، وتحركت
السوقُ والأغصانُ ﴿و﴾: أيضًا ﴿رَبَّتْ﴾: زادت أعدادها؛ فحبّة القمح تُخرجُ سنابل، وبذرة البلح
تطرح نخلة، وبذرة الزيتون تصيرُ شجرةً معمرةً ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكِّ والإنكار ﴿الَّذِي﴾:

اسمٌ موصولٌ للفرد، هنا لله الواحد الأحد ﷻ **﴿أَحْيَاهَا لَ﴾**: حرف علةٍ وسببٍ **﴿مُخْبِي الْمَوْتَى﴾**:
الله ﷻ الذي ضرب هذا المثل؛ يجعلهم أحياءً؛ لتؤمنوا أنه قادر على بعث الإنسان من بعد
موته؛ فهو **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿هُوَ﴾**: ضمير للمفرد ﷻ **﴿عَلَى كُلِّ﴾**:
تفيد العموم **﴿شَيْءٍ﴾**: جاءت بصيغة نكرة لتعزز وتؤيد العموم **﴿قَدِيرٍ﴾**: صاحب القدرة المطلقة،
التي لا تحدّها حدود ولا تمنعها سدود.

التكليف: نستخلص من هذا المثل النباتي أنّ الله ﷻ سيُحيي الناس يوم القيامة كما يُحيي
النبات في الدنيا بنفخة البعث والنشور.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٤٠)**

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من **﴿يُلْحِدُونَ﴾**:
يحيدون عن الحق، ولا يؤمنون بآياتنا، قال ابن عباس: الذي وضع الكلام في غير مواضعه،
وقال قتادة: الكفر والعناد **﴿فِي آيَاتِنَا﴾**: البراهين ومنها البعث والنشور **﴿لَا﴾**: حرف نفي
﴿يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾: إنّ الله ﷻ يعلم من يُلحد في آياته؛ أسماءهم، وصفاتهم، وهذا تهديدٌ شديدٌ
﴿أَ﴾: حرف استفهامٍ للتقرير **﴿أَفَمَنْ﴾**: حرف استفهامٍ استثنائي هنا عن العاقل للتقرير والتنبيه
بمعنى هل يستوي الذي **﴿يُلْقَى﴾**: رغماً عنه أن يُقذف **﴿فِي النَّارِ﴾**: هل الذي يُلقى في النار
يتساوى عند الله ﷻ **﴿أَمْ مَنْ﴾**: أو الذي **﴿يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾**: الذي يُبعث آمناً مطمئناً
إلى رحمة الله ﷻ ! لا يستون **﴿اعْمَلُوا﴾**: اقترفوا من الجرائم، الأمر ليس على سبيل التخيير،
بل هو تهديد أكيد **﴿مَا﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿شِئْتُمْ﴾**: تهديدٌ شديدٌ من الله ﷻ للكافرين
الذين يعملون شرّاً، وبشرى للمؤمنين الذين يعملون خيراً **﴿إِنَّهُ﴾**: بالتأكيد **﴿بِمَا﴾**: اسم
موصول بمعنى الذي **﴿تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**: فهو يرى كلّ عملٍ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (٤١)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من **﴿كَفَرُوا
بِالذِّكْرِ﴾**: قال الضحاك: هو القرآن الكريم **﴿لَمَّا﴾**: ظرفٌ زمانٍ بمعنى حدث في الماضي

﴿جَاءَهُمْ﴾: لَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَتَلَاهُ عَلَيْهِمْ ﴿وَإِنَّهُ﴾: أَيْضًا بِالتَّأَكِيدِ ﴿ل﴾: حَرْفُ عِلَّةٍ وَسَبَبٍ ﴿كِتَابٌ عَزِيزٌ﴾: رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ بَعِزَ اللَّهِ ﷻ لَهُ، وَبِمَا حَفِظَهُ مِنْ كُلِّ تَغْيِيرٍ أَوْ تَبْدِيلٍ، مَنِيْعٌ، مَصَانُ الْجَانِبِ، لَا يُغَالِبُهُ أَحَدٌ، وَلَا يَأْتِي بِمِثْلِهِ أَحَدٌ؛ حَتَّى لَوْ آيَةً وَاحِدَةً.

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (٤٢)

﴿لَا﴾: حَرْفُ نَفْيٍ ﴿يَأْتِيهِ﴾: لَيْسَ لِلْبَاطِلِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ؛ لِأَنَّهُ تَنْزِيلُ اللَّهِ ﷻ ﴿الْبَاطِلُ﴾: هُوَ الْفَاسِدُ الْمَحْرَمُ ﴿مِنْ﴾: حَرْفُ جَرٍّ يُعِيدُ بَيَانَ وَتَمْيِيزَ النُّوعِ وَيُعِيدُ ابْتِدَاءَ الْغَايَةِ الزَّمَانِيَّةِ ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: لَا يَزِيدُ فِيهِ شَيْئًا، مِنْ أَيِّ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِيهِ، فَقَبْلَ نَزْوِلِهِ بُشِّرَ الرُّسُلُ بِنَزْوِلِ الْقُرْآنِ، فَلَمْ يَأْتِ فِي كِتَابِهِمْ مَا يَخَالِفُهُ ﴿و﴾: حَرْفُ عَطْفٍ يُعِيدُ الْحَالَ ﴿لَا مِنْ خَلْفِهِ﴾: لَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْبَشَرِ أَوْ الْجِنِّ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْهُ شَيْئًا، كَذَلِكَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ؛ لَا تَأْتِي كِتَابٌ مِنْ بَعْدِهِ تَنْسَخُهُ ﴿تَنْزِيلٌ﴾: مِنَ اللَّهِ ﷻ مِنَ الْعُلُوِّ إِلَى الدُّنُوِّ ﴿مِنْ﴾: حَرْفُ جَرٍّ يُعِيدُ بَيَانَ وَتَمْيِيزَ النُّوعِ وَيُعِيدُ هُنَا ابْتِدَاءَ الْغَايَةِ الْكَلِمِيَّةِ ﴿حَكِيمٍ﴾: بِتَدْبِيرِ أُمُورِ عِبَادِهِ ﷻ، صَاحِبِ الْقَوْلِ الْحَقِّ وَالْفِعْلِ الْمَحْمُودِ ﴿حَمِيدٍ﴾: مَنْ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ الْحَكِيمُ فِي فِعْلِهِ وَقَوْلِهِ، الْمَحْمُودُ فِي جَمِيعِ مَا أَمَرَ بِهِ، وَنَهَى عَنْهُ.

﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدِ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٤٣)

﴿مَا﴾: حَرْفُ نَفْيٍ ﴿يُقَالُ لَكَ﴾: وَالْخَطَابُ هُنَا لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ التَّكْذِيبِ وَالتَّشْكِيكِ فِي الْقُرْآنِ وَالدَّعْوَةِ ﴿إِلَّا﴾: حَرْفُ اسْتِثْنَاءٍ ﴿مَا قَدْ﴾: حَرْفُ جَرٍّ أَفَادَ التَّأَكِيدَ لِأَنَّهُ دَخَلَ هُنَا عَلَى الْفِعْلِ الْمَاضِي ﴿قِيلَ ل﴾: حَرْفُ تَخْصِيصِ ﴿الرُّسُلِ مِنْ﴾: حَرْفٌ يُعِيدُ بَدَايَةَ الْغَايَةِ الزَّمَانِيَّةِ ﴿قَبْلِكَ﴾: مَا يَقُولُ لَكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ إِلَّا مَا قَدْ قَالَهُ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ لِرُسُلِهِمْ، وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: الْأُمَمُ السَّابِقَةُ، الَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ؛ كَمَا كَذَّبُواكَ وَصَبَرُوا يَا مُحَمَّدُ ﷺ عَلَيْكَ أَنْ تَصْبِرَ ﴿إِنَّ﴾: حَرْفُ تَأَكِيدٍ وَنَفْيِ الشَّكِّ وَالْإِنْكَارِ ﴿رَبِّكَ﴾: مَا لَكَ أَمْرٌ كُلُّهُ ﴿ل﴾: حَرْفُ تَمْلِيكِ ﴿ذُو﴾: صَاحِبُ ﴿مَغْفِرَةٍ﴾: إِنْ اللَّهُ ﷻ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَغْفِرَ لِمَنْ تَابَ ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾: شَدِيدِ الْوَجَعِ لِلْكَافِرِينَ لِمَنْ أَصْرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَتَكْذِيبِهِ.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾
(٤٤)

يُوضِّحُ اللهُ ﷻ منهج المستكبرين في التعامل مع القرآن الكريم ﴿وَلَوْ﴾: حرف استفهام ونفي ﴿جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا﴾: لو نزل القرآن الكريم، بلغة العجم، لغة غير لغة العرب ﴿ل﴾: حرف سبب ﴿قَالُوا لَوْلَا﴾: حرف شرط يفيد امتناع شيء لوجود غيره ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾: لوجوده أعجمياً، لا اعتراض كقار قريش، وقالوا ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الاستتكار ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾: غير عربي ﴿وَعَرَبِيٌّ قُلْ﴾: يا محمد ﷺ ﴿هُوَ﴾: يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد كيف يُنزل قرآنًا أعجمياً على رجلٍ عربيٍّ؟ كيف سيفهمه؟ وقال الحسن البصري: تفسير قولهم ولو أنزل بعضه بالأعجمي وبعضه بالعربي؛ وهذا تعنتٌ أشدُّ من الأول؛ فماذا يفعل رسول الله ﷺ أمام تعنتهم؟ ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا هُدًى﴾: دليلٌ صحيحٌ على المنهج الصحيح ﴿وَشِفَاءٌ﴾: هذا القرآن أيضاً هدى قلوب المؤمنين، وشفاءٌ لما في الصدور من شكٍ وريبةٍ، لا شكَّ أنَّ معظم المسلمين هجروا التشافٍ بالقرآن الكريم، والآية هنا واضحة هو شفاءٌ، وجاءت بصيغةٍ نكرةٍ؛ لتفيد عموم الامراض ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿الَّذِينَ لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: بأركان الإيمان كأنَّ ﴿فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾: كأنَّ صمغ الأذن قد أقفل فيها قناة السمع؛ فلم تصل الكلمات للقلب؛ فيعقلها ﴿وَهُوَ﴾: القرآن الكريم ﴿عَلَيْهِمْ عَمًى﴾: لا يهتدون إلى ما فيه من البيان ﴿أُولَئِكَ﴾: اسمٌ إشارةٍ للقريب والبعيد ﴿يُنَادُونَ﴾: يكون النداء عليهم ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾: هنا تشبيه لحال الكافرين في إعراضهم عن سماع القرآن كالذي لم يسمع؛ لبعد المتحدث عنهم جاء في المعنى ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُحْمٌ فَهُمْ لَا يِعْقِلُونَ﴾ [البقرة-١٨]؛ لقد تعطلت وسائل الإدراك السمع، والبصر؛ فلا فائدة.

التكليف: كان القرآنُ بلغة العرب بقصد التحدي، فالعرب هم أعلم النَّاسِ بأنواع الكلام، نظماً ونثرًا، وإذا عجزوا عن معارضته كان من الأدلة الدامغة على أنه من عند الله ﷻ، ولو كان

بلغه العجم لقالوا لا علم لنا بهذا، ولكنه بلسانهم فلم يكن لهم عذرٌ بعدم الإيمان بأنه من عند الله ﷻ.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَآخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ (٤٥)

﴿وَلَقَدْ﴾: حدث في الماضي بالتأكيد ﴿آتَيْنَا﴾: أنزلنا وحياً على ﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة ﴿ف﴾: حرف يفيد هنا السبب بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿آخْتَلَفَ فِيهِ﴾: كذبه أكثر الناس من قومه، وصدقه بعضهم؛ فحدث الخلاف في الفهم والتوجه ﴿وَلَوْلَا﴾: حرف يفيد امتناع ما بعدها لوجود ما قبلها ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾: لولا ما قضاؤه ﷻ مسبقاً، بتأخير الحساب إلى يوم القيامة ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿فُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: لعاقب الله ﷻ المكذبين وهم أحياء ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿إِنَّهُمْ﴾: بالتأكيد ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾: حرف يفيد التأكيد ﴿مُرِيبٍ﴾: شديد الريبة، قال ابن جرير: هم في شكٍ من دعوة موسى ﷻ، وكان تكذيبهم بلا بصيرة، ولا أدلة، ولا براهين، بل كانوا أيضاً في شكٍ فيما قالوه من تكذيب. التكليف: هذه الآية تسلية للنبي ﷺ بمعنى لست أنت من كذبه قومه؛ فقد حصل هذا مع نبي الله موسى ﷻ.

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٤٦)

﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل وهو الإنسان ﴿عَمِلْ﴾: العمل يكون مصحوباً بالنية، بينما الفعل يكون مصحوباً بالجوارح ﴿صَالِحًا﴾: فعل الخير، عبادة ومساعدة للناس وطاعة لله ﷻ ورسوله ﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿نَفْسِهِ﴾: ذاته وجوهره ﴿و﴾: أيضاً ﴿مَنْ أَسَاءَ﴾: عصى الله ﷻ ورسوله ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿عَلَيْهَا﴾: يرجع وبال إساءته على نفسه ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿رَبِّكَ﴾: المالك لكل شأنك ﴿ب﴾: حرف باء إثبات ﴿ظَلَّامٍ﴾: شديد الظلم ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْعَبِيدِ﴾: إنّ الله ﷻ لا يُعاقب مخلوقاً إلا بذنبه، ولا يعذب أحداً إلا بعد إقامة الحجة عليه، وهذا دور الرسل والأنبياء، والدعاة، وهذه الآية أيضاً تسلية لنبيّه الكريم.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا
بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذْنَاكَ مَا مَنَا مِنْ شَهِيدٍ﴾ (٤٧)

﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الله ﷻ ﴿يُرَدُّ﴾: يُرْجَع ﴿عِلْمُ السَّاعَةِ﴾: لا أحد يعلم ذلك سواه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سأل سيدنا محمد ﷺ جبريل عليه السلام، قائلاً فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا الْمَسْئُورُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأُمَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاءَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ^(١) ﴿و﴾: أيضاً ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿تَخْرُجُ مِنْ﴾: حرف يُفِيدُ بداية الغاية المكانية ﴿ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾: والأكمام جمع كِمِّ بكسر حرف الكاف وتشديد الميم وهو مخرج اليد والذراع؛ وهي تعني الأوعية، تنبت نبتة، والمعنى هنا لا تخرج ثمرة من قطفها، وأغصانها ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى﴾: من الأجنّة؛ وهي عامّة لكلّ أنثى من الإنسان، والحيوان، والطيور ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿تَضَعُ﴾: يولد لها ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿بِ﴾: حرف بَاء السبب والمصاحبة ﴿عِلْمِهِ﴾: فإنّه ﷻ يعلمه، ولا يخفى عليه شيء من ذلك ﴿وَيَوْمَ﴾: جاءت كلمة "يوم" هنا منصوبة؛ لأنها تتعلق بمحذوف تقديره اذكر يوم ﴿يُنَادِيهِمْ﴾: يوم يُنَادِي الله ﷻ المشركين على رؤوس الخلائق يوم القيامة ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾: أين الذين أشركتموهم معي ﴿قَالُوا﴾: المشركون ﴿آذْنَاكَ﴾: أعلمناك ونقول لك ﴿مَا مَنَا مِنْ شَهِيدٍ﴾: لا أحد منا يشهد اليوم أنّ معك شريكاً، والنفي في الشهادة يرادُ به التبرؤ من الشركاء.

﴿وَوَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ (٤٨)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿ضَلَّ﴾: ذهب، وتاه ﴿عَنْهُمْ﴾: حرف يُفِيدُ المجاوزة ﴿مَا﴾: الذي ﴿كَانُوا يَدْعُونَ﴾: ذهب عن هؤلاء المشركين هنا كانوا يعبدونهم من دون الله فلم ينفعوهم ﴿مِنْ﴾: حرف يُفِيدُ بداية الغاية المكانية ﴿قَبْلُ﴾: في السابق ﴿وَوَضَنُوا﴾: أيضاً أيقنوا، وتأكّدوا ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفِيدُ بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿مَحِيصٍ﴾: وأيقنوا أنّ لا ملجأ لهم من عذاب الله ﷻ ولا محيد عن العذاب، جاء في المعنى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف-٥٣].

(١) صحيح مسلم ٣٦/١ (٨).

﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ (٤٩)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ﴾: لا يملُ الإنسانُ ﴿مِنْ دُعَاءٍ﴾: رَبِّهِ ﷻ من كلِّ خير؛ المال والصحة، والجاه، وغيره ﴿الْخَيْرِ﴾: بكلِّ أشكال النعم ﴿وَإِنْ﴾: حرف شرط، إذا ﴿مَسَّهُ﴾: أصابه في جسده أو مصالحه ﴿الشَّرُّ﴾: البلاء والفقر ﴿فَيَئُوسٌ﴾: شديد اليأس من عودة الخير ﴿قَنُوطٌ﴾: آيسٌ من روح الله ﷻ؛ آيسٌ من رحمته تعالى.

﴿وَلَنْ أَدْفِنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّه لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُْنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنْذِيْقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (٥٠)

﴿و﴾: أيضًا ﴿لَنْ﴾: حرف شرط إذا ﴿أَدْفِنَاهُ﴾: أصابته ﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾: من الله ﷻ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ﴿بَعْدِ ضَرَاءٍ﴾: أضرار ﴿مَسَّه﴾: بشدة بعد شدة، فقر، أو مرضٍ أو غيره ﴿ل﴾: حرف سبب ﴿يَقُولَنَّ﴾: المقصود هنا هو الكافر يقول بالتأكيد ﴿هَذَا﴾: اسم إشارة للمفرد المذكر ﴿لِي﴾: تمليكًا أي هذا ما استحققه بعلمي وجهدي، وبما لي من مكانةٍ وقدرٍ، وليس منةً وفضلًا من الله ﴿وَمَا﴾: أيضًا نفي ﴿أَظُنُّ﴾: لا أعتقد أنّ ﴿السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾: ثم يكفّر عندما يقول أنّ يوم القيامة لن يكون ﴿وَلَنْ﴾: عطفًا على ما سبق، حرف شرط ﴿رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي﴾: إذا كانت قيامة ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿لِي﴾: تخصيصًا وتحديدًا ﴿عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾: ثم يضع أمانيه سببًا لكفره؛ إذا قامت قيامته؛ فسوف يُحسن له ربه، كما أحسن له في هذه الديار، فيدخله الجنة، كأنّ الكافر يوزعُ رحمة ربّه على نفسه وفق هواه ﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿ل﴾: حرف للقسم ﴿نُنَبِّئَنَّ﴾: نُخبر بالتأكيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا بِمَا﴾: بالذي ﴿عَمِلُوا﴾: سوف يصلُ الكافرين أخبار ما عملوا من سيئات ﴿وَلَنْذِيْقَنَّهُمْ﴾: نصليهم أيضًا ﴿مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: هنا استعارة الغلظة؛ لأنّ العذاب والنكال عظيم.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ (٥١)

﴿وَإِذَا﴾: أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿أَنْعَمْنَا﴾: وهبنا من نعم الله ﷻ ﴿عَلَى الْإِنْسَانِ﴾: المقصود هنا الإنسان الكافر، بصحةٍ أو رزقٍ أو أي خير ﴿أَعْرَضَ﴾: ترك ﴿وَنَأَى﴾: أيضًا

ابتعدَ واعتزلَ واستكبرَ ﴿بِجَانِبِهِ﴾: عن الطاعة والانقياد لأوامر الله ﷻ ﴿و﴾: حرفُ عطفٍ يُفيدُ الحالَ ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾: أصابته شدّةٌ في عافيته، أو ماله، أو ولده ﴿ف﴾: لهذا السبب فهو ﴿ذُو﴾: صاحب ﴿دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾: هنا تشبيه الدعاء بشيءٍ عريضٍ، متسعٍ ومستمرٍ، وهو أبلغُ من الطويلِ؛ إذ الطولُ قد يشملُ الشيءَ الدقيقَ؛ وهذا إشعارٌ بالكثرة والاستمرار، يطيلُ الدعاءَ، والطلبَ، والسؤالَ في الشيءِ الواحدِ الذي يريده، والكلامَ العريضُ هو ما طال لفظه، وقلَّ معناه، والكلامُ الوجيزُ ما قلَّ لفظه وزاد معناه، يريد من الله ﷻ أنْ يكشفَ عنه الشدّةَ والبلاءَ.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (٥٢)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ للمشركين المكذبين ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ﴾: حرف شرط كنتم متأكدون ﴿كَانَ مِنْ﴾: حرفٌ يُفيدُ المصدرَ ﴿عِنْدِ﴾: حرف زمان ومكان ﴿اللَّهِ﴾: إذا كان القرآن هو مُنزلٌ من الله ﷻ ﴿ثُمَّ﴾: يفيدُ تباعدَ وتراخيَ زمني ﴿كَفَرْتُمْ بِهِ﴾: وقد أنكرتم ﴿بِهِ﴾: بالقرآن الكريم وأخفيتم حقيقته ﴿مَنْ﴾: حرف استفهام واستنكار ﴿أَضَلُّ﴾: أكثرُ ضلالةً ﴿مِمَّنْ﴾: من الذي ﴿هُوَ﴾: ضميرٌ منفصلٌ للمفرد المذكر ﴿فِي شِقَاقٍ﴾: عنادٍ، وخصامٍ، وخلافٍ ﴿بَعِيدٍ﴾: لا أحدٌ أضلُّ منكم؛ لأنكم في خلافٍ شديدٍ وبعيدٍ عن الحق بسبب كفركم بالقرآن، يصفُ الله ﷻ حالهم، هل يوجد أكثرُ ضلالاً من الذي شاقَّ الله ﷻ ورسوله ﷺ وكفر، وعاند، وابتعد عن الهدى.

﴿سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٥٣)

﴿س﴾: حرفُ تأكيدِ الفعلِ ﴿سُنُرِيهِمْ﴾: سنظهر ونوضح لأهل قريش ﴿آيَاتِنَا﴾: صدق آياتنا على كون القرآن حقًا كتاب الله ﷻ، أنزله على رسوله بأدلةٍ واضحةٍ ﴿فِي الْأَفَاقِ﴾: جمع أفق وتعني هنا جميع أقطار ومكونات السماوات والأرض، مثل الفتوحات، وظهور الإسلام على كلِّ الأديان، وها نحن نرى آيات ربنا في الأفق، فنرى أحداثًا، ومراسلين، وأقمارًا صناعية تنقل الأحداث، فنراها منشورةً بالصوت والصورة في كلِّ شبرٍ في الفضاء من حولنا ﴿و﴾: أيضًا نريهم آياتنا ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾: كانت واقعةً بدرٍ، وفتحُ مكّة، والغزواتُ التي انتصر فيها المسلمون على

المشركين، وقد يكون دراستهم للإنسان المخلوق المعجزة؛ هيأته، وأجهزته الهضمية، والقلب، والتنفس، والتناسل، والكلى، والهرمونات، والخلق البديع في التشريح، وعلم وظائف الأعضاء، الدالّ على حكمة، وإبداع الخالق، ﷻ **﴿حَتَّى﴾**: حرف جرّ يفيد انتهاء الغاية الشرطيّة **﴿يَتَّبِعِينَ﴾**: يتضح ويتجلى **﴿لَهُمْ﴾**: تخصيصًا للكفّار **﴿أَنَّهُ﴾**: حرف تأكيد الفعل، أنّ القرآن الكريم هو **﴿الْحَقُّ﴾**: حتى تكون هذه من وسائل تقنعمهم بالإيمان، وكفى به شهيدًا **﴿أَوْلَمْ﴾**: اسم مركب يفيد استفهام واستنكار تقريرى **﴿يَكْفُرُ﴾**: يكون القرآن من عند الله ﷻ كافيًا كأعظم شهادة **﴿بِ﴾**: حرف باء التوكيد **﴿رَبِّكَ﴾**: هو ﷻ المُعبود، والمُربي، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابِرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ؛ فهو مالك كلِّ أمرٍ **﴿أَنَّهُ﴾**: **﴿عَلَى كُلِّ﴾**: يفيد الجميع **﴿شَيْءٍ﴾**: جاءت في صيغة نكرة؛ لتؤكد الجميع **﴿شَهِيدٌ﴾**: لا شيء أكبر شهادة من شهادته ﷻ. إنّ دراسة هذه الأجهزة العلمية، وقراءة الأحداث التاريخية بحيادٍ؛ تُبيّن أنّ الله شهيدٌ على أفعالهم، وأقوالهم، يشهدُ بصدق رسالة محمد ﷺ.

التكليف: نحن نقول على هذا السؤال الربّانيّ بلى، نشهد أنّ هذه من آيات الإعجاز العلمي في القرآن؛ فحرف السين تعني المستقبل، سوف يريهم الله ﷻ دلالةً على أنّ معجزات القرآن ستبقى دائمًا واضحةً، فقد جاء موسى عليه السلام، في زمن السحرة المهرة؛ فأعطاه الله ﷻ ما أبطل سحرهم، وجاء عيسى عليه السلام، زمن بلوغ علوم الطب مبلغًا كبيرًا، فأعطاه الله ﷻ ما تفوق به عليهم، وهو إحياء الموتى، وجاء محمد ﷺ في زمن فصاحة العرب، وحُسن البيان، فكان القرآن الكريم، إنّ معنى التفسير العلمي: استخدام العلوم المتاحة وخاصّةً الحديثة؛ لتوضّح حقائق، وقوانين، وفروض، ونظريات، ومعنى الإعجاز العلمي هي حقائق تُؤكدُها العلوم، وهي متجددة، ومتنوعة، ومُبهرة.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ (٥٤)

﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه **﴿إِنَّهُمْ﴾**: هم الكفار بالتأكيد **﴿فِي مِرْيَةٍ﴾**: في شكٍ عظيم **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية **﴿لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾**: يوم البعث بعد الممات يوم

القيامة، يوم قيام الساعة، فلا يعملون لها، وهي واقعة لا محالة، يوم يُحاسبهم مالك أمرهم كله **﴿أَلَا﴾**: حرف تنبيه **﴿إِنَّهُ﴾**: **﴿بِ﴾**: حرف باء الإلصاق والتأكيد **﴿كُلُّ﴾**: تفيد الجميع وكلّ تعني لا شيء مُستثنى **﴿شَيْءٍ﴾**: حرف جاء في صيغة نكرة لئُفيد عموم الأشياء في الأرض والسماء، والماضي والحاضر والمستقبل **﴿مُحِيطٌ﴾**: قادرٌ، على كلِّ شيءٍ، محيطٌ بعلمه وقدرته وعزّته، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، في قبضته ملكوت السموات والأرض، المتصرف فيها بحكمه؛ إذا أراد شيئاً قال له كن؛ فيكون.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة؛ نرى ضرورة معالجة المتشككين في القرآن ببيان إعجازه، وعواقب إنكاره؛ مستفيدين من التقدم العلمي الكبير في مجالات الكون والعلوم المختلفة.



سُميت سورة الشورى بهذا الاسم في كثير من المصاحف والتفاسير، ويُطلق عليها سورة "حم عسق" وقالوا سورة "المؤمن" وهي سورة مكية كلها عند الجمهور، نزلت بعد سورة الكهف، وقبل سورة إبراهيم، وترتيبها (٦٢) في ترتيب السور، وعدد آياتها (٥٣) آية عند أهل الكوفة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿حم﴾ (١)

الحرفان **﴿حم﴾**: إضافة إلى ما ورد في السور السابقة، فإنني أرى الحرفين، والله أعلم، يعنيان اسم محمد ﷺ، ويعزز هذا هنا ما جاء في الآية (٣) **﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾**، والضمير يعود إلى محمد ﷺ، ويعزز هذا ما جاء في الآية (٥) **﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾**، وهم الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وجاء في الآية (٦) **﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾**، والضمير يعود على محمد ﷺ، وجاء في الآية (٧) **﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾**، ولم ينزل القرآن في أم القرى إلا على محمد ﷺ.

﴿عسق﴾ (٢)

حرف ﴿ع﴾: ولفظها عين؛ والمقصود بها عين الإنسان، والله ﷻ أعلم: هي أداة الرؤية، وهي من أهم أدوات الإدراك، وحرف ﴿س﴾: والمقصود بها السمع، والله ﷻ أعلم، وهو من أدوات الإدراك الأهم، فمن يسمع يصل إلى درجات علمية كبيرة، وهنا نفهم أنه منهج مبني على الوعي واليقين الذي مصدره القلب، وأن السمع والبصر هما أهم أدوات الوعي والإدراك. أما حرف ﴿ق﴾: أن المقصود هو القلب، الذي هو مركز الإدراك، والله ﷻ أعلم.

﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣)

﴿كَذَلِكَ﴾: كما أنزل الله ﷻ وحيًا من قبلك يا محمد ﷺ بهذا القرآن ﴿يُوحِي إِلَيْكَ﴾: يرسل الله ﷻ إليك الملائكة، الوحي، الذي يحمل الآيات؛ لقد استعمل الحق ﷻ هنا الفعل المضارع في حقيقته لما ينزل من القرآن، وفي مجازه بالنسبة لما أنزل من الكتب السابقة وما أنزل منه، وهذا تشبيهه للمشبه به في هذه السورة يفيد التجدد وعدم الانقطاع حتى يقضى رسول الله ﷺ ﴿و﴾: أيضًا يوحى إلى ﴿الَّذِينَ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِكَ﴾: أنزل الكتب والصحف على الأنبياء والرسل من قبلك ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾: المنيع الذي لا يغالبه شيء في انتقامه ﴿الْحَكِيمُ﴾: في أقواله وأفعاله. عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ ﷺ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيَنْفِصُمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَنْفِصُمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَّقِصَدُ عَرَقًا. (١)

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (٤)

﴿لَهُ﴾: لله ﷻ ملك ﴿مَا﴾: الذي ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها بيضاوية الشكل ﴿و﴾: أيضًا له ﷻ ملك ﴿مَا﴾: الذي من غير العاقل، كالحيوان، والنبات، وغيرها ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: كل ما في السماوات، وكل ما في الأرض، الجميع عبيده، وملكه، وتحت

(١) صحيح البخاري ٦/١ (٢).

قهره، وتصريفه ﴿وَهُوَ﴾: ﴿الْعَلِيِّ﴾: بذاته، وقدرته، وقهره فوق الخلق كلهم ﴿الْعَظِيمِ﴾: صاحب العظمة والكبرياء في ذاته وصفاته.

التكليف: من حق المالك أن يتصرف في ملكه، فمن أطاعه أكرمه، ومن عصاه حرمه، فلا تكن من المحرومين.

﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥)

﴿تَكَادُ﴾: تُوشكُ ﴿السَّمَاوَاتُ﴾: كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها بوضوئية الشكل ﴿يَنْفَطَّرْنَ﴾: يتمزقن، وينفصلن عن بعض ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿فَوْقِهِنَّ﴾: والتقطير يبدأ من فوق، علو شأن وعظمة الله ﷻ ثم ينزل إلى الأسفل، قال ابن عباس، والسدي: تتشقق من فوق الأرض من عظمة الرحمن وجلاله ﷻ ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿الْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ﴾: يذكرون الله ﷻ وينزهونه عن النواقص ﴿ب﴾: باء المصاحبة ﴿حَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: يُمدون الله ﷻ ويحمدونه ﴿و﴾: أيضًا ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾: يطلبون السماح ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿مَنْ﴾: جنس العاقل، للناس ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: يسأل المؤمنون ربهم أن يغفر للمؤمنين زلاتهم ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ﴾: الذي يتجاوز عن السيئات، ويقبل الحسنه والتوبة، واسع المغفرة ﴿الرَّحِيمُ﴾: واسع الرحمة، بعباده.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (٦)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿اتَّخَذُوا﴾: اعتمدوا ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: غير الله ﷻ ﴿أَوْلِيَاءَ﴾: آلهةٌ أحبهم، ونصروهم، وعبدهم من دون الله ﷻ، أصنامًا، أو أوثانًا، أو رجالًا، أو عقائد فاسدة، فنصروا أصحابها؛ وأعانوهم على نشرها ﴿اللَّهُ حَفِيظٌ﴾: يحفظ عليهم أعمالهم، وهو ﷻ شهيدٌ ﴿عَلَيْهِمْ﴾: يُحصي أعمالهم، وسيعاقبهم بما يستحقون ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَنْتَ﴾: يا محمد ﷺ ﴿عَلَيْهِمْ ب﴾: حرف باء التوكيد ﴿وَكِيلٍ﴾: أنت أيها الرسول لست متوكلاً بحفظ أعمالهم، وليس عليك من إثمهم شيء.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (٧)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحالَ ﴿كَذَلِكَ﴾: مثلما، أيضًا ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: إلى الأنبياء من قبلك نوحى إليك ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾: كتاب الله ﷺ، بلغة العرب، واضحًا جليًّا ﴿ل﴾: علّةٌ وسببٌ ﴿تُنذِرَ﴾: لتُحذّرَ وتُخوِّفَ، ولم يذكر ﷺ المُنذِرَ به، وهو العذاب ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾: ولم يقل ﷺ أهل، وهي مكّة، وأمُّ الشيء هو أعلاه، فالله أرسل إلى أعلى القرى منزلة ﴿و﴾: أيضًا تنذر ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل والمقصود هنا هم السكان ﴿حَوْلَهَا﴾: كلُّ سُكّانِ الأرض شرقًا وغربًا ﴿وَتُنذِرَ﴾: تُحذّرَ وتُخوِّفَ من ﴿يَوْمِ الْجَمْعِ﴾: يوم القيامة الذي فيه يجمع الله ﷻ الأولين والآخرين، في صعيدٍ واحدٍ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿رَيْبَ﴾: لاشك ﴿فِيهِ﴾: أنّه واقعٌ كائنٌ، وعندها سيفترق الخلق إلى فريقين ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ﴾: هم الذين سيُدخلهم الله ﷻ الجنّة ﴿وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾: مصيره في جهنّم، خالدًا فيها أبدًا، والعياذ بالله ﷻ.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ لِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٨)

﴿وَلَوْ﴾: حرفٌ استفهامٍ ونفي ﴿شَاءَ﴾: أراد ﴿اللَّهُ﴾ ﷻ ﴿ل﴾: حرف سبب ﴿جَعَلَهُمْ﴾: لجمع خلقه من النَّاسِ ﴿أُمَّةً﴾: جماعة كبيرة أصحاب مذهبٍ وعقيدةٍ ﴿وَاحِدَةً﴾: إمّا مهتدين كُلّهم، أو ضالّين كُلّهم، ونستخلص أنّ معيار الأمة هو الهدى والضلالة، وليست عرقية أو جغرافية ﴿وَلَكِنْ﴾: حرفٌ استدراكٍ ﴿يَدْخُلُ مَنْ﴾: جنس العاقل ﴿يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾: يدخل المخلوق الجنّة برحمة الله ﷻ؛ فلا يدخلها أحدٌ من المسلمين بعمله؛ إنّما بنعمةٍ من الله ﷻ وفضلٍ، هؤلاء أهل الإيمان، فعن أبي هريرة، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قالوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَلَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ: إمّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزِدَادَ خَيْرًا، وَإمّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتَبَ^(١)، ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿الظَّالِمُونَ﴾: الكافرون ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿لَهُمْ﴾: ليس لهم ﴿مِنْ﴾:

(١) صحيح البخاري ١٢١/٧ (٥٦٧٣).

حرفٍ جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿وَلِيٍّ﴾: مُؤَيِّدٍ ولا مُحِبِّ، ولا نصيرٍ يتولى أمورهم يوم القيامة ﴿وَلَا﴾: أيضاً نفي أن يكون لهم ﴿نَصِيرٍ﴾: وهؤلاء الصنف الثاني؛ هؤلاء الذين لا خير فيهم.

﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
(٩)

﴿أَمْ﴾: بمعنى بل ﴿اتَّخَذُوا﴾: لقد اتخذ الكفار والمشركون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: غير الله ﷻ ﴿أَوْلِيَاءَ﴾: أنصار وأحباب من الأصنام، والأوثان وكل ما يصدُّ عن سبيل الله ﷻ؛ أحبّوهم، ونصروهم، وأيدوهم، وصاهروهم ﴿فَ﴾: حرف سبب ﴿اللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾: لأتته الخالق البارئ، الرازق، والمؤيد، والمعين، وهو الأحقُّ بالعبادة ﴿وَ﴾: أيضاً ﴿هُوَ يُحْيِي﴾: يبعث من القبور ﴿الْمَوْتَى﴾: هو القادر على أن يبعثهم يوم القيامة من القبور ﴿وَهُوَ﴾: أيضاً ﷻ ﴿عَلَى كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: وشيء نكرة تفيد العموم ﴿قَدِيرٌ﴾: فالله ﷻ عظيم القدرة؛ لذا يستحق العبادة.

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (١٠)
﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿اِخْتَلَفْتُمْ فِيهِ﴾: إذا تباينت واختلفت الأمة والأفراد ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: تفيد العموم في شيءٍ صغيرٍ أو كبيرٍ، في أمور دينكم أصولها، وفروعها ﴿فَ﴾: بسبب هذا؛ لا بدّ من الرجوع السريع ﴿حُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾: مرده في شرع الله ﷻ من أمور دينكم في كتابه وسنة نبيه ﷺ وهو ﷻ الحاكم العدل بكتابه وسنته ﴿ذَلِكُمُ﴾: إشارة للبعيد ﴿اللَّهُ رَبِّي﴾: هو ﷻ المعبود، والمُرَبِّي، وهو منشئ الشيء حالاً فحال إلى حدّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثير الخير، والمُحِيط، والمُدَبِّر، والجابر لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فهو ﷻ مالكٌ أمر كلِّ شيءٍ، الذي يفصل في كل شيء ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: عليه اعتمد ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: أرجع في كلِّ أمرٍ إليه ﷻ، لا إلى أحدٍ سواه وهذا على سبيل الاختصاص.

﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١)

﴿فَاطِرٌ﴾: خلق بغير سابق مثال، مبدعها بقدرته، ومشئته، وحكمته ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها ببيضاوية الشكل ﴿و﴾: أيضًا فاطر ﴿الأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ﴾: تخصيصًا وتمليًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿أَنْفُسِكُمْ﴾: من جوهر جنسكم وأشكالكم ﴿أَزْوَاجًا﴾: أنواعًا، الجنسين الذكر والأنثى؛ لتسكنوا إليها ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾: وجعل لكم من البقر والغنم أنواعًا أزواجًا، وقال ثمانية أزواج ﴿يَذُرُّكُمْ﴾: جاء اللفظ يذروكم، ولم يقل ﴿يَذُرُّهَا﴾، بمعنى يُكثركم ويزيدكم؛ فغلب المذكر على المؤنث ﴿فِيهِ﴾: بمعنى به على هذه الصفة، يخلقكم فيه ذكورًا وإناثًا، خلقًا بعد خلقٍ، وجيلًا بعد جيلٍ، قال البغوي: يذروكم في الرحم، وقيل: يجعلكم في هذا الوجه والصورة من الخلق، وقال مجاهد: نسلًا بعد نسل، ومن الناس والأنعام ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماض ناقص يفيد النفي ﴿كَ﴾: حرفٌ يفيد مثل وحال، وجاءت هنا للزيادة للتوكيد ﴿مِثْلَهُ شَيْءٌ﴾: ليس لله ﴿مِثْلٌ﴾، ولا نظير ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾: يسمع ويرى كل شيء.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٢)

﴿لَهُ﴾: يملك ﴿مَقَالِيدُ﴾: جمع إقليد أو مقلاد وهي مفاتيح وقوانين العلاقات ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها ببيضاوية الشكل ﴿و﴾: أيضًا له مقاليد ﴿الأَرْضِ﴾: انظر لقوله ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الزمر-٦٣]؛ أي هو المتصرف الحاكم، والمتحكم في السموات والأرض ﴿بَبْسُطُ﴾: يُوسِّعُ ويزيدُ في ﴿الرِّزْقِ﴾: من الرحمة، والمال، والثروات، ومن الأنعام، وما تنتجه وغيرها من وسائل الرزق ﴿لِ﴾: حرف تملك وتخصيص ﴿مَنْ﴾: للذي من جنس العاقل ﴿يَشَاءُ﴾: الرزق من المال، والولد، وغيرها للعاقل ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضَيِّقُ هذه الأرزاق على من يشاء؛ لحكمة يعلمها ﴿إِنَّهُ﴾: ﴿بِ﴾ بالتأكيد ﴿بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿كُلِّ﴾: تفيد الجميع ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة لتؤكد العموم ﴿عَلِيمٌ﴾: لا يغيب عن علمه شيء، في هذا الكون العظيم.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (١٣)

﴿شَرَعَ لَكُمْ﴾: يقول الله ﷻ لأمة محمد ﷺ أنه ﷺ وضع لكم شريعة ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية، جاء اللفظ القرآني "مِنْ" هنا بمعنى بيان الكلام بمثل ما قلنا ﴿الدِّينِ﴾: أن يكون دينكم ﴿مَا﴾: الذي ﴿وَصَّى﴾: جاء الاسم الوصية بفعل الماضي؛ فأطلق ﷻ على الدين المنزل عليهم "وصية" أمر الله ﷻ ﴿بِهِ نُوحًا﴾: أولُ الأنبياء، أصحاب الشرائع، بمعنى قد أوصيناه، وأوصيناك دينًا واحدًا ﴿و﴾: أيضًا ﴿الَّذِي أَوْحَيْنَا﴾: جاءت "أوحينا" بلفظ المتكلم لأنه خطابٌ للحاضر، فغلب على الغائب فجاء بعده "فيه"، وأطلق ﷻ على الدين المنزل على محمد ﷺ الوحي، لأنه أبدي، ليس بعده دين لأنه دين المستقبل وليس دين الأنبياء السابقين ﴿إِلَيْكَ﴾: وأكمل الله ﷻ ذكر أولي العزم من الرسل وهو به، بمحمد ﷻ ﴿وَمَا وَصَّيْنَا﴾: أمرنا ﴿بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾: والوصية هي ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿أَقِيمُوا﴾: أحيوا ﴿الدِّينَ﴾: شريعته، وأعلو صوته ﴿وَلَا﴾: حرف تحريم أن ﴿تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾: لا تختلفوا في الدين، عبادة الله ﷻ، وحده بلا شريك، ولا تختلف المناهج، جاء في المعنى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة-٤٨]؛ هذا أمرٌ لكلِّ الأنبياء بوحدة الجماعة، ونهيٌ عن الاختلاف والابتعاد لأنه ﴿كَبُرَ﴾: عظم، وثقل، وشق، وصعب ﴿عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾: الذين يجعلون مع الله آلهة أخرى ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾: دعوتكم لهم وهي اتباع دينكم، وسيُفرق الله ﷻ بين طائفتين ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ﴾: يصطفي ويختار ﴿مَنْ﴾: جنس العاقل الذي ﴿يَشَاءُ﴾: وهي الطائفة الأولى؛ يقرب إليه من يشاء وهم المؤمنون ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ﴾: أيضًا يوفقه ويسهل ﴿مَنْ﴾: من البشر الذي ﴿يُنِيبُ﴾: له أصحاب الرجوع والتوبة. التكليف: خصَّ الله ﷻ ذكر الأنبياء الخمسة: نوح، وإبراهيم، ومحمد، وموسى، وعيسى بالذكر؛ لأنهم أكابرُ الأنبياء، وأصحاب الشرائع المعظمة والمكرمة وأصحاب الأتباع الكثر، وأولو العزم، ولميل قلوب الكافرين إليهم لاتفاق الجميع على نيوّة بعضهم.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِّيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ (١٤)

﴿و﴾: حرفٌ عطفيٌّ يُفيدُ الحالَ ﴿مَا﴾: حرفٌ نفيٌّ ﴿تَفَرَّقُوا﴾: ما كان سببَ اختلافهم وتباعدهم
 ﴿إِلَّا﴾: حرفٌ استثناءٍ ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيدُ بيانَ وتمييزَ النوعِ ويفيدُ هنا بدايةَ الغايةِ الزمانيَّةِ
 ﴿بَعْدِ مَا﴾: الذي ﴿جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾: أي بعد وصول الحقِّ إليهم، وقيام الحُجَّةِ عليهم، العلم الذي لا زيغ فيه، والسبب في الاختلاف كان ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾: وما حملهم على التفرق إلا البغي والعناد والحسد، جاء اللفظ القرآني "البغي" على أربعة وجوه؛ هنا بمعنى الحسد كما في قوله ﷺ ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِكَا فِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [البقرة-٩٠] ﴿وَلَوْلَا﴾: حرفٌ يُفيدُ هنا امتناع القضاء بسبب ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾: جاءت في الماضي ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾: مالك أمرك كلَّه ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ﴾: موعِدٍ ﴿مُسَمًّى﴾: محسوب ومقدَّر هو يوم القيامة ﴿ل﴾: حرفٌ علَّةٌ وسببٌ ﴿فُضِّيَ﴾: لحكم الله ﴿بَيْنَهُمْ﴾: عليهم بالعقوبة في الحياة الدنيا سريعاً ﴿وَإِنَّ﴾: بالتأكيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيدُ جميعَ مَنْ ﴿أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: الذين جاؤوا من بعد الرسل؛ أصحاب القرن الأول، المكذبون بالحق ﴿ل﴾: حرفٌ تمليكٍ وتخصيصٍ ﴿فِي شَكٍّ﴾: ليس الشكُّ هنا بالمعنى المعروف من اعتدال النقيضين وتساويهما في الذهن، بل المُراد به هو أعمُّ، أي التردد المطلق، عدم يقين، وعدم تصديق ﴿مِنْهُ مُرِيبٍ﴾: في قلوبهم شكٌّ وخلافٌ وهم يقلدون آباءهم بلا دليل من القرآن أو من سُنَّةِ محمد ﷺ.

﴿فَلِذَلِكَ فَادُعْ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (١٥)

هذه من الآيات التي تشمل معاني عشرة مستقلة عمّا قبلها، هي حكم ربّانيٌّ بمفردها، وتشبهُ آيةَ الكرسي التي هي عشرة فصول، قال السدي: كان هذا قبل نزول آية السيف؛ جاءت بعد الهجرة ﴿فَلِذَلِكَ﴾: بمعنى أي بسبب ﴿فَادُعْ﴾: ادعوا إلى الدين القيم بتوحيد الله ﷻ، وعدم الشرك به،

وهي دعوة كل الأنبياء قبل محمد ﷺ ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿استقيم﴾: أثبت واستمر على عبادتك ﴿كما﴾: مثلما ﴿أمرت﴾: وفق وبحسب ما أمرك ﷺ ﴿ولا﴾: حرف نهي وتحريم ﴿تتبع﴾: لا تطع ﴿أهواءهم﴾: رغباتهم، وأكاذيبهم، واقتراءاتهم ﴿وقل﴾: أمر رباني بالقول ﴿أمنت بما﴾: بالذي ﴿أنزل الله من﴾: جنس ﴿كتاب﴾: قل صدقت بكل الكتب السماوية، لا أفترق بين أحدٍ منها ﴿وأمرت﴾: أمرًا ربانيًا ملزمًا لي ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿أعدل بينكم﴾: فالعدل دين، وأمر واجب ﴿الله ربنا﴾: مالك أمرنا كله ﴿وربكم﴾: مالك كل أمركم نعبد، ولا نعبد سواه، وإذا أبيتم فله يسجد كل من في السموات والأرض طوعًا وكرها ﴿لنا﴾: ثواب ونكافأ على ﴿أعمالنا﴾: أعمالنا وفق ما أمر الله، ﴿ولكم﴾: تخصيصًا أجر وثواب ﴿أعمالكم﴾ وفق أهوائكم، نحن براء منكم ﴿لا﴾: حرف نفي ﴿حجة﴾: محاجة وخلاف ﴿بيننا وبينكم﴾: قال مجاهد: لا خصومة ﴿الله يجمع بيننا﴾: نؤمن بيوم القيامة، لا ريب فيه، وهو كائن لا محالة، تُبعث نحن وأنتم ﴿والئهِ المصير﴾: المستقبل الأبدي يوم القيامة.

﴿والَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (١٦)

﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿يُحَاجُّونَ﴾: يُجادلون بحجج باطلة ﴿في الله﴾: يصدّون عن دين الله ﴿من﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الزمانية ﴿بعد ما﴾: الذي ﴿استجيب له﴾: يجادلون المؤمنين الذين استجابوا لله ولرسوله، قال ابن عباس، ومجاهد: هم الذين جادلوا المؤمنين الذين استجابوا لله ولرسوله؛ طمعًا في عودتهم للجاهلية، وقال قتادة: هم اليهود والنصارى، الذين ادّعوا أنّ دينهم خيرٌ من دين محمد ﷺ، ونبئهم قبل نبئكم، ونحن خيرٌ منكم، وأولى منكم ﴿حجّتهم﴾: ما قدموه من ادّعاء ﴿داحضة﴾: زاهية، وزائلة، لا أجر لها ﴿عند﴾: في ميزان ﴿ربهم﴾: عند مالك أمرهم كله ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿عليهم غضب﴾: سيحل عليهم غضب من الله ﷻ ﴿ولهم﴾: سيصيبيهم يوم القيامة ﴿عذاب شديد﴾.

التكليف: إذا كان الله ﷻ يدحض حجّتهم؛ كونه رؤوفًا رحيماً؛ فالأحرى أن تبطل حجّتهم لأنّه القادر، القاهر، المنتقم، ﷻ.

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ (١٧)

﴿اللَّهُ الَّذِي﴾: هنا اسمٌ موصولٌ بالواحد، الأحد، الفرد، الصمد، ﷻ ﴿أَنْزَلَ﴾: وحياً ﴿الْكِتَابَ﴾: جنس الكتاب، المنزل من الله ﷻ مثل التوراة، والإنجيل، وهنا كان الكتابُ الخاتمُ هو القرآن الكريم ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿الْحَقِّ﴾: كان نزوله حق على رسولٍ حق، يحمل الحق، ويهدي بالحق ﴿و﴾: أيضاً يهدي بالعدل ﴿الْمِيزَانَ﴾: شريعة العدل، والإنصاف؛ ليقوم الناس بالقسط ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿يُدْرِيكَ﴾: كيف ستعلم يا محمد، إشارةً إلى القيامة ﴿لَعَلَّ﴾: حرف يفيد الإشفاق على البشر؛ لأنها جاءت من الله ﷻ ﴿السَّاعَةَ﴾: يوم القيامة ﴿قَرِيبٌ﴾: ممكن أن تكون في أي لحظة، ما يدريك أنها بعيدة؟ تزهيداً في الدنيا، وترغيباً في الآخرة.

﴿يَسْتَعْجَلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ

الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (١٨)

﴿يَسْتَعْجَلُ بِهَا﴾: يطلبون مجيء القيامة على عجل ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾: يقول الكافرون عن يوم الساعة متى؟ تكديباً، واستبعاداً، وكفرًا، وعنادًا، وتعجيزًا للمؤمنين ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يفيد الحال ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾: أمّا المؤمنون بها فهم خائفون ﴿مِنْهَا﴾: من وقوعها ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾: لأنهم يعلمون أنها واقعة لا محالة، رغم استعدادهم لها؛ إلا أنهم خائفون منها ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿الَّذِينَ يُمَارُونَ﴾: الذين يُجادلون، إنكارًا، ونفيًا، وتشكيكًا ﴿فِي السَّاعَةِ﴾: في حقيقتها، وإمكانية وقوعها ﴿ل﴾: حرف علّة وسببٍ ﴿فِي ضَلَالٍ﴾: في تيه، وضياح، وجهلٍ ﴿بَعِيدٍ﴾: عن الصواب، فالذي خلق السموات والأرض أول مرة؛ قادرٌ على إحياء الموتى، جاء في هذا: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم-٢٧].

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (١٩)

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾: ذو لطفٍ، ورقّةٍ، ورحمةٍ بمن خلق، خلقهم في أحسن صورة، ورزقهم جميعًا أفضل رزقٍ، المؤمن والكافر ﴿يَرْزُقُ﴾: يهب من كل النعم ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَشَاءُ﴾: يوسّع على من يشاء، ويضيّق على من يشاء، لخيرٍ يعلمه ﴿و﴾: أيضًا ﴿هُوَ﴾: ﴿الْقَوِيُّ﴾: صاحبُ القوةِ المطلقة ﴿الْعَزِيزُ﴾: المنتقمٌ من أعدائه، الذي لا يغلبه أحدٌ.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (٢٠)

﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ﴾: جاء اللفظ القرآني "الحرث"، بمفهومه العام أنّ من يزرع يحصد، ومن يعمل يجني ثمار عمله، جاء هنا بمعنى الثواب؛ أي من يرغب في ثواب الجنة في يوم القيامة، وجاء في قوله ﷻ ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة- ٧١] بمعنى الزرع، وبمعنى إتيان النساء في قوله ﷻ ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة- ٢٢٣] نضاعف له ثوابه؛ فالحسنةُ بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف ﴿الْآخِرَةَ﴾: جاء اللفظ القرآني "الآخرة" على خمسة وجوه؛ هنا بمعنى الجنة كما في قوله ﷻ ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة- ١٠٢]، وفي قوله ﷻ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص- ٨٣]، وفي قوله ﷻ ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر- ٩]، وفي قوله ﷻ ﴿وَرُحْرُقًا وَإِنْ

كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿الزخرف-٣٥﴾ **﴿نَزِدُ﴾**: نضاعف بالزيادة **﴿لَهُ﴾**: تخصيصًا **﴿فِي حَرْثِهِ﴾**: في ثوابه، نقويهِ، ونُعِينُهُ على من يصدُّهُ، وله على الحسنة عشرة أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، ويزيد الله ﷻ ما يشاء **﴿و﴾**: أيضًا **﴿مَنْ﴾**: والذي **﴿كَانَ يُرِيدُ حَرْثٌ﴾**: متاع **﴿الدُّنْيَا﴾**: المال، والجاه، وأشكال المتعة الدنيوية **﴿تُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾**: يُعْطِيهِ اللهُ ﷻ نصيبه الذي قدره له **﴿وَمَا﴾**: حرف نفي **﴿لَهُ﴾**: حرف تملك ليس له **﴿فِي الْآخِرَةِ﴾**: يوم القيامة **﴿مِنْ﴾**: حرف جرٍ يُفِيدُ بيان وتمييز النوع **﴿نَصِيبٍ﴾**: أي ثواب، ولأنَّه لم يعمل حسابًا للآخرة؛ فلا حظَّ له فيها.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢١)

﴿أَمْ﴾: هنا بمعنى بل؛ تفيد استنقاهم التقرير والتفريع، والتوبيخ، وتفيد الانتقال **﴿لَهُمْ﴾**: للمشركين بالله ﷻ **﴿شُرَكَاءُ﴾**: آلهة غير الله ﷻ **﴿شَرَعُوا لَهُمْ﴾**: جعلوا لهم شريعة **﴿مِنْ﴾**: حرف جرٍ يُفِيدُ بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية **﴿الدِّينِ﴾**: أخرى **﴿مَا﴾**: حرف نفي **﴿لَمْ﴾**: حرف نفي **﴿يَأْذَنْ﴾**: يسمح، وهي كلمة أعمّ من الشرع، الذي يقتضي ثبوت الشيء وجعله شريعة مستمرة **﴿بِهِ اللَّهُ﴾**: غير التي شرَّعها الله ﷻ، الذين زينوا لهم ما يريد الشيطان من الجن والإنس؛ بتحريم ما أحلَّ اللهُ ﷻ، وحرِّموا ما حلَّه؛ بحسب أهوائهم؛ كأكل الميتة، وشرب الخمر، ومثال ذلك في الجاهلية عمرو بن لُحيٍّ أحد ملوك خزاعة، وهو الذي حمل قريشًا على عبادة الأصنام **﴿وَلَوْلَا﴾**: جاء اللفظ لولا؛ للتخصيص والدلالة على منع أمرٍ لوجود غيره وهو **﴿كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾**: أي لقد شاء اللهُ ﷻ أنْ يُوجِّلَ العقاب إلى يوم القيامة **﴿ل﴾**: حرف علَّةٍ وسببٍ **﴿فُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾**: ولولا هذا التأجيل؛ لعجَّلَ اللهُ ﷻ لهم العذاب **﴿وَإِنَّ﴾**: بالتأكيد **﴿الظَّالِمِينَ﴾**: الذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله ﷻ **﴿لَهُمْ﴾**: تخصيصًا **﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**: جهنم في الآخرة وبئس المال.

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَقَعُ بِهِمْ وَالدِّينَ أَمْنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٢٢)

﴿تَرَى﴾: سوف تشاهد وتعاين أيها الإنسان المؤمن ﴿الظَّالِمِينَ﴾: المُشركين والكفَّار
﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفين، وجلين في جهنم ﴿مِمَّا﴾: من بعض أو جزء ﴿كَسَبُوا﴾: جزاء الذي اقترفوا
من آثام وأعمالٍ خبيثة في حياتهم الدنيا ﴿وَهُوَ﴾: العذاب الذي خافوا منه ﴿وَأَقَع﴾: حلَّ حاصلٌ
﴿بِهِمْ﴾: أصابهم لا محالة ﴿و﴾: عطفاً على إيمان ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ
﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: والذين آمنوا يقيناً، وأتبعوا إيمانهم بالأعمال الصالحة، بأداء
الفرائض، والصلاح، فمصيرهم ﴿فِي رَوْضَاتٍ﴾: الروضة هي في الجنَّة وهي أجمل وأكرم مكانٍ
فيها ﴿الْجَنَّاتِ﴾: أنواعٍ من الجنَّات؛ يتعمون ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً وتمليكاً ﴿مَا﴾: الذي
﴿يَشَاءُونَ﴾: يريدون ﴿عِنْدَ﴾: حرفُ زمانٍ ومكانٍ ﴿رَبِّهِمْ﴾: المُعبود، والمُربي، وهو منشئ
الشيء كلِّ شيء من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ الكمال، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير،
والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، وجدوا ما
وعدهم مالك أمرهم حقاً مما تشتهيهِ أنفسهم ﴿ذَلِكَ﴾: إشارةٌ للبعيد، هذا النعيم كرمٍ عظيمٍ من
الله ﷻ لأوليائه ﴿هُوَ الْفُضْلُ﴾: الكرم ﴿الْكَبِيرُ﴾: وهو الفوز العظيم.

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ
فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٢٣)

﴿ذَلِكَ﴾: إشارةٌ لما ورد في الآية السابقة؛ عن نعيم أهل الجنَّة ﴿الَّذِي يُبَشِّرُ﴾: خبرٌ ما يسرُّ
النَّاسَ ﴿اللَّهُ عِبَادَهُ﴾: هذا ما وعد به الله ﷻ عباده، روضات الجنان ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ
يفيد جميع من ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: أتبعوا الإيمان القلبي بالعمل الفعلي من القول
والعمل ﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ للكفار ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: لا أطلب منكم مقابلًا
على ما أبلغكم وأنصحكم ﴿أَجْرًا﴾: ثوابًا على ما انتفعتم به منِّي ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ إنَّما
أطلب أن تتركوني أبلغ رسالة ربِّي ﴿الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾: بما لي عندكم من القرابة وصلة الرحم
التي بيني وبينكم ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿مَنْ يَقْتَرِفْ﴾: الذي يكتسب، من يعمل ﴿حَسَنَةً﴾:
يقوم بعملٍ صالحٍ ﴿نَزِدْ﴾: ومن يكتسب حسنةً نضاعفها له، من الزيادة والكثرة، جاءت بصيغة
الجمع للتعظيم ﴿لَهُ﴾: تخصيصاً ﴿فِيهَا حُسْنًا﴾: نزد ثوابه وأجره ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي

الشكّ والإنكار ﴿اللَّهُ غَفُورٌ﴾: كثيرُ العفو، يُسامح الذنوب لمن تاب ﴿شَكُورٌ﴾: يجزي مَنْ شكره وأطاعه من كرمه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٢٤)

﴿أَمْ﴾: بل ﴿يَقُولُونَ﴾: وهم الكافرون ﴿افْتَرَى﴾: زعم وادّعى محمدٌ ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: النبوة أو القرآن أو الاثنان معًا يُشكك المشركون في دعوة محمدٍ ﷺ، يكذبون، ويقولون هو يكذب على الله ﷻ ﴿فَإِنْ﴾: شرط وتأکید ﴿يَشِإِ﴾: يقرر ويحكم ﷻ ﴿اللَّهُ يَخْتِمْ﴾: إذا حدثت نفسك بالافتراء على الله ﷻ يطبع الله ﷻ ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾: فيكون عليك دليلًا، ويسلُبك ما آتاك من القرآن ﴿وَيَمْحُ﴾: يزيل ﴿اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾: كلّ دخيلٍ من أكاذيب البشر ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿يُحِقُّ﴾: يحقق الله ﷻ ﴿الْحَقَّ﴾: ويثبتته؛ أي القرآن ويبيّنه ويوضحه ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾: بما فيه من الحجج والبراهين ﴿أَنَّهُ﴾: هو بالتأكيد ﷻ ﴿عَلِيمٌ﴾: يعلم كلّ شيءٍ ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة ﴿ذَاتِ﴾: طبيعة ﴿الصُّدُورِ﴾: يعلم ما تكن الضمائر، وما تخفي قلوبهم، التي في الصدور.

التكليف: جاءت الجملة ﴿افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أبلغ تعبيرًا؛ لأنّ الكذب أدنى المراتب الثلاث، وفوقها الافتراء، والأقبح منهما هو افتراء الكذب؛ فجاء التعبير بأقوى العبارات ليبيّن حالهم.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢٥)

﴿وَهُوَ﴾: ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمفرد، والمقصود هنا الواحد، الأحد، جلّ في علاه ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ﴾: إنّ الله ﷻ يفتح باب التوبة والإنابة لمن تاب وأتاب ﴿عَنْ عِبَادِهِ﴾: أي نسب هؤلاء التائبين إلى عباده؛ كرمًا وتفضلاً ﴿وَيَعْفُو﴾: يتجاوز فلا يُحاسِبُ عليها ﴿عَنِ﴾: حرفٌ يُفيد المجاوزة ﴿السَّيِّئَاتِ﴾: في حياتكم الماضية؛ كما يقبل التوبة في المستقبل ﴿وَيَعْلَمُ مَا﴾: الذي ﴿تَفْعَلُونَ﴾: من خيرٍ أو من شرٍّ، في الماضي، والحاضر، والمستقبل.

التكليف: إنّ فرح الله ﷻ بتوبة عبده عنده كبيرة، فقد جاء في المعنى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء- ١١٠]، قال أنس بن مالك، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ

فَلَاةٍ، فَأَنْقَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيَسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاصْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيَسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ (١).

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾
(٢٦)

﴿و﴾: جمعاً لهذه المتعاطفات ﴿يَسْتَجِيبُ﴾: الأصل هو يجيب ولكن زيدَ حرفا السين والتاء لتأكيد الإجابة من الله ﷻ لعباده المؤمنين، يُجيب الله ﷻ دعاء ورجاء ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: بقلوبهم ﴿وَعَمِلُوا﴾: واتبعوا الإيمان بعمل ﴿الصَّالِحَاتِ﴾: بالطاعات، قال السدي: يستجيبُ اللهُ ﷻ لتوبتهم، ولدعائهم لأنفسهم، ولأصحابهم، وإخوانهم ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ﴾: يُفيد بداية الغاية المكانية ﴿فَضْلِهِ﴾: قال النخعي: يُشَقَّعون في إخوانهم ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ﴾: تمليكاً وتخصيصاً ﴿عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: للذين كفروا وأصرّوا على كفرهم ولم يتوبوا، لهم يوم القيامة عذاب شديدٌ بالإلام.

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٧)

﴿وَلَوْ﴾: حرف شرط يفيد النفي ﴿بَسَطَ﴾: زاد وكثّر ﴿اللَّهُ الرِّزْقَ﴾: لعباده، لو أعطاهم رزقاً كثيراً ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿عِبَادِهِ﴾: خلقه ﴿ل﴾: حرف تعليلٌ يفيد السبب ﴿بَغَوْا﴾: طغوا، وظلموا، قال قتادة: خير العيش ما لا يُلهيك، ولا يطغيك ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك ﴿يُنَزِّلُ﴾: الله ﷻ الرزق على عباده ﴿بِقَدَرٍ﴾: توسيعاً أو تقليلاً ﴿مَا﴾: الذي ﴿يَشَاءُ﴾: يختار الله ﷻ لهم ما فيه صلاحهم، فيزيد؛ فيُغني مَنْ يستحق الغنى، ويقلل؛ فيفقر من يستحق الفقر ﴿إِنَّهُ﴾: ﷻ بالتأكيد ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة والصلة ﴿عِبَادِهِ خَبِيرٌ﴾: معرفةُ خبرة الصانع لصنعتة ﴿بَصِيرٌ﴾: وخبرة المشاهد الذي لا يحتاج إلى دليل. بعض النَّاس يُفسده الغنى، وبعضهم يُفسده الفقر؛ والله ﷻ يُريدُ صلاحَ العباد.

(١) صحيح مسلم ٤/٢١٠٤ (٢٧٤٧).

التكليف: إذا قدر الله ﷻ لك الفقر وأنت تعمل الصالحات فقد يكون خيراً لك.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢٨)

﴿و﴾: أيضاً ﴿هُوَ﴾: ﷻ وحده ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمفرد، والمقصود هنا الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، ﷻ ﴿يُنَزِّلُ﴾: من السحاب المتكوّن من بخار الماء، على الأرض ﴿الغَيْثُ﴾: الذي يُنْقِذُ وَيُعِينُ، هو الماء النازل من السماء، الذي ليس فيه عذابٌ أو دمارٌ ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الزمانيّة ﴿بَعْدَ مَا قَنَطُوا﴾: من بعد يأسٍ، نقص المطر في موسم الشتاء، أو انصراف الموسم ﴿وَيَنْشُرُ﴾: جاء اللفظ القرآني "النشور" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى البسط ﴿رَحْمَتَهُ﴾: جاء اللفظ القرآني الرحمة على أحد عشر وجهًا؛ هنا بمعنى الغيث والمطر؛ تعمُّ رحمته، ورزقه على الجميع، وفي مساحاتٍ واسعةٍ ﴿وَهُوَ﴾: ﷻ ﴿الْوَلِيُّ﴾: المؤيدُ، والناصرُ، لخلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾: المحمود في العاقبة، وفي كلّ ما قدره ﷻ.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَتَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ

قَدِيرٌ﴾ (٢٩)

﴿وَمِنْ﴾: جزء أو بعض ﴿آيَاتِهِ﴾: من البراهين الدالة على عظمة الله ﷻ وسلطانه الكبير أنّه ﷻ ﴿خَلْقُ﴾: أوجد من غير سابق وجود أو مثال ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلّ ما علا الأرض، وأحاط بها ﴿و﴾: أيضاً خلق ﴿الْأَرْضِ﴾: وما فيها، وما عليها، وقدّر حركتها وعلاقاتها ﴿وَمَا﴾: الذي ﴿بَتَّ﴾: نشر ووزّع ﴿فِيهِمَا مِنْ﴾: حرفٌ يُفيد بداية الغاية المكانية ﴿دَابَّةٍ﴾: في السماوات من الملائكة، والنجوم، والكواكب، وما في الأرض من إنسانٍ، وحيوانٍ، ونباتٍ، وماءٍ، ومعادن، وأيضًا الإنس، والجنّ، وبقية المخلوقات ﴿وَهُوَ﴾: أيضًا إنّ الله مع هذا الكون كلّهُ ﴿عَلَى جَمْعِهِمْ﴾: يوم القيامة، يوم يجمع الله ﷻ الخلق، في صعيدٍ واحدٍ ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿يَشَاءُ﴾: يريد ويقرر ﴿قَدِيرٌ﴾: أنّ الذي خلقهم قادرٌ على جمعهم بقدرته المطلقة.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣٠)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَصَابِكُمْ﴾: ما ألم بكم ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿مُصِيبَةٍ﴾: أذي، وضرر في النفس، أو المال، أو الولد أو الدين ﴿ف﴾: بسبب ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿كَسَبَتْ﴾: جنت، وجمعت، واقترفت ﴿أَيْدِيَكُمْ﴾: بسبب ذنوب فعلتموها ﴿و﴾: أيضًا ﴿يَغْفُو﴾: الله ﷻ ﴿عَنْ﴾: حرف جرّ يُفيد المجاوزة ﴿كَثِيرٍ﴾: يغفر ويعفو عنها، ولا يجازيكم عليها، فمن عوقب على ذنب في الدنيا لم يعاقب عليه في الآخرة.

التكليف: جاءت الكلمة ﴿أَيْدِيَكُمْ﴾ مع أنّ المعاصي لا تُتترف كلّها باليد؛ وذلك من باب التغليب؛ لأنه ما من معصية إلا لليد فيها سبب، أو دخل.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٣١)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَنْتُمْ﴾: تحديدًا ﴿بِ﴾: باء التوكيد ﴿مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: جاء اللفظ القرآني ﴿مُعْجِزِينَ﴾ على وجهين؛ هنا بمعنى سابقين؛ ولا مانعين إذا أراد الله ﷻ شيئًا لا يمنعه شيء من أهل الأرض، ولا أهل السماء ﴿وَمَا﴾: ليس ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿مِنْ دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهِ﴾: ليس لكم غير الله ﷻ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿وَلِيٍّ﴾: مؤيد، ومحب، يتولى أمركم ﴿وَلَا﴾: ليس لكم ﴿نَصِيرٍ﴾: يُعينكم أو يرفع عنكم ضررًا.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (٣٢)

﴿و﴾: أيضًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿آيَاتِهِ﴾: ومن آياته الدالة على قدرته وسلطانه العظيم وكل وجوه إعجازه ﷻ على الخلق ﴿الْجَوَارِ﴾: السفن التي تطفو وتمخر العباب ﴿فِي الْبَحْرِ﴾: البحرية الشراعية، فقد أوحى الله ﷻ إلى نوح ﷺ، كيف يصنع السفن الكبيرة، بناءً على قانون الطفو؛ الذي يتم إذا، كُبر الحجم نسبةً إلى الوزن لأنه معدن؛ يطفو فوق سطح الماء؛ كما البواخر، والسفن في هذا الزمان التي تحمل آلاف الأطنان، تسير بها في المحيطات والبحار آمنة ﴿ك﴾: حال، ومثل ﴿الْأَعْلَامِ﴾: تظهر وهي في البحار تبدو الضخامة والعظم كالجبال في حجمها، العملاقة في ارتفاعها.

﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٣٣)
 ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿يَشَأْ﴾: يُرد ويقرر ﷻ ﴿يُسْكِنِ﴾: يأمر بوقف ﴿الرِّيحِ﴾: فتتوقف السفن التي تسير بدفع الهواء، أو يذهب بالوقود الحديث؛ فلا تتحرك العبارات للقارات ﴿ف﴾: فيكون سببًا سريعًا ﴿يَظْلَنَ﴾: تبقى السفن ﴿رَوَاكِدَ﴾: لا تتحرك؛ تتوقف السفن ﴿عَلَى ظَهْرِهِ﴾: على سطح الماء ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: الذي جاء ذكره، في صناعة السفن ووسائل حركتها ﴿لِ﴾: حرف تأكيد ﴿آيَاتٍ﴾: دلالات واضحة، ومؤكدة على قدرة الله ﷻ ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿كُلِّ﴾: جميع ﴿صَبَّارٍ﴾: الصابر كثيرًا، الثابت في الشدائد والمصائب ﴿شَكُورٍ﴾: كثير الشكر على النعم التي أنعم الله ﷻ عليه.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣٤)

﴿أَوْ﴾: حرف تسوية بين متعاطفين اثنين، هنا التسوية بين سكون الريح وبين ﴿يُوبِقْهُنَّ﴾: يُغرقهن بالتأكيد؛ بسبب فسادها ﴿ب﴾: حرف الباء هنا يفيد السبب ﴿مَا﴾: بمعنى الذي من جنس غير العاقل ﴿كَسَبُوا﴾: ما اقترفوا من الإثم؛ لو شاء الله ﷻ لأرسل الريح العاتية؛ فأخذت السفن بعيدًا عن طريقها المنشود؛ فتكون آبهة تائهة؛ لا تسير إلى مقصدها المراد، وقد يتضمن هذا الأمر هلاكها أيضًا ﴿وَيَعْفُ﴾: أيضًا يصفح، ويسامح، جاء اللفظ القرآني "العفو" على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى الترك. ﴿عَنْ﴾: حرف جرّ يفيد المجاوزة ﴿كَثِيرٍ﴾: زيادة في العدد.

﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ (٣٥)

﴿وَيَعْلَمَ﴾: يوقن ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع من ﴿يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾: المشركون، الذين يُكثرون النقاش بغرض التكذيب بآيات الله ﷻ ﴿مَا﴾: حرف نفي أي ليس ﴿لَهُمْ﴾: حرف تخصيص ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية ﴿مَحِيصٍ﴾: لا نجاة، ولا هروب لهم من غضب الله ﷻ.

﴿فَمَا أوتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَنْبَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٣٦)

﴿فَمَا﴾: حرف إخبار من الله ﷻ ﴿أُوتِيتُمْ﴾: ما رزقناكم ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿شَيْءٍ﴾: أيها النَّاسُ، جاءت بصيغة نكرة؛ لتؤكد على الجميع من مالٍ، وجاهٍ، ونعيمٍ وغيره ﴿فَ﴾: هو سبب ﴿مَتَاعٌ﴾: ما يتمتع ويتتعم به النَّاسُ ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: من مُتَعِ الدُّنْيَا، تقضونها في حياتكم، ثم تزول، وتزولون ﴿وَمَا﴾: والذي ﴿عِنْدَ﴾: ظرف زمان ومكان ﴿اللَّهِ﴾: يوم القيامة ﴿خَيْرٌ﴾: أفضل ﴿وَأَبْقَى﴾: بقاءً سرمدياً، أدوم لا ينتهي، ولا يزول ﴿لِ﴾: حرف تمليك ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: للمؤمنين بالله، وملائكته، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، كلّه من عند الله ﷻ ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ﴾: المُعبود، والمُرَبِّي، وهو منشئ كلِّ شيءٍ في الكون من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام؛ وهو تعالى الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيّدُ؛ فهو مالك أمرهم كلّهُ ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾: يعتمدون ويلوذون إليه في السخاءِ، والرخاءِ، فيما يسرّ وفيما يحزن، ويصبرون على ما أصابهم؛ ليعينهم ﷻ على طاعته، وترك محرّماته.

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (٣٧)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿يَجْتَنِبُونَ﴾: يبتعدون ويتفادون ﴿كَبَائِرَ﴾: أعظم ﴿الْإِثْمِ﴾: هو الذنب والعمل الذي لا يحلّ؛ الذي يستحق العقوبة عليه ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾: وأيضاً أقبحها ﴿وَإِذَا﴾: أداة ربطٍ ما بعدها على ما سبقها ﴿مَا﴾: بمعنى إذا ﴿غَضِبُوا﴾: ممن أساء إليهم ﴿هُم﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، والتأكيد ﴿يَغْفِرُونَ﴾: يصفحون ويسامحون، كالرسول ﷺ الذي ما انتقم لنفسه قط؛ إلا أن تُنتهك حرما تُالله ﷻ، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «مَا خَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْتُمْ، فَإِذَا كَانَ الْإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ، وَاللَّهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرْمَاتُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ»^(١).

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٣٨)

(١) صحيح البخاري ١٦٠/٨ (٦٧٨٦).

﴿و﴾: أيضًا ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿استجابوا﴾: التزموا بأمر الله ﷻ، صدقوا برسله ﷻ، وأطاعوهم، وأتمروا بأمرهم، وانتهوا عن نهيمهم وهم الأنصار في المدينة المنورة، أو في غيرها ممن استجابوا لأمرِ الله ﷻ؛ وأقاموا الصلاة، وأمرهم شورى بينهم ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿بِهِمْ﴾: مالك أمرهم كله ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: حققوا أعظم عبادة، الصلاة في أوقاتها ﴿وَأَمْرَهُمْ﴾: شأنهم وحالهم لا يقضون ولا يقطعون في أمرٍ إلا بعد ﴿شُورَى بَيْنَهُمْ﴾: بالتشاور في كلِّ شأنٍ من شئون الدنيا، وبخاصةٍ في الحروب، والأزمات مُبتغين وجه الله ﷻ في كلِّ شئون حياتهم ﴿وَمِمَّا﴾: حرف يفيد بعضًا أو جزءًا، من الذي ﴿رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: الذين يُؤدّون الزكاة، وينفقون فوقها للأقارب، والفقراء، والمساكين.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (٣٩)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط بين ما بعدها بما قبلها ﴿أَصَابَهُمْ﴾: اعتدى عليهم أحدٌ ظلمًا، وعدوانًا ﴿الْبَغْيِ﴾: بمعنى الظلم والعدوان ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتببيه ﴿يَنْتَصِرُونَ﴾: ممن بغى عليهم؛ ليسوا أذلاء، ولا جبنا، ولا عاجزين عن أن يدافعوا عن أنفسهم، وعن دينهم، وأموالهم، وأوطانهم.

﴿وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٠)

هذه آيةٌ قصاص عدل ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿جَزَاءٌ﴾: عقاب ﴿سَيِّئَةٍ﴾: شرٌّ أو إصابةٌ ضارةٌ في المال أو النفس ﴿سَيِّئَةٍ﴾: عقوبة تُصيبك ﴿مِثْلُهَا﴾: تصيب من أصابك بالسيئة قبلها؛ سُميت السيئة بالسيئة من باب المشاكلة، وللتشابه بينهما في الصورة؛ تُشرع هذه الآية العدل، السيئة بعقوبتها؛ يؤكد ذلك قوله ﷻ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل-١٢٦] ﴿ف﴾: حرف علةٍ وسبب ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿عَفَا﴾: سامح وغفر، وفيه يحثُ الله ﷻ عباده على العفو؛ فمدح من سامح عن ظلمٍ حلَّ به ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الاستئناف ﴿أَصْلَحَ﴾: ذات البين؛ فإنَّ أجره لا يضيع ﴿فَأَجْرُهُ﴾: ثوابه ﴿عَلَى اللَّهِ﴾: حقه

عند الله ﷻ لا يضيع، قال ﷻ: وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا (١) **﴿إِنَّهُ﴾**: ﷻ بالتأكيد **﴿لَا﴾**:
 حرف نفي **﴿يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾**: إعلان كره الله ﷻ للمعتدين على الحقوق الرافضين للواجبات.
 التكليف: يوجد في هذه الآية الكريمة مجازٌ مُرسلٌ، فقد أطلق الله ﷻ السيئة بمعنى الذنب
 والمعصية؛ وأراد المُسبب عنها وهي العقوبة؛ وعليه تكون لفظة السيئة الثانية بمعنى العقوبة.

﴿وَلَمَنْ ائْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (٤١)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق **﴿ل﴾**: حرف علّةٍ وسببٍ **﴿مَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿ائْتَصَرَ﴾**:
 إذا أخذ المُعتدّي عليه حقه من المُعتدّي **﴿بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾**: بسبب ظلمٍ وقع عليه **﴿فَأُولَئِكَ﴾**: اسمٌ
 يُشار به للجماعة للبعيد والقريب **﴿مَا﴾**: حرف نفي **﴿عَلَيْهِمْ مِنْ﴾**: بعض أو جزء **﴿سَبِيلٍ﴾**:
 لا مؤاخذه، جاء اللفظ القرآني "السبيل" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى عدوان، لا جُنَاح، ولا حرج
 عليهم، وقد أوصى ﷻ فقال: اتَّقِ دَعْوَةَ الْمُظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ (٢)

**﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ﴾ (٤٢)**

﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصرٍ تُفيدُ التحديد، والتخصيص **﴿السَّبِيلُ﴾**: المؤاخذه **﴿عَلَى الَّذِينَ﴾**: اسمٌ
 موصولٌ يفيد جميع كلِّ مَنْ **﴿يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾**: الذين يبادرون بظلم الناس **﴿وَيَبْغُونَ فِي
 الْأَرْضِ﴾**: يتجاوزون في أرض الله ﷻ الحدّ الذي أباح لهم ربُّهم إلى ما لم يأذن لهم فيه؛
 فيفسدون فيها **﴿بِ﴾**: حرف علّةٍ وسببٍ **﴿غَيْرِ﴾**: حرف استثناء بمعنى إلّا **﴿الْحَقِّ﴾**:
 بالمعاصي، دون وجه شرعي **﴿أُولَئِكَ﴾**: إشارةً للقريب والبعيد **﴿لَهُمْ﴾**: سينالهم تخصيصاً
﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: عذاب الآخرة الأليم.

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٤٣)

﴿و﴾: حرفٌ عطفيّ يفيدُ الحال **﴿ل﴾**: حرف تخصيصٍ **﴿مَنْ﴾**: الذي مِنْ النَّاسِ **﴿صَبَرَ﴾**:
 للذين صبروا على الأذى احتساباً لله ﷻ **﴿وَغَفَرَ إِنَّ﴾**: حرف تأكيدٍ **﴿ذَلِكَ﴾**: وستر السيئة،

(١) صحيح مسلم ٢٠٠١/٤ (٢٥٨٨).

(٢) صحيح البخاري ١٢٩/٣ (٢٤٤٨).

وسامح ﴿لَمَنْ﴾: يفيد التمييز ﴿عَزَمَ الْأُمُورِ﴾: من صفات صاحب الأمور المحمودة، التي لها ثواب جزيل، وثناء جميل، إن من يصبر يُسَخَّرَ له الله ﷻ له من الملائكة من يردّ عنه.

﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ وَليِّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (٤٤)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿مَنْ﴾: والذي من البشر ﴿يُضِلِلِ اللَّهَ﴾: من كتب الله ﷻ عليه التيه عن الحق، والضياع، والخذلان ﴿فَمَا﴾: هنا حرف إخبار بمعنى ليس ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿مِنْ وَليِّ﴾: ناصر، أو مؤيد، أو محبّ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الزمانية ﴿بَعْدِهِ﴾: بعد الله ﷻ ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ﴾: ستشاهد الكافرين يوم القيامة ﴿لَمَّا﴾: حرف يفيد حدوث شيء في الماضي، حينما ﴿رَأَوْا الْعَذَابَ﴾: عاينوا العذاب يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ﴾: بالتمني ﴿هَلْ﴾: حرف استفسارٍ خرج عن معناه لإفادة التمني ﴿إِلَى مَرَدٍّ﴾: الرجوع للدنيا ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾: هل من طريقة نعود بها إلى الدنيا؛ حتى نتوب ونعمل غير الذي كنّا نعمل.

﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ (٤٥)

﴿وَتَرَاهُمْ﴾: سوف تشاهدهم أيها الرسول ﷺ أيضًا يأيها المؤمنون هؤلاء ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾: يقفون أمام النَّارِ ﴿خَاشِعِينَ﴾: ذليلين خاضعين، خوفًا وليس خشوع تقوى ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ﴿الدَّلِّ﴾: المهانة والصغار ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾: يخطفون النظرة خلسةً إلى النَّارِ؛ خوفًا أن يقعوا فيها ﴿وَقَالَ الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا إِنَّ﴾: بالتأكيد ﴿الْخَاسِرِينَ﴾: غير الرابحين، الذين ضيعوا أجرهم في الدنيا هم ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع من ﴿خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾: عندما أوردوها العذاب الشديد ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿أَهْلِيهِمْ﴾: أقاربهم، الذين خالفوهم، ولم يتبعوهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: إن معيار الخسارة هي خسارة الجنة يوم القيامة، والوقوع في النَّارِ، فهؤلاء ذهبوا إلى النَّارِ، وافترقوا عن أهلهم وأقاربهم، وخسروا صحبتهم ﴿أَلَا﴾: حرف تخصيص ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿الظَّالِمِينَ﴾: لأنفسهم بكفرهم ﴿فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾: عذاب دائم سرمدٍ أبدي.

﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (٤٦)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ لَهُمْ﴾: ليس لهم يوم القيامة ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿أَوْلِيَاءَ﴾: جاء اللفظ القرآني "الولي" على أحد عشر وجهًا؛ هنا بمعنى القريب؛ كما في قوله ﷺ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الدخان-٤١] ليس لهم أنصار، أو أحباب، أو شفعاء ﴿يَنْصُرُونَهُمْ﴾: ينقذونهم من العذاب ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غضب الله ﷻ وسخطه عليهم ﴿وَمَنْ﴾: الذي من جنس الإنسان ﴿يُضِلِلِ اللَّهُ﴾: من كتب الله ﷻ عليه الزيغ عن الحق؛ فيكفر ﴿فَمَا﴾: حرف عطف يُفيد خبرًا، فخبرة ومصيره ليس ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿سَبِيلٍ﴾: لا يجد طريقًا تهديه إلى الحق؛ للخلاص مما هو فيه.

﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلَجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ

نَكِيرٍ﴾ (٤٧)

﴿اسْتَجِيبُوا﴾: فعل أمر ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿رَبِّكُمْ﴾: هو ﷻ المُعبود، والمُرَبِّي، وهو منشئ كلّ شيء إلى حدّ التمام وهو الخالق، وهو المالك، والعاطي، وكثير الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابر لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، بعد أن عرض الله ﷻ صورة المجرمين يوم القيامة حدّر المؤمنين ودلّهم كيف تكون النجاة؛ إذا أمركم بأمرٍ فاستجيبوا له وأطيعوا على الفور، وبأقصى سرعة ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الزمانية ﴿قَبْلِ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَأْتِي﴾: يحلّ عليكم ﴿يَوْمٌ﴾: يوم القيامة الذي ﴿لَا﴾: حرف نفي، ليس له ﴿مَرَدٌّ﴾: مانع ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿مِنْ اللَّهِ﴾: إذا جاء أمر الله ﷻ في هذا اليوم لا دافع ولا مانع له ساعتها ﴿مَا﴾: حرف نفي بمعنى ليس ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز النوع يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿مَلَجًا يَوْمَئِذٍ﴾: لا حصن ولا مخبأ لكم، ولا مكانٍ يستركم، ولنّ تغيّبوا عن بصره ﷻ ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾: تتكرون، وتخبئون فيه؛ حتى لا يراكم الله ﷻ، وقيل مالكم من إنكار، تتكرون به اقتراف ذنوبكم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ (٤٨)

﴿فَإِنْ﴾: حرف تأكيد ﴿أَعْرَضُوا﴾: ناوا بجانبهم، فكانوا من المشركين، ولا تحزن عليهم، يقول له الحق ﷻ ﴿فَمَا﴾: حرف عطف يفيد خبرًا ﴿أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: لست عليهم بمسيطرٍ أو رقيبٍ ﴿إِنْ﴾: حرف يفيد هنا معنى ما النافية، أي ما عليك إلا البلاغ وهذا من أسلوب القصر جاء بالنفي والاستثناء ﴿عَلَيْكَ إِلَّا﴾: حرف استثناء، فقط ﴿الْبَلَاغُ﴾: إن تكليفنا لك أن تُبلِّغ رسالة الله ﷻ إليهم فقط ﴿وَإِنَّا﴾: الله ﷻ ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا﴾: حرف يفيد بداية الغاية ﴿رَحْمَةً﴾: إذا رزق الله ﷻ الإنسان ولم يقل المؤمنين عافيةً ووفرةً في المال، والولد ﴿فَرِحَ بِهَا﴾: سعد بها، وانشرح ﴿وَإِنْ﴾: أيضًا إذا ﴿تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: إذا أصاب الناس نقص في الزراعة جذب، أو في المال، أو بلاءً وشدةً في الولد ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: عقابًا لهم وتأديبًا على ما اقترفوا من آثام ﴿فَإِنَّ﴾: بالتأكيد ﴿الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾: يغطي نعمة الله عليه، وييأس ويقنط.

التكليف: عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ^(١)

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ (٤٩)

﴿لِلَّهِ﴾: ﷻ؛ تمليكًا وتخصيصًا ﴿مُلْكُ السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها ﴿و﴾: أيضًا له ﷻ ملك ﴿الْأَرْضِ﴾: ﷻ المالك لهذا الكون، المتصرف فيه، يعطي ويمنع، لحكمةٍ عنده ﴿يَخْلُقُ﴾: يُوجد من غير سابق وجودٍ ﴿مَا﴾: الذي من جنس غير العاقل مثل النجوم والأرض.. ﴿يَشَاءُ﴾: من الذكور، والإناث، وغيرها في هذا الملك العظيم ﴿يَهَبُ﴾: يمنح، يرزق

(1) صحيح مسلم ٤/٢٢٩٥ (٢٩٩٩).

﴿ل﴾: حرف تملك ﴿مَنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿يَشَاءُ﴾: من أراد له من الناس ﴿إِنثَاء﴾: الإثآف ففء آءآ لآفثف لآفثف بالنسبة للذكور؁ وقيل لآطب قلوب آبآئهن؁ وغير ذلك؛ ولآن العرب كانت تُعيرُ بهنّ؛ فقدمهنّ الله ﷻ على الذكور؁ والله ﷻ أعلم ﴿وَيَهَبُ﴾: يمنح ويرزق ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿مَنْ﴾: من جنس العاقل ﴿يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾: يرزقهم الذكور فقط.

﴿أَوْ يُرْزِقُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (٥٠)

﴿أَوْ﴾: حرف عطفٍ يُفيد التسوية بين مُتعاطفين ﴿يُرْزِقُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً﴾: ويعطي من يشاء الولد والبنت ذرية ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَشَاءُ عَقِيمًا﴾: لا يرزقه الذرية؁ لا بنات؁ ولا أولاد؁ وهذه الأصناف الأربعة هي من إرادته ﷻ ﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد ﴿عَلِيمٌ﴾: لا يخفى عليه شيء ﴿قَدِيرٌ﴾: لا يعجزه شيء.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآدْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (٥١)

لا يعجزه شيء؛ تُبين هذه الآية الكريمة مقامات الوحي كما ذكرها الله ﷻ ؛ بداية: ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ﴾: لا يجب أن يكون ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿بَشَرٍ﴾: جنس الإنسان ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿وَحْيًا﴾: لا يصح أن يكلم الله ﷻ بشرًا إلا وحيًا؁ وإنما يقذف الله ﷻ في روع النبي وحيًا؁ لا يشوبه فيه شك إنه من الله ﷻ ﴿أَوْ﴾: حرف عطفٍ يُفيد التخيير أو التسوية بين المتعاطفين ﴿مَنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿وَرَاءَ﴾: خلف ﴿حِجَابٍ﴾: دون رؤية؁ فقد كالم الله ﷻ موسى ﷺ؁ فلما سأل موسى أن يرى الله ﷻ حجبها عنه ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَ﴾: يفيد السبب ﴿يُوحِي ب﴾: بآء المصاحبة ﴿إِنْبِهِ﴾: بإذن وأمر الله ﷻ ﴿مَا﴾: الذي ﴿يَشَاءُ﴾: كحال الأنبياء؁ الذين أنزل الله ﷻ عليهم جبريل ﷻ ﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد ﴿عَلِيٌّ﴾: مترفع؁ متعال؁ في ذاته وصفاته ﴿حَكِيمٌ﴾: الصواب والحق في أقواله وأفعاله.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا
نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥٢)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يُعيدُ الحالَ ﴿كَذَلِكَ﴾: مثلٌ وأيضًا، وكما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك يا محمد ﷺ ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: بعثنا إليك وحيا ﴿رُوحًا﴾: القرآن الكريم ﴿مِّنْ أَمْرِنَا﴾: من عندنا ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كُنْتَ تَدْرِي﴾: تعلم ﴿مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾: ما كنت تعرف ما أنزل من قبلك من الكتب السماوية على الرسل، وما شرَّعه الله ﷻ في كتابه الكريم ﴿وَلَكِن﴾: حرف استدراك ﴿جَعَلْنَاهُ﴾: جعل الله ﷻ القرآن ﴿نُورًا﴾: جعلناه ضياءً ﴿نَهْدِي﴾: تُرشد وتدلُّ على الصواب ﴿بِهِ﴾: بالقرآن ﴿مَن﴾: جنس العاقل ﴿نَشَاءُ﴾: من نريد من العاقلين ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾: نعرف به من نختر من عبادنا؛ فنهدي به العباد الذين شئنا لهم الهداية ﴿وَإِنَّكَ﴾: بالتأكيد يا محمد ﷻ يوضِّحُ اللهُ ﷻ فضلَ شخصٍ محمدٍ ﷺ كهادي ودليل ﴿ل﴾: حرف علَّةٍ وسببٍ ﴿تَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ﴾: طريقٍ ومنهجٍ ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾: تُعلمُ النَّاسَ الخُلُقَ القويمَ، وتُعطي النموذج الأمثل للبشر.

﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ (٥٣)
يُبينُ اللهُ ﷻ في هذه الآية الكريمة المقصودَ بالصراطِ المستقيمِ الذي هو ﴿صِرَاطٍ﴾: طريقٍ ومنهجٍ ﴿اللَّهُ﴾: شرَّعه ومنهجه الذي أراده ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمفرد، والمقصود هنا الله الواحد، الأحد، ﷻ، ﴿لَهُ﴾: لله ﷻ مُلكٌ ﴿مَا﴾: كلُّ المخلوقات غير الإنسان ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض من كواكب، وأقمارٍ، وملائكةٍ ﴿و﴾: أيضًا ﴿مَا﴾: الذي ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: من أرضٍ، وماءٍ، وهواءٍ، ونباتٍ، وحيوانٍ، وبحارٍ، وكنوزٍ ﴿أَلَا﴾: حرف تخصيص يفيد التنبيه ﴿إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ﴾: تُرجع إلى المرجع العدل ﴿الْأُمُورُ﴾: جاء اللفظ القرآني "الأمر" على ثلاثة عشر وجهًا؛ هنا بمعنى الأمر بعينه، شأنُ الخلائق، كلُّ هذه الأمور عائدةٌ إلى ربِّ السموات، والأرض؛ فيفصل بين عباده بالعدل.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ وجدنا ضرورة فهم مقاصد الوحي على سيدنا محمد ﷻ كامتدادٍ للوحي على من سبقه من الأنبياء والرسل، عليهم السلام.

سُمِّيت سورة الزخرف بهذا الاسم في المصاحف، ووجه التسمية: أن كلمة (وزخرفاً) جاءت في السورة، ولم تأت في غيرها من سور القرآن الكريم، وهي سورة مكية، وعددها في ترتيب السور رقم (٦٣) نزلت بعد سورة فُصِّلَتْ، وقبل سورة الدخان، وعدد آياتها (٨٩) عند معظم العاديين.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿حَم﴾ (١)

الحرفان **﴿حَم﴾**: أرى، والله أعلم، أنهما حرفان يدلان على اسم محمد ﷺ، ويعزز هذا ما جاء سابقاً في العديد من السور، وما جاء في هذا السورة، ففي الآية (٢) **﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾** وهو القرآن الكريم الذي نزل على محمد ﷺ، وجاء ما يؤكد ذلك بوضوح في الآية (٣) **﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾** هو الكتاب الذي نزل على محمد ﷺ، وأيضاً يعزز هذا ما جاء في الآية رقم (٤) **﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾** وهو القرآن الكريم الذي نزل على محمد ﷺ.

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (٢)

﴿وَ﴾: واو القسم **﴿الْكِتَابِ﴾**: يُقسم الله ﷻ بالقرآن الكريم **﴿الْمُبِينِ﴾**: الواضح، الجلي، الذي يهدي إلى الحق.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٣)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع؛ للتعظيم والتوكيد **﴿جَعَلْنَاهُ﴾**: قدره ﷻ **﴿قُرْآنًا﴾**: من مصدر "قرأ"، وهو كتاب المسلمين المقدس **﴿عَرَبِيًّا﴾**: أنزله الله ﷻ على محمد بلغة العرب؛ أفصح اللغات، والتي تحمل معظم حروفها معاني كبيرة ومتعددة **﴿لَعَلَّكُمْ﴾**: حرفٌ يُفيدُ الإشفاق من الله ﷻ على البشر **﴿تَعْقِلُونَ﴾**: تعقلون وتفهمون معانيه أيها العرب وتتدبرونه.

﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾ (٤)

﴿وَأَنَّهُ﴾: هو أيضًا بالتأكيد القرآن الكريم ﴿فِي أُمَّ﴾: أم الشيء أعلاه، وأشرفه، وأكرمه، في اللوح المحفوظ ﴿الْكِتَابِ﴾: جنس الكتاب، الذي نزل من اللوح المحفوظ على الأنبياء من قبل قال قَتَادَةُ: فِي أُمَّ الْكِتَابِ: جُمْلَةُ الْكِتَابِ، أَصْلُ الْكِتَابِ ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ [الزخرف-٥] «مُشْرِكِينَ، وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ رُفِعَ حَيْثُ رَدَّهُ أَوَائِلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَهَلَكُوا»^(١) ﴿لَدَيْنَا﴾: عندنا ﴿لَعَلِّي﴾: ذو مكانة عظيمة، وشرف، وفضل، وهدى، ورحمة ﴿حَكِيمٍ﴾: محكم لا لبس فيه، ولا زيغ ولا اختلاف ولا تناقض.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ (٥)

﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار والتوبيخ ﴿ف﴾: يفيد سببًا ﴿نَضْرِبُ﴾: هل نُصْرَفُ ونترك إنزال ﴿عَنْكُمْ﴾: حرف يفيد المجاوزة هذا ﴿الذِّكْرَ﴾: القرآن، جاء اللفظ القرآني "الذكر" على ستة عشر وجهًا؛ هنا بمعنى القرآن الكريم ﴿صَفْحًا﴾: قال ابن عباس، وابن جرير: أتظنون أن نمنع عنكم القرآن فلا نعذبكم، ولم تفعلوا ما أمرتم به، قَالَ قَتَادَةُ: «مُشْرِكِينَ، وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ رُفِعَ حَيْثُ رَدَّهُ أَوَائِلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَهَلَكُوا»^(٢)، ولكنه ﷺ برحمته كرره عليهم، ودعاهم عشرين سنة ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿كُنْتُمْ قَوْمًا﴾: أصحاب عقيدة كافرة واحدة ﴿مُسْرِفِينَ﴾: لأنكم مُكثِرُونَ ومبالغون في المعصية، والرفض، والكفر، نحن لا نفعل.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ (٦)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿كَمْ﴾: تُفيد أرسلنا كثيراً من الأنبياء في القرون التي مضت؛ الكثرة الذين ﴿أَرْسَلْنَا﴾: بعثنا ﴿مِنْ نَبِيِّ﴾: الأنبياء والرسل ﴿فِي الْأَوَّلِينَ﴾: في الأمم التي سبقت رسالة محمد ﷺ.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٧)

(١) صحيح البخاري ١٣٠/٦ (٤٨١٩).

(٢) صحيح البخاري ١٣٠/٦ (٤٨١٩).

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿يَأْتِيهِمْ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿نَبِيٍّ﴾: كلما جاء أمة نبي
 ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع ﴿كَانُوا بِهِ﴾: بالنبي ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾: يكذبونه، ويسخرون منه، كما
 يفعل قومك يا محمد ﷺ.

﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأُولِينَ﴾ (٨)

﴿ف﴾: حرف استثناء يهدف ترتيب الأمر والتنفيذ بسرعة ﴿أَهْلَكْنَا﴾: دمّرنا وأزلنا الذين كذبوا
 رسلنا، جاءت بصيغة الجمع لهول الحدث؛ كانوا ﴿أَشَدَّ﴾: أقوى وأعظم ﴿مِنْهُمْ﴾: حرف يفيد
 التمايز ﴿بَطْشًا﴾: كانت الأمم السابقة لهم أشدّ بطشاً من هؤلاء، جاء اللفظ القرآني في معنى
 "البطش" على وجهين؛ هنا بمعنى القوة، الذين كانوا أشدّ قوة، وتجبراً من المكذبين لمحمد ﷺ
 ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿مَضَى﴾: سارت واستمرت عقوبة الأولين بسبب طغيانهم،
 وكفرهم، واستهزائهم برسلمهم ﴿مَثَلٌ﴾: نموذج ﴿الْأُولِينَ﴾: قال مجاهد: يعني سننهم، وقال قتادة:
 عقوبتهم، وقيل عبرتهم؛ فكانوا عبرة لمن بعدهم من المكذبين.

﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (٩)

﴿وَلَيْنُ﴾: حرف شرط ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾: إذا سألت يا محمد ﷺ المكذبين من قومك ﴿مَنْ﴾: هو الذي
 ﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابقٍ مثالٍ ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها من
 نجوم، وأجرام، وكواكب ﴿و﴾: أيضاً من هو الذي خلق ﴿الْأَرْضَ﴾: بما فيها من جبالٍ وأنهارٍ
 وثمارٍ ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿يَقُولُنَّ﴾: اعترفوا بكل تأكيد وقالوا ﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ﴾: المنيع
 الذي لا يغالبه أحدٌ ﴿الْعَلِيمُ﴾: والذي يعلم كل شيء في هذا الكون علم الخالق له.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٠)

﴿الَّذِي جَعَلَ﴾: خلقها في صفاتها ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً لتسهل حياتكم عليها ﴿الْأَرْضَ﴾: سطحها
 ﴿مَهْدًا﴾: هنا تشبيهه بليغ، فراشاً وبساطاً؛ تمشون عليها بأقدامكم، وهي ثابتة مستقرة، كالفرش
 مبسوط، ممهدة للسير، والزراعة ﴿و﴾: أيضاً ﴿جَعَلَ﴾: صير وهيا ﴿لَكُمْ﴾: تملكاً وتخصيصاً
 ﴿فِيهَا سُبُلًا﴾: طرقاً بين الجبال، وفي البحار تسيرون عليها ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف يفيد التحقق؛
 لأنها من الله ﷻ ﴿تَهْتَدُونَ﴾: جاء اللفظ القرآني "الهدى" على سبعة عشر وجهاً؛ هنا بمعنى

معرفة وعلامات؛ حتى تسترشدون، فلا تضلون في سفركم من بلدٍ إلى آخر؛ لتتحققوا مصالحكم الدينية والدينية.

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (١١)

﴿و﴾: أيضًا هو ﷻ **﴿الَّذِي نَزَّلَ مِنْ﴾**: حرفٌ يُفيدُ بداية الغاية المكانية **﴿السَّمَاءِ﴾**: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها **﴿مَاءً﴾**: خلق ظاهرة تبخر ماء البحار؛ وتكوين السحاب الحامل للماء **﴿بِ﴾**: حرف باء المصاحبة **﴿قَدَرٍ﴾**: يكفي لزركم، ومخزونٍ لشربكم، ولأنعامكم **﴿ف﴾**: السبب **﴿أَنْشَرْنَا﴾**: بمعنى أحيينا من الحياة عينها **﴿بِهِ﴾**: بالماء **﴿بَلْدَةً مَيْتًا﴾**: هنا تشبيه الأرض قبل نزول المطر بالميتة، مقفرة؛ لا زرع فيها؛ ثم أنشراها الله ﷻ؛ فأثمرت، وأينعت **﴿كَذَلِكَ﴾**: وبفعلٍ مثل هذا **﴿تُخْرَجُونَ﴾**: كما نخرج الحب من الأرض، سنخرجكم يوم القيامة؛ فالذي أخرج الزرع أحيى الأموات من القبور.

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ (١٢)

﴿و﴾: أيضًا هو الله ﷻ **﴿الَّذِي﴾**: اسمٌ موصولٌ للمفرد، والمقصود هنا الواحد، الأحد، الفرد الصمد، ﷻ **﴿خَلَقَ﴾**: أوجد من غير سابق وجود **﴿الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾**: أوجد الأنواع، والأصناف، من الزرع، والنبات، والثمار، والحيوانات على أنواعها، وأصنافها، وأجناسها، الذكر والأنثى، والليل والنهار **﴿وَجَعَلَ﴾**: سخر وسهل **﴿لَكُمْ﴾**: تخصيصًا وتمليغًا **﴿مِنْ﴾**: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية **﴿الْفُلْكِ﴾**: أرشدكم إلى قانون الطفو، وبذلك علمكم صناعة السفن، وكان نوح ﷺ أول من صنعها؛ بوحى من الله ﷻ، ولا يخفى على أحد حجم السفن في هذا العصر **﴿و﴾**: أيضًا سخر لكم من **﴿الْأَنْعَامِ﴾**: الإبل، والخيول وغيرها **﴿مَا﴾**: الذي **﴿تَرْكَبُونَ﴾**: وكذلك الأنعام من الإبل، والبقر، والغنم، وغيرها، ما يُؤكل، ومنها ما يُستخدم ركوبة في السفر، والتنقل.

﴿لَيْسَتُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةً رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ (١٣)

﴿ل﴾: حرف سبب ﴿تَسْتَوُوا﴾: تستقروا في راحةٍ ويسرٍ متمكنين ﴿عَلَى ظُهُورِهِ﴾: على ظهور هذه المخلوقات ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني غير السريع ﴿تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾: تشكروا مالك أمرمك كَلِهَ ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿اسْتَوَيْتُمْ﴾: ركبتم بهدوء وراحةٍ واطمئنان ﴿عَلَيْهِ﴾: فوّه شكرًا لله ﷻ، واعتراضًا بفضله ﴿وَتَقُولُوا سُبْحَانَ﴾: وتقولوا ننزه الله ﷻ عن النواقص، ونقرُّ بفضله، وكرمه علينا ﴿الَّذِي سَخَّرَ لَنَا﴾: تخصيصًا ﴿هَذَا﴾: أن ذلك لنا النقل والركوب ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كُنَّا﴾: من قبل ﴿لَهُ﴾: لهذا الحيوان لهذا الفضل ﴿مُقَرَّنِينَ﴾: ما قدرنا عليه وما كنّا ضابطين له؛ لعجزت قوتنا على تسخيره، لولا أن سخره الله ﷻ لنا؛ قال ابن عباس: مُطيقين..

﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ (١٤)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال، عطفًا على هذه النعم ﴿إِنَّا﴾: ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا للتوكيد ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا﴾: مالك أمرنا كَلِهَ ﴿لَمُنْقَلِبُونَ﴾: حرف اللام يفيد السبب عائدون إليه ﷻ بعد مماتنا، وهذا ربطٌ بين الدنيا والآخرة، فتزودوا من الدنيا بالطاعات والتقوى ليوم القيامة.

الخلاصة: عن ابنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَىٰ عَلَىٰ بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَىٰ سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّنِينَ، وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَىٰ، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَىٰ، اللَّهُمَّ هَوِّنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعَثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: أَيُّونَ تَأْتِيُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ. (١)

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ (١٥)

﴿و﴾: عطفًا على هذا الذي جاء ﴿جَعَلُوا﴾: هم الكافرون والمشركون الذين ادّعوا أن ﴿لَهُ﴾: لله ﷻ ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿عِبَادِهِ جُزْءًا﴾

(1) صحيح مسلم ٩٧٨/٢ (١٣٤٢).

جعلوا له الملائكة بنات الله، وحاشاه أن يكون له ولد، وقيل عن "عباد" هنا بمعنى بعض المخلوقات جعلوا له ما يعبدونه من دون الله، وبعضهم خصص بعضها للأصنام والأوثان، وقالوا إن لله البنات ولهم الذكور ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الْإِنْسَانَ﴾: بني آدم ﴿ل﴾: حرف تأكيد ﴿كُفُورٌ﴾: شديد تغطية الحقائق ﴿مُبِينٌ﴾: الإنسان جحود بنعم الله ﷻ عليه، مظهرًا جحوده وكفره؛ فيعدد المصائب، وينسى نعم الله ﷻ عليه، بصورة واضحة.

﴿أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ (١٦)

﴿أَمْ﴾: هل تقولون أيها المشركون إن الله ﷻ ﴿اتَّخَذَ﴾: اعتمد ﴿مِمَّا﴾: من الذي ﴿يَخْلُقُ﴾: يوجد لنفسه ﴿بَنَاتٍ﴾: هل قال لكم الله ﷻ أنه اتخذ مما خلق بناتًا له ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿أَصْفَاكُمْ﴾: وفضلكم واختصكم ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿الْبَنِينَ﴾: بأن جعل الذكور لكم، سؤال تهكم يرد به التوبيخ والتفريع لعملهم وقولهم. تكذيب من الله ﷻ لدعاوى الكافرين.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (١٧)

﴿وَإِذَا﴾: أداة شرط بهدف ربط ما بعدها بما قبلها ﴿بُشِّرَ﴾: نُقل إليه خبرٌ سارٌ ﴿أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾: جاءه من يحمل له بُشرى أن جاءته مولودة أنثى، وقد نسبوا البنات لله ﷻ ﴿ظَلَّ﴾: صار، بقي ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾: تلو وجهه كآبةً لوقتٍ طويلٍ؛ من سوء ما بُشِّر به ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكور، المقصود هنا هو المشرك ﴿كَظِيمٌ﴾: يكظم غيظهُ الشديد.

التكليف: لقد ارتكب هؤلاء المشركون جرائم عدّة، الأولى: بادّعائهم أن لله ﷻ ولد، والثانية: أنه ﷻ اصطفى البنات على البنين، والثالثة: بعبادتهم للملائكة بلا دليل أو برهان، والرابعة: احتجوا بهذا الكذب؛ والخامسة: عبدوا غير الله ﷻ.

عن عائشة رَوحِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: جَاءَتْني امْرَأَةٌ، وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا، فَسَأَلْتَنِي فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَأَخَذَتْهَا فَسَمَّتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا شَيْئًا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ وَابْنَتَاهَا، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَحَدَّثَنِي حَدِيثَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ ابْتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ

بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»^(١) وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ» وَضَمَّ أَصَابِعَهُ^(٢).

﴿أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ (١٨)

هذه الآية الكريمة تتحدث هنا عن المرأة كموصوفٍ واحدٍ ﴿أَوْ﴾: حرفٌ يُفيدُ التسويةَ أو المساواة ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَنْشَأُ﴾: من يتربى ﴿فِي الْحَلِيَةِ﴾: يتجرؤون وينسبون إلى الله ﷻ من يُربى في الزينة، والمقصود الأنثى التي تتزين، والتي هي ﴿فِي الْخِصَامِ﴾: وهي في الجدال، وفي القتال ضعيفةٌ عاجزةٌ، ليست كالرجل ﴿غَيْرُ﴾: حرف استثناء بمعنى إلا ﴿مُبِينٍ﴾: غير واضح وغير عاقلٍ وغير راشدٍ.

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاتًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَكَتُبَ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (١٩)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿جَعَلُوا﴾: اختلقوا أن ﴿الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، وتحديدًا ﴿عِبَادُ﴾: من خلقه ﴿الرَّحْمَنِ إِنَاتًا﴾: قالوا واعتقدوا أن الملائكة إناتًا، وهذا من كذبهم وضلالهم ﴿أَنَّ﴾: حرف استفهام بغرض الاستكثار ﴿شَهِدُوا﴾: هل رأوا الله ﷻ يوم ﴿خَلَقَهُمْ﴾: وهو يخلقهم إناتًا، والإجابة لا ﴿سَنَ﴾: حرفٌ يفيد تأكيد الفعل وتوكيد القول ﴿تَكْتَبُ﴾: تُسجَلُ عليهم ﴿شَهَادَتُهُمْ﴾: التي ادّعوها ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾: وعطفاً على شهادتهم الكاذبة يُحاسبون على هذا الافتراء.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاَهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (٢٠)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿قَالُوا﴾: المشركون من قريش؛ كذبًا ﴿لَوْ﴾: حرفٌ يفيد الاستحالة ﴿شَاءَ﴾: أراد ﴿الرَّحْمَنُ﴾: لو أراد الله ﷻ ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿عَبَدْنَاَهُمْ﴾: ما عبدنا الأصنام التي كانت على صور الملائكة، بنات الله ﴿مَا لَهُمْ﴾: تحديدًا ﴿بِذَلِكَ﴾: الذي يقولون مستند أو دليل ﴿مِنْ﴾: حرف جرٌّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿عِلْمٍ﴾: لم

(١) صحيح مسلم ٤/٢٧٠٢ (٢٦٢٩).

(٢) صحيح مسلم ٤/٢٧٠٢ (٢٦٣١).

يخبرهم الله ﷻ أن هذه الأصنام تُعبد وأن الملائكة تُعبد من دون الله **﴿إِنْ﴾**: حرف شرط **﴿هُمْ﴾** **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿يُخْرُصُونَ﴾**: يكذبون.

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ (٢١)

﴿أَمْ﴾: أداة استفهام بمعنى هل **﴿آتَيْنَاهُمْ﴾**: أنزلنا عليهم **﴿كِتَابًا﴾**: من الكتب السماوية كالإنجيل والزبور **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الزمانية **﴿قَبْلِهِ﴾**: هل أرسلنا فيهم رسولاّ ومعه كتاب من قبل يأمرهم أن لا يؤمنوا بمحمد ﷺ **﴿ف﴾**: حرف يفيد سبب **﴿هُمْ﴾**: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، والتحديد **﴿بِهِ﴾**: بكتابتهم **﴿مُسْتَمْسِكُونَ﴾**: ملتزمون كحجة لرفض القرآن.

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ (٢٢)

﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده **﴿قَالُوا إِنَّا﴾**: نحن بالتأكيد **﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾**: نحن نعبد ما عبد آباؤنا **﴿عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾**: على دين ومذهب عبادة الأصنام **﴿وَ﴾**: عطفاً عليه **﴿إِنَّا﴾**: هي في اللغة ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحد أحد؛ للتعظيم والتوكيد **﴿عَلَىٰ آثَارِهِم﴾**: وراءهم وعلى خطى آبائنا ومذهب ما كانوا عليه من عبادة الأصنام **﴿مُهْتَدُونَ﴾**: ماضون نسير ونتبع ما اتبعوا.

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (٢٣)

﴿وَكَذَلِكَ﴾: أيضاً كما كان تكذيب من قبلهم واحتجاجهم بتقليد أسلافهم **﴿مَا﴾**: حرف نفي **﴿أَرْسَلْنَا﴾**: بعثنا، كلّفنا **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الزمانية **﴿قَبْلِكَ﴾**: من رسول برسالة حق **﴿فِي قَرْيَةٍ﴾**: في أهل مدينة **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية وتمييز النوع **﴿نَذِيرٍ﴾**: من يحذرهم من عقابنا على كفرهم **﴿إِلَّا﴾**: اسم إضافة واستثناء **﴿قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾**: يأتي الرسول، فيتصدى له الأغنياء المنعمون، المستفيدون من الكفر؛ يقولون **﴿إِنَّا﴾**: هي في اللغة ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحد أحد؛ للتعظيم والتوكيد **﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾**:

وأجدادنا ﴿عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾: وجدنا آباءنا على دينٍ وملةٍ يعبدون ﴿وَإِنَّا﴾: عطفاً على ما جاء نحن بالتأكيد ﴿عَلَىٰ آثَارِهِمْ﴾: على خطاهم ﴿مُقْتَدُونَ﴾: متبوعون، تُقلِّدُهم، كما هم قومك يا محمد ﷺ.

﴿قَالَ أَوْلَوْ جِنْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءُكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٢٤)
 ﴿قَالَ﴾: محمد ﷺ للمشركين ﴿أَوْلَوْ﴾: حرف شرط يفيد الاستكثار، والمقصود به تقريرهم على ذلك؛ لجلبهم إلى النظر فيما اتبعوا فيه آباءهم ﴿جِنْتُكُمْ﴾: أرسلت إليكم من عند الله ﷻ بأهدى مما أنتم عليه، وأكثر دلالاً إلى سبيل الرشاد ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿أَهْدَىٰ﴾: بما هو خير وأكثر نفعاً ﴿مِمَّا﴾: من الذي ﴿وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءُكُمْ﴾: من موروثكم من الكذب والضلال ﴿قَالُوا إِنَّا﴾: نحن بالتأكيد ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾: جاء خطابهم لنبيهم بصيغة الجمع ليفيدوا أنهم مجمعون ﴿كَافِرُونَ﴾: على الكفر بالقرآن الكريم، نحن لن نُصدِّق بما جئت به، نحن به كافرون، نخفيه ونكتمه، ولا نعمل به.

﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (٢٥)

﴿ف﴾: حرفٌ سبب يهدف ترتيب الأمر والتنفيذ بسرعة ﴿انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: عاقبنا الأمم السابقة بالغرق والخسف وغيرها على جريمة الكفر ﴿فَانظُرْ﴾: لهذا السبب ادرس وتأمل، أيها الرسول واستخلص العبر ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾: نتيجة تكذيبهم بآيات الله ﷻ ورسله عليهم السلام، كيف كانت نهاية ومصير ﴿الْمُكْذِبِينَ﴾: المنكرين للدين الحق، كيف هلكوا.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٢٦)

يضرب الله ﷻ مثلاً من الأمم السابقة قوم إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ﴾: حرفٌ يفيد ما حدث في الماضي ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِ﴾: حرف تخصيص ﴿أَبِيهِ وَ﴾: أيضاً قال ل ﴿قَوْمِهِ﴾: هذه قصة أبي الأنبياء خليل الرحمن الذي تنتسب إليه قريش ﴿إِنِّي﴾: بكل تأكيد ﴿بَرَاءٌ﴾: بريء ولا أعترف ولا أتحمّل مسؤولية وعاقبة ﴿مِمَّا﴾: من جنس غير العاقل ﴿تَعْبُدُونَ﴾: تطيعون وأتبرأ وأتخلص من الأصنام والأوثان التي تعبدونها.

التكليف: إعلان البراءة من عبادة الكافرين هي سنة أبينا إبراهيم عليه السلام.

﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ (٢٧)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ ﴿الَّذِي فَطَرَنِي﴾: إنّما أعبد الله ﷻ الذي خلقني ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب
﴿إِنَّهُ﴾: ﷻ بالتأكيد ﴿س﴾: حرف يفيد توكيد القول وتأكيد الفعل في المستقبل ﴿يَهْدِينِ﴾:
سيدّني ويُرشدني لاتباع سبيل الرشاد؛ ويوفّقني إلى الحق والصواب، الذي خلقني؛ هو الذي
يضع لي قوانين عملي على الوجه الصحيح.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿جَعَلَهَا﴾: قدّرها ﴿كَلِمَةً﴾: قال عكرمة، ومجاهد: هي كلمة لا إله
إلا الله ورثتها أمّته وذريّتهم، وحملتها ﴿بَاقِيَةً﴾: مُستمرّة ﴿فِي عَقْبِهِ﴾: وصّى بها ذريّته من
بعده؛ بعدم عبادة الأصنام. قال ابن زيد: تبقى لا إله إلا الله كلمة الإسلام من بعد إبراهيم ﷺ،
هنا مجازٌ مرسلٌ والمراد بالكلمة هي الجملة التي قالها وهي ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف-
٢٦] من قبيل إطلاق الجزء وإرادة الكل ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف يفيد الإشفاق من الله ﷻ ﴿يَرْجِعُونَ﴾:
يتركون ضلالهم، ويعودون إلى طاعة ربهم وتوحيده واتباع الإسلام.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ (٢٩)

﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده، استُخدم هنا ليفيد إثبات متعة المشركين، وقيل هي
للإضراب لإبطال، وبمعنى لكن ﴿مَتَّعْتُ﴾: جعلتهم يتمتعون ﴿هَؤُلَاءِ﴾: المشركين بالبقاء أحياءً
وتمتعوا بنعم الله ﷻ ورزقه ﴿و﴾: أيضًا مَتَّعْتُ وتركت ﴿أَبَاءَهُمْ﴾: كما تمتع آباؤهم ﴿حَتَّىٰ﴾:
حرف جرّ يفيد انتهاء الغاية الشرطية ﴿جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾: وهي الرسالة الخاتمة ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾:
أيضًا جاءهم صادقٌ واضحٌ الهدف أبينٌ لكم ما تحتاجون إليه من أمور الدين الصحيح، ورسولكم
الحق؛ وهو محمد ﷺ.

التكليف: لم يتحقق ما تمناه إبراهيم ﷻ كاملاً؛ إذ أشرك من بنيه من أشرك، ومنهم كان هؤلاء
المشركون المعاصرون لك يا محمد ﷻ وامتعتهم بالحياة الدنيا حتى جاءهم هذا القرآن الموضح
لكل الأحكام الشرائع.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٣٠)

﴿وَلَمَّا﴾: اسمٌ يُفيد تأكيد الفعل وهو التعجب من حال تغافلهم ﴿جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾: جاء اللفظ القرآني "الحق" على أحد عشر وجهًا؛ هنا بمعنى القرآن نزل على الرسول الحق ﷺ، والكتاب الحق هو القرآن، والدين الحق الإسلام ﴿قَالُوا﴾: الكفار ﴿هَذَا﴾: إشارة إلى القرآن ﴿سِحْرٌ﴾: لأنه حق، ويأخذ بالألباب السليمة؛ اتهموا محمدًا ﷺ بالسحر ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يُفيد الحال؛ عطفًا على هذا قال الكفار ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر ﴿بِهِ﴾: بالقرآن ﴿كَافِرُونَ﴾: غير مؤمنين بمحمدٍ ﷺ وغير مُصدقين ولا مؤمنين بالكتاب، كان الهدف من هذا التصميم أن يؤثر في الجماهير أنهم واثقون مما يقولون، وهذا من نمط الإحياء للآخرين.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣١)

قال الوليد بن المغيرة: أُنزِلَ على محمد، وأتَرَكَ وأنا كبير قريش وسيدها؟، ويُنزَلُ أبو مسعود، عروة بن عمرو الثقفي سيد ثقيف؟، فنحن عَظِيمَا الْقَرْيَتَيْنِ، فنزل فيه قوله ﷺ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(١)، لَمَّا أدركوا قيمة ما يسمعون من آيات الله ﷻ في القرآن؛ ذهبوا بكفرهم إلى الاعتراض على الرسول ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قَالُوا﴾: الكفار المشركون من قريش ﴿لَوْلَا﴾: حرفٌ للتخصيص، يفيد امتناع الثاني، وهو نزول القرآن لوجود الأول ﴿نُزِّلَ هَذَا﴾: حرفٌ تنبيهه وإشارة ﴿الْقُرْآنُ﴾: هنا اعترفوا بنزول القرآن من السماء، ولكن اختلفوا على من يستحق نزول القرآن عليه؛ فقالوا لو أنه نزل ﴿عَلَى رَجُلٍ مِنَ﴾: حرفٌ يُفيد بداية الغاية المكانية ﴿الْقَرْيَتَيْنِ﴾: قال ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، والسدي، والقرظي، وابن شديد: أن ينزل القرآن على واحدٍ من شرفاء مجتمعهم في نظرهم وأغنياء، ووجهاء مَكَّة، والطائف ﴿عَظِيمٍ﴾: من أصحاب الجاه والمال.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٣٢)

(١) أورده العراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار ص ١٠٩٢ تخريج أحاديث الإحياء وقال: ضعيف.

﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الإهانة والتحقير والانكار عليهم ﴿هُم﴾: جاءت أهم لتفيد الاستفهام الإنكاري بغرض التوبيخ؛ للتخصيص، وتحديدًا الذين ﴿يُقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾: سؤال استنكاري؛ هل الكفار هم الذين يُقررون كيفية توزيع الرزق على الخلق ﴿نَحْنُ﴾: الله ﷻ، وجاءت هنا بصيغة الجمع للتعظيم ﴿قَسَمْنَا﴾: ورعنا ﴿بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ﴾: أرزاقهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: الله ﷻ الذي يُقسّم الأرزاق، والأموال، والعقول، والفهم، والمواهب ﴿وَرَفَعْنَا﴾: أيضًا أعلننا درجات وشأن ﴿بَعْضَهُمْ﴾: جزءًا منهم ﴿فَوْقَ﴾: أعلى منزلة، ومقامًا، ومالًا ﴿بَعْضِ﴾: وجعلناها ﴿دَرَجَاتٍ﴾: جعلناهم منازل ومراتب في الجاه، والسلطان، والرزق، جعلنا منهم الفقير، والغني ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿يَتَّخِذُ﴾: يستخدم ﴿بَعْضُهُمْ﴾: جزء منهم ﴿بَعْضًا﴾: الجزء الآخر ﴿سُخْرِيًّا﴾: ليستخدم بعضهم بعضًا في الأعمال؛ لتكامل الحاجات بين مستويات الناس ﴿وَرَحِمْتَ رَبِّكَ﴾: رحمة الله بخلقه كمالك للكون ﴿خَيْرٌ﴾: أكثر فائدة ونفعًا ﴿مِمَّا﴾: من الذي ﴿يَجْمَعُونَ﴾: ما كنزوا ويكنزون من الثروة والسلطان، ومن متاع الدنيا.

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِصَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (٣٣)

﴿وَلَوْلَا﴾: حرف يُفيد امتناع الثاني لوجود الأول ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَكُونَ﴾: يصير ﴿النَّاسُ﴾: عموم بني آدم وحتى لا يصبح كلُّ الناس ﴿أُمَّةً﴾: على ملّة ﴿وَاحِدَةً﴾: وهي ملّة الكفر بسبب ما وهبناه لهم من متاع الدنيا ﴿ل﴾: حرف يفيد السبب ﴿جَعَلْنَا لِمَنْ﴾: الذي من جنس العاقل الذي ﴿يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ﴾: لوهبنا للكفار الذين لا يعبدون الله ﷻ، واستخدم الحق ﷻ اسم الرحمن؛ لأنّ الآية رحمة، ورزقٌ لكلِّ النَّاسِ؛ المؤمن والكافر ﴿ل﴾: حرف تخصيص وتمليك ﴿بُيُوتِهِمْ﴾: مساكنهم ﴿سُقْفًا﴾: لجعل الله ﷻ أسقف البيوت ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿فِصَّةٍ وَ﴾: أيضًا جعلنا لهم ﴿مَعَارِجَ﴾: السلالم والدرج، ودخلت المصاعد الكهربائية البيوت بكثرة ﴿عَلَيْهَا﴾: فوقها وفيها ﴿يَظْهَرُونَ﴾: يصعدون، جاء اللفظ القرآني "ظهر" على ثمانية أوجه؛ هنا بمعنى يعلو ويرتقي.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُررًا عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ﴾ (٣٤)

﴿و﴾: أيضًا ﴿ل﴾: حرف تخصيص لجعلنا ل ﴿بُيُوتِهِمْ﴾: مساكنهم ﴿أَبْوَابًا﴾: الأبواب وأقفالها من فِصَّة ﴿وَسُرَّرًا﴾: أيضًا المقاعد والسرر المرتفعة التي ﴿عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ﴾: التي يجلسون، وينامون عليها، وهذا من باب الرفاهية، وهو اليوم في كلِّ بيتٍ تقريبًا.

﴿وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣٥)

﴿و﴾: أيضًا ﴿زُخْرَفًا﴾: كما وهبناهم الذهب ﴿وَإِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُلُّ﴾: يفيد الجميع ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد، من وسائل الراحة والمتاع ﴿لَمَّا﴾: ظرف زمانٍ يدلُّ على حدوثِ شيءٍ في الماضي إلا ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: يجعل الله ﷻ لهم متعهم ثواب حسناتهم، التي يعملون في الحياة الدنيا، مأكلاً ومشارباً، وليس لهم في الآخرة من نصيب ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿الْآخِرَةُ﴾: جاءت هنا بمعنى الجنة؛ انظر [البقرة-١٠٢] ﴿عِنْدَ﴾: ظرف زمان، وظرف مكان يدلُّ على الملكية في حكم ﴿رَبِّكَ﴾: المعبود، والمُربي، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد؛ فهو مالك أمرهم كلِّه ﴿ل﴾: حرف تملكٍ ﴿الْمُتَّقِينَ﴾: ثواب الآخرة الجنة هي نصيب المؤمنين؛ قال ﷻ: أَمَا تَرَضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ ^(١)، وقال ﷻ: لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّبَاجَ، وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صَحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الْآخِرَةِ ^(٢)، وقال الرسول ﷺ: لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ ^(٣).

﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٣٦)

﴿وَمَنْ﴾: والذي من جنس العاقل ﴿يعِشُ﴾: من عشى العينين، الذي ينظر نظر غير المتمكن في فهم أو رؤية، هو الذي تُظلم عينه، فيضعف أو يضيع بصره ﴿عَنْ﴾: حرف يفيد المجاوزة ﴿ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾: عشى بصيرته؛ بمعنى قلبه عن ذكر الله ﷻ؛ تعني تتوقف عبادته ﴿نَقِيضٌ﴾: نسلط ﴿لَهُ﴾: تخصيصاً ﴿شَيْطَانًا﴾: نسلط عليه شيطاناً ﴿ف﴾: حرف سبب ﴿هُوَ﴾: في اللغة

^(١) صحيح البخاري ١٥٦/٦ (٤٩١٣).

^(٢) صحيح البخاري ٧٧/٧ (٥٤٢٦).

^(٣) سنن الترمذي ٥٦٠/٤ (٢٣٢٠). وقال: صحيح غريب.

يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائبِ المفردِ المذكِرِ الذي ﴿لَهُ قَرِينٌ﴾: مرافقٌ، وملازمٌ؛ يغيويه؛ ويغريه.

﴿وَأَنَّهُمْ لِيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٣٧)

﴿وَأَنَّهُمْ﴾: بالتأكيد ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسبب ﴿يَصُدُّونَهُمْ﴾: جاءت بصيغة المضارع لتفيد الاستمرار والعرض على الجميع ليراها الآخرون؛ لأنّ الشياطين تمنعهم ﴿عَنِ﴾: حرف يفيد البعد ﴿السَّبِيلِ﴾: عن طريق النجاة من النَّارِ بالإيمان ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿يَحْسَبُونَ﴾: يظنون ﴿أَنَّهُمْ﴾: يتصورون ويتوهمون ﴿مُّهْتَدُونَ﴾: يزينون لهم الضلال فيظنّ هؤلاء أنّهم على حقٍّ، وما أكثر هذه الأمثلة في جماعاتٍ وأحزابٍ ورؤساءٍ وملوكٍ العرب والمسلمين في هذا الزمان.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَنِيَّ وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ (٣٨)

﴿حَتَّى﴾: حرف جرٍ يفيد انتهاء الغاية الشرطية ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها، ما عمله في الحياة الدنيا ﴿جَاءَنَا﴾: يوم القيامة الحساب ﴿قَالَ يَا لَيْتَ﴾: يتمنى ﴿بَنِيَّ وَبَيْنَكَ﴾: بين الإنسان المُذنب وبين الشيطان القرين ﴿بُعْدَ﴾: المسافة بين ﴿الْمَشْرِقَيْنِ﴾: المقصد هو بين المشرق والمغرب فاختر المشرق لأنه أشهر الجهات، التي ما بين المشرق والمغرب، وهي أبعد مسافةٍ على الأرض، وثنى بلفظ المشرق تغليبًا لشهرته ﴿ف﴾: حرف استثناء يهدف ترتيب الأمر والتنفيذ بسرعة؛ لهذا السبب أنت ﴿بِئْسَ﴾: ساء بما فيها من شرٍّ وضررٍ ﴿الْقَرِينُ﴾: قَبْحَكَ اللهُ ﷻ، هي ذمٌّ بذكر المساوي وهي عكس المدح وقدح في الشيطان القرين.

﴿وَلَنْ يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ (٣٩)

﴿و﴾: عطفٌ على ما جاء ﴿لَنْ﴾: حرف نفي جازم ﴿يَنفَعَكُمُ﴾: نفي أن يفيدكم ﴿الْيَوْمَ﴾: يوم القيامة ﴿إِذْ﴾: ظرف يدل على حدث بالماضي وهنا للتعليل ﴿ظَلَمْتُمْ﴾: أيها المعرضون امتناعكم في السابق عن عبادة الله ﷻ وجُودكم في النَّارِ، واشتراككم في العذاب تمنياتكم لأنكم ستشتركون

أنتم وشركاؤكم في العذاب؛ بسبب كفركم ﴿أَنْتُمْ﴾: أنتم والقرناء ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾: لن تتناصروا في النار؛ فيحمل بعضكم عن بعضٍ شيئاً من العذاب.

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٤٠)

﴿أ﴾: حرف استفهام يفيد النفي ﴿ف﴾: حرف سبب ﴿أَنْتَ﴾: هنا استفهامٌ بغرض الإنكار عليهم، هل أنت أيها الرسول ﴿تُسْمِعُ الصَّمَّ﴾: تجعل الأصم يسمع؟ ليس هذا من قدرتك، ولا تكليفك ﴿أَوْ﴾: تساوي ما سبق وهل تستطيع أن ﴿تَهْدِي الْعُمْيَ﴾: ولا أنت تعيد الإبصار للأعمى ﴿وَمَنْ﴾: أيضاً لا تهدي الذي من البشر ﴿كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: ولا الذين كفروا، الذين صاروا في تيهٍ واضحٍ عن الطريق السليم.

التكليف: الاستفهام إنكارٌ عليهم عدم إبصارهم وعدم سماعهم؛ لعدم عمل أدوات الإدراك الأساس فيهم، فهو ﷺ يدعوهم للخير أما هدايتهم فبيد الله ﷻ.

﴿فَأَمَّا نُدْهَبَنَّ بِكَ فَأَنَا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ (٤١)

﴿فَأَمَّا﴾: حرف عطفٍ يُفيدُ الشكَّ، وهنا تسمى الفاء التفرعية؛ تفيد أن هذه الجملة فرعٌ مما تقدم "أفأنت تسمع الصم" ﴿نُدْهَبَنَّ﴾: نأخذ ونزِيل بالتأكيد ﴿بِكَ﴾: حرف باء السببية، إذا قبضناك وقضيت أجلك، أو هاجرت يا محمد إلى المدينة قبل تعذيبهم ﴿ف﴾: حرف سبب ﴿إِنَّا﴾: نحن بالتأكيد وبصيغة التعظيم ﴿مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾: سننتقم منهم بعد موتك، ويوم القيامة.

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَأَنَا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾ (٤٢)

﴿أَوْ﴾: حرف عطف يفيد التسوية بين متعاطفين، على ما سبق نساوي بهدف التخيير ﴿نُرِيَنَّكَ﴾: نجعلك تشاهد ﴿الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾: قال ابن جرير: تشهد في حياتك كيف يكون انتقامنا منهم، وهذا ما حدث ﴿ف﴾: حرف سبب ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحد؛ للتعظيم والتوكيد ﴿عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾: فقد مكَّن الله ﷻ لنبيه ﷺ من الكفار، ونصره عليهم، وقال أيضاً: ذهب النبي ﷺ وبقيت النعمة.

﴿فَأَسْتَمْسِكُ بِالَّذِي أُوْحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٤٣)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿اسْتَمْسِكْ﴾: خذ، واعتمد، وتمسك ﴿ب﴾: حرف باء الصلة ﴿الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾: القرآن الكريم الذي نزل عليك وحياً ﴿إِنَّكَ﴾: أنت بالتأكيد ﴿عَلَى صِرَاطٍ﴾: إنَّ القرآن يُفضي إلى طريقٍ ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾: قويم؛ ليس فيه انحراف أو اعوجاج، هو الموصل بأقصر الطرق إلى الجنة.

﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (٤٤)

﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿إِنَّهُ﴾: القرآن الكريم بالتأكيد ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿ذِكْرٌ لَكَ﴾: شرفٌ لك ﴿و﴾: أيضاً ﴿ل﴾: حرف تمليكٍ ﴿قَوْمِكَ﴾: المؤمنين عندما نزل عليهم وقيل: تذكير لك، ولقومك ﴿وَسَوْفَ﴾: وعدٌ في المستقبل ﴿تُسْأَلُونَ﴾: عن القرآن هل استجبتُم له، وعملتُم بما فيه؟

﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ (٤٥)

﴿وَأَسْأَلُ مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل، الله ﷻ يأمره أن يسأل والله ﷻ يعلم والسبب لتقام الحجَّة عليهم ﴿أَرْسَلْنَا مِنْ﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِكَ مِنْ﴾: بعض ﴿رُسُلِنَا﴾: هي إخبار، وليس بسؤال؛ فقد قضا جميعاً عليهم السلام ﴿أ﴾: حرفٌ استفهامٍ بغرض النفي، هل ﴿جَعَلْنَا﴾: هل شرعنا ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿دُونِ﴾: غير ﴿الرَّحْمَنِ﴾: غير الله ﷻ ﴿آلِهَةً﴾: معبودات أخرى ﴿يُعْبَدُونَ﴾: يُطاعون، هل سألتهم عبادة غير الله ﷻ، وطاعة غيره.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٦)

﴿و﴾: حرفٌ عطفي يفيد الحال ﴿لَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ﴾: يخبر الله ﷻ أنه بعث موسى ﷺ، رسولاً ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿آيَاتِنَا﴾: بالبراهين وهي يد موسى ﷺ، التي تخرج بيضاء دون مرض، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ونقص الأموال والثمرات ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: حاكم مصر في عهد موسى ﷺ ﴿وَمَلَئِهِ﴾: إلى الأمراء والوزراء، والقادة، وكبار القوم من الأقباط ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب، والتتابع السريع ﴿قَالَ﴾: ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿رَسُولٌ﴾: مُرسَلٌ إليكم برسالة ربِّي ﷻ، أدعوهم إلى عبادة الله وحده ﴿رَبِّ﴾:

المالك المتصرف بلا ممانعةٍ من أحدٍ من خلقه في ﴿العالمين﴾: كلّ المخلوقات في الأرض
والسماوات.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ (٤٧)

﴿فَلَمَّا﴾: حرف يفيد تتابع وسبب ﴿جَاءَهُمْ﴾: موسى ﷺ ﴿ب﴾: حرف يفيد الصلة ﴿آيَاتِنَا﴾:
وقد بعث الله ﷻ معه آيات كبرى، خارقة للعادة، ودالة على عظم الخالق ﷻ ﴿إِذَا هُمْ﴾: تحديداً
﴿مِنْهَا﴾: من الآيات ﴿يَضْحَكُونَ﴾: ليس سروراً، ولكن استهزاءً واستخفافاً بالآيات وبموسى
ﷺ.

﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤٨)

﴿وَعَطْفًا﴾: على ما سبق ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿نُرِيهِمْ﴾: جاء التعبير هنا عن الماضي بلفظ
المضارع لاستحضار الصورة الماضية في الذهن يعرض عليهم موسى ﷺ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ
يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿آيَةٍ﴾: بيّنه ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء
﴿هِيَ﴾: أي الآية ﴿أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾: الأخت هنا تعني المجانسة والمشاكله، أي الجنس والنوع
نفسه. كلّ آية كانت أكبر إعجازاً من سابقتها، ومع ذلك؛ رفضوا وأبوا ﴿و﴾: حرف عطف يفيد
الحال؛ عطفًا على موقفهم وكفرهم ﴿أَخَذْنَاهُمْ﴾: أصبناهم بقوة فذهبنا بهم ﴿ب﴾: حرف باء
المصاحبة والتجاوز ﴿العذاب﴾: بتطبيق الآيات السابقة عليهم الجراد، والقمل، والضفادع
﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف يفيد الإشفاق من الله ﷻ، ويفيد التوقع والترجي من موسى ﷺ ﴿يَرْجِعُونَ﴾:
يُقلع الكافرون عن كفرهم وغيّهم، وضلالهم. انظر [الأعراف-١٣٣].

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ (٤٩)

﴿وَقَالُوا يَا﴾: حرف نداءٍ للقريب والبعيد ﴿أَيُّهُ﴾: حرف نداء ﴿السَّاحِرُ﴾: قال ابن كثير: وصفوا
موسى ﷺ، بالساحر، ليس انتقاصاً لقدره؛ بل يظنون ذلك تعظيمًا له، وقال ابن جرير: الساحر
أي العالم، فكان علماء زمانهم هم السحرة ولربما أنهم خاطبوا موسى ﷺ بالساحر ﴿ادْعُ لَنَا﴾:
تخصيصًا ﴿رَبَّكَ﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ. هو المعبود،
والمُرَبِّي، وهو منشئ الكون وبما فيه إلى حدّ التمام وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير،

والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، فهو بذلك مالك أمرهم كلّه، كانوا كلّما أصابتهم آيةٌ من الآيات الصعبة الضفادع، والدم، والقمل، ونقص المزروعات؛ يلجؤون إلى موسى عليه السلام؛ ليدعو الله تعالى ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿عَهْدَ عِنْدِكَ﴾: بالذي جاء ذكره لك من كشف العذاب إنْ آمنا، من صلاحٍ، وخيرٍ، وبركةٍ ﴿إِنَّا﴾: نحن بالتأكيد ﴿لَ﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿مُهْتَدُونَ﴾: إذا كشفت عنا العذاب نؤمن بك، ونرسل معك بني إسرائيل.

التكليف: هذا منهجُ كلِّ الكافرين إذا أصابهم سوءٌ تذللوا، وإذا كانوا أقوياء تجبروا.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ (٥٠)

كان موسى عليه السلام، يدعو الله تعالى أنْ يكشف عنهم العذاب، وقد استجاب تعالى لرسوله، ورفع عنهم العذاب إلى أجلٍ ﴿فَلَمَّا﴾: حرفٌ يفيد التتابع والسبب ﴿كَشَفْنَا﴾: صرفنا ﴿عَنْهُمْ﴾: حرفٌ يفيد المجاوزة: أي تجاوز الله تعالى عنهم عيوبهم فجاء وصفُ العذاب بالشيء المغطى ﴿الْعَذَابَ إِذَا هُمْ﴾: جاء تقديم الضمير "هم" هنا على الجملة الفعلية ينكثون لتقوية الحكم وتقريره في نفس المستمعين، ولكن فرعون وحاشيته ﴿يَنْكُثُونَ﴾: ينقضون عهدهم؛ يرجعون إلى كفرهم، وتعذيبهم المؤمنين.

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٥١)

﴿وَ﴾: عطفاً على ما سبق ﴿نَادَى﴾: وقف خطيباً رافعاً صوته ﴿فِرْعَوْنُ﴾: حاكم مصر ﴿فِي قَوْمِهِ﴾: في كبار حاشيته، مُتَجَجًّا مُتَكَبِّرًا ﴿قَالَ يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿قَوْمِ﴾: هم جماعة موجودة توددًا ﴿أَلَيْسَ﴾: حرف استفهام بغرض التوكيد ﴿لِي﴾: من ملكي ﴿مُلْكُ مِصْرَ﴾: ألسنت أنا مالك الأرض الخصبة، والتربة الصالحة، المستوية التي تُنبت خير نبات، وأعيش في أفضل الأجواء، وأشرب من أوفر الأنهار ﴿وَ﴾: أيضًا أنا مالك ﴿هَذِهِ﴾: حرف إشارة وتبنيه ﴿الْأَنْهَارُ﴾: نهر النيل، الذي تتفرع منه أفرعٌ عظيمةٌ، تغطي مساحات شاسعةً من جنوب مصر إلى شمالها ﴿تَجْرِي﴾: مياه عذبة، ليست راكدة، تملأ القنوات وتنتقل من النهر إلى القنوات

وتتفرع على مساحات كبيرة ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿تَحْتِي﴾: القصر الذي أسكنه وقصور حاشيتي، يفخر فرعونُ بأمرٍ خارجٍ عن ذاته، لا بأوصافٍ حميدةٍ ولا بأفعالٍ سديدةٍ إنّ الذي ادعي أنّ الأنهار تجري من تحته؛ أغرقه الله ﷻ في هذه المياه ﴿أَفَلَا﴾: حرف استفهامٍ بغرض الاستنكار، بمعنى أبصروا ﴿تُبْصِرُونَ﴾: ألا تشاهدون ما أنا فيه من الثراء والجاه؛ مقارنةً مع موسى، وقومه الذين يخدموننا. التكليف: هذا ما يعتمده العالم اليوم، على المقاييس المادية للتفاضل، وليس على القيم الإنسانية.

﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (٥٢)

﴿أَمْ﴾: هل، بل ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا﴾: يقصد موسى ﷺ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للفرد المذكور ﴿هُوَ مَهِينٌ﴾: الطريد قال: قتادة: ضعيف، وقال ابن جرير: لا يملك مالا، ولا سلطانا، وقيل حقير ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَكَادُ يُبِينُ﴾: لا يكادُ يُفصِحُ عن كلامه، وقال السدي: لا يكادُ يُفهم، وقال قتادة: مريضُ اللسان، وقال سفيان: في لسانه أثرُ الجمرَةِ التي وضعها في فمه وقت كان طفلاً.

التكليف: كان فرعون كاذبًا فقد كان موسى ﷺ، من الجلال، والعظمة، والبهاء ما يُبهرُ أبصار أصحاب العقول، ولم يكن حقيرًا، قد سأل ربّه ﷻ أن يحلل عقدة لسانه؛ ليفقهوا قوله، واستجاب له ربّه بشهادة الله ﷻ: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ [طه-٣٦].

﴿فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ (٥٣)

﴿فَلَوْلَا﴾: حرفٌ للتخصيص بمعنى هلاً؛ يحضُّ على الفعل؛ ويُفيد الدلالة على فعلٍ؛ لوجود غيره ﴿أَلْقَى﴾: يعني ألقى الله ﷻ ﴿عَلَيْهِ﴾: على موسى ﷺ من السماء، إنّ كان رسولاً حقاً ﴿آسُورَةٌ﴾: أدوات حُلِّي على المعاصم ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿ذَهَبٍ﴾: تخصيصاً لو أُعطي من الذهب ﴿أَوْ﴾: حرف تسوية وتخيير بين شيئين ﴿جَاءَ مَعَهُ﴾: مع موسى ﷺ ﴿الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾: يتبع بعضهم بعضاً، يُحيطون به، يحفظونه، ويشهدون بصدقه، وهذا أحدُ ادعاءات المقاييس المادية عند فرعون بسبب كفره.

﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٥٤)

﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر ﴿استخف﴾: استهان واستصغر واستقلّ فرعونُ ب ﴿قومه﴾: يعقول قومه وأغرامهم، والمقصود بالخفة هنا هي حالة انتقالٍ من حالة التأمل في خلع طاعة فرعون والتثاقل في اتباعه إلى التعجيل بالامتثال له كما يخف الشيء بعد تثاقله ﴿فأطأوه﴾: فدعاهم؛ فاستمعوا لكلامه؛ وقبلوه واستجابوا له ﴿إنهم﴾: هم بالتأكيد ﴿كانوا قوما﴾: مُجمَعًا على منهجٍ ﴿فأسقين﴾: خارجين عن طاعة الله ﷻ؛ لخفة عقولهم، واستجابتهم السهلة للطاغية.

﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين﴾ (٥٥)

﴿فلما﴾: حرف يفيد التتابع والسبب ﴿آسفونا﴾: قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وابن جرير، وقتادة، والسدي: أسخطونا، وأغضبونا ليس المقصود الغضب بذاته بل بمعنى إرادة الانتقام منهم ﴿انتقمنا﴾: عاقبناهم ﴿منهم﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية المكانية ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والحدث السريع ﴿أغرقناهم أجمعين﴾: كلهم غرقوا، وفي هذا يقول عمر بن عبد العزيز ﷺ: وُجِدَتِ النِّقْمَةُ فِي الْغَفْلَةِ.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِالْآخِرِينَ﴾ (٥٦)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿جعلناهم﴾: جاءت بصيغة الجمع؛ لعظم الانتقام ﴿سلفًا﴾: والسلف هو من يسبق غيره في الوجود، جعلنا فرعون ومن معه عبرةً لمن بعدهم ومثلاً لما يؤول به حال المتكبرين إلى الهلاك فلا يُقدموا على ما فعله السابقون من الكافرين، ومن بعدهم يأتي قومك يا محمد ﷺ ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يفيد الحال ﴿مثلاً﴾: جاء اللفظ القرآني "مثلاً" هنا بمعنى عبرةً لمن بعدهم ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الآخرين﴾: لمن خلفهم من الناس.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ﴾ (٥٧)

﴿ولما﴾: حرف تأكيد حدثٍ في الماضي ﴿ضرب ابن مريم مثلاً﴾: جاء ذكر عيسى عليه السلام، والذي عبده النصارى، واعتقد كفار مكة أنه في دائرة أهل النار بحسب الآية: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء-٩٨] ﴿إذا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿قومك﴾: كفار قريش أهلك وعشيرتك

﴿مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء-٩٨] فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: الْمَلَائِكَةُ وَعِيسَى وَعَزِيرٌ يُعْبَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُعْبَدُونَ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا، قَالَ: فَنَزَلَتْ ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء-١٠١] عِيسَى وَعَزِيرٌ وَالْمَلَائِكَةُ^(١) ﴿يَصِدُّونَ﴾: قَالَ النُّخَعِيُّ: يَدْفَعُونَ بِالْبَاطِلِ، وَيَجَادِلُونَ، وَيَعَانِدُونَ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَضْحَكُونَ، وَقَالَ قَتَادَةُ: يَجْزَعُونَ، وَيَضْحَكُونَ.

﴿وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (٥٨)

﴿وَقَالُوا﴾: أَيْضًا قَالَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ ﴿أَمْ﴾: حَرْفُ اسْتِفْهَامٍ يَفِيدُ الِاسْتِنْكَارَ هَلِ ﴿آلِهَتُنَا﴾: اسْتِفْهَامٌ عَنِ الَّذِينَ نَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿خَيْرٌ﴾: أَكْثَرُ فَائِدَةٍ ﴿أَمْ﴾: أَوْ ﴿هُوَ﴾: فِي اللُّغَةِ يَعْنِي ضَمِيرًا مَنْفَصَلًا مَرْفُوعًا لِلْغَائِبِ الْمَفْرُودِ الْمَذْكَرِ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا هُوَ عِيسَى ﷺ، سَوَّالٌ يَفِيدُ أَنَّ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ آلِهَةٍ مِنْ أَصْنَامٍ، وَمَا عَبْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَغَيْرِهِمْ ﴿مَا﴾: حَرْفُ نَفْيٍ ﴿ضَرَبُوهُ﴾: ذَكَرُوهُ ﴿لَكَ﴾: تَحْدِيدًا ﴿إِلَّا﴾: حَرْفُ اسْتِثْنَاءٍ ﴿جَدَلًا﴾: لَا يَرِيدُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا؛ فَلَجَأُوا إِلَى الْجَدْلِ ﴿بَلْ﴾: حَرْفُ يَنْفِي مَا قَبْلَهُ؛ وَيُؤَكِّدُ مَا بَعْدَهُ ﴿هُمُ﴾: ضَمِيرُ الْجَمْعِ الْمَذْكَرِ، وَهِيَ لِلتَّخْصِيسِ، وَتَحْدِيدًا ﴿قَوْمٌ﴾: جَمَاعَةٌ عَلَى مَذْهَبٍ وَاحِدٍ ﴿خَصِمُونَ﴾: مُجَابِلُونَ عَلَى عِدَاوَةٍ، وَخُصُومَةٍ الْإِسْلَامِ، إِنَّهُمْ بَطْبَعَهُمْ مُخَاصِمُونَ.

التكليف: لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؛ فإنه ما ضلَّ قومٌ قط إلا أوتوا الجدل.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٥٩)

﴿إِنْ﴾: حَرْفُ شَرْطٍ بِمَعْنَى مَا ﴿هُوَ﴾: فِي اللُّغَةِ يَعْنِي ضَمِيرٌ مَنْفَصَلٌ مَرْفُوعٌ لِلْغَائِبِ الْمَفْرُودِ الْمَذْكَرِ، وَالْمَقْصُودُ هُوَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ﷺ، ﴿إِلَّا﴾: حَرْفُ اسْتِثْنَاءٍ ﴿عَبْدٌ﴾: مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ﷻ، وَحَتَّى يَنْفِي مَا ادَّعَاهُ الْيَهُودُ أَنَّ عِيسَى إِلَهُ ﴿أَنْعَمْنَا﴾: جَاءَتْ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ لِفَضْلِ التَّكْلِيفِ بِالرِّسَالَةِ ﴿عَلَيْهِ﴾: بِالنَّبُوءَةِ وَالرِّسَالَةِ ﴿وَ﴾: حَرْفُ عَطْفٍ يُفِيدُ الْحَالَ ﴿جَعَلْنَاهُ﴾: صَيَّرْنَاهُ، حَدَّدْنَا طَبِيعَةَ عَمَلِهِ ﴿مَثَلًا﴾: نُمُودَجًا يُحْتَذَى بِهِ، وَالْمَثَلُ هُنَا بِمَعْنَى عِبْرَةٍ؛ دَلِيلًا، وَحُجَّةً، وَبِرَهَانًا عَلَى

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٤١٦/٢ (٣٤٤٩)، وقال: صحیح الإسناد ولم یخرجاه، ووافقه الذہبی.

قدرة الله ﷻ، فقد خلق الله ﷻ آدم ﷻ بلا أبٍ ولا أمٍ، وخلق حواء من أبٍ بلا أمٍ، وخلق عيسى ﷺ من أمٍ بلا أبٍ ﴿ل﴾: حرف تملك وتخصيص ﴿بني﴾: أبناء ﴿إسرائيل﴾: يعقوب ﷻ .

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ (٦٠)

﴿وَلَوْ﴾: حرف شرط ﴿نشاء﴾: لو أردنا أن نهلككم يا بني آدم؛ لأهلكناكم ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿جَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾: بعضكم أو بدلاً منكم ﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾: قال السدي: يخلقونكم فيها، وقال ابن عباس، وقتادة: يخلق بعضهم بعضاً، كما يخلق بعضكم بعضاً، وقال مجاهد: يعمرّون الأرض بذلك.

﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٦١)

﴿وَإِنَّهُ﴾: وقد يكون المعني هو عيسى ﷻ، بناءً على ما ورد في الآية السابقة، وقد يكون المقصود هو القرآن الكريم؛ لأنّ القرآن سبب علم وقوع؛ إذ فيه الدلائل المتنوعة إلى إنكار البعث ووقوع الساعة ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿عِلْمٌ﴾: دليل وبرهان ﴿ل﴾: حرف يفيد التخصيص ﴿السَّاعَةِ﴾: ليوم القيامة قال مجاهد: ما وهبه الله ﷻ لعيسى ﷻ، من إحياء الموتى، والشفاء من الأمراض مثل شفاء الأكمه، والأبرص، كما أنّ نزول عيسى ﷻ قبل يوم القيامة، كلّ ذلك من علامات القيامة ﴿فَلَا﴾: حرف تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل ﴿تَمْتَرَنَّ﴾: تجادلون وتشكون ﴿بِهَا﴾: بمعنى فيها، لا يعتریکم شكٌّ في وقوعها، هي واقعةٌ لا محالة ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿اتَّبِعُونِ﴾: آمنوا برسالتي، واتَّبِعُوا سُنَّتِي ﴿هَذَا﴾: الذي جئتكم به هو ﴿صِرَاطٌ﴾: طريقٌ، منهجٌ ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: هذا أقرب طريقٍ يحقق لكم فوزاً في الدنيا، ويدخلكم الجنة في الآخرة.

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٦٢)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿لَا﴾: حرف نهيٍ وتحريمٍ ﴿يَصُدَّنَّكُمُ﴾: يصرفكم بالتأكيد ﴿الشَّيْطَانُ﴾: لا تجعلوا الشيطان ينجح في إبعادكم عن اتباع الحق ﴿إِنَّهُ﴾: الشيطان الرجيم ﴿لَكُمْ﴾: تحديداً ﴿عَدُوٌّ﴾: هنا تعليلٌ للنهي عن أن يصدّهم فإن شأن العاقل أن يحذر من مكائد أعدائه من الجن والإنس، لأنهم شديداً العداوة، يُوردونكم الخسران في الدنيا، ويوردونكم النار يوم القيامة، وهذا هو خسران ﴿مُبِينٌ﴾: فعداوة الشيطان لكم ظاهرة، وخسارتكم بطاعته واضحة.

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (٦٣)

﴿وَلَمَّا﴾: اسمٌ للتوكيد ﴿جَاءَ عِيسَى﴾: ﷺ، عندما كلفه الله ﷻ بالرسالة وأيده ﴿بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾: الآيات الدالة على عظمة الله ﷻ ﴿قَالَ﴾: عيسى ﷺ، للناس ﴿قَدْ﴾: حرف جرّ أفاد التأكيد لأنه دخل هنا على الفعل الماضي ﴿جِئْتُكُمْ بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿الْحِكْمَةَ﴾: أعطاني الله ﷻ النبوة، وعلمني سنتها ﴿و﴾: أيضًا ﴿لِ﴾: حرف علّة وسبب ﴿أُبَيِّنَ﴾: أشرح وأوضح ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿بَعْضَ﴾: جزءًا من ﴿الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾: قال ابن جرير: أوضّح لكم الأمور الدينية ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: آمنوا بالله يقينًا؛ طمعًا في رحمته، وخوفًا من عذابه ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال ﴿أَطِيعُوا﴾: نفذوا، وطبقوا ما جئتمكم به من الله ﷻ.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٦٤)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿اللَّهُ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾: وهو منشئ لكل شيء من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام هو المُعبود، والمُربي، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، هو مالكُ أمري كلّهُ في الحياة، والممات، والبعث، والثواب، ونحن جميعًا عبيد له؛ فقراء إليه ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿اعْبُدُوهُ﴾: أطيعوه جميعًا ﴿هَذَا﴾: حرفٌ تنبيهٍ وإشارة، الذي ذكرته لكم ﴿صِرَاطٌ﴾: الطريق، المنهج ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: أقصر الطرق لتحقيق الغايات. انظر [الأعراف-٦١].

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾ (٦٥)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿اخْتَلَفَ﴾: تفرقت ﴿الْأَحْزَابُ﴾: طوائف النصارى في أمر عيسى ﷺ، انقسم النَّاسُ إلى أحزابٍ ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿بَيْنِهِمْ﴾: فيما جدّ وحدث بينهم، فمنهم من قال هو الله، ومنهم من قال هو ابن الله، ومنهم من قال هو وأمه إلهين ﴿فَوَيْلٌ﴾: لهذا السبب جاءت كلمةٌ تهديدٍ وتحذيرٍ ﴿لِ﴾: حرف تخصيص

﴿الذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿ظَلَمُوا﴾: الذين كذبوا على الله ﷻ هذه الأكاذيب، والعياذ بالله ﷻ ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾: عذابٍ جهنمٍ الشديد يوم القيامة.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٦٦)

﴿هَلْ﴾: حرفٌ استفهامٌ للتشكيك؛ بمعنى ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾: هل ينتظر الأحزاب المختلفون في عيسى ﷺ ﴿إِلَّا﴾: حرفٌ استثناءٍ ﴿السَّاعَةَ﴾: يوم القيامة ﴿أَنْ﴾: حرفٌ تأكيد الفعل ﴿تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾: أن تقع لا محالة فجأة ﴿وَهُمْ﴾: تحديداً ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَشْعُرُونَ﴾: وهم عنها غافلون؟

﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٦٧)

﴿الْأَخْلَاءُ﴾: الأصدقاء في غير الله ﷻ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿بَعْضُهُمْ﴾: جزءٌ منهم وليس كلهم ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿بَعْضٍ﴾: الجزء الآخر ﴿عَدُوٌّ﴾: تنقلب هذه الصداقة والصحبة إلى عداوة، قال ابن عباس عن مجاهد: صارت كلُّ خلةٍ عداوة يوم القيامة ﴿إِلَّا﴾: استثناءً ﴿الْمُتَّقِينَ﴾: الذين عبدوا الله ﷻ كأنهم يشاهدوه.

التكليف: عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: وَمَاذَا أَعَدَدْتَ لَهَا، قَالَ: لَا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ. قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ، فَرِحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ^(١).

﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (٦٨)

﴿يَا﴾: حرفٌ نداءٍ للقريب والبعيد ﴿عِبَادِ﴾: يُخبرُ الله ﷻ عباده المؤمنين حقاً ﴿لَا﴾: ينفي ﷻ عنهم ﴿خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾: قال المعتمر بن سليمان عن أبيه: إذا كان يوم القيامة؛ فإنَّ الناس حين يُبعثون لا يبقى أحدٌ منهم إلا فرح؛ فينادي مناد؛ بهذه الآية؛ فيتمناها كلُّ الناس، فيتبع يقول الحق ﷻ ﴿وَلَا﴾: أيضاً ننفي ﴿أَنْتُمْ﴾: تحديداً وينفي ﷻ عنهم أيضاً ﴿تَحْزَنُونَ﴾: الحزن، وهؤلاء هم:

(١) صحيح البخاري ١٢/٥ (٣٦٨٨).

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (٦٩)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: تصديقًا مؤكدًا وتسليمًا ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿آيَاتِنَا﴾: بالقرآن الكريم فيطمئن الذين آمنوا ﴿وَكَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿مُسْلِمِينَ﴾: مُتقادين مُسلمين للقرآن، يأترون بما أمر، وينتهون عما نهى.

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ (٧٠)

﴿ادْخُلُوا﴾: يأمرهم الله ﷻ، ويخبرهم بمصيرهم ادخلوا ﴿الْجَنَّةَ﴾: هذه جائزتك، دخول الجنة ﴿أَنْتُمْ وَ﴾: أيضًا ﴿أَزْوَاجُكُمْ﴾: والذين مثلكم، نظراؤكم في الإيمان، وأيضًا أزواجكم، وزوجاتكم، المؤمنون والمؤمنات ﴿تُحْبَرُونَ﴾: تسرون من السرور.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٧١)

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾: يمرُّ عليهم وهم في مقاعدهم يتنعمون ﴿بِ﴾: بآء المصاحبة ﴿صِحَافٍ﴾: آنية ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿ذَهَبٍ﴾: هي الأوعية التي يُوضع فيها الطعام ﴿وَ﴾: أيضًا يطوف عليهم بـ ﴿أَكْوَابٍ﴾: آنية الشراب ﴿وَفِيهَا﴾: في الجنة جاء تقديم فيها للاهتمام والعناية والتشوق لما هو آتٍ ﴿مَا﴾: الذي ﴿تَشْتَهِيهِ﴾: ما تتمناه ﴿الْأَنْفُسُ﴾: هنا إيجازٌ بالقصر حيث عمّ قوله كل ما تتعلق به الشهوات النفسية بتحصيلها وهي جوهر الإنسان: من الأطعمة التي يريدون ﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾: سعادة النظر ومتعته لما يراه الإنسان: ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: لا موت.

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٧٢)

﴿وَتِلْكَ﴾: اسمٌ إشارةٌ للبعيد الفرد المؤنث ﴿الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾: أورثكم الله ﷻ هذا الجنة مقابل أعمالكم الصالحة في الدنيا، والإرث هو انتقال الملكية بلا رجعة، والكلُّ من مُلك الله ﷻ ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿كُنْتُمْ﴾: في الحياة الدنيا ﴿تَعْمَلُونَ﴾: كان عملكم الصالح سببًا لدخولكم في رحمة الله ﷻ، فلا أحد يدخل الجنة بعمله، ولكن برحمة الله ﷻ، أما الدرجات فبحسب الأعمال الصالحة، ما من أحدٍ إلَّا وله منزلٌ في الجنة، ومنزلٌ في النار، الكافر يرث

المؤمن منزله من النار، والمؤمن يرث الكافر منزله في الجنة، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف-٧٢] (١).

التكليف: شبه الله ﷻ المؤمنين خاصة نعيم الجنة لهم كوارثين دون غيرهم.

﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٧٣)

﴿لَكُمْ﴾: حرف تملك ﴿فِيهَا﴾: في الجنة ﴿فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾: فواكه التي يحبها ويستسيغ طعمها من جميع الأنواع والأصناف ﴿مِنْهَا﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿تَأْكُلُونَ﴾: أي شيء اخترتم وأردتم، وهذه تنمة نعمة الله ﷻ؛ الطعام، والشراب، والفاكهة.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ خَالِدُونَ﴾ (٧٤)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: الكفار الذين أجزموا في حق الله ﷻ، الذين لم يطيعوه، وأجزموا في حق الناس؛ فأفسدوهم، وأجزموا في حق أنفسهم؛ فأوردوها النار ﴿فِي عَذَابٍ خَالِدُونَ﴾: ماكتون، مقيمون، دائمون بلا خروج.

﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ (٧٥)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُفْتَرُ﴾: لا يتوقف عنهم ولا يُخفف العذاب ﴿عَنْهُمْ﴾: حرف يفيد المجاوزة، أي لا يتجاوزهم يبقى مستمرًا عليهم ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المذكور، وهي للتخصيص ﴿فِيهِ﴾: في العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾: آيسون من رحمة الله ﷻ، ومن كل خير يريدون، جاء التعبير هنا عن المستقبل بلفظ الماضي الذي سيقع يوم القيامة؛ لأن إبلاسه في عذاب جهنم هو اليأس، وذكر فعل المستقبل منزلة الماضي دلالة على تحقيق وقوعه.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ (٧٦)

(١) اسنن الترمذي ٣٧٤/٥ (٣٢٤٦) قال الألباني: صحيح.

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿ظَلَمْنَا هُمْ﴾: عندما أدخلهم الله ﷻ النار، حاسبهم بعد إنذارهم، وعاقبهم بحجم أعمالهم ﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك ﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الظَّالِمِينَ﴾: هم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم.

﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ﴾ (٧٧)

﴿و﴾: عطفًا على ما جاء ﴿نَادُوا يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿مَالِكُ﴾: هو خازنُ النَّارِ ﴿ل﴾: حرفٌ علّةٌ وسببٌ ﴿يَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾: جاء اللفظ القرآني "يقضي" على عشرة أوجه؛ هنا بمعنى يُنزل ويصيبنا. قالوا ربك، ولم يقولوا ربنا؛ يطلبون أن يقبض أرواحهم؛ فيريحهم مما هم فيه من العذاب ﴿قَالَ﴾: مالك جوابًا على طلبهم ﴿إِنَّكُمْ﴾: بكل تأكيد ﴿مَأْكُوثُونَ﴾: لا خروج لكم منها، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ قَالَ: مَكَتَ عَنْهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ^(١).

﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (٧٨)

﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث، أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل ﴿جِئْنَاكُمْ﴾: في حياتكم الدنيا ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿الْحَقِّ﴾: بيّنا لكم في الحياة الدنيا أن الله حق، والرسول حق، والجنة والنار حق، والثواب والعقاب حق ﴿وَلَكِنْ﴾: حرف عطفٍ واستدراكٍ ﴿أَكْثَرُكُمْ﴾: الأغلبية منكم ﴿لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾: حرف اللام للتخصيص، لم يقبل أكثركم الإيمان، وانقادوا واختاروا الباطل.

﴿أَمْ أَمْرًا مُمْرِمُونَ﴾ (٧٩)

﴿أَمْ﴾: هل ﴿أَمْرًا﴾: هو إحكام الأمر، مكروا وكادوا ﴿أَمْرًا﴾: كيدًا قال مجاهد: كانوا يكيدون شر كيدٍ ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحد؛ للتعظيم والتوكيد ﴿مُمْرِمُونَ﴾: مُحْكَمُونَ رَدَّ اللَّهُ

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٤٨٧/٢ (٣٦٧٧) وقال: حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرَجَاهُ. ووافقه الذهبي.

﴿وَبَالَ كَيْدَهُمْ بِكَيْدٍ أَكْبَرَ مِنْ كَيْدِهِمْ؛ فَخَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، لَقَدْ دَبَّرُوا الْكَيْدَ لِمُحَمَّدٍ فَأَحْكَمَ اللَّهُ كَيْدَهُ عَلَيْهِمْ﴾.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (٨٠)

﴿أَمْ﴾: هل ﴿يَحْسَبُونَ﴾: هل يظنون أو يعتقدون ﴿أَنَا﴾: هو في اللغة ضمير للجمع المتكلم الحاضر، هنا بمعنى الله ﷻ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿نَسْمَعُ﴾: جاءت بصيغة الجمع لتفيد دقة، وقوة السمع المطلقة ﴿سِرَّهُمْ﴾: هنا قُدِّم السر على النجوى؛ لأنَّ السر هو ما يجري داخلهم، هل يعتقدون إننا لا نعرف ما يكتُمون في أنفسهم، ولا نطلع على نياتهم ﴿و﴾: أيضاً لا نعرف ﴿نَجْوَاهُمْ﴾: ما يتناجون بينهم في العلى ﴿بَلَى﴾: حرف للتصديق بمعنى نعم، حقاً ﴿وَرُسُلْنَا﴾: فإنَّ الملائكة أيضاً ﴿لَدَيْهِمْ﴾: عندهم ﴿يَكْتُبُونَ﴾: يُسجلون أعمال المجرمين؛ كبيرها وصغيرها، يكتبون ما يخوض فيه الإنسان، يكتبون مثقال الذرة من العمل، ولنتفكر قول الحق ﷻ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَغْرِبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس-٦١].

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ (٨١)

﴿قُلْ﴾: أمرٌ رباني لمحمد ﷺ للذين نسبوا لله ﷻ البنات لمشركي قومك الزاعمين أنَّ الملائكة بنات الله ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كَانَ لِ﴾: حرف تملك ﴿الرَّحْمَنِ﴾: لله ﷻ ﴿وَلَدٌ﴾: لو فرض الله ﷻ أن يكون له ولد ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿أَنَا﴾: محمد ﷺ ﴿أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾: أول المؤمنين، وقد جاء اللفظ القرآني "أول" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى أول من آمن من أهل مكة؛ أي سأكون أول من يعبد الله على ذلك؛ فطاعتي له ﷻ في جميع ما يأمرني، وكلِّ الأحوال، لا أستكبر، ولا أعصي؛ فلو فرض هذا لكان هذا؛ لكنّه ممتنع في حقه ﷻ، وقال ابن عباس: إن لم يكن للرحمن ولد؛ فأنا أول الشهداء، وقال قتادة: هي كلمة من كلام العرب؛ أي أنَّ ذلك لم يكن، فلا ينبغي، وقال البيضاوي: فأنا أول الأنفين، وهما لغتان؛ رجل عبّاد، وعبد، والأول

عابد؛ أقرب على أنه شرط وجزاء، ولكنّه ممتنع، ولا يلزم صحة وجود الولد، وعبادته له، قال السدي، وابن جرير: لو كان له ولد؛ كنت أول من عبد الله؛ بأن له ولد، ولكن لا ولد له.

﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٨٢)

﴿سُبْحَانَ﴾: تَعَالَى، وتقدس، وتنزه عن النواقص ﴿رَبِّ﴾: هو المعبود، والمُرَبَّى، وهو المُنْشَى للكون الفسيح من حالٍ إلى حدّ التمام وهو تعالى الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحِيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، فهو خالقٌ ومالكٌ ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها ﴿و﴾: أيضًا هو تعالى ربَّ ﴿الْأَرْضِ﴾: كلُّ الأشياء، تنزه أن يكون له ولد، فكيف يكون له زوجة، وهو ليس كمثلته شيء ﴿رَبِّ الْعَرْشِ﴾: الملك الذي يعلمه ﴿عَمَّا﴾: عن الذي ﴿يَصِفُونَ﴾: عمّا قالوا بشأن الشريك، والصاحبة، والولد..

﴿فَذَرَهُمْ خَوْضًا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ (٨٣)

﴿ف﴾: من أجل ذلك ﴿ذَرَهُمْ﴾: دعهم واترك يا محمد هؤلاء المفترين على الله ﷻ ﴿يَخَوْضُوا﴾: ينغمسوا في غيهم ﴿و﴾: أيضًا ﴿يَلْعَبُوا﴾: يبدلون جهدًا فيما لا ينفع ويفيد في دنياهم ﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يفيد انتهاء الغاية الزمنية بمعنى إلى أن ﴿يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ﴾: حتى يأتيهم يوم القيامة، يوم عذابهم الأبدي في اليوم ﴿الَّذِي يُوعَدُونَ﴾: الذي ينتظرهم، هو مصيرهم، ومآلهم في العذاب الأليم.

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (٨٤)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿هُوَ﴾: الله ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ في اللغة موصولٌ للمفرد، والمقصود هنا هو الواحد الأحد ﷻ ﴿فِي السَّمَاءِ﴾: في كلِّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها كروية الشكل ﴿إِلَهٌ﴾: هو معبودٌ بحقٍ في السماء ﴿وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾: هو معبودُ الذين في الأرض، كلُّهم خاضعٌ له، أدلاء بين يديه ﴿وَهُوَ﴾: ضمير للمفرد، هنا للواحد الأحد ﴿الْحَكِيمُ﴾: الذي أحكم خلقه وأتقن شرعه، صاحب الصواب في أقواله وأفعاله ﴿الْعَلِيمُ﴾: كامل المعرفة بكلِّ ما ومن خلق في السموات السبع، والأرض، وما بينهما.

التكليف: الآية تقرر أنّ الله ﷻ معبودٌ في السماء، ومعبودٌ في الأرض، ومُعظّم غاية التعظيم، ومتنزل له غاية التنزل في الأرض وفي السماء، وهو الحكيم في صنعه وفي تدبيره، العليم بأحوال خلقه ﷻ.

﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
(٨٥)

﴿و﴾: عطفاً على ما جاء ﴿تَبَارَكَ﴾: تزايد خير الله ﷻ وبركاته، استقرت له السلامة من العيوب والنقائص، أعظم وأقدس، وأنزه، الذي له ملك السماوات والأرض ﴿الَّذِي لَهُ﴾: تمليكاً وتخصيصاً ﴿مُلْكُ السَّمَاوَاتِ﴾: كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ السماوات السبع ﴿و﴾: أيضاً له ملك ﴿الْأَرْضِ وَمَا﴾: الذي من الأجرام والكواكب ﴿بَيْنَهُمَا﴾: هو خالقها، ومالكها، والمتصرف فيها جميعاً، بلا مدافعة، ولا ممانعة ﴿وَعِنْدَهُ﴾: حرف زمان ومكان أيضاً له ﴿عِلْمُ السَّاعَةِ﴾: علم يوم القيامة، التي لا يعلم وقتها إلا هو ﷻ ﴿وَإِلَيْهِ﴾: إلى الله ﷻ ﴿تُرْجَعُونَ﴾: كُلكم تعودون ليوم الحساب؛ يوم الجزاء، كلُّ بعمله.

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٨٦)

﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَمْلِكُ﴾: لا يملكون ولا يقدرون ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿يَدْعُونَ﴾: يعبدون ويرجون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: غيره ﷻ هي الأصنام، والأوثان، والأفكار الملحدة، والمنحرفة ﴿الشَّفَاعَةَ﴾: لا يملك هؤلاء أن يطلبوا من الله شفاعة الكافرين ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مَنْ﴾: الذين من جنس العاقل ﴿شَهِدَ بِ﴾: حرف باء المصاحبة، شهادة ﴿الْحَقِّ﴾: شهد وأقرّ بتوحيد الله ﷻ، أي يشفع من شهد بالحق بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر من الله ﷻ ﴿وَهُمْ﴾: تحديداً ﴿يَعْلَمُونَ﴾: يُوقنون يقيناً ثابتاً.

﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٨٧)

﴿و﴾: عطفاً على ما جاء ﴿لَمَّا﴾: حرف شرط ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾: إذا سأل الرسول ﷺ الكفار ﴿مَنْ﴾: حرف استفهام للعاقل ﴿خَلَقَهُمْ﴾: من الذي أوجدهم من أصلاب آبائهم، وأرحام أمهاتهم، من غير سابق وجودٍ ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿يَقُولُنَّ﴾: بالتأكيد ﴿اللَّهُ﴾: يعترفون بالله ﷻ

خالقًا، واحدًا، لا شريك له، ويعبدون معه كثيرًا؛ بجهلٍ وسفاهةٍ ﴿فَأَنَّى﴾: حرفٌ استفهامٌ بمعنى كيف أفاد الاستبعاد ولأبي سبب ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يُصرفون عن عبادة الحق.

﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨)

﴿و﴾: أيضًا عند الله ﷻ علم شكوى رسوله ﷺ ﴿قِيلَهُ يَا رَبِّ إِنَّ﴾: قوله فيها، قال قتادة: قال محمد ﷺ شاكياً إلى الله ﷻ قومه الذين كذبوه ﴿هَؤُلَاءِ﴾: حرفٌ تنبيهٍ وإشارةٍ للبعيد ﴿قَوْمٌ﴾: مجتمع أصحاب مذهبٍ واحدٍ، لا يؤمنون برسالتي واتخذوا القرآن مهجوراً ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: بما يجب أن يؤمنوا به.

﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٨٩)

﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿اصْفَحْ عَنْهُمْ﴾: أعرض يا محمد ﷺ عن المشركين، أمره الله ﷻ أن يقابل صدهم بالصفح قولاً وعملاً، وهي مرتبةٌ أخلاقيةٌ ساميةٌ ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿سَلَامٌ﴾: قل ما تدفع به عنك شرهم، جاء اللفظ القرآني "السلام" على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى الخير كما جاء في قوله ﷻ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان-٦٣]، وفي قوله ﷻ ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود-٦٩]؛ أي أعرض عن الكلام السيئ الذي يقولونه وقل الخير ﴿ف﴾: حرف سبب أنهم ﴿سَوْفَ﴾: كلمةٌ وعدٌ بحدوثٍ شيءٍ في المستقبل ﴿يَعْلَمُونَ﴾: هذا تهديدٌ من الله ﷻ، فعقابهم في الدنيا بذلهم وكسرهم، وإعلاء دينه وكلمته، ثم شرع بعد ذلك الجهاد، حتى يدخل الناس في دين الله أفواجًا، وأصبح الإسلام اليوم يمثل أكثر من ثلث سكان العالم من إندونيسيا شرقاً إلى أمريكا غرباً.

التكليف: بدراسة مقاصد السورة الكريمة؛ تتضح المبادئ الربانية الصحيحة، وضرورة التميز في المجتمع المؤمن عن التصورات الزائفة في المجتمعات الكافرة.



سُمِّيت سورة الدخان بهذا الاسم في المصاحف وفي كتب السنّة؛ ووجه التسمية هو وقوع لفظ الدخان فيها، وسُمّت أيضًا "حم الدخان"، وهي سورة مكّية كلّها في قول الجمهور، ورقمها (٤٦) في عدد نزول السور، نزلت بعد سورة الزخرف، وقبل سورة الجاثية، وعدد آياتها (٥٩) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿حم﴾ (١)

الحرفان ﴿حم﴾: أرى، والله أعلم، أنّهما يدلّان على اسم محمد ﷺ، وما يؤكد هذا ما جاء في السور السابقة، وأيضًا ما جاء في هذه السورة الكريمة، ففي الآية رقم (٢) ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ وهو القرآن الذي نزل على محمد ﷺ، وجاء في الآية (٣) ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾، ولم ينزل القرآن إلّا على محمد ﷺ وأيضًا ما جاء في الآية رقم (٥) ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ وجاء في الآية (٦) ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ والضمير المقصود هو ربّ محمد ﷺ.

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (٢)

﴿و﴾: حرف واو القسم، يقسم الله ﷻ بـ ﴿الْكِتَابِ﴾: القسم يفيد تعظيم القرآن الكريم ﴿الْمُبِينِ﴾: الواضح البين لفظًا ومعنى، وهو ما يحتاج إليه الناس في دينهم ودنياهم.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (٣)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحد؛ للتعظيم والتوكيد ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: جاءت بصيغة الجمع؛ لعظم الحدث؛ إنّنا أنزلنا القرآن الكريم ﴿فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾: ليلة جاءت بصيغة نكرة لتفيد كثرة الخيرات، وعظم ليلة القدر، في شهر رمضان المبارك، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: إِنَّكَ لَتَرَى الرَّجُلَ يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ، وَقَدْ وَقَعَ اسْمُهُ فِي الْمَوْتَى، ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ، إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا﴾

يُفَرِّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، يَعْنِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ يُفَرِّقُ أَمْرَ الدُّنْيَا إِلَى مِثْلِهَا مِنْ قَابِلٍ^(١)،
﴿إِنَّا﴾: نحن بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحدٌ جاءت بهدف التعظيم ﴿كُنَّا﴾: بلا انقطاع
﴿مُنْذِرِينَ﴾: نخوف النَّاسَ مما يضرهم؛ بحسب شريعتي لتكون حجة عليهم؛ ذلك بإرسال الرسل،
وإنزال الكتب؛ لتقوم حجة الله ﷻ على العباد.

﴿فِيهَا يُفَرِّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (٤)

﴿فِيهَا﴾: في ليلة القدر ﴿يُفَرِّقُ﴾: جاءت بصيغة الفعل المضارع لاستحضار الحالة العظيمة
حيث فيها تُقَدَّرُ الآجال للخلق والأرزاق، والسعادة أو التعاسة للبشر، يُفصل من اللوح المحفوظ
إلى الملائكة الكتبة ﴿كُلُّ﴾: تفيد الشمول، وأيضاً هي تفيد الكثرة ﴿أَمْرٍ﴾: جاء لفظُ أمرٍ بصيغة
نكرة؛ ليؤكد على عموم الأمر، أمر السنَّة العام، ما يكون فيها من الآجال، والأرزاق ﴿حَكِيمٍ﴾:
مُحْكَمٌ لَا يُبَدَّلُ.

﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (٥)

﴿أَمْرًا﴾: جاءت منصوبةً على الحال ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء
الغاية المكانية ﴿عِنْدِنَا﴾: ظرف زمان ومكان، لأنه من عند الله، نفصل كلَّ أمرٍ محكمٍ يُقَدَّرُهُ
الله ﷻ، وما يوحي بأمره من عنده ﷻ ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر،
جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحدٌ؛ للتعظيم والتوكيد ﴿كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾: سنرسل
الرسل، وآخرهم محمد ﷺ إلى النَّاسِ، لِيُعَلِّمَهُمْ دِينَهُمْ.

﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦)

﴿رَحْمَةً مِنْ﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية الزمانية والمكانية ﴿رَبِّكَ﴾: هو المُعبود، والمُربي، وهو
منشئ الشيء، كلَّ شيءٍ حالاً فحال إلى حدِّ التمام، وهو سبحانه الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ
الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابِرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيدُ،
فهو بذلك مالك أمرك كله، ﴿إِنَّهُ هُوَ﴾: الله ﷻ ﴿السَّمِيعُ﴾: الذي يسمع ما يجري في الكون؛

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٤٨٧/٢ (٣٦٧٨) وقال: 'صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. قَالَ الذَّهَبِيُّ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.

وتم تقديم السمع لمعرفة معنى المسموعات كما يفعل الكفار بدعاء أصنامهم ﴿الْعَلِيمِ﴾: والذي يعلم بكل شيء يحدث، أو سيحدث في الكون، فقد كتبه في اللوح المحفوظ قبل الخلق.

﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (٧)

﴿رَبِّ﴾: مالك، وموجد، وصاحب ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها كروية الشكل ﴿و﴾: أيضًا كل ما هو فوق ﴿الْأَرْضِ وَمَا﴾: الذي ﴿بَيْنَهُمَا﴾: من النجوم، والأقمار، والهواء، والمخلوقات، وكل خلق ﴿إِنَّ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾: الموضوع هنا ليس للتخيير، فاليقين بالله ﷻ شرط الإيمان؛ ولكن المقصود هنا حث الهمم للتفكير والتدبر كمقدمة للإيمان، حتى تكونوا متحققين، متأكدين، من هذا فأمنوا برسولي؛ إن التشكك في هذه الحقائق تنفي حقيقة الإيمان.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٨)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿إِلَهَ﴾: من يستحق العبادة ﴿أَلَا﴾: حرف استثناء ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكور الله ﷻ، لا معبود سواه ﴿يُحْيِي﴾: هو الذي يُنشئ المخلوقات كلها؛ فيجعلها حيّة ﴿وَيُمِيتُ﴾: وهو أيضًا الذي يكتب الموت على من كتب نهاية أجله ﴿رَبُّكُمْ﴾: مالك كل أمركم ﴿وَرَبُّ آبَائِكُمْ﴾: أجدادكم ﴿الْأَوَّلِينَ﴾: كلّه، ومن سبقكم من البشر.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ (٩)

﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿هُمَّ﴾: ضمير الجمع المذكور، وهي للتخصيص، للمخاطب، وهم الذين ﴿فِي شَكٍّ﴾: ريب وتوجس وعدم يقين من رسالة الرسول ﷺ، وكل ما جاء به من الآيات وأيضًا وعد الآخرة ﴿يَلْعَبُونَ﴾: يتلهون عما جاءهم به، وينصرفون عنه بما يكفرون.

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ (١٠)

﴿ف﴾: والخطاب للنبي ﷺ لهذا السبب ﴿ارْتَقِبْ﴾: والهدف هو التثبيت على الحق؛ انتظر وارقب مجيء عذاب هؤلاء القوم ﴿يَوْمَ﴾: المقصود الزمان الذي قد يشمل أيامًا وشهورًا وسنوات،

أي زمن ظهور ﴿تَأْتِي السَّمَاءُ﴾: يُخَيِّمُ فَوْقَ الْأَرْضِ ﴿بِدُخَانٍ﴾: الدخان هو من الآيات المنتظرة، والمعنى خروج نارٍ من السماء، تُغطي النَّاسَ على الأرض، والدخان هنا يشير إلى النَّارِ؛ انظر لقوله ﷺ ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت- ١١]، قال عليّ ؑ: لم تمض آيةُ الدخان بعد يأخذ المؤمن كهيئة الزكام، وينتفخ الكافر حتى ينفذ ﴿مُبِينٍ﴾: يراه كلُّ النَّاسِ واضحًا، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: أَتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا أَبْطَنُوا عَنِ الْإِسْلَامِ، «فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخَذَتْهُمُ سَنَةٌ حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا، وَأَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْعِظَامَ»، فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ جِئْتُ تَأْمُرُ بِصَلَةِ الرَّجْمِ وَإِنَّ قَوْمَكَ هَلَكُوا، فَادْعُ اللَّهَ، فَقَرَأَ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ ثُمَّ عَادُوا إِلَيَّ كُفْرِهِمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ يَوْمَ بَدْرٍ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَزَادَ أَسْبَاطٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسُقُوا الْعَيْثَ، فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ سَبْعًا، وَشَكَ النَّاسُ كَثْرَةَ الْمَطْرِ، قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالِنَا وَلَا عَلَيْنَا» فَانْحَدَرَتِ السَّحَابَةُ عَنْ رَأْسِهِ، فَسُقُوا النَّاسَ حَوْلَهُمْ^(١).

﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١١)

﴿يَغْشَى﴾: يعمُّ وينتشر على ﴿النَّاسِ﴾: على الجميع، النَّاسُ كلُّ النَّاسِ ﴿هَذَا﴾: اسم إشارةٍ وتنبهه يُقال لهم هنا عن الدخان الذي يخنق ابن آدم، والنَّارُ التي تصيبهم بحرارةٍ شديدةٍ هذا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: شديد الألم؛ قيل هذا للتخويف، وقد يكون بسبب صعوبة التنفس، وضيق الصدر؛ خاصةً على الكافرين، والله أعلم.

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ (١٢)

يومها يقول الكافرون عندما يعاينون العذاب ﴿رَبَّنَا﴾: مالك أمرهم كله ﴿اكْشِفْ﴾: يطلبون من الله ﷻ: أَنْ أَبْعَدَ، وَاصْرَفَ، وَارْفَعَ ﴿عَنَّا﴾: حرف يفيد المجاوزة ﴿الْعَذَابِ﴾: لأننا ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحد؛ للتعظيم والتوكيد ﴿مُؤْمِنُونَ﴾: إذا صرفت عنَّا العذاب سوف تؤمن بك وبرسولك، وقد جاء في

(١) صحيح البخاري ٣٠/٢ (١٠٢٠).

هذا السياق: ﴿وَأُنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّحِبِّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ [إبراهيم-٤٤].

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ (١٣)

﴿أَنَّى﴾: حرفُ استهْمامٍ غرضه البلاغي الإنكار عليهم، يفيد الاستحالة، بمعنى كيف ينفعهم التذكُّر فيتعتظوا فيؤمنوا عند أو بعد نزول العذاب بهم؛ بمعنى كيف ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً ﴿الذِّكْرَى﴾: كيف ستكون لهم ذكراً وتذكراً؛ ويرجعوا ﴿وَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿جَاءَهُمْ﴾: بُعث فيهم رسول ﷺ ﴿مُبِينٌ﴾: واضح الصفات، يعرفون أنه صادق، وبرسالة واضحة، ويشهدون بأمانته عليه السلام.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ (١٤)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يفيد تتابع زمني مع التراخي ﴿تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا عن الإيمان به والتصديق برسالته ﴿عَنْهُ﴾: حرف يفيد المجاوزة ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿قَالُوا﴾: هم الكفار ﴿مُعَلَّمٌ﴾: قالوا عن محمد ﷺ يُعلمه كاهنٌ، وما جاء به ليس وحياً من السماء، وأيضاً قالوا ﴿مَجْنُونٌ﴾: لا يعقل.

﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ (١٥)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحد؛ للتعظيم والتوكيد ﴿كَاشِفُو﴾: سنرفع ﴿الْعَذَابِ قَلِيلًا﴾: لو كشفنا عنكم العذاب، وأرجعناكم إلى الدنيا؛ لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر، والتكذيب، إننا نؤخر العذاب عنكم قليلاً، بعد انعقاد ثبوت أسبابه، ووصوله إليكم ﴿إِنَّكُمْ﴾: هنا التفتت إلى خطاب المشركين؛ أنتم بالتأكيد ﴿عَائِدُونَ﴾: قال قتادة: إنكم عائدون راجعون إلى كفركم، وإنكم عائدون إلى عذاب الله ﷻ.

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ (١٦)

﴿يَوْمَ﴾: جاء اليوم نكرةً للتخويف به، وهذا ما تأكد، أنظرهم يا محمد ﷻ إلى اليوم الذي ﴿نَبْطِشُ﴾: نعاقب ﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾: جاء اللفظ القرآني "البطش" على وجهين؛ هنا بمعنى العقوبة، التي هي تعذيب الكفار العذاب الشديد، كما في قوله ﷻ ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ [القمر-٣٦]، و في قوله ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج-١٢]، قال ابن مسعود: هو

يوم بدرٍ، وقد يكون الأمران فأحدهما تحقق والآخر لا ريب فيه آتٍ، والله أعلم ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحد؛ للتعظيم والتوكيد ﴿مُنْتَقِمُونَ﴾: نجازيهم بما يعذبهم؛ بسبب كفرهم.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ (١٧)

﴿وَلَقَدْ﴾: أيضًا تحقق في الماضي أن ﴿فَتَنَّا﴾: اختبرنا، وامتحنا هنا تشبيهه الابتلاء والاختبار بالفتنة للذين كانوا ﴿قَبْلَهُمْ﴾: المشركين السابقين لهم ﴿قَوْمٌ﴾: قبط مصر، كانوا جماعة من أصلٍ ومذهبٍ واحدٍ ﴿فِرْعَوْنَ﴾: حاكم مصر في عهد موسى ﷺ ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيد الحال ﴿جَاءَهُمْ﴾: أرسلنا لهم ﴿رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾: وهو موسى ﷺ؛ فكذبوه؛ فهلكوا، وهكذا نفعل بأعدائك إن لم يؤمنوا.

﴿أَنْ أَدُوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِيَّيْكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٨)

﴿أَنْ﴾: حرف تصوّر ﴿أَدُوا﴾: هنا استعارة حيث عدّ بني إسرائيل أمانةً عند فرعون ﴿إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾: أرسلوا معي بني إسرائيل؛ ليعبدوا الله ﷻ وحده لا شريك له ﴿إِيَّيْكُمْ﴾: بالتأكيد ﴿أَنْكُمْ﴾: تخصيصًا، قُدِّمت (لكم) على ﴿رَسُولٌ﴾: للاهتمام والعناية والتشويق بالمرسل، وهو مبعوثٌ برسالة الله ﷻ ﴿أَمِينٌ﴾: مؤتمنٌ على ما أبلغكم به، لا أزيد عليه، ولا أنقص منه.

﴿وَأَنْ لَا تَغْلُوا عَلَى اللَّهِ إِيَّيْكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (١٩)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيد الحال ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَغْلُوا﴾: لا تستكبروا ﴿عَلَى اللَّهِ﴾: بتكذيب رسله والابتعاد عن عبادته، وعدم الانقياد لدينه ﷻ ﴿إِيَّيْكُمْ﴾: أنا بالتأكيد ﴿إِيَّيْكُمْ﴾: جنّتكم ﴿بِ﴾: حرف باء الصلة والمصاحبة ﴿سُلْطَانٍ﴾: بحجة وأدلة وبراهين ﴿مُبِينٍ﴾: واضحة؛ هي اليد، والعصا، والدم، والضفادع وغيرها.

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُون﴾ (٢٠)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿عُذْتُ﴾: التجأت، واستعنت بالله ﷻ ﴿بِ﴾: حرف باء الاستعانة ﴿رَبِّي﴾: هو تعالى المُعبود، والمُربي، والمنشئ لكل شيء من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام وهو تعالى الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر

البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد؛ فهو ﷺ مالك أمري كله ﴿و﴾: أيضًا التجأت إلى ﴿رَبِّكُمْ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَرْجُمُونَ﴾: جاء اللفظ القرآني "الرجم" على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى القتل، أن تقتلونني قال ابن عباس: الرجم باللسان؛ أي الشتم، وقال قتادة: الرجم بالحجارة؛ فتسببوا لي ضررًا جسديًا.

﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاغْتَرِلُونِ﴾ (٢١)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿تُؤْمِنُوا لِي﴾: وإن لم تصدقوني على ما جئتمكم به، وإذا بقيتم على كفركم، ولم تؤمنوا برسالتي ﴿ف﴾: بسبب هذا ودون تأخير ﴿اغْتَرِلُونِ﴾: أتركوني وشأني، ولا تتعرضوا لي بسوء؛ وخلصوا سبيلي، وكفوا عن أذاي.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَ لَاءِ قَوْمٍ مُجْرِمُونَ﴾ (٢٢)

﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿رَبَّهُ﴾: الله ﷻ المالك المتصرف في أمره كله ﴿أَنْ﴾: حرف يفيد التأكيد ونفي الإنكار والشك قائلًا ﴿هُوَ لَاءِ قَوْمٍ﴾: فرعون وقومه ﴿مُجْرِمُونَ﴾: يرتكبون جرائم القتل، والتعذيب، ويستحقون تعجيل العقوبة، فجاء الأمر من الله ﷻ.

﴿فَأَسْرَ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ (٢٣)

﴿ف﴾: حرف سبب، وتفيدُ التتابع السريع ﴿أَسْرَ﴾: غادر مصر، والإسراء هو المشي ليلاً ﴿بِعِبَادِي لَيْلًا﴾: والمؤمنين معك ليلاً في اتجاه البحر واعلم ﴿إِنَّكُمْ﴾: أنتم بالتأكيد؛ واعلم ﴿مُتَّبِعُونَ﴾: أن فرعون سيحاول اللحاق بكم.

﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ (٢٤)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿أَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾: اتركه ساكنًا كهيئته، وعلى حاله؛ فبعد أن ضرب موسى ﷺ، البحر بعصاه؛ انقلب البحر، ودخل بنو إسرائيل سيناء؛ فأراد موسى أن يضرب البحر؛ ليعود كما كان؛ فقال الله ﷻ له: اتركه حتى يدخله فرعون وجنوده ﴿إِنَّهُمْ﴾: بكل تأكيد ﴿جُنْدٌ﴾: جيش فرعون ﴿مُغْرَقُونَ﴾: لقد كتب الله ﷻ عليهم الغرق جميعًا.

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونٍ﴾ (٢٥)

﴿كَمْ﴾: استفهامٌ غرضه التحسر والندامة؛ تفيد الرثاء والأسى للعبرة والاتعاظ لمن بقي خلفهم حيناً ﴿تَرَكُوا﴾: خلفهم في مصر ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية هنا هي ﴿جَنَّاتٍ﴾: البساتين والمزارع ﴿و﴾: أيضاً تركوا خلفهم ﴿عَيْونٍ﴾: الأنهار مصادر الماء، وأهمها نهر النيل، والعيون عذبة المياه.

﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ (٢٦)

﴿و﴾: أيضاً تركوا ﴿زُرُوعٍ﴾: مزارع وحقول بثمارها ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: جاء اللفظ القرآني "مقام" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى المساكن الحسنة، والبيوت المريحة، والمجالس الفاخرة.

﴿وَنِعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ (٢٧)

﴿و﴾: أيضاً تركوا ﴿نِعْمَةٍ﴾: رغد العيش، حياة التمتع التي ﴿كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾: يتنعمون يتفكحون فيها؛ المأكل، والمشرب، والمال، والسلطان.

﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ﴾ (٢٨)

﴿كَذَلِكَ﴾: هكذا ذهبوا كما وصفناها لكم، ذهبوا في ليلةٍ واحدة ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿أَوْرَثْنَاهَا﴾: هنا تشبيهٌ بليغٌ بعاقبة الظالمين المخدوعين بما هم فيه من النعيم الذي أنساهم شكر المنعم ومراقبته فيما يأمر به؛ فأورثها الله ﷻ ﴿قَوْمًا آخِرِينَ﴾: هم بنو إسرائيل؛ قال ﷺ: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء-٥٩].

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ (٢٩)

﴿فَمَا﴾: حرفٌ يُفيد الخبر ﴿بَكَتْ﴾: دليلٌ حزنٍ ﴿عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ﴾: كلُّ ما علا الأرض، وأحاطَ بها؛ لكونها كروية الشكل ﴿و﴾: أيضاً لا بكت عليهم ﴿الْأَرْضُ﴾: والمعنى لم يحزن لهلاكهم ما في السماء وما على الأرض من الخلق، وهذا أسلوب تحقيرٍ وتهكمٍ بحالهم. ولقد ذهب فرعون وقومه وليس لهم كلامٌ ولا عملٌ طيبٌ؛ يبكي عليه من في السماء ومن في الأرض، وقال عليٌّ ﷺ: إنَّه ليس من عبدٍ إلا له مُصلَى في الأرض، ومصعد عمله من السماء، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ قَالَ: «يَقْدُ الْمُؤْمِنِ

أَرْبَعِينَ صَبَاحًا»^(١)، وقال سفيان الثوري: تبكي الأرض على المؤمن أربعين صباحًا، وقال مجاهد: ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحًا، وما للأرض لا تبكي على عبدٍ كان يعمرها بالركوع والسجود، وما للسماء لا تبكي على عبدٍ كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل ﴿و﴾: عطفاً على ما جاء ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿مُنْظَرِينَ﴾: مؤجلين؛ لم يؤجل الله ﷻ عذابهم حتى يتوبوا.

التكليف: هنا نمط الاستعارة المكنية، حيث شبه الله ﷻ السماء والأرض بالإنسان الذي يبكي، وحذف المُشبه به وهو الإنسان، وأبقى على صفةٍ من صفاته وهي البكاء، فلا السماء ولا الأرض تبكي عليهم لهوانهم على الله ﷻ بسبب كفرهم.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (٣٠)

﴿وَلَقَدْ﴾: إخبارٌ عما حدث في الماضي ﴿نَجَّيْنَا﴾: أنقذ الله ﷻ ﴿بَنِي﴾: أبناء ﴿إِسْرَائِيلَ﴾: يعقوب عليه السلام ﴿مِنَ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية ﴿الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾: من بطش فرعون، الذي كان يقتل المواليد من بني إسرائيل في عامٍ، ويستخدم مواليد العام التالي في السخرة والعذاب، ويُبقي على نسائهم خادמות للقبط، في عذابٍ مذلٍ، وامتهانٍ للمحرمات.

﴿مَنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣١)

كانت نجاه بني إسرائيل ﴿مَنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿فِرْعَوْنَ﴾: ملك مصر في عهد موسى عليه السلام ﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد فرعون ﴿كَانَ عَلِيًّا﴾: مُستكبرًا، جبارًا، عنيفًا، بلا شفقةٍ، ولا رحمةٍ ﴿مِنَ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿الْمُسْرِفِينَ﴾: المجاوزين لم يقل ﷻ مسرفًا، بل قال من المُبالغين في العلو والتكبر مبالغًا في معصية الله ﷻ، ومن المُبالغين في إيذاء بني إسرائيل؛ هم سخيْفُ الرأي والفكر على نفسه، وهذا حال كلِّ فرعون في مصر أو غيرها في كلِّ زمان.

التكليف: لا تزال الأمم تعيش حالة فرعون كلِّ زمانٍ؛ حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَا هُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٢)

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٤٨٧/٢ (٣٦٧٩). وقال: صحیح الإسناد ولم یخرجاه. ووافقه الذهبي.

﴿وَلَقَدْ﴾: إخبارٌ عمّا حدث في الماضي ﴿اخْتَرْنَاَهُمْ﴾: اصطفيناهم وفضلناهم، والمقصود أبناء يعقوب عليه السلام، على غيرهم لهذه المهمة، وكان هذا ممّا ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾: قال مجاهد: على علم ممن هم بين ظهريه؛ أي من هم في زمانهم، وقال قتادة: اختيروا على أهل زمانهم؛ فقد اختار مريم على نساء العالمين ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران-٤٢]؛ أي نساء زمانها؛ لأنّ خديجة رضي الله عنها أفضلُ أو مساويةٌ لها، كما أنّ آسيا زوجة فرعون، وفضل عائشة كفضل الشريد على سائر الطعام ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: الأمم الأخرى الجاهلة، إنّ أكثر من ثلثي سكان العالم اليوم غير مسلمين، ومذهب فرعون قائم تحت مسميات الديمقراطية والدكتاتورية والعلمانية وغيرها من المُسمّيات.

﴿وَأَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ (٣٣)

﴿و﴾: أيضًا ﴿آتَيْنَاهُمْ﴾: أعطيناهم ووهبنا لهم ﴿مِّن﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿الآيَاتِ﴾: المعجزات الحُجج، والبراهين، والأدلة جاءت على يد موسى عليه السلام ﴿مَا﴾: الذي ﴿فِيهِ بَلَاءٌ﴾: اختبارٌ بالرخاء وبالشدّة ﴿مُبِينٌ﴾: واضحٌ لمن يهتدي به.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ﴾ (٣٤)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿هَؤُلَاءِ﴾: حرف تنبيه وإشارة هنا للقريب، للكفار المشركين من قومك أيها الرسول ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿يَقُولُونَ﴾: يُنكرون البعث، ويقولون:

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ (٣٥)

﴿إِنْ﴾: ما ﴿هِيَ إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ﴾: والأخيرة ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿نَحْنُ﴾: ضمير رفع منفصل يفيد هنا الجمع من الناس، تحديداً ﴿ب﴾: حرف باء الحال ﴿مُنشَرِينَ﴾: لن نُبعث من القبور، ولا يوجد معادٍ، ولا ثوابٍ، ولا عقابٍ.

﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣٦)

﴿ف﴾: حرف يفيد جواب الشرط ولجأوا إلى طلب المعجزات؛ لهذا السبب قالوا ﴿أَتُوا﴾: أرجعوا وهاتوا لنا ﴿بِآبَائِنَا﴾: طلب الكفار تعجيزاً؛ عودة من مات من آبائهم وأجدادهم أن يعودوا للحياة مرّةً أخرى ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُمْ﴾: أنتم ﴿صَادِقِينَ﴾: هذا طلبٌ تعجيزٍ؛ لتبرير الكفر.

التكليف: ولأن الرجعة الموعودة ستكون يوم القيامة، بعد انقضاء الدنيا وذهابها، يوم يُعيد الله ﷻ العالمين خلقًا آخرًا، ويجعل المجرمين في نار جهنم. ويضرب الله ﷻ لهم مثلًا بالسابقين.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَا هُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (٣٧)

﴿أ﴾: حرف استفهام تقريرى؛ بغرض الإنكار عليهم، والتحقير، والتصغير، هل ﴿هُم﴾: ضميرٌ للجمع المذكر الغائب، المشركون المكذِّبون بك يا محمد ﷺ ﴿خَيْرٌ﴾: أكثر نفعًا وفائدة، وقوة ومنعة ﴿أَمْ﴾: أو للمفاضلة ﴿قَوْمٌ تُبِعَ﴾: وهم أهل سبأ في اليمن ﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الزمانيَّة ﴿قَبْلِهِمْ﴾: أقوام الأنبياء نوح، وهود، وصالح، وغيرهم، عليهم السلام ﴿أَهْلَكْنَا هُمْ﴾: هلاكًا كبيرًا، تذلُّ عليه صيغة الجمع لله عزَّ وجلَّ؛ خرب بيوتهم، وممالكهم، وشردهم؛ بسبب ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد الرباني ﴿كَانُوا﴾: في الدنيا ﴿مُجْرِمِينَ﴾: كافرين أصحاب الصفات الرذيلة.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِاعْبِينَ﴾ (٣٨)

﴿وَمَا﴾: حرف نهي هدفه التوبيخ ﴿خَلَقْنَا﴾: أوجدنا من غير سابق وجود ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها ببيضاويَّة الشكل ﴿وَالْأَرْضَ﴾: أيضًا كان خلق الأرض لغايةٍ أرادها ﷻ، فأوجدها من عدم ﴿وَمَا﴾: خلق الذي ﴿بَيْنَهُمَا﴾: من بشرٍ على الأرض، وملائكة في السماء، وأقمارٍ، ونجومٍ، وكواكبٍ، هل كتنا بهذا الخلق ﴿لِاعْبِينَ﴾: إنهم لم يُخلقوا عبثًا، ولهواً باطلاً، ولعباً.

﴿مَا خَلَقْنَا هُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٩)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿خَلَقْنَا هُمَا﴾: أوجدناهما من غير سابق مثال ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ ﴿ب﴾: باء الصلة والمصاحبة ﴿الْحَقِّ﴾: صدقًا وعدلًا؛ لغايةٍ وحكمةٍ أرادها الله ﷻ، يُعمر كلُّ خلقٍ عالمهم، أو يفسدونه ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿لَكِنَّ﴾: حرف عطف واستدراك ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: غالبيتهم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُونَ﴾: أغلب الذين لا يؤمنون لا يعلمون؛ لأنهم لا يتفكرون، ولا يتدبرون؛ فيصدُّهم جهلهم عن الإيمان.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٠)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿يَوْمَ الْفُصْلِ﴾: يوم القيامة؛ يوم يفصل الله ﷻ بين الخلائق بالعدل؛ فيثيب من آمن، ويُعَذِّب من كفر ﴿مِيقَاتُهُمْ﴾: موعدٌ لا يتخلف عنه ﴿أَجْمَعِينَ﴾: كلمةٌ تفيد الإحاطة والشمول، تشمل المكان والزمان معاً؛ هو يوم يحشرُ الله ﷻ أول الخلق وآخرهم؛ يوم الحساب العظيم، يوم لا يفلت أحدٌ من عذابه المحتوم.

﴿يَوْمٌ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٤١)

﴿يَوْمٌ﴾: القيامة ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُغْنِي﴾: لا ينفع ولا يدفع ﴿مَوْلَى﴾: الوليُّ هو القريبُ، والمُحِبُّ، والمُنَاصِرُ، والمُؤَيِّدُ ﴿عَنْ مَوْلَى﴾: جاء اللفظ القرآني "الولي" على أحد عشر وجهًا؛ هنا بمعنى القريب كما جاءت أيضًا في قوله ﷻ ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصَرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى-٤٦]؛ حيث لا يسأل الأخُ منهم أخاه، وهو يراه ﴿شَيْئًا﴾: جاءت بصيغة نكرة هنا للتقليل، وهي تفيد العموم ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المذكور، وهي للتخصيص، وتحديدًا ﴿يُنصَرُونَ﴾: لا يُنصِرُ أحدٌ من بطش الله ﷻ لهم.

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٢)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿رَحِمَ اللَّهُ﴾: هذا يومٌ لا تنفع فيه إلا رحمةُ الله ﷻ ﴿إِنَّهُ﴾: ﷻ ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكور ﴿الْعَزِيزُ﴾: المنيع الذي لا يغالبه أحدٌ، العزيزُ في ذاته ﴿الرَّحِيمُ﴾: عظيمٌ وواسعُ الرحمةِ بخلقه.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾ (٤٣)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد وقوع الفعل ﴿شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾: هي شجرةٌ في أصلٍ جهنمٍ؛ للدلالة على وقوع العذاب بالكافرين، وفي تقديم شجرة الزقوم على طعام الأثيم زيادةً في التوبيخ لهم، وجاء في تفسير أبي القاسم الكعبي البلخي "الشجرة الملعونة في القرآن يجوز أن يكون المراد بها الكفار، وفي تفسير أبي بكر الأصم "الشجرة الملعونة في القرآن هي اليهود"، وبهذا قال الماوردي في تفسيره "النكت والعيون": الشجرة الملعونة في القرآن إنها اليهود، وإن الشجرة كناية عن المرأة،

والجماعة أولاد المرأة؛ كالأغصان للشجرة، والناس في حياتهم يستخدمون كلمة "شجرة" للتعبير عن النسل والتفرغ.

﴿طَعَامُ الْأَيْمِ﴾ (٤٤)

﴿طَعَامٌ﴾: يأكله فقط ﴿الْأَيْمِ﴾: الذي ارتكب الآثام الكبيرة، والإثم هو ما لا يحلّ عمله، وقيل هو الكافر، وقيل إنّه أبو جهل، ولكنّ الآية عامّة، و أبو جهل داخلهم، وقال أبو الدرداء: طعام الفاجر، وقال مجاهد: لو وقعت قطرة منها في الأرض؛ لأفسدت على أهل الأرض معاشهم.

﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ (٤٥)

﴿ك﴾: مثل أو حال ﴿المُهْلِ﴾: عكر الزيت المغلي، أو الزيت الأسود، كالزفت المغلي ﴿يَغْلِي﴾: يفور من شدّة الحرارة ﴿فِي الْبُطُونِ﴾: في بطن إنسانٍ من شدّة الحرارة وتشبيهاً له.

﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ (٤٦)

﴿ك﴾: مثل أو كحال ﴿غَلِي﴾: كما يغلي من شدّة ما يُوقد تحته ﴿الْحَمِيمِ﴾: وقيل الماء المغلي في درجة حرارة عالية، وقيل كالحديد الذائب المصهور، الذي يغلي بفعل درجة الحرارة العالية جداً.

﴿خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ (٤٧)

﴿خُذُوهُ﴾: هو أمر ربّاني لأخذ الكافر، بعنفٍ وشدّةٍ ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب ﴿اعْتَلُوهُ﴾: العتل تعني القود والسوق بعنفٍ وشدّةٍ؛ خذوه سحباً، ودفعاً في ظهره ﴿إِلَى سَوَاءِ﴾: اللفظ القرآني "سواء" هنا بمعنى وسط ﴿الْجَحِيمِ﴾: النَّار.

﴿ثُمَّ ضَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ (٤٨)

يضرب الملك رأس الكافر بمقرعةٍ من حديدٍ؛ فتفتح دماغه ﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يفيدُ تتابعاً مع تراخٍ زمنيٍّ؛ لمزيد من التعذيب ﴿ضَبُّوا﴾: هنا تشبيه العذاب وهو أمرٌ معنوي بالطعام المادي لاستشعار العذاب، أسيلوا ﴿فَوْقَ رَأْسِهِ﴾: رأس الكافر وهذا يعني أن كل جسم الانسان سيصاب ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾: فينزل الماء الحارّ على رأسه، بحرارة جهنّم، فيذيب ما في بطنه؛ حتى تمر من كعبيه، والعياذ بالله

﴿عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَتَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ [الحج-١٩] فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُءُوسِهِمْ فَيَنْفُذُ الْجُمْجُمَةَ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ فَيَسْلُتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يُمَزَّقَ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ»^(١).

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (٤٩)

﴿ذُقْ﴾: أمر؛ قولوا له إهانةً وتحقيرًا، شُبّه العذاب بالطعام: ذق، من الذوق؛ ليستشعر ويحس بالعذاب الذي سيصيبه؛ بمعرفة نوع الطعام والشراب، المقصود عليك أن تعاني اليوم هذا العذاب ﴿إِنَّكَ﴾: أنت بالتأكيد كنت تعدّ نفسك في الدنيا ﴿أَنْتَ﴾: تحديدًا ﴿الْعَزِيزُ﴾: كنت تظن أنه لا يغالبك أحدٌ ﴿الْكَرِيمُ﴾: وكنت تظن أنك الذي لا يُعتدي على مقامك أحدًا، جاء اللفظ القرآني "الكريم" على ستة أوجه؛ هنا بمعنى المدّعي المُتَكْرِم؛ فعن ابنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمُنْبَرِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، وَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ هَكَذَا بِيَدِهِ، وَيُحَرِّكُهَا، يُقْبِلُ بِهَا وَيُدْبِرُ: يُمَجِّدُ الرَّبَّ نَفْسَهُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْعَزِيزُ، أَنَا الْكَرِيمُ فَرَجَفَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمُنْبَرُ حَتَّى قُلْنَا: لَيُخَرَّنَ بِهِ^(٢).

التكليف: كان أبو جهل يقول: ما بين جبليّ مكّة من أعزّ وأكرم منّي.

﴿إِنْ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ (٥٠)

﴿إِنْ﴾: حرفٌ يفيد هنا تأكيد القول ﴿هَذَا﴾: حرف تنبيه وإشارة للذي تعيشه يوم القيامة من العذاب ﴿مَا﴾: هو الذي ﴿كُنْتُمْ بِهِ﴾: في حياتكم الدنيا ﴿تمترون﴾: تتجادلون وتختصمون وما كنتم تشكّون في وقوعه، وبه تُكذّبون، قال ﷺ: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور-١٥].

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ (٥١)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الْمُتَّقِينَ﴾: الذين عبدوا الله ﷻ بإدراكٍ ووعي؛ طمعًا في جنّته، وخوفًا من عذابه، الذي جاء في الآيات السابقة ﴿فِي مَقَامٍ﴾: جاء اللفظ القرآني

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٤١٩/٢ (٣٤٥٨) وقال: حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ.

(٢) مسند أحمد ٣٠٤/٩ (٥٤١٤)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

"مقام" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى المساكن كما جاءت بنفس المعنى في قوله ﷺ ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان-٢٦] ﴿أَمِينٍ﴾: لا يلحقهم فيها خوفٌ، هنا استعارة؛ لأنَّ المكان المخيف كأنما يخون صاحبه؛ بما يسبب له من الضرر والمكروه، هم في منأى عن هذا؛ فهم في الجنة حيث أمنوا فيها من نقص الغذاء والماء، وأمنوا من الموت، ومن الخروج منها، اليوم لا تعب، ولا جزع، وأمنوا من الشيطان وكيده.

﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (٥٢)

﴿فِي جَنَّاتٍ﴾: نعيم الجنّات، وليست جنّة واحدة ﴿و﴾: أيضًا عندهم ﴿عُيُونٍ﴾: مصادر مياهٍ للشربٍ جارية، بهذا توفرت وسائل الحياة الطعام، والشراب.

﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (٥٣)

﴿يَلْبَسُونَ﴾: تكون ثيابهم ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز النوع، ويفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿سُندُسٍ﴾: المصنوع من رفيع الحرير، مثل القمصان ﴿و﴾: أيضًا يلبسون من ﴿إِسْتَبْرَقٍ﴾: ما فيه بريقٌ، ولمعانٌ، كالريش، وما يزيّن أعالي القماش، وقيل ما رقّ من الديباج، وما غلظ منه ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾: يواجهون بعضهم بعضًا، لا يدير أحدٌ ظهره للآخر، كنايةً عن الحبّ والأنس والمسامرة وكلّ وسائل العيش الكريم.

﴿كَذَلِكَ زَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ (٥٤)

﴿كَذَلِكَ﴾: هكذا كما أكرمناهم وأعطيناهم في الآخرة الكرامات وأدخلناهم الجنّات، وألبسناهم السندس والإستبرق، ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال؛ أيضًا أكرمناهم بأنَّ ﴿زَوَّجْنَاهُمْ﴾: بالحصان من النساء ﴿بِحُورٍ﴾: جمع حوراء ﴿عِينٍ﴾: ذات عيونٍ واسعات، الأبيض فيها شديد البياض، والأسود منها شديد السواد؛ زيادةً في الحسن والجمال، وهي ما ميّز حُسن وجمال يوسف ﷺ في الدنيا؛ عن أنسٍ بنش مالكٍ، عن النبيّ ﷺ: ﴿وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا﴾^(١).

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ (٥٥)

(١) صحيح البخاري ١٧/٤ (٢٧٩٦).

﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾: يطلبون ممن يخدمونهم أي شيء من أنواع الثمار، والنعيم، يُحضر لهم ﴿ب﴾: حرف باء الصلة ﴿كُلِّ﴾: بمعنى جميع؛ دلالة على الكفرة والتنوع ﴿فَأَكِهَةِ آمِنِينَ﴾: لا يخشون انقطاعه.

﴿لَا يَدْعُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٥٦)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَدْعُونَ﴾ والذوق هو فقط للطعام، وكإشارة إلى أن كل أدوات الحواس الجلد والشم وغيرها ﴿فِيهَا﴾: في الجنة ﴿الْمَوْتَ﴾: فالحياة هنا بلا موت ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾: الموت في الحياة الدنيا، بعدها لا يموتون أبداً، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَهُ، يَأْهُلُ النَّارِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَهُ، فَيَذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [مريم-٣٩]، وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم-٣٩] (١). ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال، عطفًا على ما سبق ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ مع هذا النعيم العظيم المقيم قد وقاهم، وحفظهم، وسلّمهم، ونجّاهم، من العذاب الأليم في دركات الجحيم، فحصل لهم المطلوب، ونجّاهم من المرهوب.

﴿فَضَلًّا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٥٧)

﴿فَضَلًّا﴾: تكررًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الكلية ﴿رَبِّكَ﴾: هو المعبود، والمُربي، الخالق، والمالك، والعاطي، وكثير الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابر لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فهو بذلك مالك أمرك كله، هذا من فضل الله ﷻ؛ الزحزحة عن النار، ودخول الجنة ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد الذي ورد في الآيات السابقة ﴿هُوَ الْفَوْزُ﴾: النجاح ﴿الْعَظِيمُ﴾: فوز الآخرة.

(١) صحيح البخاري ٩٣/٦ (٤٧٣٠).

التكليف: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْتَ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلِ^(١).

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٥٨)

﴿فَإِنَّمَا﴾: أداة حصرٍ مُركبةٍ تُفيد تحديداً وتخصيصاً ﴿يَسَّرْنَاهُ﴾: جعلنا القرآن الكريم سهلاً ﴿ب﴾: حرف باء الالتصاق ﴿بِلسَانِكَ﴾: لغتك العربية؛ أفصح اللغات، وأغناها، وأعلاها ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: وتعني التعليل وتفيد التحقق إذا جاءت من الله ﷻ، وتفيد الترجي إذا جاءت من البشر ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾: تبقى في ذاكرتهم يفهمون، رغم توضيح النبي ﷺ الكامل لمعانيه؛ قابله بالشك والاستهزاء.

﴿فَازْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ (٥٩)

﴿ف﴾: حرفٌ يفيد هنا السبب بهدف ترتيب الأمر ﴿ازْتَقِبْ﴾: جاءت للتهكم من المعاندين الذين سيصيبهم نصرك، فانتظر هلاكهم ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد مثلك ﴿مُرْتَقِبُونَ﴾: ينتظرون هلاكك، وهلاك المؤمنين، والنتيجة أنهم سيعلمون من المنتصر، ومن صاحب الكلمة العليا في الدنيا والآخرة، إنها لك وإخوانك النبيين، والمرسلين، ومن اتبعكم من المؤمنين فقد: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة-٢١].

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ ندرك أهمية الإنذار المبكر بالعذاب للمستحقين.



سورة الجاثية سميت بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير، وتسمى أيضاً "حم الجاثية" وتسمى سورة "شريعة" وتسمى سورة "الدهر"، وهي من السور المكية بلا خلاف، وترتيبها (٦٥) في نزول السور، نزلت بعد سورة الدخان، وقبل سورة الأحقاف، وعدد آياتها (٣٧) عند أهل الكوفة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

(١) صحيح مسلم ٤/٢١٧٠ (٢٨١٦).

﴿حَم﴾ (١)

اعتمادًا على ما يقوله علماء النحو والبلاغة إن الضمائر في الكلام الأصل أن تعود على متقدم في اللفظ والرتبة، ولا تعود على متأخر في اللفظ والرتبة، بمعنى ما هو الاسم الذي سبق؛ أي على ما أو مَنْ يعود الضمير، فالحرفان ﴿حَم﴾: أرى، والله أعلم، أنهما حرفان يُدلّان على اسم محمد ﷺ؛ ويؤكد هذا ما جاء في العديد من السور السابقة، وأيضًا ما جاء هنا، ففي الآية رقم (٢) ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾، وهو القرآن الكريم، الذي نزل على محمد ﷺ، وأيضًا ما جاء في الآية رقم (٦) ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾، والضمير "عليك" يعود على سيدنا محمد، أي نتلوها عليك يا محمد ﷺ.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (٢)

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾: من فضل الله ﷻ أنه أنزل القرآن الكريم، على أشرف خلق الله، محمد بن عبد الله ﷺ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية ﴿اللَّهُ الْعَزِيزِ﴾: جاء هذا الاسم بالذات دون الاسماء الحسنى بمعنى ما نزل منه مناسب لعزته الذي لا يغالبه أحد، صاحب العزة التي لا ترام ﴿الْحَكِيمِ﴾: المناسب لحكمته ﷻ، لأنه يشتمل على أدلة يقينية وحقيقية، فهو ﷻ صاحب الصواب المطلق، في أفعاله وأقواله.

﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها بيضاوية الشكل، إن خلق السموات وما فيها من أقمار، ونجوم، وكواكب، استطاع علماء الفلك أن يكتشفوا عظمة بعضها، في نسقٍ مبدعٍ وعظيمٍ ﴿و﴾: أيضًا في خلق ﴿الْأَرْضِ﴾: التي تدورُ بإتقانٍ بديعٍ وما عليها من أنهار، وجبال، وزرع؛ ومن النعم ما لا تُعدّ، ولا تُحصى ﴿ل﴾: حرف تأكيد ﴿آيَاتٍ﴾: إن في السماوات السبع وفي الأرض التي يخرج منها الماء وتنتبت الزرع، وما فيها من كنوز معدنية عظيمة وغيرها من النعم براهين وشواهد آياتٍ قاطعةً دالةً تؤكد على عظمةٍ وقدرةٍ خالقها. الدواب، والطير، والوحوش، والحشرات، والبحار، والأنهار، ودورة المياه على الأرض، وتعاقب الليل والنهار، والفصول آيات ﴿ل﴾: حرف تخصيص، وتمليك

﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: المصدّقين المطمئنة قلوبهم بصدقِ بالله ﷻ، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٤)

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾: أيها الناس، وفي قصّة خلقِ آدم من تراب، لا حياة فيه، فيصيرُ رجلاً، يأكل، ويشرب، ويمشي، ثم خلق الله ﷻ منه حواء لتكون زوجةً بلا أم، وخلق عيسى ﷺ، من أمٍ بلا أب، ثم تتاسل أبناءُ آدم الرجل والأنثى، وتكوين الجنين؛ من حيوانٍ منويٍّ، وبويضةٍ، والحياة داخل الرحم، وكيفية الخروج، والرضاعة؛ كلّها آيات، براهين قاطعة ﴿وَمَا﴾: أيضاً الذي ﴿يَبُتُّ﴾: ينشر، جاءت بصيغة المضارع لتفيد الاستمرار والتجدد ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيان وتمييز النوع ﴿دَابَّةٍ﴾: كلُّ ما يدبُّ وتفرّق على الأرض ﴿آيَاتٍ﴾: أدلّة وبراهين ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿قَوْمٍ﴾: أمةٍ من مصدرٍ واحدٍ أو على عقيدةٍ واحدةٍ ﴿يُوقِنُونَ﴾: إن اليقين التصديق التام لا يأتي إلا بعد الإيمان الصادق.

﴿وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيْفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٥)

﴿وَ﴾: أيضاً في ﴿إِخْتِلَافِ﴾: تعاقب ﴿اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: عندما تغيب الشمس، بسبب دوران الأرض حول الشمس، ودوران الشمس حول نفسها، في تناسقٍ بديعٍ ﴿وَمَا﴾: الذي ﴿أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ﴾: حرفٌ يُفيدُ بداية الغاية المكانية ﴿السَّمَاءِ﴾: هي كلّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها كروية الشكل ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿رِزْقٍ﴾: عبّر الله ﷻ عن الماء النازل من السماء بالرزق؛ لأنه السبب في نمو النبات وشرب الإنسان والحيوان، والطيور، والبهائم حيث يتبخر الماء من سطح البحار، والمحيطات، ويتكون في سُحبٍ، ثم يُساق إلى الأرض الميتة ﴿فِ﴾: بهذا السبب ﴿أَحْيَا﴾: أنبت ﴿بِهِ﴾: بالماء ﴿الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: بعد يبسها، يخرج النبات، والزرع، والأشجار، ويُحيي الذي يعيش على الأرض، وتُحي الأرض بحياة الطيور، والحيوانات، والوحوش ﴿وَتَصْرِيْفِ الرِّيَّاحِ﴾: توزيعها، وتنوعها، فهذه جنوبية، وهذه شمالية، وهذه برية، وهذه بحرية، وهذه ليلية، وهذه نهائية، ومنها الماطر،

ومنها الناقل للقاح، ومنها ما يدخل صدور الإنسان، والحيوان، والطير ﴿آيَاتٌ﴾: براهين وأدلة قاطعة ﴿ل﴾: تخصيصاً ﴿قَوْمٌ﴾: جماعة من أصل واحد، وأصحاب عقيدة واحدة ﴿يَعْقِلُونَ﴾: وهذا أرقى درجات، وأشرف مراتب الإيمان، لآيات المؤمنين؛ الذين يقودهم التفكير إلى مرتبة اليقين ثم يكون ذلك ارتقاءً لمرتبة يعقلون؛ اللهم اجعلنا منهم.

﴿تَكَ آيَاتِ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦)

﴿تَكَ﴾: إشارة للمؤثت البعيد، وهي الآيات العظيمة التي ورد ذكرها ﴿آيَاتِ اللَّهِ﴾: هذه الآيات والبراهين العظيمة المذكورة هي حجج الله ﷻ وبراهينه؛ أدلة، وشواهد، وبراهين، وسور القرآن وآياته ﴿نَتْلُوهَا﴾: أوحيناها إليك أيها الرسول نقلها جبريل ﷺ ﴿عَلَيْكَ بِ﴾: حرف المصاحبة والصلة ﴿الْحَقِّ﴾: إليك من الحق ﷻ بالحق، ونحن مُحَقِّقُونَ صادقون فيما ننزله عليك من القرآن الذي تتلو ﴿فَبِأَيِّ﴾: حرف استفهام واستنكار، بمعنى أي واحدة ﴿حَدِيثٍ بَعْدَ﴾: حديث ﴿اللَّهِ وَآيَاتِهِ﴾: براهينه ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: الله ﷻ أصدق الصادقين، فإن لم يصدقوه فمن يُصدقون؟ إذا كانوا لا يؤمنون بالقرآن، وآياته الواضحة؛ فبأي حديث بعد ذلك يُصدقون؟

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (٧)

﴿وَيْلٌ﴾: هو وادٍ في جهنم، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «الْوَيْلُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ يَهْوِي فِيهِ الْكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ، وَالصَّعُودُ جَبَلٌ فِي النَّارِ فَيَنْصَعِدُ فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا، ثُمَّ يَهْوِي وَهُوَ كَذَلِكَ»^(١)، ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿كُلِّ﴾: تفيد جميع جنس ومنهج ﴿أَفَّاكٍ﴾: جاءت على وزن صيغة المبالغة فعّال؛ هو الكذاب الأشر، الذي يقول بأشد أنواع الكذب على الله ﷻ؛ كثير المعاصي ﴿أَثِيمٍ﴾: الذي يرتكب كثيرًا من الإثم، بقلبه، ولسانه، ويعمل الحرام.

﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرَةً بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٨)

﴿يَسْمَعُ﴾: يعرف معرفة السامع ﴿آيَاتِ﴾: الأدلة القاطعة المقنعة ﴿اللَّهُ تُتْلَىٰ﴾: تُقرأ ﴿عَلَيْهِ﴾: كلمات القرآن الكريم، ويسمعها ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني مع التراخي ﴿يُصِرُّ﴾: يعقد

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٥٥١/٢ (٣٨٧٣) وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. ووافقه الذهبي.

ويُصمّم ويعزم على كُفْره، واستكباره، وعناده ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾: متعاليًا في نفسه، وينشد الكبر والتعالي على غيره ﴿ك﴾: حرفٌ يفيد تشبيهه ومثل وحال ﴿أَنَّ﴾: حرفٌ يُفيدُ التقريب والتشكيك ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَسْمَعَهَا﴾: كأنه لم يتكلم أحدٌ أمامه، حاله كحال الأصم ﴿ف﴾: لهذا السبب وبسرعة ﴿بَشْرَهُ﴾: قل أيها الرسول بما يسوؤه، علمًا أنّ البُشرى للخبر السار ولكّنها جاءت هنا من باب التقريع والتهكم ﴿ب﴾: حرف باء الالتصاق ﴿عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: فأخبره بعذابٍ شديدٍ يوم القيامة.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (٩)

﴿وَإِذَا﴾: أداة ربطٍ ما بعدها على ما قبلها ﴿عَلِمَ﴾: سمع أو حفظ شيئًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية، النوع ﴿آيَاتِنَا شَيْئًا﴾: البراهين الواضحة في القرآن الكريم ﴿اتَّخَذَهَا﴾: استخدمها، وجعل منها ﴿هُزُوًا﴾: سخر منها، واستهزأ بها ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارةً للقريب والبعيد، الذين جاء نكرهم ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾: عذابٌ مُذلٌّ يوم القيامة

﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠)

﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الزمانية ﴿وَرَائِهِمْ﴾: كلمة "وراء" تعني الخلف كما أنها تعني الأمام ﴿جَهَنَّمُ﴾: إنّ مستقبلهم أمامهم، أي مصيرهم جهنّم، هي خلفهم على وشك أن تأخذهم؛ كعدوٍ يتبعهم ليأخذهم، تلاحقهم بعذابها يوم القيامة ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُغْنِي﴾: لا ينفعهم، ولا يدفع ﴿عَنْهُمْ﴾: حرف يفيد المجاوزة، لن يتجاوزوا عذاب جهنم ﴿مَا﴾: بمعنى الذي ﴿كَسَبُوا﴾: حصلوه ﴿شَيْئًا﴾: لا الأموال، ولا الأولاد ﴿وَمَا﴾: الذي ﴿اتَّخَذُوا﴾: اعتمدوا ﴿مِنْ دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهِ﴾: من الأصنام، والأوثان، والرجال، والأحزاب، والدول الكافرة ﴿أَوْلِيَاءَ﴾: الناصرين، والمؤددين، والمحبين، وجاء اللفظ القرآني "الولي" على أحد عشر وجهًا؛ هنا بمعنى القريب كما في قوله ﷻ ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى-٤٦]؛ أي لا

تُغني عنهم درجة قرابتهم، ولا ما أطاعوا بديلاً عن الإسلام ﴿وَلَهُمْ﴾: تخصيصاً ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: عذاب يوم القيامة، وقد يُعجل الله ﷻ هلاكهم في الدنيا؛ والله أعلم.

﴿هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ﴾ (١١)

﴿هَذَا﴾: حرف تنبيه وإشارة للمفرد؛ وهو هنا القرآن الكريم ﴿هُدًى﴾: دليلٌ بالغُ التشريف والتعظيم، كأنه من الوضوح كعين الهدى؛ يهدي الإنسان إلى طريق الفلاح ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق فإن ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: أخفوا، وأنكروا ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة والصلة ﴿آيَاتِ﴾: الأدلة والبراهين مِنْ ﴿رَبِّهِمْ﴾: وهو ﷻ منشئ الشيء من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام والمُعبود، والمُرَبِّي، والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامعُ، والمصلحُ، والسيّدُ، فهو بحقِّ مالك أمرهم كلّه، أنكروها، وأخفوها، ولم يعملوا بها ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً ﴿عَذَابٌ مِنْ﴾: حرفٌ يُفيدُ بداية الغاية المكانية ﴿رِجْزٍ﴾: وهو أشدُّ العذاب ﴿أَلِيمٍ﴾: أي الوجد الشديد.

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِي فِيهِ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢)

﴿اللَّهُ الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمفرد، هنا المقصود هو الواحد الأحد، ومن نعم الله العظيمة والوفيرة أنه ﴿سَخَّرَ﴾: خلق، وأوجد، وذلل ما في البر والبحر من خيرات ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً وتملياً للإنسان ﴿الْبَحْرَ﴾: فمنه يتكون بخار الماء، وهو السحاب الذي يمطر حيث شاء الله ﷻ؛ فيسقي الإنسان، والزرع، والطير، والحيوانات ﴿ل﴾: حرف علّة وسببٍ ﴿تَجْرِي الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾: لقد علم الله ﷻ الإنسان كيف يركب البحر، حتى صارت السفن، كالأبراج الشاهقات، تحمل آلاف الأطنان؛ تجوب البحار والمحيطات وكله بأمر الله ﷻ ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾: أيضاً تحققوا ما تريدون ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿فَضْلِهِ﴾: بالتجارة والصيد ومن مخلوقاته وكرمه من الأسماك، والحلّي، والثروات، حتى البترول في القاع ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾: حرف يفيد عند الإنسان التوقع والترجي ﴿تَشْكُرُونَ﴾: الثناء والشكر لله ﷻ.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾
(١٣)

﴿وَسَخَّرَ﴾: دَلَّلَ وأمر بالطاعة لكم ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿مَا﴾: الذي من جنس غير العاقل ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها كروية الشكل ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: الكواكب وأهمها الشمس، والقمر، والجبال بما فيها من معادن، وحجارة غيّرت وجه الأرض، مثل حجارة الاسمنت التي تُصنع منها الأبراج الشاهقة ﴿جَمِيعًا﴾: كلّها بلا استثناء ﴿مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: حرف يُفيد بداية الغاية، من عند الله ﷻ، لم يشاركه أحد في صنعه، وتسخيره كل ذلك وغيره ﴿لَ﴾: حرف تخصيص وتمليك ﴿آيَاتٍ﴾: أدلة وبراهين ﴿لِقَوْمٍ﴾: جماعة كبيرة من أصل واحدٍ أو أصحاب دينٍ واحدٍ ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: لكل جماعة لها عقل راجح؛ يُدرك الحقائق؛ فينتفع بها.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٤١)
﴿قُلْ﴾: أمق من الله ﷻ لمحمد ﷺ أن يقول ﴿قُلْ﴾: حرف تخصيص ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع من ﴿آمَنُوا﴾: برسالة الإسلام ﴿يَغْفِرُوا﴾: يصفحوا، ويسامحوا ﴿الَّذِينَ لَا﴾: حرف نفي ﴿يَرْجُونَ﴾: لا يريدون ولا يُبالون بفضل الله ونعمه عليهم ولا يرجون ثواب ﴿أَيَّامَ اللَّهِ﴾: نعمه ونعمه ﷻ، وكان ذلك في بداية الدعوة، وأيضًا في المجتمعات المعاصرة، إذا كان المسلمون أقلية، مستضعفين؛ لتأليف قلوب غير المسلمين، والمشركين، ولتقادي أذاهم، ولقد نسختها الآية رقم (٥) من سورة التوبة ﴿لِيَجْزِيَ﴾: يُكافئ ﴿قَوْمًا﴾: جاءت بصيغة النكرة لتفيد الزيادة وتعظيم الأجر، وما لا يُحصى من الأجر والثواب العظيم للجماعة الكبيرة، التي من أصل واحدٍ ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿يَكْسِبُونَ﴾: يقتربون من آثام وبخاصة إيذاء المؤمنين، الذين يعرضهم الله ﷻ عن أذى الكفار في الدنيا؛ فيدخلهم الجنة.

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (١٥)
﴿مَنْ﴾: الذي من العاقل الذي ﴿عَمِلَ﴾: العمل يكون مصحوبًا بالنية، بينما الفعل يكون مصحوبًا بالجوارح ﴿صَالِحًا﴾: وفق ما أمر الله ﷻ به ﴿فَ﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب

الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿نَفْسِهِ﴾: سوف ينال ثواب عمله يوم القيامة خيراً لنفسه ﴿وَمَنْ أَسَاءَ﴾: من خالف الذي أمر الله ﷻ به؛ فسبب الشر والضرر ﴿فَعَلَيْهَا﴾: يعود ما عمل عليه شرّاً بعدابٍ، ويوم القيامة عليه عقاب ذنبه ﴿ثُمَّ﴾: حرف يُعِيدُ التباعد الزمني غير السريع ﴿إِلَى رَبِّكُمْ﴾ هو مالك أمرهم كلّهُ ﴿تُرْجَعُونَ﴾: تموتون، ويوم الحساب يوم القيامة تبعثون، وتحاسبون.

التكليف: شبه الله ﷻ الناس حين يرجعون إلى الله تعال للجزاء بعد الحساب بحال من كان بعيداً عن سيّده ثم عاد إليه ليتلقى جزاء ما فعل.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (١٦)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿ل﴾: يخبر الله ﷻ للتأكيد بأداتين للتأكيد؛ حرف اللام و ﴿قَدْ﴾: حرف جرّ أفاد التأكيد لأنه دخل هنا على الفعل الماضي ﴿آتَيْنَا﴾ أنه أنعم الله ﷻ فأعطى ﴿بَنِي﴾: أبناء ﴿إِسْرَائِيلَ﴾: يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام ﴿الْكِتَابَ﴾: التوراة ﴿و﴾: أيضاً آتيناهم ﴿الْحُكْمَ﴾: جعل الأنبياء فيهم ملوكاً، والحكم هو الفصل بين المتخاصمين ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾: كان غالبية الأنبياء من بني إسرائيل، يقول ابن كثير: أرسل الله ﷻ فيهم مائة وأربعة وعشرين ألف رسولٍ ونبيٍّ. منهم موسى وهارون عليهما السلام ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ﴾: جاءت بصيغة الجمع التي تفيد الكثرة ﴿مِنَ﴾: حرف جرّ يُفِيدُ بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾: كلُّ ما يستمتع به الجسد وتقبلهُ النفسُ، طيب المأكل، والمشرب، والملبس، والمسكن، والذِّكر ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ﴾: أيضاً جاءت بصيغة الجمع لعظم التفضيل ﴿عَلَى الْ﴾: هذه ل التعريف جاءت هنا للتخصيص وليس للعموم ﴿عَالَمِينَ﴾: على العالمين في زمانهم من الأمم المعاصرة لهم، كزمانهم على الشعوب التي عاشت في أجيالهم.

﴿وَأَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْثًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٧)

﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال ﴿آتَيْنَاهُمْ﴾: أرسلنا إليهم، وأعطيناهم، ووضّحنا لهم شرائع ﴿بَيِّنَاتٍ﴾: آياتٍ، وحججًا، وبراهين، ووضحت في الحلال والحرام وأدلةً قاطعةً تبيّن الحلال من الحرام ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع؛ ويفيد ابتداء الغاية ﴿الْأَمْرِ﴾: من الدين ﴿فَمَا﴾: حرف عطف يفيد الخبر ﴿اِخْتَلَفُوا﴾: من المعلوم أنه بحصول العلم الحقيقي يرتفع الخلاف، ولكن صار هنا مجيء العلم سببًا للاختلاف، ومع كلِّ هذا اختلفوا ﴿الَّا﴾: حرف استثناء ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الزمانيّة ﴿بَعْدَ مَا﴾: الذي ﴿جَاءَهُمْ﴾: وصلهم ﴿الْعِلْمُ﴾: بعد أن علموا علم يقين ببعثة محمد ﷺ ﴿بَغْيًا﴾: حسدًا للعرب أولاد إسماعيل، ﷺ؛ ظلمًا، وعدوانًا ﴿بَيْنَهُمْ﴾: في داخلهم حرصًا على السيادة، والرئاسة، والمنافع ﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿رَبِّكَ﴾: هو ﷺ المُعبود، هو مالك أمرك كلّه يا محمد ﷺ ﴿يَقْضِي﴾: يحكم ويفصل ﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: سيفصل بينهم حكمًا عدلًا يوم القيامة ﴿فِيَمَا﴾: في الذي ﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: ما كانوا لا يتفقون عليه من شأن الدين، والدنيا.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يُفيد التباعد الزمني غير السريع للتراخي، وليس الغوري ﴿جَعَلْنَاكَ﴾: أعطيناك وحيًا، حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانيّة، هنا المقصود دين الإسلام، وأرسلناك ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾: طريقةٍ وسنةٍ ومنهاجٍ ما شرّعه الله ﷻ لعباده ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانيّة ﴿الْأَمْرِ﴾: من الدين ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿اتَّبِعْهَا﴾: سر على هداها ونهجها، واعتمدها إيمانًا وتطبيقًا دون تأخير ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿لَا﴾: حرف تحريم ونهي ﴿تَتَّبِعْ﴾: تُطع وتسير بحسب ﴿أَهْوَاءَ﴾: ولا تكون كالذين سبقوا، الذين اتبعوا رغبات، وأماني ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُونَ﴾: الجاهلون، بحقيقة الإيمان، عندما يتغاضى الرسل عن هفواتهم، وما يسببونه من الأذى، ولا يعرفون مصيرهم، ومآلهم يوم القيامة.

﴿إِنَّهُمْ لَن يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾
(١٩)

﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد ﴿لَن﴾: حرف نفي ﴿يَغْنُوا عَنْكَ﴾: لن يدفعوا عنك يا محمد، ﷺ أو يكفوا عنك، ولن ينقذك ﴿مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: من حكم وقدر الله ﷻ ﴿وَ﴾: عطفاً على ما جاء يجب العلم ﴿إِنَّ﴾: بالتأكيد ﴿الظَّالِمِينَ﴾: المشركين، والكاذبين، الذين ظلموا أنفسهم، وغيرهم؛ فأوأهم النار ﴿بَعْضُهُمْ﴾: جزء منهم ﴿أَوْلِيَاءُ﴾: ناصرٌ، ومؤيدٌ، ومحبٌ ﴿بَعْضٍ﴾: يناصرون بعضهم، بعضاً في الدنيا، وهذا ما يشهد به كلُّ عصر؛ اليهود والنصارى وعملاؤهم من العرب، والعجم، يناصرون بعضهم بعضاً، في الاقتصاد، وفي الحروب على المسلمين ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ﴾: وعطفاً على هذا هو تعالى ناصرٌ، ومحبٌ، ﴿الْمُتَّقِينَ﴾: الذين يؤمنون به يقيناً؛ طمعاً في رحمته، وخوفاً من عذابه.

﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٢٠)

﴿هَذَا﴾: حرفُ تنبيهٍ وإشارةٍ؛ أي هذا القرآن الكريم الذي أنزلناه إليك أيها الرسول ﴿بَصَائِرُ﴾: هي إدراك العقل للأمر على حقائقها، هي رؤى يصلون بها إلى المعرفة، يُوضِّح ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿النَّاسِ﴾: جميعاً ﴿وَهُدًى﴾: دليل إلى الحق، هنا تخصيص ﴿وَ﴾: أيضاً ﴿رَحْمَةٌ﴾: لهم في الدنيا؛ فلا يضيع عملهم وعمرهم هباءً، ورحمةٌ لهم يوم القيامة ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿قَوْمٍ﴾: أصحاب دينٍ واحدٍ ﴿يُوقِنُونَ﴾: هم المؤمنون الواتقون حقاً.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٢١)

﴿أَمْ﴾: بمعنى بل، وهي للإضراب الانتقالي، استفهامٌ هدفه البلاغي الإنكار ﴿حَسِبَ﴾: هل يعتقد أو يظن؟ ﴿الَّذِينَ﴾: الكفار الفجار، اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿اجْتَرَحُوا﴾: الذين اكتسبوا المعاصي، واقترفوا الجرائم بجوارحهم ﴿السَّيِّئَاتِ﴾: الآثام والجرائم، والمحرمات ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿نَجْعَلُهُمْ﴾: نساويهم ﴿كَ﴾: حرف تشبيه ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا وَ﴾: حرف عطف يفيد الحال؛ عطفاً على إيمانهم ﴿عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: كل ما

أحلّه الله ﷻ لهم، وكان فيه صلاحُ العبادِ والبلادِ ﴿سَوَاءً﴾: يتساوى فيه ﴿مَحْيَاهُمْ﴾: في حياتهم الدنيا ﴿و﴾: أيضاً في ﴿مَمَاتُهُمْ﴾: ويوم القيامة ﴿سَاءَ﴾: فُبح هذا الحكم ﴿مَا﴾: الذي ﴿يَحْكُمُونَ﴾: ساء ما اعتقدوا وظنّوا فينا، أن نساوي بين الأبرار والفجار في موتهم وبعثهم وحسابهم.

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٢)

﴿و﴾: أيضاً ﴿خَلَقَ اللَّهُ﴾: أوجد الله ﷻ دونَ سابقٍ مثالِ ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلّ ما علا الأرض، وأحاط بها من كواكب، ونجوم؛ لكونها ببيضاوية الشكل ﴿وَالْأَرْضِ﴾: وما فيها من بحارٍ، وأنهارٍ، ومعادنٍ، وكنوزٍ ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة والصلة ﴿الْحَقِّ﴾: بالعدل، وفي هذه العلاقات التي أَرادها؛ فكلٌّ منها يسير، ويعملُ بأمره، ﷻ دون جورٍ على الغير، وإلا فسدت ﴿و﴾: حرفُ عطفٍ يفيد هنا الحال على ما سبق ﴿لِ﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿تُجْزَى﴾: حتى تُكافأ ﴿كُلُّ﴾: تفيد الجميع ﴿نَفْسٍ﴾: هي جوهر المخلوقات، التي تأخذ كلُّ نفسٍ جزاءها ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿كَسَبَتْ﴾: بما عملت ﴿وَهُمْ﴾: تحديداً ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُظْلَمُونَ﴾: لا ظلم لأحدٍ منهم.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٣)

﴿أ﴾: حرف استفهامٍ بغرض الإنكار التوبيخي ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿رَأَيْتَ﴾: ألم تر، ألم تعلم، أخبرني ﴿مَنِ﴾: الذي من جنس العاقل، والمعني تأمل أيها الرسول حال الذي ﴿اتَّخَذَ﴾: جعل واعتمد ورضي ﴿إِلَهَهُ﴾: اعتمد وأطاع معبوده ﴿هَوَاهُ﴾: مُيولُهُ ورغباتُهُ، والمعنى هو اتخذ هواه إلهه، معبوده؛ يطيعه في كلّ أمرٍ كما يُطيعُ العبدُ معبوده أو سيده ﴿وَأَضَلَّهُ﴾: عطفاً على ما سبق ضيّع له خطاه وثواب نيّاته ﴿اللَّهُ عَلَىٰ﴾: بمعنى مع ﴿عِلْمٍ﴾: أضلّه الله ﷻ مع علم الضال أنه يستحق ذلك، وقيل أضلّه الله ﷻ بعد وصول العلم إلي الضال، وإقامة الحجّة عليه، وكلّ الأقوال تُكْمِلُ المعنى ﴿وَخَتَمَ﴾: طبع أي أغلق ﴿عَلَىٰ سَمْعِهِ﴾: والسمع أداة إدراكٍ وفهمٍ؛ فكأنما أغلقت أذانه؛ فلم يسمع ما ينفعه ﴿و﴾: حرفُ عطفٍ يفيد هنا الحال، أيضاً ختم على

﴿قَلْبِهِ﴾: وهو مركز الوعي والإدراك ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ لا يرى حُجَّةَ يستضيء بها ﴿فَمَنْ﴾: حرف استفهام استثنائي عن العاقل ﴿يَهْدِيهِ﴾: يدلّه إلى الحق ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية ﴿بِعَدِ اللَّهِ﴾: والإجابة إذا حجب الكافر سمعه وبصره وقلبه؛ فلا أحد يقوده إلى الهدى إلا الله ﷻ ﴿أَفَلَا﴾: حرف استفهام بغرض استنكار الأمر ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: ألا تتفكرون وتتذكرون ماذا فعل الله ﷻ بالكافرين، أي اذكروا، وتذكروا، وتفكروا. ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٢٤)

﴿و﴾: أيضًا ﴿قَالُوا﴾: قول الدهريين، ومن هم على شاكلتهم من الكفار العرب، الذين أنكروا القيامة ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿هي﴾: الحياة ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾: قالوا لا حياة سوى ما نحياها في الأرض، وبعدها ﴿نَمُوتُ﴾: جاء هنا تقديم الموت على الحياة والأصل هو العكس، الحياة ثم الموت ﴿وَنَحْيَا﴾: ونعيش أجيالاً، جاء الموت والحياة بصيغة المضارع للدلالة على تجدد الحياة والموت في كلِّ وقتٍ، مستمران لا ينتهيان في الدنيا ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿يُهْلِكُنَا﴾: يُفنيها ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿الدَّهْرُ﴾: تعاقب الليل والنهار؛ فمن يكبر يبلى ويموت، ولا قيامة، ولا بعث، ولا ثواب ولا عقاب؛ وهم كاذبون ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً ﴿ب﴾: حرف باء الصلة ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾: حيث يقول فلاسفتهم إنَّ كلَّ شيءٍ يعود إلى ما كان عليه قبل ستة وثلاثين ألف سنة ﴿إِنْ﴾: حرف شرط وتعني ما ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المذكور، وهي هنا لتخصيص الكافرين ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿يَظُنُّونَ﴾: جاءت بصيغة الفعل المضارع للدلالة على استمرار الظن وعدم الكف والإقلاع عنه؛ إنهم يتكلمون بما يتوهمون. ﴿وَإِذَا تَثَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّوَابِتْنَا بَابَانَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٥)

﴿وَإِذَا﴾: أداة ربط ما بعدها بما قبلها وهي التلاوة مع الآية السابقة ﴿تَثَلَىٰ﴾: إذا قرئت ﴿عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾: على المشركين المكذبين بالبعث الآيات الواضحة لهم ﴿بَيِّنَاتٍ﴾: واضحات ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾: تبرير كفرهم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿قَالُوا﴾

انثوا: أرجعوا إلينا، والأمر للتعجيز وإظهارًا لضعف المخاطب وعجزه **﴿ب﴾**: حرف باء الالتصاق **﴿آبَاءَنَا﴾**: الذين ماتوا، كانت حُجَّتهم أن قالوا إذا كانت هناك قيامة؛ فأرجعوا إلينا آباءنا الذين ماتوا وصاروا ترابًا **﴿إِنْ﴾**: حرف شرط **﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**: إن كنتم تقولون الصدق. **﴿قَالَ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٦)**

﴿قَالَ﴾: يأمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يقول لهم **﴿إِنَّ اللَّهَ﴾**: جاء تقديم اسم الله ﷻ ليفيد تخصيص الإحياء والإماتة بالله وحده لإبطال قولهم إنَّ الدهر هو الذي يُميتهم وهو **﴿يُحْيِيكُمْ﴾**: يوم يخلفكم نطفًا، وفي بطون أمهاتكم **﴿ثُمَّ﴾**: في تتابعٍ زمنيٍّ على التراخي ليس فورًا **﴿يُمِيتُكُمْ﴾**: إنَّ الله ﷻ الذي وهب لكم الحياة، هو الذي كتب عليكم الموت **﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾**: تخرجون من جميع المناطق والأزمان **﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾**: فهو الذي بدأ الخلق ثم يعيده **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿رَيْبَ فِيهِ﴾**: لا شكَّ فيه، هذه حقيقة المشكلة **﴿وَلَكِنَّ﴾**: حرف استدراك **﴿أَكْثَرَ﴾**: غالبية **﴿النَّاسِ﴾**: بني آدم **﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾**: إنَّ الذي لا يعلم يُنكر المعاد وهم كثر، وبمنظورهم المادي يستبعدون قيام الرُفات البالية، أما المؤمنون فيؤمنون بالوعد الحق.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُوسِرُ الْمُنْبِطُونَ﴾ (٢٧)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال **﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ﴾**: هنا قُدِّم اسم الله ﷻ بهدف التخصيص؛ بمعنى الإحياء والموت لله تعالى فقط وهو وحده ﷻ المتصرف فيه، والسماوات هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها **﴿وَالْأَرْضِ﴾**: وتقديم الجار والمجرور أفاد التخصيص، أي الله وحده لا يشاركه فيها أحدٌ **﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾**: إنَّ حقيقة الوجود أخبر عنها ﷻ؛ هو الحاكم فيها في الحياة الدنيا، ولأنَّ الكافرين ينكرون؛ فإنه ﷻ يُخبر أنَّ يوم القيامة آتٍ **﴿يَوْمَئِذٍ﴾**: في هذا اليوم، حينها **﴿يُوسِرُ الْمُنْبِطُونَ﴾**: الذين عملوا كلَّ ما نهى الله عنه، بجهدٍ واجتهاد، حينها سيخسرون آخرتهم ومصيرهم جهنم؛ فتكون الخسارة الكبرى.

﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَانِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٨)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُعيد الحال، وعطفًا على ما سبق ﴿ترى﴾: شاهد يا محمد ﷺ، جاءت الرؤية بصيغة الفعل المضارع للاستقبال، أي للمستقبل ﴿كل﴾: جميع ﴿أمة﴾: جماعة كبيرة من البشر من أصحاب مذهبٍ واحدٍ ﴿جائئة﴾: كلُّ الأمم تجلس على رُكبتها؛ تنتظر مصيرها، عن أبي هريرة ؓ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِلَحْمٍ فَرَفَعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوْلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرَ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيُبْلَغُ النَّاسَ مِنَ الْعَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عليه السلام فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغْنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، أَذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، أَذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ - فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، أَذْهَبُوا إِلَى مُوسَى فَيَأْتُونَ، مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَلَّكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُوْمَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، أَذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاها إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحُ مِنْهُ،

وَكَلَّمَتِ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكَرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي أَنْفِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلِّ نَعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفِّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ادْخُلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيهَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِضْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيحِ الْجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَجَمِيرَ - أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى - (١)، قَالَ عِكْرَمَةَ: كُلُّ أُمَّةٍ مُمْتَرِةٌ عَلَى نَاصِيَتِهَا، وَلَيْسَ عَلَى الرِّكْبِ، وَالْأُولَى أَوْلَى؛ حَيْثُ تَتَمَيَّزُ الْأُمَّةُ ﴿كُلُّ﴾: جَمِيعُ ﴿أُمَّةٍ﴾ تَدْعَى﴾: يُنَادِي عَلَيْهَا ﴿إِلَى كِتَابِهَا﴾: جَاءَتْ كَلِمَةُ كِتَابٍ مَفْرَدَةً وَنَكْرَةً غَيْرَ مَعْرُوفَةٍ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ يَوْجَدُ كِتَابًا وَاحِدًا لِكُلِّ أُمَّةٍ، فِيهِ أَعْمَالُهَا؛ الَّذِي سَجَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ الْحَفِظَةُ ﴿النِّيُومَ﴾: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿تُجْزَوْنَ﴾: تُكَافَوْنَ أَيُّهَا النَّاسُ ﴿مَا﴾: الَّذِي ﴿كُنْتُمْ﴾: فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿تَعْمَلُونَ﴾: خَيْرًا فَخَيْرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا.

﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٩)

﴿هَذَا﴾: اسْمُ إِشَارَةٍ لِلْمَفْرَدِ الْمَذْكَرِ ﴿كِتَابُنَا﴾: كِتَابُ تَسْجِيلِ الْأَعْمَالِ، الَّذِي سَجَلْ أَقْوَالِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ ﴿يَنْطِقُ﴾: يَشْهَدُ بِالْحَقِّ ﴿عَلَيْكُمْ بِ﴾: وَشَهَادَةُ الْكِتَابِ أَبْلَغُ مِنْ شَهَادَةِ اللِّسَانِ؛ لِأَنَّ شَهَادَةَ الْكِتَابِ بَيِّنَةٌ أَقْوَى مِنْ شَهَادَةِ الْإِنْسَانِ بِلِسَانِهِ؛ لَقَدْ شَبَّهَ الْكِتَابُ بِشَاهِدٍ يُؤَدِّي شَهَادَتَهُ بِالْحَقِّ، وَالْكِتَابُ يَضُمُّ مَا يَنْقُلُهُ الْمَلَائِكَةُ الْمُكَلَّفَاتُ بِتَسْجِيلِ أَعْمَالِ الْإِنْسَانِ، اللَّذَانِ يَكْتَبَانِ كُلَّ مَا يَطِيرُ مِنْهُ، أَيْ كُلَّ مَا يَصْدُرُ مِنْهُ، وَبِذَلِكَ يَكْتَبُونَ كِتَابَ أَعْمَالِهِ ﴿الْحَقِّ﴾: يَسْتَحْضِرُ جَمِيعَ أَعْمَالِكُمْ؛ بِالْعَدْلِ، لَا زِيَادَةَ وَلَا نَقْصَ، جَاءَ فِي الْمَعْنَى وَيَقُولُونَ: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ لَا

(١) صحيح البخاري ٨٤/٦ (٤٧١٢).

يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿الكهف-٤٩﴾
 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ خَلَقَهُ مِنْ هَجَا قَبْلَ الْأَلْفِ وَاللَّامِ،
 فَتَصَوَّرَ قَلَمًا مِنْ نُورٍ فَقِيلَ لَهُ اجْرِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ قَالَ: يَا رَبِّ بِمَاذَا؟ قَالَ: بِمَا يَكُونُ إِلَى
 يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ وَكَلَّ بِالْخَلْقِ حَفَظَةً يَحْفَظُونَ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ، فَلَمَّا قَامَتِ الْقِيَامَةُ
 عُرِضَتْ عَلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَقِيلَ ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
 عَرَضَ بِالْكِتَابَيْنِ فَكَانَا سَوَاءً قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَسْتُمْ عَرَبًا؟ هَلْ تَكُونُ النُّسْخَةَ إِلَّا مِنْ كِتَابٍ؟ (١)،
 ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع
 وهو واحدٌ أحد؛ للتعظيم والتوكيد ﴿كُنَّا﴾: في حياتكم الدنيا ﴿نَسْتَنسِخُ﴾: نكتب نسخ أعمالكم،
 جاءت بصيغة الجمع للتعظيم ﴿مَا﴾: الذي ﴿كُنْتُمْ﴾: في الحياة الدنيا ﴿تَعْمَلُونَ﴾: هذا علم
 النسخ، أي نقل الشيء من موضعٍ لآخر، مثل نسخ الكتاب، وقد جاء ذكر النسخ هنا، وفي
 قوله ﷻ ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
 يَعْلَمُونَ﴾ (النحل- ١٠١)؛ كانت الحفظة تكتب أعمال الناس، وقال ابن عباس: كانت الملائكة
 تكتب أعمال العباد.

وأقول والله أعلم؛ إنهم يستسخون أعماله أيضًا، حينما يأخذونها من الجيب السبائي عن يمين
 وشمال العنق؛ يكتبون ما يفيض فيه الإنسان، يكتبون مثقال الذرة من العمل، يكتبون ما فعله
 الإنسان وغفل عنه، ولنقرأ القرآن على أساس هذه الحقائق، وهذا الفهم العميق، إنَّ الملائكة
 يكتبون ما غفل النَّاس عنه، وتفسير هذا علمياً يقول إنَّ الأوردة لا تعود للقلب فقط بدمٍ غير
 مؤكسد، أي ليس فيه أكسجين، بل تعود بمغناطيسية كلِّ نواة، وكلِّ إلكترون في كلِّ ذرةٍ من
 ذرات الجسم؟ ومن حق كلِّ إنسان إن يسأل كيف يكون ذلك؟ وكيف يكون مجرى الدم مجالاً
 للاتصالات؟ ومن المعلوم لأهل الاختصاص العلمي الحديث أنَّ ذرة الحديد الموجودة في كلِّ
 جزيء من جزيئات الهيموجلوبين في الدم تحمل الشحنة المغناطيسية، وتحمل الرسالة، وتحمل
 الإشارات الكهرومغناطيسية في طياتها؛ لتكتمل الدورة الكهرومغناطيسية بين القلب والمخ، وبين

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٤٩٢/٢ (٣٦٩٣) وقال: صحیح الإسناد ولم يُخرجاه. ووافقه الذهبي.

القلب وبين كلِّ ذرّةٍ من ذرّات جسم الإنسان؛ كيف لا والشيطان هو مخلوقٌ من نارٍ، يسهل تحوله إلى طاقة، ويجد لنفسه سبيلاً عبر الهواء إلى صدر الإنسان، مثل حالة التثاؤب ثم عبر الأوردة الرئوية، في اتجاه القلب أو عبر الشريان الرئوي الذي ينقل الدم من القلب إلى الرئتين، ثم إلى قلب الإنسان ومنه إلى كلِّ جسمه، خاصّة المخ، ليستمع إلى أحاديث النفس، وأعمال الإنسان.

التكليف: إن المتأمل اليوم في أدوات التصوير، والتسجيل الإلكتروني، والقنوات الفضائية، يرى ويسمع كلَّ ما قيل مُسجلاً بالصورة، والصوت؛ ولله المثل الأعلى.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ (٣٠)

﴿فَأَمَّا﴾: حرفٌ تفضيلٍ وتوكيدٍ بمعنى أي ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: بما يجب الإيمان به ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال؛ عطفًا على إيمانهم ﴿عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: وأتبعوا إيمانهم بعمل ما أمر الله ﷻ به، من صلاةٍ وصيامٍ، وزكاةٍ وإنفاقٍ وانتهوا عمّا نهى عنه ﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿يُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ﴾: الله ﷻ مالكٌ أمرهم كلّه ﴿فِي رَحْمَتِهِ﴾: هي الجنة، ثواب إيمانهم الحق، وعملهم وفق ما أمر الله ﷻ ﴿ذَلِكَ﴾: الجزاء الذي نالوه ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾: الفوز الواضح البين الذي لا يوجد مثله في الدنيا.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (٣١)

﴿وَأَمَّا﴾: حرفٌ للتفضيل والتأكيد، أي ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: مكروا وجحدوا الإيمان بالله ﷻ وملائكته وكتبه ورسله والقيامة ﴿أَفَلَمْ﴾: استفهامٌ تقريبي غرضه البلاغي التقرير والتوبيخ ﴿تَكُنْ﴾: في الحياة الدنيا ﴿آيَاتِي﴾: البراهين القاطعة ﴿تُتْلَىٰ﴾: تُقرأ ﴿عَلَيْكُمْ﴾: يقال للذين كفروا توبيخًا؛ ألم تسمعوا قراءة آيات الله تتلى عليكم بلغةٍ تفهمونها ﴿ف﴾: حرفٌ سببٍ بهدف ترتيب الأمر ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾: اخترتم الاستكبار عن الطاعة، وأعرضتم عن سماعها، واستهزأتم وأديتم الرسل والدعاة ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال ﴿كُنْتُمْ﴾: صرتم في الحياة الدنيا ﴿قَوْمًا﴾: جماعةٌ مُتجانسةٌ، جاءت بصيغة النكرة لتفيد التحقير؛ لأنهم

﴿مُجْرِمِينَ﴾: قتلتم الرسل، والدعاة والمصلحين، وسجنتموهم، وعذبتموهم، وافترتيم عليهم الكذب، واتهمتموهم بالإرهاب، والتخلف، والرجعية، والعمالة، وأهل الشر.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنَّ نَظْنَ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ﴾ (٣٢)

﴿وَإِذَا﴾: أداة عطفٍ ما بعدها على ما قبلها ﴿قِيلَ﴾: إذا قال لكم المؤمنون ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: ما وعد، وما توعده الله ﷻ هو حق، سيحقق ﴿و﴾: أيضاً قيل لكم ﴿السَّاعَةُ﴾: يوم القيامة ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿رَيْبَ﴾: لا شكّ ﴿فِيهَا﴾: أن يوم القيامة حق، ولا شك في وقوعها وتحققها عند المؤمنين ﴿قُلْتُمْ مَا﴾: حرف نفي ﴿نَدْرِي﴾: نعلم ﴿مَا السَّاعَةُ﴾: نحن لا نعرف الساعة؛ عن أي شيءٍ نتحدثون ﴿إِنَّ نَظْنَ﴾: إنما نعتقد ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿ظَنًّا﴾: أنتم تتوهمون وقوعها، ولا نرجح ذلك ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿نَحْنُ ب﴾: حرف الباء السببية ﴿مُستَيْقِنِينَ﴾: أصلها متيقنين، ولكن جاءت الصيغة بحرف السين للمبالغة بمعنى لسنا متحققين، ولا متأكدين مما تقولون.

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٣٣)

﴿وَبَدَأَ﴾: ظهرت ﴿لَهُمْ﴾: العقوبة على ﴿سَيِّئَاتٍ﴾: جاء الجزء هنا في تناسبٍ بين العمل وجزائه، حيث جعل ﷻ أجزاء من جنس العمل ﴿مَا﴾: الذي ﴿عَمِلُوا﴾: على ما اقترفوا من سوءٍ؛ أوله الكفر، ثم المعصية ﴿وَحَاقَ﴾: عطفاً على ما عملوا أحاط ونزل وألم ﴿بِهِمْ مَا﴾: الذي ﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿بِهِ﴾: حرف باء الالتصاق ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾: طوّقهم العذاب جزاءً بما كانوا يستهزئون من النبي، والدعاة، والمصلحين، في صلاتهم، وصيامهم، وهياتهم، وعباداتهم، وسبل حياتهم.

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَأُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَأُكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٣٤)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿قِيلَ﴾: القائل هو الله ﷻ ﴿الْيَوْمَ﴾: يوم الحساب، يومٍ مميّز ﴿نَنسَأُكُمْ﴾: نعاملكم كما لو كنا نسيناكم؛ فستمكثون في نار جهنم خالدين فيها أبداً، نسياناً تاماً مُتعمداً ﴿كَمَا﴾: حرف الكاف هنا للتعليل بمعنى لأنكم ﴿نَسِيتُمْ﴾: جاءت المقابلة اللفظية لأنّ

الله ﷻ متنزه عن النسيان، ولكن المقصود نترككم في العذاب، ونعاملكم معاملة المنسيين، وهو ﷻ لا ينسى ﴿لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾: كما أنكرتم يوم القيامة؛ فلم تعملوا له، ولم تصدقوا به ﴿وَمَا أَوَّاكُم﴾: مثواكم، ومعاشكم، وإقامتكم الدائمة ﴿النَّارِ﴾: جهنم ﴿وَمَا﴾: حرف نفي، ليس ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية وتمييز النوع ﴿نَاصِرِينَ﴾: ليس لكم شفيع أو من يُنقذكم من العذاب.

﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُؤًا وَغَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (٣٥)

﴿ذَلِكُمْ﴾: إشارة للبعيد لقد جازيناكم هذا الجزء ﴿بِ﴾: حرف الباء السببية ﴿أَنَّكُمْ﴾: أنتم بالتأكيد ﴿اتَّخَذْتُمْ﴾: تعاملتم مع ﴿آيَاتِ﴾: أدلة وبراهين ﴿اللَّهِ هُزُؤًا﴾: سخرتم من آيات الله ﷻ، واستهزأتم بأوليائه ﴿وَوَغَّرْتُمْ﴾: أيضاً خدعتكم، وأغرتمكم ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: خدعتكم مكاسبكم، ومناصبكم، وقوتكم في الدنيا؛ لأنَّ ذلك يجمع كلَّ أسباب الغرور ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿الْيَوْمَ﴾: يوم القيامة ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُخْرَجُونَ﴾: جاء الخطاب بلغة الغائب تعبيراً عن إهمالهم وعدم الاعتداد بهم ﴿مِنْهَا﴾: من جهنم، هم في عذابٍ مقيمٍ دائمٍ، لا خروج منه ﴿و﴾: أيضاً ﴿لَا هُمْ﴾: تحديداً وتخصيصاً ﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾: يغضب الله ﷻ عليهم فلا يعاتبهم أحدٌ، لأنَّ طائفة من المؤمنين تدخل الجنة بغير حساب؛ فالنَّاسُ فريقان: فريق في الجنة، وفريق في السعير.

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٦)

﴿ف﴾: حرف استئناف يربط بين جملتين ﴿لِلَّهِ﴾: تخصيصاً ﴿الْحَمْدُ﴾: له وحده الشكر، والثناء، والرضا الكامل به ﴿رَبِّ﴾: هو مالك كلِّ أمرٍ وشأنٍ في ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها لكونها؛ ببيضاوية الشكل، وما فيها ﴿و﴾: أيضاً ﴿رَبِّ الْأَرْضِ﴾: و مَنْ وما عليها وما في باطنها ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: يشمل العقلاء وغير العقلاء؛ المقصود المخلوقات العاقلة وغير العاقلة، هو صاحب كلِّ شيءٍ، في كلِّ عالمٍ؛ الإنس، والجن، والسماوات والأرض.

﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣٧)

﴿و﴾: حرف عطف يُعيد الحال ﴿لَهُ﴾: لله ﷻ ﴿الْكِبْرِيَاءُ﴾: العظمة التي تليق به ﷻ ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: في كل ما علا الأرض وأحاط بها ﴿و﴾: أيضًا له الكبرياء في ﴿الْأَرْضِ﴾: قال مجاهد: هو السلطان العظيم، المُمجّد، الذي خضع له كلُّ شيءٍ؛ والكلُّ فقيرٌ إليه في السموات والأرض، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَدْبَتُهُ^(١)، ﴿وَهُوَ﴾: ﷻ ﴿الْعَزِيزُ﴾: الذي لا يُغالبه أحدٌ، ولا يمنعه أحدٌ ﴿الْحَكِيمُ﴾: الصواب المطلق في أقواله وأفعاله، وقدرته، ومشئته؛ لا إله إلا هو ﷻ.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نعلم مصير المستكبرين في الأرض والبعيدون عن طاعة الله ﷻ في الدنيا والآخرة.



سُميت سورة الأحقاف بهذا الاسم في جميع المصاحف وكتب السنّة؛ ووجه التسمية ورود لفظ الأحقاف فيها، ولم يرد في غيرها من السور، وهي سورة مكية بالاتفاق، وترتيبها (٦٦) في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الجاثية، وقبل سورة الذاريات، وعدد آياتها (٣٥) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿حَم﴾ (١)

اعتمادًا على ما يقوله علماء النحو والبلاغة إنّ الضمائر في الكلام الأصل أن تعود على متقدمٍ في اللفظ والرتبة، ولا تعود على متأخر في اللفظ والرتبة، بمعنى ما هو الاسم الذي سبق، وعليه فإنّ الحرفين؛ أي على ما من يعود الضمير، أرى، والله أعلم، أنّ الحرفين يعني اسم محمد ﷺ بالقول، كما ورد في بعض السور السابقة إذ يشكل الحرفان ح م (٧٥)% من اسمه ﷺ، وقد جاء في الآية رقم (٤) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ وهو أمر لمحمد ﷺ؛ لأنّه لم يسبق قبل هذه الآية اسمُ شخص يُنسب إليه الأمر، انظر تفسير الحروف المقطعة في أول سورة البقرة، وآل عمران.

(١) صحيح مسلم ٤/٢٠٢٣ (٢٦٢٠).

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (٢)

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾: من فضل الله ﷻ أنه أنزل القرآن الكريم، على أشرف خلقه الله محمد بن عبد الله ﷺ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية، أي مصدره ﴿اللَّهُ الْعَزِيزِ﴾: الذي لا يُغالبه أحدٌ، صاحب العزّة التي لا تُرام ﴿الْحَكِيمِ﴾: صاحب الصواب المطلق في أفعاله وأقواله.

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ﴾ (٣)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿خَلَقْنَا﴾: أوجدنا من غير سابق مثالٍ ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلّ ما علا الأرض وأحاط بها فهو سماؤها، وما فيها من كواكب وملائكة ﴿وَالْأَرْضِ﴾: أيضاً من سهولٍ، وجبالٍ، ومياهٍ، وحيواناتٍ، ونباتاتٍ ﴿وَمَا﴾: الذي ﴿بَيْنَهُمَا﴾: من خلق الإنسان، والملائكة، والشياطين ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة والصلة ﴿الْحَقِّ﴾: لغاية أرادها الله ﷻ حقاً، وليس عبثاً، أو باطلاً ﴿وَأَجَلٍ﴾: وحدّد الله ﷻ لها عُمرًا، ومدّة ﴿مُّسَمًّى﴾: ساعةً معيّنة، لا تزيد ولا تنقص ﴿وَالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: غطوا، وأنكروا أركان الإيمان ﴿عَمَّا﴾: عن الذي ﴿أُنذِرُوا﴾: حُدّروا منه في كتاب الله ﷻ ﴿مُّعْرِضُونَ﴾: لا يأبهون، وينأون عن الإيمان.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ للمشرّكين ﴿أ﴾: حرف استنهامٍ بغرض الإنكار التوبيخي ﴿رَأَيْتُمْ﴾: هذا طلبٌ للتعجيز، أخبروني هل شاهدتم وعلمتم؛ أطلق الله ﷻ الرؤية وأراد أن يُخبر بمعناها؛ أن أشيروا إلى شيءٍ خلقتموه ﴿مَا﴾: الذي ﴿تَدْعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِنْ دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهِ﴾: أخبروني واسألوا الذين تعبدون من الأصنام، والأوثان، والزعماء ﴿أَرُونِي﴾: أريد أن أشاهد ﴿مَاذَا﴾: حرف استنهامٍ ﴿خَلَقُوا﴾: أوجدوا شيئاً من غير سابق وجودٍ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿الْأَرْضِ﴾: ما هو المكان الذي تزعمون أوجدته

ألَهُنْكُمْ أَوْ أَيْ إِنْسَانٍ أَوْ حَيَوَانَ عَلَى الْأَرْضِ ﴿أَمْ﴾: بمعنى هل حرفٌ بهدف الاستفهام لاستنكار والتوبيخ ﴿لَهُمْ﴾: تمليكًا ﴿شِرْكَ﴾: هل لهم من شركاء أو مساعدين لله ﷻ في الأرض، أو في السماء، ساعده في خلق أي شيء ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض فهو سماؤها وما فيها من كواكب وملائكة ﴿أَثْنُونِي﴾: جيئوا وأحضروا؛ أمرٌ للتعجيز ﴿بِ﴾: باء المصاحبة والصلة ﴿كِتَابٍ﴾: منزلٌ من السماء ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الزمانيَّة ﴿قَبْلَ هَذَا﴾: من الكتب السماوية التي نزلت قبل القرآن الكريم إنكم لا تستطيعون لأنَّه لا يوجد شريكٌ لله ﷻ، لا في السماء ولا في الأرض؛ هل جاءكم كتابٌ قبل القرآن فيه دعوةٌ إلى الشرك ﴿أَوْ﴾: حرفٌ يفيد التخيير، أحضروا بديلاً ﴿أَثَارَةً﴾: بقيةٌ ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾: دليلٌ يبيِّن على ما اقترفتُم من كفرٍ وشركٍ، قال قتادة: خاصَّة من العلم ﴿إِنْ﴾: حرفٌ شرطٌ ﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: إنكم لكاذبون؛ لأنكم لا تملكون ما سألتكم.

التكليف: كما يطلب الكافر دليلاً على الإيمان؛ فإنَّ على المسلم أن يطلب من الكافر دليلاً على ما يعتقد من كفرٍ وإنكار.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ (٥)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿مَنْ﴾: حرفٌ استفهامٍ عن العاقل، يفيد النفي على سبيل الإنكار ﴿أَضَلُّ﴾: الأكثر ضلالاً، تيهًا؟ والإجابة لا أحد أضلُّ وأجهل وأبعد عن الحق وأقرب إلى الضلال ﴿مِمَّنْ﴾: من الذي لا يستجيب ﴿يَدْعُو﴾: يعبد ﴿مِنْ دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهِ﴾: الذي يعبد ما لا يسمع ولا يبصر ﴿مَنْ لَا﴾: حرفٌ نفي ﴿يَسْتَجِيبُ﴾: دعاؤه أبداً، لا يردُّ ولا يحقق لهم ما يطلبون منه وهم الأصنام ﴿لَهُ﴾: تخصيصاً لا يستجيب هذا الصنم لمن يدعو لقول، أو عمل، حتى لو استمر الدعاء ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: إنَّ عجزه وسكونه قائمٌ إلى يوم القيامة، عجزهم أبديٌّ في الدنيا ﴿وَهُمْ﴾: هذه الأصنام والمعبودات ﴿عَنْ﴾: حرفٌ جرٌّ بمعنى على ﴿دُعَائِهِمْ﴾: طلبهم ورجائهم ﴿غَافِلُونَ﴾: هذه المعبودات غافلةٌ عن دعائهم، فهي لا تسمع، ولا تُبصر، ولا تتحرك.

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (٦)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيدُ الحال ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿حُشِرَ﴾: جُمع وكُدِس ﴿النَّاسُ﴾: إذا كان الجمع الكبير لبني آدم، يوم الحشر، يوم القيامة ﴿كَانُوا﴾: المعبودات من دون الله ﷻ ﴿لَهُمْ﴾: تملكٌ للذين عبدوهم ﴿أَعْدَاءً﴾: سينقلبون على ما عبدوه، وأطاعوه في الدنيا؛ ويكونون لهم أعداء؛ لأنهم كانوا سبباً في دخولهم النار ﴿وَكَانُوا﴾: في الدنيا ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾: بطاعتهم ﴿كَافِرِينَ﴾: يتبرؤون منهم مصداقاً لقوله ﷻ: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (مريم - ٨٢).

﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (٧)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيدُ الحال ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿تُلَىٰ﴾: قرئت ﴿عَلَيْهِمْ﴾: إذا سمع أهل النار ﴿آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾: كلام الله ﷻ، وفيها آيات الله ﷻ، أو جاءتهم الأدلة والبراهين في الدنيا ﴿قَالَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿كَفَرُوا لِ﴾: حرف تخصيص ﴿الْحَقِّ لَمَّا﴾: حين ﴿جَاءَهُمْ﴾: قالوا عن الحق، للذين جاؤوا بالحق ﴿هَذَا﴾: القرآن ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: ما نسمعه هو سحرٌ واضحٌ، كان ضلالك بوضوح تام، تكذيباً، وافتراءً على رسالة محمد ﷺ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٨)

﴿أَمْ﴾: بل، حرف يُفيدُ الاضطراب للانتقال من معنى إلى معنى آخر ﴿يَقُولُونَ﴾: هؤلاء المشركون ﴿افْتَرَاهُ﴾: يقصدون محمداً ﷺ؛ أنه هو الذي اختلق هذا الكتاب كذباً ﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ ﴿إِنْ﴾: حرف شرط تأكدتم أنني ﴿افْتَرَيْتُهُ﴾: لو كذبت على الله ﷻ، وادّعت ما لم يأمرني به الله ﷻ ﴿فَلَا﴾: حرف تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل ﴿تَمْلِكُونَ﴾: ليس في مقدوركم ﴿لِي﴾: تخصيصاً من حيلٍ أو طرقٍ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾: ما استطعتم أنتم ومن في الأرض جميعاً أن يُجيرني من الله ﷻ ﴿شَيْئًا﴾: قليلاً أو كثيراً ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، ويعني هنا ﷻ ﴿أَعْلَمُ﴾: صاحب العلم المطلق ﴿بِمَا﴾: اسم

موصول بمعنى الذي **﴿تَفِيضُونَ﴾** : تخوضون **﴿فِيهِ﴾** : من القرآن **﴿كَمَى﴾** : يكفيني **﴿بِهِ﴾** :
 بالله **﴿شَهِيدًا﴾** : أن يكون الله **﴿شَهِيدًا﴾** شهيدًا **﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾** : فالله خير الشاهدين على كذبكم
 عليّ، وافترائكم عليه **﴿وَهُوَ﴾**، وهو العالمُ بصدقي، وهو الذي لم يقلل باب التوبة أمامهم، فیرغبهم
 فيها؛ فيقول **﴿وَهُوَ﴾** : الله **﴿الْغَفُورُ﴾** : المُسامح **﴿الرَّحِيمُ﴾** : صاحبُ الرحمةِ الواسعةِ
 للخلق جميعًا.

**﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا
 إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٩)**

﴿قُلْ﴾ : يا محمد **﴿مَا﴾** : حرف نفي **﴿كُنْتُ بِدَعَاٍ﴾** : شاذًا ومغايرًا أو افتراءً **﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾** :
 لم أكن أول رسولٍ بعثه الله **﴿لِلْبَشَرِ﴾**، حتى تُنكروا، وتستبعدوا بعثتي **﴿وَمَا﴾** : أيضًا هنا حرف
 نفي **﴿أَدْرِي﴾** : ولا أعرف **﴿مَا﴾** : الذي **﴿يُفَعَلُ بِي﴾** : لا أعرف ماذا سيأمرني الله **﴿أَنْ أَعْمَلَ﴾**
 وما عنه انتهى، قال الحسن البصري: ما يفعل بي ربكم في الدنيا؛ لأنني وعدت الجنة **﴿وَلَا﴾** :
 أيضًا أنفي معرفتي ماذا سيفعل الله **﴿بِكُمْ﴾** : حرف باء السبب **﴿إِنْ﴾** : بمعنى ما **﴿أَتَيْتُمْ﴾**
﴿إِلَّا﴾ : حرف استثناء **﴿مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾** : لا أفعل ولا أمرُ بالعمل إلا ما يُوحى إليّ ربي **﴿وَمَا﴾** :
 أيضًا أنفي **﴿أَنَا إِلَّا﴾** : حرف استثناء **﴿نَذِيرٌ﴾** : إن مهمتي أن أُنذر وأُحذّر كلّ إنسانٍ عاقلٍ؛
 حتى يفوز في الآخرة بالجنة **﴿مُبِينٌ﴾** : واضحٌ، إنني محذّر واضح التحذير.

**﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَّا
 وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠)**

﴿قُلْ﴾ : يا محمد **﴿أَرَأَيْتُمْ﴾** : حرف استفهامٍ بغرض الإنكار **﴿أَرَأَيْتُمْ﴾** : أخبروني
 ماذا يكون حالكم إذا علمتم وتأكدتم علم المُشاهد المُدرِك **﴿إِنْ﴾** : حرف شرط **﴿كَانَ﴾** : القرآن
 الكريم **﴿مِنْ﴾** : حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية **﴿عِنْدِ﴾** : ظرف مكان وزمان
﴿اللَّهُ﴾ : مصدره من الله **﴿وَقَوْ﴾** : حرفٌ عطفٍ يُفيد الحال؛ عطفًا على ما سبق **﴿كَفَرْتُمْ﴾**
﴿بِهِ﴾ وغطيتم وأنكرتم هذه الحقيقة؛ فماذا تتوقعون الله **﴿فَاعْلَ﴾** فاعلٌ بكم؟ **﴿وَشَهِدَ﴾** : شهادةٌ حقٍ
 وعدلٍ **﴿شَاهِدٌ﴾** : عبد الله بن سلام **﴿مِنْ بَنِي﴾** : أبناء وأحفاد **﴿إِسْرَائِيلَ﴾** : النبي يعقوب **﴿الَّذِي﴾**،

إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ»^(١).

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (١٢)

﴿وَمِنْ﴾: حرفٌ يُفِيدُ بدايةَ الغايةِ الزمانيةِ ﴿قَبْلِهِ﴾: من قبل القرآن الكريم ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾: هو التوراة الذي كان ﴿إِمَامًا﴾: ليقود الناس إلى الإيمان ﴿وَرَحْمَةً﴾: لهم في الدنيا، ومنجاةً من عذاب الآخرة ﴿وَهَذَا كِتَابٌ﴾: القرآن الكريم ﴿مُصَدِّقٌ﴾: مؤكِّدٌ على صدق الكتب السابقة، وله خصوصية كونه ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾: جاء بأفضل لغةٍ، وأفصحها، وأوضحها ﴿لِ﴾: يُفِيدُ العلةَ والسببَ ﴿يُنذِرَ﴾: لِيُحذِرَ ويزجر ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿ظَلَمُوا﴾: لم يعدلوا في حق أنفسهم؛ بشركهم، وبكفرهم، وعاقبته؛ فهو نذير ﴿و﴾: أيضًا ﴿بُشْرَى﴾: إخبارٌ بخيرٍ وما يُفرِّحُ ويسرُّ ﴿لِ﴾: حرفٌ تخصيصي ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: وَيُبَشِّرُ تخصيصًا الذين يؤمنون بالله ﷻ؛ بصدقٍ ويقينٍ.

التكليف: لا شك أن الكتب السماوية وحدة عقديّة واحدة، وإن اختلفت مفرداتها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٣)

﴿إِنَّ﴾: حرفٌ تأكيدٍ ونفيٍ الشكِّ والإنكارِ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿قَالُوا﴾: بألسنتهم صدقًا ما في قلوبهم إنَّ ﴿رَبُّنَا﴾: هو المُعبود، والمُربي، وهو منشئ الكون إلى حدِّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، فهو بذلك مالك أمرٍ كلِّه ﴿اللَّهُ نُمُّ﴾: بتتابعِ زمانيٍّ مع التراخي ﴿اسْتَقَامُوا﴾: اهتموا إلى الطريق الصحيح؛ على الإيمان والعمل الصالح ﴿فَلَا﴾: حرفٌ تخصيصيٌّ ونهْيٌ يفيد طلب عدم الفعل ﴿خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: نُفْيُ الخوفِ هنا بالاسم، لن يُصيبهم مكروه من أعدائهم، ولا خوف عليهم في الآخرة، هم آمنون فيما يستقبلون في آخرتهم يوم القيامة ﴿وَلَا﴾: حرفٌ نفيٍّ ﴿هُم﴾: ضمير الجمع المذكور، وهي للتخصيص، وتحديدًا ﴿يَحْزَنُونَ﴾: وهنا

(١) صحيح مسلم ٩٣/١ (٩١).

جاء نفي الخوف بالفعل؛ لأن سبب الخوف في المستقبل متكررة، غير متناهية؛ لعدم وقوعها، فتذهب النفس بها كلّ مذهب، وسبب الحزن ماضٍ، والماضي ينتهي بانقطاعه، فكان التعبير الأبلغ بالأبلغ، وعن الأخف بالأخف، على ما تركوا خلفهم من متاع.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٤)

﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد، الذين آمنوا واستقاموا، الموصوفين ﴿أَصْحَابُ﴾: المرافقون المملكون ﴿الْجَنَّةِ﴾: أهل الجنة الذين يرثون الجنة يوم القيامة، يعيشون فيها أبداً ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: مقامهم في الجنة مقام لا ينقطع ولا ينتهي ﴿جَزَاءً﴾: ثواباً من الله ﷻ ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿كَانُوا﴾: في حياتهم الدنيا ﴿يَعْمَلُونَ﴾: ما قدموه من الصالحات في دنياهم، الإيمان، والإحسان، وكلّ عملٍ يُؤدّي إلى رضا الله ﷻ.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دَرْبِي إِنَّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٥)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال، هنا عطفٌ على ما سبق ﴿وَصَّيْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع للتعظيم، والوصية هنا واجبة التنفيذ ﴿الْإِنْسَانَ﴾: أمر من الله ﷻ، للإنسان من بني آدم ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة والصلة ﴿وَالِدَيْهِ﴾: هنا تخصيص الأب والأم، أمّا إذا جاءت ﴿فِي﴾ كما في سورة النساء ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ فتعني تعدد الأمر وهي كثيرة تشمل الأجداد ﴿إِحْسَانًا﴾: أمر الله ﷻ كلّ ولدٍ وبناتٍ، وكلّ إنسانٍ بالعطف، والرعاية للأب والأم؛ فقد ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا﴾: بعد ذكر الوالدين جاء ذكر الأم؛ لزيادة العناية والاهتمام بها؛ لبيان فضلها، ومكانتها عند بها ﷻ؛ فمن أسباب فضل الأم؛ أنّ المرأة الحامل تُقاسي مشقةً، وغثياناً، وتقلّ البطن، وانتفاخه، وضغطه على أحشاء الجسم الهضمية والبولية، والأثر الضاغط على التنفس ﴿و﴾: أيضاً إذا جاء الوضع في نهاية الحمل ﴿وَضَعَتْهُ﴾: ولدتها ﴿كُرْهًا﴾: بسبب آلام الولادة، واتساع الجهاز التناسلي، وقبضات جدار الرحم المؤلمة، فيما يُعرف بالطلق ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ﴾: مدة

الرضاعة ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾: وهي مدّة تَضُمُّ الحمل والرضاعة، وإذا أضفنا الآية الكريمة: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان-١٤]؛ فتكون أقلُّ مدّة حملٍ لنمو أعضاء الجنين هي ستة أشهر، وهذا ما يؤكده الطب، وحالات الولادات المُشابهة ﴿حَتَّى﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد انتهاء الغاية الشرطية ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿بَلَغَ﴾: وصل ﴿أَشَدَّهُ﴾: شبَّ ونما إلى مرحلة الصبا والشباب؛ حيث القوة البدنية، وصحة العقل، ونمو أعضاء الجسم واكتمالها ﴿وَبَلَغَ﴾: وصل عمره ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾: حيث لا يحدث تغيير عضوي بضعفٍ حتى سن الأربعين ﴿قَالَ رَبِّ﴾: يا مالك أمري كله ﴿أَوْزِعْنِي﴾: ألهمني ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿أَشْكُرُ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾: ربّي أعني وسهّل لي أن أشكر فضلك الذي وهبتي ﴿و﴾: أيضًا أن أشكر كرمك وفضلك ﴿عَلَى وَالِدَيْ﴾: أبي وأمي وأجدادي، كما أنعمت على والديّ اللذين أنجباني، وربّاني، وأنفقا عليّ ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ﴾: العمل يكون مصحوبًا بالنية، بينما الفعل يكون مصحوبًا بالجوارح ﴿صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾: أن ينال عملي رضاك؛ فيكون مقبولًا ﴿وَأُضْلِحْ لِي﴾: تخصيصًا ﴿فِي ذُرِّيَّتِي﴾: أصلح حال أولادي، وبناتي، وأحفادي ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿ثَبْتُ إِلَيْكَ﴾: أقلعت عن ذنوبي ﴿وَإِنِّي﴾: إنّي أنا بالتأكيد ﴿مِنْ﴾: حرف جرٌّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية، أنا عضو، فرد في ﴿الْمُسْلِمِينَ﴾: وهذا الدعاء إرشادٌ لمن بلغ الأربعين أن يُجدد توبته، ويؤكد إنابته إلى الله عزّ وجلّ، والأمر لا يقف عند الأربعين؛ فلكلِّ عمرٍ فضله وكرمه، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال: أعمارُ أمّتي ما بينَ السَّبْتَيْنِ، إلى السَّبْعِينَ، وأقلُّهُم من يَجُوزُ ذلك^(١).

التكليف: بعد آيات أهل الإيمان والاستقامة ومصيرهم في الآخرة؛ جاء الأمر الربّاني بقيمة الأسرة، وحقوق الركنين الأساس: الأب والأم.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (١٦)

(١) سنن ابن ماجة ٣١١/٥ (٤٢٣٦)، قال الأرنؤوط: إسناده حسن.

﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد، الذين اتصفوا بما ذكر الله ﷻ، والداعين إلى الله ﷻ على وجه الخصوص ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿نَتَقَبَّلُ﴾: جاءت بصيغة الجمع؛ لتكبير قيمة القبول ﴿عَنْهُمْ﴾: منهم ﴿أَحْسَنَ﴾: أفضل ﴿مَا﴾: الذي ﴿عَمِلُوا﴾: قبول الله ﷻ طاعتهم، ليس فقط قبول أحسن ما عملوا، وترك الأعمال الباقية؛ بل يتقبل أعمالهم كلها ﴿و﴾: حرفٌ عطفيٌّ يفيد الحال، عطفاً على هذا القبول ﴿نَتَجَاوَزُ﴾: نغفر ونسامح ونتجاوز ﴿عَنْ﴾: حرفٌ يفيدُ المُجاوِزةَ ﴿سَيِّئَاتِهِمْ﴾: نتجاوز عن زلَّاتهم، ونقبل منهم مغفرة اليسير من العمل ﴿فِي أَصْحَابِ﴾: في جملة ومجموع سُكَّانِ ﴿الْجَنَّةِ﴾: الدائمين، هم في أهل الجنة ﴿وَعَدَّ﴾: ما وعدهم الله هو ﴿الصِّدْقِ﴾: الصواب الحق ﴿الَّذِي﴾: وعد الله ﷻ ﴿كَأَنَّا يُوعَدُونَ﴾: وعد للرسول ولصحابته الكرام، والتابعين وعد الصدق الذي لا شك فيه.

﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفِ لَكُمْ أَن أخرجَ وَقَدْ خَلتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيَلْتَكُمُ آمِينَ إِنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٧)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد المذكر ﴿قَالَ لِ﴾: حرف تخصيص ﴿وَالَّذِيهِ﴾: أمه وأبيه ﴿أَفِ﴾: الأفت تعبير عن كلِّ مستقذرٍ من وسخٍ، يدلُّ على الضجر، والاستخفاف، بمعنى تباً وتعساً وقبح اللئيم ﷻ وجوهكم ﴿لَكُمْ﴾: قيل نزلت في أشخاص بعينهم، ولكن القول عام، لكلِّ من يتأفف ويعقِّ والديه، في كلِّ وقتٍ وكلِّ حينٍ، التأفف والضجر من ضعفهما، أو فقرهما، أو دعوتهما له ﴿أ﴾: حرفٌ استفهامٍ بغرض الاستكثار ﴿تَعْدَانِي﴾: تعطوني وعداً ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿أخرجَ﴾: هل تعدون هذه الأجساد التي بُليت، وذابت في القبور، أن تعود للحياة مرةً أخرى يوم القيامة ﴿وَقَدْ﴾: أيضاً حدث في الماضي ﴿خَلتِ﴾: مضت ﴿الْقُرُونُ﴾: مئات السنين العديدة ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الزمانية ﴿قَبْلِي﴾: وقد ذهب النَّاسُ من قبلي، الذين ماتوا، وصاروا تُراباً، ولم يخرجوا ﴿وَهُمَا﴾: الوالدان ﴿يَسْتَعْجِلَانِ﴾: يرجوان ويتوسلان ﴿اللَّهُ﴾: ﷻ، فإنه لا يكفُّ الأبوان من الرجاء لله ﷻ، والاستغاثة به، ويسألانه أن يغفر لولدهما محدثين إياه ﴿وَنَيْلِكَ﴾: الهلاك لك إن لم تؤمن ﴿آمِنَ﴾: أعلن إيمانك ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾:

الهلاك لك محقق؛ إن لم تؤمن، وأن وعد الله ﷻ، القيامة، والجنة، والنار، حق يتحقق لا محالة
﴿ف﴾: حرف سبب وفي تتابعٍ سريعٍ **﴿يَقُولُ مَا هَذَا﴾**: ما تدعون عن البعث والنشور **﴿الْأ﴾**:
حرف استثناء يفيد الحصرَ منقولاً من **﴿أَسَاطِيرُ﴾**: أكاذيب ما سطره وكتبه **﴿الْأُولِينَ﴾**:
الأقدمين، يقول مكذباً مدّعياً إن هذا الوعد من قصص قديمة، لا أساس لها.

**﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا
خَاسِرِينَ﴾ (١٨)**

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للقريب والبعيد، الذين أسأؤوا إلى والديهم، وُينكرون القيامة، ويتهمونها
بنقل أساطير الأولين **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿حَقَّ﴾**: جاء اللفظ القرآني "الحق"
على أحد عشر وجهًا؛ هنا بمعنى أوجب عليهم من الكُفَّار، الفجَّار، العاقين لوالديهم، المُكذِّبين
بالبعث **﴿عَلَيْهِمْ﴾**: تحديداً **﴿الْقَوْلُ﴾**: قرار العذاب **﴿فِي أُمِّ﴾**: شعوب وقبائل **﴿قَدْ﴾**: حرف
جرٍ أفاد التأكيد لأنه دخل هنا على الفعل الماضي **﴿خَلَّتْ﴾**: سبقت **﴿مِنْ﴾**: حرف جرٍ يفيد
بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الزمانية **﴿قَبْلِهِمْ﴾**: الذين سبقوهم في كفرهم **﴿مِنْ﴾**: حرف
يفيد بداية الغاية المكانية **﴿الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾**: أبناء آدم **﴿إِنَّهُمْ﴾**: بالتأكيد **﴿كَانُوا خَاسِرِينَ﴾**:
خسروا دنياهم؛ فماتوا وهم كافرون، وخسروا أنفسهم، فأوردوها النار، وخسروا صُحبة أقرابهم يوم
القيامة؛ لما صارت النار مثواهم، فهم في عذابٍ شديد الإيلام.

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٩)

﴿وَلِكُلِّ﴾: حرف تخصيص لكل واحدٍ من الفريقين، المؤمن والكافر؛ جاء التتوين هنا في لكلٍ
كتتوين عوض أي ولكل فريقٍ من المؤمنين ومن الكافرين **﴿دَرَجَاتٍ﴾**: مما عملوا، وهذه أعمّ،
وتعني مراتب ومنازل المؤمنين، ودرجات الكافرين **﴿مِمَّا﴾**: من الذي **﴿عَمِلُوا﴾**: حسبما عمل،
لكلِّ عملٍ حساب، قال عبد الرحمن بن زيد: فمراتبُ أهل الجنة درجاتٌ عاليةٌ، ومراتبُ أهل النار
درجاتٌ سافلةٌ **﴿وَلِيُوفِّيَهُمْ﴾**: أيضاً بغرض يعطيهم نصيبهم، الذي يستحقون من **﴿أَعْمَالِهِمْ﴾**:
الله ﷻ يُقيم العدل فيهم، **﴿وَهُمْ﴾**: تحديداً **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يُظْلَمُونَ﴾**: لا يُنقص من حسناتهم
ولا يزيد في سيئاتهم، إن الله ﷻ لا يظلم أحداً، ولو مثقال ذرّة.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ (٢٠)

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ﴾: واذكر يا أيها الرسول لهؤلاء المشركين يوم القيامة، حيث وقفت زمرة الكافرين على النار، ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ يُقال لهم توبيخًا، هل القائل هو الله ﷻ؟ أم الرسل؟ أم الملائكة؟ الله أعلم لقد ﴿أَلْهَبْتُمْ﴾: ضيَعتم ثواب ﴿طَيِّبَاتِكُمْ﴾: كلُّ ما يستمتع به الجسد وتقبله النفس، هي طيب الطعام والشراب، وقد يكون المقصود أذهبوا ثواب وأجر الطاعات ﴿فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾: على الأرض ﴿وَق﴾: حرفٌ عطفيٌّ يفيد الحال؛ عطفاً على الذي ﴿اسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾: استمتعاً مُحَرَّمًا ﴿فَب﴾: لهذا السبب ﴿الْيَوْمَ﴾: يوم الحساب ﴿تُجْرَوْنَ﴾: تُعاقبون فتذوقون ﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾: عذاب الخزي، والإهانة، والآلام الشديدة، والحسرة بعد الندامة، ودركاتِ النَّارِ المؤلمة ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿كُنْتُمْ﴾: في حياتكم الدنيا ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾: تتعالون وتتكبرون ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: جاء في "الأرض" لتحقير المستكبر في إشارةٍ إلى استكباره التي يدوس عليها النَّاسُ والدوابُّ بالأقدام، وتدفن فيها القاذورات والنجاسات، وقد خُلِقَ الإنسانُ منها ويعود إليها؛ فما بسبب تعاليكم عن عبادة الله وحده، وتكبركم على خلق الله ﷻ ﴿غَيْرِ﴾: حرف استثناء بمعنى إلَّا ﴿الْحَقِّ﴾: ظلماً وعدواناً ﴿وَبِمَا﴾: وأيضاً بالذي ﴿كُنْتُمْ﴾: في الحياة الدنيا ﴿تَفْسُقُونَ﴾: تخرجون عن تعاليم ما أمر الله ﷻ به.

﴿وَأَنْذِرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٢١)

﴿وَق﴾: أيضاً ﴿أَنْذِرْ﴾: من باب طمأننة وتسليية الرسول ﷺ يقول ﷻ ﴿أَخَا عَادٍ﴾: وهو هود عليه السلام، أخو قومه في النسب ﴿إِنْ﴾: حدث فيما مضى للتوكيد ﴿أَنْذَرَ قَوْمَهُ﴾: حذَّهم وخوَّفهم من وقوع عذابٍ من الله ﷻ عليهم ﴿ب﴾: حرفُ باءِ المصاحبة ﴿الْأَحْقَافِ﴾: جمع حقف، وهو جبلٌ من الرمل، جنوب الجزيرة العربية، وقال عكرمة: الجبل والغار، وقال قتادة: كانوا حياً باليمن أهل رملٍ، يُشرفون على البحر، بأرضٍ يُقال لها الشَّحْر ﴿وَقَدْ﴾: حدث في الماضي ﴿خَلَّتِ﴾: مضت وذهبت ﴿النَّذْرُ﴾: الرسل فقد أرسل الله ﷻ إلى النَّاسِ من بينهم رسلاً مُنذرين

﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الزمانيّة ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: الذين كانوا قبل هود عليه السلام ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾: ومن بعده عليه السلام، مُحذرين، ومُخوفين من عاقبة ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه بمعنى هل ﴿تَعْبُدُوا﴾: تُطيعوا ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿اللَّهِ﴾: لا تطيعوا غير الحق ﷻ ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾: أن يصيبكم ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: حذرهم من بطش ربهم الشديد، في الدنيا، وعذابه حتّمًا في الآخرة يوم القيامة.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنِ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ (٢٢)

﴿قَالُوا﴾: قوم هود عليه السلام ﴿أ﴾: حرف استفهام ﴿جِئْتَنَا﴾: أتيتنا ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿تَأْفِكَنَا﴾: تصرفنا وتمنعنا ﴿عَنِ﴾: حرف جرّ يُفيد المجاوزة ﴿آلِهَتِنَا﴾: لتصدنا وتمنعنا عمّا نعبد؛ فإن كنت صادقًا ﴿نَف﴾: بسبب هذا، وفي تتابعٍ زمنيٍّ سريعٍ ﴿أَتِنَا﴾: احضر لنا ﴿بِمَا﴾: بالذي ﴿تَعِدُنَا﴾: وعدتنا به، أنت تقول أن عقوبةً عظيمةً ستحلُّ بنا إن لم نؤمن لك؛ فأتينا بها؛ قالوها تعجيزًا وتحديًا ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتَ مِنْ﴾: بعض ﴿الصّٰدِقِينَ﴾: هم يقولون أنه كاذب، ولو صدّقوه ما قالوا.

﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ (٢٣)

﴿قَالَ﴾: هود عليه السلام ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصرٍ مركبةٍ تُفيد التحديد والتخصيص ﴿الْعِلْمُ﴾: إن علم وقت العقوبة في الدنيا، ويوم القيامة هو من ﴿عِنْدَ﴾: حرف زمانٍ ومكانٍ ﴿اللَّهِ﴾ ﷻ ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال؛ عطفًا على ما سبق فإن مهمّتي أن ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾: أنقل إليكم صادقًا ﴿مَا﴾: الذي ﴿أُرْسِلْتُ بِهِ﴾: رسالة الله ﷻ إليكم، ومهمّتي هي دعوتكم للإيمان ﴿وَلَكِنِّي﴾: أيضًا مُستدرّكًا ﴿أَرَأَيْكُمْ﴾: أشاهدكم وأعلم أنكم ﴿قَوْمًا﴾: جماعة ﴿تَجْهَلُونَ﴾: لا تعقلون، ولا تعرفون ما ينفعكم، وما يضرركم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٤)

﴿فَلَمَّا﴾: حرف يُفيد التتابع والسبب ﴿رَأَوْهُ﴾: شاهدوا العذاب القادم ﴿عَارِضًا﴾: سحابًا يعرض في السماء ﴿مُسْتَقْبِلَ﴾: يقترب من ﴿أَوْدِيَّتِهِمْ﴾: فظنوه مطرًا؛ ففرحوا، واستبشروا؛ فقد كانوا في

حال جفافٍ ونقصٍ ماءٍ ﴿قَالُوا﴾: فرحين مُستبشرين ﴿هَذَا عَارِضٌ﴾: السحابُ القادم ﴿مُمْطِرُنَا﴾: هنا إشارةٌ إلى أنّ الأمر جاء على غير إرادتهم وإلا كانوا قالوا هو ممطرنا؛ عدوه غيئاً وخيراً، والحقيقة ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده، إنّ الحقيقة أنّه كان ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائبِ المفردِ المذكر، وهنا المقصود هو الريح ﴿مَا﴾: الذي ﴿اسْتَفْجَلْتُمْ بِهِ﴾: ما طلبتموه مستعجلين إنّّه في الحقيقة ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: ولأنّ بلادهم رمال؛ كانت العقوبة هي الريح؛ فالرمال ستغطي كلّ شيءٍ، وتدفن تحتها كلّ شيءٍ.

﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٢٥)
﴿تُدْمِرُ﴾: لقد تضافرت الريحُ، والمطرُ، والرمالُ مع أنّ مساكنهم لم تُدمر ولكنها بقيت خاوية خاليةً منهم، وقد يكون أنّ تدمر المساكن فتزِيل، وتُهشم ﴿كُلَّ﴾: تعيد جميع ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد تدمير كلّ شيءٍ تمر عليه، والله ﷻ أعلم ﴿بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿أَمْرٍ﴾: بإذن ﴿رَبِّهَا﴾: مالك أمرها كلّها، مطيعةً له، منفذةً لإرادته ﷻ تُدمر كلّ ما ومن تمر عليه، بأمر الله ﷻ المُسبق ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ.
﴿أَصْبَحُوا﴾: صار حالهم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُرَى﴾: لا تُشاهد ﴿إِلَّا﴾: استثناءً ﴿مَسَاكِينُهُمْ﴾: قُضي على كلّ مخلوقٍ، وبقيت المساكن شاهدة على وجودهم فيها من قبل ﴿كَذَلِكَ﴾: هكذا وبهذه الصورة ﴿نَجْزِي﴾: ننتقم من ﴿الْقَوْمِ﴾: الذين هم أصحاب مذهبٍ كفرٍ واحدٍ ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: المُصرّين على كفرهم.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٢٦)

﴿وَلَقَدْ﴾: حدث وتحقق في الماضي ﴿مَكَّنَّاهُمْ﴾: أعطينا قوم هود من أسباب التمكين: الرجال، والمال ﴿فِيمَا﴾: في الذي ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾: ما لم نعطكم مثله من الأموال، والأولاد، وأسباب القوة ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ﴾: عطفاً على ما سبق وتخصيصاً ﴿سَمْعًا و﴾: أيضاً ﴿أَبْصَارًا﴾: وهي وسائل الإدراك؛ للوصول إلى الحقائق ﴿و﴾: أيضاً جعلنا لهم ﴿أَفْئِدَةً﴾: وهي

مراكز الوعي والإدراك جاء تكرار لفظ "السمع" و"البصر" لزيادة التقييح عليهم ﴿فَمَا﴾: حرف عطف يفيدُ خبرًا ﴿أَعْنَى﴾: منع أو دفع ﴿عَنْهُمْ﴾: حرفٌ يُفيدُ المجاوزة ﴿سَمِعْتَهُمْ وَلَا﴾: حرف نفي ﴿أَبْصَارَهُمْ وَلَا﴾: حرف نفي ﴿أَفْنَدْتُهُمْ﴾: قلوبهم ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيدُ بيان وتمييز النوع ويفيدُ ابتداء الغاية المكانية ﴿شَيْءٍ﴾: لأن هذه الحواس والأعضاء هي سبب جحودهم وكفرهم بآيات الله ﷻ؛ لم تتفهم هذه النعم الكبرى في دفع عذاب الله ﷻ عنهم ﴿إِذْ﴾: حدث في الماضي ما يسبب الوجع ﴿كَانُوا يَجْحَدُونَ﴾: يُنكرون ويكفرون ﴿بِ﴾: بآء السببية ﴿آيَاتِ﴾: الأدلّة والبراهين من ﴿اللَّهِ﴾: أدلة الله ﷻ وبراهينه ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحال؛ عطفًا على جحودهم ﴿حَاقَ بِهِمْ﴾: أصابهم وألَمَ بهم، ونزل بهم ﴿مَا﴾: الذي ﴿كَانُوا بِهِ﴾: العذاب ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾: كانوا يسخرون من كلِّ من ذكر العذاب، والنكال، الذي استتبعوا وقوعه، وهو تحذيرٌ لكلِّ جيلٍ، وكلِّ إنسان.

﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٧)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي أن ﴿أَهَلَكْنَا﴾: دمرنا ﴿مَا﴾: الذي كان من جنس غير العاقل ﴿حَوْلَكُمْ مِنْ﴾: حرفٌ يفيدُ بداية الغاية المكانية ﴿الْقُرَى﴾: يا أهل مكة من المناطق المعروفة والأمم السابقة، التي كذّبت رُسُلهم مثل الأحقاف بحضرموت وهم قوم عاد، وقوم ثمود، وقوم صالح، وكانوا بين مكة، والشام، وسبأ وهم قومٌ في اليمن، وقوم مدين في طريق أهل مكة إلى غزة في فلسطين، وبحيرة البحر الميت قوم لوطٍ ﴿وَصَرَّفْنَا﴾: أيضاً بيّنا، ووضّحنا ﴿الْآيَاتِ﴾: الأدلّة والبراهين على صدق الرسالة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرفٌ يُفيدُ التحقق؛ لأنها جاءت من الله ﷻ ﴿يَرْجِعُونَ﴾: يعودوا عن كفرهم ويؤمنوا.

﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكُمْ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا

يَفْتَرُونَ﴾ (٢٨)

﴿فَلَوْلَا﴾: حرفٌ يحضُّ على الفعل؛ يُفيدُ التخصيص، أو الدلالة على فعلٍ؛ لوجود غيره ﴿نَصْرَهُمُ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ للتخصيص بمعنى فهلاً نصرهم بدفع العذاب عنهم الذين اتخذوهم من دون الله آلهة، يفيدُ جميع مَنْ ﴿اتَّخَذُوا﴾: اعتمدوا ﴿مِنْ دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهِ﴾: ﷻ آلهة

ومعبودات ﴿قُرْبَانًا﴾: يتزلفون، ويتقربون إليها، عاملوها معاملة ﴿آلِهَةً﴾: ما يعبدون من هذه الأصنام والأوثان ﴿بَل﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿صَلُّوا﴾: تاهوا وانفضوا ﴿عَنَّهُمْ﴾: حرفٌ يُفيد المجاوزة والبعد ﴿وَذَلِكَ﴾: إشارةٌ أيضًا للبعيد، هو الكذب، والافتراء، وأمانيتهم الزائفة؛ بنصرة الأصنام لهم هي ﴿إِفْكُهُمْ﴾: هذه أكاذيبهم ﴿وَمَا﴾: والذي ﴿كَانُوا﴾: في الماضي ﴿يُفْتَرُونَ﴾: يكذبون.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ (٢٩)

﴿وَإِذْ﴾: واذكر ما حدث في الماضي الذي يستحق الذكر يوم ﴿صَرَفْنَا﴾: أرسلنا ﴿إِلَيْكَ﴾: جاء اللفظ القرآني "التصريف" على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى التوجيه؛ أي لقد وجهنا إليك ﴿نَفَرًا﴾: طائفة، فريقًا ﴿مِّن﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا﴾: في تتابعٍ وسببٍ ﴿حَضَرُوهُ﴾: وصلوا، واستمعوا إلى القرآن الكريم ﴿قَالُوا﴾: هم الجن ﴿أَنصِتُوا﴾: تواصلوا بالاستماع لمحمد ﷺ ﴿فَلَمَّا﴾: في تتابعٍ، وبسبب أن ﴿قُضِيَ﴾: عندما فرغ من قراءة القرآن الكريم ﴿وَلَّوْا﴾: رجعوا ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾: ذهبوا إلى قومهم الذين لم يستمعوا للقرآن ﴿مُنْذِرِينَ﴾: أنذروهم مخالفة عقوبة ما سمعوا من رسول الله ﷺ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: هَبَطُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ بِبَطْنِ نَخْلَةَ فَلَمَّا سَمِعُوهُ قَالُوا: أَنصِتُوا. قَالُوا: صَه. وَكَانُوا تِسْعَةً أَحَدُهُمْ زَوْجَةٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا﴾^(١).

التكليف: من هذه الآية نستدل أنه ليس في الجن رسلٌ، ولكن فيهم نُذُرٌ منذرين، وأمَّا الآية: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام-١٣٠]؛ المقصود مجموع الجنسين؛ فيصدقُ على أحدهما وهم الإنس.

﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣٠)

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٢/٤٩٥ (٣٧٠١) وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. ووافقه الذهبي.

﴿قَالُوا﴾: هم الجن، الذين استمعوا إلى رسول الله ﷺ، وقد ذهب إليهم قصداً، وقال ابن مسعود: أتوه من نينوى من أصل نخلة، وقد قيل عنهم إنهم كانوا على ستين راحلة، وقيل كانوا ثلاثمائة ﴿يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿قَوْمَنَا﴾: أقاربنا وأهل ملتنا ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضمير للجمع المتكلم الحاضر ﴿سَمِعْنَا كِتَابًا﴾: آيات القرآن الكريم ﴿أُنزِلَ مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الزمانيّة ﴿بَعْدَ﴾: حرف يُفيد بداية الغاية الزمانيّة ﴿مُوسَى﴾: على زمن محمد ﷺ ولم يقولوا من بعد عيسى ﷺ؛ لأنّ في الإنجيل مواعظ، وقليل من التحليل والتحريم؛ متمماً لشرعية التوراة ﴿مُصَدِّقًا﴾: مؤكداً ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: على الكتب التي سبقته؛ فخبّر القرآن صدق، وطلبه عدل، جاء في المعنى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام- ١١٥] ﴿يَهْدِي﴾: يدلّ ويقود ﴿إِلَى الْحَقِّ﴾: الصدق والعدل وهو راجعٌ إلى الأمور الاعتقادية ﴿وَ﴾: أيضاً ﴿إِلَى طَرِيقٍ﴾: منهج ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾: راجعٌ إلى الفعل العملي وهو الإسلام، مع العلم أنّ الحق هو الطريق المستقيم.

﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣١)

﴿يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿قَوْمَنَا﴾: دعوة الذين استمعوا إلى القرآن من محمد ﷺ دعوة قومهم من الجن ﴿أَجِيبُوا﴾: أطيعوا واسمعوا ﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾: لدعوة الله التي سمعنا من رسوله محمد ﷺ وقد قرأ عليهم سورة الرحمن ﴿وَ﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال، عطفاً على هذا ﴿آمِنُوا بِهِ﴾: وكونوا مسلمين ﴿يَغْفِرَ﴾: يمحو ﴿لَكُمْ﴾ تخصيصاً ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿ذُنُوبِكُمْ﴾: ويغفر كلّ الذنوب، ومن هنا زائدة، أو للتبعيض؛ والله أعلم ﴿وَيُجِرْكُمْ﴾: يقيكم، ويحفظكم ﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: موجعٍ شديدٍ.

﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ

مُبين﴾ (٣٢)

﴿وَ﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُجِبْ﴾: من لم يقبل ويستجب ﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾: للرسول ﷺ، وهي دعوة للإنس والجن ﴿فَ﴾: بسبب هذا فهو ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماضٍ يفيد النفي ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿مُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾: لن يُفلح

في الهروب في الأرض ﴿وَلَيْسَ لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: غير الله ﷻ ﴿أُولِيَاءَ﴾: ناصرين، ومحبيين، ومؤيدين ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ هؤلاء الذين لم يجيبوا داعي الله فيصدقوا به، وبما دعاهم إليه من توحيد الله، والعمل بطاعته في جور عن قصد السبيل، وأخذ على غير استقامة.

التكليف: هذه الآيات التي جاءت في الجن، دفعتهم أن يأتوا إلى رسول الله ﷺ وفودًا بعد الترغيب والترهيب.

﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْيِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٣)

﴿أَوْلَمْ﴾: حرف استفهام واستنكار ﴿يَرَوْا﴾: يشاهد المنكرون للبعث، الراضون حقيقة قيام الأجساد من التراب يوم القيامة ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿اللَّهُ الَّذِي﴾: اسم موصول للمفرد، والمقصود هنا هو الله ﷻ ﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق مثال ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها من أجرام، وهواء، وسحاب، وملائكة، وغير ذلك ﴿وَ﴾: أيضًا خلق ﴿الْأَرْضَ﴾: بجبالها، وسهولها، ومياهها، ومعانها، وكنوزها، وهي حقيقة لم يُنكرها الكافرون ﴿وَلَمْ﴾: حرف نفي قاطع ﴿يَغْيِ﴾: يتعب أو يكل ﴿بِ﴾: حرف يفيد السبب ﴿خَلْقِهِنَّ﴾: لم يتعبه خلقهن، إذ قال ﷻ كوني؛ فكانت، بلا ممانعة، أو مخالفة، هنا الحديث عن إلى صدق إعادة خلق الإنسان، فالإعادة هي إيجاد عن عدم بمعنى أن المعدوم يُعاد بعينه، وإعادة الخلق أهون من الخلق أول مرة ﴿بِقَادِرٍ﴾: على تحقيق الغاية، وبناءً على هذا فإنه ﷻ قادرٌ ﴿عَلَى أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾: هل يُعجزه أن يُحيي الموتى من مرقدهم ﴿بَلَى﴾: حرف للتصديق بمعنى نعم ﴿إِنَّهُ﴾: هو بالتأكيد ﷻ قادرٌ ﴿عَلَى كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة نكرة؛ لتؤكد ﴿قَدِيرٌ﴾: قادر، إنه على كل شيء، وهذا لفظ يُفيد عموم الأشياء، ومنها إحياء الموتى.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣٤)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال؛ عطفًا على ما سبق ﴿يَوْمَ يُعْرَضُ﴾: يقف النَّاسُ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾: أمام جهنم، يوم القيامة؛ يُقال لهم ﴿الَّذِينَ﴾: حرف استفهامٍ تقيديٍّ للتوكيد ﴿هَذَا﴾: توبيخًا لهم، هل الذي تُشاهدون من العذاب ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة والصلة ﴿الْحَقِّ﴾: هل ما تشاهدون حق أم خيال؟ ﴿قَالُوا بَلَى﴾: موافقة، وجوابٌ وتصديق ﴿و﴾: حرف واو القسم ﴿رَبِّنَا﴾: يقسمون بعد فوات الأوان، اعترفوا، وتذللوا، وقالوا نعم هو حق يا مالك أمرنا كله ﴿قَالَ﴾: ﴿ف﴾: بسبب كفركم في الدنيا ﴿ذُوقُوا﴾: والذوق هو فقط للطعام، وكإشارة إلى أن كل أدوات الحواس الجلد والشم وغيرها سيصيبها وتُعاني ويلات ﴿العَذَابِ بِمَا﴾: بالذي ﴿كُنْتُمْ﴾: في الحياة الدنيا ﴿تَكْفُرُونَ﴾: تُكفرون، وتُخفون حقيقة الله ﷻ، ورسله، وكتبه.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٣٥)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿اصْبِرْ﴾: على تكذيب قومك، هذا قول الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ؛ وبه يتأسى كلُّ داعيةٍ، وكلُّ مصلحٍ بالإسلام ﴿كَمَا﴾: مثلما ﴿صَبَرَ أُولُو﴾: أصحاب ﴿العَزْمِ﴾: القوة العقديَّة ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية ﴿الرُّسُلِ﴾: هم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، عليهم السلام: كان صبرهم كبيرًا، ومعاناتهم كبيرة ﴿وَلَا﴾: حرف نهيٍ وتحريمٍ ﴿تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾: لا تتعجل في حلول العقاب عليهم ﴿كَأَنَّهُمْ﴾: حرفٌ يفيد التشبيه ﴿يَوْمَ﴾: القيامة ﴿يَرَوْنَ مَا﴾: يعاينون بأبصارهم الذي ﴿يُوعَدُونَ﴾: ما توعدهم الله ﷻ من العذاب ﴿لَمْ﴾: حرف جزمٍ ينفي الفعل المضارع، ﴿يَلْبُثُوا﴾: يمكثوا ويعيشوا. جاء في المعنى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات-٤٦] ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ ﴿سَاعَةً﴾ ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿نَهَارٍ﴾: ولم يقل ساعة من الليل ما تبقى هي مُدَّة لا تُذكر في عمر الزمن، هذا ﴿بَلَاغٌ﴾: هذا القرآن إنذار ﴿فَهَلْ﴾: حرف استفهامٍ أفاد معنى الإثبات، أي لا يهلك إلا القوم الفاسقين، ولا يكون حرف استفسار لأنَّ المستفسر الله وهو ﷻ أحاط بكلِّ شيء علمًا، وإنَّما أراد أن يُثبت ويؤكد هلاك أولئك ﴿يَهْلِكُ﴾: يُفني ﴿إِلَّا﴾: حرف

استثناء ﴿الْقَوْمِ﴾: الجماعة التي من جنسٍ واحدٍ أو أصحاب عقيدةٍ واحدةٍ ﴿الْفَاسِقُونَ﴾: لا يهلك إلا من استحق الهلاك، الذين فسقوا؛ خرجوا عما أمرهم الله ﷻ.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة؛ تُقام الحُجَّة على كلِّ كافرٍ، في كلِّ عصرٍ ونعلم أنه لا حُجَّة لكافرٍ على كفره.



سُمّيت سورة محمد بهذا الاسم في كُتب السُنَّة؛ ووجه التسمية ذكر فيها اسم النبي محمد ﷺ في الآية الثانية، وتسمى أيضًا سورة القتال، وسُمّيت سورة الأنفال؛ لأنه جاء فيها مشروعية القتال، وهي سورة مدنية بالاتفاق، نزلت بعد معركة بدر، وموقعها (٩٥) في عداد السور، نزلت بعد سورة الحديد، وقبل سورة الرعد، وعدد آياتها (٣٨) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (١)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: الكافر هو من يعرف حقيقة الإيمان ولكن يُخفيها بعنجهية وكبرياء، هم الذين أنكروا أنّ الله ﷻ هو الإله الحق وحده، لا شريك له وأخفوا حقيقة الإيمان، وصدق الرسالة، وتحقق البعث. إنّ الكفر قسمان: إكراه وطوع ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيد الحال؛ هنا عطفاً على كفرهم ﴿صَدُّوا﴾: هذا يعني أنّ كفرهم اختياري، لا اضطراري منعوا، وصرّفوا غيرهم ﴿عَنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد المجاوزة ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دين الله وهو الإسلام، والنتيجة التي أصابتهم ﴿أَضَلَّ﴾: أبطل، وأحبط، جاء الحرف القرآني "الضلال" على ثمانية أوجه؛ هنا بمعنى أبطل كانت النتيجة؛ أن أبطل ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾: كلّ ما عملوا مِنْ تَقَدُّمٍ في حياتهم؛ كانت أعمالاً بلا ثواب.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (٢)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد هنا حال ما سبق ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر؛ يقيناً هنا الإيمان عام ﴿وَعَمَلُوا﴾: أيضاً طبقت جوارحهم ما تُكَنِّ قلوبُهُم ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ من عباداتٍ، ومعاملاتٍ، حسبما أمر الله ﷻ ﴿وَأَمَنُوا﴾: تصديق يقين ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿نُزِّلَ﴾: القرآن الكريم ﴿عَلَى مُحَمَّدٍ﴾: ﷺ هنا جاء نكرُ الخاص عطفًا على العام؛ وهو شرطٌ من صحَّةِ الإيمان ﴿وَهُوَ﴾: القرآن الكريم ﴿الْحَقُّ﴾: الصواب ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الكلية ﴿رَبِّهِمْ﴾: وهو منشىء الشيء من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام المُعبود، والمُربي، والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابِرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ؛ فهو مالك أمرهم كلِّه، هذا تأكيدٌ على صدق الرسالة ونتائجها ﴿كَفَرُوا﴾: عفا عنهم غفر وتجاوز عمَّا عملوا من السيئات ﴿عَنْهُمْ﴾: حرفٌ يفيدُ المجاوزة ﴿سَيِّئَاتِهِمْ﴾: ذنوبهم ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال ﴿أَصْلَحَ﴾: صَوَّبَ ونَقَّى من الانحراف ﴿بِالْهُمَّ﴾: قال ابن عباس: أمرهم، وقال مجاهد: شأنهم، وقال قتادة: حالهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الضَّالِّينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ (٣)

﴿ذَلِكَ﴾: إشارةٌ للبعيد إلى ما مرَّ من إضلال الأعمال للكافرين ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: لأنَّهم ﴿اتَّبَعُوا﴾: سلكوا سبيل ﴿الضَّالِّينَ﴾: وهو الشيطان الذي جعلهم يقترفون الأعمال المحرَّمة، ليس لها ثواب، الفاشلة ﴿وَأَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع ﴿آمَنُوا﴾: بالله ﷻ، وكتبه، ورسله ﴿اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾: سلكوا سبيل أصحاب مشروع الإصلاح الحق فاتبعوا الرسول وطبقوا ما جاء به من النور والهدى لأنَّه ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾: من الخالق، المالك، المتصرف فيهم ﴿كَذَلِكَ﴾: اختلف حالهم فاختلف جزاؤهم ﴿يَضْرِبُ﴾: يُبَيِّنُ ويُوضِّح ﴿اللَّهُ لِي﴾: حرف تخصيص ﴿النَّاسِ﴾: عموم بني آدم ﴿أَمْثَالَهُمْ﴾: من هم مثلهم، أشباههم، يُبيِّن الحق ﷻ للنَّاسِ المؤمن والكافر مآلهم، كما حدث فيمن سبقهم.

﴿فَإِذَا لَقِيْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْنَثْتُمْهُمْ فَشُدُّوا النُّوْتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَصْعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٤)

﴿فَإِذَا﴾: حرفٌ مفاجئٌ وأمرٌ ﴿لَقِيْتُمْ﴾: واجهتم ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿كَفَرُوا﴾: الكفار في الحرب ﴿ف﴾: حرفٌ سببٍ وتتابعٍ سريع ﴿ضَرْبِ الرِّقَابِ﴾: جاء الفعل ضرب هنا بالنصب على المفعولية المطلقة، بمعنى ضرب الرقاب ضرباً؛ كنايةً عن القتل في أي موضع من الجسم، تعني قتلهم، وحصدهم حصداً، بوسائل قتال كلِّ عصرٍ ﴿حَتَّى﴾: حرف جرٌّ يفيد انتهاء الغاية الشرطية، وهي هنا القتل بضرب الرقاب ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿أَخْنَثْتُمْهُمْ﴾: أضعفتم في قتلهم ﴿فَشُدُّوا النُّوْتَاقَ﴾: إحكام قيود الأسرى منهم، والسيطرة عليهم ﴿فَإِمَّا﴾: حرف عطفٍ يفيد الشك، هنا تخيير الحاكم بين ﴿مَنَّا﴾: أن تُمنوا على الأسرى منهم؛ وتتفضلوا عليهم بإطلاق سراحهم مجاناً ﴿وَإِمَّا﴾: أو ﴿فِدَاءً﴾: تأخذوا منهم فديةً، تتقنون بها، وهذه خيارات القائد ﴿حَتَّى﴾: حرف جرٌّ يفيد انتهاء الغاية الشرطية ﴿تَصْعَ﴾: بمعنى تنتهي ﴿الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾: هنا تشبيه ترك القتال بوضع آلياته، أي تنتهي بأن يضع أهل الحرب أسلحتهم؛ ويمسكوا عن القتال، جاء معنى "أوزارها" جمع وزر وهو الحمل الثقيل، أو ما يحمله الإنسان، وأطلق هذا على السلاح لأنه يُحمل وفيه ثقل، وعبر عن انقضاء الحرب بقولهم وضعت الحرب أوزارها لأن المتحاربين يضعون أسلحتهم عند ذلك. وقيل في تفسيرها ما ذكره البخاري رحمه الله ﷺ والمعنى يترك الكفار أهل الحرب آثمهم - أي كفرهم - بأن يُسلموا فيكف عن قتالهم وتنتهي الحرب^(١)، وقيل حتى ينزل عيسى عليه السلام، وقال قتادة: حتى لا يبقى مشرك، وقيل أوزار المحاربين؛ أن يتوب المشركون، وأوزار أهلها أن يبذلوا الجهد في طاعة الله ﷻ ﴿ذَلِكَ﴾: أي هذا الحال، والحكم ﴿وَلَوْ﴾: حرف امتناعٍ لامتناع ﴿يَشَاءُ اللَّهُ لَ﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿انتَصَرَ مِنْهُمْ﴾: لو أراد الله ﷻ لأنتقم من الكافرين؛ بعقوبةٍ من عنده ﴿وَلَكِن﴾: حرف استدراكٍ ﴿لَ﴾: حرف علةٍ وسببٍ

(١) صحيح البخاري ٦/١٣٤. تفسير سورة محمد.

﴿يَبْلُغُوا﴾: يختبر ﴿بِعِضِّكُمْ بَعْضٌ﴾: جزءًا منكم، شرع ﷺ الجهاد ليختبركم في الجهاد وقتال الأعداء ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: هم الشهداء من المؤمنين ﴿فَلَنْ﴾: حرف نفي ﴿يُضِلُّ﴾: يضيّع ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾: أمّا مصيرُ الشهداء الذين قُتِلوا دفاعًا عن دين الله ﷺ؛ سيدخلهم الجنة ولن يُبطل، ولن يضيّع تعبهم، وجهدهم، وجهادهم؛ بل يُكثِّرها، ويُنمِّيها، ويضاعفها؛ فيجزى عمله طوال برزخه في القبر؛ انظر تفسير [البقرة-٢٨٢]، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ يُعْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلِّ ذَنْبٍ إِلَّا الذَّنْبَ (١).

التكليف: هنا تخيير إمام المسلمين بين القتل وبين الأسر، وبعد الأسر هو مخير بين المن والفداء؛ هذا القول يُرجح أنّ الآية ليست منسوخة طالما بقيت الحروب.

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ (٥)

﴿س﴾: حرف يُفيدُ الاستقبال أي توكيد الفعل والقول في المستقبل ﴿يَهْدِيهِمْ﴾: يدلّهم على اتباع الحق في الحياة الدنيا، ويحقق لهم طاعته ومرضاته، جاء اللفظ القرآني "الهدى" على سبعة عشر وجهًا؛ هنا بمعنى أمر محمد ﷺ، وحقيقة رسالته. انظر تفسير [البقرة-١٥٩] ﴿و﴾: حرف عطفي يُفيدُ الحال ﴿يُصْلِحُ﴾: يُصححُ أي انحرافٍ وأي خللٍ في وظائف القلب والعقل وما يخطر للإنسان من الأفكار والحال والشأن ﴿بِأَلْسِنِهِمْ﴾: حالهم وأمرهم يصلح كلّ شأنٍ من شؤونهم.

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَها لَهُمْ﴾ (٦)

﴿و﴾: حرف عطفي يُفيدُ الحال ﴿يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ﴾: هذا مصيرهم في الآخرة ﴿عَرَفَها﴾: مأخوذ من العرف أي الرائحة الطيبة، قال ابن عباس: طيِّبها لهم بأنواع الملاذ، وصفها ووضّحها ﴿لَهُمْ﴾: تحديداً، سوف يهتدي كلّ نزيلٍ في الجنة إلى بيته ومسكنه؛ كأنهم سكنوها من قبل، وقيل إنّ ملكًا يقود كلّ صاحب بيتٍ في الجنة إلى بيته وأزواجه، ثم ينصرف.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَنَصُّرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٧)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: كلمة تواصلٍ بين المُنَادِي وهو الله ﷻ والمُنَادَى عليهم ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيدُ جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، والقيامة ﴿إِنَّ﴾: حرف شرط ﴿تَنَصُّرُوا﴾

(٢) صحيح مسلم ١٥٠٢/٣ (١٨٨٦).

اللَّهُ: بنصرة رسوله، ونصرة دينه، ونصرة دعوته؛ بالكلام، أو بالمال، أو بالقتال، أو بكل هذا **يُنْصِرُكُمْ**: الله ﷻ على أعدائكم فالجزاء من جنس العمل **﴿و﴾**: أيضًا **﴿يُنْبِتُ أَقْدَامَكُمْ﴾**: ينزع خوفكم من أعدائكم هذا في الدنيا فمن بلغ سلطانًا قولًا صالحًا يُثَبِّتُ اللهُ ﷻ أقدامه يوم القيامة، هنا إطلاق الجزء وهو الأقدام وأراد الكل، أي يثبتكم ويثبت جميع أعضاء جسمكم، وخص الأقدام لأنها أداة التثبيت.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصَلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ (٨)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿كَفَرُوا﴾**: أنكروا وامتنعوا عن الإيمان بالله ﷻ، ورسوله، والكتاب والقيامة **﴿ف﴾**: حرفٌ يفيد سببًا **﴿تَعَسَا﴾**: الخسران، والهزيمة، والهلاك بلا ثواب **﴿لَهُمْ﴾**: تخصيصًا؛ هذا عكس ما وهب الله ﷻ للمسلمين، وهو تثبيت أقدامهم **﴿وَأَصَلَّ﴾**: عطفًا على ما سبق أحبط وضيع ثواب **﴿أَعْمَالَهُمْ﴾**: أعمال الكافرين، من إنفاقٍ، أو قولٍ، أو قتالٍ.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٩)

﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد، العذاب الواقع بهم **﴿ب﴾**: باء السببية **﴿أَنَّهُمْ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك لأنهم **﴿كَرِهُوا مَا﴾**: الذي **﴿أَنْزَلَ اللَّهُ﴾**: كرهوا القرآن وما فيه من توحيدٍ ورفضوا قبوله، وتصديقه، وتطبيقه **﴿ف﴾**: بسبب هذا **﴿أَحْبَطَ﴾**: انتقخ عملهم انتقاخ فساد؛ ففسد أجرهم؛ فأبطل **﴿أَعْمَالَهُمْ﴾**: ثوابٍ وأجر أعمالهم، رغم كثرتها؛ حتى زالت وإن انتقخت، وتضخمت.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْتَالُهَا﴾ (١٠)

﴿أَفَلَمْ﴾: استفهامٌ إنكاري توبيخي **﴿يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾**: ألم يدرس المشركون تاريخ الشعوب التي سبقت **﴿ف﴾**: لسبب أن **﴿يَنْظُرُوا﴾**: يدرسوا، ويتأملوا، ويتفكروا، ويعتبروا **﴿كَيْفَ﴾**: ماذا **﴿كَانَ﴾**: في الماضي **﴿عَاقِبَةُ﴾**: نهاية ومصير **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع **﴿مِنْ﴾**: حرفٌ جرٌّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الزمانية **﴿قَبْلِهِمْ﴾**: كيف عاقبهم الله ﷻ على كفرهم، وتكذيبهم، **﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾**: تدمير منازلهم، وأهلهم، وذريتهم، وأموالهم وهي

سُنُّنٌ تجري في كلِّ الأقسام، وفي كلِّ الأزمان والأماكن **﴿وَاللَّكَافِرِينَ﴾**: عطفًا على ما جاء وتخصيصًا وتمليغًا **﴿أَمْثَالُهَا﴾**: كما دمر الله ﷻ على من سبقهم من أمثالهم، دمر للكافرين منازلهم، وأهلهم، وأموالهم، ونجا المؤمنين، وأعلى كلمتهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (١١)

﴿ذَلِكَ﴾: الجزاء المذكور للفريقين، الكافرين والمؤمنين **﴿بِ﴾**: حرف باء الصلة والتوكيد **﴿أَنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك **﴿اللَّهُ مَوْلَى﴾**: ناصر، ومؤيد، ومحب **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من **﴿آمَنُوا﴾**: الذين اتقوا، والتزموا بأوامره، واجتنبوا نواهيه **﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا﴾**: حرف نفي **﴿مَوْلَى لَهُمْ﴾**: لا ناصر ولا مُحِب لهم.

التكليف: من عبد صنمًا لم يمنعه من غضب الله ﷻ عليه، ومن أطاع حاكمًا ظالمًا تخلى عنه، أو انهزم معه، ومن اتبع فكرةً منحرفةً؛ فشلت، وتلاشت نتائجها، لا ناصر، ولا مؤيد لها، ولا مُحِب لهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (١٢)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿اللَّهُ يُدْخِلُ الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من **﴿آمَنُوا﴾**: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر **﴿و﴾**: عطفًا على ما سبق **﴿عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾**: هنا أضاف الله ﷻ إدخال الجنة إلى نفسه تشريفًا لهم؛ الذين اقترن إيمانهم بعملهم، الصلاة، والصيام، والقيام، والزكاة، والحج، والجهاد في سبيل الله **﴿جَنَّاتٍ﴾**: وجاءت بالجمع؛ لعظمتها يوم القيامة **﴿تَجْرِي مِنْ﴾**: حرفٌ يفيد بداية الغاية المكانية **﴿تَحْتِهَا﴾**: تحت الجنات وتحت القصور **﴿الأنهار﴾**: زيادة في المتعة **﴿و﴾**: حرفٌ عطفٌ يفيد الحال؛ أيضًا على الجانب الخاسر هم **﴿الَّذِينَ﴾**: تفيد جميع من **﴿كَفَرُوا﴾**: من الذكور والإناث الذين غطوا، وأنكروا بقناعة حقيقة الإيمان، يعيشون حياتهم الدنيا **﴿يَتَمَتَّعُونَ﴾**: باتباع شهواتهم **﴿وَيَأْكُلُونَ﴾**: متع الجسد، ومتعة الأكل **﴿كَمَا﴾**: مثلما وكحال **﴿تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾**: بكميات كبيرة، ومتنوعة، بهمة، ونهم، يشبعون بطونهم وفروجهم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْكُلُ أَكْلًا

كثيرًا، فأسلم، فكان يأكل أكلًا قليلًا، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاجِدٍ، وَالكَافِرَ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ^(١) ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق فإنَّ ﴿النَّارِ﴾: جهنم والعياذ بالله ﷻ ﴿مَنْوَى﴾: مستقر وماوى، زيادة في الذم فيهم ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا يوم الجزاء.

التكليف: إنَّ النَّاسَ فِي الدُّوَلِ الَّتِي تَتَكَلَّمُ اللُّغَةَ الْإِنْجِلِيزِيَّةَ، وَدُوَلٍ أُخْرَى فِي الْغَرْبِ، خَاصَّةً الَّذِينَ يَاقْدُمُونَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ يَقُولُونَ "enjoy" أي تمتع فهم خيرٌ مثالٍ عصريٍّ على هذه الآية الكريمة، إلا من رحم الله ﷻ.

﴿وَكَايُنَ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ (١٣)

﴿وَكَايُنَ﴾: اسمٌ كناية مركب من كاف التشبيه وأيّ المنونة تُفيد الكثرة العددية ﴿مِنْ﴾: حرف جرٌّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿قَرْيَةٍ﴾: هذا معنى مجازيٍّ؛ والمقصود هو من أهل القرى الغنيّة والسّلحة، إطلاق المحل والمقصود أهل المحل ﴿هِيَ أَشَدُّ﴾: أكثر ﴿قُوَّةً﴾: مالا، وسلاحًا، ورجالًا ﴿مِنْ قَرْيَتِكَ﴾: من مكّة المكرّمة ﴿الَّتِي أَخْرَجْتِكَ﴾: التي أخرجك أهلها منها، التي تركتها رغماً عنك ﴿أَهْلَكَنَاهُمْ﴾: جاءت بصيغة الجمع؛ لتؤكد على عظم هلاكهم، هذا تهديدٌ ووعيدٌ لأهل مكّة ﴿فَلَا﴾: حرفٌ تخصيصٍ ونهيٌّ يفيد عدم الفعل ﴿نَاصِرَ لَهُمْ﴾: لن يجدوا من ينصرهم، أو يؤيدهم، أو يجهبهم. نزلت هذه الآية بعد خروج محمد ﷺ من مكّة إلى الغار.

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (١٤)

﴿أ﴾: حرف استفهام ﴿فَمَنْ﴾: هل يستوي الذي ﴿كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: وضوح رؤيةٍ وتصوّرٍ ودليلٍ ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾: على بصيرةٍ واضحةٍ في أمر دينه، وربّه، ودينه ﴿كَمَنْ﴾: مثل الذين من جنس العاقل ﴿زُيِّنَ﴾: جُمِّلَ ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿سُوءَ﴾: شرٌّ وضررٌ ﴿عَمَلِهِ﴾: كالذي زين الشيطان وجُمِّلَ له العمل السيئ ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿اتَّبَعُوا﴾: سلكوا سبيل ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾: ما أمرتهم أنفسهم من معصيةٍ لله ﷻ، وعبادة غيره، من غير برهان.

(١) صحيح البخاري ٧/٧٢ (٥٣٩٧).

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (١٥)

﴿مَثَلٌ﴾: تشبيهه ﴿الْجَنَّةِ﴾: قال عكرمة: نَعْنُهَا، صَفْنُهَا ﴿الَّتِي وَعَدَ﴾: وعدهم الله ﷻ أَنْ يِنَالَهَا ﴿الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ﴾: المياه التي تجرى في قنوات ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿مَاءٍ غَيْرٍ﴾: حرف استثناء بمعنى إلا غير متغيرة صفاته، والعرب تقول غير آسن؛ إذا لم يتغير ريحُه، وقيل: الصافي الذي لا كدر فيه، وقيل: أنهار الجنة تُفَجَّر من جبلٍ من مسكٍ ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَتَغَيَّرُ﴾: يفسد ﴿طَعْمُهُ﴾: في غاية نقاء اللون، وحلاوة المذاق، وغنى الدسم، علماً أنّ الماء الآسن الراكد، واللبن بيئة خصبة لنمو الميكروبات في الحياة الدنيا، التي تُغيّر من صفاته، إن لبِن الجنة لم يخرج من ضروع الماشية ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ﴾: حرف يُفيد بداية الغاية المكانية ﴿حَمْرٍ﴾: ليست رائحتها كريهة كخمر الدنيا، وليس فيها الكحول الذي يذهب بالعقل، ولم يعصرها الرجال بأيديهم أو بأرجلهم ﴿لَذَّةٍ﴾: متعة ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الشَّارِبِينَ﴾: إذا شربها شعر بطعمٍ محببٍ، مستساغٍ، ومرغوبٍ فيه ﴿و﴾: أيضاً ﴿أَنْهَارٌ مِنْ﴾: حرف يُفيد بداية الغاية المكانية ﴿عَسَلٍ مُصَفًّى﴾: غاية في الصفاء، لم يخرج من بطون النحل، عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَحْرَ الْمَاءِ وَبَحْرَ الْعَسَلِ وَبَحْرَ اللَّبَنِ وَبَحْرَ الْحَمْرِ، ثُمَّ تُشَقَّقُ الْأَنْهَارُ بَعْدُ»^(١)، جاء تكرار الأنهار تشويقاً لنعيم الجنة، وبيان ما فيها من صنوف النعيم الدائم، بدأ الله ﷻ بذكر أنهار الماء؛ لأنّ المؤمن يشرب منها للمتعة وليس للطح

طش ﴿وَلَهُمْ﴾: تخصيصاً وتمليكاً ﴿فِيهَا﴾: أيضاً ﴿مِنْ كُلِّ﴾: تفيد الجميع ﴿الثَّمَرَاتِ﴾: تشمل جميع ما خلق الله ﷻ من ثمارٍ ﴿و﴾: عطفاً على هذا النعيم لهم ﴿مَغْفِرَةٌ﴾: مسح الذنوب، والخطايا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الكلية ﴿رَبِّهِمْ﴾: مالك أمرهم كلّه، وهذه هي بداية دخول الجنة، وجاءت لتقول أنّ مغفرة الله ﷻ في الجنة لا تنقطع،

^(١) اسنن الترمذي ٦٩٩/٤ (٢٥٧١) وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

والله أعلم هل هؤلاء الذين حالهم هذا النعيم ﴿ك﴾: مثل أوحال ﴿من﴾: مثل الذي من جنس العاقل ﴿هو﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر ﴿خالد﴾: هل مثلهم كمثلهم الذين هم باقون، بلا خروج ﴿في النار﴾: يصلى سعيهم جهنم أبداً ﴿وسقوا﴾: وعطفاً على ما جاء أنفاً شربوا رغماً عنهم ﴿ماء حميماً﴾: يشربون من ماءٍ شديد الحرارة ﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿قطع﴾: حرق، ومزق ﴿أمعاءهم﴾: أحشاءهم.

﴿ومِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (١٦)

﴿و﴾: أيضاً ﴿منهم﴾: حرفٌ يُفيد بداية الغاية المكانية ﴿من﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يستمع﴾ ﴿إليك﴾: فـجهاز الإدراك عندهم وهو السمع، يسمع؛ ولا يعقل، كأنه لا يعمل، إنَّ أهم ما يُميز أهل النار؛ بلادتهم، وقلة فهمهم ﴿حتى﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد انتهاء الغاية الشرطية ﴿إذا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها، هنا ربط بين ﴿خرجوا من﴾: بداية الغاية المكانية ﴿عندك قالوا﴾: سيألمون من كان معهم ﴿ل﴾: تخصيصاً ﴿الذين﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع من ﴿أوتوا﴾: تلقوا ﴿العلم﴾: الذين فهموا، وعلموا، وتعلموا ﴿ماذا﴾: حرفٌ استفهام ﴿قال﴾: محمد ﷺ ﴿أنفا﴾: قبل قليل ﴿أولئك﴾: إشارة للقريب والبعيد الكفار ﴿الذين طبع﴾: ختم ﴿الله على قلوبهم﴾: فكانت النتيجة لا فهم صحيح، ولا أقوال صادقة، ولا أعمال منتجة ﴿واتبعوا﴾: وعطفاً على ما جاء سلكوا ما قادتهم ﴿أهواءهم﴾: انقادوا لرغباتهم وغرائزهم وعدم فهمهم الذي يقودهم إلى الدمار.

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (١٧)

﴿و﴾: عطفاً على ﴿الذين﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع من ﴿اهتدوا﴾: وعن الذين عرفوا الحقيقة ﴿زادهم﴾: الله ﷻ ﴿هدى﴾: علمهم، ووفقهم، وثبتهم أكثر ﴿وآتاهم﴾: ألهمهم ﴿تقواهم﴾: رشدهم ليعملوا بما يُجنبهم الوقوع في المعصية فلا يدخلون النار.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾

(١٨)

﴿فَهَلْ﴾: حرف استفهام للتشكيك ﴿يَنْظُرُونَ﴾: هل ينتظرون، وهم غافلون ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء
 ﴿السَّاعَةَ﴾: قيام القيامة ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾: تقوم القيامة فجأة، وهم
 غافلون ﴿فَقَدْ﴾: حدث وتحقق في الماضي ﴿جَاءَ﴾: ظهرت ﴿أَشْرَاطُهَا﴾: أماراتها، وعلاماتها،
 واقتربها، ومنها رسالة محمد ﷺ، حيث أقام الله ﷻ الحجة على العالمين، فهو ﷻ الحاشر،
 الذي يُحشر النَّاسَ على قدميه، قال ﷻ مشيراً بإصبعيه: "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ". أخرج
 مسلم ﴿فَأَتَى﴾: حرف استفهام أفاد الاستبعاد بمعنى كيف ولأي سبب ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً للتفكر
 والتدبر ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما
 قبلها ﴿جَاءَ تَهُمْ﴾: قامت القيامة ﴿ذَكَرَهُمْ﴾: كيف سيتذكرون وهم خائفون؛ فأتى لهم الذكرى
 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدِ النَّعَمَ الْقُرْنَ وَاسْتَمَعَ
 الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْحِ فَيَنْفُخُ» فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: قُولُوا: حَسْبُنَا
 اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا^(١).

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾
 (١٩)

﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿اعْلَمْ﴾: تيقن أنت والناس ﴿أَنَّهُ﴾: حرف تأكيد الفعل ونفي الإنكار والشك
 ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿إِلَهَ﴾: معبود، لا أحد يستحق العبادة ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿اللَّهُ وَ﴾:
 عطفاً على ما سبق ﴿استغفر﴾: اطلب الغفران ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿ذَنْبِكَ﴾: اطلب
 الغفران من الله ﷻ من كلِّ ذنبٍ ﴿وَ﴾: أيضاً استغفر ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾:
 تخصيصاً ﴿وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: واطلب المغفرة للمؤمنين والمؤمنات ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾: علم اليقين
 ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: يعلم تصرفكم في النهار ﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾: مُستقركم بالليل، جاء اللفظ القرآني "مَثْوَى"
 على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى مأوى كما جاءت في قوله ﷻ: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
 فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر-٧٢]، وفي قوله ﷻ: ﴿فَإِنْ يَصْبرُوا فَالِنَّارُ مَثْوَى لَهُمْ وَإِنْ
 يَسْتَغْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت-٢٤]، وبمعنى المنزلة في قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ

^(١) سنن الترمذي ٦٢٠/٤ (٢٤٣١) وقال: هذا حديث حسن.

مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَاتِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿يوسف- 21﴾، وفي قوله أيضًا ﴿وَرَاوَدْتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿يوسف- 23﴾، وبمعنى الإقامة في قوله ﷺ ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿القصص- 45﴾، قال ابن عباس: في الدنيا القبور، وفي الآخرة النار.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَى لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾
 ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: بالله ﷻ، متمنين نزول آية تُشَرِّع القتال ﴿لَوْلَا﴾: حرف شرط بمعنى هَلَّا ﴿نُزِّلَتْ﴾: وحياً من الله ﷻ ﴿سُورَةٌ فَإِذَا﴾: ﴿فَإِذَا﴾: حرفٌ مفاجأةٌ وأمرٌ ﴿أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾: في بيانها ﴿وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾: أيضاً تشريع القتال، في سبيل الله ﷻ، وأحكامها، وفضلها ﴿رَأَيْتَ﴾: وجدت، ولاحظت، وشاهدت ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد هنا كلَّ مَنْ ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: أهل النفاق، والشك، والخوف وعدم الثقة في الله ﷻ وفي النصر ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾: مثلهم كمثل ﴿نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ﴾: الذي يكاد يفقد وعيه من الخوف ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿الْمَوْتِ﴾: مثل الذي في حالة احتضارٍ، من سيموت من الخوف، والرعب؛ كأنهم فقدوا وعيهم، أو على وشك أن يفقدوا حياتهم ﴿فَأُولَى﴾: لهم ما يهلكهم، فالعذاب أحقُّ وأولى ﴿لَهُمْ﴾: كان يجب عليهم.

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرَ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢١﴾﴾
 ﴿طَاعَةٌ﴾: عليهم أن يسمعوا ويطيعوا الله ﷻ ﴿وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾: سمعنا وأطعنا ﴿فَإِذَا﴾: حرفٌ مفاجأةٌ وأمرٌ ﴿عَزَمَ الْأَمْرَ﴾: هنا مجاز عقلي لأنه نسب العزم إلى الأمر، ولا يكون العزم إلا لأهل الأمر. إذا جدَّ الجدُّ، وكان لزوم الجهاد وجاء القتال ﴿فَلَوْ﴾: تُفيد الاستحالة ﴿صَدَقُوا﴾

اللَّهُ: ﴿أَخْلَصُوا لَهُ النِّيَّاتِ﴾ (لن): حرف علةٍ وسببٍ ﴿كَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾: فإذا كتب الله ﷻ لهم الحياة انتصروا، وإذا كتب عليهم الشهادة؛ فازوا بالجنة.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٢)

﴿فَهَلْ﴾: حرف استفهام للاستفسار أو التشكيك ﴿عَسَيْتُمْ﴾: حرف يفيد التحقق إذا كان من عند الله ﷻ، وهنا تفيد احتمالية التحقق من عدمه؛ لأنها من عند البشر ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾: المعنى الأول: إذا تسلمتم مقاليد الحكم، وكنتم ولاةً أمر الأمة، والمعنى الثاني، إذا هربتم، وتقاديتم وامتنعتم عن الجهاد في سبيل الله ﷻ، أو أعرضتم عن كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾: أن تعودوا إلى حياة الجاهلية، تَسْفِكُونَ الدماء ظلماً؛ فتفسد الحياة بينكم ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿تُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾: أن تنقطع العلاقات العائلية.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ (٢٣)

﴿أُولَئِكَ﴾: إشارةً للقريب والبعيد، المفسدون في الأرض، الذين يسفكون الدماء، ويقطعون الأرحام ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع من ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: غضب الله تعالى عليهم، وعاقبهم ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿أَصَمَّهُمْ﴾: ذهب بسمعهم، أو عطّل الإدراك عندهم؛ فكانوا كالصم ﴿وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾: أيضاً أخذ بصرهم، أو عطّله فلا يستفيدون من بصر ولو أبصروا، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ ﷻ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ (١).

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤)

﴿أَفَلَا﴾: حرف استفهام يفيد الحثّ والحضّ بغرض التوبيخ ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾: والحديث عن المنافقين، ألا يقرؤون، ويتفكرون، ويؤمنون في دراسة وفهم ما في كتاب الله ﷻ وهو ﴿الْقُرْآنَ﴾: كلام الله تعالى، وأوامره، ونواهيه، ومواعظه وزواجره ﴿أَمْ﴾: للاستتكار والتوبيخ هل ﴿عَلَى قُلُوبٍ﴾:

(١) سنن أبي داود ٢٦٣/٧ (٤٩٠٢) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

الكافرين، وهي مراكز الوعي والإدراك ﴿أَقْفَالَهَا﴾: مغاليقها التي لا تُفتح، بل أغلقت قلوبهم عن فهم الحقيقة، فلا تدخلها المعاني القرآنية؛ لوجود أقفالٍ؛ تمنعها.

التكليف: قال ﷺ يتدبرون ولم يقل يتذكرون القرآن أو يتفكرون؛ لأن التذكر والتفكر هو استحضار أمرٍ مستقبلي يُتوقع مجيئه؛ والكفار لم يشعروا بالقرآن لأنه ينزل شيئاً بعد شيء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾
(٢٥)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿أَرْتَدُّوا﴾: إن مفهوم الكفر هو الرجوع عن الإيمان إلى الكفر ﴿عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾: رجعوا على أعقابهم، إلى ما كانوا عليه سابقاً من الكفر؛ إلى ماضي آبائهم ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الزمانية ﴿بَعْدِ مَا﴾: الذي ﴿تَبَيَّنَ﴾: اتضح وحيثما على رُسله عليهم السلام؛ فاتضح ﴿لَهُمْ﴾: تحديداً ﴿الْهُدَىٰ﴾: بعد ما عرفوا، وعلموا علم يقين تعاليم الله ﷻ، وحكمه الذي يهدي إلى صلاح الدنيا وإلى الجنة في الآخرة ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ﴾: زَيَّن وحسَّن خطاياهم ﴿لَهُمْ﴾: تحديداً ﴿و﴾: أيضاً ﴿أَمَلَى﴾: أمدَّ ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً، وغرهم، وخذعهم، ومناههم بطول العمر. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾
(٢٦)

﴿ذَلِكَ﴾: الضلال الذي وقعوا فيه ﴿ب﴾: باء السببية ﴿أَنَّهُمْ﴾: تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿قَالُوا﴾: سرّاً ﴿ل﴾: حرفٌ تخصيصٍ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿كَرَهُوا مَا﴾: الذي ﴿نَزَّلَ اللَّهُ﴾: بسبب أنهم قالوا لليهود الذين كرهوا ما أنزل الله ﷻ وتساوقوا مع المشركين، والكافرين، داهنوه، وناصرهم، على كفرهم ﴿س﴾: حرفٌ يفيد تأكيد الفعل والقول في المستقبل ﴿نُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾: أي سنأخذ منكم بعضاً، مثل تثبيط المسلمين عن القتال ﴿و﴾: حرفٌ عطفيٌّ يفيد الحال؛ عطفاً على ما قالوا فإن ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ﴾: علم الصانع لصنعتة ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾: يعلم ما يكتُمون ويخفون من كلِّ قبيح قالوه أو فعلوه في أنفسهم؛ فأظهره لرسوله ﷺ.

التكليف: تعيش الأمم في كلِّ عصورها فترات حياة المؤمن الصادق، الذي تُصدّق جوارحه إيمانه، ويعيش حياة الكافر الذي تُصدّق أقواله وأفعاله كفره، وحياة المنافق الذي يُبدي الإيمان ويُبطن الكفر؛ إنَّ القاعدة للنجاة هي لا قليل من الإثم، وإذا حدث؛ فالاستغفار دواء المؤمن.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ (٢٧)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب **﴿كَيْفَ﴾**: حرف استفهام يفيد التعجب والاستكار، كيف سيكون حال عذابهم **﴿إِذَا﴾**: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط، وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها **﴿تَوَفَّيْتُهُمْ﴾**: إذا قبضت أرواحهم **﴿الْمَلَائِكَةُ﴾**: الموكلة بقبض الأرواح التي لا تريد الخروج **﴿يَضْرِبُونَ﴾**: تضرب الملائكة **﴿وُجُوهَهُمْ﴾**: مقدمة أجسادهم **﴿و﴾**: أيضاً يضربون **﴿أَدْبَارَهُمْ﴾**: يضربون بمقامع من حديد مؤخرة أجسادهم، كان الضرب من كلِّ جانب؛ إمعاناً في التعذيب.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٢٨)

﴿ذَلِكَ﴾: هذا العذاب الذي استحقوه ونالوه **﴿ب﴾**: حرف باء السببية **﴿أَنَّهُمْ﴾**: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك **﴿اتَّبَعُوا﴾**: بسبب أنهم اعتقدوا ومارسوا **﴿مَا﴾**: الذي **﴿أَسْخَطَ﴾**: ما يُغضب **﴿اللَّهُ﴾**: ﷻ عليهم من طاعة الشيطان في الدنيا **﴿وَكْرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾**: جنة الله ﷻ، ونعيم الآخرة **﴿ف﴾**: بسبب هذا كرهوا ما يرضيه عنهم من العمل الصالح، ومنه قتال الكفار؛ فكانت النتيجة **﴿أَحْبَطَ﴾**: انتفشت، وتضخمت بلا فائدة **﴿أَعْمَالَهُمْ﴾**: كتضخم المرض، وهذا مظهر من مظاهر فساد الأعمال.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ (٢٩)

﴿أَمْ﴾: هل **﴿حَسِبَ﴾**: هل يعتقد؟ **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ **﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾**: مراكز الوعي والإدراك **﴿مَرَضٌ﴾**: هم المنافقون، الذين يُبدون الإيمان، ويُبطنون الكفر **﴿أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿لَنْ﴾**: حرف نفي **﴿يُخْرِجَ﴾**: يُظهر **﴿اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾**: هل ظنَّ المنافقون أن الله ﷻ لن يُخرج ما في قلوبهم من الحسد والحقد للإسلام وأهله؟ فيعرفه أصحاب البصائر. **﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (٣٠)**

﴿وَلَوْ﴾: أدأه استفهام ونفي ﴿نشاء﴾: لو أراد الله ﷻ ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿أَرَيْنَاكَهُمْ﴾: أن نكشفهم لك يا محمد ﷺ ﴿ف﴾: حرف سبب ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿عَرَفْتَهُمْ ب﴾: حرف باء السببية ﴿سِيمَاهُمْ﴾: بعلاماتِ يسْمُهُم اللهُ ﷻ بها؛ عندها لرأيتهم عيانًا بيانًا، ولكن لم يفعل اللهُ ﷻ ذلك في كلِّ المنافقين، ردًا للسرائر إلى عالمها ﷻ ﴿و﴾: أيضًا ﴿ل﴾: حرف سبب ﴿تَعْرِفْتَهُمْ﴾: بالتأكيد يُمكنك أن تعرفهم من الفطنة ﴿في لحن﴾: وبما يقتضي فحوى الكلام، وأفصح مضمون وأسلوب ﴿القول﴾: ولأن القول أعم من الكلام؛ لم يقل ﷻ لحن الخطاب أو لحن الكلام؛ ولكن جعل له ﷻ علامة على معرفتهم وهم يتكلمون في حضرته كلامًا يفهم منه النفاق من غير قصدٍ منهم؛ أسلوب كلامهم المُلتوي، والمُشكك، الدال على كفرهم دون تصريح ﴿و﴾: وعطفًا على هذا الحال ﴿اللَّهُ يَغْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾: علم مشيئة الخالق المُقدر للأعمال.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (٣١)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿لَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾: نختبركم أيها المؤمنون بالأوامر والنواهي، وبالجهاد، وبالتكاليف الشاقة خاصة ﴿حتى﴾: حرف جرٍ يفيد انتهاء الغاية الشرطية ﴿نعلم﴾: أي نعلم علم ظهورٍ لكم ولغيركم فالله ﷻ يعلم ذلك قبل ظهوره لما حوى كتابُ المقادير، قال ابن عباس: إلاً لنعلم؛ أي لنرى ﴿المجاهدين منكم﴾: ليميز أهل الجهاد منكم والمقاتلين في سبيل الله ﷻ بأموالهم وأنفسهم ﴿و﴾: أيضًا نعلم ﴿الصَّابِرِينَ﴾: على الجهاد، وعلى الأذى في سبيل الله ﷻ ﴿ونبْلُو﴾: نُظهرها ونكشفها فنعرف ﴿أَخْبَارَكُمْ﴾: لنعرف الصادق من الكاذب، علم تحقق، وليس علم مشيئة فقط.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَصُرُوا
اللَّهُ شَيْئًا وَسَيُحِبُّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٣٢)

﴿إن﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الذين﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع من ﴿كفروا﴾: جاء اللفظ القرآني "الكفر" على أربعة وجوه؛ هنا بمعنى كفرٌ بالله، وعدم توحيده ﷻ؛ وكفرٌ برسوله ﷻ؛ انظر [البقرة-٦] ﴿وصدوا﴾: امتنعوا بأنفسهم، ومنعوا غيرهم ﴿عن﴾: حرف جرٍ يفيد المجاوزة ﴿سبيل﴾: دين، ومنهج ﴿والله و﴾: أيضًا ﴿شاقوا﴾: خالفوا وعصوا ﴿الرسول﴾:

﴿ هَم الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَنْ دِينِهِمُ الْحَقِّ، وَحَارَبُوا الْإِيمَانَ، وَعَادُوا اللَّهَ ﷻ وَرَسُولَهُ ﴾ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الزمانيّة ﴿بَعْدَ مَا﴾: الذي ﴿تَبَيَّنَ﴾: اتضح ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿الْهُدَى﴾: الصواب أنّه نبيّ، جاء اللفظ القرآني "الهدى" على سبعة عشر وجهًا؛ هنا بمعنى أمرٍ محمد ﷺ؛ بعد أن علموا تعاليم الله ﷻ؛ علمًا كافيًا، وهو طريق الوصول إلى الحق، هؤلاء ﴿لَنْ﴾: حرف نفي ﴿يُضْرُّوْا﴾: يلحقوا ضررًا بدين ﴿اللَّهِ شَيْنًا﴾: المقصود لن يضرّوا رسول الله بل يضرّون أنفسهم، ويخسرون آخرتهم، ويحبطون أعمالهم ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿س﴾: حرف يفيد تحقق الفعل والقول في المستقبل ﴿يُحْبِطُ﴾: يبطله، ويمحق الله ﷻ ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾: ما قدموا من أعمالٍ تمامًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (٣٣)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: نداء للقريب والبعيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿آمَنُوا﴾: المؤمنين بالله تعالى ورسوله ﴿أَطِيعُوا﴾: استجيبوا لأوامر ﴿اللَّهِ وَ﴾: أيضًا ﴿أَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾: والطاعة هي الامتثال بعمل الأوامر، والانتهاز عن النواهي ﴿وَلَا﴾: حرف نهي وتحريم ﴿تُبْطِلُوا﴾: تُفسدوا فاندتها، وتضيعوا ثواب ﴿أَعْمَالَكُمْ﴾: بالردّة عن الإسلام، والرياء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (٣٤)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع من ﴿كَفَرُوا﴾: أشركوا بالله ﷻ، وانصرفوا، وعصوا، وغطوا الحق ﴿وَصَدُّوا﴾: منعوا وحاربوا ﴿عَنْ﴾: حرف جرّ يفيد المجاوزة ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دين الله ﷻ وحاربوا أوليائه ﴿ثُمَّ﴾: تفيد التتابع الزمني غير السريع ﴿مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾: ماتوا على ذلك؛ لم يتوبوا، أو يُحسنوا توبتهم، قبل موتهم ﴿فَلَنْ﴾: حرف نفي أن ﴿يَغْفِرَ﴾: يمحوا ﴿اللَّهُ﴾: ذنوبهم ﴿لَهُمْ﴾: تُبين الآية الكريمة هذا المعنى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء-٤٨].

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (٣٥)

﴿فَلَا﴾: حرفٌ تخصيصٍ ونهي يفيد طلب عدم الفعل ﴿تهنؤا﴾: من الوهن؛ وهو الضعف؛ أي لا تضعفوا أيها المؤمنون بالله ﷻ ورسوله ﷺ أمام الأعداء ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿تَدْعُوا﴾

إلى السلم: تفضلون، وتروجون مهادنة ومسالمة الكافرين، وتتخلفون عن قتالهم **﴿و﴾**: حرف عطف يفيد الحال **﴿أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾**: القاهرون لعدوكم، يعدُّ الله ﷻ أن ينصر أوليائه ويجعلهم في حالٍ علوٍ على أعدائهم، أما إذا كان للكفار سطوة، وكانوا أقوى من المسلمين، ورأى الإمام المهادنة والمصلحة للمسلمين؛ فله أن يفعل ذلك **﴿و﴾**: أيضاً اعلموا أن **﴿اللَّهُ مَعَكُمْ﴾**: هذه إشارة للمسلمين بالنصر على الأعداء **﴿وَلَنْ﴾**: حرف نفي **﴿يَتْرُكُمْ﴾**: يُنقص من ثواب **﴿أَعْمَالِكُمْ﴾**: لن يُحبطها، أو يُبطلها، بل يُوفِّيهم ثوابهم غير منقوص.

﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ (٣٦)
﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصرٍ بغرض التوكيد **﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾**: العيش على الأرض، بكلِّ ما فيها **﴿لَعِبٌ وَلَهُوَ﴾**: حصيلتها حصيلة اللعب واللهو؛ فلا ينشغل عنها عاقلٌ عن العمل للأخرة **﴿وَإِنْ﴾**: حرف شرط أيضاً **﴿تُؤْمِنُوا﴾**: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر **﴿وَتَتَّقُوا﴾**: تعملوا طمعاً في رحمته، وخوفاً من عذابه **﴿يُؤْتِكُمْ﴾**: يهبكم عطاءً ثواباً **﴿أَجْرَكُمْ﴾**: يثيبكم في عملكم كاملاً، بلا نقصان **﴿وَلَا﴾**: أيضاً نفي **﴿يَسْأَلْكُمْ﴾**: يطلب منكم إخراج **﴿أَمْوَالِكُمْ﴾**: كلِّها في الزكاة، بل يطلب أن تنفقوا صدقاتها؛ لمواساة المحتاجين ودعمًا للفقراء؛ لتقوية أمة المسلمين.

﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْوَهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ (٣٧)

﴿إِنْ﴾: حرف شرط **﴿يَسْأَلْكُمْوَهَا﴾**: إذا أمركم أن تعطوا كلَّ أموالكم **﴿ف﴾**: حرف يفيد السبب **﴿يُحْفِكُمْ﴾**: يُلحُّ عليكم في طلبها منكم، ويُخرجكم، ويُجهدكم **﴿تَبَخَّلُوا﴾**: تمتنعوا عن أدائها لمستحقها **﴿و﴾**: حرف عطف يفيد الحال **﴿يُخْرِجْ﴾**: يُظهر **﴿أَضْغَانَكُمْ﴾**: كراهيتكم للإنفاق في سبيل الله ﷻ، قال قتادة: إخراج الأموال؛ إخراج أضغانكم، وقيل ما يُظهر ما في قلوبكم من الحقد، ويُظهر ما في قلوبكم من الحقد.

﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (٣٨)

﴿ها﴾: حرف تنبيه، اسمُ إشارةٍ للدلالةِ على النوع وزيادة المعنى وتأكيدِه ﴿أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾: المؤمنون، حرفٌ للتببيه ﴿تُدْعُونَ﴾: يأمركم الله ﷻ ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: تدفعوا جزءًا من أموالكم، في أوجه الإنفاق الشرعية وليس كلها ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿مِنْكُمْ مَنْ﴾: الذي من بني آدم ﴿يَبْخُلُ﴾: لا يدفع، ويمتنع عن الإنفاق ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد حال ﴿مَنْ يَبْخُلُ﴾: عطفًا على هذا البخل ﴿فَإِنَّمَا﴾: أداة حصرٍ مركبة؛ تفيد التحديد والتخصيص ﴿يَبْخُلُ﴾: قد أنقص الأجر ﴿عَنْ﴾: حرف بمعنى على ﴿نَفْسِهِ﴾: وهو الخاسر ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾: لا يحتاج ﷻ إلى أحدٍ من خلقه ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾: المُحتاجون إلى الله ﷻ في كلِّ شيء، إنَّ وصف الله ﷻ نفسه بالغني وصفٌ لازمٌ له، ووصف الخلق بالفقر وصف لازم لهم ﴿وَأَنْ﴾: حرف شرطٍ وإذا ﴿تَتَوَلَّوْا﴾: ترجعوا عن الإسلام، وتمتعوا، وتبتعدوا عن طاعته، وتذهبوا إلى الكفر يُهلككم ﴿يَسْتَبْدِلُ﴾: يَكَلِّفُ غيركم ﴿قَوْمًا﴾: جماعةً من ﴿غَيْرِكُمْ﴾: غير هو حرف استثناء بمعنى إلا يأت بقومٍ آخرين، يطيعون؛ فينفقون، ويتبعون شريعته ﷻ ﴿تُمْ﴾: مع التباعد الزمني غير السريع ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾: لن يكونوا عاصين مثلكم، بل هم أهل الطاعة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ، فَلَمَّا قَرَأَ: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة-٣] قَالَ رَجُلٌ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى سَأَلَهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ: وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثَّرِيَاءِ، لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ^(١).

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نخلصُ إلى منهج تحريض الله ﷻ للمؤمنين بمقاتلة المشركين، لما في هذا القتال من فوائد للإسلام والمسلمين.

(١) صحيح مسلم ١٩٧٢/٤ (٢٥٤٦).

سُمِّيت سورة الفتح بهذا الاسم، ولا يُعرف لها اسم آخر، ووجه التسمية لأنها تضمنت قضية الفتح، وهي سورة مدنيّة، وكان نزولها في السنة السادسة للهجرة، وترتيبها (١١١) في ترتيب السور، نزلت بعد سورة الصف، وقبل سورة التوبة، وعدد آياتها (٢٩) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (١)

نزلت هذه السورة في العام السادس للهجرة في صلح الحديبية، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا وَائِلٍ أَسْأَلُهُ، فَقَالَ: كُنَّا بِصِفَيْنَ فَقَالَ رَجُلٌ: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: نَعَمْ، فَقَالَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ: اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ يَعْنِي الصُّلْحَ الَّذِي كَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُشْرِكِينَ وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ أَلَيْسَ قِتَالُنَا فِي الْجَنَّةِ، وَقِتَالُهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ، وَلَمَّا يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَنَا، فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا» فَرَجَعَ مُتَعَبِّطًا فَلَمْ يَضْبِرْ حَتَّى جَاءَ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا، فَنَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ^(١)، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، **﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾** [الفتح-١]، قَالَ: «الْحُدَيْبِيَّةُ»^(٢)، وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسِيرُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسِيرُ مَعَهُ لَيْلًا، فَسَأَلَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَنْ شَيْءٍ فَلَمْ يُجِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: تَكَلَّنْتُكَ أُمَّكَ يَا عُمَرُ، نَزَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُكَ، قَالَ عُمَرُ: فَحَرَّكَتُ بَعِيرِي ثُمَّ تَقَدَّمْتُ أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ، وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ فِيَّ قُرْآنٌ، فَمَا نَشِبْتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِحًا يَصْرُخُ بِي، قَالَ: فَقُلْتُ: لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِي قُرْآنٍ، وَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ

(١) صحيح البخاري ١٣٦/٦ (٤٨٤٤).

(٢) صحيح البخاري ١٣٥/٦ (٤٨٣٤).

﴿ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «لَقَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةً، لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح-١] (١).

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحد؛ لتعظيم وتوكيد وتقدير الفتح ﴿فَتَحْنَا﴾: قضينا ﴿لَكَ﴾: حرف تخصيص ﴿فَتَحْنَا مُبِينًا﴾: جاء اللفظ القرآني "الفتح" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى القضاء كما في قوله ﷻ ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ-٢٦]، وفي قوله ﷻ ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء-١٤١].

التكليف: لقد فتح الله ﷻ لرسوله ﷺ فتحًا ظاهرًا واضحًا، أظهر الله ﷻ فيه الإسلام ونصر المسلمين على عدوهم في هدنة الحديبية التي أمنَ الناس بسببها بعضهم بعضًا.

﴿يَغْفِرُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (٢)

﴿ل﴾: حرف لام القسم، وقد تكون لام العلة والسبب، أو الاثنان، والله أعلم ﴿يَغْفِرُ﴾: يمحو لك الخطايا ﴿لَكَ اللَّهُ﴾: يا محمد ﷺ: هذه خاصّة بك؛ لا يشاركك فيها غيرك ﴿مَا﴾: الذي ﴿تَقَدَّمَ﴾: ما سبق قبل الفتح ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾: يغفر له ما تقدم وأيضاً ما تأخر من ذنبه، لا من الأولين، ولا من الآخرين؛ بسبب ما حصل من هذا الفتح من طاعات كثيرة وبما تحملته من المشقات ﴿و﴾: عطفًا على هذا الغفران ﴿يُتِمُّ﴾: يُكْمِلُ الله ﷻ ﴿نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾: ينصر دينك في الدنيا على أعدائك ويرفع ذكرك ﴿وَيَهْدِيكَ﴾: يُشَرِّعُ لك ويرشدك طريقًا من الدين لا عوج فيه أشرف وأعظم تشريع، ويقضي بك إلى رضوان الله ﷻ ﴿صِرَاطًا﴾: منهجًا ونمط حياة ﴿مُسْتَقِيمًا﴾: لا عوج، ولا ضلال، ولا تجاوز لشرع الله ﷻ وسنة رسوله؛ فقد أعطاك الدين القيم.

﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا﴾ (٣)

(١) صحيح البخاري ١٢٦/٥ (٤١٧٧).

﴿و﴾: أيضًا وعطفًا على هذا ﴿يُنصِرَكَ اللَّهُ﴾: يُمكن الله ﷻ لدينك من عنده ﴿نَصْرًا عَزِيمًا﴾: يعزُّ فيه الإسلام وأهله، ويُذلُّ فيه الشرك وأهله.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٤)

﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المذكر، هنا المقصود هو الله ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد، والمقصود هنا الله الواحد الأحد ﴿أَنْزَلَ﴾: إشارةٌ أنّها جاءت من منزلةٍ ومكانٍ مرتفعٍ ﴿السَّكِينَةَ﴾: إشارةٌ إلى شدّة ثبوت السكينة، قال ابن عباس: جعل الطمأنينة والرحمة، وقال قتادة: جعل الوقار في قلوب المؤمنين، هي السكون، والطمأنينة، والثبات واستقرارها؛ لأن الإنزال يقتضي الثبوت ﴿فِي قُلُوبِ﴾: في مصدرٍ وعي وإدراك ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: بالله ورسوله يوم الحديبية؛ حيث سكنت نفوسهم، ورسخ اليقين بالنصر في قلوبهم ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿يَزْدَادُوا﴾: ترسخ في نفوسهم ﴿إِيمَانًا مَعَ﴾: وهذه تفيد الإضافة، ولم يقل ﷻ إلى التي تفيد الدلالة على الشر ﴿إِيْمَانِهِمْ﴾: زاد الله ﷻ المؤمنين إيمانًا على ما هم فيه، وهذه واحدةٌ من أعظم مفاتيح النصر؛ ما يُسميه العالم اليوم رفع الروح المعنوية التي يُنفق الكفّار عليها مليارات الدولارات؛ لثبوت جنودهم في الحروب، ولو جاءت بمعنى إلى، كما جاء ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة-١٢٥]

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿لِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ﴾: له تعالى ملك كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها ﴿وَالْأَرْضِ﴾: لو أراد ﷻ لأرسل ملكًا واحدًا على كفار مكّة؛ لأبادهم، ولكنّه شرّع الجهاد لما فيه من فوائد عظيمة ﴿وَكَانَ﴾: بلا نهاية أو زوال ﴿اللَّهُ عَلِيمًا﴾: بمصلحةٍ ومنفعةٍ عبادة ﴿حَكِيمًا﴾: في تدبيره وصنعه، في أفعاله وأقواله ﷻ، هكذا اقتضت حكمته، بعلمه بكلِّ شيء في الكون.

﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ (٥)

﴿ل﴾: حرف علة وسبب متعلقة بالفعل ليزدادوا ﴿يَدْخُلُ الْمُؤْمِنِينَ وَ﴾: أيضًا يدخل ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ جَنَاتٍ﴾: يؤولون في آخرتهم يوم القيامة إلى جنّات؛ جاء وصفها كثيرًا في القرآن الكريم ﴿تَجْرِي مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: زيادة في المتعة ﴿خَالِدِينَ﴾: ماكنين مقيمين ﴿فِيهَا﴾: لا خروج منها أبدًا ﴿وَيُكَفَّرُ﴾: يمحو ويمسح ﴿عَنْهُمْ﴾: من ﴿سَيِّئَاتِهِمْ﴾: يمحو عنهم ذنوبهم وخطاياهم، فلا يُعاقب عليها، بل العفو والصفح ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾: عطفًا على ما سبق دخول الجنّة، والبيوت، والأنهار، وغفران الذنوب ﴿عِنْدَ﴾: ظرف زمانٍ وظرف مكانٍ ﴿اللَّهِ﴾: بالقياس الربّاني ﴿فَوْزًا﴾: نجاة من كلّ غمّ وظفرًا ونجاحًا في كلّ مطلوب ﴿عَظِيمًا﴾: لمن أراد أن يعرف قيمة هذا فليقرأ قول ﷺ: ﴿فَمَنْ رُحِخَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران-١٨٥].

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَعَصِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (٦)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال، هنا في المقابل ﴿يُعَذِّبُ﴾: الله ﷻ ﴿الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ﴾: كما حددت الآية السابقة جزاء المؤمنين؛ تُحدد هذه الآية مصير المنافقين، الذين يُظهرون الإيمان، ويُبطنون الكفر، وهو ما كان في صلح بئر الحديبية، ويظنون يتأكدون أنّ الكفار سيقتلون محمدًا ﷺ وصحبه ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾: الذين عبدوا من دون الله ﷻ غيره ﴿وَالْمُشْرِكَاتِ﴾: العابدات مع الله إلهاً آخر ﴿الظَّالِمِينَ﴾: المُتَشَكِّكِينَ ﴿بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿اللَّهِ ظَنَّ﴾: ينتج ظنّهم بسبب الشكّ في الله ﷻ ﴿السَّوْءِ﴾: الإفساد، والشر، والضرر، وكلّ ما هو شرٌّ ويسبب الضرر، هؤلاء الذين يظنون بالله ﷻ الظنون السيئة، بأنّه لن ينصر دينه، ولن يرفع منزلة رسوله ﷺ ﴿عَلَيْهِمْ﴾: تدور عليهم ﴿دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾: يخبرهم الله ﷻ بالهلاك والدمار ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿عَصِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ينالهم غضبُ الله ﷻ، ﴿وَلَعَنَهُمْ﴾ وإبعادهم عن رحمته ﴿وَأَعَدَّ﴾: جهّز ﴿لَهُمْ﴾: تحديدًا في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ﴾: فيها شرٌّ وضررٌ ﴿مَصِيرًا﴾: بسّ المصير الطرد من رحمته وسكن جهنّم.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٧)

﴿وَلِلَّهِ﴾: من ملكه ﷺ ﴿جُنُودٌ﴾: هم الملائكة الذين في ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: في كلِّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها بيضاوية الشكل ﴿وَالْأَرْضِ﴾: من الملائكة، الذين يُؤيِّد بهم من يشاء من عبادته؛ وهم لا يعصون الله ﷻ ما أمرهم ﴿وَو﴾: حرفٌ عطفٌ يُفيد الحال ﴿كَانَ﴾: بلا نهاية ﴿اللَّهُ﴾: من صفاته التي لا تتغير ولا تفتر ﷻ ﴿عَزِيزًا﴾: عظيم القدرة، مُهاب الجانب، لا يغالبه أحدٌ ﴿حَكِيمًا﴾: في خلقه يفعل ما يفيد ويلزم في قوله وعمله ﷻ.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٨)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحد؛ للتعظيم والتوكيد ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾: بعثناك بصيغة الجمع؛ للتعظيم يا محمد ﷺ بشيءٍ عظيمٍ ﴿شَاهِدًا﴾: تشهد على أمتك أمة الدعوة يوم القيامة؛ مُبَشِّرًا من آمن منهم بالجنَّةِ ونذيرًا لمن كفر، تشهد على النَّاسِ جميعًا ﴿وَو﴾: أيضًا أرسلناك ﴿مُبَشِّرًا﴾: تُخبرُ المؤمنين بثوابهم، بشارَةً بالنصر في الدنيا، وبدخول الجنَّةِ في الآخرة ﴿وَنَذِيرًا﴾: مُحذِّرًا ومُخَوِّفًا للمشركين من الخيبة في الدنيا، ومن النَّارِ في الآخرة.

﴿لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٩)

﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿تُؤْمِنُوا﴾: عن قناعة ﴿ب﴾: حرف باء الصلة ﴿اللَّهُ﴾: اليقين في الله ﷻ، والثقة فيما وعد ﴿وَو﴾: عطفًا على إيمانكم بالله ﷻ؛ تؤمنوا ب ﴿رَسُولِهِ تَعَزِّرُوهُ﴾: لتتصروه بنصرة دينه، وقال ابن عباس: تُعظِّمونه ﴿وَو﴾: حرفٌ عطفٌ يُفيد الحال ﴿تُوَقِّرُوهُ﴾: والتوقير هو الاحترام، والإجلال، والتعظيم ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾: تنزهونه عما لا يليق به ﷻ من النواقص ﴿بُكْرَةً﴾: أول النَّهار ﴿وَأَصِيلًا﴾: آخر النَّهار، كناية عن تعظيمه طوال النَّهار.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ

وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١٠)

أرسل رسولُ الله ﷺ عثمان بن عفان إلى مكة يخبرهم أنَّ رسولَ الله ﷻ وصحابته يريدون الطواف بالكعبة، وبلغه ﷺ، أنَّ عثمان قد قُتل؛ فنادى في النَّاسِ؛ ليبايعوه ليس على الموت، ولكن على ألا يفروا؛ فبايع النَّاسُ تحت الشجرة، قال ﷻ: لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ

الشَّجَرَةَ^(١) **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع من **﴿يُبَايِعُونَكَ﴾**: وهي مشتقةٌ من البيع؛ يعاهدونك على دفع أنفسهم في سبيل الله ﷺ الذين أطاعوك، وعاهدوك على الجهاد بالأنفس وبالمال نُصرةً للإسلام في بيعة الرضوان؛ فوجه الشبه هنا اشتمالُ الكلِّ على المُبادلة **﴿إِنَّمَا﴾**: أداةٌ حصرٍ تُفيد التحديد والتخصيص **﴿يُبَايِعُونَ﴾**: مشتقةٌ من البيع **﴿اللَّهُ﴾**: لأنه من يطع الرسول؛ فقد أطاع الله ﷺ، انظر [النساء- ٨٠] بايعوا على أن يبيعوا أنفسهم لله ﷺ **﴿يُدُّ اللَّهُ﴾**: هنا مُشاكلَةٌ؛ فالتشبيه من الله ﷺ على مبايعتهم بملك من الملوك وضع يده على أيدي رعيته عند البيعة، فيدُّ الله، ﷺ، ليست كيد البشر، أو كغيره **﴿فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾**: جاء اللفظ القرآني "اليد" هنا بمعنى إتّهم يبايعون الله ﷺ على الفعل وهو الجهاد؛ فهو حاضرٌ معهم، يسمع قولهم، ويعلم إسرارهم وما يعلنون **﴿فَمَنْ﴾**: حرف استفهامٍ استثنائيٌّ عن العاقل **﴿نَكَثَ﴾**: الذي نقض البيعة والعهد **﴿فَإِنَّمَا﴾**: أداةٌ تُفيد التحديد والتخصيص، بمعنى تحديداً وتخصيصاً **﴿يُنْكَثُ﴾**: ينقض البيعة **﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾**: سيعود وبالٍ وعقابٌ نقضه لبيعته على نفسه **﴿وَمَنْ﴾**: وأيضاً الذي من جنس العاقل **﴿أَوْفَى بِمَا﴾**: بالذي **﴿عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾**: من حافظ، وأتمَّ بيعته، مُخلصاً **﴿فَ﴾**: حرفٌ استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ **﴿سَ﴾**: حرفٌ يُفيد التحقق بالتأكيد **﴿يُؤْتِيهِ﴾**: سيُعطيه، ويمنحه، ويرزقه بالتأكيد **﴿أَجْرًا﴾**: ثواباً **﴿عَظِيمًا﴾**: جزيلاً.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (١١)

﴿سَ﴾: حرفٌ يؤكد الفعل والقول، أي التحقق في المستقبل **﴿يَقُولُ لَكَ﴾**: سيبرر لك إن سألتهم **﴿الْمُخَلَّفُونَ﴾**: الذين تخلّفوا عن صحبتك وعن مشاركتهم في غزوة الحديبية **﴿مِنْ﴾**: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الكليّة **﴿الْأَعْرَابِ﴾**: الذين اختاروا المُقام في بيوتهم، وأهليهم، ولم يخرجوا معك للقتال في سبيل الله ﷺ، أو رجعوا من مسيرة الرسول ﷺ نحو مكّة

(١) سنن الترمذي ٦٩٥/٥ (٣٨٦٠)، وقال: حديث حسن صحيح.

﴿شَغَلْنَا﴾: منعنا ﴿أَمْوَالَنَا﴾: ما ينفعنا من تجارتنا وأموالنا ﴿وَأَهْلُونَا﴾: أيضاً منعنا نساؤنا، وأولادنا؛ لنحميهم ونرعاهم ﴿ف﴾: من أجل ذلك ﴿اسْتَغْفِرَ لَنَا﴾: أطلب من الله أن يغفر لنا تخلفنا، وأما حقيقتهم فيخبر عنها ﷺ ﴿يَقُولُونَ ب﴾: حرف باء الالتصاق ﴿الْأَسْتَيْهِم﴾: هنا تأكيد القول وليفرق بين المجاز والحقيقة، بمعنى يسألونك يا محمد الاستغفار من فعلهم من غير توبةٍ تتعقد عليها قلوبهم بحق، مع ندمٍ على ما اقترفوا من أفعالٍ أو أقوالٍ محرمةٍ ﴿مَا﴾: الذي ﴿أَيْس﴾: فعل ماضٍ ناقص يفيد النفي ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾: يقولون ما لا يضمرون، يقولون نُقْيَةً ومصانعة؛ فماذا يفعل الرسول؟ قال له ربُّه ﷺ ﴿قُلْ ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿مَنْ﴾: حرف استفهام عن العاقل، يفيد هنا النفي ﴿يَمْلِكُ﴾: لا يستطيع أحدٌ أن يمنعكم ﴿لَكُمْ﴾: تحديداً ﴿مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: لا أحد من الخلق يستطيع أي شيء أن يحميكم أو يمنع عنكم مما أَرَادَهُ اللهُ ﷻ من خيرٍ أو شرٍّ، نفعٍ أو ضررٍ ﴿إِنْ﴾: حرف شرط إذا ﴿أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾: أن لا يرفع عنكم ما يسبب لكم الضرر، من عقاب الله ﷻ ﴿أَوْ﴾: حرف تسوية بين متعاطفين ﴿أَرَادَ﴾: شاء ﴿بِكُمْ نَفْعًا﴾: ولا أحد يستطيع أن يمنع نفعاً أَرَادَهُ اللهُ ﷻ لكم ﴿بَل﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿كَانَ﴾: وسيبقى دائماً أبداً ﴿اللَّهُ بِمَا﴾: بالذي ﴿تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾: يعلم ما تُكُنُّ صُدُورُكُمْ؛ ويعلم عمل جوارحكم.

﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَرَبِّكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ (١٢)

﴿بَل﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿ظَنَنْتُمْ﴾: اعتقدتم ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿لَنْ﴾: حرف نفي ﴿يَنْقَلِبَ﴾: لن يعود ﴿الرَّسُولَ وَ﴾: أيضاً لن يعود ﴿الْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ﴾: في المدينة ﴿أَبَدًا﴾: ليس الأمر كما زعمتم من انشغالكم بالأموال والأولاد، بل إنكم ظننتم أن الرسول والمؤمنين سيُهْزَمُونَ في مَكَّةَ، ويُقْتَلُونَ؛ وبالتالي لن يرجعوا إلى المدينة نهائياً ﴿وَ﴾: عطفاً على ظنكم ﴿زَيْنَ﴾: جُمْلٌ ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿فِي قُلُوبِكُمْ﴾: وجدت قلوبكم وهي مراكز الوعي والإدراك في هذا الاعتقاد ما أحببتم، وتمنيتم ﴿وَظَنَنْتُمْ﴾: ما اعتقدتم وهو ﴿ظَنَّ﴾: اعتقاد ﴿السَّوْءِ﴾: ما يسبب الشر والضرر. لقد كانت عقيدة الكافرين المجرمين ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا﴾: جماعة

من أصلٍ واحدٍ، أو أصحابِ مذهبٍ واحدٍ ﴿بُورًا﴾: هالكين أو فاسدين، قال ابن عباس، ومجاهد: إنّ الأرض البور هي التي لا تُنتج زرعًا، هي الأرض الميتة، والقوم البور هم الهالكون، وقال قتادة: القوم الفاسدين.

التكليف: إنّ ظاهرة المخلفين اليوم، مجسّدة في المجتمعات التي ارتدت عن الإسلام، فلا حقوقاً ازدهارًا، ولا حرروا وطنًا محتلًا، ولا أفلح لهم زرع، ولا صار لهم سلطانٌ، بل اتبعوا الآخرين؛ فأوردوهم الهزيمة، وكانوا الخاسرين.

﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ (١٣)

﴿وَمَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُ﴾: يصدّق يقينًا ﴿ب﴾: حرف باء الصلة ﴿اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: هو الكافر الذي لا يُصدّق برسالة الرسول، ولا بوجود الله ﷻ ﴿ف﴾: حرف استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحد؛ للتعظيم والتوكيد ﴿أَعْتَدْنَا﴾: هيأنا، وجّهنا وأعدنا؛ بصورة كبيرة مهولة ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْكَافِرِينَ﴾: تخصيصًا جهّز الله ﷻ للمشركين به المنكرين وجوده، أو الشاكين في قدرته ﷻ ﴿سَعِيرًا﴾: هي نارٌ مخصوصة، يُعدّون في نار جهنّم المُستعرة، التي لا تنطفئ أبدًا.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٤)

﴿وَلِلَّهِ﴾: وحده لا شريك له ﴿مُلْكُ السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها بيضاوية الشكل ﴿وَالْأَرْضِ﴾: هو ﷻ مالئها، والمتحكّم، والمتصرف فيها ﴿يَغْفِرُ﴾: يسامح ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿مَن﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَشَاءُ﴾: يسامح من يتوب ﴿وَيُعَذِّبُ مَن﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَشَاءُ﴾: الكفّار والمنافقين ﴿وَكَانَ﴾: وسبقى دائمًا أبدًا ﴿اللَّهُ غَفُورًا﴾: يُسامحُ من تاب توبةً صادقةً، ورجع، وخضع، وأحسن في توبته وكان بلا انقطاع ﴿رَحِيمًا﴾: عطوفًا شديدَ العطف.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَقْفَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾
(١٥)

﴿س﴾: حرف تأكيد الفعل والقول في المستقبل ﴿يَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾: الذين لم يخرجوا مع رسول الله ﷺ من الأعراب في الحديبية إلى خيبر؛ لفتحها، فإذا تحقق لكم ذلك ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ﴾: وهي مغانم خيبر ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿تَأْخُذُوهَا﴾: سيطلبون صحبتكم؛ ليأخذوا من المغانم ﴿ذَرُونَا﴾: اسمحوا لنا، واتركونا ﴿نَتَّبِعْكُمْ﴾: أن نذهب معكم ﴿يُرِيدُونَ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُبَدِّلُوا كَلَامَ﴾: حكم، وقدر وإرادة ﴿اللَّهِ﴾: ﷻ في اختصاص أهل الحديبية؛ لأن الله ﷻ وعد الذين حاربوا في الحديبية أن يُعَوِّضَهُمْ بَغَائِمَ خَيْبَرَ، جاء اللفظ القرآني "الكلام" على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى كلام الوحي؛ انظر [البقرة-٧٥]، وقال مجاهد، وقتادة: وعدَّ الله ﷻ أهل الحديبية بغنائم يهود خيبر، وقال ابن جرير: أرادوا تثبيط المسلمين عن الجهاد، وهذا يُبدل كلام الله للمسلمين بأخذ الغنائم من الكفار ﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ ﴿لَنْ﴾: حرف نفي ﴿تَتَّبِعُونَا﴾: أخبر الله ﷻ أهل الحديبية قبل سؤالهم المنافقين الخروج معهم ماذا سيقولون ﴿كَذَلِكُمْ﴾: مثل هذا ﴿قَالَ اللَّهُ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلُ﴾: فيما سبق من الحالات المشابهة في الأمم السابقة ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿س﴾: حرف يفيد هنا تأكيد القول في المستقبل ﴿يَقُولُونَ بَلْ﴾: حرف إثبات ﴿تَحْسُدُونَنَا﴾: ليس الأمر كما تريدون أن تشركونا في المغانم لأنكم تحسدوننا ﴿بَلْ كَانُوا لَا﴾: حرف نفي ﴿يَقْفَهُونَ﴾: يفهمون ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿قَلِيلًا﴾: إنهم لم يفهموا الحقيقة؛ ففسروها على هواهم.

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ بَأْسٍ شَدِيدٍ تُفَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٦)

﴿قُلْ﴾: أمر رباني يا محمد ﷺ ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْمُخَلَّفِينَ﴾: الذين لم يخرجوا في غزوة الحديبية، هنا مبالغة في الذم وإشعاراً بشناعة التخلف، يأتي الذم مرة بعد مرة ﴿مِنْ﴾:

حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿الْأَعْرَابِ﴾: من أهل البادية
﴿س﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تُدْعُونَ﴾: سئومرون ﴿إِلَى﴾: حرف جر يدل على المكان
والمصاحبة لمحاربة وقاتل ﴿قَوْمٍ أُولِي﴾: أصحاب ﴿بِأَسِ﴾: شدة، وقوة، أقوياء في الحرب
﴿شَدِيدٍ﴾: أشداء في القتال؛ من هم؟ قال ابن جرير، وعكرمة: هوازن، وقال الضحاك: ثقيف،
وقال جبير، وسعيد، وعكرمة: بنو حنيفة، وقال ابن عباس، ومجاهد: هم أهل فارس، وقال
عطاء، والحسن: هم الروم، وفارس، وقال مجاهد: هم أهل الأوثان، وقال الزهري: لم يأت أولئك
بعد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا حَوْزًا، وَكَرْمَانَ مِنْ
الْأَعَاجِمِ حُمَرَ الْوُجُوهِ، فَطَسَّ الْأَنْوَفِ، صِعَارَ الْأَعْيُنِ وَجُوهَهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ، نِعَالَهُمْ الشَّعْرُ^(١)؛
قال سفيان: هم الترك ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ﴾: لقد شرع الله صلى الله عليه وسلم لكم قتالهم، وستنصرون عليهم ﴿أَوْ﴾:
حرف تخيير ﴿يُسَلِّمُونَ﴾: يدخلون في الإسلام دون قتال ﴿فَإِنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تُطِيعُوا﴾:
تستجيبوا لقتالهم، وتتفروا وتجاهدوا ﴿يُؤْتِكُمْ﴾: يُعْطِكُمْ ﴿اللَّهُ أَجْرًا﴾: ثوابًا ﴿حَسَنًا﴾: تتلون
النصر والغنائم، وتدخلون الجنة ﴿وَإِنْ﴾: حرف شرط ﴿تَتَوَلَّوْا﴾: ترفضوا وتهربوا ﴿كَمَا﴾: مثلما
﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾: عصيتم كما فعلتم حين تخلفتم ورفضتم طاعة رسولكم ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان
وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية في الزمن ﴿قَبْلُ﴾: كما في زمن الحديبية ﴿يُعَذِّبُكُمْ﴾: يُعَاقِبُكُمْ
﴿عَذَابًا﴾: عقابًا شديدًا ﴿أَلِيمًا﴾: شديد الوجع في الدنيا، وفي الآخرة.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٧)

تُذَكِّرُ هذه الآية الكريمة المسموح لهم من المسلمين؛ بالتخلف عن الجهاد ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماضي
ناقص يفيد النفي ﴿عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾: لا إثم في التخلف عن الجهاد لأصحاب الأعذار،
ومنهم الذي فقد بصره ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ﴾: صاحب العرج المستمر، مثل
شلل العضلات، أو كسور، أو هشاشة في العظام، أو بتر الأرجل ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾:
المريض وقت المعركة، والذي يزول مرضه بالوقت، مسموح له بعدم القتال؛ حتى يبرأ ﴿وَلَا﴾:

(١) صحيح البخاري ١٩٦/٤ (٣٥٩٠).

عطفاً على ما حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحالَ ﴿مَنْ﴾: والذي من جنس العاقل ﴿يُطِيعُ اللَّهَ وَ﴾: أيضاً يطع ﴿رَسُولَهُ يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيدُ بيانَ وتمييزَ النوعِ ويفيدُ ابتداءَ الغايةِ المكانيةِ ﴿تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: ومن يُطِيعُ اللهَ ورسوله فيجيبُ إلى حربِ أعداءِ الله من أهلِ الشركِ، وإلى القتالِ مع المؤمنين ابتغاءَ وجهِ الله إذا دعي إلى ذلك، يُدخِلُهُ اللهُ يومَ القيامةِ جَنَّاتٍ فيها ما تشتهيهِ الأنفسُ، وتلذُّ الأعينُ وتجري من تحتها الأنهارُ ﴿وَمَنْ يَنْوَلْ﴾: الذي يهرب من القتالِ، من ينكص عن القتالِ ويقعد ﴿يُعَذِّبُهُ﴾: اللهُ ﷻ ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: العذابُ الجسدي في الدنيا، وتتألهُ مذلةٌ في الدنيا، ومصيره النَّارُ في الآخرةِ.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (١٨)

﴿لَقَدْ﴾: حرفُ إثباتٍ ما حدث، أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل ﴿رَضِيَ اللَّهُ﴾: سميت هذه البيعة ببيعة الرضوان لرضى اللهُ ﷻ عن المبايعين، لقد قبل اللهُ ﷻ عملهم، ورضي ﴿عَنِ﴾: حرفٌ جرٌّ بمعنى على ﴿الْمُؤْمِنِينَ إِذْ﴾: حرفٌ يفيد ما مضى من الزمن ﴿يُبَايِعُونَكَ﴾: جاء التعبير بصيغة المضارع المفيد للحال عن الماضي؛ لاستحضار صورة المبايعة ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾: عَنِ الْبِرَاءِ ﷺ، قَالَ: تَعُدُّونَ أَنْتُمْ الْفَتْحَ فَتَحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا، وَحُنُّ نَعْدُ الْفَتْحِ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، وَالْحُدَيْبِيَّةُ بِنْرٌ، فَتَرَحُّنَّاهَا فَلَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَتَاهَا، فَجَلَسَ عَلَيَّ شَفِيرَهَا ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ مَضَمَّ وَدَعَا ثُمَّ صَبَّهُ فِيهَا، فَتَرَكْنَاهَا غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ إِنَّهَا أَصْدَرَتْنَا مَا شِئْنَا نَحْنُ وَرِكَابُنَا»^(١)، ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿عَلِمَ مَا﴾: الذي ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾: من الصدق، والإخلاص، والسمع، والطاعة، فتدخلت العناية الربانية للإسناد ﴿ف﴾: لهذا السبب وفي تتابعٍ سريعٍ ﴿أَنْزَلَ﴾: وضع ﴿السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾: جاء اللفظ القرآني "التسكين والسكن" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى الطمأنينة. انظر تفسير [البقرة-٣٥]، و[التوبة-١٠٣] ﴿و﴾: عطفاً على السكينة ﴿أَثَابَهُمْ﴾: وهبهم ثوابٍ ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾:

(١) صحيح البخاري ١٢٢/٥ (٤١٥٠).

كان فتح خيبر، وفتح مكة، وفتح سائر البلاد والأقاليم؛ حتى وصل عدد المسلمين اليوم إلى ثلاث سكان العالم، حوالي مليارين وثلاثمائة مليون مسلم من شرق الدنيا في اندونيسيا إلى غربها في أمريكا، وأمريكا الجنوبية.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١٩)

﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال؛ عطفاً على انتصار المسلمين على أهل خيبر، جنا المسلمون **﴿مَغَانِمَ﴾**: جوائز والمكاسب المادية **﴿كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾**: من أموال، وممتلكات اليهود؛ لقد تشكلت بعد هذه الحادثة القوة اللازمة لنشر الإسلام، والدفاع عنه، حتى وصلت الخلافة الراشدة، وصارت الدولة الأموية، والعباسية، والعثمانية، وبقي الإسلام اليوم مُرشحاً لخلافة الكون، بعد معركة وعد الآخرة، بالانتصار على اليهود المحتلين لفلسطين؛ وكان هذا من عزّ الله ﷻ الذي شهد لنفسه **﴿وَكَانَ﴾**: بلا انقطاع أو زوال **﴿اللَّهُ عَزِيزًا﴾**: لا يمنعه ولا يغالبه أحدٌ **﴿حَكِيمًا﴾**: صاحب الصواب في أفعاله وأقواله.

﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلْ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (٢٠)

خطاب للمسلمين لقد **﴿وَعَدَكُمْ﴾**: بالتحقق في المستقبل **﴿اللَّهُ مَغَانِمَ﴾**: مكاسب وفتوحات **﴿كَثِيرَةً﴾**: في المستقبل **﴿تَأْخُذُونَهَا﴾**: في أوقاتها التي يقدرها الله ﷻ، وقال مجاهد: جمع المغانم حتى اليوم **﴿ف﴾**: حرف يفيد التتابع السريع **﴿عَجَلْ﴾**: سرّع **﴿لَكُمْ﴾**: تمليكاً **﴿هَذِهِ﴾**: اسم إشارة للمؤنث وهي الانتصار في خيبر **﴿و﴾**: أيضاً **﴿كَفَّ﴾**: ومنع **﴿أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾**: يهود خيبر عن عيال المسلمين، وعن حريمهم، اللواتي تركوهن وراءهم **﴿و﴾**: عطفاً على ما جاء **﴿ل﴾**: حرف علّة وسبب تكون **﴿آيَةً﴾**: عبرة **﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾**: تخصيصاً لتكون هزيمة للمشركين، وعبرة لكل مؤمن في كل زمان ومكان، إنّ الله ﷻ يختار لعباده الخير، وإن كرهوه في الظاهر **﴿وَيَهْدِيَكُمْ﴾**: يُدلكم ويرشدكم **﴿صِرَاطًا﴾**: طريقاً **﴿مُسْتَقِيمًا﴾**: أقصر الطرق التي تؤدي للنصر، هو المنهج السليم؛ بانقيادكم لأمر الله ﷻ، وطاعته، وطاعة رسوله ﷺ.

﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ (٢١)

﴿و﴾: أيضًا وعدكم الله ﷺ مكاسب ومغانم ﴿أُخْرَى﴾: غير ما سبق ذكره ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾: لم تحصلوا عليها بجهدكم، يسرها الله ﷻ لكم، قال ابن عباس: كان فتح خيبر، وقال الضحاك، وقتادة، وابن جرير: فتح مكة، وقال الحسن البصري: بلاد فارس، والروم، وقال مجاهد: كل فتح وغنيمه حتى يوم القيامة، وهذا هو الأقرب ﴿قَدْ﴾: حرف جرّ أفاد التأكيد لأنه دخل هنا على الفعل الماضي ﴿أَحَاطَ﴾: علم الله ﷻ بها بالتفاصيل؛ فأعدها وحفظها لكم ﴿اللَّهُ بِهَا وَكَانَ﴾: بلا انقطاع أو تبدل ﴿اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد على العموم ﴿قَدِيرًا﴾: قادرًا مقتدرًا هي تحت تدبيره وملكه، وقد وعد ووعدته ﷻ الحق؛ لا يمنعه شيء.

﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٢٢)

﴿وَلَوْ﴾: حرف امتناع الامتناع ﴿قَاتَلَكُمُ﴾: كُفَّار قريش بمكة ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول، يفيد هنا جميع من ﴿كَفَرُوا﴾: لو رفضوا الصلح، ودخلوا معكم في قتال ﴿لَ﴾: حرف علّة وسبب ﴿وَلَوْ﴾: كناية عن الهزيمة؛ لأن المهزوم يدير ظهره للعدو المنتصر؛ ليهربوا، وولوكم ظهورهم، كما يفعل كل من هزم في القتال ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني غير السريع ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَجِدُونَ وِلِيًّا﴾: من يحبهم، ويؤيدهم ﴿وَلَا﴾: حرف نفي لا يجدون ﴿نَصِيرًا﴾: من ينصرهم في حروبهم، ولا نصيرًا يُعينهم على قتالكم.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٢٣)

﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾: هذه قوانين قدرها ﷻ على الأمم ﴿الَّتِي قَدْ﴾: حدث في الماضي ﴿خَلَتْ﴾: مضت وانقضت ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿قَبْلُ﴾: فما قابل كافر مؤمنًا في معركة فاصلة؛ إلا نصر الله المؤمن على الكافر، قديمًا وحديثًا، وفي المستقبل بالتأكيد ﴿وَلَنْ﴾: حرف نفي ﴿تَجِدَ لِسُنَّةِ﴾: ما قدره ﴿اللَّهُ﴾: ﷻ من حقائق ﴿تَبْدِيلًا﴾: لن تجد لسنن الله تديلاً، ولا تحويلاً، ولا تغييرًا في الدهر كله.

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ

بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (٢٤)

أسباب النزول: قال إياس بن سلمة، حدَّثني أبي، قال: قدِمنا الحُدَيْبِيَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ أَرْبَعٌ عَشْرَةَ مِائَةً. قَالَ: فَلَمَّا اضْطَلَحْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ مَكَّةَ، وَاخْتَلَطَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ، أَنْتَبْتُ شَجَرَةً فَكَسَحْتُ شَوْكَهَا فَاضْطَجَعْتُ فِي أَصْلِهَا، قَالَ: فَأَتَانِي أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَجَعَلُوا يَقْعُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَبْغَضْتُهُمْ، فَتَحَوَّلْتُ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى، وَعَلَّقُوا سِلَاحَهُمْ وَاضْطَجَعُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي، يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، قُتِلَ ابْنُ زُنَيْمٍ، قَالَ: فَاخْتَرْتُ سَيْفِي، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَى أَوْلِيكَ الْأَرْبَعَةَ وَهُمْ رُقُودٌ، فَأَخَذْتُ سِلَاحَهُمْ، فَجَعَلْتُهُ ضِغْنًا فِي يَدِي، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ، وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ، لَا يَرْفَعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأْسَهُ إِلَّا صَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ، قَالَ: ثُمَّ حِينْتُ بِهِمْ أَسْوَاقَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَجَاءَ عَمِي عَامِرٌ بِرَجُلٍ مِنَ الْعَبَلَاتِ، يُقَالُ لَهُ: مَكْرَزٌ يَهُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَرَسٍ، مُجَفَّفٍ فِي سَبْعِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «دَعُوهُمْ، يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الْفُجُورِ، وَثَنَاهُ»، فَعَا عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح- ٢٤] الآية كُلُّهَا^(١)، ﴿وَهُوَ﴾: الله ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد، والمقصود هنا الله، الواحد الأحد ﴿كَفَّ﴾: منع وصول ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾: سلاح الكفار ﴿عَنْكُمْ﴾: أيدي وأسلحة المشركين في موقعة الحديبية، أن تصل إلى المسلمين بسوء ﴿و﴾: أيضًا كَفَّ ﴿أَيْدِيَكُمْ﴾: أسلحتكم ﴿عَنْهُمْ﴾: وبذلك منع الاقتتال بين المسلمين والكفار ﴿ب﴾: حرف باء الظرفية ﴿بَطْنِ مَكَّةَ﴾: الحديبية التي بالقرب من مدينة مكة ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد ابتداء الغاية الزمانية ﴿بَعْدِ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿أَظْفَرَكُمْ﴾: نصرتم وقدرتم عليهم فصاروا تحت سلطانكم ﴿عَلَيْهِمْ﴾: أن وصلوا إلى الحرم الشريف بعد عامٍ من الصلح؛ وأطلق الرسول ﷺ سراحهم، فكان الصلح خيرًا للمؤمنين ﴿وَكَانَ﴾: ويبقى أبدًا ﴿اللَّهُ بِمَا﴾: بالذي ﴿تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾: يعلم ما يعمل المسلمون وغيرهم من الخلق، علم المشاهد.

(١) صحيح مسلم ١٤٣٣/٣ (١٨٠٧).

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَنْبَلِغَ مَحَلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِيبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَعِيرٌ عَلِمَ لِيُذْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٢٥)

﴿هُمُ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد
 ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: اختصاص بالكفار من قريش الذين جحدوا توحيد الله ﷻ ﴿وَصَدُّوكُمْ﴾: الذين منعوا الرسول ﷺ والمؤمنين أيضًا ﴿عَنِ﴾: حرف يفيد البعد والمجاورة ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: في الحرم المكي الشريف ﴿وَالْهَدْيِ﴾: منعوا الأضحيات التي ساقها الرسول ﷻ ﴿مَعْكُوفًا﴾: محبوسًا ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَنْبَلِغُ﴾: أن يصل ﴿مَحَلَّهُ﴾: وحبسوه أن يبلغ مكان ذبحها، كان عدد الأضاحي سبعين ﴿وَلَوْلَا﴾: امتناع الحدث الثاني لوجود الأول ﴿رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾: هؤلاء مؤمنون، ومؤمنات كانوا يعيشون وسط الكفار، يكتمون إيمانهم خوفًا على أنفسهم من قومهم ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿تَعْلَمُوهُمْ﴾: والمسلمون لم يعلموهم ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَطَّوَّهُمْ﴾: ولأنكم لا تعرفونهم فلو سلطناكم عليهم فقد تقتلونهم مع المشركين ﴿ف﴾: بهذا السبب ﴿نُصِيبِكُمْ﴾: ينالكم ﴿مِنْهُمْ مَعْرَةٌ﴾: مكروه، ومشقة وتؤثمون، وتُعزَمون الديات ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة ﴿عَيْرٌ﴾: حرف استثناء بمعنى إلا ﴿عَلِمَ﴾: وأنتم لا تعلمونهم ﴿ل﴾: حرف علّه وسبب ﴿يُذْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ﴾: الذي من بني آدم ﴿يَشَاءُ﴾: يُؤجل عقوبة الكافرين ليخلص من بينهم المؤمنين، وحتى يرجع كثير من المشركين؛ ويدخلون الإسلام ﴿لَوْ﴾: حرف يُفيد استحالة ﴿تَزَيَّلُوا﴾: لو تميز المشركون عن المؤمنين الذين بينهم ﴿ل﴾: حرف يفيد العلة والسبب ﴿عَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾: بعضهم أو جزءًا منهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: كنا سلطناكم عليهم؛ فتقتلونهم، منهم من قاتل المسلمين أول النهار، ثم قاتل مع المسلمين ضد الكفار آخر النهار، كانوا سبعة رجال، وامرأتين، لقد كان فضل الله عظيمًا على تسعة نفر مسلمين، منع القتال؛ ليحميهم؛ ويحفظهم؛ إنه غفور رحيم.

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٢٦)

﴿إِنْ﴾: حدث في الماضي ويفيد هنا العلة والسبب ﴿جَعَلَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةُ﴾: من صفات الجاهلية الأنفة والتكبر ﴿حَمِيَّةٌ﴾: الأنفة، والعصبية، العائلية والتكبر، ومن ذلك امتناعهم أن يكتبوا في صلح الحديبية: بسم الله الرحمن الرحيم، ورفضوا كتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﴿الْجَاهِلِيَّةُ﴾: التي لازمت حتى اليوم المشركين، والمتكبرين حتمياً، التي لا ترتبط بالحق، بل بالهوى، رفضوا أن يكتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، ورفضوا أن يكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم؛ فكتبوا هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ﷺ ﴿ف﴾: حرف يفيد التتابع السريع وبسبب هذا ﴿أَنْزَلَ﴾: وضع ﴿اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾: الطمأنينة والاطمئنان هي السكون بعد الانزعاج والهدوء، والوقار والأمن ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: عطفاً على ما سبق ﴿أَلَزَمَهُمْ﴾: أوجب عليهم ﴿كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾: كلمة التوحيد والإخلاص، قال ابن جرير، وابن عباس: هي لا إله إلا الله، وقال مجاهد: كلمة التقوى والإخلاص، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وقال علي بن أبي طالب ﷺ: لا إله إلا الله، والله أكبر ﴿وَكَانُوا﴾: المسلمون ﴿أَحَقَّ بِهَا﴾: أحق بثواب هذه الكلمات؛ لأنهم أصحابها ﴿وَهُمْ﴾: تحديداً ﴿أَهْلُهَا وَكَانَ اللَّهُ﴾: ويبقى بلا فناء ولا انقطاع ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة والصلة ﴿كُلُّ﴾: تفيد الجميع ﴿شَيْءٍ﴾: عموم الأشياء بلا استثناء ﴿عَلِيَّماً﴾: لا يخفى عليه شيء؛ يعلم بمن يستحق الخير؛ فيعطيه، ومن يعمل الشر؛ فيجازيه.

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ

رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٢٧)

أسباب النزول: كان رسول الله ﷺ قد رأى رؤيا، أنه دخل مكة، وطاف بالبيت؛ فأخبر أصحابه وهو في المدينة، فلما ساروا عام الحديبية وحدث الصلح، وقع في نفس الصحابة من ذلك شيء، فسأل عمر بن الخطاب ﷺ الرسول ﷺ؛ فقال أنا لم أقل إنها في هذا العام، وقال: فإنك آتية، ومطوف به^(١). ﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث، أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد

(١) صحيح البخاري ١٩٣/٣ (٢٧٣١).

في المستقبل ﴿صَدَقَ﴾: حَقَّقَ ﴿اللَّهُ رَسُولَهُ الرَّؤْيَا﴾: التي رآها ﷺ ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿الْحَقِّ﴾: أنه ﷺ سيحقق هذه الرؤيا ﴿لِ﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿تَدْخُلْنَ﴾: بكل تأكيد لتدخلن يا محمد ﷺ ﴿الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ بيت الله الحرام في مكة ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿شَاءَ﴾: أراد ﴿اللَّهُ﴾: فكلُّ شيءٍ بمشيئته ﷻ، وهذا يكون الخبر ﴿آمِنِينَ﴾: لا تخافون وقت دخولكم ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمَقْصِرِينَ﴾: عندما يدخلون؛ لأنهم لم يكونوا في الحديبية مُحَلِّقِينَ رُءُوسَهُمْ، ولا مُقْصِرِينَ شعورهم كُلَّهُمْ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَخَافُونَ﴾: وعدهم الله بالأمن حال الدخول ﴿فَ﴾: بسبب ﴿عِلْمَ مَا﴾: الذي ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿تَعْلَمُوا﴾: الخير لكم والمصلحة فصرفكم عن دخول مكة في عامكم هذا ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿ذَلِكَ﴾: قبل دخولكم مكة ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾: في رؤية رسوله ﷺ؛ وهو الصلح بين المسلمين وأعدائهم، صلح الحديبية، أو فتح مكة، وقيل فتح خيبر، وإن شاء الله فتح القدس التي يحتلها اليهود في هذا الوقت.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (٢٨) ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المذكر، هنا هو الله جلَّ جلاله ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمفرد، والمقصود هنا الله، الواحد، الأحد ﷻ ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾: بعث وجعل الرسالة في محمدٍ ﷺ ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة والصلة ﴿الْهُدَىٰ﴾: جاء اللفظ القرآني "الهدى" على سبعة عشر وجهًا؛ هنا بمعنى التوحيد وهو العلم النافع وهي آيات القرآن الكريم، وسنة رسوله ﷺ والبيان الواضح ﴿و﴾: أيضًا أرسل ﴿دِينِ الْحَقِّ﴾: الشريعة التي تشمل على شيئين: علم، وعمل ﴿لِ﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿يُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: ليعلي شأن هذا الدين الحنيف ويقويه فوق جميع الأديان، في سائر الأرض، وفي كلِّ زمان ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿كَفَىٰ﴾: يكفي ﴿بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: عالمًا بكلِّ شيءٍ.

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢٩)

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾: إخبار من الله ﷻ أنّ محمداً رسول الله، ﷺ، بلا شك، ورسول الله يشمل كلّ وصفٍ جميلٍ، وماذا عن صحابته؟ ﴿و﴾: أيضاً ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع من ﴿مَعَهُ﴾: الصحابة الكرام، الذين من صفاتهم ﴿أَشِدَّاءُ﴾: أقوياء أصحابُ عِزَّةٍ ﴿عَلَى الْكُفَّارِ﴾: في مواجهة الكافرين المحاربين ﴿رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾: جاء اللفظ القرآني "الرحمة" على أحد عشر وجهًا؛ هنا بمعنى المودة، والبشاشة، والعون لإخوانه؛ كمثل الجسد الواحد. انظر تفسير [البقرة-١٠٥] ﴿تَرَاهُمْ﴾: تُشاهدُهم أيها الناظر ﴿رُكْعًا سَجْدًا﴾: يُكثرون من الصلاة ركوعًا، وسجودًا، وهي خير الأعمال ﴿يَبْتَغُونَ﴾: يريدون ويطمعون ﴿فَضْلًا مِنْ﴾: بعضًا من كرم ﴿اللَّهِ﴾: دخول الجنة التي فيها كلّ خيرٍ ﴿و﴾: أيضًا يريدون ﴿رِضْوَانًا﴾: رضا الله ﷻ، قيل هو الرضا الذي لا يعقبه سخطٌ ولا غضب، وهو أكبر من الجنة ﴿سَيِّمَاهُمْ﴾: هي العلامة وقيل ملامحهم، ولها ثلاثة مظاهر، الأول يبوس الجلد في جبهة الوجه؛ التي تحدث من كثرة السجود عليها، والثاني هو الأثر النفسي من التواضع والخشوع ونور الصلاح، والثالث نورٌ يوم القيامة الذي ﴿فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿أَثَرِ السُّجُودِ﴾: قال ابن عباس: السميت الحسن، وقال مجاهد: الخشوع والتواضع، وقال السدي: الصلاة تُحسِّن وجوههم، وقال بعض السلف: من كثرت صلواته بالليل، حسن وجهه بالنهار، وقيل: نورًا في القلب، وضياءً في الوجه، وسعةً في الرزق، ومحبةً في القلوب؛ وهو قول جامع، وقال عثمان ؓ: ما أسرَّ أحدٌ سريرةً إلا أباها الله ﷻ على صفحات وجهه، وفتاتٍ لسانه، ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿مِثْلُهُمْ﴾: وصفهم ﴿فِي التَّوْرَةِ﴾: جاء اللفظ القرآني "مثل" على أربعة أوجه، هنا بمعنى التشبيه والأشباه. انظر تفسير [البقرة-٢١٤] ﴿وَمِثْلُهُمْ﴾: وجاء وصفهم ﴿فِي الْإِنْجِيلِ ك﴾: مثل وحال ﴿زَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾: أخرج فروعهُ الضعيفة كناية عن النمو والاستمرار في الانتاج ﴿فَأَزْرَهُ﴾: شد من عضده، وقواه وسانده ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد هنا سبب ﴿اسْتَعْلَظَ﴾: شَبَّ، وطال، وقويت سوقه وجذوعه وفروعه ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ﴾: وقف على جذعه وقضبانهِ ﴿يُعْجِبُ﴾: يُحِبُّه ويفضله ﴿الزَّرَاعِ﴾: المزارعين ﴿ل﴾: حرف علةٌ وسبب ﴿يَغِيظُ﴾: يزيد حنقهم وكرههم ﴿بِهِمْ﴾: حرف باء الالتصاق ﴿الْكُفَّارِ﴾: هكذا قوةٌ ومنعةٌ المؤمنين، تُغيظ الكفار ﴿وَعَدَّ اللَّهُ﴾: ووعدهُ

حق ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع من ﴿آمَنُوا﴾: وعدهم الله ﷻ رضاه عن المؤمنين ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: والذين أتبعوا إيمانهم بعملٍ الخير ﴿مِنْهُمْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿مَغْفِرَةً﴾: تكفير ذنوبهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾: مغفرةٌ للذنوب وزرقاً وفيراً، في الحياة الدنيا، وثواباً في الجنة لا ينقطع.

التكليف: بدراسة مقاصد السورة الكريمة؛ نجد البشرى بنصرة دين المسلمين والتمكين للمسلمين.



سُمِّيت سورة الحجرات بهذا الاسم في جميع مصاحف وكتب السنة والتفسير، وليس لها اسم غيره، ووجه التسمية أنه جاء فيها لفظ "الحجرات"، وأطلق عليها العلماء سورة الأخلاق، وسورة والآداب، وهي سورة مدنية باتفاق أهل التأويل، وترتيبها (١٠٦) في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة المجادلة، وقبل سورة التحريم، وعدد آياتها (١٨) عند الجميع.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١)

سبب النزول: قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمْرٌ الْقَعْقَاعَ بْنِ مَعْبِدٍ، وَقَالَ عُمَرُ: بَلْ أَمْرُ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا أَرَدْتُ إِلَيْ، أَوْ إِلَّا خِلَافِي، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ، فَتَمَارَيْتَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَنَزَلَ فِي ذَلِكَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات-١] حَتَّى انْقَضَتْ الْآيَةُ^(١)، ﴿يَا أَيُّهَا﴾: كلمةٌ تواصلٌ بين المُنادي وهو الله ﷻ والمُنادى عليه وهم ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع من ﴿آمَنُوا﴾: بالله، ورسوله، والقيامة، والملائكة، والكتاب ﴿لَا﴾: حرف نهي وتحريم ﴿تَقْدِمُوا﴾: أمرٌ بالنهي؛ لا تقطعوا أمراً، وتجزموا به ﴿بَيْنَ يَدَيْ﴾: قبل ﴿اللَّهُ وَرَسُولِهِ﴾: هذه الآية من أدب المسلمين مع رسولهم ﷺ: لا تُسرِعوا في أي شيءٍ في قولٍ أو عملٍ قبل الله ﷻ وقبل رسول الله ﷺ، بل كونوا تبعاً في كلِّ الأمور، وقال ابن عباس: لا تتكلموا بين يدي كلامه،

(١) صحيح البخاري ١٣٧/٦ (٤٨٤٧).

وقال مجاهد: لا تقفوا بشيء حتى يقضي الله ﷻ على لسانه، وقال الضحاك: لا تقضوا شيئاً دون أمر الله ورسوله في شرائع دينكم، وقال الحسن البصري: لا تدعو قبل الإمام، وقال قتادة: أن تقولوا لو أنزل كذا وكذا **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾**: هنا جمع بين الأمر والنهي في آية واحدة، من الله ﷻ أطيعوه فيما أمركم فخافوه في قولكم وعملكم ولا تخالفوا ما أمر به ﷻ، **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿اللَّهُ سَمِيعٌ﴾**: يسمع كلامكم **﴿عَلِيمٌ﴾**: كل العلم بما بنياتكم وما تضرمون، وهنا توجيه رباني أن يبتدعوا في الدين، أو يُشرّعوا ما لم يأذن بع الله ﷻ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٢)

سبب النزول: عن ابن أبي مليكة، قال: كَادَ الْخَيْرَانِ أَنْ يَهْلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْبٌ بَنِي تَمِيمٍ، فَأَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، وَأَشَارَ الْآخَرُ بِرَجُلٍ آخَرَ - قَالَ نَافِعٌ لَا أَحْفَظُ اسْمَهُ - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: مَا أَرَدْتُ إِلَّا خِلَافِي، قَالَ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ فَارْتَعَتِ أَصْوَاتُهُمَا فِي ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾** [الحجرات-٢] الآية قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: «فَمَا كَانَ عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ حَتَّى يَسْتَنْفِهُمُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ»^(١)، **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾**: هنا يتكرر النداء كلمةً تواصلٍ بين المُنادَى وهو الله ﷻ والمُنَادَى عليهم، وهم المؤمنون؛ وفي ذلك بيان الشفقة على المؤمنين؛ الذين ينتبهون للنداء؛ فيقبلون ليستمعوا، ويهتموا، ويضعوه في حسابهم، فيستفيدون من النداء المُتجدد **﴿لَا﴾**: حرف نهي وتحريم **﴿تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾**: لا يعلوا صوتكم **﴿فَوْقَ﴾**: أعلى من **﴿صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا﴾**: أيضاً نهي، وتحريم **﴿تَجْهَرُوا لَهُ بِ﴾**: حرف باء المصاحبة **﴿الْقَوْلِ﴾**: لا تتادوه باسمه كما تُنادون بعضهم **﴿ك﴾**: حال ومثل **﴿جَهْرٍ﴾**: نداء **﴿بَعْضِكُمْ﴾**: جزء منكم **﴿لِبَعْضٍ﴾**: لا تتحدثوا معه ﷻ كما تتحدثون مع أنفسكم، ويرتفع صوتكم على بعض **﴿أَنَّ﴾**: حرف تأكيد الفعل، يفيد هنا كراهة أن **﴿تَحْبَطَ﴾**: يتحقق بطلان **﴿أَعْمَالِكُمْ﴾**: فلا ثواب لها **﴿وَأَنتُمْ لَا﴾**: حرف نفي **﴿تَشْعُرُونَ﴾**: لا تحسون

(٢) صحيح البخاري ١٣٧/٦ (٤٨٤٥).

ببطلانها، وتظنون أنها قبلت، وهي غير ذلك، وهذا أدب ثانٍ من آداب التعامل مع رسول الله ﷺ. وهو أمرٌ ينطبق على وليّ الأمر في أمور الدنيا.

التكليف: هذه الآية تضع قواعد التعامل مع الرسول ﷺ في مخاطبته وفي مجلسه، وكل أمر من أمور حياتهم، حتى لا يضيع أجر وثواب قولكم وعملكم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٣)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار **﴿الَّذِينَ﴾:** اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ **﴿يَعْضُونَ﴾:** يخفضون ويتخافتون بها **﴿أَصْوَاتَهُمْ﴾:** عند الحديث **﴿عِنْدَ﴾:** ظرف مكان، في حضرة **﴿رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ﴾:** إشارة للقريب والبعيد **﴿الَّذِينَ امْتَحَنَ﴾:** أخلصها ونقّأها **﴿اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾:** امتحن الله ﷻ إخلاصها، وجعلها أهلاً ومحللاً، قال عمر بن الخطاب: في هذا المعنى: إنّ الذين يشتهون المعصية، ولا يعملون بها؛ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى **﴿لَهُمْ﴾:** تخصيصاً **﴿مَغْفِرَةٌ﴾:** يكفر الله ﷻ ذنوبهم بعفوه ويدخلهم الجنة بكرمه **﴿وَأَجْرٌ﴾:** ثواب **﴿عَظِيمٌ﴾:** كبير عند الله ﷻ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار **﴿الَّذِينَ﴾:** اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿يُنَادُونَكَ مِنْ﴾:** حرف يفيد بداية الغاية المكانية **﴿وَرَاءِ﴾:** خلف **﴿الْحُجُرَاتِ﴾:** إما أنهم أتوا الحجرات واحدةً بعد الأخرى، أو أنهم تفرقوا على الحجرات فنادى كلُّ واحدٍ منهم على حجرةٍ؛ كانوا جماعةً من الأعراب الذين كانوا على منهج أجدادهم، يُنادون على أنفسهم من وراء بيوت نساء الرسول ﷺ **﴿أَكْثَرُهُمْ﴾:** لم يذكر ﷻ جميعهم، بل الغالبية منهم **﴿لَا﴾:** حرف نفي **﴿يَعْقِلُونَ﴾:** لا فهم، لا ذوق، ولا أدب عندهم، لم يفهموا عاقبة ما فعلوا فهذا يتنافى مع مقامك السامي الشريف. الآية تحملُ المسلمين على ضرورةِ حسنِ الأدبِ مع رسول الله توقيره ﷺ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥)

﴿وَلَوْ﴾: حرف امتناع لامتناع ﴿أَنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿صَبَرُوا حَتَّى﴾: تُفيد سبب ما قبلها ﴿تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾: هذا من أدب المجتمعات، فقد يكون المُنادى عليه نائماً، أو يقضي حاجته، أو يأكل ﴿لَ﴾: حرف علة وسبب ﴿كَانَ خَيْرًا﴾: فائدة ومنفعة ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً. نزلت الآية في الأقرع بن حابس التميمي ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾: عطفاً على ما سبق يغفر لمن يشاء ممن عملوا بجهلٍ ﴿رَحِيمٌ﴾: يُسامح ويعطف ولا يُعاجل بالعقوبة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًا فَتَنَبَّيْتُمْ أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٦)

أسباب النزول: قيل نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط؛ أرسله رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق؛ فتلقوه مستقبليين مجتمعين بالصدقة، ظن أنهم يريدون قتله؛ فرجع؛ فقال للرسول ﷺ إن بني المصطلق جمعت لقتاله، وأنهم ارتدوا عن الإسلام؛ فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ﷺ؛ ليتحقق؛ فوجد الأذان في الفجر، فجاءهم صباحاً، وتيقن من إسلامهم؛ فنزلت الآية الكريمة. قال الحارث بن أبي ضرار الخزاعي: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَانِي إِلَى الْإِسْلَامِ، فَدَخَلْتُ فِيهِ، وَأَقْرَرْتُ بِهِ، فَدَعَانِي إِلَى الزَّكَاةِ، فَأَقْرَرْتُ بِهَا، وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرْجِعْ إِلَيَّ قَوْمِي، فَأَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَدَاءِ الزَّكَاةِ، فَمَنْ اسْتَجَابَ لِي جَمَعْتُ زَكَاتَهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَسُولًا لِإِبَّانِ كَذَا وَكَذَا لِأَيَّتِيكَ مَا جَمَعْتُ مِنَ الزَّكَاةِ، فَلَمَّا جَمَعَ الْحَارِثُ الزَّكَاةَ مِمَّنْ اسْتَجَابَ لَهُ، وَبَلَغَ الْإِبَّانَ الَّذِي أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُبْعَثَ إِلَيْهِ، اخْتَبَسَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ، فَلَمْ يَأْتِهِ، فَظَنَّ الْحَارِثُ أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ فِيهِ سَخَطٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ، فَدَعَا بِسَرَوَاتِ قَوْمِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ وَقَّتَ لِي وَقْتًا يُرْسِلُ إِلَيَّ رَسُولَهُ لِيَقْبِضَ مَا كَانَ عِنْدِي مِنَ الزَّكَاةِ، وَلَيْسَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْخُلْفُ، وَلَا أَرَى حَبَسَ رَسُولَهُ إِلَّا مِنْ سَخَطَةٍ كَانَتْ، فَأَنْطَلِقُوا، فَنَاتِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ إِلَى الْحَارِثِ لِيَقْبِضَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِمَّا جَمَعَ مِنَ الزَّكَاةِ، فَلَمَّا أَنْ سَارَ الْوَلِيدُ حَتَّى بَلَغَ بَعْضَ الطَّرِيقِ، فَرِقَ، فَرَجَعَ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْحَارِثَ مَنَعَنِي الزَّكَاةَ، وَأَرَادَ قَتْلِي، فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّبْعَ إِلَى الْحَارِثِ، فَأَقْبَلَ الْحَارِثُ بِأَصْحَابِهِ إِذْ اسْتَقْبَلَ النَّبْعَ وَفَصَلَ مِنَ الْمَدِينَةِ، لَقِيَهُمُ الْحَارِثُ، فَقَالُوا: هَذَا الْحَارِثُ، فَلَمَّا

عَشِيهِمْ، قَالَ لَهُمْ: إِلَى مَنْ بُعِثْتُمْ؟ قَالُوا: إِلَيْكَ، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالُوا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ بَعَثَ إِلَيْكَ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ، فَزَعَمَ أَنَّكَ مَنَعْتَهُ الزَّكَاةَ، وَأَرَدْتَ قَتْلَهُ قَالَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ، مَا رَأَيْتُهُ بَتَّةً، وَلَا أَتَانِي فَلَمَّا دَخَلَ الْحَارِثُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: مَنَعْتَ الزَّكَاةَ، وَأَرَدْتَ قَتْلَ رَسُولِي؟ قَالَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُهُ، وَلَا أَتَانِي، وَمَا أَقْبَلْتُ إِلَّا حِينَ احْتَبَسَ عَلَيَّ رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ كَأَنْتَ سَخَطَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَسُولِهِ. قَالَ: فَزَلَّتِ الْحُجْرَاتُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(١)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿آمَنُوا إِنْ﴾: حرف شرط بمعنى إذا ﴿جَاءَكُمْ﴾: وصل إليكم ﴿فَاسِقٌ﴾: هو المُجَاهِرُ بِذَنْبِهِ، الذي لا يستحي من الله ﷻ، وهو الذي يرتكب الكبائر من الذنوب؛ وأصلُ الفسق يُطلق على الرطوبة من البلح إذا نضجت وتفسخت قشرتها الخارجية؛ فيقولون فسقت الرطوبة، ثم استُعير المعنى العقدي ليشير إلى الإنسان الذي يخرج عن أوامر ربه ﷻ. جاءت بصيغة النكرة لتفيد العدد الكبير؛ الذي خرج عن قواعد وأصول الدين ﴿ب﴾: حرف باء التوكيد ﴿نَبَأٍ﴾: جاء بصيغة النكرة لتفيد الشيوع بخبر؛ مما سبق نستخلص أن الحديث عن انتشار الفساق وانتشار الأنبياء ﴿ف﴾: حرف سبب استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿تَبَيَّنُوا﴾: توقفوا عنده ملياً وتحققوا، وتثبتوا من صدقه؛ باكتشاف الحقيقة، ولا تعتمدوا قول الفساق؛ لأنه كذب ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تُصِيبُوا﴾: ترتكبون جناية ﴿قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾: وحتى لا تتخذوا موقفاً من قومٍ دون تثبت ﴿فَتُصِيبُوا﴾: تصيروا ﴿عَلَى مَا﴾: الذي ﴿فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾: على عملكم ضدهم.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَرَيْبُهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (٧)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿اعْلَمُوا أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿فِيكُمْ﴾: بينكم ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾: جاء التعبير هنا بالرسول وقد جاء قبله التعبير بالنبى؛ لأن المراد هنا هو شرف

(١) مسند أحمد ٤٠٣/٣٠ (١٨٤٥٩) قال الأرنؤوط: حديث حسن بشواهده.

الرسالة وشرف النبي تبعًا للرسالة، وبقاء التعظيم في ذاته؛ لا تنسوا أن نبيكم رسول الله ﷺ؛ ينزل عليه الوحي؛ يُخبره بكذبكم ﴿لَوْ﴾: تفيد الاستحالة ﴿يُطِيعُكُمْ﴾: يوافقكم ﴿فِي كَثِيرٍ مِنْ﴾: بعض أو جزء ﴿الْأَمْرِ﴾: لو لبي لكم كل ما تقولون وما تطلبون ﴿ل﴾: حرف سبب ﴿عَنْتُمْ﴾: لوقعتم في الإثم وهلكتم، قَالَ: قَرَأَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات-٧] قَالَ: «هَذَا نَبِيُّكُمْ ﷺ يُوحَى إِلَيْهِ، وَخِيَارُ أُمَّتِكُمْ لَوْ أَطَاعَهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّوا، فَكَيْفَ بِكُمْ الْيَوْمَ؟»^(١)، ﴿وَلَكِنَّ﴾: حرف استدراك ﴿اللَّهُ حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ﴾: جعل حبكم للإيمان فطريًا في نفوسكم ﴿وَرَيْنَهُ﴾: أيضًا جملة وحسنه؛ فأصبح راسخًا لا يزول، وهذا وصف كمالٍ وتشريفٍ للنبي ﷺ ﴿فِي قُلُوبِكُمْ﴾: في مراكز الوعي والإدراك، وأيضًا حبه في وجوهكم، وقال ﷺ: النَّقْوَى هَاهُنَا وَيُسِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ^(٢) ﴿وَكَرَهُ الْبُغْيَ﴾: جعلكم تكروهون، وتنفرون من ﴿الْكُفْرِ﴾: وهو تغطية حقيقة الإيمان ﴿و﴾: أيضًا جعلكم تكروهون ﴿الْفُسُوقَ﴾: وهو الخروج عن أصول الدين، وهي الذنوب الكبيرة ﴿وَالْعِصْيَانَ﴾: جميع المعاصي، وهي ارتكاب كل ما حرم الله ﷻ ﴿أُولَئِكَ﴾: هنا ابتعاد عن الخطاب الغيبي إلى الواقع المعاش؛ إشارةً للقريب والبعيد ﴿هُمُ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الرَّاشِدُونَ﴾: الذين ألهمهم الله ﷻ رشدهم، الذين يعرفون الحق من الباطل، والذين يسلكون سبيل الحق.

﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٨)

هذا العطاء الممنوح لكم هو ﴿فَضْلًا﴾: وهو حبٌ الخير في القلوب، وكرماً ﴿مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾: خيرًا كثيرًا من نعم الله ﷻ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: يعلم بكل ما في الكون من سرٍ وعلن، ﴿حَكِيمٌ﴾: في أقواله وأفعاله؛ فيقول الحق، ويهدي إليه.

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٩)

(١) سنن الترمذي ٣٨٨/٥ (٣٢٦٩) وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ.

(٢) صحيح مسلم ١٩٨٦/٤ (٢٥٦٤).

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿طَائِفَتَانِ﴾: فرقتان، ولكن المقصود هو الجمع، كما هي مفهومة في معنى القوم، أو الناس ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿الْمُؤْمِنِينَ افْتَتَلُوا﴾: يصف الله ﷻ قتال فئتين من المؤمنين، ولم يخرجهما من الإيمان، كما يقول الخوارج، والمعتزلة ﴿ف﴾: حرف يُفيد السبب ﴿أَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾: أوجب الله ﷻ على المسلمين الصلح بينهما ﴿فَإِنْ بَعَثَ﴾: رفضت، واعتدت، واستطالت، وأبت ﴿إِحْدَاهُمَا﴾: واحدة من الفرقتين ﴿عَلَى الْأُخْرَى ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿قَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾: وجب عليكم صدّ المعتدين، عَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ^(١) ﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يفيد انتهاء الغاية الشرطية، بمعنى حتى لا يتجدد القتال بينهما مرةً أُخرى ﴿تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾: ترجع إلى حكم الله، جاء اللفظ القرآني حتى على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى وقت لشيء يكون. انظر تفسير [البقرة-١٩٣] ﴿فَإِنْ فَاءَتْ﴾: إن رجعت عن القتال، أو الظلم ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾: أعطوا صاحب الحق حقه ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿أَقْسَطُوا﴾: اعدلوا بينهما ﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾: إن الله يُحبُّ أصحاب العدل، قال ﷻ: إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا^(٢).

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٠)

﴿إِنَّمَا﴾: حرف تأكيد وتخصيص ﴿الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾: والأخ والأخت هم المشارك لآخر من الأب والأم أو أحدهما والمقصود هنا الأخوة في العقيدة، والمشركون في كلمة الشهادتين، من المعلوم أن الإخوة يشتركون في بطن واحدٍ أو رحم واحدٍ، والمؤمنون يشتركون ويجمعهم دين واحدٍ، وهذا من أروع نماذج العلاقات بين البشر؛ الأخوة في دين الله ﷻ، قال ﷻ: الْمُسْلِمُ أَخُو

(١) صحيح البخاري ١٢٨/٣ (٢٤٤٤).

(٢) صحيح مسلم ١٤٥٨/٣ (١٨٢٧).

المُسلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ^(١)، جاء اللفظ القرآني "الأخ" على ستة أوجه؛ هنا بمعنى الأخ في الإسلام الذي يستحق الولاية والنصرة؛ انظر [الحجرات-١٢]، و[النساء-١١] **﴿ف﴾**: لهذا السبب ودون تأخير، بمعنى الإيذان **﴿أُصْلِحُوا﴾**: فضوا الخلافات **﴿بَيْنَ أَخْوَانِكُمْ﴾**: أوجب الله ﷻ وخصص الاثنين لإثبات وجوب الإصلاح فيما فرّق بينهما، لا بد من تدخل طرفٍ آخر؛ كأخٍ لكلٍ طرفٍ من الطرفين المقتتلين؛ للصلح **﴿وَاتَّقُوا﴾**: عطفًا على ما جاء خافوا **﴿اللَّهُ﴾**: وأنتم تصلحون بينهما؛ فاعدلوا، واتقوا الله في كلِّ حالٍ **﴿لَعَلَّكُمْ﴾**: حرفٌ يُفيدُ التوقع والترجي من النَّاسِ وتفيدُ التحقق إذا جاءت من الله ﷻ **﴿تُرْحَمُونَ﴾**: ولم يقل تفلحون إشارةً إلى أنّ الأمر بالصلح يكون بالتراحم بينهم والشفقة والحنان ليكون هذا سببًا في رحمة الله ﷻ لهم؛ فتتالوا رحمة الله ﷻ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١١)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: كلمة تواصل بين المُنَادِي وهو الله ﷻ والمُنَادَى عليه وهم **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيدُ الجميع ممّن **﴿آمَنُوا﴾**: صدّقوا يقينًا بأركان الإيمان الله والملائكة والكتب السماوية ورسَل الله ﷻ والقضاء والقدر **﴿لَا﴾**: حرف نهي وتحريم **﴿يَسْخَرُ﴾**: لا يعير، ولا يحتقر، ولا يستهزئ **﴿قَوْمٌ﴾**: جاءت بصيغة النكرة هنا، والمعنى على الأفراد الرجال من أناسٍ منكم أي من المؤمنين **﴿مِنْ﴾**: حرف جرٍ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية **﴿قَوْمٍ﴾**: من رجال آخرين، ولم يحدّد الله ﷻ هل هم من المسلمين أم من غيرهم **﴿عَسَى﴾**: فعلٌ ماضٍ جامد يفيد هنا الإشفاق، وهي تدلُّ على التحقق والوجوب لأنها جاءت من الله تعالى **﴿أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾**: بعضهم فقد يكون المُحتَقَرُ أعظم شأنًا عند ربّه ﷻ وأحب إليه من المستهزئين؛ هذا ما يخص الرجال **﴿وَلَا﴾**: حرف نهي وتحريم **﴿نِسَاءً مِنْ﴾**: بعض **﴿نِسَاءٍ﴾**: ولا تسخر النساء من النساء وخصّ النساء هنا دون الرجال لأنهنّ ليس لهنّ اختلاطٌ مع الرجال؛ حتى تكون السخرية

(٣) صحيح البخاري ١٢٨/٣ (٢٤٤٢).

والإنكار **﴿بِعَضِّ الظَّنِّ﴾**: والنهي عام لكل صنوف الظن، ولكن المنهي هو بعض الظن، وهو ظنّ السوء، وهو جزءٌ من هذا الاتهام، كسوء الظن، لذي ظاهره الصلاح **﴿إِنَّم﴾**: سوء، وقد وصفه رسول الله ﷺ **﴿إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ (١)﴾**، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **﴿﴾**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **﴿﴾** قَالَ: **﴿إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا﴾ (٢)﴾**: **﴿و﴾**: عطفًا على هذا **﴿لَا﴾**: حرف نهي وتحريم **﴿تَجَسَّسُوا﴾**: لا تتبعوا عورات المسلمين، وهذا اللفظ يُطلق في الشر، ومنها الجاسوس، والتجسس، وهو البحث عن الشيء، أما التحسس فهو الاستماع إلى الآخرين، والتتصت عليهم، ومن المعلوم أنّ محاربة التجسس من حقوق الإنسان. انظر [البقرة-١٣] **﴿وَلَا يَغْتَابُ﴾**: يُذكر الإنسان بما يكره **﴿بِعُضِّكُمْ﴾**: جزءٌ منكم **﴿بِعُضًّا﴾**: فسرها الرسول ﷺ: نكركَ أخاك بما يكره عن أبي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **﴿﴾**، قَالَ: **﴿أَنْتُمْ وَمَا الغَيْبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: نِكْرُكَ بِمَا يَكْرَهُ قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ﴾ (٣)﴾** فإن الغيبة محرمة بالإجماع، ولا يُستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته، كما في الجرح والتعديل والنصيحة **﴿أ﴾**: حرف استفهام بغرض الاستتكار **﴿يَجِبُ أَحَدُكُمْ﴾**: واحدٌ منكم **﴿أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿يَأْكُلُ لَحْمَ أَخِيهِ﴾**: المسلم، جاء اللفظ القرآني "الأخ" على ستة أوجه؛ هنا بمعنى الصاحب. انظر [النساء-١١]، و[ص-٢٣] **﴿مَيْتًا﴾**: أي جثته، التي تتعفن **﴿ف﴾**: لهذا السبب **﴿كَرِهْتُمُوهُ﴾**: هنا تشبيهة تمثيلية؛ لأنّ المغتاب مثل الذي يأكل لحم الإنسان الميت؛ وفي هذا تقبيح التشبيه بأقبح الصور **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾**: العمل بما أمر به الله ﷻ، والانتهاز عما نهى عنه؛ طمعًا في جنّته؛ وخوفًا من عذابه **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿اللَّهُ تَوَّابٌ﴾**: يتوب ويغفر لمن تاب **﴿رَحِيمٌ﴾**: لمن رجع إليه وأتاب، والتوبة هنا أن يُقلع عن الغيبة، ويعزم ألا يعود، وأن يتحلل من الذي اغتابه؛ أي يطلب من الذي اغتابه أن يسامحه، وقال آخرون لا يُشترط أن يتحلل؛ والله أعلم.

(١) صحيح البخاري ١٩/٧ (٥١٤٣).

(٢) صحيح البخاري ١٩/٨ (٦٠٦٦).

(٣) صحيح مسلم ٢٠٠١/٤ (٢٥٨٩).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٣)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: كلمة تواصل بين المُنادي وهو الله ﷻ والمُنَادَى عليه وهم عموم ﴿النَّاسُ﴾: جاء اللفظ القرآني "النَّاس" على تسعة أوجه؛ هنا كلمة جامعة تفيد كلَّ البشر ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحد؛ للتعظيم والتوكيد ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾: أوجدناكم من غير سابق مثالٍ، من نفس واحدةٍ، من آدم ﷺ، الذي خلقه ﷻ من ترابٍ، وجعل منه زوجته حواء، فنسبكم واحدٌ ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيان وتمييز النوع ﴿ذَكَرٍ﴾: هو آدم ﷺ ﴿وَأُنْثَىٰ﴾: وهي حواء عليها السلام ومن بعدهما من جنس الذكر والأنثى ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾: والشعب هي مجموعٌ كبيرٌ من البشر ﴿وَقَبَائِلَ﴾: وفيها أيضًا الفصائل، والعشائر، والأفخاذ، والأسر ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿تَعَارَفُوا﴾: ليعرف النَّاس بعضهم بعضًا، ويرجع إلى قبيلته مثل قول فلان، ابن فلان من قبيلة كذا، وتعلموا أنسابكم؛ لتصلوا أرحامكم ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿أَكْرَمَكُمْ﴾: الأكثر تكريمًا ﴿عِنْدَ﴾: ظرف زمان وظرف مكان ﴿اللَّهِ﴾: إنّ أفضلكم عند الله ﷻ الذي هو ﴿أَتْقَاكُمْ﴾: أي أكثركم تقوى؛ فإنَّ الله ﷻ لا ينظر إلى صور البشر، ولكن ينظر إلى قلوبهم وأعمالهم ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿اللَّهُ عَلِيمٌ﴾: يعلم بشئون خلقه جميعًا بعلم ﴿خَبِيرٌ﴾: عالمٌ بأمورهم، وأعمالهم، من كمالٍ أو نقصٍ.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤)

يجيب الله ﷻ على من يدّعي الإيمان كذبًا، وهم في هذه الآية الأعراب ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾: أهلُ البادية ﴿آمَنَّا﴾: ادّعوا أنهم صدّقوا بقلوبهم وألسنتهم فصاروا من المؤمنين ﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿تُؤْمِنُوا﴾: لم يتمكن الإيمان من قلوبكم ﴿وَلَكِنْ﴾: استدراكًا ﴿قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾: أي استسلمنا وانقدنا، وفي حديث جبريل ﷺ، أنه سأل النبي ﷺ مُتدرِّجًا من الأعمّ إلى الأخصّ، سأل عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان، وقد فرّق رسول الله ﷺ بين

المؤمن والمسلم؛ فالإيمان أخص من الإسلام، قال عمرُ بنُ الخطَّاب: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ النَّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جَبْرِيْلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»^(١)، وهؤلاء الأعراب ليسوا منافقين، قيل إنهم قالوا أسلمنا؛ أي استسلمنا؛ خوف القتل والسبي ﴿وَلَمَّا﴾: اسم توكيد وتأتي في حال النفي المستقبلي، لم يحدث ﴿يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾: لم تؤمن قلوبكم بعد، ومن المتأمل أن تؤمنوا ﴿وَإِنْ﴾: حرف شرط ﴿تُطِيعُوا اللَّهَ وَ﴾: أيضًا تطيعوا ﴿رَسُولَهُ لَا﴾: حرف نفي ﴿يَلْتَكُمُ﴾: لا ينقصكم الله ﷻ من ثوابكم ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ﴿أَعْمَالِكُمْ﴾: ولا ينقصكم من أجوركم ﴿شَيْئًا إِنْ﴾: بالتأكيد ﴿اللَّهُ غَفُورٌ﴾: مُسامِحٌ لمن تاب ﴿رَحِيمٌ﴾: كثير الرأفة بهم.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (١٥)

﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصرٍ مركبة، تفيد التحديد والتخصيص ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾: حقًا، الذين ينطبق عليهم الإيمان حقًا هم ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع من ﴿آمَنُوا بِ﴾: حرف باء الصلة

(١) صحيح مسلم ١/٣٦٨ (٨)

﴿اللَّهُ وَ﴾: أيضًا آمنوا ب ﴿رَسُولِهِ﴾: صدقت قلوبهم حقًا أنه ﷺ مالك الكون ﴿ثُمَّ﴾: مع التتابع الزمني غير السريع ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَرْتَابُوا﴾: لم يشكوا، ولم يترددوا، بل ثبتوا، هم أصحاب التصديق المحض، وهم الذين برهنوا إيمانهم عمليًا ﴿وَجَاهِدُوا بِ﴾: عطفًا على ما جاء حاربوا ﴿أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾: دفعوا خيرة أموالهم وحياتهم لنصرة دين الله ﷻ ﴿فِي سَبِيلِ﴾: من أجل دين ﴿اللَّهُ وَ﴾: أيضًا جاهدوا وضحوًا ﴿بِأَنْفُسِهِمْ﴾: وبدلوا أرواحهم في طاعة الله ورضوانه ﴿أَوْلَيْكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد ﴿هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الصَّادِقُونَ﴾: الذين وافق قولهم ما في قلوبهم.

﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
(١٦)

﴿قُلْ﴾: أمرٌ بالقول، قل لهم يا محمد ﷺ لهؤلاء الأعراب ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الاستنكار والتوبيخ ﴿تَعْلَمُونَ اللَّهَ﴾: هل تُخبرون الله ﷻ بما في ضمائرکم ﴿ب﴾: حرف باء الالتصاق ﴿بِدِينِكُمْ﴾: بدرجة إيمانكم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾: علم اليقين ﴿مَا﴾: الذي ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها ببيضاوية الشكل ﴿وَ﴾: أيضًا يعلم ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾: هو الذي لا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر ولا أكبر إلا ويعلمها، شهد لنفسه فقال ﴿وَاللَّهُ بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿كُلِّ﴾: تفيد عموم الشيء ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد العموم ﴿عَلِيمٌ﴾: علم الصانع لصنعتة.

التكليف: يشهد هذا الزمان إمارات، وأقطار، وممالك، ودول تدعي أنها من الأمة الإسلامية، ويعقدون المؤتمرات والندوات تحت هذا المسمى؛ وهم عملاء لليهود، والمسيحيين الصليبيين، الذين يحاربون الإسلام، بل ويتعاونون على تدمير دولهم، وضياع ثرواتهم، ليتها وقفت على الأعراب، ولكنها طامة القرنين العشرين، والحادي والعشرين.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٧)

﴿يَمْنُونَ﴾: يتفضلون عليكم بسبب إسلامهم ﴿عَلَيْكَ﴾: يا محمد ﷺ ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿أَسْلَمُوا﴾: أن أعلنوا إسلامهم دون قتال كغيرهم، وكان الأولى أن يذكر فضل الله ﷻ عليهم بأن هداهم للإيمان ﴿قُلْ﴾: أمر رباني لفضحهم ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿تَمَنُّوا﴾: تتفضلوا ﴿عَلَى﴾ ﴿إِسْلَامِكُمْ﴾: عن ابن عباس، قال: قَدِمَ وَفُؤِدُ بَنِي أَسَدٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَكَلَّمُوا، فَقَالُوا: قَاتَلْتِكَ مُضْرًا، وَلَسْنَا بِأَقْلِهِمْ عَدَا، وَلَا أَكْلَهُمْ شَوْكَةً، وَصَلْنَا رَحِمَكَ، فَقَالَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «تَكَلَّمُوا هَكَذَا»، قَالُوا: لَا، قَالَ: «إِنَّ فَهَهُ هَوْلَاءِ قَلِيلٍ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ»، قَالَ عَطَاءٌ فِي حَدِيثِهِ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ [الحجرات-١٧] الآية^(١) ﴿بَلِ﴾: حرف إثبات، هنا لإبطال أقوالهم، والحقيقة أن ﴿اللَّهُ يَمْنُ﴾: إته الله ﷻ ليس غيره الذي يتفضل ﴿عَلَيْكُمْ﴾: بكرمه ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿هَدَاكُمْ﴾: وفقكم ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿الإِيمَانِ﴾: ففنع إيمانكم يعود عليكم، في الدنيا وفي الآخرة ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: مُخلصين في إيمانكم، ومخلصين لدينكم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨)

يقول ﷻ لهؤلاء المتفضلين إته لا يحتاج إليهم في شيء ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ﴾: علم الخالق ﴿غَيْبِ﴾: كل ما غاب عن البصر والسمع والإدراك ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها ﴿و﴾: أيضًا يعلم غيب ما على ﴿الأَرْضِ﴾: إته يعلم بجميع الكائنات المرئية وغير المرئية في السماوات وفي الأرض ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾: مطلع إطلاع المشاهد ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿تَعْمَلُونَ﴾: يرى ﷻ، ويعلم أحوال الخلق كل الخلق، ولا يحتاج إلى أحدٍ.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نتعلم آداب المعاملات الإنسانية في المجتمع، ونبذ الأخلاق المنحرفة.

(١) السنن الكبرى للنسائي ٢٦٩/١٠ (١١٤٥٥).

سُمِّيت سورة ق" بهذا الاسم في عصر الصحابة، وهي تسمى أيضًا سورة الباسقات، وهي من السور التي سُمِّيت بأسماء الحروف الواقعة في ابتدائها، مثل طه، ص، ق، يس، وهي سورة مكيَّة كُلُّها، وهي السورة رقم (٣٤) في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة المرسلات وقبل سورة البلد، وعدد آياتها (٤٥) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ (١)

﴿ق﴾: اعتمادًا على ما يقوله علماء النحو والبلاغة إن الضمائر في الكلام الأصل أن تعود على متقدم في اللفظ والرتبة، ولا تعود على متأخر في اللفظ والرتبة، بمعنى ما هو الاسم الذي سبق، وعليه فإنَّ الحرفان؛ أي على ما من يعود الضمير، أراها، والله ﷻ أعلم، تعني القرآن فقد جاء بعد هذا الحرف مباشرة في الآية (١) القسم بالقرآن ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾، وجاء في الآية رقم (٢) ﴿جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ وقد جاء المنذر بالقرآن الكريم، وجاء في الآية رقم (٤) ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ وهو القرآن، وجاء في الآية رقم (٥) ﴿كَذَّبُوا بِإِحْقَاقِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ والحق هو الرسول والقرآن الكريم والله ﷻ أعلم. ﴿ق﴾: حرف واو القسم ﴿الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾: يقسمُ اللهُ ﷻ بكتابه العظيم قال رسول الله ﷺ: "وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللَّهِ" (١).

التكليف: عندما يقسم اللهُ ﷻ بالقرآن؛ فهذا دليل أنه أعظم الكتب، وأعظم المعاني، وأعظم الأوامر والتوجيهات.

﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (٢)

هنا جواب القسم؛ إثبات البعث وإثبات النبوة، وإثبات المعاد، وتقريره، وتحقيقه ﴿بَل﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿عَجِبُوا﴾: تعجب الكفار واستغربوا ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل

(١) صحيح مسلم ٨٨٦/٢ (١٢١٨).

﴿جَاءَهُمْ﴾: بعث الله ﷺ إليهم ﴿مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾: حرف يُفيدُ بداية الغاية المكانية، هو رسول من البشر؛ يُحذِّرهم، ويُنذِّرهم من عقاب الله ﷻ يوم القيامة، وهم يعرفونه فهو منهم ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب التتابع السريع، بمبادرتهم بالشك والارتياب وتصميمهم على الكفر، والاستهزاء بمن جاءهم من الرسل ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ﴾: الذين أنكروا وغطوا حقيقة الإيمان ﴿هَذَا﴾: حرف تنبيه وإشارة، والخبر عن محمد ﷺ ﴿شَيْءٌ﴾: أمر ﴿عَجِيبٌ﴾: يثير العجب أن يأتي رسولٌ من البشر، وتعجبوا أيضًا مما قاله ﷺ، وعن البعث بعد الموت، وهذا حالُ أغلب أهل الأرض الذين لا يُصدقون إلا بما تدركه حواسهم.

﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ (٣)

﴿أ﴾: حرف استفهام يفيد الإنكار والتعجب ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿مِتْنَا﴾: أصابتنا مصيبة الموت ﴿و﴾: عطفًا على الموت ﴿كُنَّا﴾: صرنا ﴿تُرَابًا﴾: ذابت أجسادنا في تراب القبور، هل ستعود أجسادنا تلتئم وقد بليت، وتقطعت الأوصال، وصرنا ترابًا ﴿ذَلِكَ﴾: البعث وعودة الحياة لنا من جديد ﴿رَجْعٌ﴾: رجوع إلى الحياة ﴿بَعِيدٌ﴾: غير ممكن، هذا بعيد الوقوع، مستحيل.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ (٤)

يردُّ الله ﷻ عليهم ﴿قَدْ﴾: حرف جرٍ أفاد التأكيد لأنه دخل هنا على الفعل الماضي ﴿عَلِمْنَا﴾: وجاء اللفظ بالجمع علمنا؛ لعظمة علمه بكلِّ دقائق الحدث ﴿مَا﴾: الذي ﴿تَنْقُصُ﴾: لم يأت نقصت بمعنى انتهاء الفعل، ولكن العملية مستمرة، تفيد في المستقبل أيضًا، نحن نعرف ما تأكل من أجسادهم بعد مماتهم ﴿الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾: حرف يُفيدُ بداية الغاية المكانية من أجسادهم التي بليت ﴿وَعِنْدَنَا﴾: مسجل لدينا، بصيغة الجمع لتفيد عموم ﴿كِتَابٌ﴾: المقادير التي قدرها الله ﷻ لعباده، جاء اللفظ بصيغة النكرة ليفيد عظمة هذا الكتاب ﴿حَفِيظٌ﴾: كتابٌ شاملٌ عن أقوالهم، وأفعالهم، كلُّ شيءٍ فيه مُسجَلٌ.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالنَّحْقِ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ﴾ (٥)

﴿بَل﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿كذَّبُوا بِ﴾: حرف باء السببية ﴿الْحَقِّ﴾: كان حالهم التكذيب بالقرآن؛ فهما قال الرسول ﷺ بعد ذلك فهو عندهم باطل؛ لأنّ قلوبهم غُلف ﴿لَمَّا﴾: بمعنى حين، يفيد حدث في الماضي ﴿جَاءَهُمْ﴾ الأمر الرباني ﴿ف﴾: حرف سبب بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، هم هنا المنكرون للبعث ﴿فِي أَمْرٍ﴾: في حالٍ ﴿مَرِيحٍ﴾: مختلطٍ ومضطربٍ، وغير ثابت. التكليف: تحجّر الفكر صفةً ملازمةً لكلِّ كافرٍ، وقصور الرؤية والإيمان فقط بالملمس.

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ (٦)

﴿أَفَلَمْ﴾: استفهامٌ إنكاريٌّ، أداة توكيدٍ وجزمٍ ﴿يَنْظُرُوا﴾: يتفكروا، ويتأملوا، ويستجيبوا باستخدام نعمة البصر ﴿إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ﴾: إلى ما فوقهم وما حول الكرة الأرضية كلّها، وهنا إشارةٌ إلى تمكن كلّ واحدٍ منهم من مشاهدته، وهذا أبلغ من القول في الأرض، تشهد على قدرة الله ﷻ، وهي أكبرُ وأعظمُ مما تعجبوا واستبعدوا وقوعه ﴿كَيْفَ﴾: أداة استفهام تُفيد التعجب والاستكار ﴿بَنَيْنَاهَا﴾: كيف أتقن الله ﷻ علاقاتها، وهي أجرامٌ، وأفلاكٌ، وأقمارٌ تدور في مدارات ثابتة، بسرعات مذهلة، ومختلفة ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾: بجمال منظرها، وما تعكسه أو تبثه من ضياءٍ، وأنوارٍ، وأشعةٍ ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿لَهَا﴾: تخصيصاً ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿فُرُوجٍ﴾: قال مجاهد: ليس فيها شقوق، أو صدع، ولا يعني ذلك أنّها جميعاً كتلة صماء متماسكة، ولكنّها أجرامٌ مستقلةٌ، بينها من الروابط الكهربائية والمغناطيسية؛ وقواعد الطرد المركزي ما يجعلها تبقى تدور في أماكنها بقدرته ﷻ.

التكليف: كلماتٌ عظيمة لم يكشف العلماء من أسرارها إلا جزءاً، جاءت على لسان نبيٍّ أميٍّ ﷺ.

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (٧)

﴿وَ﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيد الحال ﴿الْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾: جاء الحديث بصيغة الجمع؛ لعظم هذا الخلق؛ الذي هو من عظمة الخالق ﷻ، رغم كونها كروية الشكل فرشناها، وجعلناها منبسطة، لسهولة السكن، والتحرك، والزراعة، وجريان الماء ﴿وَأَلْقَيْنَا﴾: جاء اللفظ بمعنى وقع عليها

بأمرنا؛ بمعنى أنّ الجبال جاءت من فوق الأرض ﴿فِيهَا رَوَاسِي﴾: هي الجبال الراسخات؛ لتُحافظ على توازن دوران الأرض، وهي تدور حول الشمس، لا تزيع عن مسارها؛ فتبدو وكأنّها جامدة لا تتحرك ﴿وَأُنْبِتْنَا فِيهَا﴾: سخّرنا لها دورة الماء، وجعلنا الأرض مهيأةً للزراعة بما تحتوي على معادن ومواد تغذية النبات، فأخرجنا فيها أصناف النباتات والأشجار ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية هنا التأكيد، وزيادتها مع الاثبات كما هو الحال هنا ﴿كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿زَوْجٍ﴾: صنفٍ، ونوعٍ، وجنسٍ ﴿بِهَيْجٍ﴾: تخرج من الزرع والأنواع جميلة المنظر، فكلّ نبات هو جميل؛ مهما اختلف نوعه.

﴿تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ (٨)

﴿تَبَصَّرَةٌ﴾: جاءت منصوبةً على أنّها مفعولٌ لأجل أن يشاهدها النّاس جميعاً، دلالةً واضحةً ﴿وَذِكْرَى﴾: ليتذكروها الخلق كيف نشأت وما فوائدها ﴿لِ﴾: حرف تملكٍ ﴿كُلِّ﴾: تفيد عموم ﴿عَبْدٍ﴾: عباد الله ﷺ ﴿مُنِيبٍ﴾: رجّاع إلى خالقه، خاضعٍ، خائفٍ، وجل من الله ﷻ. التكليف: بهذا العرض يُخاطب القرآنُ عقل الإنسان السوي؛ حتى يدرك الحقيقة.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبِتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ (٩)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿نَزَّلْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع، لعظم الفعل ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿السَّمَاءِ﴾: هو كلّ ما علا الأرض، وأحاط بها ﴿مَاءً﴾: هو الغيث، والمطر إنّ الله ﷻ يسخّر حرارة الشمس التي تسقط على البحار والمحيطات، فيتبخّر الماء، فيكوّن سحاباً، تحمله الرياح بأمر ربّها إلى حيث أراد الله ﷻ؛ فينزله ماءً ﴿مُبَارَكًا﴾: كثير الخيرات للإنسان، شراباً، وحياءً، ونباتاً ﴿ف﴾: حرف يفيد هنا السبب بهدف ترتيب الأمر ﴿أَنْبِتْنَا بِهِ﴾: بالماء ﴿جَنَّاتٍ﴾: حدائق، وبساتين، وغذاء وغابات؛ ولأنّ هذه الأشياء المذكورة ظاهرةً فيكفي التنبيه على واحدٍ منها لتفيد العموم بخلاف الأمور الخفية ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾: النبات الذي يُخرج الحبوب، كالقمح، والشعير، والأرز، والذرة وغيرها التي تُؤكل وتُخزّن.

﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ (١٠)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحالَ؛ أيضًا يَنْبِتُ؛ وينمو؛ ويثمر ﴿النَّخْلَ بِأَسْقَاتٍ﴾: قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة: مرتفعةٌ طويلةٌ شاهقةٌ، وقيل حواملٌ ﴿لَهَا﴾: تخصيصًا ﴿طَلْعُ﴾: هي القنوة والقطوف ﴿نَضِيدٌ﴾: متراكبٌ، ومتراكمٌ بعضُه على بعضٍ.

﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ (١١)

كلُّ هذه النعم ﴿رِزْقًا﴾: مفعولٌ لأجله ﴿لِ﴾: حرف تملكٍ وتخصيصٍ ﴿الْعِبَادِ﴾: الإنسان، من فضل الله على الخلق ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾: جعلنا الماء سببًا في استمرار الحياة في كلِّ ﴿بَلْدَةٍ﴾: فيها تجمع سكانيٌّ ﴿مَّيِّتًا﴾: أرضها هامدة؛ فلما نزل عليها الماء اهتزت، وربت واخضرت فوق الأرض ﴿كَذَلِكَ﴾: كما أخرجنا هذا الزرع يكون ﴿الْخُرُوجُ﴾: كما أخرج الله ﷻ النبات من الأرض يخرجكم إن شاء من قبوركم يوم القيامة، جاء في المعنى: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت-٣٩].

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَنَمُودٌ﴾ (١٢)

﴿كَذَّبَتْ﴾: هنا تسليةٌ للنبي ﷺ وللمؤمنين وتخويفٌ لكفار قريش التي أنكرت ولم تصدق؛ وإزالة وسوسة الشيطان إليهم ﴿قَبْلَهُمْ﴾: قبل تكذيب قومك قريش لبعثتك يا محمد ﷺ كان ﴿قَوْمٌ﴾: جماعةٌ من أصلٍ عرقيٍّ واحدٍ وأصحاب مذهبٍ واحدٍ ﴿نُوحٍ﴾: قد كذبوا برسالة نبيهم ﷺ؛ فعاقبهم الله ﷻ بالغرق جميعًا ﴿و﴾: أيضًا كذب ﴿أَصْحَابُ الرَّسِّ﴾: أصحاب البئر. انظر تفسير [الفرقان-٣٨]، وهم الذين قتلوا نبيهم ﴿وَنَمُودٌ﴾: قوم صالح ﷻ.

﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾ (١٣)

﴿وَعَادٌ﴾: قوم هود ﷻ ﴿و﴾: أيضًا كذب ﴿فِرْعَوْنُ﴾: وكان غرْفُهُ أمام عين موسى ﷻ وقومه ﴿وَإِخْوَانُ﴾: والأخ والأخت هم المشاركون لآخرٍ من الأبِّ والأمِّ، أو أحدهما، ولكن المقصود هنا المشاركون في العقيدة ﴿لُوطٍ﴾: سكان قرية سدوم في فلسطين، أصحاب الفاحشة، الذين خسف الله ﷻ بهم الأرض.

﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمٌ تُبِّعَ كُلُّ كَذَّبِ الرُّسُلِ فَحَقَّ وَعِيدُ﴾ (١٤)

﴿و﴾: أيضًا كذبت ﴿أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾: أصحاب الأشجار والبساتين الكثيفة، وهم قومٌ شعيب
 عليه السلام ﴿وَقَوْمٌ تَبِعَ﴾: هو أبو كرب الخُميري، كان ملكًا في اليمن. انظر تفسير [الدخان-٣٧]
 ﴿كُلُّ﴾: هؤلاء ﴿كَذَّبَ الرَّسُلَ﴾: بمعنى كلُّ أمةٍ كذبت رسولها، الذين كذبوا رسلهم موزعون، في
 الأمم والقرون الماضية ﴿ف﴾: بسبب هذا التكذيب ﴿حَقٌّ﴾: وجب أن ينزل بهم ﴿وَعِيدٌ﴾: ما
 وعدهم الله ﷻ من النكال والدمار.

﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي نَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٥)

﴿أ﴾: حرف استفهام ﴿ف﴾: حرف يفيد سبب ﴿عِينًا﴾: هل عجزنا ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة
 والصلة ﴿الْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾: بالذين خلقناهم من قبلكم، أن نأخذهم بذنوبهم، حتى تعجزونا أنتم،
 فالإعادة أسهل ﴿بَلْ﴾: حرف إبطال، ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده، إثبات أنهم ﴿هُمُ﴾: ضمير
 الجمع المذكر، وهي هنا للتخصيص، وتحديدًا الذين ﴿فِي نَبْسٍ﴾: في شكٍّ واختلاط فهم،
 وغياب وعي ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿خَلْقٍ﴾:
 جاءت هنا بصيغة النكرة لتعظيم الفعل وهو الخلق الأول ﴿جَدِيدٍ﴾: من البعث، والقيام الجديد،
 قال ﷻ في المعنى: ﴿قُلْ يَحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس-٧٩].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوسًا بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١٦)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿خَلَقْنَا﴾: أوجدنا من غير سابق مثال ﴿الْإِنْسَانَ﴾: هو آدم عليه السلام،
 ونسله من البشر من بعده، إن الدارس لجسم الإنسان، ووظائف أعضائه، يدرك لماذا قال ﷻ
 خلقنا لما في هذا الجسم من معجزاتٍ لا يخلُقها إلا الله ﷻ ﴿وَنَعَلْمَا﴾: بصيغة الجمع للتعظيم
 ﴿مَا﴾: الذي ﴿تَوْسُوسًا﴾: والوسوسة هي الإيحاء همسًا ﴿بِهِ نَفْسُهُ﴾: جاء اللفظ القرآني "نفس"
 على ستة أوجه؛ هنا بمعنى القلب، كيف يعلم الله أعمالنا؟: أليس من العجب أن يضع الإنسان
 صندوقين أسودين، ويُسجل ما يدور داخل الطائرة، وفي الوقت نفسه يُنكر على الله أن يخلق
 داخل الإنسان أجهزة مراقبة؟ ويجعل على الإنسان ملكين رقيبين؟ يُسجلان كلَّ ما تُحدِّثُ به
 نفسه؟ وما ينطق به لسانه. إنَّ ما غفل عنه العلماء هو تلك الموجة الصادرة من القلب، فما
 هي هذه الموجة كما يصفها علماء علم وظائف الأعضاء؟ إنَّها موجةٌ مستقلةٌ لا تساوي انقباض

عضلة القلب، إنها موجة مستقلة لا تساوي انبساط عضلة القلب، إنها موجة مستقلة لا تساوي الحركة الميكانيكية لعضلة القلب، إنها موجة مستقلة لا تساوي رسم القلب الكهربائي، إنها موجة مستقلة لا تساوي سرعة اندفاع الدم، ولا تُساهم في دفع الدم إلا بقدرٍ يسيرٍ، إنها موجة مستقلة من الضغط، سرعتها في الشريان الأبهر الأورطي تساوي (١٥) مرّة أو أكثر سرعة اندفاع الدم؛ إنها موجة كهربائية مغناطيسية "كهرومغناطيسية" تحمل قدرًا من الطاقة إلى كلّ ذرّة من ذرات الجسم، وتُساهم في الحفاظ على النظام والترابط الإلكتروني بين ذرات الجسم، إنها موجة كهرومغناطيسية متغيّرة، بما تعبّر عنه النفس، وبما تهوى النفس، ردًا على ما يصل إليها من أحداثٍ من الجهاز العصبي الذاتي في كلّ جزءٍ من الثانية، إنها الدورة الكهرومغناطيسية المتكاملة، وهي لغة الحوار بين القلب والمخ، إنها لغة الحوار بين القلب وكلّ ذرّة من ذرات الجسم، وبعيدًا عن بعض الحالات المرضية التي تُسبب تغيّرًا في الشكل الأساسي للنبضة وتكوين الموجة الكهرومغناطيسية المُعبّرة عن الحدث هي الإضافة للمتغير المرضي، لقد أخبر الله ﷻ أنّ ما يجري في نفس الإنسان، والذي لا يُصرّح به بلسانه، من خيرٍ أو شرٍ، فإن الله ﷻ لا يُحاسب على الوسوسة التي لم يُطبّقها الإنسان في الواقع ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يُفيد الحال، ومن هذه الحقائق ﴿نَحْنُ﴾: الله ﷻ، وجاءت هنا بصيغة الجمع بهدف التعظيم ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾: إلى الإنسان ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾: هو عند الأطباء الوريد الذي يُوصل الدم من الجسم للقلب، ولكن هنا قد يكون المقصود الملائكة هم أقرب إلى الإنسان من حبل وريده، الملائكة الذين يُسجلون على الإنسان ما يدور في عقله، وما تفعله جوارحه، والله أعلم، وحبلُ الوريد كما ورد في التفسير هو شريان كبير على جانبي العنق، وفي تسميته وريدًا إعجاز علمي يفوق علم البشر، فكيف يكون شريانًا عند الأطباء، ويُسمى وريدًا في القرآن؟ الإجابة واضحة: هو شريانٌ لأنّه صادرٌ من القلب، وهو وريدٌ لأنّه واردٌ إلى حيث يتلقى المُتلقين.

ملحوظة: يوجد في العنق على كلِّ جانبٍ شريان كبير ينقل الدم من القلب إلى نصف العنق، ونصف الرأس، ونصف المخ كما أنّ بجانبه وريدًا يأتي بالدم من الرأس إلى القلب؛ ففي كلِّ جهةٍ وريد وشريان وهو الذي يُذبح منه الحيوان.

يتكون الإنسان أولًا: من الجسد وفيه الأعضاء المعروفة، و ثانيًا: من الروح وهي التي تُعبّر عن الحياة، هي مصدر شحنة الحياة؛ فإذا خرجت مات الإنسان، و ثالثًا: من النفس التي هي جوهر الإنسان؛ من هذه الآية نقول إنّها مصدر الإيمان والكفر، وهي التي تُعذب في القبر، وهي التي ستحاسب يوم القيامة، وجاء ذكرها بالقرب من حبل الوريد وهو الشريان المسمى بالأورطي، وهو الذي ينقل الدم من القلب إلى باقي الجسم، وفيه جزء يُعرف بالجسم الجزري carotid body فهل هنا تكمن النفس؟ الله أعلم.

﴿إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ (١٧)

﴿إِذْ يَتَلَقَى﴾: يستقبل **﴿الْمُتَلَقِيَانِ﴾:** هما ملكان على جانبي العنق، يلتقطان كلَّ ما تُحدّث به نفس الإنسان، المتلقيان عن كلِّ نفسٍ هما المراسلان، إنّهما رُسل الخالق. يقول ﷺ: **﴿أَمَّ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾** [الزخرف-٨٠] يكتبون ما يفيض فيه الإنسان، يكتبون مثقال الذرّة من العمل، ولنتفكر قول الحق ﷻ: **﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعُزُّ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾** [يونس-٦١] **﴿عَنِ﴾:** حرف جرّ يُفيد الاتصال **﴿الْيَمِينِ﴾:** حرف جرّ يُفيد الظرف، واحد عن اليمين **﴿و﴾:** أيضًا **﴿عَنِ الشِّمَالِ﴾:** والثاني عن الشمال، يكتبان عمل الإنسان **﴿قَعِيدٌ﴾:** ملكٌ قاعدٌ، مترصدٌ، يكتب كلَّ ما قاله وما عمله.

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (١٨)

﴿مَا﴾: حرف نفي **﴿يَلْفِظُ﴾:** ما ينطق ابن آدم من كلمة **﴿مِنْ﴾:** حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية **﴿قَوْلٍ﴾:** من المعلوم أنّ مصدر الصوت في الإنسان هو الحبال الصوتية، وهي على جانبي فتحة القصبة الهوائية، فيخرج الصوت مُحدّثًا ذبذبات هوائية،

تسير في الجو، وتصل إلى طبلة أذن المستمع، فتُحركها، هنا تتحول هذه الحركات في طبلة الأذن إلى شحنات كهربائية، تسري في عصب السمع، وتصل إلى مركز السمع في المخ؛ فيترجمها إلى معانٍ، هنا يمكن للملكين الكريمين أن يُسجلا ما قيل، حتى من قبل وصول الشحنات الكهربائية إلى المخ ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿لَدَيْهِ﴾: عنده ﴿رَقِيبٌ﴾: من يرقبها، ويكتبها، لا يترك كلمة، فالملك الكريم الذي على اليمين يكتب الحسنات، والذي على الشمال يكتب السيئات ﴿عَتِيدٌ﴾: حافظٌ للأقوال، وحاضرٌ مُعَدٌّ، وقد اختلف العلماء هل يكتب الملك كل شيء؛ فيها أقوال: الأول: كتابة العموم؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»^(١)، الثاني: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنَّ صَاحِبَ الشَّمَالِ لَيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتِّ سَاعَاتٍ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُخْطِئِ أَوْ الْمُسِيءِ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ مِنْهَا أَلْفَاهَا، وَإِلَّا كُتِبَتْ وَاحِدَةً^(٢)، الثالث: قال ابن عباس: يكتب كل ما تكلم به من خيرٍ أو شرٍ، حتى أنه ليكتب أكلت، وشربت، وذهبت، وجئت، رأيت حتى إذا كان يوم الخميس عُرض قولُه وعملُه، فأقر منه ما كان فيه خيرٍ أو شرٍّ، وألقى سائره، قال ﷺ في المعنى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد-٣٩]، الرابع: قال طاووس: أنه قال: يكتب الملك كل شيءٍ حتى الأنين؛ فلم يئن أحمد حتى مات رحمه الله.

التكليف: الكلمة سيفٌ إما أن يحميك، وإما أن يجرحك، أو يقتلك.

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (١٩)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحالَ ﴿جَاءَتْ﴾: حانت ﴿سَكْرَةٌ﴾: هولٌ وشِدَّةٌ، التي تذهب بالعقل وتعجز الحواس بسبب هول ﴿الْمَوْتِ﴾: نهاية المخلوق ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة والصلة ﴿الْحَقِّ﴾: يقول ﷺ يا ابن آدم: كشفت لك أن الموت حق، وكنت تُجادل وتمتري حوله، اليوم جاء اليقين ﴿ذَلِكَ﴾: هذه الحالة ﴿مَا﴾: هنا فيها قولان: الأول يعني الذي؛ فيكون المعنى الذي كنت منه تحيد، وقيل ما نافية؛ بمعنى لا يمكنك منه تحيد ﴿كُنْتَ﴾: في الحياة الدنيا ﴿مِنْهُ﴾:

(١) صحيح البخاري ١٠١/٨ (٦٤٧٨).

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١٨٥/٨ (٧٧٦٥)، قال الألباني: حسن.

حرف يفيد بداية الغاية الزمانية **﴿تَحِيدٌ﴾**: الذي كنت منه تهرب وتتفر، الكلام موجّه إلى الإنسان، كلِّ إنسان، وقيل للكافر، عَنْ مُوسَى بْنِ سَرْجِسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ، يُحَدِّثُ وَتَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾** [ق-١٩] ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِالْمَوْتِ وَعِنْدَهُ قَدْحٌ فِيهِ مَاءٌ وَهُوَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي الْقَدْحِ، ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى سَكَرَاتِ الْمَوْتِ»^(١).

﴿وَنُفْخٌ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ﴾ (٢٠)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق **﴿نُفْخٌ﴾**: النافخ هو إسرافيل عليه السلام، الملك الموكل بالنفخ **﴿في الصُّورِ﴾**: في القرن، وهي النفخة الثانية بعد نفخة القيام **﴿ذَلِكَ﴾**: يوم القيامة **﴿يَوْمَ الْوَعِيدِ﴾**: يوم تنفيذ وعيد الله ﷻ، بعذاب الكفار، هذا يوم يختلط فيه الجنُّ والإنسُ يوم القيامة، يقول ﷺ للمسلمين: قولوا ساعتها قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ التَّقَمَ الْقَرْنَ وَاسْتَمَعَ الْإِدْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ» فَكَأَنَّ ذَلِكَ نُقِلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا^(٢).

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (٢١)

﴿وَجَاءَتْ﴾: يوم القيامة **﴿كُلُّ﴾**: تفيد الجميع **﴿نَفْسٍ﴾**: وهي جوهر الإنسان، هي الجزء الذي يخسر في هذا اليوم أو يفوز، كل مخلوقٍ **﴿مَعَهَا سَائِقٌ﴾**: قال مجاهد، وقتادة، وأبو هريرة: ملكٌ يسوقه إلى المحشر **﴿وشَهِيدٌ﴾**: قال عثمان بن عفان: شاهدٌ يشهد على نفسه، وقال مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي: معه العمل، وقال ابن عباس: الإنسان؛ يشهد على نفسه.

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (٢٢)

﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث، أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل **﴿كُنْتَ﴾**: في السابق **﴿في غَفْلَةٍ﴾**: أيها الكافر، من هذا الذي عاينت اليوم أيها الإنسان، وقال ابن جرير: أيها الإنسان المؤمن والكافر، والغفلة سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والنتيقت

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٥٠٥/٢ (٣٧٢١) وقال: حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. ووافقه الذهبي.

(٢) سنن الترمذي ٦٢٠/٤ (٢٤٣١) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية ﴿هَذَا﴾: حرف تنبيه وإشارة، اليوم يوم الحساب ﴿فَ﴾: حرف يفيد هنا السبب بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿كَشَفْنَا﴾: رفعنا ﴿عَنكَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿غَطَاءَكَ﴾: حجاب غفلتك، أوضحنا لك ورأيت الذي غطى قلبك فزال الغلّة عنك ﴿فَبَصَّرَكَ﴾: لهذا السبب رؤيتك، جاء اللفظ القرآني "البصر" هنا بمعنى المشاهدة بالعين ﴿النَّيْمَ حَدِيدٌ﴾: أي البصر الشديد القوي، منها حدّة البصر، وجاء بمعنى البصر بالقلب؛ أي البصيرة كما جاءت في قوله ﷺ ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس-٣٤]، وفي قوله ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [فاطر-١٩] وغيرها.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ (٢٣)

﴿وَ﴾: أيضًا ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾: الملك الكريم الموكّل بعمل ابن آدم يشهد ﴿هَذَا﴾: حرف تنبيه وإشارة إلى سجلك ﴿مَا﴾: الذي ﴿لَدَيَّ﴾: عندي، ما سجلته عليك، عندي بالحق ﴿عَتِيدٌ﴾: مُحضّر معدّ بلا زيادة ولا نقصان، قال مجاهد: هذا كلام الملك السائق؛ يقول لله ﷻ هذا ابن آدم الذي وكننتي به قد أحضرتة.

﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (٢٤)

﴿الْقِيَا﴾: وهي فعلٌ أمرٌ لاتين؛ وهي في لغة بعض العرب يُخاطب المفرد بالثنائية، وقد تكون مخاطبة الملّكين، السائق والشهيد، والله أعلم ﴿فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ﴾: جميع، دون استثناء ﴿كَفَّارٍ﴾: شديد الكفر ﴿عَنِيدٍ﴾: المُعانَد الشديد، والمُعَارِض بالباطل مع علمه بذلك، وقال قتادة: معتدّ في كلِّ أمره.

التكليف: الحذر، الحذر من جهنّم فإنّ الوصول إليها سهل.

﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾ (٢٥)

﴿مَنَاعٍ﴾: شديد المنع لفعل الخير، ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿الْخَيْرِ﴾: للقول الحسن، ولا يؤدي الحقوق، ولا يبرّ أحدًا، ولا يتصدق على أحد. جاء اللفظ القرآني "الخير" هنا بمعنى أفضل وأحسن كما في قوله ﷻ: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾

[يونس-١٠٩]، وفي قوله ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون-١١٨]؛ جاء في المعنى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْأَقْرَبِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة-١٨٠] ﴿مُعْتَدٍ﴾: من الاعتداء، وهو الذي يتجاوز حدود الله ﷻ؛ راجع الآية (٢٣) ﴿مُرِيْبٍ﴾: كثير الريب والشك، في أمر الآخرة؛ ويشك في أمر ووعيد الله ﷻ.

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ (٢٦)

﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للفرد المذكر ﴿جَعَلَ﴾: أشرك ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا﴾: معبودًا ﴿آخَرَ﴾: يُشْرِكُهُ أو يُوحِّدُهُ من دون الله ﷻ في العبادة فكان جزاؤه أمرًا من الله ﷻ للملائكة ﴿ف﴾: بسبب ما سبق وفي تتابعٍ سريع ﴿أَلْقِيَاهُ﴾: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: يَخْرُجُ عُنُقُ مَنْ النَّارِ يَتَكَلَّمُ يَقُولُ: وَكَلْتُ الْيَوْمَ بِثَلَاثَةِ: بِكَلِّ جَبَّارٍ، وَبِمَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِمَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ، فَيَنْطَوِي عَلَيْهِمْ فَيَقْذِفُهُمْ فِي غَمْرَاتِ جَهَنَّمَ^(١) ﴿فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾: فتطوي عليهم النَّارُ؛ فتقذفهم في غمراتها.

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (٢٧)

﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾: قال ابن عباس، ومجاهد: هو الشيطان الذي وكَّل به ﴿رَبَّنَا﴾: هو المُعبود، والمُرَبِّي، وهو المنشئُ للشيء من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام، وهو ﷻ الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابِزُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، فهو ﷻ مالكُ أمرنا كلِّه في هذا اليوم، وكل يوم، يؤكد أن الله ﷻ رَبُّهُ ﴿مَا﴾: حرف نفي وتبرؤ ﴿أَطْغَيْتُهُ﴾: ما قهرته، ولا أجبرته على الطغيان والغواية، يتبرأ منه شيطانه يوم القيامة ﴿وَ﴾: حرفٌ يُفيد هنا الاستدراك ﴿لَكِنْ﴾: حرفٌ استدراكٍ ﴿كَانَ﴾: الكافر ﴿فِي ضَلَالٍ﴾: بل كان ضالًّا في نفسه، مُعانِدًا للحق في معاملاته هو الذي لا يهتدي إلى الصواب والحق فيعمل به ﴿بَعِيدٍ﴾: عميق، غارقٍ في الشرك.

﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ (٢٨)

(١) مسند أحمد ٤٥٠/١٧ (١١٣٥٤).

﴿قَالَ﴾: الله ﷻ للإنسان الكافر وقرينه الشيطان ﴿لَا﴾: حرف نهي وتحريم ﴿تَخْتَصِمُوا﴾: لا تتباغضوا ﴿لَدَيَّ﴾: أمامي يوم الحساب يقول الإنسان يا رب: هذا أضلّني عن الذكر، فيقول الله ﷻ لهما لا تختصموا أمامي، فلا فائدة من خصامكم ﴿وَقَدْ﴾: تحقق في حياتكم الدنيا ﴿قَدَمْتُ﴾: قلت وأرسلت الرسل ﴿إِلَيْكُمْ﴾: لكم وقدموا لكم ﴿بِالْوَعِيدِ﴾: أعذرتُ إليكم على السنة الرسل، أنزلت الكتب، وعلمتكم السنن، وأقمت عليكم الحجج.

﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٢٩)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿يَبْدُلُ﴾: يتغير ﴿الْقَوْلُ﴾: القرار والحكم، ثابتٌ محكمٌ ﴿لَدَيَّ﴾: عندي لقد قضيت ما أنا قاض، لا رجعة عنه ﴿وَمَا أَنَا﴾: الله ﷻ ﴿بِ﴾: حرف الباء السببية ﴿ظَلَامٍ﴾: صيغة مبالغة في النفي لا أظلم بنقص حسنات ﴿لِلْعَبِيدِ﴾: تخصيصًا لا أعذب أحدًا من عبادي بغير ذنب؛ فكيف أكون ظالمًا للجميع.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ (٣٠)

﴿يَوْمَ﴾: يوم القيامة ﴿نَقُولُ﴾: قول الله ﷻ بصيغة الجمع للتعظيم ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿جَهَنَّمَ﴾: المسعرة ﴿هَلِ﴾: يسأل وهو ﷻ يعلم، حرف استفهام للاستفسار والتشكيك ﴿امْتَلَأَتْ﴾: والله أعلم بها، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَصْعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ تَقُولُ: قَدْ، قَدْ، بَعْرَتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلَا تَزَالُ الْجَنَّةُ تَقْضَلُ، حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا، فَيُسْكِنُهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ^(١)، ﴿و﴾: أيضًا ﴿تَقُولُ﴾: ﴿هَلْ﴾: حرف استفسار ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ﴿مَزِيدٍ﴾: إضافات وزيادة، وهو النظر إلى وجه الله عزّ وجلّ؛ فلا يوجد أفضل من تلك الزيادة؛ لأنها كرمٌ منه ﷻ وتفضلٌ على عباده برؤية وجهه الكريم.

﴿وَأَزَلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ (٣١)

(١) صحيح البخاري ١١٧/٩ (٧٣٨٤).

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾: قال قتادة، والسدي: قُرِبَتْ وَأَدْنِيَتْ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: تخصيصًا للذين آمنوا بصدق، طمعًا في رحمة الله ﷻ، وخوفًا من عذابه ﴿غَيْرُ﴾: حرف استثناء بمعنى ليس ﴿بَعِيدٍ﴾: ليست بعيدة عنهم، يُشاهدون نعيمها قريبةً منهم.

﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَابٍ حَفِيظٍ﴾ (٣٢)

يقول الحق ﷻ لهم ﴿هَذَا﴾: حرف تنبيه وإشارة هنا إلى النعيم الذي تشاهدون هو ﴿مَا﴾: الذي كنتم ﴿تُوْعَدُونَ﴾: ما وعدتكم به في الدنيا وهو ﴿لِ﴾: تخصيص وتمليك ﴿كُلِّ﴾: جميع ﴿أَوَابٍ﴾: الذي يرجع عن الضلال، الرجّاع إلى الله ﷻ ﴿حَفِيظٍ﴾: يحفظ عهد الله فلا ينقضه، الذي لا يقوم من مجلسٍ إلا واستغفر الله عزّ وجلّ.

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ (٣٣)

﴿مَنْ﴾: العاقل الذي ﴿خَشِيَ﴾: خاف من الله ﷻ، والخشية هي خوفٌ من علمٍ، لأنّ الخوف أمرٌ فطريٌّ موجودٌ في كلّ خلقه. وهو المؤمن برحمة الله ﷻ لأنه ﴿الرَّحْمَنَ﴾: الذي يرحم الخلق جميعًا بلا استثناء ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة والصلة ﴿الْغَيْبِ﴾: الذي خاف الله ﷻ في سرّه، حيث لا يراه إلاّ الله عزّ وجلّ، قال ﷻ في السبعة الذين يظلمهم الله تحت ظلّ عرشه... وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ^(١) ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿جَاءَ﴾: لقي الله ﷻ يوم القيامة ﴿بِقَلْبٍ﴾: معافى سليم من الإثم ﴿مُنِيبٍ﴾: مُخْلِصٍ، رَجَّاعٍ، مقبلٍ على الله ﷻ.

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ (٣٤)

ويكون الأمر الربّاني الذي ينتظره كلّ مؤمنٍ ﴿ادْخُلُوهَا﴾: أمرٌ من الله ﷻ بدخول الجنّة ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿سَلَامٍ﴾: مصحوبةً بسلام النجاة من النّار، وما تكروهون اليوم، حيث تسلمون من عذاب الله ﷻ، وتسلّم عليكم ملائكةُ الله ﷻ ﴿ذَلِكَ﴾: إشارةً للبعيد ﴿يَوْمُ الْخُلُودِ﴾: هذا بداية البقاء الأبديّ؛ لا ضعف، ولا مرض، ولا موت.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (٣٥)

(1) صحيح البخاري ١/١٣٣ (٦٦٠).

﴿ل﴾: حرف تخصيص وتمليك ﴿هَمْ﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، هنا تحديداً أهل الجنة ﴿ما﴾: الذي ﴿يَشَاءُونَ فِيهَا﴾: وجدوا ما أرادوا من أصناف المذات إذا اشتهاوا طيراً فينحر بين أيديهم شويًا، قال ﷺ: الْمُؤْمِنُ إِذَا اشْتَهَى الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسِنُّهُ فِي سَاعَةٍ كَمَا يَشْتَهِي (١) ﴿و﴾: أيضاً ﴿لَدِينَا﴾: بصيغة الجمع للمبالغة الصادقة، عندنا ﴿مَزِيدٌ﴾: رؤية الله عز وجل، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَرِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُخْرِجَنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحَبَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ (٢).

التكليف: جاء للذين أحسنوا الحسنى وزيادة، والحسنى هي دخول الجنة والزيادة هي رؤية الله ﷻ.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ (٣٦)

﴿وَكَمْ﴾: تُفيدُ الكثرة ﴿أَهْلَكْنَا﴾: صيغة الجمع تُفيدُ عظم الهلاك ﴿قَبْلَهُمْ﴾: قبل هؤلاء المشركين من قريش، من الأمم السابقة ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيدُ بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿قَرْنٍ﴾: من شعوبٍ كثيرةٍ كانوا ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، وهنا تحديداً الذين ﴿أَشَدُّ﴾: أكثر شدة ﴿مِنْهُمْ﴾: بعضهم ﴿بَطْشًا﴾: جاء اللفظ القرآني "البطش" على وجهين هنا بمعنى كانوا أشدّ قوة منهم، أو أكثر منهم أخذًا، هنا تهديدٌ للمشركين وتسليّةٌ للنبي ﷺ ﴿ف﴾: حرف سبب بهدف ترتيب الأمر حرف بيان وتمييز النوع ﴿نَقَّبُوا﴾: طوفوا واسلكوا ﴿فِي الْبِلَادِ﴾: قال مجاهد: ضربوا في الأرض، وقال قتادة: ساروا في البلاد، ينشدون الرزق، والمكسب ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام بغرض التشكيك ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيدُ بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ﴿مَحِيصٍ﴾: مهربٍ وهي من الفعل حاص أي هرب؛ لا مهرب، ولا مفرّ من الهلاك، ومن قضاء الله ﷻ وقدره، هل نفعهم ما جمعوا؟

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (٣٧)

(١) سنن الترمذي ٦٩٥/٤ (٢٥٦٣)، وقال: حديث حسن غريب.

(٢) صحيح مسلم ١/١٦٣ (١٨١).

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: لهذه الأقوال الربانية، والتأملات الإيمانية عن هلاك شعوب القرون الماضية ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿ذِكْرِي﴾: عبرة وعظة ﴿لِمَنْ﴾: للذي من جنس العاقل ﴿كَانَ لَهُ﴾: حرف تملك ﴿قَلْبٌ﴾: صاحب القلب الذي يُدرك الحقائق، صاحب اللب السليم، قال مجاهد: عقل ﴿أَوْ﴾: حرف تسوية ب ما قبله بما بعده ﴿أَنْقَى السَّمْعَ﴾: أصغى السَّمْعَ: استمع إلى الكلام ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: قد عقل الشيء، ووعاه، وفهمه بلبه، وقلبه، وعقله.

التكليف: إنَّ في المذكورين من الأمم الهالكة الطاغية لموعظة لكلِّ إنسانٍ صاحب لبِّ سليم استخدم سمعه وأدوات الإدراك للحق فقط.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (٣٨)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿خَلَقْنَا﴾: بصيغة الجمع لعظمة الفعل، أنشأنا من غير سابق مثال ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما فوق الأرض، وما حولها من كواكب، ونجوم، وأقمارٍ ﴿وَالْأَرْضِ﴾: أيضًا بجبالها، ووديانها، ومائها، وكنوز خزائنها ﴿وَمَا﴾: الذي من جنس غير الإنسان ﴿بَيْنَهُمَا﴾: من الملائكة، والجن، وما يعلمه الله ﷻ ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: من أيام الله ﷻ، التي لم يُخبر عن تفاصيلها، ولو شاء لخلقها في أقلِّ من ذلك ﴿وَ﴾: حرف عطف يُفيد الحال ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿مَسَّنَا﴾: لم يُصبنا في العمق ﴿مِنْ لُغُوبٍ﴾: عناء، جوع وضعف، من تعبٍ أو نصبٍ، كان هذا ردًّا على كذب اليهود الذين قالوا إنَّ الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت، وسموه يوم الراحة.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ (٣٩)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿اصْبِرْ﴾: يقول الله ﷻ لرسوله ﷺ؛ اصبر ﴿عَلَىٰ مَا﴾: الذي ﴿يَقُولُونَ﴾: من اليهود وغيرهم ﴿وَسَبِّحْ﴾: أيضًا أقم الصلاة لربِّك، والتسبيح: هو تنزيه الخالق عن كلِّ النقائص ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿حَمْدِ﴾: شكر ﴿رَبِّكَ﴾: وهو المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ الكون البديع من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام، وهو ﷻ والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيِّد،

فهو ﷺ مالك أمرنا كله ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: هي صلاة الفجر ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾: وهي صلاة العصر. عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَلْبِي، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي الْبَدْرَ - فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبِّكُمْ، كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُصَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَأَفْعَلُوا» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق-٣٩]، قَالَ إِسْمَاعِيلُ: «أَفْعَلُوا لَا تَقْوَتُكُمْ»^(١).

التكليف: كانت الصلاة قبل رحلة الإسراء والمعراج ركعتان قبل طلوع الشمس وقت الفجر، وقبل الغروب في وقت العصر، وكان قيام الليل واجباً على رسول الله ﷺ، وعلى أمته حولاً سنة كاملة، ثم نسخ وجوبه في الأمة، ثم نسخ كل ذلك في ليلة الإسراء والمعراج بالتكليف بخمس صلوات، وفيهن صلاة الفجر، والعصر.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ (٤٠)

﴿و﴾: أيضاً ﴿مِنَ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿اللَّيْلِ﴾ ﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿سَبِّحْهُ﴾: هي الصلاة في الليل، مثلما قال ﷺ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ [الإسراء-٧٩] ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾: وسبِّح بحمد ربك عقب كل صلاة، قال ابن كثير: هو التسبيح بعد الصلاة، والحمد والتكبير ثلاثاً وثلاثين، وقال مجاهد، وعكرمة، والشعبي: الركعتان بعد المغرب.

﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (٤١)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿اسْتَمِعْ﴾: أنصت يا محمد ﷺ ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾: يوم يأمر الله ﷻ الملك إسرافيل الذي ينفخ في القرن النفخة الثانية ﴿مِنَ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾: قال كعب الأحبار: يُنادي على صخرة بيت المقدس، أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة إنّ الله ﷻ يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ (٤٢)

(١) صحيح البخاري ١/١١٥ (٥٥٤).

﴿يَوْمٌ﴾: القيامة ﴿يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ﴾: صيحة المَلَكِ إِسْرَافِيلَ، المُكَلَّفِ بصيحةِ البعث ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة والصلة ﴿الْحَقِّ﴾: النفخة في الصور التي تأتي بالحق ﴿ذَلِكَ﴾: الذي جاء سابقاً اسم إشارة للبعيد ﴿يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾: يوم تخرجُ الأجسادُ من القبور، يوم النشأةِ الآخرة، يوم الثواب والعقاب.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِنَّا الْمَصِيرُ﴾ (٤٣)

﴿إِنَّا نَحْنُ﴾: هو الله ﷻ ﴿نُحْيِي﴾: هو الذي أنشأ النشأة الأولى؛ وكتب الحياة للخلق في الدنيا ﴿و﴾: أيضاً ﴿نُمِيتُ﴾: وكتب الموت، في الحياة الدنيا ﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال؛ أيضاً كتب الله تعالى البعث من القبور، يوم يبعث الخلق جميعاً مرةً أخرى ﴿إِنِنَّا﴾: إلى الله ﷻ، جاءت بصيغة الجمع وهو ﷻ واحدٌ أحد؛ لتعظيم ﴿الْمَصِيرُ﴾: إليه ﷻ مآلهم النهائي، كلِّ الخلائق؛ ليجزي كلَّ مخلوقٍ بعمله.

﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ (٤٤)

﴿يَوْمٌ﴾: النشور ﴿تَشَقُّقٌ﴾: تتصدع ويتباعد بعض سطحها عن بعض ﴿الْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾: فوق قبورهم فيقومون إلى موقف الحساب ﴿سِرَاعًا﴾: مُسرعين مُبَادرين إلى أمر الله عزَّ وجل ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿حَشْرٌ﴾: جمعٌ وتكدسٌ لكم ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾: ذلك الجمع في موقف الحساب، هذه إعادةٌ سهلةٌ على الله ﷻ، جاء في المعنى نفسه: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةٍ بِالنَّبَصِ﴾ [القمر-٥].

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (٤٥)

﴿نَحْنُ﴾: يُخبرُ الله ﷻ عن نفسه الشريفة، وجاءت هنا بصيغة جمعٍ للتعظيم ﴿أَعْلَمُ﴾: هنا تسليةٌ من الله ﷻ لرسوله ﷺ كما أنَّ فيها تهديداً ووعيداً لكفار قريش، ومن بعدهم لكلِّ كافرٍ، جاءت من صاحب العلم المطلق، الذي يعلم كلَّ ما يُقال، وما توسوس به النفوس ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿يَقُولُونَ﴾: قد أحاط بما يقوله المشركون ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَنْتَ﴾: يا محمد ﷺ ﴿عَلَيْهِمْ بِ﴾: حرف باء السببية ﴿جَبَّارٍ﴾: جاء اللفظ القرآني "الجبار" هنا بمعنى لست القهار الذي يجبر هؤلاء على الإسلام والإيمان، وقال مجاهد، والضحاك: إنك لا تتجبر

عليهم، ولقد نسختها الآية (٥) من سورة التوبة ﴿ف﴾: حرف يفيد هنا السبب بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿ذَكَرَ﴾: بَلَغَ رسالتك التي جاءت ﴿بِالْقُرْآنِ﴾: في القرآن الكريم، جاء في المعنى ﴿فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ [الغاشية-٢١] ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل الذي ﴿يَخَافُ وَعَبِدَ﴾: هو المؤمن؛ يخاف وعيد الله ﷻ؛ تهديده وتحذيره.

التكليف: دراسة مقاصد السورة الكريمة إيقاظ للقلوب الغافلة عن البعث والنشور، بما فيها من النعيم للمؤمنين وما فيها من الهول للكافرين.



جاء تسمية سورة الذاريات بهذا الاسم في كتب التفسير والمصاحف لأن هذه الكلمة لم تأت بهذه الصيغة في غيرها من سور القرآن الكريم، وهي سورة مكية بالاتفاق، وتعد في الترتيب (٦٧) في نزول السور، نزلت بعد سورة الأحقاف، وقبل سورة الغاشية، وعدد آياتها (٦٠) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرْوًا﴾ (١)

﴿و﴾: يقسم الله تعالى ب **الذَّارِيَاتِ**: وهي الريح، التي تذروا، وتحمل، وتنتشر التراب، وغيره حبوب لقاح النباتات، ﴿ذُرْوًا﴾: نشرًا للتراب وما يحمل الريح..

التكليف: إن الله ﷻ يُقسم بهذه المخلوقات لشرف ذاتها؛ ولما فيها من الدلالات على عجب صنعته، وعظيم قدرته ﷻ؛ لكونها أمورًا غايةً في الإبداع.

﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ (٢)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿الْحَامِلَاتِ﴾: الريح التي تحمل السحاب، وما تحمل ﴿وِقْرًا﴾: بخار الماء الغزير، المَبْجَر من البحار والأنهار وأسطح الأرض عمومًا، فالسحب تحمل الماء على هيئة بخار كما تحمل ذوات الأربع الأثقال؛ ليسوقها الله ﷻ إلى حيث شاء، ليحيا به الزرع والإنسان والدواب والطيور، تختزنه الأرض ليستفيد منه الإنسان.

﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ (٣)

﴿ف﴾: تسبب ﴿الْجَارِيَات﴾: ويقسم ﷻ بالسفن التي تسير فوق سطح الماء ﴿يُسْرًا﴾: بسهولة ويسرٍ، وقيل إنها النجوم التي تجري في السماء بيسرٍ في أفلاكها.

﴿فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا﴾ (٤)

﴿فَالْمُقْسِمَاتِ﴾: الملائكة التي تُقسّم على الخلق ﴿أَمْرًا﴾: ما قدر الله ﷻ في أمور الخلق.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ (٥)

هذا جواب القسم ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصرٍ تُفيدُ التأكيد على ما قاله الله ﷻ ﴿تُوعَدُونَ﴾: أيها الناس من البعث والحساب ﴿لَصَادِقٌ﴾: واقعٌ لا محالة.

﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ (٦)

﴿و﴾: أيضًا بالتأكيد ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿الدِّينَ﴾: وإنّ الحساب، الثواب والعقاب يوم القيامة، يوم الدين ﴿لَوَاقِعٌ﴾: لكائنٌ لا محالة.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ (٧)

﴿و﴾: وأيضًا يقسمُ الله ﷻ بـ ﴿السَّمَاءِ﴾: وهي كلُّ ما علا الأرض وأحاط بها ﴿ذَاتِ﴾: صاحبة ﴿الْحُبُكِ﴾: جمع حبيكة أي ذات الطرق كالتي توجد على الأرض ذات العلاقات المُحكمة، كالطرق الموجودة على الأرض، ومنها العلاقات بين القوى الطاردة المركزية نتيجة دورانها، وبين الجاذبية، المُعاكسة لها في العمل، هذا ما يقوله العلم، أمّا ابن عباس فقال: ذات الجمال والبهاء، المربوطة بقوة، وحكمة عظيمة؛ وقيل ذات الحسن والاستواء، وقال الحسن البصري: ضلّبت بالنجوم، وقال عبد الله بن عمرو: السماء السابعة، وقيل ذات الطرق، ومن الملاحظ أنّ كلّ الأقوال ترجع إلى الحُسن، والجمال، وعظمة البناء.

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ (٨)

﴿إِنَّكُمْ﴾: هذا جواب القسم: أنتم بالتأكيد وتحديداً يا أهل مكّة ﴿ل﴾: حرف تأكيد ﴿فِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾: متناقضٍ ومتضاربٍ، مرّة تقولون القرآن سحر، ومرّة تقولون شعر، ومرّة تقولون الرسول ساحر، ومرّة تقولون شاعر، قال قتادة: بين مُصدّق بالقرآن ومكذّب به، وهذا حال

المشركين، الخلاف أساس عقيدتهم مع المؤمنين، وفيما بينهم، ويتغير في الشخص من وقت لآخر.

﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ (٩)

﴿يُؤْفِكُ﴾: يُصِرُّ ﴿عَنْهُ﴾: عن الإيمان بالرسول ﷺ وعن القرآن الكريم ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس الإنسان ﴿أُفِكَ﴾: الذي هو قليل الفهم، قال ابن عباس: يضلُّ عنه من ضلَّ، وقال مجاهد: به يؤمن من آمن، وقال الحسن البصري: يُعرف عن القرآن مَنْ كَذَّبَ به.

﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ (١٠)

﴿قُتِلَ﴾: جاء لفظ القتل كتعبيرٍ للدعاء عليهم بلعنة الله ﷻ، إن الملعون يشبه المقتول في الهلاك ﴿الْخَرَّاصُونَ﴾: قال مجاهد: الكذَّابون، وهم الذين يُنكرون البعث، ولا به يوقنون، وقال ابن عباس: المرتابون، وقال قتادة: أهلُ الغرور والظنون، وتم قتلهم، والله أعلم، معناها: يلعنهم الله ﷻ، إنهم يستحقون القتل.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ (١١)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿هُم﴾: تحديداً ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾: في لُجَّةٍ من الجهل والكفر والضلال، قد غمرها أي غطاها، قال ابن عباس: هي الكفر ﴿سَاهُونَ﴾: غافلون، لاهون عما ينتظرهم يوم القيامة.

﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (١٢)

﴿يَسْأَلُونَ﴾: يسأل هؤلاء المكذبون استنكاراً واستخفافاً واستبعاداً وتكذيباً ﴿أَيَّانَ﴾: متى؟ يقولون على أساس الإنكار والرفض ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾: متى يوم القيامة الذي تدعون؟

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ (١٣)

تأتي الإجابة من الله ﷻ سيعلمون يوم القيامة ﴿يَوْمَ﴾: يكونوا ﴿هُم﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، هنا هم المُنكرون لها ﴿عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾: قال ابن عباس: يُعذبون، وقال مجاهد: يُحرقون كما يُفتن الذهب على النَّار.

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (١٤)

ويقال لهم وهم في العذاب **﴿ذُوقُوا﴾**: والذوق هو فقط للطعام، وكإشارة إلى أنّ كلّ أدوات الحواس الجلد والشم وغيرها سيصيبها العذاب، يُقال لهم اصلوا وتعذبوا **﴿فَنَنْتَكُم﴾**: عذابكم، وقال مجاهد: حريقكم، يُقال لهم تقريعًا، وتوبيخًا، وتحقيرًا، وتصغيرًا لعقولهم **﴿هَذَا﴾**: العذاب **﴿الَّذِي﴾**: اسمٌ موصولٌ بالمفرد؛ المقصود هنا هو اليوم **﴿كُنْتُمْ بِهِ﴾**: في الحياة الدنيا **﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾**: اليوم الذي استعجلتم؛ بغرض الإنكار.

﴿إِنَّ الْمُنْتَقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (١٥)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار **﴿الْمُنْتَقِينَ﴾**: الذين عبدوا الله ﷻ قناعةً، راجين رحمته، وخائفين عذابه **﴿فِي جَنَّاتٍ﴾**: ليس في جنّة واحدة **﴿و﴾**: حرفٌ عطفٍ يُفيد الحال **﴿عُيُونٍ﴾**: الجنّة التي فيها ما يشربه المؤمنون.

﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ (١٦)

﴿آخِذِينَ﴾: يأخذون الثواب العظيم في مقابل عطائهم القليل في الحياة الدنيا **﴿مَا﴾**: الذي من غير جنس العاقل **﴿آتَاهُمْ﴾**: ما أعطاهم ووهبهم **﴿رَبُّهُمْ﴾**: وهو المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ للشيء من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام، وهو ﷻ والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فهو ﷻ مالك أمرنا كلّه وقد كانوا عاملين بما فرض ﷻ عليهم، مُنتهين عما نهى ﷻ عنه **﴿إِنَّهُمْ﴾**: هم بالتأكيد **﴿كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾**: في الحياة الدنيا قبل هذا الجزاء **﴿مُحْسِنِينَ﴾**: في الدار الدنيا، والإحسان هو أن يعبد الإنسان الله ﷻ كأنّه يراه.

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ (١٧)

﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا **﴿قَلِيلًا﴾**: في وقت قصير **﴿مِّن﴾**: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الزمانيّة **﴿اللَّيْلِ مَا﴾**: اختلف المفسرون في ما؛ قيل: ما نافية **﴿يَهْجَعُونَ﴾**: والهجوع هو النومُ ليلًا بينما الهجع فهو النوم الخفيف، بمعنى كانوا قليلًا من الليل لا يهجعونه، وقال ابن عباس: ما تمضي منهم من ليلةٍ إلا يأخذون منها، ولو شيئًا، وقال قتادة: قليل من الليالي لا يصلون فيها، وقيل لا ينامون من الليل إلا قليلًا، وقال ابن جرير: ما مصدر

تقديره كان نومهم وهجوعهم قليلاً، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: يُنْزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ نَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَخْرَجُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ^(١).

﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (١٨)

﴿و﴾: أيضاً كانوا ﴿ب﴾: حرف باء الالتصاق والصلة، إفادتها للاستغفار أبلغ ﴿الْأَسْحَارِ﴾: آخر الليل وقال مجاهد: يُصَلُّونَ، وقيل: قاموا الليل وأخروا الاستغفار إلى الأسحار ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المذكور، وهي للتخصيص، والتببيه ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يصلون لربهم قانتين مستغفرين؛ يطلبون العفو والسماح من الله صلى الله عليه وسلم، على ما اقترفوا من ذنوب في حياتهم الدنيا.

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَخْرُومِ﴾ (١٩)

بعد وصف صلاة المؤمنين؛ جاءت الزكاة ﴿و﴾: حرف عطفي يفيد الحال ﴿فِي﴾: من ﴿أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾: جزء مقسوم أخرجوه ﴿ل﴾: حرف تمليك ﴿السَّائِلِ﴾: الذي يسأل وله حق ﴿وَالْمَخْرُومِ﴾: هو الذي ليس له دخل من الصدقات بسبب تعففه، قال ابن عباس، ومجاهد: هو المحارب الذي ليس له في الإسلام سهم من بيت مال المسلمين، ولا يكسب، ولا حرفة له، وقالت عائشة رضي الله عنها: المحارب الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه، وقال الضحاك: هو الذي ذهب ماله، ولم يبق له منه شيء، عَنْ سَالِمٍ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ، يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُعْطِينِي الْعَطَاءَ، فَأَقُولُ: أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ: «خُذْهُ إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْءٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ، فَخُذْهُ وَمَا لَا قَلَا تُتْبِعُهُ نَفْسَكَ»^(٢).

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ (٢٠)

﴿و﴾: أيضاً ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: ما وضع الله صلى الله عليه وسلم فيها من جبال، وسهول، وأنهار، وزرع، وما في باطنها من بترول وكنوز معادن الذهب والفضة وغيرها ﴿آيَاتٌ﴾: تدل على صنع الله صلى الله عليه وسلم، من الآيات الدالة ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْمُوقِنِينَ﴾: الشاهدين على عظمة خالقها، التي يعلمها الذين اتقوا الله صلى الله عليه وسلم؛ طمعاً في رحمته، وخوفاً من عذابه.

^(١) صحيح البخاري ٥٣/٢ (١١٤٥).

^(٢) صحيح البخاري ١٢٣/٢ (١٤٧٣).

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢١)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيدُ الحالَ ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾: إنّ الذين درسوا الطب، يوقنون بعظمة هذه الخلقة، والتناسق البديع داخلِ الخلية الواحدة وخارجها، والتواصل الذي يكشف اليوم بين نهاية العصب والعضلة، حيث يأتي الأمر من المخ، من مناطق مُحددةٍ معروفةٍ، إنّ جسم الإنسان مرسوم على صفحة المخ، كلُّ جزءٍ له مركزٌ يُحركه، ويتحكم فيه، كما أنّ دراسة الكليتين في الإنسان والحيوان تُظهرُ بديع الصنعة، حيث يتخلص الجسم من السموم الناتجة عن عمله اليومي، وغيرها مثل الجهاز الهضمي، والجهاز العصبي، ووظائف الجلد ﴿أَفَلَا﴾: حرف استفهام بغرض الاستنكار ﴿تُبْصِرُونَ﴾: تشاهدون فتعتبرون. ومن هذه الآيات أنّ الإنسان يأكل ويشرب من مكانٍ واحدٍ ويُخرج الفضلات من مكانين، وعمليات ووظائف الأعضاء كلّها في جسم الإنسان آياتٌ باهراتٌ في علم وظائف الأعضاء.

التكليف: إنّ إطلالة ودراسة بعمقٍ ولو على جهازٍ واحدٍ من أجهزة جسم الإنسان، وعلم وظائف الأعضاء؛ يُشعرك بعظمة الخلقة، التي هي من عظمة الخالق ﷻ.

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (٢٢)

﴿وَفِي السَّمَاءِ﴾: ما علا الأرض وأحاط بها، وهي بيد الله ﷻ ﴿رِزْقُكُمْ﴾: هنا مجازٌ مرسلٌ ذكر الله ﷻ الرزق والمقصود هو المطر، الذي هو سبب الأقوات والأرزاق، وما قدره لكم من الغيث، يتوزع بقدر؛ فيحي النبات، والحيوان، والإنسان ﴿وَمَا﴾: والذي ﴿تُوعَدُونَ﴾: من خيرٍ أو ضررٍ، والثواب والعقاب وغيره مكتوبٌ مُقدَّرٌ.

﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِفُونَ﴾ (٢٣)

﴿ف﴾: حرفٌ يفيدُ هنا السبب بهدف ترتيب الأمر ﴿و﴾: حرف قسم ﴿رَبِّ﴾: مالكِ كلّ أمرٍ ﴿السَّمَاءِ﴾: هنا قَسَمَ من الله ﷻ هي كلّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها كروية الشكل ﴿و﴾: أيضًا رَبِّ ﴿الْأَرْضِ﴾: يُقسِمُ الله ﷻ بنفسه الكريمة؛ مالكِ السموات والأرض ﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد ما وعدكم الله ﷻ من أمر القيامة ﴿لن﴾: حرف تأكيد ﴿حَقٌّ﴾: البعث والحساب كائن لا محالة، لا شك فيه ﴿مِثْلَ﴾: شبيه ﴿مَا﴾: جاءت هنا للتوكيد، الذي كما ﴿أَنَّكُمْ﴾: بالتأكيد

أنتم **﴿تَنْطِقُونَ﴾**: كسهولة نطقكم إذ يتكلم الناس دون عناء كذلك الرزق يأتيكم بنفس قدر سهولة النطق؛ فتعرفون ذلك، ويسمعكم الآخرون فيشهدون على كلامكم؛ فإن القيامة حق مثل كلامكم المشهود.

التكليف: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا^(١).

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٤)

هنا أسلوب تشويق وتغخيم شأن الحديث **﴿هَلْ﴾**: حرف استفهام **﴿أَتَاكَ﴾**: هل علمت يا محمد ﷺ **﴿حَدِيثٌ﴾**: قصة **﴿ضَيْفٍ﴾**: تعني الضيف المفرد والجمع، هنا كانوا ثلاثة جبريل وميكايل وإسرافيل عليهم السلام في صورة رجال؛ الذين جاؤوا كضيوفٍ على **﴿إِبْرَاهِيمَ﴾**: عليه السلام، وهم الملائكة **﴿الْمُكْرَمِينَ﴾**: الذين أكرمهم إبراهيم عليه السلام، من وهبهم الله ﷻ الكرامة، كرامة كل ضيفٍ على المضيف. انظر [هود-٦٩، ٧٦].

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ (٢٥)

﴿إِذْ﴾: حدث في الماضي بمعنى حين **﴿دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾**: على إبراهيم عليه السلام، بيته **﴿ف﴾**: حرف سبب **﴿قَالُوا سَلَامًا﴾**: حيّوه قائلين: السلام عليكم **﴿قَالَ سَلَامٌ﴾**: فرد عليهم بما هو أرفع، وأقوى، وهو القول المرفوع، وليس المنصوب؛ فكان ردّه أفضل **﴿قَوْمٌ﴾**: هنا النكرة تفيد تعظيمًا وإفادة العموم، سلام عليكم أنتم قومٌ غرباء. والقوم هم جماعةٌ كبيرةٌ من جدّ، وجدّةٍ واحدةٍ، أو أصحابٍ مذهبٍ واحدٍ، قال في نفسه: هؤلاء ضيوفٌ لا أعرفهم، الملائكة هم جبريل، وميكايل، وإسرافيل،

(١) صحيح مسلم ٢٠٣٦/٤ (٢٦٤٣).

جاؤوا في صورة شبانٍ حسانٍ، عليهم مهابةٌ عظيمةٌ، لم يعرفهم إبراهيم عليه السلام، من قبل؛ فجاء الوصف **﴿مُنْكَرُونَ﴾**: غرباء غير معروفين لنا.

﴿فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ﴾ (٢٦)

﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب **﴿رَأَى﴾**: مال في خفيةٍ من ضيوفه؛ كيلا يُخرجهم، فيرفضوا ضيافته، فذهب **﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾**: أهل بيته خفية **﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ﴾**: هو ذَكَرِ البقرة **﴿سَمِينٍ﴾**: إمعانًا في الكرم؛ جاء بعجلٍ كبير الحجم، وقد أعدّه للأكل.

التكليف: هذا منهج تربوي يبيّن كيف يُكرم المسلم ضيفه، يُجهز لهم الطعام، قبل أن يعرفهم.

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (٢٧)

﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ **﴿قَرَّبَهُ﴾**: قرب العجل المطبوخ **﴿إِلَيْهِمْ﴾**: فلم يمدوا أيديهم للطعام، ولم يُظهروا اهتمامًا بما قُدّم **﴿قَالَ﴾**: إبراهيم عليه السلام، بلطفٍ **﴿أَلَا﴾**: حرفٌ تنبيه **﴿تَأْكُلُونَ﴾**: مُتطعمًا، لماذا لا تأكلون؟ وهو بمعنى الأمر، أي كلوا.

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (٢٨)

﴿ف﴾: حرفٌ يفيد بسبب موقفهم هذا **﴿أَوْجَسَ﴾**: أحسّ في نفسه **﴿مِنْهُمْ﴾**: حرفٌ يُفيدُ بداية الغاية المكانية **﴿خِيفَةً﴾**: شعر بالخوف منهم، من غرابة تصرفهم **﴿قَالُوا﴾**: الملائكة الضيوف **﴿لَا﴾**: حرفٌ نهي **﴿تَخَفْ﴾**: مطمئنين إياه **﴿و﴾**: عطفًا على ما سبق **﴿بَشَّرُوهُ﴾**: أنهم رسل الله ﷺ؛ حملوا له ولزوجه خبرًا سارًا من الله ﷻ: أن زوجته ستحمل **﴿بِغُلَامٍ﴾**: بمولودٍ **﴿عَلِيمٍ﴾**: سيكون من أهل العلم، يُعلّمه الله ﷻ، ويؤدبه، ويهيئه؛ وهو إسحق بن يعقوب، عليهما السلام.

﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ (٢٩)

﴿ف﴾: بسبب بشارتهم **﴿أَقْبَلَتِ﴾**: ظهرت أمامهم **﴿امْرَأَتُهُ﴾**: بعد أن سمعت البشارة **﴿فِي صَرَةٍ﴾**: قال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك، والسدي: صرخةٌ، وصيحةٌ، وضجةٌ، ورنّةٌ **﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾**: قال ابن عباس: ضربت بيدها على جبينها؛ تعجبًا كما تفعل النساء من الأمر الغريب **﴿وَقَالَتْ﴾**: هل أحملُ وألُدُّ وأنا **﴿عَجُوزٌ﴾**: طاعنةٌ في السن **﴿عَقِيمٌ﴾**: كيف يكون لي ولد وأنا عجوز لا تحمل، وقد كنت في الصبا عقيماً لا أحبل.

التكليف: نرى هنا المرأة شريكة الرجل في الأسرة، ظهرت للملائكة، عندما خصّها وأسرّتها أمرٌ.
﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٠)

﴿قَالُوا﴾: الملائكة ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل هذا، أيضًا ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾: هذا ما قاله الله ﷻ، وهو المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ لكل شيء من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابزُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، فهو ﷻ مالكُ أمرنا كلّه وما قاله لا رادّ له ﴿إِنَّهُ﴾: بكلِّ تأكيد ﴿هُوَ﴾: في اللغة للغائب المفرد المذكور، هنا هو الله ﷻ ﴿الْحَكِيمُ﴾: في قوله، وخلقهِ، وتدبيرهِ ﴿الْعَلِيمُ﴾: بما يستحقّه خلقه وما ينفعهم وما يضرهم.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣١)

﴿قَالَ﴾: إبراهيم ﷺ ﴿فَمَا﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الخبر ﴿خَطْبُكُمْ﴾: ما شأنكم العظيم؟ وماذا تريدون ﴿أَيُّهَا﴾: حرف نداء هنا للقريب ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾: يا رسل الله ﷻ؟

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ (٣٢)

﴿قَالُوا﴾: الملائكة ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع للتعظيم ﴿إِلَى قَوْمٍ﴾: إلى جماعةٍ كبيرةٍ كانوا أصحابَ مذهبٍ واحدٍ ﴿مُّجْرِمِينَ﴾: وهو الإجماع بكفرهم بالله ﷻ، وعليه كانوا يفعلون الفاحشة؛ هم قوم ابن أخيك لوط.

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ (٣٣)

﴿ل﴾: تحديدًا وتخصيصًا ﴿نُرْسِلَ﴾: ننزل ﴿عَلَيْهِمْ﴾: من فوقهم ﴿حِجَارَةً مِنْ﴾: حرفٌ يُفيدُ بداية الغاية المكانية، يفيد النوع أو الجنس ﴿طِينٍ﴾: لنهلكهم بحجارةٍ من طينٍ متحجرٍ، من صخرٍ أسود.

﴿مُسْوَمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ (٣٤)

﴿مُسْوَمَةً﴾: مُعلّمةٌ ﴿عِنْدَ﴾: حرف ظرف مكان وظرف زمان ﴿رَبِّكَ﴾: هو ﷻ مالكُ أمرِك كلّهِ؛ مكتوبةٌ، ومقدّرةٌ، ومهيأةٌ كحجارةٍ عذاب ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْمُسْرِفِينَ﴾: تخصيصًا لمن بالغوا في الخطيئة والفجور.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٥)

﴿ف﴾: بسبب ذلك ﴿أَخْرَجْنَا مَنْ﴾: فأخرجنا من الناس ﴿كَانَ فِيهَا﴾: في قرية قوم لوط ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: هم لوط عليه السلام، وأهل بيته، إلا امرأته.

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٦)

﴿فَمَا﴾: حرف يفيد خبرًا ﴿وَجَدْنَا فِيهَا﴾: في القرية ﴿غَيْرَ﴾: حرف استثناء بمعنى إلا ﴿بَيْتٍ﴾: لم يقل عليه السلام أهل بيت؛ تشريفًا للبيت الذي شرفه من شرف ساكنه لوط عليه السلام، كان ﴿مِنَ﴾: حرف جر يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية، بيت ﴿الْمُسْلِمِينَ﴾: بيت لوط الموحدين بالله عليه السلام.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٣٧)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿تَرَكْنَا فِيهَا﴾: تركنا في القرية المذكورة آثار العذاب الذي أصابهم في المنازل، بحيرة منتنة خبيثة ﴿آيَةً﴾: عظة وعبرة للمؤمن بقدره الله عليه السلام وانتقامه من الكافرين ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد هنا جميع من ﴿يَخَافُونَ﴾: من بعد قوم لوط عليه السلام، غضب الله عليه السلام في الدنيا والآخرة وهو ﴿الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾: الموضع وجعًا شديدًا.

﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٨)

﴿وَفِي مُوسَى﴾: في إرسالنا لموسى عليه السلام، إلى قومه ﴿إِذْ﴾: حرف سبب حدث في الماضي ﴿أَرْسَلْنَاهُ﴾: جاءت بصيغة الجمع لعظم الرسالة ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: حاكم مصر المتكبر ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة والصلة ﴿سُلْطَانٍ﴾: حجة وبرهان؛ فهي مهمة عظيمة وخطيرة تنتظر موسى عليه السلام، فهو يحتاج إلى الحجج، والآيات، والمعجزات الظاهرة، آية للذين يخافون العذاب ﴿مُبِينٍ﴾: الواضح والدليل الباهر.

﴿فَتَوَلَّىٰ بُرْكُنَيْهِ وَقَالَ سَاجِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ (٣٩)

﴿ف﴾: بسبب هذا وفي تتابع سريع ﴿تَوَلَّى﴾: فأعرض، قال مجاهد: ابتعد فرعون عن الحق ﴿بُرْكُنَيْهِ وَقَالَ﴾: والركن مخصص للجنود والجموع، مخوفًا بهم؛ مغنرًا بقوته، واستعان بأعوانه،

ووزرائه، وجنوده، وقال فرعون إن موسى ﴿سَاحِرٌ﴾: يسحر النَّاسَ ﴿أَوْ﴾: حرفٌ يُفِيدُ التسوية بين متعاطفين هنا بين ساحر و ﴿مَجْنُونٌ﴾: لأنه يقول ما لا يُعقل.

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (٤٠)

﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿أَخَذْنَاهُ﴾: أخذ الله ﷻ فرعون بصيغة الجمع؛ لشدة العذاب، وأخذه لأنه سبب هلاك من معه ﴿و﴾: حرفٌ عطفي يفيد الحال، أيضًا أخذنا ﴿جُنُودَهُ ف﴾: كما أن الجنود لم يغنوا عن فرعون شيئًا، بسبب ما فعل وفي تتابعٍ سريعٍ ﴿نَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾: أخذناه وجنوده؛ فطرحناهم في البحر ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: أت بما يُلام عليه، جاهدًا، ملومًا.

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ (٤١)

﴿و﴾: أيضًا ﴿فِي﴾: قصةٌ وشأنٌ إهلاك قوم ﴿عَادٍ﴾: آيةٌ وعبرة، انظر وتأمل إلى قوم هود ﴿إِذْ﴾: حدث في الماضي ﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ﴾: أخذناهم بعذابٍ شديدٍ ﴿الرِّيحَ﴾: الشديدة الهبوب ﴿الْعَقِيمَ﴾: المهلكة لهم، كنايةٌ أنها لم تُبق منهم أحدًا؛ وبذلك قطعت نسلهم، فأصبح كل واحدٍ منهم كالعقيم؛ وأخذت الكافرين ومزارعهم، ودمرت كلَّ شيءٍ، من زرعٍ وحقولٍ، فلا تحمل مطرًا ولا تلتح شجرًا.

﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ﴾ (٤٢)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿تَذَرُ﴾: لا تترك ولا تدع ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية ﴿شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ﴾: أي شيءٍ مرّت عليه، إلا أفسدته، ودمرته، وجعلته ﴿ك﴾: كمثل وحال ﴿الرَّمِيمِ﴾: لم يقل ﷻ جعلته رميمًا؛ لأن الرميم هي الحالة التي يؤول إليها العظم، بمعنى أهلكتهم في الحال؛ هلاكًا باليًا، ومنتقتًا.

التكليف: لا تأمن بطش الله ﷻ، وانظر ما يجري من حولك في البلاد الظالمة، الذي يسمونه غضب الطبيعة.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٤٣)

﴿و﴾: أيضًا ﴿فِي﴾: آية وعبرة في قصة إهلاك قوم ﴿ثَمُودَ﴾: هم قوم صالح عليه السلام ﴿إِذ﴾: حدث في الماضي يفيد التوكيد ﴿قِيلَ﴾: قال الله ﷻ ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿تَمَتَّعُوا﴾: تتعموا بما رزقناكم ﴿حَتَّى﴾: حرف جر يفيد انتهاء الغاية الزمنية ﴿حِينَ﴾: وقت موتكم المعلوم.

﴿فَعَتُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (٤٤)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿عَتُوا﴾: عصوا واستكبروا عن طاعة وعبادة الله ﷻ ﴿عَنْ﴾: حرف جر يفيد الاستعلاء ﴿أَمْرٍ﴾: ما أمر الله ﷻ به من حلالٍ وحرامٍ ﴿رَبِّهِمْ﴾: مالك أمرهم كله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾: ذهبت بهم ﴿الصَّاعِقَةُ﴾: صاعقة العذاب الصاعق، القوي، السريع، فجاءتهم الصاعقة بعد ثلاثة أيامٍ من العذاب، قبل الصيحة الشديدة، وقيل هي نازٌ من السماء شاهدها، إمعانًا في خوفهم، ﴿وَهُمْ﴾: تحديداً ﴿يَنْظُرُونَ﴾: يُشاهدون العذاب، إمعانًا في التخويف.

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَّصِرِينَ﴾ (٤٥)

﴿فَمَا﴾: حرف يفيد الخبر ﴿اسْتَطَاعُوا مِنْ﴾: بعض ﴿قِيَامٍ﴾: فما أمكنهم أن يدفعوا عن أنفسهم العذاب، ولم يستطيعوا الهرب؛ لأنهم لم يستطيعوا الوقوف من شدة الخوف، ولا النهوض مما هم فيه من العذاب ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كَانُوا مُتَّصِرِينَ﴾: فهم ليسوا أصحاب قوة تنصرهم.

﴿وَقَوْمِ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِنْهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٤٦)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال؛ هنا في إهلاك ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾: الذين كفروا وكذبوا ﴿مِنْ﴾: حرف جر يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿قَبْلُ﴾: هنا دليل أن قصة نوح كانت من قبل؛ لأن زمانه كان قبل زمان أصحاب القصة المذكورة؛ وأهلكنا قوم نوح من قبل قوم ثمود ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد ﴿كَانُوا قَوْمًا﴾: من أصلٍ واحدٍ، وأصحاب مذهبٍ واحدٍ، أهلكنا قبلهم قوم نوح؛ لأنهم كانوا ﴿فَاسِقِينَ﴾: خارجين ومخالفين لشرع الله ﷻ.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٤٧)

﴿و﴾: أيضًا ﴿السَّمَاءَ﴾: جاء ذكر السماء كمفرد وهي تعني السماوات، هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها ﴿بَنَيْنَاهَا﴾: البناء هو تحديد العلاقات والحدود، جعلها ﷻ سقفاً مرفوعاً خلقها؛

وأَتَقْنَهَا؛ وجعلها سقفاً محيطاً فوق الأرض ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿أَيُّدٍ وَإِنَّا﴾: قال ابن عباس، ومجاهد: بقوةٍ وقدرةٍ، ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿مُوسِعُونَ﴾: ولقد وسّعنا أرجاءها، ورفعناها بغير عمدٍ، وجعلنا في كلّ سماءٍ غلافها، مستقلةً عن غيرها، وإِنَّا لقادرون على ذلك وأكثر. التكليف: نزل هذا الكلام على النبي الأميِّ عن السماوات، فهل سمع به أحدٌ من العالم وقتَه، أم هو وحيٌّ من الخالق؟

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ (٤٨)

﴿و﴾: أيضاً نذكر ﴿الْأَرْضَ﴾: التي ﴿فَرَشْنَاهَا﴾: ولقد جاء لفظ "الفرش" على سطحها الذي يُغطي السطح؛ فجعلها فرشاً ممهدةً؛ قابلةً للزرع، والإنبات في أجواءٍ مناسبةٍ، ويُدفن فيها الأموات جاء في المعنى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا* أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ [المرسلات-٢٥، ٢٦] وأودع في باطنها الثروات، والمعادن من البترول، والذهب، والفضة، والحديد، والنحاس، والكبريت، والرصاص وغيرها ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿نِعْمَ﴾: مدح ﴿الْمَاهِدُونَ﴾: الشكر لمن جعلها بهذه الصفات، ﷻ.

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٤٩)

﴿وَمِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿كُلِّ﴾: تقيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: هذه جاءت بصيغة النكرة، لتؤكد وتقيد العموم فيما سبق ذكره ﴿خَلَقْنَا﴾: أوجدنا من غير سابق مثال ﴿زَوْجَيْنِ﴾: جعلنا من كلّ شيءٍ صنفين، نوعين مختلفين، سماء وأرض، وليل ونهار، وشمس وقمر، وبر وبحر، وضياء وظلام، وإيمان وكفر، وموت وحياة، وشقاء وسعادة، وجنة ونار، وذكر وأنثى وكذلك في الحيوانات والنباتات ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرفٌ يُفيدُ التوقع والترجي عند البشر، ولكنّه يعني الإشفاق من الله ﷻ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: تتفكرون في قدرة الله ﷻ فتدركوا وتعتبروا أنّ خلف هذا الخلق البديع خالق عظيم، وقدرةً عظيمة.

﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٥٠)

﴿ف﴾: حرفٌ يفيد هنا السبب، بعد أن بيّن الله ﷻ للمشركين ضلالهم وشركهم وإنكارهم للبعث وساق الأدلّة لهم قال لرسوله ﷺ أن قل لهم أيّها الناس ﴿فَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾: اللجوء إلى الله ﷻ

في كلِّ أموركم، اهربوا من عقابه إلى ثوابه؛ فقد جئتم بتحذيرٍ واضحٍ من مصير الخسران والعذاب في النَّارِ ﴿إِنِّي﴾: هو محمد ﷺ ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا وتحديدًا ﴿مِنْهُ﴾: مرسلٌ إليكم برسالته ﷺ ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: مبين ومُحذِر وموضح.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٥١)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿لَا﴾: حرف نهي وتحريم أن ﴿تَجْعَلُوا﴾: لا تشركوا ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا﴾: معبودًا ﴿آخَرَ﴾: غيره، تطيعوه، وتعصوا الله ﷻ ﴿إِنِّي لَكُمْ﴾: وأنا تخصيصًا لكم ﴿مِنْهُ نَذِيرٌ﴾: محذّرٌ وناصحٌ ﴿مُبِينٌ﴾: واضحٌ.

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ (٥٢)

﴿كَذَلِكَ﴾: مثل هذا التكذيب الذي كان من أهل مكّة، كما الأمم السابقة، ولا يزال هذا الاتهام قائمًا إلى يوم الدين، بنعوت متغيرةٍ أساسها الكفر ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿أَتَى﴾: جاء إلى ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾: ما أرسل من رسولٍ إلى الأمم السابقة ﴿إِلَّا﴾: هذا حرف استثناء منقطع ﴿قَالُوا﴾: كما قال الكفار من قبلهم إنّه ﴿سَاحِرٌ﴾: ليس برسول ﴿أَوْ﴾: حرف تسوية هنا بين ساحر وبين ﴿مَجْنُونٌ﴾: سيظل هذا الاتهام قائمًا إلى يوم القيامة، بنعوتٍ متغيرةٍ أساسها الكفر.

﴿اتَّوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ﴾ (٥٣)

﴿أ﴾: حرف استفهامٍ وتوبيخ، أي هم كاذبون في دعواهم ﴿تَوَاصَّوْا بِهِ﴾: هل أوصى الذين من قبلهم الذين من بعدهم بعضهم بعضًا؟ كأنهم تواصلوا ﴿بِهِ﴾: بالقول نفسه ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده وبمعنى لأنهم ﴿قَوْمٌ﴾: جماعةٌ كبيرةٌ من الطغاة جاؤوا أصحاب مذهبٍ واحدٍ ﴿طَآغُوتٌ﴾: متجاوزون الحدود في الكفر، قال: آخرهم مثل أولهم.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ﴾ (٥٤)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿تَوَلَّ﴾: أمرٌ من الله ﷻ لرسوله ولمن تبعه أن أعرض ﴿عَنْهُمْ﴾: حرف يفيد البعد، حتى ينزل فيهم أمرٌ ربك ﴿فَمَا﴾: حرف نفي، أي لست بملومٍ يا محمد يفيدُ خبرًا

﴿أَنْتَ﴾: يا محمد ﷺ ﴿بِ﴾: حرف الباء السببية ﴿مَلُومٌ﴾: ولن نلومك ولن يلومك من أحد؛ لأنك قد بلغت أمر ربك ﷻ.

﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٥)

﴿و﴾: عطفاً على الذي سبق وهو إعراضك عنهم ﴿ذَكَرَ﴾: داوم على وعظهم، أنت أيها النبي، وكل مؤمن من بعدك، ذكّرتهم بالجنة والنار ﴿فَإِنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل وتوكيد اللفظ ﴿الذِّكْرَى﴾: استرجاع ودراسة التجربة السابقة من نتائجها، أنها ﴿تَنْفَعُ﴾: ينتفع بها ويستفيد منها ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: أصحاب القلوب السليمة، وتقيم الحجة عن المعرضين الكافرين.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي بمعنى ﴿خَلَقْتُ﴾: أنشأت وأوجدت من غير سابقٍ مثالي، والقائل هو الله تعالى ﴿الْجِنَّ﴾: قبيلة إبليس ﴿وَالْإِنْسَ﴾: أيضاً خلقت بني آدم، وما بعثت الرسل ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء؛ لغاية سامية ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿يَعْبُدُونَ﴾: هي عبادته وحده ﷻ، قال ابن عباس، وابن جرير: خلقتهم لطاعتي، لست في حاجة إليهم؛ بل ليقروا بعبادتي طوعاً، أو كرهاً، وقال ابن جريج: ما خلقتهم إلا ليعرفوا، وقال الربيع بن أنس: إلا للعبادة. وعليه يكون معنى القصر في الآية: قصر خلق الجن والإنس على عبادة الله ﷻ، أي ما خلقتكم إلا لعبادتي.

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ (٥٧)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿أُرِيدُ﴾: أرغب ﴿مِنْهُمْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿مِنْ﴾: حرف حرفٍ جرٍّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿رِزْقٍ﴾: أن يرزقني أحد منهم ﴿وَمَا أُرِيدُ﴾: جاء التكرار في الفعل أريد للمبالغة والتأكيد على أن الله ﷻ مستغني عما وعمّن سواه ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُطْعَمُونَ﴾: أو يطعمون الله ﷻ، وليس هو في حاجة لهم، بل هم في أشد الحاجة إليه ﷻ.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٥٨)

بعد أن ذكر الله ﷻ أنه خلق العباد لعبادته وحده، وقال فمن أطاع جازاه خير الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: وبالتأكيد أن الخلق هم الفقراء إليه في كل أحوالهم وأنه

﴿هُوَ الرَّزَاقُ﴾: الذي يرزق ويجزل العطاء ﴿ذُو﴾: صاحب ﴿القُوَّة﴾: لا يحتاج إلى نصره أحد؛ فهو صاحبُ القوة الذي إذا قال لشيءٍ كُنْ؛ فيكون ﴿الْمَتِينُ﴾: إنَّه القوي الشديد.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ (٥٩)

﴿فَإِنَّ﴾: حرفُ تأكيدِ الفعل ﴿ل﴾: حرفُ تخصيصِ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيدُ هنا جميعَ مَنْ ﴿ظَلَمُوا﴾: بكفرهم ظلموا أنفسهم، وظلموا غيرهم بكفرهم برسالتك لهم ﴿ذُنُوبًا﴾: نصيباً من العذاب ﴿مِثْلَ﴾: مشابهة ﴿ذُنُوبِ﴾: كنصيب ﴿أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾: أمثالهم أصحاب النسيب من العذاب؛ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ به؛ لِأَنَّهُ آتٍ، آتٍ.

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ (٦٠)

﴿ف﴾: حرفٌ يُفيدُ السبب ﴿وَيْلٌ﴾: الهلاك والخسارة، وقيل هو وادٍ في جهنم ﴿ل﴾: حرفُ تخصيصِ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيدُ هنا جميعَ مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: هذا جزاءُ المغطين، والمُنكرين للدين ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيدُ بيانَ وتمييزِ النوعِ ويفيدُ هنا ابتداءَ الغايةِ الزمانيَّةِ ﴿يَوْمِهِمُ﴾: يومِ العذابِ المخصَّصِ لهم ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمفردِ المذكورِ؛ وهو هنا يومُ القيامةِ ﴿يُوعَدُونَ﴾: من عذابِ يومِ القيامةِ، والذي وعدهم اللهُ ﷻ في كتابه، وأخبرتهم رسُلُهُم، عليهم السلام، ولم يُصدِّقوا.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نعرف أن مصدر رزق الخلق من الخالق ﷻ وحده؛ وهذا يستلزم العبودية له وحده بلا شريك.



سُمِّيت سورة الطور بهذا الاسم عند السلف، وفي المصاحف وكتب التفسير، وهي سورةٌ مكِّيَّةٌ بالإجماع، نزلت بعد سورة نوح، وقبل سورة المؤمنون، عدد آياتها (٤٩) آية عند أهل الكوفة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالطُّورِ﴾ (١)

﴿و﴾: حرف واو القسم؛ يُقسَمُ اللهُ تعالى بـ ﴿الطُّور﴾: هو ما امتد من البناء، يُطلق لفظُ الطور على الجبل الذي عليه أشجار، وهو الجبل الذي كَلَّمَ اللهُ عليه موسى ﷺ، وأمَّا الجبل الذي ليس عليه شجر فيقال له جبل، يُقسَمُ اللهُ ﷻ بالطور.

﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾ (٢)

﴿و﴾: أيضًا يقسم اللهُ ﷻ ﴿كِتَابٍ﴾: بالكتاب ﴿مَسْطُورٍ﴾: المُسَطَّر، المكتوب، وهو القرآن الكريم، هذا قسمٌ يفيد تقديرًا للعلم.

﴿فِي رَقٍّ مَنشُورٍ﴾ (٣)

﴿فِي رَقٍّ﴾: هي الأوراق أو الجلود التي تمَّت كتابته وخطه فيها ﴿مَنشُورٍ﴾: المبسوطة المفتوحة، وقيل هي الكتب المنزلة، التي تُقرأ على الناس جهازًا.

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ (٤)

﴿و﴾: يقسم اللهُ ﷻ بـ ﴿الْبَيْتِ﴾: الكعبة أو البيت ﴿الْمَعْمُورِ﴾: أو الضراح الذي في السماء، قيل في حديث الإسراء: البيت الذي يدخله كل يوم سبعون ألفًا يتعبدون فيه، ويطوفون به، كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، وهو كعبة أهل السماء السابعة، وفي كلِّ سماءٍ بيتٌ يتعبد فيه أهلها، ويصلون إليه، والذي في السماء الدنيا يقال له بيت العزة؛ والله أعلم، وقال عكرمة، ومجاهد وغيرهم: هو بيت حذاء العرش، تعمره الملائكة، يُصَلِّي فيه كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة ثم لا يعودون إليه، قال النبي ﷺ مخبرًا ما رأى ليلة الإسراء والمعراج: فَرَفَعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيْلَ، فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ^(١).

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ (٥)

﴿و﴾: يقسم اللهُ ﷻ أيضًا ﴿السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾: قال عليٌّ ﷺ، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن جرير: هو السماء المرفوعة فوق الأرض، وهي في الحقيقة عالمٌ عظيم، لا تُدرِكُهُ عقول عموم البشر، وقال الربيع بن أنس: العرش الذي هو سقف جميع الخلق.

(١) صحيح البخاري ١٠٩/٤ (٣٢٠٧).

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ (٦)

﴿و﴾: يقسم الله ﷻ أيضاً بـ ﴿الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾: ويقسم الله ﷻ بالبحر؛ المملوء ماءً، قد سجره الله ﷻ، ومنعه من أن يفيض على وجه الأرض، مع أن مقتضى الطبيعة، أن يغمر وجه الأرض، ولكن حكمته اقتضت أن يمنعه عن الجريان والفيضان، ليعيش من على وجه الأرض من البشر، ويعيش ما من أنواع الحيوان وقيل: إن المراد بالمسجور، المؤقد الذي يوقد ناراً يوم القيامة، فيصير ناراً تلتظي، ممتلئاً على عظمته وسعته من أصناف العذاب، قال ﷻ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير-٦]، ويمكن أن يحدث هذا الاحتراق في الدنيا؛ فمن المعلوم أن الماء يتكون من نوعين من الذرات: الهيدروجين وهو غاز قابل للاشتعال وعدد الذرات فيها اثنتان وأيضاً من الأكسجين وهو مادة تُساعد على الاشتعال وعدد الذرات فيها واحدة، فإذا انفصلت الذرتان عن بعضهما؛ واشتعل الهيدروجين ساعد في اشتعاله الأكسجين، فيحترق البحر كله.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (٧)

هذا جواب القسم ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿عَذَابٌ﴾: إن تعذيب الكفار ﴿رَبِّكَ﴾: وهو المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ للكون البديع من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام، وهو ﷻ والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابز لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فهو ﷻ مالك أمرنا كله إن عذاب ربك أيها الرسول ﴿لَوَاقِعٌ﴾: كائنٌ لا محالة، قادمٌ بلا ريب.

﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ (٨)

﴿مَا﴾: حرف نفي بمعنى ليس ﴿لَهُ﴾: تخصيصاً ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية ﴿دَافِعٍ﴾: لا يمنعه عن صاحبه، وعن الموعد المحدد.

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ (٩)

﴿يَوْمَ﴾: القيامة ﴿تَمُورُ﴾: قال ابن عباس: تتحرك، يوم تضطرب. يوم تضطرب السماء فيختل نظامها وتضطرب أجزاء ﴿السَّمَاءِ﴾: المجموعات الفلكية التي تحيط بالأرض ﴿مَوْرًا﴾: المفعول

المطلق هنا يُشير إلى تحقيق وقوع مور السماء، تحركها تحركًا شديدًا، إيدانًا بيوم القيامة، وقال الضحّاك، وابن جرير: التحرك في استدارة؛ أي استدارتها، والله ﷻ أعلم.

﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ (١٠)

﴿وَتَسِيرُ﴾: أيضًا تُسَف الجبال فتزول من أماكنها: وتصير كالسحاب بعد نسفها ﴿الْجِبَالُ سَيْرًا﴾: نسفًا؛ تصير هباءً منثورًا.

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١١)

﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿وَيْلٌ﴾: هلاكٌ، وخسارةٌ، وحسرةٌ لهم من عذاب الله ﷻ، وقيل الويلُ هو وادٍ في قعر جهنم، هلاكٌ وحسرةٌ، يعني العذاب الشديد ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: تخصيصًا لمن كذب بيوم الدين.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ (١٢)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿هُم﴾: ضمير الجمع المذكور، وهي للتخصيص، الذين ﴿فِي خَوْضٍ﴾: اندفاع، وانغماسٍ، واستغراقٍ في قولٍ وعملٍ الباطل ﴿يَلْعَبُونَ﴾: الذين يخوضون في الباطل، ويلعبون ويهزؤون بالدين، ولا يكثرثون بيوم القيامة.

﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ (١٣)

﴿يَوْمَ﴾: في هذا اليوم ﴿يُدْعَوْنَ﴾: قال مجاهد، والسدي: يوم يُدْفَعون بقوةٍ وعنْفٍ ﴿إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ﴾: يُساقون إلى نار جهنم ﴿دَعَاً﴾: دفعًا، بهدف الإهانة والتعذيب.

﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (١٤)

توبخهم زبانية جهنم قائلين تقريبًا ﴿هَذِهِ النَّارُ﴾: هذه هي جهنم ﴿الَّتِي كُنْتُمْ﴾: في الحياة الدنيا ﴿بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾: التي أنكرتموها، ها هي أمامكم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَيْنَ مَنْكَبِي الْكَافِرِ مَسِيرَةٌ ثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ لِلرَّكِبِ الْمُسْرِعِ»^(١).

﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (١٥)

(١) صحيح البخاري ١١٤/٨ (٦٥٥١).

﴿أ﴾: حرف استفسار بغرض الإنكار التوبيخي؛ للتقريع ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿سخر﴾
﴿هذا﴾: يقول لهم زبانية جهنم: هل هذا الذي أمامكم سحر ﴿أم﴾: بمعنى هل ﴿أنتم لا﴾: حرف
نفي ﴿تصبرون﴾: أم أنتم عُمي والإجابة لا ليست سحرًا؛ لأنكم عميان.

﴿اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواءً عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ (١٦)

﴿اصلوها﴾: ادخلوها وقاسوا حرّها، وذوقوا عذابها من جميع الجهات ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب
بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿اصبروا أو﴾: حرف عطف يفيد التسوية بين
متعاطفين ﴿لا﴾: حرف نهي يكون جوابًا، ويعمل عمل ليس ﴿تصبروا سواءً عليكم﴾: سواءً
صبرتم أم لم تصبروا على عذابها لا خروج منها ﴿إنما﴾: أداة حصر مركبة تفيد التحديد
والتخصيص ﴿تجزون﴾: هذا عقاب ﴿ما﴾: الذي ﴿كنتم﴾: في الحياة الدنيا ﴿تعملون﴾: ما
اقترفت من جرائم في حياتكم الدنيا.

﴿إنّ المتقين في جنّاتٍ ونعيم﴾ (١٧)

﴿إن﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿المتقين﴾: الذين عبدوا الله كأنهم يرونه ﷻ، هذا
حال الفائزين الذين اتقوا الله ﷻ ﴿في جنّات﴾: وليس جنّة واحدة ﴿و﴾: حرف عطف يفيد
الحال، أيضًا في ﴿نعيم﴾: يتنعمون فيها نعيمًا مقيمًا.

﴿فأكهيّن بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم﴾ (١٨)

﴿فأكهيّن﴾: مُتَلذِّذِينَ ﴿بما﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿آتاهم﴾: أعطاهم ﴿ربهم﴾: فهو ﷻ
مالك أمرنا كلّه، بأصناف النعيم من مأكّلٍ ومشربٍ ومسكنٍ ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿وقاهم﴾:
حفظهم ونجّاهم ﴿ربهم عذاب الجحيم﴾: ونجّاهم من عذاب النار.

﴿كلوا واشربوا هنيئًا بما كنتم تعملون﴾ (١٩)

﴿كلوا واشربوا﴾: هذا قول الله ﷻ لأهل الجنّة: تنعموا بنعم الله ﷻ عليكم من مأكّلٍ ومشربٍ
﴿هنيئًا﴾: تتنعمون ولا تخافون ضررًا ولا أذى مما تأكلون، وتشربون؛ تفضلاً من الله ﷻ ﴿بما﴾:
اسم موصول بمعنى الذي ﴿كنتم﴾: في الحياة الدنيا ﴿تعملون﴾: أعمالكم وعبادتكم لأنكم عملتم
بما أمر الله ﷻ.

﴿مُتَكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ (٢٠)

﴿مُتَكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ﴾: وهي المقاعد المرتفعة عن الأرض ﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾: وجوه بعضهم إلى بعض، وقيل: موصولٌ بعضها ببعض ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يُفيدُ الحالَ ﴿زَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾: وهبهم الله ﷻ بزوجاتٍ صالحاتٍ حسانٍ، وجوهن بيضاء، حسان العيون.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ

كُلِّ امْرِيٍّ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ (٢١)

﴿و﴾: عطفًا على ما تقدم ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيدُ هنا جميعَ مَنْ ﴿آمَنُوا و﴾: عطفًا على هذا ﴿اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِ﴾: حرفُ باءِ السببيةِ ﴿إِيمَانٍ﴾: الذين ربّوا أولادهم على الإيمان، وهم مؤمنون أصلًا ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: وإن لم يبلغ عملهم عمل آبائهم؛ يجمع الله ﷻ بينهم على أحسن الوجوه؛ بأن يرفع الناقص من العمل بكامل العمل ﴿وَمَا﴾: حرفُ نفيٍ ﴿أَلَتْنَاهُمْ﴾: لم ننقص ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيدُ بيانَ وتمييزَ النوعِ ويفيدُ هنا ابتداءَ الغايةِ المكانيةِ ﴿عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: من عمل الآباء للتساوي مع أبنائهم؛ بل يُرفع عمل الأبناء، عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ﴾ [الطور-٢١] قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ مَعَهُ فِي دَرَجَتِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ»، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ﴾ [الطور-٢١] يَقُولُ: «وَمَا نَقَصْنَاهُمْ»^(١)، ﴿كُلِّ﴾: تفيدُ عمومَ بني آدم ﴿امْرِيٍّ﴾: كلُّ شخصٍ من بني آدم ﴿بِمَا﴾: اسمٌ موصولٌ بمعنى الذي ﴿كَسَبَ﴾: جني وجمع ﴿رَهِيْنٌ﴾: كلُّ إنسانٍ مُرتَهِنٌ بعمله، لا يحملُ ذنبَ غيره من الناس؛ هذا من فضل الله ﷻ على الأسرة المؤمنة في الآخرة.

﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (٢٢)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يفيدُ الحالَ ﴿أَمْدَدْنَاهُمْ﴾: زوّد الله ﷻ أهلَ الجنةِ ﴿بِ﴾: حرفُ باءِ التعدديةِ ﴿فَاكِهَةٍ﴾: بصنوفٍ من الفواكهِ ﴿وَلَحْمٍ﴾: أيضًا من خيراتِ الجنةِ ﴿مِمَّا﴾: من الذي ﴿يَشْتَهُونَ﴾: من الأصناف التي تشتهي أنفسهم، التي ترغب فيها أنفسهم بشدة.

^(١)المستدرك على الصحيحين للحاكم ٥٠٩/٢ (٣٧٤٤). سكت عنه الذهبي في التلخيص.

﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ﴾ (٢٣)

﴿يَتَنَازَعُونَ﴾: ليس نزاع غضب، فنعيم الجنة وفير، ولكن بمعنى يتعاطون ﴿فِيهَا كَأْسًا﴾: في الجنة من الخمر ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿لَغْوٌ﴾: كلام لا قيمة له ﴿فِيهَا﴾: جاء اللفظ القرآني "اللفو" على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى لا يتكلمون بكلام فارغ، أو هذيان، كالمتعاطين خمر الدنيا كما قال الضحاك، وجاءت بمعنى اليمين الكاذب في الدنيا؛ ظنًا منه أنها حقيقة كما في قوله ﷺ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة-٢٢٥]، وبمعنى الباطل كما قال ابن عباس في قوله ﷺ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون-٣]، وفي قوله ﷺ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت-٢٦]، وقال مجاهد: لا يسيب بعضهم بعضًا، وقال قتادة: كان ذلك في الدنيا مع الشيطان ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿تَأْتِيمٌ﴾: قال الضحاك: الإثم هو فحش الكلام، وقال ابن عباس: الكذب، وقال مجاهد: لا يؤثمون، وقال قتادة: الصداغ ووجع البطن، وإزالة العقل، والله أعلم أنها كلها صحيحة.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ (٢٤)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿يَطُوفُ﴾: والطواف هو المشي حول شيء ﴿عَلَيْهِمْ﴾: يمشي الخدم بين أهل الجنة في الجنة وهم ﴿غِلْمَانٌ لَهُمْ﴾: صبية أهل الجنة ﴿كَأَنَّهُمْ﴾: حرف الكاف يفيد هنا التشبيه ﴿لُؤْلُؤٌ﴾: يحسبهم من رآهم لبياض وجوههم، وصفائها كأنهم من الأحجار الكريمة ﴿مَكْنُونٌ﴾: كأنهم الأحجار الكريمة في أصدافها محفوظة، حفاظًا على الحسن، والبهاء، والنظافة.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٥)

﴿وَأَقْبَلَ﴾: عطفًا على ما سبق جاء ﴿بَعْضُهُمْ﴾: جزء منهم ﴿عَلَى بَعْضٍ﴾: يتزاورون ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾: ويتحدث بعضهم مع بعض، ويتسامرون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا، وما وصلوا إليه في الآخرة.

﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ (٢٦)

﴿قَالُوا﴾: أجابوا أنفسهم ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر ﴿كُنَّا قَبْلُ﴾: في الحياة الدنيا ﴿فِي﴾: بين ﴿أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾: خائفين من عذاب الله ﷻ في الآخرة.

﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ (٢٧)

﴿ف﴾: بسبب هذا الخوف من الله ﷻ ﴿مَنْ﴾: تفضّل وتصدّق ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: بالهداية إلى الحق والتوفيق ﴿و﴾: أيضًا ﴿وَقَانَا﴾: حفظنا من ﴿عَذَابِ السَّمُومِ﴾: من جهنّم وريحها الحارّة. التكليف: لقد سُمّي عذاب الآخرة بالسموم لأنّ حرّ النار يدخل في مسام الجسم، والمعنى أنّ الضرر الذي يحدث من النّار كالضرر الذي تُحدثه المواد السّامة في الجسم والله ﷻ أعلم.

﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (٢٨)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا للتعظيم والتوكيد ﴿كُنَّا مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانيّة ﴿قَبْلُ﴾: في الحياة الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾: كنا نتضرع إلى الله ﷻ، وقال الأعمش: في الصلاة ﴿إِنَّهُ﴾: ﷻ ﴿هُوَ الْبَرُّ﴾: جاء البرّ بفتح الباء تعني صاحب الإحسان الذي لا ينقطع إحسانه، ولا ينقطع عنه إحسانُ الله ﷻ فهو العَطُوفُ الْمُحْسِنُ ﴿الرَّحِيمُ﴾: كثير الرحمة.

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (٢٩)

﴿ف﴾: حرفٌ سبب استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر وسرعة التنفيذ ﴿ذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ﴾: يا محمد ﷺ بالقرآن بلّغ رسالة ربّك، وبلّغ ما أنزل فيها من أوامر ونواهٍ ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة والصلة ﴿نِعْمَتٍ﴾: فضل ﴿رَبِّكَ﴾: فهو ﷻ مالك أمرنا كلّهُ؛ بما أنعم الله ﷻ عليك من الإيمان والعقل ﴿ب﴾: حرف باء الالتصاق ﴿كَاهِنٍ﴾: الذي يُخبرُ بالأخبار الماضية الخفيّة بضربٍ من الظن، الذي يأتيه الجنّ بالكلمات؛ فيأخذها ﴿وَلَا﴾: حرف نفي أنّه ﴿مَجْنُونٍ﴾: الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾ (٣٠)

﴿أَمْ﴾: بمعنى هل، وبمعنى بل ﴿يَقُولُونَ﴾: هم الكافرون عن الرسول ﷺ هو ﴿شَاعِرٌ﴾: يلعب بالألفاظ؛ ليفرغوا دعوته من جوهرها؛ كدعوة ربّانية ﴿نَتَرَبَّصُ﴾: من الرّيبص، وتعني الانتظار

لأمرٍ يُنتظر زواله أو حصوله ﴿بِهِ﴾: ننتظر له ﴿رَيْبٌ﴾: صنوف وأنواع ﴿الْمُنُونِ﴾: حتى يخطفه الموت؛ فنستريح منه.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ (٣١)

﴿قُلْ﴾: أمرٌ ربَّانيٌّ للنبي ﷺ بالقول ﴿تَرَبَّصُوا﴾: وتعني الانتظار لأمرٍ يُنتظر زواله أو حصوله انتظروا بحرصٍ وترقبٍ ﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿إِنِّي﴾: أنا ﴿مَعَكُمْ﴾: وأنا مثلكم أنتظر ﴿مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾: ما سيحل بكم من عذاب، وكان من خيارات كُفَّار قريش أن دعوا إلى تقييد الرسول ﷺ، ليحبسوه كما حبس زهير، والنابغة، إذ تمنى الكُفَّار قتل الرسل والدعاة في كلِّ عصرٍ هو منهج شيطاني لا يتغير، وما الحرب على الإسلام تحت اسم الحرب على الإرهاب إلا المثل العصري لهذه الفئات الكافرة.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهِذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (٣٢)

﴿أَمْ﴾: هل ﴿تَأْمُرُهُمْ﴾: تُحرضهم وتُجبرهم ﴿أَخْلَامُهُمْ بِهِذَا﴾: تأمرهم عقولهم بهذا الكذب، الذي يعلمون أنه كذبٌ ﴿أَمْ﴾: هل ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المذكور، وهي للتخصيص، والإجابة هنا: بل هم ﴿قَوْمٌ﴾: جماعة، أصحابُ مذهبٍ واحدٍ ﴿طَاغُونَ﴾: متجاوزون الحدّ، ضالّون، مُعاندون.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٣)

﴿أَمْ﴾: هل ﴿يَقُولُونَ﴾: يدعون عليه أنه ﴿تَقَوَّلَهُ﴾: يقولون قد اختلق ﷺ القرآن، واصطنعه، من عند نفسه ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: أي هم كافرون.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٣٤)

﴿ف﴾: حرف سبب استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿إِنْ﴾: لام الأمر ﴿يَأْتُوا﴾: بكلام مثل القرآن؛ جاءت بصيغة أمر بدخول لام الأمر على الفعل المضارع والغرض البلاغي منه هو التعجيز، وهو يعلم أن ليس بمقدورهم الإتيان بمثله تعجيزاً لهم وإظهاراً لضعفهم ﴿بِ﴾: حرف باء الإلصاق ﴿حَدِيثٍ﴾: ليأتوا بأية ﴿مِثْلِهِ﴾: مثل آيات القرآن الكريم ﴿إِنْ﴾: حرف شرط، إذا ﴿كَانُوا صَادِقِينَ﴾: ولن يأتوا ولو اجتمع العالم؛ لأنهم كاذبون.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥)

﴿أَمْ﴾: هل هم الذين ﴿خُلِقُوا﴾: هل خلقهم غيرُ خالقٍ ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ﴿غَيْرٍ﴾: حرف استثناء بمعنى إلا ﴿شَيْءٍ﴾: تفيد الجميع من غير موجد؛ من غير خالق؟ سؤالٌ معجزٌ ﴿أَمْ هُمْ﴾: تحديداً ﴿الْخَالِقُونَ﴾: هل هم الذين خلقوا أنفسهم من غير سابقٍ مثال؟ لا هذا ولا ذاك، بل الله ﷻ هو الخالق.

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ (٣٦)

﴿أَمْ﴾: هل هم الذين ﴿خَلَقُوا﴾: جاؤوا للحياة الدنيا من غير سابقٍ وجودٍ ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: وهي كل ما علا الأرض، وأحاط بها كونها ببيضاوية الشكل ﴿و﴾: أيضاً خلقوا ﴿الْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾: أوجدوا هذا الكون من غير سابقٍ وجود؟ والإجابة: لا يعلمون أن الله ﷻ خالقها.

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُضْتَبِرُونَ﴾ (٣٧)

﴿أَمْ﴾: هل ﴿عِنْدَهُمْ﴾: هل يملكون ﴿خَزَائِنُ﴾: كنوزهُ ورزقهُ ﷻ ورحمته ومقدراته ﴿رَبِّكَ﴾: مالك كلِّ أمر الكون؟ والإجابة لا ﴿أَمْ هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الْمُضْتَبِرُونَ﴾: الأرباب الغالبون الذين سيحاسبون الخلق، هل هم الخلائق الغالبة، والإجابة في كلِّ هذا لا، إنما هو الكذب، والإنكار.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (٣٨)

﴿أَمْ﴾: هل ﴿لَهُمْ﴾: هل هم يملكون ﴿سُلْمٌ﴾: هل عندهم مصاعد يرتقون به إلى السماء؛ ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾: فيسمعون ما يقال ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب والتتابع السريع ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿يَأْتِ﴾: يحضر ويعرض ﴿مُسْتَمِعُهُمْ﴾: من يزعم أنه استمع لذلك الكلام، إذا كان لهم مستمع؛ فليُظهره ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة والصلة ﴿سُلْطَانٍ﴾: حجة وبرهانٍ ﴿مُبِينٍ﴾: واضح، وهذا أيضاً أمرٌ خرج عن معناه؛ لإفادة التعجيز، قيل وطلب منهم ذلك إظهاراً لعجزهم.

﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبُنُونَ﴾ (٣٩)

﴿أَمْ﴾: هل ﴿لَهُ﴾: حرف تمليك لله ﷻ ﴿الْبَنَاتُ﴾: قالوا عن الملائكة أنهن إناث؛ وسموهم بناتٍ، ونسبوا لله ﷻ ﴿و﴾: عطفاً على هذا جعلتم ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً وتمليكا ﴿الْبُنُونَ﴾:

وادعيتم أن لكم الذكور كذبًا وزورًا. وهذا ما تمليه عليهم عقيدتهم الفاسدة حينما ينسبون البنات لله رمزًا للضعف، والذكوران لأنفسهم رمزًا للقوة كما يفعلون اليوم بتسمية الأعاصير بأسماء الإناث وهم يعلمون أنها جند من جند الله، مثل إعصار كاترينا، وتسونامي، وينسبون الذكور لأنفسهم في عملياتهم العسكرية يعطونها أسماء الذكور.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ (٤٠)

﴿أَمْ﴾: هل ﴿تَسْأَلُهُمْ﴾: ترجو أو تطلب منهم ﴿أَجْرًا﴾: هل سألتهم يا محمد ﷺ أجر ما تُبَلِّغهم من رسالة ربك ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص وتحديدًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية ﴿مَغْرَمٍ﴾: جهد ومشقة وخسارة مما يدفعون لك ﴿مُثْقَلُونَ﴾: مُتعبون في تدبير معيشتهم.

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ (٤١)

﴿أَمْ﴾: هل ﴿عِنْدَهُمْ﴾: حرف زمانٍ وظرف مكانٍ، يملكون علم ﴿الْغَيْبِ﴾: هل يعرفون ماذا سيحدث غدًا، والإجابة لا ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، وتحديدًا الذين ﴿يَكْتُمُونَ﴾: يوثقونه للناس؛ ويخبرونهم، والإجابة لا، فلا يعلم الغيب إلا الله ﷻ.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ﴾ (٤٢)

﴿أَمْ﴾: هل ﴿يُرِيدُونَ﴾: يرغبون ﴿كَيْدًا﴾: هل يريد هؤلاء المكذبون كيدًا بالرسول ﷺ بأقوالهم الكاذبة؛ فيحرضوا الناس عليه ﴿فَالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ على سبيل الترجيح بالجماعة الذكور، وتشمل الإناث أيضًا ﴿كَفَرُوا﴾: بسبب من أخفوا حقيقة الإيمان بالله ﷻ وبرسوله ﷺ وبشريعته ﴿هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الْمَكِيدُونَ﴾: سينالهم جزاء كيدهم، وبال، وسخط، وخسارة.

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٤٣)

﴿أَمْ﴾: هل ﴿لَهُمْ آلِهَةٌ﴾: معبود يستحق العبادة ﴿غَيْرُ اللَّهِ﴾: غير حرف استثناء بمعنى إلا يُنكر الله ﷻ عليهم عبادة الأصنام والأنداد ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾: يُنزه الحق ﷻ نفسه عما يقولون وما يفترون ﴿عَمَّا﴾: عن الذي يصدر منهم قولًا وعملاً ﴿يُشْرِكُونَ﴾: يعبدون معه آلهةً أخرى.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ (٤٤)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿إِنْ﴾: حرف شرط بمعنى إذا ﴿يَرَوْا﴾: يشاهدوا ﴿كِسْفًا﴾: قطعاً عظيمة الحجم تسقط ﴿مِن﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿السَّمَاءِ﴾: مما هو فوق الأرض ﴿سَاقِطًا﴾: ينزل بسرعةٍ وقوةٍ كبيرةٍ عليهم ﴿يَقُولُوا﴾: تسقط علينا عذاباً، يَمَنُونَ أنفسهم، وينكرون أنه عذاب من الله ﷻ؛ فيقولوا إنما هي مجرد ﴿سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾: سحبٌ يتجمع بعضها على بعض، وهم بهذا القول يخدعون أنفسهم.

﴿فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ (٤٥)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿ذَرَهُمْ﴾: اتركهم؛ دعهم يا محمد ﷺ ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جرّ يفيد انتهاء الغاية الزمنية ﴿يُلَاقُوا﴾: يصلوا إلى ﴿يَوْمَهُمُ﴾: موعدهم ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمفرد المذكر ﴿فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾: فدع يا محمد هؤلاء المشركين حتى يُلَاقُوا يومهم الذي فيه يُهلَكُون بالصعق في الدنيا كيوم بدرٍ، ويوم القيامة فيه عذابهم الأشدّ والأسرع.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٤٦)

﴿يَوْمَ لَا﴾: حرف نفي ﴿يُغْنِي﴾: لا ينفعهم ولا يدفع ﴿عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ﴾: مكْرهم الذي مكروه في ذلك اليوم لا يدفع عنهم ﴿شَيْئًا﴾: قليلاً أو كثيراً ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، وتحديداً ﴿يُنصَرُونَ﴾: لن ينصرهم، أو يُنقذهم أحد.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٧)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿إِنَّ﴾: بالتأكيد ﴿ل﴾: حرف تمليك ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿ظَلَمُوا عَذَابًا﴾: يتوعد الله ﷻ هؤلاء الظلمة؛ الذين أشركوا في الدنيا، بعذاب ﴿عَذَابًا دُونَ﴾: يلقونه في حياتهم الدنيا قبل أو أقل من عذاب الآخرة، من القتل والسبي وبعد ذلك عذاب البرزخ، ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد، قبل عذاب الآخرة، جاء في المعنى: ﴿وَلَنُؤَذِّقَنَّ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة-٢١] ﴿وَلَكِنَّ﴾: استدراكاً فإن الحقيقة أنّ ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: الغالبية منهم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُونَ﴾: هم يجهلون؛ فهم لا يستفيدون، ولا يتعظون مما يصيبهم في الدنيا.

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (٤٨)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿اصْبِرْ لِحُكْمِ﴾: قضاء وقدر ﴿رَبِّكَ﴾: والرب هو المنشئ لك يا محمد ﷺ وهو المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ لكل شيء في الكون من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام وهو ﷻ الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد، فهو ﷻ مالك أمرِك كلّه، يأمر الله ﷻ رسوله الكريم ﷺ أن يصبر على أذى المجرمين، وهو أمرٌ لكلِّ داعيةٍ مسلمٍ، في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، الصبر على أذى الكفّار، وأذى اليهود، والصليبيين، والمنافقين، فهذه إرادته ﷻ ﴿ف﴾: حرفٌ للسبب استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب ﴿إِنَّكَ﴾: أنت بالتأكيد ﴿ب﴾: حرف باء الاستعانة ﴿أَعْيُنِنَا﴾: إنّنا نراك، أنت في حفظنا ورعايتنا، والله ﷻ يعصمك من الناس ﴿وَسَبِّحْ﴾: نزه الله ﷻ عن النواقص ﴿بِحَمْدِ﴾: شكر ﴿رَبِّكَ حِينَ﴾: وقت ﴿تَقُومُ﴾: إلى الصلاة؛ قال ﷺ: عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَسْتَفْتِحُ صَلَاتَهُ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَﷻ جُدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ^(١)، وَعَنْ أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: بِأَخْرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتُ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى، فَقَالَ: كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ^(٢)

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ (٤٩)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحال ﴿مِنَ﴾: حرفٌ جرٍّ يُفيدُ بيانَ وتمييزِ النوعِ ويفيدُ هنا ابتداءَ الغايةِ الزمانيّةِ ﴿اللَّيْلِ﴾: وفي الليل ﴿ف﴾: حرفٌ يفيدُ السببَ والعملَ دونَ تأخيرٍ ﴿سَبِّحْهُ﴾: سبح بحمد ربك، وأذكره ﷻ بالتلاوة والصلاة، جاء بالمعنى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء-٧٩] ﴿و﴾: وأيضًا فسبحه، ونزّهه عن النواقص وقت ﴿إِدْبَارَ﴾: انتهاء ظهور، قبل اختفاء ﴿النُّجُومِ﴾: قال ابن عباس: الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر، عندما تغيب النجوم، ويبدأ الصبح، وقبل ركعتي الفجر.

(١) سنن ابن ماجه ٢٦٤/١ (٨٠٤)، قال الالباني: صحيح.

(٢) سنن أبي داود ٢٢٣/٧ (٤٨٥٩)، قال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ ندرك كيف ندحض شبهات المشركين بالحجج والبراهين، وفي هذه السورة الكريمة نرى الحُجج القديمة الحديثة الدامغة للكفار لئسلموا ويزعنوا.



سُمّيت سورة النجم بهذا الاسم في عهد الصحابة رضوان الله ﷻ عليهم، في المصاحف وكتب التفسير؛ ووجه التسمية بسبب ذكر النجوم فيها، وسُمّيت والنجم إذا هوى، نزلت في مكة المكرمة؛ فهي سورة مكيّة بإجماع المتأولين، وموقعها رقم (٢٣) في عدّ تنزيل سور القرآن الكريم، نزلت بعد سورة الإخلاص، وقبل سورة عبس، وعدد آياتها (٦٢) عند أهل الكوفة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ (١)

﴿و﴾: حرف واو القسم، يُقسم الله ﷻ بالنجم، وبمخلوقاته، ولا يجوز للمخلوقات أن تُقسم بغير الله ﷻ ﴿النَّجْمِ إِذَا﴾: أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿هَوَى﴾: غاب وقرب من الغروب جاء اللفظ القرآني "هوى" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى نزل أي سقط؛ فإذا كان المقصود المخلوقات السماوية فيكون المعنى إذا أفل، وهو لا يستحق العبادة، ولكن والمقصود نجم القرآن إذا نزل به جبريل ﷺ، وقال مجاهد و السدي: الثريا إذا سقطت في الفجر، وقال السدي: الزهرة، وقال الضحاك: إذا رُمي به الشياطين، ومن الملاحظ أنّ هذه أول سورة نزلت فيها السجدة.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ (٢)

﴿مَا﴾: حرف نفي، وهذا جواب القسم ﴿ضَلَّ﴾: تاه وأخطأ، أي ما ضلّ عن الحق، وما أخطأ ﴿صَاحِبُكُمْ﴾: محمد ﷺ ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿غَوَى﴾: ليس بالغاوي؛ الذي ينحرف عن الحق، ويضل عن الهدى، وهذا جواب القسم، نزه به الله ﷻ رسوله الكريم ﷺ عن التشبه باليهود، والنصارى، والضالّين، والذين علموا الحق، وعملوا بغيره.

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ (٣)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿يَنْطِقُ﴾: لا يقول محمدٌ ﷺ أو يتكلم بالقرآن ﴿عَنِ﴾: حرف جرّ يفيد المجاوزة ﴿الْهَوَى﴾: بسبب شخصه أو من منطلق هواه، ورغبته، بل هو أمر الله ﷻ.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (٤)

﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى ما ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، هنا هو القرآن الكريم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿وَحْيٌ يُوحَى﴾: القرآن الذين نزل به جبريل ﷺ، على محمدٍ ﷺ، وعليه تُكذّبون الآية ما هو إلا وحْيٌ يُوحَى أسلوب قصرٍ جاء بطريق النفي والاستثناء، فقصره على أنه يُوحَى إليه من ربّه ﷻ.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (٥)

﴿عَلَّمَهُ﴾: علّم الملك جبريل ﷺ، محمدًا ﷺ ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾: هو جبريل ﷺ.

﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ (٦)

﴿ذُو﴾: صاحب ﴿مِرَّةٍ﴾: قال مجاهد: صاحب قوة، وقال ابن عباس: ذو منظرٍ حسنٍ، وقال قتادة: ذو خلقٍ طويلٍ حسنٍ، وكلّها صحيحة؛ والله أعلم ﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿اسْتَوَى﴾: يعني جبريل ﷺ ظهر لمحمدٍ ﷺ على هيئته كما خلقه الله ﷻ.

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ (٧)

﴿وَهُوَ﴾: جبريل ﷺ ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة والصلة ﴿الْأُفُقِ﴾: هو مبلغ النهاية، هو أفق الشمس عند طلوعها، قال عكرمة: الذي يأتي منه الصبح، وقال مجاهد: مطلع الشمس، عن عائشة رضي الله عنها قالت: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام-١٠٣]، . . . وَلَكِنَّهُ «رَأَى جِبْرِيلَ ﷺ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ»^(١)، ﴿الْأَعْلَى﴾: الأكثر ارتفاعًا.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ (٨)

(١) صحيح البخاري ١٤٠/٦ (٤٨٥٥).

﴿ثُمَّ﴾: يفيد التتابع الزمني مع التراخي ﴿دَنَا﴾: اقترب جبريل من محمد ﷺ ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والتتابع السريع ﴿تَدَلَّى﴾: اقترب أكثر، فبدأ في صورته التي خلقه الله ﷻ عليها، له ستمائة جناح قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ «رَأَى جِبْرِيلَ، لَهُ سِتْمِائَةٌ جَنَاحٍ»^(١).

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (٩)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب استثنائي يهدف لترتيب الأمر ﴿كَانَ﴾: اقترب جبريل ﷺ، من محمد ﷺ ﴿قَابَ﴾: قدر مسافة ﴿قَوْسَيْنِ﴾: مسافة قوسين أو ذراعين إذا مَدَّتْ حَقِيقَةً، وهو الطرف العلوي في الإنسان أو الأمامي في الدواب، وإذا تأملنا في جسم الإنسان؛ نجد أن جفني عينه العلوي والسفلي يشكلان قوسين إذا أغلق الإنسان عينيه لم يستغرق انطباقهما من الزمن إلا قليلا، وكذلك حال شفثيه إذا أطبق فمه. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف يفيد التسوية بين متعاطفين ﴿أَدْنَى﴾: أو أقرب، وليس تقليل المسافة.

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيَّ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ (١٠)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿أَوْحَى﴾: قد يعني أوحى جبريل ﴿إِلَيَّ عَبْدِهِ﴾: إلى محمد ﷺ ﴿مَا﴾: الذي ﴿أَوْحَى﴾: وقد يعني أوحى الله إلى محمد ﷺ ما أوحى بواسطة جبريل ﷺ.

﴿مَا كَذَّبَ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (١١)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كَذَّبَ﴾: ما قال بهتاناً وما كذب ﴿الْفُؤَادُ﴾: لم يُكذِّبْ قلبُ محمد ﷺ وهو مركز الوعي والإدراك، ما شاهدته عيناه، وهي من وسائل المعرفة، ﴿مَا﴾: الذي ﴿رَأَى﴾: ما شاهد.

﴿أَفْتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى﴾ (١٢)

﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الاستنكار والتوبيخ ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿تَمَارُونَهُ﴾: أتجادلونه وتكذبونه أيها المشركون ﴿عَلَى﴾: حرف يفيد هنا المصاحبة ﴿مَا يَرَى﴾: شيء رآه حقاً في ليلة الإسراء والمعراج؟

﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (١٣)

(١) صحيح البخاري ١١٥/٤ (٣٢٣٢).

﴿وَلَقَدْ﴾: حرفٌ يُفيدُ ما حدثَ وتحققَ في الماضي ﴿رَأَاهُ﴾: رأى محمدٌ ﷺ جبريلَ في صورته مرتين ﴿نَزَلَهُ﴾: مرّةً ﴿أُخْرَى﴾: ثانية.

﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ (١٤)

﴿عِنْدَ﴾: ظرفٌ مكانٌ ﴿سِدْرَةَ﴾: شجرةُ السدرة العظيمة جدًّا، في مكانٍ في السماء السابعة ﴿الْمُنْتَهَى﴾: إليه ينتهي ما يعرجُ من الأرض؛ فيقبضُ منها، وإليه ينتهي ما يُهبطُ به فوقها.

﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (١٥)

﴿عِنْدَهَا﴾: عند سدرة المنتهى تنتهي إليها أرواحُ الشهداء حيث ﴿جَنَّةُ﴾: نعيمٌ ﴿الْمَأْوَى﴾: السكن الدائم لأرواحِ الشهداء.

﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ (١٦)

﴿إِذْ﴾: حرفٌ يفيدُ ما تحققَ فيما مضى من الزمن ﴿يَغْشَى﴾: يُغطي ﴿السِّدْرَةَ﴾: حيث جاء من الله ﷻ أمرٌ عظيمٌ، حيث جاءتُها الملائكة كالغربان ﴿مَا﴾: الذي ﴿يَغْشَى﴾: وغشيتها نورُ الله ﷻ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا»، قَالَ: ﴿إِذْ يَغْشَى﴾ [النجم-١٦] السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى، قَالَ: «فَرَأَشُ مِنْ ذَهَبٍ»، قَالَ: فَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا، الْمُقْحَمَاتُ^(١) وقال مجاهد: كان أغصان الدرة لؤلؤًا، وياقوتًا، وزبرجدًا؛ فراه ﷻ ورأى ربّه بقلبه قال ﷻ في حديث الإسراء والمعراج الطويل: ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبَقُهَا مِثْلُ قِلَالٍ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَفُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفَيْلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى^(٢).

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (١٧)

(١) صحيح مسلم ١٥٧/١ (١٧٣).

(٢) صحيح البخاري ٥٢/٥ (٣٨٨٧).

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿زَاغ﴾: لم ينصرف أو ينحرف ﴿النَّبْرُ﴾: عما أراد الله ﷻ لنبية محمد ﷺ
رؤيته ﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال ﴿ما﴾: حرف نفي ﴿طَغَى﴾: ما تجاوز ما أمر به الله
ﷻ، ولا سأل فوق ما أعطي.

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (١٨)

﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث، أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل
﴿رَأَى﴾: شاهد محمد ﷻ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية
المكانية ﴿آيَاتٍ﴾: البيّنات والحُجج ﴿رَبِّهِ﴾: وهو المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ لكل شيء من
حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام، وهو ﷻ الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر،
والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيّدُ، فهو ﷻ مالك أمرنا كلّ
﴿الْكُبْرَى﴾: الدالة على قدرته، وعظمته ﷻ.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ (١٩)

﴿أ﴾: حرف استفهام يفيد الاستنكار ﴿ف﴾: حرف استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب
وسرعة التنفيذ ﴿رَأَيْتُمْ﴾: شاهدتم؛ تقيعاً للمشركين لهذه الأصنام قدرة؛ هل رأيتم؟ ﴿اللَّاتَ﴾: اسمُ
صنمٍ، قال ابن جرير: اشتق اسمها من الله، مدّعين أنها مؤنثةٌ منه ﷻ، وقيل هي صخرةٌ
بيضاءٌ منقوشٌ عليها بيت بالطائف له أستار، وسدنة يُفخرون بها على العرب بعد قريش، وقال
ابن عباس: اللات كان رجلاً يلبثُ السُّويقَ، سويق الحاج، وأصل اللات هو الله؛ فحذفوا منه
الهاء، وأدخلوا التاء فيه، وجعلوه مختصاً بما يُتقرب به إلى الله ﴿و﴾: أيضاً رأيتم ﴿الْعُزَّى﴾:
قال ابن جرير: من العزيز، وكانت شجرةً عليها بناءٌ، وأستارٌ، بين مكّة والطائف، عظمتها
قريش.

التكليف: أمر رسولُ الله ﷺ سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه؛ بهدم هذه الأصنام التي
اشتقّ الكفار لها اسمًا من أسماء الله ﷻ، وجعلوها مؤنثةً. ولما هدمها قال: يا عَزَّ كُفْرانك لا
سبحانك إنّي رأيت الله قد أهانك.

﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ (٢٠)

﴿و﴾: أيضًا هل رأيتم ﴿مِنَاةَ النَّائِثَةِ الْأُخْرَى﴾: فكانت في المشلل بين مكة، والمدينة، وعظمتها الأوس والخزرج في جاهليتهم، ويهللون منها للحج إلى الكعبة.

﴿الْكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ (٢١)

﴿أ﴾: حرف استفهامٍ بغرض الاستنكار والتوبيخ أتدعون أن ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا، تختارون لأنفسكم الولد ﴿الذَّكَرُ﴾: الذي تحبون، ﴿وَلَهُ﴾: وتختارون لله ﷻ ﴿الْأُنثَى﴾: التي تكرهون؟ وهذا ما تُمليه عليهم عقيدتهم الفاسدة إلى يومنا هذا.

﴿تَلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ (٢٢)

﴿تَلْكَ﴾: اسم إشارة للبعيد المفرد المؤنث، المقصود هذه القسمة التي قسمتموها ﴿إِذَا﴾: حرف جواب وجزاء، هذه ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾: قسمةٌ جائزة، عوجاء، غير عادلة، وباطلة، ولو كانت بينكم ما رضيتم بها؛ لأنها جورٌ وسفه.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ (٢٣)

﴿إِنْ هِيَ﴾: ما هذه الأصنام ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا﴾: ابتدعتها، لا معنى لها في حقيقة الألوهية بل جاءت بمقتضى أهوائهم الباطلة، ﴿أَنْتُمْ وَ﴾: أيضًا ابتدعتها ﴿أَبَاؤُكُمْ﴾: من تلقاء أنفسكم ﴿مَا﴾: حرف نفي أن الله ﷻ ﴿أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ﴾: بعض، حرف يفيد بداية الغاية ﴿سُلْطَانٍ﴾: ليس لها أي برهان، أو مستند من الله ﷻ، بل هي ما توارثتموه عن آبائكم ﴿إِنْ﴾: حرف بمعنى ما النافية ﴿يَتَّبِعُونَ﴾: يطيعون ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿الظَّنَّ﴾: التقدير المبني على التخمين، وليس على الحقيقة، وهذا باطلٌ ﴿وَمَا﴾: بمعنى الذي ﴿تَهْوَى﴾: ترغب وتريد وتميل ﴿الْأَنْفُسُ﴾: المنحرفة عن الفطرة السليمة ﴿وَلَقَدْ﴾: حرف يفيد حدث في الماضي ﴿جَاءَهُمْ﴾: وصلهم ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الكلية ﴿رَبِّهِمْ﴾: فهو مالك أمرهم كله، فجاء على لسان رُسل الله ﷻ ما فيه وهو ﴿الهُدَى﴾: لم يهتدوا رغم أنه جاءهم الرسل بالحق المنير، والحُجَّة البالغة، فأبوا وعصوا، ولم يطيعوا.

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ (٢٤)

﴿أَمْ﴾: هل ﴿ل﴾: حرف تمليك: حرف تمليك ﴿الْإِنْسَانِ﴾: ابن آدم هل تعتقدون أنّ لكلّ إنسانٍ ﴿مَا﴾: الذي ﴿تَمَنَّى﴾: تمنّاه من خيرٍ حصل عليه، ومنها شفاعاة هذه الأصنام.

﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ (٢٥)

﴿ف﴾: حرف استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿لِلَّهِ﴾: إنّما الأمرُ كلّهُ، تخصيصًا وتمليكًَا، لله ﷻ وأيضًا ﴿الْآخِرَةُ﴾: القيامة التي يهب فيها من فضله من يشاء، وهو ﷻ مالك ﴿الْأُولَى﴾: الدنيا وما فيها، يُعطي من يشاء، ويمنع عمّن يشاء؛ لحكمة يعلمها ﷻ.

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (٢٦)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿كَمْ﴾: تُفيدُ الكثرة ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ﴾: وكثيرٌ من الملائكة في السماء ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تُغْنِي﴾: لا تُفلح ولا تُثمر ولا تنفع ﴿شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾: وساطتُهم ولا تُقبلُ شفاعتُهم إذا أرادوا أن يشفعوا لأحدٍ ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز النوع يفيد هنا بداية الغاية الزمانية ﴿بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾: لا تنفع شفاعتُهم إلّا إذا قبلها الله ﷻ ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَشَاءُ﴾: لمن أراد قبولها ﴿وَيَرْضَى﴾: عنهم، فكيف تعبدون حجارة، وتتخذونها شفعاء؟.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ (٢٧)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿ب﴾: لا يصدقون بالحياة ﴿الْآخِرَةِ﴾: بيوم القيامة يوم البعث ﴿ل﴾: حرف علّة وسببٍ ﴿يُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ﴾: يعتقدون أنّهم بنات الله ﷻ، ويسمونها ﴿تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾: سمّى المشركون الملائكة بأسماء الإناث اعتقادًا أنّهم بناتُ الله ﷻ، تقدّس الله ﷻ عن قولهم علواً كبيراً.

﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (٢٨)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿بِهِ﴾: بقولهم ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ﴿عِلْمٍ﴾: ليس عندهم علمٌ، أو قرينةٌ، تُثبت ادعاءاتهم، بل هم يكذبون، ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ﴾: لا

ينقادون ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾: إنما هو الظنُّ الذي هو أكذب الحديث ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكِّ والإنكار ﴿الظَّنَّ﴾: الذي هو الشكُّ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُعْنِي﴾: لا يُجزئ ولا يجدي ﴿مِنَ الحَقِّ﴾: الصدق ﴿شَيْئاً﴾: أي جزء، ولا يقوم أبداً مقام الحق.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٢٩)

﴿ف﴾: حرف استثنائيٍّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿أَعْرِضْ﴾: اهجر وابتعد ﴿عَنْ﴾: حرف جرٍّ يُفيد المجاوزة ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿تَوَلَّى﴾: الذي أدبر عن الحق ﴿عَنْ ذِكْرِنَا﴾: لم يذكر الله ﷻ، ولقد نسختها الآية رقم (٥) من سورة التوبة ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يُرِدْ﴾: يرغب ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: إنَّ مبلغ غايته مُتَع الدُّنْيَا، بلا غاية في الآخرة.

﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى﴾ (٣٠)

﴿ذَلِكَ﴾: هذا الإعراض، وهذه الصفات ﴿مَبْلَغُهُمْ﴾: أقصى ما وصلوا إليه ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية ﴿الْعِلْمِ﴾: المعرفة ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكِّ والإنكار ﴿رَبَّكَ﴾: فهو ﷻ مالك أمرنا كلِّه المتصرف فيك كيف يشاء ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، هنا هو ﷻ ﴿أَعْلَمُ﴾: صاحب العلم المطلق، أعلم منك ومن المشركين أنفسهم ﴿بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿ضَلَّ﴾: انحرف وتاه ﴿عَنْ﴾: حرف جرٍّ يُفيد المجاوزة، أي البعد والانفصال ﴿سَبِيلِهِ﴾: الذي تاه وابتعد عن طريقه تعالى، طريق الإيمان ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿هُوَ﴾: الله ﷻ ﴿أَعْلَمُ﴾: صاحب العلم الشامل الذي قدره في اللوح المحفوظ ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿مَنْ﴾: حرف جرٍّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية ﴿اهْتَدَى﴾: تُبين الآيات السابقة درجة سفاهة المشركين وتدني علمهم.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾

﴿بِالْحُسْنَى﴾ (٣١)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿لله ما﴾: الذي ﴿في السماوات﴾: ملك كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها ببيضاوية الشكل ﴿وما﴾: أيضاً الذي ﴿في الأرض﴾: يُخبر الله ﷻ أنه مالك السماوات ومالك الأرض، الحاكم في ملكه، الغني عن خلقه ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿يجزي﴾: يكافئ ﴿الذين﴾: اسم موصول يفيد هنا جميع من ﴿أساءوا﴾: سببوا الشر والضرر ﴿بما﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿عملوا﴾: سيعاقب الذين أسأوا العمل بتعاليم الله ﷻ من المشركين والمنافقين والكافرين ﴿ويجزي﴾: يكافئ ﴿الذين أحسنوا ب﴾: حرف باء السببية ﴿الحسنى﴾: جاء اللفظ القرآني "الحسنى" على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى الجنة كما في قوله ﷻ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس- ٢٦]، وفي قوله ﷻ ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء- ١٠١].

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (٣٢)

﴿الذين﴾: اسم موصول، يفيد هنا جميع من ﴿يجتنبون﴾: يبتعدون عن ﴿كبائر﴾: قبائح ﴿الإثم﴾: هو الذنب والعمل الذي لا يحل؛ الذي يستحق العقوبة عليه، هي المعاصي التي أوجب الله ﷻ فيها حداً ﴿و﴾: أيضاً يجتنبون ﴿الفواحش﴾: وهي ما عظم فُبحه من الكبائر ﴿إلا﴾: حرف استثناء منقطع ﴿اللمم﴾: هي صغائر الذنوب، ومُحقرات الأعمال، عن ابن عباس، قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة، عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّانَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَرَزْنَا الْعَيْنَ النَّظْرُ، وَرَزْنَا اللِّسَانَ الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَعَىٰ وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيَكْذِبُهُ^(١)، وقال أبو هريرة: اللمم: أي القُبلة، والغمزة، والنظرة، والمباشرة؛ فإذا مس الختان فقد وجب الغسل؛ وهو الزنا، وقال ابن عباس: اللمم ما سبق، وما سلف، وقال مجاهد: الذي يعمل الذنب ثم يدعه، وقال الحسن: اللمم من السرقة، أو الزنا، أو شرب الخمر، ثم لا يعود، وقال ابن عباس، والسدى: الزنا ثم يتوب ﴿إن﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿ربك﴾: المالك لأمرك كله ﴿واسع المغفرة﴾: مغفرته تسع الذنوب

(١) صحيح البخاري ٥٤/٨ (٦٢٤٣).

كلها، لمن تاب منها، جاء في المعنى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر-٥٣] ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، هنا هو ﷺ ﴿أَعْلَمُ﴾: صاحب العلم المطلق ﴿بِكُمْ﴾: بصيرٌ بكم، عليّ بأحوالكم، وأعمالكم ﴿إِنْ﴾: حرفٌ يُفيد التحقّق فيما مضى من الزمن بهدف التوكيد ﴿أَنْشَأَكُمْ﴾: كوّنكم أول مرة ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿الْأَرْضِ﴾: يوم خلق آدم ﷺ ﴿وَإِنْ﴾: حرف يفيد ما حدث في الماضي من الزمن ﴿أَنْتُمْ﴾: كنتم ﴿أَجْنَةً فِي بُطُونِ﴾: في أرحام ﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾: من النطفة، والعلقة، والمضغة. انظر تفسير [النحل-٤] ﴿فَلَا﴾: حرفٌ تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل ﴿تَزَكُّوا﴾: لا تمدحوا أو تشكروا ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾: جوهركم، وتفضلوا بأعمالكم ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾: صاحب العلم المطلق ﴿بِمَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿اتَّقَى﴾: إتّه ﷺ يعلم الذين آمنوا يقيناً؛ طمعاً في جنّته، وخوفاً من عذابه، لم يقل ﷺ بالأتقى ليفيد عموم حصول مطلق التقوى.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ (٣٣)

﴿أ﴾: حرف استفهام ﴿فَرَأَيْتَ﴾: هل شاهدت وعلمت درجة قبح ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالفرد المذكر ﴿تَوَلَّى﴾: ترك، ابتعد، ورفض طاعة الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ.

﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ (٣٤)

﴿و﴾: أيضاً ﴿أَعْطَى﴾: عمل وأطاع ﴿قَلِيلًا﴾: قال ابن عباس: قليلاً ثم قطع، وقيل امتنع عن تمام العمل ﴿وَأَكْدَى﴾: قطع عطاءه بخلاً، أو ترك العمل، وقال تعبنا.

﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ (٣٥)

﴿أ﴾: حرف استفهامٍ بغرض الإنكار والتوبيخ ﴿عِنْدَهُ﴾: حرف زمانٍ وحرف مكانٍ، هل يملك ﴿عِلْمُ الْغَيْبِ﴾: هل يعرف هذا المخلوق أنّ الرزق سينقطع؛ فيمسك عن الإنفاق ﴿ف﴾: حرف استثنائيّ؛ بهدف ترتيب الأمر؛ ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿هُوَ يَرَى﴾: كأنه يراه حقيقة.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ (٣٦)

﴿أَمْ﴾: هل ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يُنَبِّأُ﴾: ألم يصله خبر وعلم ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي جاء ﴿فِي ضُحْفٍ﴾: ما نزل على ﴿مُوسَى﴾: ﷺ في التوراة، وعشر صحفٍ كانت لإبراهيم ﷺ.

﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (٣٧)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال؛ ألم يعلم بما نزل على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: أبا الأنبياء ﷺ ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول بالمفرد المذكر ﴿وَفَّى﴾: قيل: بلغ جميع ما أمر به، وقيل طاعة الله ﷻ، وتبليغ رسالة ربّه، وانتهاءً عن النواهي، وقيل وفّى عمل يومه بأربع ركعات أول النهار، وقيل القول: قول إبراهيم ﷺ: فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ سَبَّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّهَا فِي ضُحْفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى»، فَلَمَّا نَزَلَتْ: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ قَبِلَعٌ: ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم-٣٧] ثَقَلَهُ وَقَالَ: وَفَى ﴿أَلَّا تَزُرُ وَازِرَةً وَزُرَّ أُخْرَى﴾ [النجم-٣٨] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ [النجم-٥٦]^(١).

﴿أَلَّا تَزُرُ وَازِرَةً وَزُرَّ أُخْرَى﴾ (٣٨)

﴿أَلَّا﴾: حرف تنبيه ونهي ﴿تَزُرُ﴾: تأثم ﴿وَازِرَةً﴾: لا تحمل نفس أثمة ﴿وَزُرَّ﴾: ذنب نفسٍ ﴿أُخْرَى﴾: كل نفس أجمرت عليها وزرؤها؛ لا يحملها عنها أحدٌ حتى من الأقارب.

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (٣٩)

﴿و﴾: أيضًا ﴿أَنْ﴾: حرف، تأكيد، ونفي الإنكار والشك ﴿لَيْسَ﴾: فعل يفيد النفي ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿الْإِنْسَانِ﴾: ابن آدم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مَا﴾: الذي ﴿سَعَى﴾: ما عمل، فكما أنه لا يحمل إنسانٌ وزر غيره؛ فإنه لا يكسب من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه. التكليف: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ^(٢).

﴿وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى﴾ (٤٠)

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٢/٢٥٨ (٢٩٣٠). وقال: حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِنْسَانِ، وَلَمْ يُخْرَجَاهُ. ووافقهُ الذهبي.

(٢) سنن الترمذی ٦٥٢/٣ (١٣٧٦) وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

﴿و﴾: أيضًا ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿سَعْيَةٍ﴾: عمله في الحياة الدنيا
﴿سَوْفَ﴾: تقييد وعدًا في المستقبل ﴿يُرَى﴾: يوم القيامة فسيراها الله ﷻ، وسيراها الآخرون عيانًا.

﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ (٤١)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني غير السريع مع التراخي ﴿يُجْزَاهُ﴾: يجزيكم، يعطيكم الله ﷻ
عليه ﴿الْجَزَاءَ﴾: الثواب ﴿الْأَوْفَى﴾: أتم الجزاء والأوفر؛ الأكثر إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ (٤٢)

﴿وَأَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: جاء استعمال لفظ الرب هنا تغليبًا لجانب
الرحمة والإحسان؛ فهو بذلك مالك أمرك كله يا محمد ﷺ ﴿الْمُنْتَهَى﴾: رجعة العباد، من الموت
إلى البعث، يوم القيامة، حيث الحساب، والثواب والعقاب.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (٤٣)

﴿وَأَنَّهُ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا
للغائب المفرد المذكر، هو الله ﷻ أفرح ﴿أَضْحَكَ﴾: الذي خلق وسبب السرور، ومن علاماته
الضحك ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال؛ هو ﷻ الذي ﴿أَبْكَى﴾: والبكاء هو سيلان الدمع من
العيون بسبب الحزن، الذي من علاماته البكاء، وقد يكون هذا في الآخرة أيضًا، والله ﷻ أعلم.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ (٤٤)

﴿وَأَنَّهُ﴾: حرف تأكيد ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، إن
الله ﷻ ﴿أَمَاتَ﴾: قدر الموت؛ فأمات الأحياء في الحياة الدنيا ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال
أيضًا قدر ف ﴿أَحْيَا﴾: الموتى بالبعث في الآخرة.

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الذُّوَجِينَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (٤٥)

﴿وَأَنَّهُ﴾: حرف تأكيد، ونفي الإنكار والشك ﴿هُوَ خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق مثال
﴿الذُّوَجِينَ﴾: الجنسين، الصنفين من كلِّ خلقٍ ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾: في الإنسان والحيوان، وحتى
الأيون الموجب والأيون السالب، في داخل الذرة.

﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ (٤٦)

﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿نُطْفَةٍ﴾: هي الخلية الأولى، الحيوان المنوي في الذكر، والبويضة في الأنثى ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿ثَمْنَى﴾: وهي الحيوان المنوي الذي يتكون في الخصية في الرجل، ومن المرأة تخرج البويضة، التي تتكون في المبيض، وتسير في قناة "قالبوب"، ومنه إلى الرحم، وقد قابلت الحيوان المنوي في طريقها بقدر الله ﷻ، ثم تنمو بسرعة لتكون (نطفة)، ثم تعلق بجدار الرحم، فتكون (علقة)، ثم تنمو فتكون (مضغة)، ثم يكتمل نموها لتكون طفلاً.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾ (٤٧)

﴿و﴾: أيضاً ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿عَلَيْهِ﴾: كتب الله ﷻ على نفسه خلق ﴿النَّشْأَةَ﴾: الخلقة ﴿الْأُخْرَى﴾: يوم القيامة، يوم قيام الخلق من القبور الأجداث.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَى وَأَقْنَى﴾ (٤٨)

﴿وَأَنَّهُ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، هنا هو الله ﷻ ﴿أَعْنَى﴾: قيل أفقر، وقيل أعطى من عباده المال، وجعله غنياً ﴿وَأَقْنَى﴾: ما يُقتني، وهو المال الزائد عن الحاجة من قنية؛ يكون المال عندهم زائداً، لا ينفقونه من تمام النعمة، وقال مجاهد: مؤل، وقال ابن عباس: أعطى.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ (٤٩)

﴿وَأَنَّهُ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار ﴿هُوَ رَبُّ﴾: مالك أمر الكون كله، ومنه ﴿الشَّعْرَى﴾: قال ابن عباس: كوكبٌ مُضيءٌ يقال لهم مرزم الجوزاء عبده طائفةٌ من العرب.

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ (٥٠)

﴿وَأَنَّهُ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار إنَّ الله ﷻ ﴿أَهْلَكَ﴾: أباد وأفنى ﴿عَادًا الْأُولَى﴾: جاء نكر الأولى لأنها كانت قبل ثمود، وهي أول أمةٍ أهلكت بعد نوح ﷺ، هم قوم هود ﷺ، وعاد هو ابن آدم؛ كانوا من أشدِّ النَّاسِ وأقواهم، وأكثرهم جرأة على الله ﷻ؛ جاء في المعنى: ﴿فَأَهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة-٦].

﴿وَتَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾ (٥١)

﴿و﴾: أيضًا ﴿تَمُودَ﴾: وأهلك الله ﷺ ثمود قوم صالح عليه السلام ﴿فَمَا﴾: حرف عطف يفيد خبرًا
﴿أَبْقَى﴾: أخذهم جميعًا؛ فلم يُبقِ منهم أحدًا.

﴿وَقَوْمِ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ (٥٢)

﴿وَقَوْمِ نُوحٍ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلُ﴾: كانوا قبل هذه الأقسام ﴿إِنَّهُمْ﴾: بالتأكيد
﴿كَانُوا هُمْ﴾: تحديدًا ﴿أَظْلَمَ﴾: أشدُّ ظلمًا، وتمردًا من الذين جاؤوا بعدهم ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال، أيضًا كانوا ﴿أَطْغَى﴾: وأشدُّ طغيانًا، فقد مكث نوح عليه السلام فيهم تسعمائة وخمسين سنة، يدعوهم؛ لتوحيد الله ﷻ، ولم يستجيبوا.

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ (٥٣)

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾: قرى قوم لوط عليه السلام ﴿أَهْوَى﴾: بمعنى نزل؛ جعل عاليها سافلها، فهوت على الأرض حطامًا، بعد أن رفعها عن الأرض.

﴿فَغَشَّاهَا مَا عَشَى﴾ (٥٤)

﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿غَشَّاهَا﴾: غطاها، وأرسل عليها ﴿مَا﴾: جميع الأمم التي المذكورة فغشاها أنواعًا من العذاب للتعظيم والتهويل
﴿عَشَى﴾: غطى، تنزلت عليها الحجارة المرسله إليهم فغطتها، ولبستها من فوقها.

﴿فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ (٥٥)

﴿فَبِأَيِّ﴾: حرف استفسارٍ عن أي واحدةٍ ﴿آيَةٍ﴾: نعم وفضل الله ﷻ، ومنها أدلة قدرة ﴿رَبِّكَ﴾: الخطاب هنا موجة للإنسان المتشكك المكذب؛ لله تعالى المالك لأمرك كله ﴿تَتَمَارَى﴾: تتشكك، وتجادل، وتنكر.

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ (٥٦)

﴿هَذَا﴾: حرف إشارةٍ وتنبيةٍ ﴿نَذِيرٌ﴾: إنَّ محمدًا ﷺ هو رسول لي، وإلى البشر ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿النَّذْرِ الْأُولَى﴾: من جنس الرسل المنذرين، السابقين، الأوائل.

﴿أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ﴾ (٥٧)

﴿أَزِفَتِ﴾: اقتربت؛ أي دنت القيامة ﴿الْأَرْفَةُ﴾: القريبة، والمقصود يوم القيامة.

﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ (٥٨)

﴿لَيْسَ﴾: فعلٌ يفيد النفي ﴿لَهَا﴾: تخصيصًا للقيامة ﴿مِنْ دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهِ﴾: لا يوجد أحدٌ غير الله ﷻ ﴿كَاشِفَةٌ﴾: لا تُكشف أهوالها وشدائدها، حتى تفاجأ الخلق بها وويلٌ يومئذٍ للمتشككين المكذابين؛ لا يدفعها، ولا يمنعها، ولا يطلع عليها أحدٌ إلا الله ﷻ.

﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ (٥٩)

﴿أ﴾: حرفٌ يفيد الاستفهام إنكاري بغرض التوبيخ للمشركين والمكذابين ﴿فَمِنْ﴾: حرف استفهامٍ استثنائيٍّ عن العاقل بمعنى هل يستوي ﴿هَذَا﴾: حرفُ إشارةٍ وتبئيه ﴿الْحَدِيثِ﴾: هو كلام الله ﷻ، هو القرآن الكريم، هل أنتم من التحذير، والتخويف ﴿تَعْجَبُونَ﴾: تستبعدون وقوعه، وتعجبون كيف سيكون؟

﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَتَّبِعُونَ﴾ (٦٠)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال؛ بعد تقديم التعجب جاء التوبيخ على ﴿تَضْحَكُونَ﴾: أيها الكفار استهزاءً، وسخريةً، من الرسول ﷺ وهو يحذركم من هذا المشهد العظيم ﴿وَلَا﴾: حرف نفي، بمعنى أيضًا لا ﴿تَتَّبِعُونَ﴾: رغم يقين المؤمن فإنه يبكي، وأنتم لا تتبعون وأنتم العصاة.

﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ (٦١)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿أَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾: لاهون منشغلون، قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة: مُعْرِضُونَ، وقال الحسن: غافلون، وقال ابن عباس، والسدي: تستكبرون. وهي بلغة حَمِيرٍ تعني الغناء، فتقول لأحدهم: أَسْمَدٌ لَنَا؛ أي غَتَّى لَنَا.

التكليف: من صفات الذين جاء نكرهم في هذه السورة أنهم كانوا يُحبون الغناء، ولا يكثرثون بما يسمعون من القرآن، وهو حال معظم الشعوب العربية والإسلامية اليوم.

﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ (٦٢)

﴿ف﴾: حرف استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿اسْجُدُوا﴾: اخضعوا وأخلصوا ﴿لِلَّهِ﴾: ووحداً لله ﷻ ﴿وَاعْبُدُوا﴾: وأطيعوا بوعيٍ ويقينٍ وإدراكٍ.
التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ ندرك صدق العقيدة وصدق الوحي وموقف المجرمين منهما، وأساليبيهم في الإعراض عنها.



سُمّيت سورة القمر بهذا الاسم في كتب التفسير، وسُمّيت أيضاً سورة اقتربت الساعة، وهي سورة مكيّة كلّها عند الجمهور، وترتيبها (٣٧) في عدّ تنزيل سور القرآن الكريم، نزلت بعد سورة الطارق، وقبل سورة ص، وعدد آياتها (٥٥) باتفاق أهل العدّ.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (١)

﴿اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾: دنت القيامة، عن سهلِ بنِ سعدِ السَّاعِدِيِّ، صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ، أَوْ: كَهَاتَيْنِ وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى (١)
﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيدُ الحالَ ﴿أَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾: صار القمر نصفين شقين في عهد الرسول ﷺ، رَأَى جَبَلَ حِرَاءَ بَيْنَهُمَا، وَهَذِهِ مِنَ الْآيَاتِ الْحَسِيَّةِ الَّتِي تُدْرِكُ بِالْحَوَاسِ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: أَنْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةٌ فَوْقَ الْجَبَلِ، وَفِرْقَةٌ دُونَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اشْهَدُوا (٢).

﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ (٢)

﴿وَإِنْ﴾: حرف شرطٍ ﴿يَرَوْا﴾: طلب أهل مكة النبي ﷺ يُشَاهِدُوا بِأَعْيُنِهِمْ ﴿آيَةً﴾: دليلاً أو برهاناً مثل انشقاق القمر، وهي من المعجزات الدالة على قدرة الله ﷻ؛ فأراهم الله ﷻ هذا ومع هذا ﴿يُعْرِضُوا﴾: يبتعدوا، ولا ينفقوا للحق ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿يَقُولُوا﴾: يبررون إعراضهم

(١) صحيح البخاري ٥٣/٧ (٥٣٠١).

(٢) صحيح البخاري ١٤٢/٦ (٤٨٦٤).

بأنه ﴿سَخِرَ﴾: قام به محمد ﷺ ﴿مُسْتَقِرٌّ﴾: دائم لا ينقطع، أو قوي شديد، ومنهم من رآه أي ذاهب، وباطل، ولا يدوم.

التكليف: الهدف من الآية هو النهي عن الإعراض ودم من يوصف به، وتحييده تمامًا.

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ (٣)

﴿وَكَذَّبُوا﴾: بما جاء به محمد ﷺ من الآيات والبراهين، جاءت بصيغة الماضي ليفيد الثبات على التكذيب وأيضًا ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾: اتبعوا أفكارهم، ورغباتهم بجهلهم، وخفة عقلهم ﴿وَكُلُّ﴾: تفيد العموم ﴿أَمْرٍ﴾: جاء بصيغة النكرة ليؤكد الكل من خير ومن شرٍ ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾: منته إلى غاية يستقر عليها، وقال قتادة: الخير واقع بأهل الخير، والشر واقع بأهل الشر، وقال ابن جريج: مستقر بأهله، وقال مجاهد: يوم القيامة، وقال السدي: واقع. التكليف: ومن أمراض الشرك: اتباع الهوى، ورغبات النفس التي هي من أخطر الأمراض.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ (٤)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق واستئنافاً ﴿ل﴾: حرف لام القسم ﴿قَدْ﴾: حرف جزم دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد ﴿جَاءَهُمْ﴾: وصلت إلى قريش أنباء الأمم التي كذبت برسالتها ﴿مِّن﴾: حرف جر يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿الْأَنْبَاءِ﴾: الإخبار عن قصص المكذبين الأوائل، وكيف حلّ بهم العذاب ﴿مَا﴾: الذي ﴿فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾: بما حلّ من العذاب ما فيه كفاية لوعظهم وردعهم عن كفرهم.

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ﴾ (٥)

﴿حِكْمَةٌ﴾: موعظة صادقة ﴿بَالِغَةٌ﴾: كافية لإقامة الحجّة عليهم، وتأكيذاً لضلال من أضله الله ﷻ ﴿فَمَا﴾: حرف عطف يفيد الخبر وهو هنا النفي ﴿تُغْنِ﴾: تكفي لردعهم ﴿النَّذْرُ﴾: ما يُحذّر وينذرُ الرُّسل أو الأمور المُرعبة، كيف ستغني هذه الإشارات النذر الذي كتب الله ﷻ عليه الشقاوة؛ من يهديه بعده؟

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكَرٍ﴾ (٦)

﴿ف﴾: لهذا السبب، ودون تأخير ﴿تَوَلَّ﴾ توجيه ربّانيّ لمحمد ﷺ أن يبتعد ﴿عَنْهُمْ﴾: عن هؤلاء، ويتركهم لمصيرهم ﴿يَوْمَ﴾: القيامة ﴿يَدْعُ الدَّاعِ﴾: يقوم الملك إسرئيل عليه السلام، الموكل بالنفخ في الصور ﴿إِلَى شَيْءٍ﴾: أمر ﴿نُكِّرِ﴾: مُنكِرُ يوم القيامة، شيءٍ فظيعٍ لما فيه من أهوالها.

﴿خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ (٧)

﴿خُشَعًا﴾: ذليلةٌ خاشعةٌ ﴿أَبْصَارُهُمْ﴾: عيونهم؛ خوفًا دلالةً على ذلّة الجسم كلّهُ ﴿يَخْرُجُونَ﴾: يُغادرون ﴿مِنَ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿الْأَجْدَاثِ﴾: يوم الخروج من القبور ﴿كَأَنَّهُمْ﴾: حرف يفيد التشبيه ﴿جَرَادٌ﴾: حشرات الجراد المعروفة بكثرة أعدادها ﴿مُنْتَشِرٌ﴾: أعدادهم كبيرةٌ جدًّا؛ يتزاحمون في غير ترتيب، سيكونون كالجراد الذي في الجو إجابة للداعي.

﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسِيرٍ﴾ (٨)

﴿مُهْطِعِينَ﴾: مُسرعين ﴿إِلَى الدَّاعِ﴾: استجابة للداعي لهذا الموقف العظيم ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ﴾: ينسب الحقُّ ﷻ إليهم قولهم؛ هم الذين أنكروا حقيقة الإيمان بالله ﷻ وبالإسلام وأركانها. ﴿هَذَا﴾: القيام ﴿يَوْمَ عَسِيرٍ﴾: يومٌ صعبٌ شديد الهول، جاء في المعنى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمًا عَسِيرٌ﴾ [المدثر-٩].

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ (٩)

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: أممٌ قبل أمّتك يا محمد ﷺ كذبوا ﴿قَوْمٌ﴾: جماعةٌ كبيرةٌ من أصلٍ واحدٍ ﴿نُوحٍ﴾: هو أوّل رسولٍ بعد خلق آدم عليه السلام بألف عام ﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿كَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا﴾: كذبوا نوحًا، وافتروا القول عليه أنّه بالدليل العقلي فقالوا ﴿مَجْنُونٌ﴾: واتهموه بالجنون ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال ﴿ازْدُجِرَ﴾: قال ابن زيد: زجروه، ونهروه، وتوعده؛ وهذا الأقرب؛ والله أعلم، وقال مجاهد: بمعنى استطار جنونًا.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ (١٠)

﴿ف﴾: حرف استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿دَعَا﴾: لجأ بالدعاء إلى ﴿رَبِّهِ﴾: فهو ﷻ مالك أمرنا كلّ المتصرف فيك كيف يشاء؛ وقال ﴿أَنِي﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿مَغْلُوبٌ﴾: ضعيفٌ أمام هذا الجمع الكافر ﴿فَأَنْتَصِرُ﴾: فانصر دينك يا الله بعقابٍ يصيبهم.

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ (١١)

﴿ف﴾: حرف استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿فَتَحْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع، أسلوبُ المُعْظَمِ نفسه، وهو واحدٌ أحدٌ ﷻ؛ لتفيد أهمية الفعل، فتدفق الماء من ﴿أَبْوَابِ السَّمَاءِ﴾: فتحت السماء أبوابها؛ دلالةً على سعة، وكثرة ما نزل من السماء ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿مَاءٍ﴾: المطر ﴿مُنْهَمِرٍ﴾: ماءٍ غزيرٍ.

﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ (١٢)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿فَجَّرْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع؛ لتفيد بكثرة وتدقيق ﴿الْأَرْضَ عُيُونًا﴾: جميعها، وخرج الماء الغزير من العيون؛ حتى البراكين خرج منها الماء ﴿ف﴾: حرف استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿الْتَقَى الْمَاءُ﴾: الغزير من السماء مع الماء الغزير من الأرض ﴿عَلَى أَمْرٍ﴾: على قدرِ الله ﷻ ﴿قَدْ قُدِرَ﴾: حرف جرّ أفاد التأكيد لأنه دخل هنا على الفعل الماضي ﴿قُدِرَ﴾: ليُحَقِّقَ أمرًا مُقَدَّرًا عنده جلّ في علاه.

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَابٍ دُوسِرٍ﴾ (١٣)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال؛ عطفًا على ما سبق ﴿حَمَلْنَاهُ﴾: حملنا نوحًا ﷺ ومن معه في السفينة، ﴿عَلَى ذَاتِ﴾: ومن صفاتها أنّها مكوّنة من ﴿الْوَابِ﴾: هي الأخشاب التي تُكوّن السفينة ﴿و﴾: أيضًا ذات ﴿دُوسِرٍ﴾: جمع دسار، قال ابن عباس: هي المسامير، وهذا هو الأقرب، وقال مجاهد: أضلاع السفينة، وقال عكرمة، والحسن: صدر السفينة التي يضرب به الموج، وقال الضحّاك: طرفاها وأصلها، وكل ذلك صحيح؛ والله أعلم.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرَ﴾ (١٤)

﴿تَجْرِي﴾: السفينة فوق الماء ﴿بِ﴾: حرف باء الاستعانة ﴿أَعَيْنَا﴾: بأمرنا، بمرأى منّا، تحت حفظنا، ورعايتنا ﴿جَزَاءً﴾: عقاباً وهو غرق القوم ﴿ل﴾: حرف تحديد وتخصيص ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿كَانَ﴾: سابقاً ﴿كُفِرَ﴾: للذين كفروا بالله ﷻ.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (١٥)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي؛ لأنها سبقت فعلاً ماضياً ﴿تَرَكْنَاهَا﴾: ترك الله ﷻ العقاب الذي أصابهم عبرةً وعظةً، وقيل أبقى الله ﷻ سفينة نوح حتى أدركتها أول أمة المسلمين ﴿آيَةً﴾: دليلاً وبرهاناً ﴿فَهَلْ﴾: حرف استفهام، أفاد معنى الأمر، أي اذكروا الله ﷻ ولا يكون هذا إلا للكافر؛ ولذلك لم يأت الأمر بأحد صيغه الأربعة؛ لأن الاستفهام حينما يخرج لإفادة الأمر يحمل معنى آخر معه، وهو الإنكار والتوبيخ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿مُدَكِّرٍ﴾: مُتَعَدِّ، مُتَدَبِّرٍ.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ (١٦)

﴿فَ﴾: حرف يفيد الاستئناف ﴿كَيْفَ﴾: حرف استفهام يفيد التعجب والإنكار ﴿كَانَ﴾: فيما مضى وجاء ذكره ﴿عَذَابِي﴾: تذكيراً بشدة العذاب على الكافرين المكذبين، يسأل ﷻ، وهو يعلم، ليقول: كان العقاب شديداً ﴿وَنُذْرٍ﴾: وأيضاً كيف صدق تحقق إنذاري لهم.

﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (١٧)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾: جعلنا لفظه سهلاً، ويسرنا فهمه، وإدراك معناه لمن أراد، قال مجاهد: هوّنّا قراءته، وقال السدي: يسرنا تلاوته ﴿فَهَلْ﴾: حرف يفيد الأمر ﴿مِنْ مُدَكِّرٍ﴾: هل يوجد من يتذكر هذا القرآن الذي يسر الله ﷻ حفظه، وفهمه، وإدراك معناه، هل من طالب علم؛ فأعينه عليه.

التكليف: جاء هجر الذكر في القرآن الكريم على صورٍ عدّة، هذه الآية تُعالج هجر الحفظ، فهي تسهيل وتيسير من الله ﷻ للحفظ لمن أراد.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ (١٨)

﴿كَذَّبَتْ﴾: أنكرت ﴿عَادٌ﴾: قوم هود عليه السلام كذبوا، وأنكروا رسولهم عليه السلام ﴿ف﴾: حرف استثنائي يهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿كَيْفَ﴾: سؤال استفهام، تأملوا وبحثوا ﴿كَانَ﴾: فيما مضى ﴿عَذَابِي﴾: فأخذهم عذابُ الله عليه السلام الشديد ﴿و﴾: حرف عطف يُفيد هنا كيف كان الحال ﴿نُذِرَ﴾: وتحقق فيهم ما خوَّفناهم منه، ريحًا عتيةً كالصواعق، والدوامات الهوائية.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ (١٩)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله عليه السلام بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحد؛ للتعظيم والتوكيد ﴿أَرْسَلْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع، وهو واحدٌ أحد، بعثنا بشدةٍ ﴿عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾: عاتيةً كالصواعق، والدوامات الهوائية ﴿صَرْصَرًا﴾: شديدة البرودة؛ عالية الصوت ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾: يوم دمارٍ مشؤومٍ عليهم، فقد وقع عليهم غضبُ الله عليه السلام، وعذابُ الدنيا ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾: لم يتوقف؛ حتى أهلكهم.

﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ (٢٠)

﴿تَنْزِعُ﴾: تقتلع، جاءت لتعبر عن قدرتها على نزع كلِّ ﴿النَّاسِ﴾: بني آدم من أماكنهم، تُطيرهم في السماء، حتى يغيبُ الواحدُ منهم عن الأنظار، ثم يسقط على أم رأسه؛ فنتهشم، ويبقى الجسد بلا رأس ﴿كَأَنَّهُمْ﴾: حرفٌ يفيد التشبيه ﴿أُعْجَازُ﴾: أصول النخل، التي دون رؤوس ﴿نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾: مخلوعٍ من تربته، وأرضه.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (٢١)

﴿فَكَيْفَ﴾: حرفٌ استفهامٌ يُفيدُ التعجب والإنكار، تأمل ﴿كَانَ عَذَابِي﴾: تذكيرًا بشدة العذاب على الكافرين المكذبين، يسأل الله عليه السلام، وهو يعلم، ليقول كان العقاب شديدًا ﴿وَنُذْرِي﴾: وكيف صدق إنذاري لهم، جاء التكرار هنا للتهويل وليعجب الناس من أمرهم. نلاحظ في هذه الآية تكرر فعل الكافرين بالتكذيب.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (٢٢)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي، كيف ﴿يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾: جعلنا لفظه سهلًا، ويسرنا فهمه، وإدراك معناه، لمن أراد، قال مجاهد: هوَنا قراءته، وقال السدي: يسرنا تلاوته ﴿فَهَلْ﴾: حرف

استفهام يفيد الأمر ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿مَذْكَرٍ﴾: هل يوجد من يتذكر هذا القرآن، الذي قد يسّر الله ﷻ حفظه، وفهمه، وإدراك معناه، هل من طالب علم؛ فأعينه عليه؟

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ (٢٣)

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾: هم قوم صالح ﷻ؛ الذين كذبوه ﴿بِالنُّذُرِ﴾: بما خوفهم به من عقاب الله ﷻ، لمن سبقهم من قوم نوح، وقوم عاد، وآياته؛ إذا كفروا.

﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِثْلًا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ (٢٤)

﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿قَالُوا أ﴾: حرف الألف استفسارٌ بهدف الإنكار والتوبيخ ﴿بَشَرًا﴾: فردًا واحدًا من جنس الإنسان ﴿مِثْلًا﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية استفهامٌ يفيد التعجب والإنكار منهم للإيمان بسيدنا صالح ﷻ ﴿وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ﴾: هل نسلّم أمرنا كلنا لواحدٍ مِثْلًا فقط، هل يُمكن أن نُصدّق نزول وحيّ عليه من السماء من دوننا؟ ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر للتوكيد ﴿إِذَا﴾: حرف جواب وجزاء ﴿لَفِي ضَلَالٍ﴾: تيه، وبُعدٍ عن الصواب، جاء اللفظ القرآني "ضلال" على ثمانية أوجه؛ هنا بمعنى سيقودنا إلى الشقاء؛ انظر [البقرة-٢٨٢] ﴿و﴾: أيضًا نحن في ﴿سُعْرٍ﴾: جنون، أو في شدّة، وعناء، وشقاء.

التكليف: هنا في هذه الآية استفهامٌ يفيد التعجب وإنكارٌ منهم للإيمان بسيدنا صالح ﷻ.

﴿الَّذِي الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ﴾ (٢٥)

﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار والتكذيب ﴿الَّذِي﴾: جاء اللفظ القرآني "التلقي" على وجهين؛ هنا بمعنى النزول ﴿الذِّكْرُ عَلَيْهِ﴾: هل يُعقل أن ينزل الوحي من السماء عليه؟ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿بَيْنِنَا﴾: وقد يكون معناها من دوننا ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المذكور، هنا المقصود هود ﷻ ﴿كَذَابٌ﴾: لا يقول الصدق ﴿أَشْرٌ﴾: بطر،

مُتَكَبِّرٌ، مُتَجَاوِزٌ لِلْحُدُودِ، وَالْأَشْرُ هُوَ شِدَّةُ الْبَطْرِ، فَالْأَثْرُ أْبْلَغُ مِنَ الْبَطْرِ، وَالْبَطْرُ أْبْلَغُ مِنَ الْفَرْحِ؛ فَإِنَّ الْفَرْحَ وَإِنْ كَانَ فِي أَغْلَبِ أَحْوَالِهِ مَذْمُومًا، ذَكَرَ الْمَسَاوِيَّ وَهِيَ عَكْسُ الْمَدْحِ.

﴿سَيَعْلَمُونَ عَذَابَ مَنْ الْكَذَّابِ الْأَشْرُ﴾ (٢٦)

﴿س﴾: حَرْفٌ يَفِيدُ تَوْكِيدَ الْقَوْلِ وَتَأْكِيدَ الْفِعْلِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ﴿يَعْلَمُونَ﴾: سَيَعْرِفُونَ ﴿عَذَابًا﴾: تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ وَتَذَكِيرٌ بِحَالِ نَزُولِ الْعَذَابِ الَّذِي سَيَحِلُّ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا ﴿مَنْ﴾: يَفِيدُ جِنْسَ الْعَاقِلِ؛ أَيِ فَرِيقٍ هُوَ ﴿الْكَذَّابُ﴾: شَدِيدُ الْكُذْبِ ﴿الْأَشْرُ﴾: الْمُتَكَبِّرُ، الْمُتَجَبِّرُ، الْبَطْرَانُ، وَهُمُ الْقَوْمُ صَالِحُ الْكَلْبِ.

﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾ (٢٧)

﴿إِنَّا﴾: هِيَ فِي اللَّغَةِ ضَمِيرٌ لِلْجَمْعِ الْمُتَكَلِّمِ الْحَاضِرِ، جَاءَتْ هُنَا مِنَ اللَّهِ ﷻ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ وَهُوَ وَاحِدٌ أَحَدٌ؛ لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّوَكُّيدِ ﴿مُرْسِلُو﴾: سُنْجِرُجٌ وَنَبْعَةٌ ﴿النَّاقَةُ فِتْنَةً﴾: اخْتِبَارَ طَاعَةِ ﴿لَهُمْ﴾: تَخْصِيصًا نَاقَةً كَبِيرَةً الْجِسْمِ؛ عَشْرَاءَ، وَمِنْ صَخْرَةٍ صَمَاءَ، كَمَا طَلَبُوا، تَعْجِيزًا لِنَبِيِّهِمْ فَانْقَلَبَتْ، لِتَكُونَ حُجَّةً عَلَيْهِمْ ﴿ف﴾ حَرْفٌ اسْتِثْنَائِيٌّ بِهَدَفِ تَرْتِيبِ الْأَمْرِ وَيَفِيدُ السَّبَبَ وَسُرْعَةَ التَّنْفِيزِ ﴿ارْتَقِبْهُمْ﴾: اُنْتَظِرْ، وَارْتَقِبْ مَاذَا سَنَفْعَلُ بِهِمْ ﴿وَاصْطَبِرْ﴾: الْأَمْرُ فِي الزِّيَادَةِ بِالصَّبْرِ، وَاصْبِرْ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ وَأَذَاهِمُ؛ فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ مُحْتَضِرٌ﴾ (٢٨)

﴿و﴾: أَيْضًا ﴿نَبِّئُهُمْ﴾: أَخْبَرَهُمْ، قُلْ لَهُمْ ﴿أَنَّ﴾: حَرْفٌ تَأْكِيدُ الْفِعْلِ، وَنَفْيُ الشُّكِّ ﴿الْمَاءَ قِسْمَةٌ﴾: مَاؤُهُمْ مَقْسُومٌ ﴿بَيْنَهُمْ﴾: يَوْمٌ يَشْرَبُونَ مِنْهُ الْمَاءَ، وَيَوْمٌ تَشْرَبُ النَّاقَةُ، وَفِي هَذَا الْيَوْمِ يَشْرَبُونَ حَلِيبَ النَّاقَةِ ﴿كُلُّ﴾: جَمِيعٌ ﴿شَرِبٍ﴾: الشَّرْبُ بِكَسْرِ حَرْفِ الشَّيْنِ تَعْنِي الْحِظَّ أَوْ الْحِصَّةَ مِنَ الْمَاءِ، مَا يَحِقُّ لَهُ الشَّرْبُ: حِصَّتُهُ ﴿مُحْتَضِرٌ﴾: يَحْضُرُهُ صَاحِبُهُ فِي نَوْبَتِهِ، إِذَا غَابَتِ النَّاقَةُ فِي يَوْمِهَا؛ حَضَرُوا لِيَشْرَبُوا وَحَدَهُمْ، وَإِذَا جَاءَتْ تَشْرَبُ، لَا يَحْضُرُونَ لِلشَّرْبِ.

﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ (٢٩)

﴿ف﴾: حَرْفٌ بِهَدَفِ تَرْتِيبِ الْأَمْرِ وَيَفِيدُ السَّبَبَ وَسُرْعَةَ التَّنْفِيزِ ﴿نَادُوا﴾: كَلَّفُوا ﴿صَاحِبَهُمْ﴾: كَانَ اسْمُهُ غَدَارُ بْنُ سَالِفٍ، حَرَّضُوهُ لِقَتْلِ النَّاقَةِ؛ كَانَ وَاحِدًا مِنْ أَشْقَى الْمَجْرِمِينَ، وَهُوَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ بِضَرْبِ أَرْجُلِهَا بِالسَّيْفِ، ثُمَّ قَتَلَهَا ﴿فَتَعَاطَى﴾: حَمَلَ السَّيْفَ ﴿فَعَقَرَ﴾: قَتَلَ النَّاقَةَ.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (٣٠)

﴿فَكَيْفَ﴾: أداة استفهامٍ تفيّدُ التعجّب والاستنكار ﴿كَانَ﴾: فيما سبق ﴿عَذَابِي﴾: تذكيراً بشدّة العذابِ على الكافرين المكذبين، يسأل ﷻ - وهو يعلم- ليقول كان العقابُ شديداً ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحال، أيضاً كيف كان ﴿نُذْرِي﴾: وكيف صدّق إنذاري لهم.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ (٣١)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحد؛ للتعظيم والتوكيد ﴿أَرْسَلْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع لأهمية الحدث؛ أنزلنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾: على قوم صالح ﷻ: ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: كانت صيحةً جبريل ﷻ من السماء، هل كانت الرعد؟ فانخلعت لها قلوبهم فاصبحوا في ديارهم جاثمين هالكين مبعثرين هنا وهناك كعشبٍ وحطبٍ الحظائر المخصصة للدواب ﴿ف﴾: بسبب الصيحة، وفي تتابعٍ سريعٍ ﴿كَانُوا﴾: صاروا ﴿كَ﴾: مثل ﴿هَشِيمِ﴾: كورق الشجر ﴿الْمُحْتَظِرِ﴾: الجاف المتفتت، قال السدي: المرعى في الصحراوي حيث يبس الورق، واحترق وبعثته الرياح، وقال أيضاً: السياج أي الحظر، الذي يحيطون به الإبل والمواشي، وهو من يبس الشوك، وقيل صاروا كالشجر الذي تُصنع منه الحظيرة "الزربية". والله ﷻ أعلم.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (٣٢)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾: جعلنا لفظه سهلاً، ويسرنا فهمه، وإدراك معناه ﴿لِلذِّكْرِ﴾: لمن أراد أن يذكر ويعتبر ويتبع، قال مجاهد: هوّنّا قراءته، وقال السدي: يسرنا تلاوته ﴿فَهَلْ﴾: استفهامٌ يفيد معنى الأمر ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية ﴿مُدَكِّرٍ﴾: هل يوجد من يتذكر هذا القرآن، الذي قد يسّر الله ﷻ حفظه، وإدراك معناه، هل من طالبٍ علمٍ؛ فأعينه عليه.

التكليف: في التكرار للآية فائدةٌ أن يُجددوا عند سماعها كلّ نبأ من أنباء الأولين؛ للتذكّر والاتعاظ؛ والانتباه، والحثّ على الفعل؛ لتكون العبرة الحاضرة في القلوب مذكورةً باستمرار.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمٌ لُوطٍ بِالنُّذْرِ﴾ (٣٣)

﴿كَذَّبَتْ﴾: أنكر ﴿قَوْمٌ﴾: جماعة من أصلٍ واحدٍ أو أصحابُ مذهبٍ واحدٍ ﴿لُوطٍ﴾: الذين سكنوا قرية "سدوم" في منطقة البحر الميت في فلسطين، كذبوا رسولهم لوطاً عليه السلام، وارتكبوا الفاحشة؛ وهي إتيان الذكور للذكور، التي لم يسبقهم بها أحدٌ من العالمين؛ انظر تفسير [هود-٧٧، ٨١] ﴿بِ﴾: حرف باء الالتصاق ﴿النَّذْرِ﴾: بإنذارهم بالعذاب قبل وقوعه، وكذبوا رسولهم.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَيْنَاهُمْ بِسَحْرِ﴾ (٣٤)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحدٌ؛ للتعظيم والتوكيد ﴿أَرْسَلْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع؛ لعظم الحدث ﴿عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾: سلط الله ﷻ عليهم ريحاً شديدة؛ تحمل الحجارة الحصباء؛ فأهلكتهم، تأخذهم الريحُ عاليًا، ثم ترميهم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿آلٍ﴾: عائلة ﴿لُوطٍ﴾: جاء اللفظ القرآني "آل" على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى أهل بيت الرجل، أي بيت آل لوط، وابنتيه، وقد أصاب العذاب بقية آل لوط حتى امرأته، وخرج عليه السلام، سالمًا ﴿نَجَيْنَاهُمْ﴾: جاءت بصيغة الجمع؛ لعظم الحدث ﴿بِ﴾: حرف باء الظرفية ﴿سَحْرِ﴾: في وقت الفجر.

﴿نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ (٣٥)

﴿نِعْمَةٌ﴾: كرمًا وتفضلاً ﴿مِّنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿عِنْدِنَا﴾: من الله ﷻ، على لوطٍ عليه السلام ﴿كَذَلِكَ﴾: كحال ومثل، هذا ﴿نَجْزِي﴾: نُنعمُ على المؤمنين ونجزئهم النجاة ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس الإنسان ﴿شَكَرَ﴾: حمَدَ وشَكَرَ الله ﷻ.

﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ﴾ (٣٦)

﴿وَلَقَدْ﴾: أيضًا تحقق في الماضي ﴿أَنْذَرَهُمْ﴾: حذَّروهم لوطاً عليه السلام، قبل وقوع العذاب ﴿بَطْشَتَنَا﴾: أخذنا لهم بالعذاب الشديد ﴿فِ﴾: بسبب هذا وفي تتابعٍ سريع ﴿تَمَارَوْا﴾: جادلوا وكذبوا مشاكسةً ﴿بِ﴾: حرف باء الظرفية المجازية في أمر ﴿النَّذْرِ﴾: بالتحذير.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ﴾ (٣٧)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي أيضًا ﴿رَاوَدُوهُ﴾: فاوضوا لوطاً عليه السلام ﴿عَنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد على ﴿ضَيْفِهِ﴾: أن يُمكنهم من فعلِ الفاحشة مع ضيوفه، وهم الملائكة الذين جاؤوا في صورة شبانٍ

حسان؛ اختباراً للمجرمين؛ ﴿ف﴾: حرف استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿طَمَسْنَا﴾: والطمس هو إزالة الأثر؛ بالمحو ضربهم جبريلُ ﷺ بجناحه فطمس ﴿أَعْيَنَهُمْ﴾: انطفأت عيونهم في وجوههم، وقيل ذهب عيونهم ﴿فَذُوقُوا﴾: والذوق هو فقط للطعام، وكإشارة إلى أنّ كلّ أدوات الحواس الجلد والشم وغيرها سيصيبها ما تقاسي من ﴿عَذَابِي وَ﴾: أيضاً قاسوا وتألّموا ﴿نُذِرِ﴾: عذاب العمى؛ فانسحبوا يتحسسون، ويعدون بالانتقام في النهار.

﴿وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ (٣٨)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿صَبَحَهُمْ﴾: أصابهم في أول النهار ﴿بُكْرَةً﴾: في الصباح الباكر، أولّ النهار ﴿عَذَابٌ﴾: العمى، والطمس على أبصارهم ﴿مُسْتَقِرٌّ﴾: دائمٌ ومستمرّ.

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ﴾ (٣٩)

﴿ف﴾: حرف استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿ذُوقُوا﴾: والذوق هو فقط للطعام، وكإشارة إلى أنّ كلّ أدوات الحواس الجلد والشم وغيرها سيصيبها عانوا، وتألّموا من ﴿عَذَابِي﴾: ما كتبه الله ﷻ عليهم من عذاب ﴿وَ﴾: أيضاً ذوقوا من ﴿نُذِرِ﴾: ما أنذركم وحثركم منه رسولكم لو طُ ﷺ .

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (٤٠)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾: جعلنا لفظه سهلاً، ويسرنا فهمه، وإدراك معناه لمن أراد، قال مجاهد: هوّنّا قراءته، وقال السدي: يسرنا تلاوته ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام يُفيد الأمر ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ﴿مُدَكِّرٍ﴾: هل يوجد من يتذكر هذا القرآن، الذي قد يسّر الله ﷻ حفظه، وفهمه، وإدراك معناه؟ هل من طالب علم؛ فيعيّنه عليه؟

التكليف: جاء تكرار تيسير القرآن بالذكر في هذه السورة بهدف أن، يدركوا أنه فضلٌ ومنّة من الله ﷻ لا يجب أن يغفل عن شكر الله ﷻ عليها أحدٌ، ففي كلّ قصّةٍ مواظب عظيمة.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ (٤١)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي أن ﴿جَاء﴾: موسى ﷺ، إلى فرعون حاكم مصر في زمانه، ومعه أخوه هارون، ومعهم الآيات الدالة على صدق رسالتهم كالعصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، . . . ﴿آل﴾: هم أهل وقوم ﴿فِرْعَوْنَ﴾: هم الأقباط ﴿النُّذُر﴾: أنذرهم، حذرهم، وخوفهم موسى وأخوه هارون، عليهما السلام.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاَهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (٤٢)

﴿كَذَّبُوا﴾: الذين كذبوا هم فرعون ومن حوله ﴿ب﴾: حرف باء الصلة والمصاحبة ﴿آيَاتِنَا﴾: الحقائق والبراهين الدالة على صدق الدعوة ﴿كُلِّهَا﴾: كذبوها، ولم يصدقوها في شيء منها ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿أَخَذْنَاَهُمْ﴾: عاقبناهم، جاءت بصيغة الجمع الدالة على عظم العقاب لفرعون وجنوده ﴿أَخَذَ﴾: عقوبة ﴿عَزِيزٍ﴾: ﷻ في ملكه، وملكوته، وقوته، وجبروته ﴿مُقْتَدِرٍ﴾: قادر أن يفعل ما يشاء؛ فأغرقهم جميعاً.

﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ (٤٣)

بعد أن ذكر محمد ﷺ ما جاءه من قصص الأولين لقومه بدأ يسألهم ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار عليهم والتوبيخ، والنفي ﴿كُفَّارُكُمْ﴾: الكلام إلى كفار قريش هل أنتم؟ ﴿خَيْرٌ﴾: أفضل ﴿مِنْ﴾: حرف جر يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿أُولَئِكَمْ﴾: اسم إشارة للجمع القريب والبعيد، الذين جاء ذكرهم قوم نوح، وعاد، وثمود، ولوط، وفرعون ﴿أَمْ﴾: هل ﴿لَكُمْ﴾: تمليكاً ﴿بَرَاءَةٌ﴾: عندكم وعد من الله ﷻ، ألا ينالكم العذاب الذي جاء ذكره ﴿فِي الزُّبُرِ﴾: في الكتب السماوية التي جاء بها الرسل الذين سبقوكم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ (٤٤)

﴿أَمْ﴾: هل ﴿يَقُولُونَ نَحْنُ﴾: ضمير رفع منفصل عن الجمع، وهي أداة تعظيم، هل يعتقد كفار مكة؟ أنهم ﴿جَمِيعٌ﴾: جماعة، أجمعت أمرها ﴿مُنْتَصِرٌ﴾: هل يقولون نحن أولو حزم ورأي وأمرنا مجتمع؛ لا تغلب، إن تجمعننا يمنح ويدفع عنا سوءاً إذا أراد أحدنا لنا.

﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (٤٥)

﴿س﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾: ذكر الله ﷻ إجابة السؤال السابق: إِنَّ الحَقِيقَةَ أَنَّ الله ﷻ يقول لهم جميعاً: سيُهْزَمُ جمع كَفَّارِ مَكَّةَ أمام المسلمين ﴿و﴾: عطفاً على هزيمتهم ﴿يُؤْتُونَ الدُّبْرَ﴾: يديرون ظهورهم، كناية أنهم سيهربون، ويتشتت شملهم أمام المسلمين. التكليف: هنا بشارَةٌ للمسلمين بأنهم سيهزمون كفرة قريش؛ وقد تحقق بعد ثلاث أو أربع سنوات في غزوة بدرٍ حيث ولى الكفار الدبر.

﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ﴾ (٤٦)

﴿بَل﴾: حرف إثبات، وجاءت هنا لتزيدهم خوفاً ﴿السَّاعَةُ﴾: يوم القيامة ﴿مَوْعِدُهُمْ﴾: يوم العقاب الذي يستحقون، وفي الآخرة كما وعد الله ﷻ كُفَّارِ بدرٍ بالهزيمة، ونزلت الآية؛ فإنها عامَّةٌ والله ﷻ أعلم، وكما هزموا في ساعتهم في الدنيا ﴿وَالسَّاعَةُ﴾: عذاب يوم القيامة ﴿أَدْهَى﴾: والساعة أعظم داهية وأفظع ﴿و﴾: أيضاً ﴿أَمَرٌ﴾: وأقسى ألماً ومرارة، لأنهم سيدخلون جهنم يوم القيامة.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ (٤٧)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: الذين كفروا وأجرموا في حق الله ﷻ، هم ﴿فِي ضَلَالٍ﴾: في شقاءٍ، وترددٍ، وتيهٍ، وتشتتٍ في كلِّ زمانٍ وكلِّ مكانٍ. انظر [البقرة-٢٨٢] ﴿و﴾: أيضاً في ﴿سُعْرٍ﴾: في عذابٍ، وعناءٍ نارٍ مُشتعلةٍ، أو جنونٍ.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ دُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (٤٨)

﴿يَوْمَ﴾: القيامة في الآخرة ﴿يُسْحَبُونَ﴾: يُجْرُونَ ﴿فِي النَّارِ﴾: كما أصابهم التردد والضياع في الدنيا؛ سيتم سحبهم في جهنم ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾: إمعاناً في الذلَّة وما كان عن قهرٍ ومهانةٍ، قيل لهم ﴿دُوقُوا﴾: والذوق هو للإحساس، هو يقال فقط للطعام، وكإشارة إلى أن كلَّ أدوات الحواس الجلداً، والشم، وغيرها؛ ستصيبها النار؛ عليكم أن تُعانوا، وتقاسوا ﴿مَسَّ﴾: الألم الذي سيصيبكم في العمق منكم، الجلد وما تحته من عضلات وعظام ﴿سَقَرَ﴾: ويقال لهم؛ تعذبوا في النار، تدخل في أجسادكم، تمسكم تعني أكثر وأصعب من تلامسكم، كما مسَّت كفَّارِ قريش أشرار العرب.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٤٩)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحدٌ؛ لغة العظمة والجلالة ﴿كُلٌّ﴾: يفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة نكرةٍ تفيد العموم، ما من شيء ﴿خَلَقْنَاهُ﴾: أوجدناه، من غير سابق وجود، والقائل هو الله ﷻ، من غير سابق مثال، في الأرض، وفي السماء، وما ومن فيها ﴿بِقَدَرٍ﴾: بتقديرٍ سابقٍ منه ﷻ، ووفق علمه. عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ^(١)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرَّشَهُ عَلَى الْمَاءِ^(٢).

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ (٥٠)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَمْرُنَا﴾: إخبارٌ عن كيف يكون أمره بمشيئته ﷻ في خلقه ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء كلمة ﴿وَاحِدَةٌ﴾: أن نقول، نأمرُ بالشيء مرة واحدة، لا نكرها؛ كُنْ فيكون ﴿كَلَمْحٍ﴾: كلمحٍ بالْبَصَرِ: كلمح البصر؛ كنايةً على العجلة والسرعة، لا يتأخر طرفه عين.

﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (٥١)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقّق في الماضي ﴿أَهَلَكْنَا﴾: دمرنا ﴿أَشْيَاءَكُمْ﴾: جاء اللفظ القرآني "الشيع" على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى أصحاب ملّتكم، أمثالكم في الكفر. انظر [الأنعام-٦٥] ﴿فَهَلْ﴾: حرف استفسار، يسأل الله ﷻ وهو يعلم ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿مُدْكِرٍ﴾: هل من مُتَعَطِّ بما جرى في الأولين.

التكليف: هنا يملك اليأس أهل الشرك بأنهم ومن قبلهم هالكون؛ فاتعظوا.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ (٥٢)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال؛ عطفًا على ما سبق ﴿كُلٌّ﴾: جميع ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ لتفيد العموم، لا نستثنى صغيرًا ولا كبيرًا ﴿فَعَلُوهُ﴾: عملوه اقترفوه ﴿فِي الزُّبُرِ﴾: جاء

(١) سنن أبي داود ٨٦/٧ (٤٧٠٠)، قال الأرنؤوط: حديث حسن.

(٢) صحيح مسلم ٢٠٤٤/٤ (٢٦٥٣).

اللفظ القرآني "الرُّبْر" هنا بمعنى اللوح المحفوظ؛ أي مكتوبٌ عليهم، بأيدي الملائكة، في كُتُبِ الحفظة، التي تسجلها الملائكة؛ انظر [آل عمران-٨٤].

﴿وَكُلٌّ صَغِيرٌ وَكَبِيرٌ مُسْتَنْطَرٌ﴾ (٥٣)

﴿وَكُلٌّ﴾: تفيد العموم ﴿صَغِيرٌ وَ﴾: أيضًا كلٌّ ﴿كَبِيرٌ﴾: كلُّ عملٍ مهما كان حجمه صغيرًا أو كبيرًا ﴿مُسْتَنْطَرٌ﴾: مُسْطَوَّرٌ مكتوبٌ في اللوح المحفوظ، في صحائفهم، مجموعٌ عليهم، جاء في المعنى نفسه: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف-٤٩].

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ (٥٤)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الْمُتَّقِينَ﴾: الذين عبدوا الله ﷻ بحق؛ طمعًا في رحمته، وخوفًا من عذابه ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾: وليس في جنّة واحدة دليلًا على المتعة الكبيرة ﴿و﴾: أيضًا في ﴿نَهَرٍ﴾: النهر هنا جمع الجمع أنهار، وهي هنا لزيادة المتعة والجمال المُعَدُّ لأهل الجنّة، وإن كانت نُهْرٌ بضم النون والهاء فهي جمع نهار أي أنه ليس في الجنّة ليل أو ظلام.

﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (٥٥)

﴿فِي مَقْعَدٍ﴾: في مجلس، في مقام ﴿صِدْقٍ﴾: مجلس حقّ ليس فيه لغو أو منغص أو تأثيم حق، مُرَضٍ، دار كرامة، ورضوانِ الله ﷻ، بفضله ومنته ﴿عِنْدَ﴾: ظرف زمان وظرف مكان ﴿مَلِكٍ﴾: هنا أبلغ من ملك وهو يعني مالك، صاحب الملك العظيم، وجاءت صيغة ملك بالتصغير؛ للتمليح، والتجميل؛ والله أعلم ﴿مُقْتَدِرٍ﴾: أبلغ من قادر وجاءت بصيغة النكرة للتعظيم، قادرٍ قُدْرَةً مطلقةً، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكُلُّنَا يَدِيهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدُلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا^(١).

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نرى تذكيرًا مستمرًا بآيات الله في الكون، ومصير المكذابين.

(١) صحيح مسلم ٤٥٨/٣ (١٨٢٧).

سُمِّيت سورة الرحمن بهذا الاسم في كُتُب السنَّة، وفي المصاحف، ووجه التسمية: أنَّها ابتدأت باسمه ﷻ "الرحمن"، قد أُطلق عليها في الإتيان "عروس القرآن"، وهي سورة مكية، في قول جمهور الصحابة والتابعين، وتعدُّ السورة رقم (٩٧) في عدِّ تنزيل سور القرآن الكريم، نزلت بعد سورة الفرقان، وقبل سورة فاطر، وعدد آياتها (٧٨) آية عند أهل الشام والكوفة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا، فَقَالَ: لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الْجِنِّ نَيْلَةَ الْجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ، كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن-١٣] قَالُوا: لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمِكَ رَبَّنَا نَكْذِبُ فَلَكَ الْحَمْدُ^(١).

﴿الرَّحْمَنُ﴾ (١)

﴿الرَّحْمَنُ﴾ اسمٌ من أسماءِ الله الحُسنى؛ الذي يفيد أنه ﷻ كثير الرحمة بجميع خلقه، جاء اختيار اسم الرحمن دون سائر الأسماء الحسنى لأنَّ كفار قريش ينكرونه وفيه الرُّدُّ على مزاعمهم أنَّ الرسول ﷺ يعلمه بشرٌ، إنَّ في الاسم براعةً استهلالٍ، إذ السورة تُعدُّ عشرات النعم، وكلَّها مصدرها الرحمن عزَّ وجلَّ.

﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ (٢)

﴿عَلَّمَ﴾: أوصل العلم إلى قلوب وعقول بني آدم، الإنسان بعد أن أنزل الله ﷻ ﴿الْقُرْآنَ﴾: يسر على عباده قراءة القرآن، ويسر لهم فهم معانيه، وسهل وحفظه على مَنْ أَرَادَهُ مِنْهُمْ.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ (٣)

﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق وجود ﴿الْإِنْسَانَ﴾: هو آدم ﷺ، ومن بعده نسله من نطفةٍ ثم علقه، ثم مضغة، ثم جعله رجلاً أو أنثى.

(١) سنن الترمذي ٣٩٩/٥ (٣٢٩١)، وقال: حديث غريب، حسنه الألباني.

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (٤)

عَلَّمَ اللَّهُ ﷻ الْإِنْسَانَ، قَالَ الْحَسَنُ: عَلَّمَ الْإِنْسَانَ النَّطْقَ، عَمَّا فِي عَقْلِهِ، كِتَابَةً، وَكَلَامًا عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ.

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ (٥)

﴿الشَّمْسُ﴾: قُدِّمَتِ الشَّمْسُ هُنَا عَلَى الْقَمَرِ؛ لِأَنَّهَا أَكْبَرُ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ، وَضَوْءُ الْقَمَرِ مُسْتَمَدٌّ مِنْ انْعِكَاسِ ضَوْءِ الشَّمْسِ عَلَيْهِ ﴿و﴾: أَيْضًا ﴿الْقَمَرُ بِ﴾: حَرْفُ بَاءِ الْمَصَاحِبَةِ ﴿حُسْبَانٍ﴾: قَدَّرَهُمَا اللَّهُ ﷻ تَجْرِيَانِ، بِحَسَابٍ دَقِيقٍ جَدًّا مُتَعَاقِبَيْنِ، لَا يَخْتَلِفُ، وَلَا يَضْطَرِبُ؛ انْظُرْ (الرَّحْمَنُ - ٧٥).

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (٦)

﴿و﴾: حَرْفٌ عَطْفٍ يُفِيدُ الْحَالَ ﴿النَّجْمُ﴾: هُنَا بِمَعْنَى النَّبَاتِ الَّذِي لَا سَاقَ لَهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا انْبَسَطَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ، وَالسَّيِّدِيُّ، وَالثَّوْرِيُّ، وَابْنُ جَرِيرٍ: النَّبَاتُ، جِنْسُ النَّبَاتِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ: النَّجْمُ فِي السَّمَاءِ، وَهَذَا ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّ مَا جَاءَ بَعْدَهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ ﴿و﴾: أَيْضًا ﴿الشَّجَرُ﴾: الَّذِي يعلو على سوقه ﴿يَسْجُدَانِ﴾: كُلُّ مَخْلُوقٍ بِمَا فِيهِ مِنَ الشَّجَرِ يَنْقَادُ لِلَّهِ ﷻ فِيمَا خُلِقَ لَهُ.

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ (٧)

﴿وَالسَّمَاءَ﴾: كُلُّ مَا عَلَا الشَّيْءُ فَهُوَ سَمَاءٌ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا كُلُّ مَا فَوْقَ الْأَرْضِ، وَأَحَاطَ بِهَا؛ بِسَبَبِ بِيضَاوِيَّةِ شَكْلِهَا ﴿رَفَعَهَا﴾: جَعَلَهَا أَعْلَى مِنَ الْأَرْضِ، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ تَحِيطُ بِهَا، فَالْفَضَاءُ الْوَاسِعُ فَوْقَ الْأَرْضِ يُسَمَّى سَمَاءً ﴿و﴾: حَرْفٌ عَطْفٍ يُفِيدُ الْحَالَ ﴿وَضَعَ﴾: ثَبَّتَ ﴿الْمِيزَانَ﴾: شَرَعَ الْعَدْلَ فِي الْأَرْضِ، وَكَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى خَلْقِهِ الْعَدْلَ؛ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ. التَّكْلِيفُ: فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مَوْضُوعَانِ، الْأَوَّلُ: وَعَظٌّ؛ أَمْرٌ اِعْتِقَادِي عَدْلِي؛ وَالْمَقْصُودُ الدِّرَاسَةُ وَالتَّفَكُّرُ فِي الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالْفَضَاءِ الْكُونِيِّ مِنْ حَوْلِهَا، وَالثَّانِي تَكْلِيفٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ أَنْ يَسُودَ الْعَدْلُ؛ الَّذِي هُوَ شَرِيعَةُ اللَّهِ ﷻ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ عَلَى الْأَرْضِ.

﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ (٨)

﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه ﴿تَطْفَؤْا﴾: لا تتجاوزوا الحق، وحققوا العدل ﴿فِي الْمِيزَانِ﴾: في الكيل، والوزن، انسجامًا مع العدل الذي شرّعه الله ﷻ في السموات والأرض.

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (٩)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿أَقِيمُوا﴾: ثبتوا وحقّقوا ﴿الْوَزْنَ ب﴾: حرف باء المصاحبة ﴿الْقِسْطِ﴾: بالعدل، اعدلوا في الميزان بالحق ﴿وَلَا﴾: حرف تحريم ﴿تُخْسِرُوا﴾: لا تُنقصوا ﴿الْمِيزَانَ﴾: تكرر لفظ الميزان تشديدًا للتوصية الواجبة بالعدل، والحثّ على العمل به وضرورة استعماله، ومنه ما تزنون وما تكيلون؛ فألهمهم صنّع آلة الميزان، آلة العدل.

﴿وَالْأَرْضِ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ (١٠)

﴿وَالْأَرْضِ وَضَعَهَا﴾: مهدها وهياها، وجعلها راسخةً في دورانها حول الشمس، بما عليها من الجبال الشامخات؛ ليستقر على سطحها الإنسان، والحيوان، والنبات، والبيوت ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْأَنَامِ﴾: قال ابن عباس: كلّ الأصناف التي ذُكرت أعلاه.

﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ (١١)

﴿فِيهَا﴾: في الأرض ﴿فَاكِهَةٌ﴾: وهي المزرورات حلوة المذاق، والطعم، والروائح الطيبة ﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال ﴿النَّخْلُ﴾: وقد خصّه الله ﷻ بالذكر؛ لكثرة فوائده، وطيب مذاقه، رُطبًا ويابسًا، وقد خصّه ﷻ لمريم بنت عمران بعد ولادة عيسى ﷺ، لما فيه من السكر والماء، وموادّ مُغذيةٍ ومفيدةٍ للمرأة بعد الولادة ﴿ذَاتُ﴾: صاحبة ﴿الْأَكْمَامِ﴾: قال ابن عباس، وقتادة، والحسن: هي أوعية الطلع، التي يطلّع منه القنو، ثم ينشقّ عن البلح.

﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ (١٢)

﴿و﴾: أيضًا ﴿الْحَبُّ﴾: جنس الحبوب: مثل القمح، والشعير، والذرة ﴿ذُو﴾: صاحب والذي منه ﴿الْعَصْفِ﴾: قال ابن عباس: التبن الذي تأكله الحيوانات؛ ففيه مادة السليولوز التي تحتوي على سكريات، وهي موادّ غذائيةٌ تهضمها أمعاء الحيوانات، وقيل العصف هو ورق الزرع الأخضر، الذي قُطعت رؤوسه؛ فإذا جفّ عُرف بالعصف، وقال: قتادة، والضحاك: إذا عصفه تبّنه، أي التبن؛ أي جعله تبّنًا، وقيل هو قشور الثمار التي تحمي الثمرة، كما يفعل جلد الإنسان

﴿وَالرِّيحَانُ﴾: قال ابن عباس، ومجاهد: هو الورقة، وقال الحسن: هو الريحان المعروف، وقيل إذا انعقد الحب، والله ﷻ أعلم.

﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ (١٣)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿بِأَيِّ﴾: حرف استفهام بمعنى بأي واحدة؟ ﴿آيَةٍ﴾: نعم الله على الخلق ﴿رَبِّكُمَا﴾: هو ﷻ المعبود، والمُرَبِّي، والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، يا معشر الإنس والجنِّ بِأَيِّ نعم الله ﷻ عليكم تكذبان، وهي باديةٌ عليكم في أنفسكم وزرعكم، يغمركم الله ﷻ بفضله، ولا تستطيعون إنكارها ﴿تُكذِّبَانِ﴾: تكفران، يا معشر الإنس والجنِّ بِأَيِّ شيءٍ تجحدان أو تتكران، بل قولوا كما قالت الجنُّ عندما قرأ رسول الله ﷺ عليهم سورة الرحمن فكانوا يقولون بعد هذه الآية: لا بِأَيِّها يا ربِّ، لا نُكذِّبُ بشيءٍ منها.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (١٤)

﴿خَلَقَ﴾: أوجد الله ﷻ من غير سابق وجود ﴿الْإِنْسَانَ﴾: كان أصلُ الخلق الأول، هو آدم ﷺ ﴿مِنْ﴾: حرف جرٌّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿صَلْصَالٍ﴾: وهو طينٌ يابسٌ غير مطبوخ ﴿كَ﴾: مثل ﴿الْفَخَّارِ﴾: طينٌ وُضع في النَّارِ، يابسٌ، تُسمع له صلصلة، مثل الطين المطبوخ، ولا بد لنا من وقفة تأمل عند قول الحق ﷻ: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ ونتأمل حرف الكاف فهو أداة تشبيه، فالطين إذا تصلب صار فخاراً، أما قوله ﷻ كالفخار ففيه دلالة على الصنعة ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَثَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (النمل - ٨٨)، ويقول ﷻ: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء - ٨٥)، إلا أنه ﷻ جعل في هذا القليل ما نعلم به: أنّ للمادة أحوالاً منها الصلبة، واللينة، والسائلة، والغازية، فإذا قلنا إنّ الشفافية في الروح، فالروح ليست من الطين، بل هي كما أوضح ربُّنا ﷻ في كتابه العزيز، هي من أمرٍ ربي، فأين شفافية الطين؟ إنك تستطيع أن تجعل من حبات الرمال زجاجاً شفافاً غير مرئي، إنك تستطيع أن تجعل من البلاستيك رقائق وأشكالاً غير مرئية، وتستطيع أن تُسليها، أو تجعلها مرنةً أو رخوة، وأن تجعلها تتصاعُ لكلِّ قوانين المادة، فهل تُتكر على الله ﷻ أن يخلق من

الطين ذات إنسانٍ شفافٍ غير مرئي؟ وهل تُتكر على الله ﷻ أن يجعل ذلك الإنسان ينصاعُ لكلِّ ما نعلمه، وما لا نعلمه من قوانين المادة وغيرها إن شاء؟ تلك هي "النفْسُ"، تلك هي الذاتُ، إنَّه الإنسان الحقيقي، خلقه الله ﷻ من الطين، خلقه الله ﷻ من صلصالٍ من حمأٍ مسنونٍ، خلقه الله ﷻ من صلصالٍ كالفخار، إنَّه الإنسان الحقيقي الذي لا نراه، جعله الله ﷻ غير مرئي؛ ليكون غيباً، إنَّه الإنسان الحقيقي، سوَّاهُ الله ﷻ فألهمهُ الفجور وألهمهُ التقوى، إنَّه الإنسان الحقيقي، عدَّلهُ الله ﷻ، وفي أيِّ صورةٍ ما شاء ركبهُ.

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ﴾ (١٥)

﴿و﴾: أيضاً ﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق وجود ﴿الْجَانَّ﴾: أول الجنِّ، ومنه جاء جنس الجنِّ ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ﴾: قال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك: من خالص النَّار، من لهب النَّار، من أحسنها، صافٍ بلا دخان فيه.

﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١٦)

انظر الآية رقم (١٣).

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (١٧)

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾: المالك المتحكم في مشرقَي الشمس في الصيف والشتاء، وربُّ مَغْرِبَي الصيف والشتاء، وقيل اختلاف مطالع الشمس، وتنقلها في كلِّ يومٍ وبروزها من هذه الأماكن على النَّاس، وفي هذا يجب دراسة ظاهرة دوران الشمس، ودوران الأرض.

﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١٨)

انظر الآية رقم (١٣).

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ (١٩)

﴿مَرَجَ﴾: أرسل فخلط ماء ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾: أرسلهما الله ﷻ يجريان في مجاريهما، وهما البحر المالح، والأنهار العذبة، التي تسير بين النَّاس ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾: يتقابلان؛ فيما تراه العين، ولكن في الحقيقة:

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ (٢٠)

﴿بَيْنَهُمَا﴾: بين البحر المالح والمالح بوجود أرض أو بين المالح والمالح ﴿بَرْزَخٌ﴾: فجعل بينهما حاجزًا، وفاصلًا أرضيًا، أو إرادة الله ﷻ، الحقيقة العلمية تفيد أنه لو أضفنا ماءً مالحًا لماءٍ عذبٍ فلا بد أنهما يختلطان فمن ذا الذي حال بين اختلاط البحر المالح والبحر العذب، إنها آيةٌ من آياتِ الله ﷻ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿بَبْغِيَانِ﴾: لا يفيضُ أحدهما على الآخر، وقيل خلطهما الله ﷻ في رأي العين، وحجز بينهما في غيب القدرة، وهما من الجماد لا ينطقان، ولا يُدركان؛ فكيف يبغي بعضكم على بعضٍ أيها العقلاء؟

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٢١)

أنظر الآية رقم (١٣).

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (٢٢)

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾: حرفٌ يُفيد بداية الغاية المكانية، يُستخرج من كلٍ منهما، من مجموع البحرين، يخرج ﴿اللُّؤْلُؤُ﴾: الأحجار الكريمة المعروفة ﴿و﴾: أيضًا يخرج منهما ﴿الْمَرْجَانُ﴾: قال مجاهد، وقتادة، والضحاك: صغار اللؤلؤ، وقال ابن جرير: كبار اللؤلؤ، وأجوده، وقيل نوعٌ من الجواهر، أحمر اللون، وقال ابن مسعود: الخرز الأحمر. التكليف: ينتج اللؤلؤ من خلال عملية حيوية يستخدمها المحار؛ لحماية نفسه من المخلوقات القوية في البحار.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٢٣)

فبأي نعم الله ﷻ أيها الثقلان تكذبان؟

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (٢٤)

﴿و﴾: أيضًا ﴿لَهُ﴾: لله ﷻ التصرف في: ﴿الْجَوَارِ﴾: السفن التي تجري فوق سطح الماء ﴿الْمُنشَآتُ﴾: المرفوعات ﴿فِي الْبَحْرِ﴾: وهي المنشآت البحرية التي ترفع قلاعًا ﴿ك﴾: حرف بمعنى مثل ﴿الْأَعْلَامِ﴾: كالجبال في كبرها، وضخامتها وثباتها، وما فيها من البضائع، والمكاسب المنقولة من مكانٍ إلى آخر.

﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تُكذِّبَانِ﴾ (٢٥)

انظر الآية رقم (١٣).

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٢٦)

﴿كُلُّ﴾: تفيد الجميع ﴿مَنْ﴾: تفيد كلَّ من هو على سطح الأرض، من عموم الجنس العاقل، من الإنس ﴿عَلَيْهَا﴾: على الأرض ﴿فَانٍ﴾: مصيره الفناء، بعد الموت، وإذا قرأتها لا بد أن تُكمل الآية التالية:

﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٢٧)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يُفيدُ الحالَ ﴿يَبْقَى﴾: لما خالف الكفار في موضوع الفناء جاء اللفظ القرآني بلفظ المقتضى للثبوت؛ لأن البقاء الثابت لا يحتاج إلى التغيير ﴿وَجْهٌ﴾: جاء لفظ الوجه من باب إطلاق الجزء والمراد هو الكلّ، فجاء ذكر الوجه لأنه أشرف الأعضاء، والمقصود هنا هو ذات الله ﷻ المقدسة ﴿رَبِّكَ﴾: وهو المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ لكل شيء من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام، وهو ﷻ الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فهو ﷻ مالكُ أمرنا كلّ المتصرف فيه كيف يشاء ﴿ذُو﴾: صاحب ﴿الْجَلَالِ﴾: العظمة، والإحسان، المستغني عن غيره مطلقاً ﴿و﴾: أيضاً صاحب ﴿الْإِكْرَامِ﴾: الفضل التام، والتفضل والإحسان على الخلق جميعاً.

﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تُكذِّبَانِ﴾ (٢٨)

﴿فَبِأَيِّ﴾: بماذا؟ ﴿آيَةٍ رَبِّكُمْ﴾: نعم الله على الخلق، يا معشر الإنس والجن بأيّ نعم الله عليكم تُكذبان، وهي ظاهرةٌ عليكم في أنفسكم وزرعكم، يغمركم الله بفضله، ولا تستطيعون إنكارها ﴿تُكذِّبَانِ﴾: يا معشر الإنس والجن بأيّ شيءٍ تجحدان أو تنكران.

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٢٩)

﴿يَسْأَلُهُ﴾: تطلب المخلوقات من الله ﷻ حاجتهم ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض وأحاط بها؛ لكونها ببيضاوية الشكل ﴿وَالْأَرْضِ﴾: أيضاً المخلوقات الذين على الأرض، يطلبون منه ﷻ الرزق والعافية، والتوفيق، والقبول، والجنة

﴿كَلَّ﴾: تفيد العموم ﴿يَوْمٍ﴾: جاءت بصيغة نكرة؛ لتؤكد الجميع ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: قال الأعمش: من شأنه أن يُجيب داعيًا أو يُعطي سائلًا، أو يفكّ عانيًا، أو يشفي سقيمًا، وقال مجاهد: كلَّ يومٍ يُجيب داعيًا، ويكشف كربًا، ويجيب مضطرًا، ويغفر ذنبًا، وقال قتادة: لا يستغني عنه أهلُ السموات وأهلُ الأرض؛ يُحيي حيًّا، ويُميت ميتًا، ويربي صغيرًا، ويفكّ أسيرًا، وهو منتهى حاجة الصالحين، وقد يكون المعنى أنه ﷺ يرفعُ أقوامًا ويخفضُ أقوامًا.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٠)

فبأي نعم الله ﷻ أيها الثقلان تكذبان؟

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّةَ الثَّقَلَانِ﴾ (٣١)

﴿س﴾: حرف يفيد تأكيد الفعل في المستقبل ﴿نَفْرُغُ﴾: يُشَبِّهُهُ اللَّهُ ﷻ هنا محاسبة الخلق جميعًا وجزاءهم يوم القيامة بالنفـرغ للأمر، والله ﷻ لا يشغله عن شأنه شيءٌ؛ ولكن جاء هنا على سبيل المثال؛ إذ شبّه ذاته الكريمة في المجازاة بحال من فرغ للأمر، بمعنى سنقصـد ﴿لَكُمْ﴾: لمحاسبـتكم، وهو وعيدٌ للعباد، وقال ابن جرير: سنقضـي لكم، وقال البخاري: سنحاسـبكم ﴿أَيَّةَ الثَّقَلَانِ﴾: عالم الإنس وعالم الجن، سُمِّيَا بالثقلين لأنهما اثقلا واتعبا بالتكاليف الربانية.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٢)

فبأي نعم الله ﷻ أيها الثقلان تكذبان؟

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَتَّقُوا مِنَ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَآتِقُوا لَا تَتَّقُوا إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (٣٣)

﴿يَا﴾: حرف تواصل بين المُنادي وهو الله ﷻ والمُنَادَى عليه يوم القيامة ﴿مَعْشَرَ﴾: قبيلةٌ من أصلٍ واحدٍ ﴿الْجِنِّ وَ﴾: أيضًا ﴿الْإِنْسِ﴾: بني آدم جاء تقديم الجنّ على الإنس للترتيب في الخلق ﴿إِنِ﴾: حرف شرط ﴿اسْتَطَعْتُمْ﴾: كان لكم وسيلة، وجاء هنا للتعجيز والتحدي ﴿أَنْ﴾: حرفُ تأكيد الفعل ﴿تَتَّقُوا﴾: هربًا من قضائي ﴿مَنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿أَقْطَارِ﴾: نواحٍ، نواصي السماوات والأرض ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض وأحاط بها؛ كونها ببيضاوية الشكل ﴿وَالْأَرْضِ﴾: إذا قدرتم أن تهربوا من قضاء

الله ﷻ ﴿ف﴾: حرف استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿انفدوا﴾: أمر تعجيز: افعلوا بلا تردد، أن تخرقوا الغلاف الجوي، فاهربوا بقوة، وقهر، ولن تقدرُوا، وقد شهد العالم على سلطان العلم الذي وهبه الله ﷻ للناس، حيث استطاعوا اختراع الصواريخ، التي خرجت من سلطان الجاذبية؛ وذهبت إلى القمر، وبعضها حاول الوصول إلى كواكب أخرى؛ ﴿لا﴾: حرف نفي ﴿تنفذون﴾: هرباً من قضائي ﴿الآ﴾: حرف استثناء ﴿ب﴾: حرف باء الالتصاق ﴿سلطان﴾: لا تنفذون إلا بقوة قاهرة غالبية، لا قوة لكم ولا سلطان، هكذا يكون التحدي فالله ﷻ هو القاهر فوق عباده ﷻ وكل حقائق العلوم بأمر الله ﷻ؛ فإن عفا عنكم لم يصبكم العذاب، وإن وفقكم إلى علم؛ فقد استخدمتموه بإرادته ﷻ.

﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ (٣٤)

فبأي نعم الله ﷻ أيها الثقلان تكذبان؟

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ (٣٥)

﴿يُرْسَلُ﴾: يُقذف ويُرمى ﴿عَلَيْكُمَا﴾: الإنس والجان ﴿شَوْاظٌ﴾: لهبٌ خالصٌ لا دخان فيه، قال ابن عباس: لهب النَّارِ، وقال مجاهد: اللهب الأخضر المنقطع، وقال الضحَّاك: سيلٌ من النَّارِ ﴿مِنْ﴾: حرف جرٌّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿نَارٍ وَنُحَاسٌ﴾: قال ابن عباس، وابن جرير: دُخان النَّارِ بلغة العرب، وقال ابن عباس: الدُّخان الذي لا لهب له ﴿فَلَا﴾: حرفٌ تخصيصٍ ونهْيٍ يفيد طلب عدم الفعل ﴿تَنْتَصِرَانِ﴾: وهنا المقصود عدم النصر؛ فلا تفرَّان من الشواظ ومن النَّحاس.

﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ (٣٦)

فبأي نعم الله ﷻ أيها الثقلان تكذبان؟

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (٣٧)

﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿إِذَا﴾: حرفٌ مفاجأةٍ وأمرٍ للمستقبل ﴿انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾: انفتحت السماء أبواباً لنزول الملائكة إلى الأرض؛ ولتسوق الخلائق إلى المحشر، وهو أمرٌ مُفزعٌ؛ فكيف بمجموع السماوات إذا انشقت ﴿ف﴾: حرفٌ

استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ **﴿كَانَتْ﴾**: صارت السماء **﴿وَرْدَةً﴾**: حمراء احمرار الأديم أو الوردة الحمراء **﴿ك﴾**: مثل **﴿الذَّهَانِ﴾**: تعيد زيادة في الوصف وبخاصة الاحمرار والرطوبة، مثل الدهن الذائب في إشراق لونه، وقال مجاهد: أو في الأصابع؛ فتكون بلون الورد؛ تارة حمراء، أو صفراء، أو زرقاء، أو خضراء، من شدة هول يوم القيامة؛ كألوان الدهان، وقال ابن جريح: تكون كالدّهان الذائب.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٨)

فبأي نعم الله **﴿عَلَّمَ﴾** أيها الثقلان تكذبان؟

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ (٣٩)

﴿ف﴾: حرف استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ **﴿يَوْمَئِذٍ﴾**: قال قتادة: هذا يوم لا ينطقون، فقد ختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يُسْأَلُ﴾**: قال ابن عباس: لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا؛ لأنه أعلم بذلك منهم، **﴿عَنْ﴾**: حرف جرّ بمعنى على **﴿ذَنْبِهِ﴾**: ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا؟ **﴿إِنْسٌ﴾**: من بني آدم **﴿و﴾**: أيضًا **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿جَانٌّ﴾**: من الجنّ ولا تُسأل الملائكة عن المجرمين، بل يُعرفون بسيماهم، هذا الحال بعد أن أمر الله **﴿عَلَّمَ﴾** بهم إلى النار.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤٠)

فبأي نعم ربكما أيها الثقلان تُكذبان.

﴿يُعْرِفُ الْمَجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (٤١)

﴿يُعْرِفُ﴾: يتعرف الخلق **﴿الْمَجْرِمُونَ﴾**: الكفار **﴿ب﴾**: بآء المصاحبة والصلة **﴿سِيمَاهُمْ﴾**: تظهر علامات مميزة على وجوههم سوداء، وعيونهم زرقاء، كما يُعرف المؤمنون بالغرة، والتحجيل من آثار الضوء **﴿ف﴾**: حرف استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ **﴿يُؤْخَذُ﴾**: يُمسك **﴿بِالنَّوَاصِي﴾**: يُمسك بجهته بمقدمة الرأس **﴿وَالْأَقْدَامِ﴾**: أيضًا تجمع جهة المجرمين مع أقدامهم، ويُلقى كل واحدٍ منهم في النار، وقال ابن عباس: يُؤخذ بناصيته

وقدميه؛ فيُكسر كما يُكسر الحطبُ في التتور، وقال الضحاك: يُجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء أظهره.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤٢)

فبأي نعم الله ﷻ أيها الثقلان تكذبان؟

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (٤٣)

﴿هَذِهِ﴾: إشارة للمؤنث ﴿جَهَنَّمُ﴾: هذه النار ﴿الَّتِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمؤنث ﴿يُكَذِّبُ﴾: ينكر وجودها ﴿بِهَا﴾: التي كذبتُم بها أيها ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: هم الكفار، هي حاضرة، ترونها عياناً؛ وهذه صيغة توبيخ وتقريع.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ (٤٤)

﴿يَطُوفُونَ﴾: والطواف هو المشي حول شيء، يُمرّون تارةً ﴿بَيْنَهَا﴾: يُعذبون في الجحيم، ﴿و﴾: أيضاً ﴿بَيْنَ﴾: وتارةً يُسقون من ﴿حَمِيمٍ﴾ الحميم هو شرابٌ كالنحاس المُذاب يُقطعُ الأحشاء ﴿آنٍ﴾: قال ابن عباس: حارٌّ، قد بلغت الحرارة عظمها، قد انتهى عليه، واشتد حرّه.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤٥)

فبأي نعم الله ﷻ أيها الثقلان تكذبان؟

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ (٤٦)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحال ﴿ل﴾: حرفٌ تمليك، لامُ المُلك ﴿مَنْ﴾: هو الذي من جنس العاقل الآية عامة في الخلق ﴿خَافَ﴾: خشي ﴿مَقَامَ﴾: جاء اللفظ القرآني "مقام" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى الوقوف بين يدي ﴿رَبِّهِ﴾: في عرصات القيامة مالك أمره كلّه في الدنيا ويوم القيامة ﴿جَنَّاتٍ﴾: هنا الاعتبار للنوع وليس للحصر، لأنها أكثر من جنتين، التي قد يقصدُ بها للفرد الواحد، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «جَنَّاتٍ مِنْ فِصَّةٍ، أَنْيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّاتٍ مِنْ دَهَبٍ، أَنْيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا

إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءَ الْكَبِيرِ، عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ»^(١). جنتان تحقان بقصره أو واحدة عن يمين قصره والأخرى عن يساره.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤٧)

فبأي نعم الله ﷻ أيها الثقلان تكذبان؟

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ (٤٨)

﴿ذَوَاتَا﴾: صاحبتا ﴿أَفْنَانٍ﴾: يُطلق الفنن على اللون؛ فأفنان الفاكهة هي ألوانها المختلفة، وأفنان الشجر أغصانه العظيمة، يلتفت بعضها على بعض، وعلى الغصن الجنتان ذواتا أغصانٍ عظيمة، نضرة، حسنة فيها من كلِّ ثمرةٍ نضيجة، قال عطاء وآخرون: أغصان الشجر يمسُّ بعضها بعضًا، وقال عكرمة: ظلُّ الأغصانِ على الجدران، وقال ابن عباس: ذواتا ألوان، وقال عطاء: كلُّ غصنٍ يجمع قنوتًا، جمع قنو، من الفاكهة، وقال الربيع ابن أنس: واسعتا الفناء؛ وكُلَّها صحيحة؛ والله أعلم.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤٩)

فبأي نعم الله ﷻ أيها الثقلان تكذبان؟

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ (٥٠)

﴿فِيهِمَا﴾: في الجنتين ﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾: عينا ماءٍ، ليستا براكدي الماء، بل تسير فيهما المياه؛ لسقي الأشجار والأغصان، فُتْثِر من كلِّ الألوان، قال الحسن البصري: إحداهما تسمى تسنيم والأخرى سلسبيل، وقال عطية: إحداهما من ماءٍ غير آسن، والثانية من خمرٍ لذَّةٍ للشاربين.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٥١)

فبأي نعم الله ﷻ أيها الثقلان تكذبان؟

﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ (٥٢)

﴿فِيهِمَا مِنْ﴾: بعض أو جزء ﴿كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿فَاكِهَةٍ﴾: من جميع أنواع الثمار الحلوة المذاق، قد يكون الاكتفاء هنا بذكر الفاكهة إشارة عن الطعام والشراب ﴿زَوْجَانِ﴾: صنفان،

^(١) صحيح البخاري ١٤٥/٦ (٤٨٧٨).

صنفت معروف، وصنفت غريب مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، قال ابن عباس: ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة، وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٥٣)

فبأي نعم الله ﷻ أيها الثقلان تكذبان؟

﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَانِيئُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ (٥٤)

﴿مُتَكَبِّرِينَ﴾: مُسْتَدِين، وقيل الجلوس متربعين ﴿عَلَى﴾: حرف يدل على الظرف هنا بمعنى فوق ﴿فُرُشٍ﴾: ما يجلس عليه الإنسان ﴿بَطَانِيئُهَا﴾: ما بداخلها ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿إِسْتَبْرَقٍ﴾: هو الديباج السميك، وقيل الديباج المزيّن بالذهب، قال مالك بن دينار: بطانئها من استبرق وظواهرها من نور، وقيل بطانئها من استبرق وظواهرها من الرحمة ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿جَنَى﴾: ثمار ﴿الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾: دانية قريبة في تناول أهل الجنة؛ يقطفها قاعدًا أو قائمًا أو مضطجعًا؛ لتصبح في تناول اليد على كلّ حال.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٥٥)

فبأي نعم الله ﷻ أيها الثقلان تكذبان؟

﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئُنَّ مِنْ قَبْلُهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ (٥٦)

﴿فِيهِنَّ﴾: في الفُرش ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾: في هذه الفُرش زوجات حور العين اللاتي يغنين بحسنهن نظر أزواجهن عليهن بحسنهن، وقد يكون المعنى يغضضن البصر، إلا على أزواجهن، فلا يرين أحسن من أزواجهن ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَطْمِئُنَّ﴾: لم يُعاشِرهنَّ، مُعاشرة الأزواج؛ فهن أكار، يفيد هذا الوصف هنا أولاً ووقع ثانيًا تشريف الأزواج والاعتناء بهم من زوجاتهم ﴿إِنْسٌ﴾: من بني آدم ﴿قَبْلَهُمْ﴾: في الحياة الدنيا ﴿وَلَا جَانٌّ﴾: من الجنّ؛ لا أحد غير أزواجهن.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٥٧)

فبأي نعم الله ﷻ أيها الثقلان تكذبان؟

﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (٥٨)

﴿كَأَنَّهُنَّ﴾: حرف "ك" يفيد التشبيه، كنساء الجنة يرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير؛ حتى يرى مخها، نخاع العظام ﴿الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾: حجر كريم، لو دخل فيها سلك؛ فيرى من ورائه قال ﷺ: كُلِّ امْرِئٍ رُوجَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، يُرَى مَخُّ سَوْقِهِنَّ مِنْ وَرَاءِ الْعَظْمِ وَاللَّحْمِ^(١).

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٥٩)

فبأي نعم الله ﷻ أيها الثقلان تكذبان؟

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (٦٠)

﴿هَلْ﴾: حرف استفهام يفيد هنا النفي بمعنى ما ﴿جَزَاءُ﴾: ثواب ﴿الْإِحْسَانِ﴾: هو عبادة الله بإيمان، ويقين، طمعاً في رحمته، وخوفاً من عذابه ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿الْإِحْسَانُ﴾: إحسانُ الله ﷻ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ

الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ^(٢).

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٦١)

فبأي نعم الله ﷻ أيها الثقلان تكذبان؟

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ (٦٢)

(١) صحيح البخاري ١١٩/٤ (٣٢٥٤).

(٢) صحيح البخاري ١٠٥/٨ (٦٥٠٠).

﴿و﴾: أيضًا ﴿من﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿دونيهما﴾: أقل أو أعلى من الجنّتين السابقتين في المرتبة؛ ﴿جنّتان﴾ من ذهب أنيتهما، وجنتان من فضة، فالأوليان للمقربين، والأخريان لأصحاب اليمين.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٦٣)

فبأي نعم الله ﷻ أيها الثقلان تكذبان؟

﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ (٦٤)

﴿مُدْهَامَتَانِ﴾: الأوراق تبدو سوداء من شدة الخُضرة، هذا من شدة الريّ، ناعمةً، ومن المعروف أنّ الورقة الخضراء المحتوية على مادة الكلوروفيل، في أوراق شجر الدنيا هي التي تستفيد من أشعة الشمس، ثم تُغذي الأغصان للنمو، والتشبيه في الآخرة يدلُّ على الثمار الوفيرة.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٦٥)

فبأي نعم الله ﷻ أيها الثقلان تكذبان؟

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ (٦٦)

﴿فِيهِمَا﴾: في الجنّتين ﴿عَيْنَانِ﴾: عيون الماء ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾: فوارتان، تفيضان بالماء، وجاء: ﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن-٥٠]، قال ابن عباس: والجريان أقوى من النضح، وقال الضحاك: ممتلئتان، لا تنقطعان.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٦٧)

فبأي نعم الله ﷻ أيها الثقلان تكذبان؟

﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ (٦٨)

﴿فِيهِمَا﴾: في الجنّتين ﴿فاكِهَةٌ﴾: من كلّ أنواع فواكه الجنّة، وهي جاءت بصيغة نكرة التي تفيد العموم ﴿و﴾: أيضًا ﴿نَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾: خصّ الله ﷻ ذكرهما؛ لشرفهما، علمًا أنّ الرّمان في الدنيا شجرة مُعمّرة، يصل عُمرها إلى مئة عام.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٦٩)

فبأي نعم الله ﷻ أيها الثقلان تكذبان؟

﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ (٧٠)

في الجنتين أيضًا ﴿فِيهِنَّ﴾: في الجنّات الأربع ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾: نساءٌ حسان الأخلاق، حسان الوجوه، طيبات الأخلاق، قال قتادة: خيرات كثيرةٌ حسنه، أي ما جاء من الفواكه وغيرها، وهي جمع خيرة، وهي المرأة الصالحة الحسنة الوجه، وقد قرأها بعضهم خيرات.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٧١)

فبأي نعم الله ﷻ أيها الثقلان تكذبان؟

﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (٧٢)

﴿حُورٌ﴾: نساء حور جمع حوراء، أي بيضاء البشرة ﴿مَّقْصُورَاتٌ﴾: مستورات ﴿فِي الْخِيَامِ﴾: عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مَجْوَفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا^(١).

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٧٣)

فبأي نعم الله ﷻ أيها الثقلان تكذبان؟

﴿لَمْ يَطْمِئُنُّنَّ إِنْسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ (٧٤)

﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَطْمِئُنُّنَّ﴾: لم يعاشرهن عشرة الأزواج ﴿إِنْسٌ﴾: من بني الإنسان ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿جَانٌّ﴾: ولا عاشرهن جان، أي إنهن بكارى.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٧٥)

فبأي نعم الله ﷻ أيها الثقلان تكذبان؟

﴿مُتَكِنِينَ عَلَى رُفْرِفٍ خُضْرٍ وَعَنْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ (٧٦)

﴿مُتَكِنِينَ﴾: مستندين ﴿عَلَى رُفْرِفٍ خُضْرٍ﴾: جمع رفرفة وهي ما يبسط على الفراش للنوم عليه، ويغلب عليه اللون الأخضر، قال الحسن البصري: الوسائد ﴿و﴾: أيضًا مستندين على ﴿عَنْقَرِيٍّ﴾

(١) صحيح مسلم ٢١٨٢/٤ (٢٨٣٨).

حَسَانٌ: الفُرس، البُسط ذات التحمل، الرقيق، بُسط، فرش أهل الجَنَّة، وقال القيسي: هو كُلُّ ثوبٍ مُوشَى عند العرب، وقيل العبقْر هو موضعُ الجَنِّ يُنسب إليه كلُّ نادرٍ من إنسان وحيوان.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٧٧)

فبأي نعم الله ﷻ أيها الثقلان تكذبان؟

﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٧٨)

﴿تَبَارَكَ﴾: ﷻ ذكره، وكثُرَ خيره وإحسانه؛ أهلكَ أن يُجَلَّ فلا يُعصى، وأن يُكرم فيُعبد، ويُشكر فلا يُكفر، وأن يُذكر فلا يُنسى **﴿اسْمُ رَبِّكَ﴾**: وهو المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ لكلِّ شيءٍ في الكون من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام، وهو ﷻ الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، فهو ﷻ مالكُ أمرنا كُلِّه المتصرف فيه كيف يشاء **﴿ذِي﴾**: صاحب **﴿الْجَلَالِ﴾**: العظمة **﴿و﴾**: أيضًا صاحب **﴿الْإِكْرَامِ﴾**: صاحب الاستغناء المطلق، قال ابن عباس: صاحب العظمة والكبرياء والكرم والتفضُّل على عباده المنقطع النظير.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة؛ نعلم أهمية التفكير في آيات الله ﷻ الباهرة، وآثار رحمته في الدنيا والآخرة.



سُمِّيت سورة الواقعة بهذا الاسم في المصاحف وكتب السنَّة، ولا يُعرف لها اسمٌ غيره، هي سورة مكية بإجماع من يُعتدُّ به في التفسير، وترتيبها (٤٦) في عدِّ تنزيل سور القرآن الكريم، نزلت بعد سورة طه، وقبل سورة الشعراء، وعدد آياتها (٩٦) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

فضل السورة: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شُبِّتَ، قَالَ: شَيَّبْتَنِي هُوْدٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ^(١).

(١) سنن الترمذي ٤٠٢/٥ (٣٢٩٧)، وقال: حديث حسن غريب.

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (١)

﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها
﴿وَقَعَتِ﴾: إذا جاءت، إذا قامت، إذا حلتّ ﴿الْوَاقِعَةُ﴾: اسمٌ من أسماء القيامة، سُميت بذلك؛
لأنّها ستتحقق، أو لقرب وقوعها، أو لكثرة ما سيقع فيها من الشدائد.

﴿لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ (٢)

﴿لَيْسَ﴾: فعلٌ ماضٍ ناقصٌ يفيد النفي ﴿ل﴾: حرفٌ تخصيصٍ ﴿وَلَوْفَعَتِهَا﴾: ليس لوقوعها إذا
أراد الله ﷻ ﴿كَاذِبَةٌ﴾: لن توجد نفسٌ تكذبُ بها، وقال قتادة: لا صارف، ولا مانع، ولا دافع؛
لا بد أن تكون.

﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ (٣)

﴿خَافِضَةٌ﴾: تُذَلُّ وتُسْقَطُ أقوامًا أسفل سافلين إلى الجحيم؛ مهما كانت منزلتهم في الدنيا وهم
الفجّار، العرب يستعملون الخفض والرفع في المكان والمكانة، والعزّ والإهانة، وهذا على سبيل
المجاز، وليس الحقيقة، أمّا في الآخرة فالرافع والخافض هو الله ﷻ ﴿رَافِعَةٌ﴾: قال ابن عباس:
ترفع أقوامًا إلى أعلى عليين؛ مهما كانت منزلتهم قليلة في الدنيا، وهي ترفع أقوامًا وتخفض
آخريين، قال السدي: خفضت المتكبرين، ورفعت المتواضعين.

﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ (٤)

﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿رُجَّتِ﴾
﴿الْأَرْضُ﴾: تحركت تحريكًا شديدًا، قال ابن عباس، ومجاهد: إذا زُلزِلت الأرض زلزالًا، وتحركت
بطولها وعرضها، وقال الربيع بن أنس: تحركت كرجّ الغريال بما فيه ﴿رَجًا﴾: تأكيد الرجّ بشدة.

﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ (٥)

﴿و﴾: أيضًا ﴿بُسَّتِ﴾: وتعني فُتتت، وتفنتت، وتمزقت من قولهم ﴿الْجِبَالُ بَسًّا﴾: صارت فُتاتًا،
وتمزقًا، وتناثرًا.

﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ (٦)

﴿ف﴾: حرف استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿كَانَتْ﴾: صارت
﴿هَبَاءً﴾: غُبَارًا، مُتَفَرِّقًا، مُنْتَشِرًا، كالغبار الذي يطير من النَّار ﴿مُنْبَأً﴾: وقيل كأوراق الشجر
التي تُطِيرُهَا الرِّيح.

﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (٧)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿كُنْتُمْ﴾: أيها الخلق صرتم ﴿أَزْوَاجًا﴾: أصنافًا ﴿ثَلَاثَةً﴾: ينقسم النَّاسُ
إلى ثلاثة أصناف:

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ (٨)

﴿ف﴾: حرف سبب ﴿أَصْحَابُ﴾: بمعنى يملكون ﴿الْمَيْمَنَةِ﴾: قومٌ على يمين العرش، وهؤلاء
يأخذون كتابهم بيمينهم، وهم جمهورُ أهل الجنة، أصحاب اليمين والبركة، ناحية اليمين ﴿هَما﴾:
حرف استقهام ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾: ما أعلى وأسمى منزلتهم.

﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ (٩)

﴿و﴾: أيضًا ﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾: أهل الشؤم، الذين على يسار العرش،
الذين يأخذون كتبهم بشمالهم، ما أحقر ولا أسوأ منزلتهم وهم عامّة أهل النَّار.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (١٠)

﴿و﴾: أيضًا ﴿السَّابِقُونَ﴾: بالطاعات في الدنيا قال السدي: هم أهلُ عليين، وقال ابن سيرين:
الذين صلّوا في القبلتين، وقيل هم الأنبياء، عليهم السلام، وقال الحسن وقتادة: هم من كلّ أمةٍ،
وقيل هم أولُ النَّاسِ ذهابًا إلى المساجد، أو الذين خرجوا في سبيل الله ﷺ ﴿السَّابِقُونَ﴾:
والتكرار هنا للدلالة على التقخير والتعظيم، هم السابقون إلى الإيمان وهم السابقون إلى الجنة
يدخلونها قبل غيرهم.

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (١١)

﴿أُولَئِكَ﴾: اسمُ إشارة هنا للبعيد، مع قرب العهد للإيذان ببعدهم منزلتهم في الفضل ومحلهم في
الرفع؛ هم أصحاب اليمين، هم من البشر الذين آمنوا وأخلصوا، وهم ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾: عند الله

ﷻ.

﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (١٢)

﴿فِي جَنَّاتِ﴾: يدخلهم الله ﷻ ليس في جنّةٍ واحدةٍ بل في ﴿جَنَّاتِ﴾: في دار الخلود ﴿النَّعِيمِ﴾: المنعمون في المتعة الأبدية.

﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَى﴾ (١٣)

﴿ثُلَّةٌ﴾: جماعةٌ مُجمِعةٌ، ويقال الثُّلَّةُ هي قطعةٌ مجتمعةٌ من الصوف ﴿مِنَ﴾: جزءٌ أو بعضٌ حرفٌ جرٌّ يُفيد بياناً وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿الْأُولَى﴾: أعدادٌ كبيرةٌ من أمة محمد ﷺ ومن الأمم المؤمنة السابقة.

﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (١٤)

﴿وَقَلِيلٌ مِنَ﴾: تفيد بعض، فهي للتبعيض ﴿الْآخِرِينَ﴾: وقيل من آخر هذه الأمة. قال ابن جرير: هم أمة محمد ﷺ، أما عن أعدادهم؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ فِي قُبَّةٍ، فَقَالَ: أَتَرَضُونَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَتَرَضُونَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَتَرَضُونَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسَلِّمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشَّرِكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ^(١).

﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ (١٥)

﴿عَلَى﴾: حرف جر يفيد هنا العلو الحقيقي، يجلسون فوق ﴿سُرُرٍ﴾: هي الأسرة التي لها أرجل ﴿مَوْضُونَةٍ﴾: منسوجة بالذهب، وقال السدي: مُزَيَّنَةٌ بِالذَّهَبِ، وَاللُّؤْلُؤِ، وَقَالَ عِكْرَمَةُ: مُشْبِكَةٌ بِالذَّرْرِ وَالْيَاقُوتِ.

﴿مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَّقَابِلِينَ﴾ (١٦)

﴿مُتَّكِنِينَ﴾: مستندين ﴿عَلَيْهَا مُتَّقَابِلِينَ﴾: وجوه بعضهم إلى بعض، لا أحد يجلس خلف الآخر، تعبيراً عن المحبة.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وُندَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ (١٧)

(١) صحيح البخاري ١١٠/٨ (٦٥٢٨).

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾: والطوف هو المشي حول شيءٍ، يسير بينهم خدمٌ على هيئة ﴿وَلِدَانٍ﴾: والعرب تصف الغلام وليدًا ما لم يحتلم ويسمّون البنت وليدة ﴿مُخَلَّدُونَ﴾: خدمٌ كلهم على صفةٍ واحدةٍ، لا يشييون، ولا يتغيرون، ولا يموتون.

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ (١٨)

﴿بِ﴾: حرف باء التعددية ﴿أَكْوَابٍ﴾: الكيزان التي لا خراطيم لها، ولا آذان تُمسك منها ﴿وِ﴾: أيضًا ﴿أَبَارِيقَ﴾: لها خراطيم، ولها أيادي تُمسك منها ﴿وَكَأْسٍ﴾: أقذاح ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿مَعِينٍ﴾: خمرٍ، ليس فيها ذهابُ الوعي.

﴿لَا يُصَدَّغُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ (١٩)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُصَدَّغُونَ﴾: هنا للتفريق بين خمر الدنيا والآخرة؛ أي لا تتصدع رؤوسهم من شربها كما تتصدع من شرب خمر الدنيا ﴿عَنْهَا﴾: حرف يفيد المجاوزة، لا يصيب الشارب الصداع وجع الرأس كما يحدث في خمر الدنيا، بسبب تمدد الأوعية الدموية في الرأس والمخ من الكحول ﴿وِ﴾: أيضًا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُنْزِفُونَ﴾: لا تذهب عقولهم، قال ابن عباس: في خمر الدنيا أربع خصال: السكر، والصداع، والقيء، والبول، وهذا غيرُ حاصلٍ في خمر الآخرة.

﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ (٢٠)

﴿وَفَاكِهَةٍ﴾: جاءت أولًا للتخيير؛ من المعلوم أنّ معدة الإنسان تُفرزُ حامضًا مخففًا؛ يقوم بهضم الأطعمة، وبخاصة اللحوم، وهي التي تدخل في بناء عضلات الجسم التي بها يعمل، ولحم الطير وهو أفضل اللحوم؛ لسهولة هضمه، وبناء العضلات، وأما الفاكهة: فتقدمت على اللحوم؛ لأنها تحتوي على عناصر متعددة؛ منها السكريات اللازمة للعمل الشاق، وفيها الفيتامينات التي تدخل في بناء الجسم، وتتمام عمل وظائف أعضائه، وغيرها، والتفضيل ما جاء أولًا؛ لأهميتها الأكبر وهي من اللحوم، حيث توجد البروتينات في الحبوب، والبقول، أمّا الفاكهة فيفضل عدم تناول الفاكهة ذات الطابع القلوي على الطعام مباشرة؛ لأنّ المعدة ذات طابعٍ حمضيٍّ؛ فإذا اختلط القلوي بالحامض تعسر، وتأخر الهضم ﴿مِمَّا﴾: من التي ﴿يَتَخَيَّرُونَ﴾: مما يرغبون فيها.

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (٢١)

﴿و﴾: أيضًا ﴿لَحْمِ طَيْرٍ﴾: هي كلّ ذي أجنحة يسبح في الهواء، جاء اللفظ القرآني "طير" وهو طائر السَّمَان، هو أصغر من الحمامة، وأكبر من العصفور، يعرفه أهل فلسطين الفَرّ، وهو من أفضل الطيور، وقيل هي الإبل طرية اللحم، ترعى في شجر الجنّة ﴿مِمَّا﴾: من الذي ﴿يَشْتَهُونَ﴾: جاء اللفظ دالًّا فإن كانت الفاكهة بالتخيير فإنّ اللحم بالاشتفاء، بالرغبة الشديدة، لأن الجائع مشتته والشبعان غير مشتته، بل هو مختار، تتوقُّ نفوسهم لأكله.

﴿وَحُورٍ عِينٍ﴾ (٢٢)

﴿وَحُورٍ﴾: نساء بيض ﴿عِينٍ﴾: عيونهم واسعات؛ زيادة في الجمال.

﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ (٢٣)

﴿ك﴾: مثل، وحال ﴿أَمْثَالٍ﴾: في شكله، وصفائه، وبياضه مثل ﴿اللُّؤْلُؤِ﴾: من الأحجار الكريمة ﴿الْمَكْنُونِ﴾: المصون، المحفوظ في الصدف، إنهنّ لا يشبهن اللؤلؤ إلا في وجه واحد وهو صفاؤه وإشراقه؛ وليس في كلّ صفاته.

﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٤)

﴿جَزَاءً﴾: ثوابا لهم ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: ثمره عملهم، وصنيعهم الحسن في الدنيا بما عملوا من الصالحات في الدنيا.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا﴾ (٢٥)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾: في الجنّة لا أحد يتكلم في الجنّة ﴿لَغْوًا﴾: الكلام الفُحش، الذي لا خير فيه ﴿و﴾: أيضًا ﴿لَا﴾: نفي الكلام ﴿تَأْتِيًا﴾: ولا يقول كلامًا يؤثّم عليه.

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ (٢٦)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ ﴿قِيلًا﴾: قالوا قولًا ﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾: لا يسمعون إلا سلام الملائكة عليهم، وسلام بعضهم على بعض، وهذا ما يُعرف بتأكيد المدح.

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٢٧)

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾: بعد ذكر طائفة أو جماعة السابقين جاء ذكر الأبرار وهم أصحاب اليمين، ومنزلتهم أقل من السابقين ﴿مَا﴾: حرف استفهام بغرض التشويق؛ لإظهار عظيم مكانتهم؛ والتشويق لمعرفة أخبار ﴿أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾: جاء التكرار هنا بأسلوب الاستفهام للتخيم والتعظيم.

التكليف: ما حالهم، وكيف مصيرهم، هم أصحاب النعيم، والمكانة العظيمة، وأصحاب الشأن عند صاحب الشأن، ﷺ.

﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ (٢٨)

هم هؤلاء لهم من النعيم ﴿فِي سِدْرٍ﴾: هنا خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ تقديره هم، وقيل نباتٌ مع الثمر، يوجد أيضًا الثمر الذي يُعرف بالنبق في مصر وبالتمر في فلسطين ﴿مَّخْضُودٍ﴾: قال ابن عباس، وعكرمة: الذي لا شوك فيه، وقال ابن عباس: المرصع بالتمر، وقيل لأن سدر الدنيا كثير الشوك، قليل الثمر، وفي الآخرة عكس ذلك؛ فإن الله استبدل بشوكه الثمر؛ محل كل شوكة ثمرة. والله ﷻ أعلم.

﴿وَوَطْحٍ مُنْضُودٍ﴾ (٢٩)

﴿وَوَطْحٍ﴾: قال ابن عباس، وأبو هريرة، والحسن، وعكرمة، وقتادة: هو الموز، وقال طلحة: شجر العضات، كثير الشوك، وقال ابن عباس: متراكم الثمر يشبه طلع الدنيا، ولكن طعمه أحلى من العسل، وقال الجوهري: الطلح لغةٌ هو الطلع ﴿مَنْضُودٍ﴾: لا شوك فيه، وثمره كثير متراكم.

﴿وَوَظَلٍ مَمْدُودٍ﴾ (٣٠)

﴿وَوَظَلٍ﴾: حرفٌ عطفٌ يُفيدُ الحال ﴿وَوَظَلٍ مَمْدُودٍ﴾: دائم، لا ينحسر، ولا يتقلص، فهو ممتدٌ منبسطٌ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجْرَةً يَسِيرُ الرَّكِيبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ، وَأَقْرَعُوا إِنَّ شَتْمَ ﴿وَوَظَلٍ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة-٣٠] (١)

﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ (٣١)

(١) صحيح البخاري ١١٩/٤ (٣٢٥٢).

﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾: ماءٌ جارٍ مصبوبٍ، يجري في أخاديد، جاء في المعنى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [محمد-١٥]؛ فالماء الآسنُ بيئةٌ مناسبةٌ للطفيليات، ومن مسببات الأمراض.

﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ (٣٢)

﴿و﴾: أيضًا ﴿فَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾: عندهم من أنواع الفواكه المتنوعة التي لا تُعدّ ولا تُحصى.

﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ (٣٣)

﴿لَا﴾: حرف نفي والنفي هنا أثبت من الإثبات لأنه عمل الوصف والتوكيد ﴿مَقْطُوعَةٍ﴾: بدأ الحق ﷻ بذكر التي لا تتقطع؛ لأنها أعمُّ من الممنوعة لأن الممنوعة قد تكون موجودة ويمنعون عنها، بينما المقطوعة ليست موجودة تمامًا، كما تتقطع في الدنيا شتاءً وصيفاً ﴿و﴾: أيضًا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿مَمْنُوعَةٍ﴾: لا يمنعهم من قطفها شوكٌ، ولا ارتفاع أو عيدان، مهما طلبوا وجدوا؛ فلا تمتنع عنهم، بقدره الله ﷻ.

﴿وَفُرْشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ (٣٤)

﴿و﴾: أيضًا توجد ﴿فُرْشٍ﴾: الفرش للجلوس عليها ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾: ليست على الأرض، ولكنها مرتفعة، عالية على أسرة.

﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ (٣٥)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت بصيغة الجمع للتعظيم، بنون العظمة للدلالة على أن الله ﷻ أنشأهن فلم تقع عليهن الولادة، وإنهن لسن من نسل آدم ﷺ، هنّ الحور العين، هو الله ﷻ، ﴿أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾: نساء أهل الجنة نشأةً غير النشأة المعروفة في الحياة الدنيا، جاء اللفظ القرآني أنشأ على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى خلق أي أن الله ﷻ خلق النساء اللاتي على هذه الفرش، أو بمعنى أعادهن في النشأة الأخرى بعد ما كن عجائز، وقد يكون المقصود الحور العين؛ والله ﷻ أعلم.

﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ (٣٦)

﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿جَعَلْنَاهُنَّ﴾: صيرناهن أي عُدن، رجعن ﴿أَبْكَارًا﴾: كأن لم يظأهن أحدٌ من قبل.

﴿عُرْبًا أَتْرَابًا﴾ (٣٧)

﴿عُرْبًا﴾: جمع عرب ويُقال عُرْبَةٌ ويُجمع على عُرَبَاتٍ؛ وهو اسمٌ خاصٌّ بالمرأة المتحبة إلى زوجها ﴿أَتْرَابًا﴾: مستويات في الحسن، والعمر، وقيل المتماثلات.

﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٣٨)

﴿لِ﴾: حرف تملك وتخصيص، بمعنى من أجل ﴿أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾: قال ابن جرير: إنشأوهن لأصحاب اليمين، وقيل أترابًا لأصحاب اليمين في الأعمار.

﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَى﴾ (٣٩)

﴿ثُلَّةٌ﴾: جماعة ﴿مِنَ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿الْأُولَى﴾: جماعة كثيرة من أمم الأنبياء قبل بعثة محمد ﷺ.

﴿وَتِلْكَ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (٤٠)

﴿و﴾: أيضًا ﴿تِلْكَ﴾: جماعة ﴿مِنَ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿الْآخِرِينَ﴾: جماعة كثيرة هم الذين آمنوا بمحمد ﷺ.

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ (٤١)

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾: صنفٌ من البشر لهم مواصفات ﴿مَا﴾: حرف استفهام للتنبية ﴿أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾: ما هي مواصفاتهم وهي تشير إلى سوء حالهم، وخيبة مآلهم.

﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ (٤٢)

﴿فِي سَمُومٍ﴾: يعيشون في الهواء شديد الحرارة، فإذا تنفسوا دخل الهواء الساخن، يحرق صدورهم ﴿و﴾: أيضًا ﴿حَمِيمٍ﴾: الماء الحار؛ وإذا شربوا حرق الماء الساخن أحشاءهم، هم في حالة عذابٍ في كلِّ الأحوال.

﴿وَوَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ (٤٣)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿وَوَظِلٍّ﴾: يظلمهم ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿يَحْمُومٍ﴾: قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والسدي: الدخان، الشديد السواد.

﴿لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ﴾ (٤٤)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿بَارِدٍ﴾: ليس بطيبٍ إذا هبَّ الريح ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿كَرِيمٌ﴾: ولا ينفع من أذى الحرِّ، قال الضحاك: كلُّ شرابٍ ليس بكريمٍ؛ فهو ليس بعذب، وكريه المنظر.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ (٤٥)

﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد ﴿كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾: كانوا في الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾: منعمين، بملذات الشهوة، والمال، والجاه الحرام.
التكليف: إن الثواب من الله ﷻ فضلٌ، وإن العقاب منه ﷻ عدل.

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ (٤٦)

﴿وَكَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿يُصِرُّونَ﴾: مصرون ومقيمون ﴿عَلَى الْحِنثِ﴾: على الذنب، وعصيائهم بالكفر ﴿الْعَظِيمِ﴾: وهو الكفر الكبير بالله ﷻ، قال ابن عباس: على الشرك، وقال الشعبي: اليمين الغموس.

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أِنْدَا مِنْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (٤٧)

﴿وَكَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿يَقُولُونَ أ﴾: حرف استفهامٍ بغرض الإنكار والتشكيك والتوبيخ ﴿إِنْدَا﴾: حرف ربط ما بعدها على ما قبلها ﴿مِنْنَا وَ﴾: أيضًا ﴿كُنَّا﴾: صرنا ﴿تُرَابًا وَعِظَامًا﴾: يقولون منكبين للبعث؛ إذا ذابت أجسادنا في التراب، وتحللت العظام، وصارت كالرماد ﴿أ﴾: حرف استفهام الإنكار والتشكيك، بمعنى الاستبعاد ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحدٌ؛ للتوكيد ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿مَبْعُوثُونَ﴾: هل سنقوم أجسادًا من جديد؟

﴿أَوَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ (٤٨)

﴿أ﴾: حرف استفهام الإنكار والتشكيك، ﴿أَوَابَاؤُنَا﴾: أيضًا أجدادنا ﴿الْأَوَّلُونَ﴾: هل سنبعث نحن وسيبعث أيضًا أجدادنا، وأجدادُ أجدادنا؛ الذين صاروا ترابًا.

﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ (٤٩)

﴿قُن﴾: يا محمد ﷺ ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الْأُولَيْن﴾: من بعد آدم عليه السلام
﴿و﴾: أيضًا، مَنْ جاء بعدهم ﴿الْآخِرِينَ﴾: حتى يوم القيامة من بني آدم.

﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ (٥٠)

﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿مَجْمُوعُونَ﴾: مجتمعون كلهم إلى عرصات القيامة، لا مفرّ لأحدٍ
﴿إِلَى مِيقَاتِ﴾: موعدٍ محددٍ بوقتٍ ﴿يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾: يوم القيامة، الذي لا يعلمه إلا الذي حدّده
ﷻ.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾ (٥١)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ تتابعٍ مع التراخي الزمني، أي ليس فوراً؛ وأيضاً تفيد الرتبة ﴿إِنَّكُمْ﴾: أنتم بالتأكيد
﴿أَيْهَا﴾: حرفٌ نداءٍ للقريب والبعيد، وحرف تنبيهٍ ﴿الضَّالُّونَ﴾: التائهون عن طريق الهدى
﴿الْمُكَذِّبُونَ﴾: بيوم القيامة، وقد كذبتهم من قبل بالرسل والرسالات.

﴿لَا أَكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ﴾ (٥٢)

جزاؤكم ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿أَكُلُونَ﴾: سيكون طعامكم يوم القيامة ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ
يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿شَجَرٍ مِنْ﴾: حرفٌ يُفيد بداية الغاية
المكانية ﴿زُقُومٍ﴾: من أقبح شجرةٍ، كريهة الطعم، ثمارها طعامُ أهل النار، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾ فَلَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزُّقُومِ قَطَرَتْ فِي الْأَرْضِ لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ مَعِيشَتَهُمْ
فَكَيْفَ بِمَنْ لَيْسَ لَهُ طَعَامٌ غَيْرُهُ؟^(١).

﴿فَمَا لَبُثُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ (٥٣)

ستأكلون من الزقوم ﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ
﴿مَالِبُونَ﴾: امتلاء بطونكم عن آخرها ﴿مِنْهَا الْبُطُونَ﴾: لم يقل ﷻ بطونكم؛ في إشارةٍ إلى
أنهم لا يأكلون في بطونهم المعهودة، بل في بطونٍ أخرى؛ تمتلئ؛ ولا يشبعون؛ فلا يجدون
طعاماً إلا الزقوم.

(١) سنن ابن ماجه ٣٧٥/٥ (٤٣٢٥) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾ (٥٤)

﴿ف﴾: حرفٌ يُعِيدُ التتابعَ السريعَ وبسببِ العطشِ الشديدِ ﴿شَارِبُونَ عَلَيْهِ﴾: بعدَ طعامِ الزقومِ؛ ستشربونَ عليه ﴿مِن﴾: حرفٌ جرٌّ يُعِيدُ بيانَ وتمييزَ النوعِ ويفيدُ هنا ابتداءَ الغايةِ المكانيةِ ﴿الْحَمِيمِ﴾: الماءُ شديدُ الحرارة؛ أقصى درجاتِ الحرارة.

﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ (٥٥)

﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌّ بهدفِ ترتيبِ الأمرِ ويفيدُ هنا بسببِ هذا تندفعونَ بسرعةٍ ﴿شَارِبُونَ﴾: للشربِ ﴿شُرْبَ الْهِيمِ﴾: كالإبلِ العطشى، ومفردِ الهيمِ؛ أهيم، ومؤنثهما هيماء، قال ابن عباس: هي الظماء، وقيل الهيم: مرضٌ يأخذُ الإبلَ؛ فلا تروى أبداً؛ حتى تموت، وهذا حالُ أهلِ النَّارِ، لا يرتونَ من الحميمِ أبداً، وهو مرضٌ موجودٌ أيضاً في البشرِ اسمه مرضُ البولِ السكري الكاذب.

﴿هَذَا نُزِّلَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٥٦)

﴿هَذَا﴾: الذي جاء نكره، وهو التفاتة من الخطابِ إلى الغيبة؛ تحقيراً لشأنهم ﴿نُزِّلَهُمْ﴾: هذا مقامهم؛ وإقامتهم، وعقابهم عند ربهم ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾: يومِ الحسابِ، يومِ القيامة.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ (٥٧)

﴿نَحْنُ﴾: الله ﷻ، وجاءت هنا بصيغة الجمعِ للتعظيمِ ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾: أوجدناكم من غيرِ سابقِ مثالٍ؛ الحديثُ مُوجِبٌ إلى المكذِبينَ بالبعثِ، يقول ﷻ نحن أوجدناكم من ترابٍ ﴿فَلَوْلَا﴾: حرفٌ يحضُّ على الفعلِ؛ يُفيدُ التخصيصَ، أو الدلالةَ على فعلٍ؛ لوجودِ غيره ﴿تُصَدِّقُونَ﴾: فإذا فكرتم في النشأةِ الأولى، صدقتم بالبعثِ والنشورِ.

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ (٥٨)

وسنضربُ لكم دليلاً آخر: ﴿أ﴾: حرفٌ استفهامٍ بغرضِ الإنكارِ والتوبيخِ ﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌّ بهدفِ ترتيبِ الأمرِ ويفيدُ السببَ وسرعةَ التنفيذِ ﴿رَأَيْتُمْ﴾: شاهدتم أو علمتم علمَ رؤيةٍ فأخبروني ﴿مَا﴾: الذي ﴿تُمْنُونَ﴾: وهي النطفُ، التي تقذفونها في أرحامِ نساءكم، وهي الجزءُ المُذَكَّرُ من تكوينِ الجنينِ، ما يعرفُ بالسائلِ المنوي، الذي فيه مائتان وخمسون مليونَ حيوانِ منوي، ينزلُ

في المرّة الواحدة، هذه المخلوقات الدقيقة التي تتحرك بسرعة في كلّ اتجاه؛ حتى يكون من بينها واحدٌ يصل إلى بويضة الأنثى في قناة المبيض؛ ليكون الجنين بعد ذلك؛ ذكراً، أو أنثى.

﴿أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ (٥٩)

﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار والتوبيخ؛ بمعنى هل ﴿أَنْتُمْ﴾: تحديداً ﴿تَخْلُقُونَهُ﴾: يكون بشراً، والإجابة لا ﴿أَمْ﴾: أو ﴿نَحْنُ﴾: الله ﷻ، وجاءت هنا بصيغة الجمع للتعظيم ﴿الْخَالِقُونَ﴾: والإجابة نعم؛ فالذي خلق الإنسان كلّهُ، هو الذي خلق فيه الجهاز التناسلي، جاءت بصيغة الجمع والله واحدٌ؛ للتعظيم.

﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (٦٠)

﴿نَحْنُ﴾: هو الله ﷻ، وجاءت هنا بصيغة الجمع للتعظيم ﴿قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾: ومما قدرناه بينكم الموت، كما الحياة بأيدينا؛ فالموت بأيدينا، صرفناه بينكم، كلُّ مخلوقٍ في وقتٍ محددٍ، أنتم وغيركم من المخلوقات ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿نَحْنُ﴾: هو الله ﷻ، وجاءت هنا بصيغة الجمع للتعظيم ﴿بِمَسْبُوقِينَ﴾: لا يسبقنا أحدٌ، لسنا عاجزين عن شيءٍ، الخلق، والحياة، والرزق، والموت، والبعث، والحساب.

﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئْكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦١)

﴿عَلَى أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾: قادرون على أن نُغيّر خلقكم يوم القيامة ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿نُنشِئْكُمْ﴾: جاءت بصيغة الجمع ﴿فِي مَا﴾: الشكل الذي ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَعْلَمُونَ﴾: في خلقه مختلفة الصفات، والأحوال عن الحال الذي تعرفونه.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٦٢)

﴿وَلَقَدْ﴾: أيضًا تحقق في الماضي ﴿عَلِمْتُمْ﴾: عرفتم ﴿النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾: عرفتم أنّ الله ﷻ خلقكم أوّل مرّة، ولم تكونوا من قبل ﴿فَلَوْلَا﴾: حرف يحضُّ على الفعل؛ ويُفيد التخصيص، أو الدلالة على فعلٍ؛ لوجود غيره ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: علّمك تستدلون على أنّ الذي أنشأ النشأة الأولى قادرٌ على البعث، والنشور، في النشأة الثانية.

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ (٦٣)

﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار والتوبيخ ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿رَأَيْتُمْ﴾: كيف بين الله ﷻ للمكذابين من فضله عليهم ﴿مَا﴾: الذي ﴿تَحْرُثُونَ﴾: رأيتم الحرت، وهو شقُّ الأرض، التي ذلَّها لهم؛ فتحراثونها للزراعة، ولو شاء الله ﷻ لجعل سطح الأرض صخرًا؛ أو بحرًا مالحًا فلا زراعة، ولا نبات، ولا طعام.

﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ (٦٤)

﴿أ﴾: حرف استفهام يفيد التعجب والإنكار عليهم ﴿أَنْتُمْ﴾: تحديدًا ﴿تَزْرَعُونَهُ﴾: عبر ﷻ هنا في الزراعة بالفعل لأن المراد نفيها، هل أنتم تُثبتون الزرع في الأرض؟ والإجابة لا ﴿أَمْ﴾: هل ﴿نَحْنُ﴾: هو الله ﷻ، وجاءت هنا بصيغة الجمع للتعظيم ﴿الزَّارِعُونَ﴾: وعبر ﷻ هنا بالاسم لأن المراد هو ثبوتها، والحقيقة أن الله هو ﷻ الذي قدر، كيف يدخل الماء إلى الحبة، وكيف تمتد جذورها؛ لتأخذ من التربة عناصرها، وتخرج ساقها لأعلى؛ لتكون شجرة عظيمة، وحبًا مُتراكبًا.

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ (٦٥)

﴿لَوْ﴾: حرف امتناع، يُفيد الاستحالة عند البشر ﴿نَشَاءُ﴾: نرغب ونريد نريد ﴿ل﴾: حرف تخصيص وتحديد ﴿جَعَلْنَاهُ﴾: جاءت بصيغة الجمع لعظم الحدث ﴿حُطَامًا﴾: لو أردنا أن يجف؛ فيصبح حُطامًا قبل أن يُثمر؛ لفعلنا قبل استوائه وحصاده ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿ظَلْتُمْ﴾: بقيتم ﴿تَفَكَّهُونَ﴾: قال مجاهد، وابن عباس: تتعجبون، وقال ابن جرير: تُفجعون وتحزنون، وقال عكرمة: تتلاومون، وقال الحسن، وقتادة: تتدمون.

التكليف: نلاحظ هنا: أن في لغة العرب بعض الكلمات تحمل المعنى وضده؛ مثل تفكَّهت بمعنى تتعمت، وتفكَّهت بمعنى حزنت.

﴿إِنَّا لَمُفْرَمُونَ﴾ (٦٦)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع للتعظيم والتوكيد ﴿لَمُفْرَمُونَ﴾: إِنَّا لخاسرون ومعذبون، إِنَّا سئلي بنا في النار، وقال مجاهد،

وعكرمة: لموضع بنا، سحرقوننا، وقال قتادة: مُعذَّبون، وبذلك نكون مُغرَمين من الغرم، وهي الخسارة.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ (٦٧)

﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: من الرزق؛ لَنْ يكون لنا مال، ولا نجني ربحًا، قال مجاهد: أي لاحظ لنا.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ (٦٨)

﴿أ﴾: حرف استفهام يُفيد الإنكار والتوبيخ ﴿ف﴾: حرف يُفيد السبب ﴿رَأَيْتُمُ الْمَاءَ﴾: ألم تتفكروا في الماء العذب ﴿الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾: اقتصر هنا قول الله ﷻ على ذكر الشرب مع كثرة فوائد الماء ومنافعه للإنسان والحيوان والنبات، وفي المحصلة فالإنسان هو المستفيد في كلِّ هذا ولا حياة لكم ولا حياة للنبات بدونه.

﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ (٦٩)

﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار عليهم والتوبيخ لهم ﴿أَنْتُمْ﴾: تحديداً ﴿أَنْزَلْتُمُوهُ﴾: هل أنتم جعلتم مياه البحر تتبخر، ثم سخرتم الرياح لتحملها، ثم سخرتموها تسير فوقكم؛ وتنزل عليكم ﴿مِن﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿الْمُزْنِ﴾: جمع مُزنة وهي السحابة المُحملة ببخار الماء، فينزل الماء من السحاب، إنّ الذي يسوقه هو الله ﷻ، إلى حيث يشاء؛ فيتساقط منهمراً يسقي، ويُخترن في باطن الأرض، أو يجري أنهارًا ﴿أَمْ﴾: بمعنى أو ﴿نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ بل نحن المنزلون.

﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَا أَجَا فُلُولًا تَشْكُرُونَ﴾ (٧٠)

﴿لَوْ﴾: حرف يُفيد الاستحالة عند البشر ﴿نَشَاءُ﴾: أردنا ﴿جَعَلْنَا أَجَا فُلُولًا﴾: لو أردنا أن نجعله كمياه البحار المرّة، مثل ماء البحر الميت، في فلسطين لفعلنا، ولو أردناه مالحًا كالبحار لفعلنا ﴿فُلُولًا﴾: حرف يحضُّ على الفعل؛ يُفيد التخصيص، أو الدلالة على فعل؛ لوجود غيره ﴿تَشْكُرُونَ﴾: فهلا شكرتم، ألا يدفعكم هذا إلى التفكير في شكر الله ﷻ.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ (٧١)

﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار والتوبيخ ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿رَأَيْتُمْ﴾: هل شاهدتم وتفكرتم في ﴿النَّارِ الَّتِي تُورُونَ﴾: التي نُخرجها لكم من قدح الزناد، من الكبريت، ومن وسائل أخرى لمنافعكم.

﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ (٧٢)

﴿أ﴾: سؤال استتقاري توبيخي ﴿أَنْتُمْ﴾: هل أنتم تحديدًا ﴿أَنْشَأْتُمْ﴾: من اخترع ﴿شَجَرَتَهَا﴾: هل تفكرتم في الشجر كيف يجف، وكيف تُوقدونه ﴿أَمْ نَحْنُ﴾: الله ﷻ ﴿الْمُنْشِئُونَ﴾: والإجابة نعم أن الله ﷻ هو الذي أنشأها.

﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقِيمِينَ﴾ (٧٣)

﴿نَحْنُ﴾: هو الله ﷻ، وجاءت هنا بصيغة الجمع للتعظيم ﴿جَعَلْنَاهَا﴾: سخرناها بعد خلقها ﴿تَذْكَرًا﴾: هذه النار الصغرى يجب أن تُذكركم بالنار الكبرى يوم القيامة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ قَالَ: فَضِلَّتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا^(١) ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿مَتَاعًا﴾: جاء اللفظ القرآني "متاع" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى جعلها الله ﷻ منافع؛ للاستفادة منها، والتمتع بفوائدها ﴿ل﴾: حرف تملك ﴿الْمُقِيمِينَ﴾: للمسافرين من الناس، والمقيمين أجمعين، للجميع في جُلِّهم وترحالهم.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (٧٤)

﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿سَبِّحْ﴾: نزه الله ﷻ، صاحب القدرة، والفضل، منها الماء العذب، وخلق النار؛ للحياة والاستمتاع ﴿ب﴾: حرف الباء الاستعانة ﴿اسْمِ رَبِّكَ﴾: تعني كلمة الرب: المعبود، والمُربي، وهو إنشاء الشيء حالًا فحال إلى حدّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد، فهو المالك لك ولكلِّ أمرك ﴿الْعَظِيمِ﴾: الخالق، البارئ المتكبر.

(١) صحيح البخاري ٤/١٢١ (٣٢٦٥).

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ (٧٥)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿لَا﴾: قيل أن لا هنا زائدة، بمعنى أقسم، واللفظ فلا يعني حرف تخصيصٍ وحثٍّ على الفعل، وقيل ليست زائدة، وتقدير الكلام: لا أقسم بمواقع النجوم، ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحرٌ أو كهانة ﴿أُقْسِمُ﴾: في موضوع قسم الله ﷻ، قال الضحاك: هذا استفتاح؛ لأنَّ الله لا يُقسم بشيءٍ من خلقه، وقال الجمهور: هذا قسم؛ فالله ﷻ يُقسمُ بما يشاء من خلقه؛ دليلَ عظمته ﴿ب﴾: حرفُ باءِ الظرفية ﴿مَوَاقِعِ﴾: بنزول واختفاء النجوم في مغاربها في السماء. تُقدَّر المسافة بين الأرض والشمس بحوالي (١٥٠ مليون) كيلومتر، حوالي (٤, ٣ سنة ضوئية)، وكلُّ سنةٍ منها تُقدر بحوالي (٩, ٥ مليون) كيلومتر، ومن المعلوم من المواقع، موقع الشمس التي هي أقرب الكواكب إلى الأرض، وعندما يصدر منها الضوء يصل للأرض بعد ثماني دقائق وعشرين ثانية، وتُسير الشمس في اتجاه نجم النسر بسرعة (١٩, ٤) كيلومتر في الثانية، وتدور حول مركز المجرة بسرعة (٢٢٠) كيلومتراً في الثانية ﴿النُّجُومِ﴾: إنَّ النجوم هي كتلٌ من الغاز المُلتهب المشتعل، يصدر عنه ضوءٌ لا ينطفئ بلابيين السنين، ينتج عن عملية الاندماج النووي الذي تتحد فيه أنوية العناصر الخفيفة، مثل غاز الهيدروجين فينتج عنها عناصر أثقل، وقال ابن عباس: نجوم القرآن؛ حيث نزل القرآن الكريم ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا، ثم نزل مُفرَّقاً في السنين بعد ذلك، وقال ابن عباس أيضاً: مطالع الشمس ومشارقها؛ ومواقع الشمس هي منازلها.

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (٧٦)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿إِنَّهُ﴾: هو بالتأكيد ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿قَسَمٌ﴾: لعظمتهم المُقسم، وهو الخالق لهذا الكون، بما فيه المقسوم عليه ﴿لَوْ﴾: حرفٌ يفيدُ الاستحالة، إذا علمتم عظمته ﴿تَعْلَمُونَ﴾: تُدركون الحقيقة ﴿عَظِيمٌ﴾: أنه، ومصدره، ونتأججه كبيرة.

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (٧٧)

﴿إِنَّهُ﴾: جواب القسم بالتأكيد ﴿لَنْ﴾: حرف تخصيص يفيد هنا تحقيق القسم، والله ﷻ أعلم
﴿قُرْآنٌ﴾: كتابٌ عظيمٌ جمُّ المنافع ﴿كَرِيمٌ﴾: كرمه الذي أنزله ﷻ لما فيه من أسس الإيمان،
وتعاليم الخالق، وقصص الأولين، ومصير القادمين.

﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ (٧٨)

﴿فِي كِتَابٍ﴾: عند الله ﷻ ﴿مَكْنُونٍ﴾: محفوظٌ، مصونٌ عن أعين الخلق، موقرٌ، معظَّمٌ، قال
ابن عباس: هو الكتاب الذي في السماء.

﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (٧٩)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَمَسُّهُ﴾: لا تُصيبه في العمق، لا تمسه الشياطين، لا في مظهره، ولا في
جوهره، كما زعم كفار قريش ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿الْمُطَهَّرُونَ﴾: والطهارة نوعان طهارة النفس
من الآثام، وطهارة الجسد من الأوساخ قال ابن عباس: هم الملائكة، وقال قتادة: لا يمسه عند
الله إلا المطهرون؛ أمّا في الدنيا فلا يمسه أي شخص، وقال أبو العالية: ليس أنتم أيها
المدنّبون، قال الفراء: لا يجد طعمه إلا المؤمنون.

﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨٠)

﴿تَنْزِيلٌ﴾: هذا القرآن مُنَزَّلٌ من السماء ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا
بداية الغاية الكلية ﴿رَبِّ﴾: المعبود، والمُرَبّي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابر لكسر
البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، هو ﷻ مالك أمر ﴿الْعَالَمِينَ﴾: من مالك
الملك، والملكوت ربّ العالمين، ليس بسحرٍ أو كهانةٍ، أو شعرٍ.

﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ﴾ (٨١)

﴿أَف﴾: حرف استفهام يفيد الإنكار والتعجب ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد
السبب وسرعة التنفيذ ﴿بِهَذَا﴾: اسمُ إشارةٍ للمفردِ المذكرِ ﴿الْحَدِيثِ﴾: ما سمعتم من كلام الله
ﷻ، يُخاطب عقولكم إن كانت سليمة صدّقت، وإن كانت فاسدةً كذّبت ﴿أَنْتُمْ﴾: بالتأكيد
﴿مُذْهَبُونَ﴾: قال ابن عباس: مُكذّبون، وقال مجاهد: تمالؤوهم، وتداهونوهم، تتهاونون فيه؛ ولا
تأخذوه بجدٍ.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (٨٢)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحالَ ﴿تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾: تجعلون شكركم لله ﷻ على ما رزقكم من النعم ﴿أَنْكُمْ﴾: أنتم بالتأكيد ﴿تُكَذِّبُونَ﴾: به ﷻ الشكر؛ تجعلون شكركم أنكم تكذبون بالحق، فتنسبون نزول المطر إلى ظواهر طبيعية، كما قالوا: هو من النوع.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُقُومَ﴾ (٨٣)

﴿فَلَوْلَا﴾: حرفٌ يحضُّ على الفعل؛ يُفيدُ التخصيص، أو الدلالة على فعلٍ؛ لوجود غيره ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿بَلَغَتِ﴾: الروح وهي تخرج من الجسد ﴿الْحُقُومَ﴾: وصلت الحلق حين الاحتضار، وجاء في المعنى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّرَاقِيَ﴾ [القيامة-٢٦].

﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾ (٨٤)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿أَنْتُمْ حِينِيذٍ﴾: وأمامكم من هو على وشك الموت، وهو يُكابِدُ سكرات الموت ﴿تَنْظُرُونَ﴾: إليه وهو يودِّعُ الحياة، ولا تستطيعون أن تساعدوه بشيءٍ.

﴿وَوَحْنٌ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (٨٥)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحالَ ﴿وَحْنٌ﴾: هو الله ﷻ، وجاءت هنا بصيغة الجمع للتعظيم ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾: أقرب ممن يعاني سكرات الموت عن طريق الملائكة ﴿مِنْكُمْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية وأنتم تجلسون حوله ﴿وَلَكِنْ﴾: حرفٌ استدراكٍ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تُبْصِرُونَ﴾: لا ترون الملائكة.

﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ (٨٦)

﴿فَلَوْلَا﴾: حرفٌ يحضُّ على الفعل؛ يُفيدُ التخصيص، أو الدلالة على فعلٍ؛ لوجود غيره، هنا بمعنى غير مبعوثين للحساب ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُمْ غَيْرَ﴾: حرف غير استثناء بمعنى إلا ﴿مَدِينِينَ﴾: غير مقهورين ولا مبعوثين، وغير مُصدِّقين، ولا تؤمنون بالبعث، أن تدفعوا عن هذه النفس، وقال مجاهد: غيرُ مُوقنين أنكم سُدَّانُون، وتُبعثون، وتُجزون.

﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٨٧)

﴿تَرْجِعُونَهَا﴾: تعيدون الروح إلى الجسد وهي تخرج منه، قال سعيد بن جبير: فردوا هذه النفس، وقال ابن مهران: غير معذبين، غير مقهورين ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: لن تستطيعوا فأنتم فيما افترتكم كاذبون.

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٨٨)

عند الموت يكون الإنسان كواحدٍ من ثلاثة: أن يكون من المُقَرَّبِينَ، أو يكون أقلّ من ذلك، وهم أصحاب اليمين، أو أن يكون من المُكذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿فَأَمَّا﴾: حرف تفضيلٍ وتوكيدٍ بمعنى أي ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾: السابقين إلى الخيرات الذين فعلوا الواجبات، بإيمانٍ ويقينٍ، وتركوا المحرّمات.

﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ (٨٩)

﴿فَرُوحٌ﴾: قال ابن جبير: الروح الفرحة. له راحةٌ؛ ولا تعب بعدها، جاء اللفظ القرآني "روح" على وجهين؛ هنا بمعنى لهم راحةٌ ورحمةٌ في الجنّة ﴿و﴾: أيضًا لهم ﴿رِيحَانٌ﴾: ورزقٌ طيبٌ، واستراحةٌ، جنّةٌ ورخاءٌ، وقال ابن عباس: ريحان يعني رزق ﴿وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾: تُقبض روحهُ بغصنِ ريحان الجنّة، قال محمد بن كعب: يُعرفُ أهو من أهل الجنّة أم من أهل النَّارِ.

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٩٠)

﴿و﴾: أيضًا ﴿أَمَّا﴾: حرف يُفيدُ التفضيل والتوكيد ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كَانَ﴾: المحتضر ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾: الذين يستلمون كتابهم بيمينهم يوم القيامة؛ فهؤلاء هم الفائزون.

﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٩١)

﴿ف﴾: حرفٌ يفيدُ هنا السبب وسرعة التنفيذ ﴿سَلَامٌ﴾: أمنٌ واطمئنان ﴿لَكَ﴾: تخصيصًا، تُبشِّرُهُ الملائكةُ؛ فنقول له لا بأس عليك، أنت في سلامة ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيدُ بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾: يسلمُ عليك أصحاب اليمين، قال قتادة: هو سلمٌ من عذاب الله ﷻ، وسلمت عليه الملائكة، قال ﷻ في المعنى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [فصلت-٣٠].

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ (٩٢)

﴿و﴾: أيضًا ﴿أَمَّا﴾: حرفٌ يُفيد التفضيل والتوكيد، أي ﴿إِنَّ﴾: حرف شرط ﴿كَانَ مِنْ﴾
﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾: كان المُحتَضِر من المُكذِّبين بالله ﷻ، ورسوله، ﴿الصَّالِينَ﴾: الزائغين والتائهين
عن الحق وهم الكفَّار.

﴿فُنُزْلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ (٩٣)

﴿ف﴾: لهذا السبب يكون مصيره ﴿نُزْلٌ﴾: سيكون في ضيافة ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان
وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿حَمِيمٍ﴾: الماء الذي وصلت حرارته أعلى الدرجات،
الذي يُصَهَّر به ما في بطونهم والجلود.

﴿وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ﴾ (٩٤)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيد الحال ﴿تَصْلِيَةٌ﴾: مصيره حريق ﴿جَحِيمٍ﴾: له في النَّار؛ تغمرُ جميع
جهاته.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ (٩٥)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿هَذَا﴾: حرفٌ تنبيه وإشارة، إنَّ الخبر الذي أخبرناك
إياه ﴿ل﴾: حرف تمليك ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المذكر،
هنا هو ﴿حَقُّ﴾: صدقٌ لا كذب فيه ﴿الْيَقِينِ﴾: التأكد التام.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (٩٦)

﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿سَبِّحْ﴾: نزه الله ﷻ
عن كلِّ النواقص.

التكليف: عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، يَقُولُ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة-
٧٤] قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ فَلَمَّا نَزَلَتْ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى-
١] فَقَالَ: اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ^(١) ﴿ب﴾: حرف باء الاستعانة ﴿اسْمِ رَبِّكَ﴾: مالك أمرك كله
﴿الْعَظِيمِ﴾: عَن جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٥١٩/٢ (٣٧٨٣) وقال: حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه. ووافقہ الذہبی

نَحْلَةُ فِي الْجَنَّةِ^(١)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ^(٢).
التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ ندرك أهوال يوم القيامة، وأصناف الناس فيها.



سُميت سورة الحديد بهذا الاسم في عهد الصحابة في المصاحف وكتب السنة، ووجه التسمية لوقوع لفظ "الحديد" في السورة، وهي سورة مدنية عند الجمهور، وترتيبها (٩٤) في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الزلزلة، وقبل سورة القتال، وعدد آياتها (٢٩) آية عند أهل البصرة والكوفة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١)

﴿سَبِّحْ﴾: تُنَزَّرُ كُلُّ الْمَخْلُوقَاتِ؛ الْإِنْسَانَ، وَالْحَيَوَانَ، وَالنَّبَاتِ، وَالسَّمَوَاتِ، وَالْأَرْضِ، الْخَالِقِ ﷻ عَنْ النِّقَاصِ، وَتَذَكَّرُ مَجْدَهُ، وَقُدْرَتَهُ، وَكِرْمَهُ ﴿لِلَّهِ مَا﴾: مَلِكُ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي مِنْ جِنْسٍ غَيْرِ الْعَاقِلِ ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هِيَ كُلُّ مَا عَلَا الْأَرْضَ وَأَحَاطَ بِهَا ﴿و﴾: أَيْضًا سَبِّحْ لِلَّهِ تَعَالَى مَا فِي ﴿الْأَرْضِ وَهُوَ﴾: ضَمِيرُ الْمَفْرَدِ، هُنَا الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ﷻ ﴿الْعَزِيزُ﴾: الَّذِي خَضَعَ لَهُ الْكَوْنُ؛ فَهُوَ الْقَوِيُّ الْغَالِبُ ﴿الْحَكِيمُ﴾: يَخْلُقُ لِحِكْمَةٍ وَيَشْرَعُ لِحِكْمَةٍ؛ فَهُوَ الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ.

التكليف: ورد التسبيح في القرآن بلفظ الماضي، لسبق زمنه، والمضارع؛ لشمول الحال، والأمر للإشارة إلى أنّ هذه الأشياء تسبح في كل الأوقات أبدًا.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢)

﴿لَهُ﴾: لِلَّهِ ﷻ، حَرْفُ تَمْلِكِ ﴿مُلْكُ﴾: اِمْتِلَاكٌ بِلا شَرِيكَ، هُوَ ﷻ، الْمُتَصَرِّفُ فِي خَلْقِهِ ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هِيَ كُلُّ مَا عَلَا الْأَرْضَ، وَأَحَاطَ بِهَا؛ لِكُونِهَا بِيضَاوِيَةَ الشَّكْلِ ﴿و﴾: أَيْضًا لَهُ

(١) سنن الترمذي ٥١١/٥ (٣٤٦٤) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح البخاري ١٣٩/٨ (٦٦٨٢).

ملك ﴿الْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: يتصرف في ملكه؛ فيحيي ويميت بقدر قدره، وحكمة ﴿وَهُوَ﴾: حرف يُفيد ضمير الغائب الفرد المذكر ولكنّه يعني هنا الله ﷻ ﴿عَلَى كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت نكرة لتفيد العموم ﴿قَدِيرٌ﴾: إذا أراد شيئاً كان، وله المخلوقات في السموات، وفي الأرض، التي لا يعلمها إلا الله ﷻ، ولم يكشف إلا عن جزءٍ منها.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣)

﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، هنا هو ﷻ ﴿الْأَوَّلُ﴾: ليس قبله شيء، السابق على جميع الموجودات؛ لأنّه أوجدها ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يُفيد الحال ﴿الْآخِرُ﴾: ليس بعده شيء، الباقي بعد فناء الموجودات بلا نهاية، ليس بعده شيء ﴿وَالظَّاهِرُ﴾: ليس فوقه شيء، ﷻ فوق كلّ الخلق، هو الباقي بعد فنائهم من إنسٍ، وجنٍ، وأرضٍ، وكواكبٍ، والظاهرٌ بوجوده وصنيعه؛ يُبصر الإنسان بقدرته ﷻ يعلم ما في نفسه، وما حوله ﴿وَالْبَاطِنُ﴾: الذي لا يخفى عليه شيء ﴿هُوَ بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة لتؤكد كلّ شيء ﴿عَلِيمٌ﴾: ما من شيءٍ يتمُّ إلا بعلمه.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٤)

﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، هنا تعني الله ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد، والمقصود هنا الواحد، الأحد، ﷻ ﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير وجود سابق ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلّ ما علا الأرض، ﴿و﴾: أيضاً خلق ﴿الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: وهو القادر على خلقها في أقلّ من طرفة عينٍ. انظر [الأعراف-٥٤] ﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفيد التتابع الزمني غير السريع ﴿اسْتَوَىٰ﴾: علا وارتفع علواً يليق بجلاله ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾: فوق جميع خلقه، استواءً يليق بجلاله ﷻ. انظر [هود-٧] ﴿يَعْلَمُ﴾: علم الخالق ﴿مَا﴾: الذي ﴿يَلْجُ﴾: ما يدخل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: يعلم ﷻ عدد ما في الأرض من حبّ الزرعة، وقطرات الماء، ونزول الملائكة، وكلّ شيءٍ ﴿وَمَا﴾: الذي ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا﴾: حرفٌ يُفيد بداية الغاية المكانية، من الأرض

من نباتٍ وزرعٍ وثرواتٍ معدنيةٍ وغيرها، ويعلم ﷺ أعمالَ العباد، والأرواح، التي تُرفع، ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَغْرُجُ فِيهَا﴾: من الملائكةِ والأعمالِ ﴿وَهُوَ﴾: ضميرٌ للمفرد، وهي هنا لله ﷻ جلَّ شأنه ﴿مَعَكُمْ﴾: رقيبٌ عليكم، شهيدٌ على أعمالكم ﴿أَيْنَ﴾: في أي موضع ﴿مَا كُنْتُمْ﴾: في البرِّ، أو البحرِ، أو في السماء، في الليل، أو في النَّهَارِ، في البيوت أو في الغابات، يسمع ما تقولون، ويعلم ما تُسرون، وتتاجون ﴿وَاللَّهُ بِمَا﴾: بالذي ﴿تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: يرى ويسمع أينما كنتم، قَالَ جبريلُ ﷺ ما الإحسانُ؟ قَالَ النبي ﷺ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. (١).

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٥)

﴿لَهُ﴾: تخصيصٌ وتمليكٌ لله ﷻ ﴿مُلْكُ﴾: هو مالك ما أوجد في ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها ﴿و﴾: أيضًا له ملك ﴿الْأَرْضِ﴾: جاء التكرار للتأكيد أنّ كلَّ ما في الأرض ملكٌ لله ﷻ، وأهلها عبيدٌ له، أدلاء بين يديه، ذلّة المملوك لمالكه ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ﴾: تعود ﴿الْأُمُورُ﴾: الكلُّ سيرجع له ﷻ يوم القيامة؛ فيحكم فيهم؛ عدلاً لا ظلم فيه.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٦)

﴿يُولِجُ﴾: يُدخل زمن ﴿اللَّيْلِ فِي﴾: بمعنى على زمن ﴿النَّهَارِ﴾: فيكون الظلام ﴿وَيُؤَلِّجُ﴾: أيضًا يُدخل زمن ﴿النَّهَارِ فِي﴾: على زمن ﴿اللَّيْلِ﴾: يُدخل ما نقص من ساعات الليل في النهار فيزيد زمن النهار؛ ويُدخل ما نقص من ساعات النَّهَارِ في الليل فيزيده، فيكون الضوء، ومن المعلوم أنّ الليل يقصر لصالح النهار، والعكس صحيح، ومن المعلوم أنّ الأرض تدور حول نفسها مرّة كلَّ (٢٣، ٩٣٤) ساعة، وبذلك يتكون الليل والنَّهَارِ، ولسهولة وسلاسة دورانها وانتظامه، ينتقل الليل إلى النَّهَارِ، والنَّهَارِ إلى الليل بسهولة وسلاسة وانتظامٍ، ولأنَّ الأرض مخلوق شبه كروي، يبلغ قطرها الاستوائي الأفقي حوالي (١٢، ٧٥٦) كيلو متر، وقطرها القطبي، الطولي يبلغ (١٢، ٧١٣) كيلو مترًا؛ يطول النهار ويقصر بصورة منتظمة على مدار السنة ﴿وَهُوَ﴾: ضميرٌ للمفرد وهو هنا الله ﷻ ﴿عَلِيمٌ﴾: صاحب العلم الكلي ﴿بِ﴾: حرف باء

المصاحبة ﴿ذَات﴾: طبيعة وجوهر ﴿الصُّدُور﴾: يعلم كلَّ العلم، السرائر وما تكنّ الصدور، التي فيها القلوب، ويعلم الذي توسوس به النفوس، ألا يعلم صاحبُ الصنعةِ صنعته؟ كما يعلم ﷺ سرائر الكواكب؛ يعلم سرائر النفوس ﷺ.

التكليف: إنّ دراسة حركة الشمس والقمر تقود إلى الإيمان، فقد نزلت هذه الآيات بهذا العلم في عصر الجاهلية.

﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٧)

﴿آمِنُوا بِاللَّهِ﴾: أمر الله ﷻ الناس أن يصلوا إلى مرحلة التصديق أن الله ﷻ هو مالكُ الملك، المُتصرف فيه ﴿و﴾: أيضًا آمنوا وصدّقوا ﴿بِرَسُولِهِ﴾: وأنَّ محمدًا ﷺ عبد الله ﷻ، أرسله بالحق للناس ﴿وَأَنْفِقُوا﴾: من المال الذي آتاكم الله ﷻ ﴿مِمَّا﴾: بعضًا أو جزءًا ﴿جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾: أخذتموها ممن سبقكم؛ فاستعملوه في طاعة الله ﷻ، وفق ما شرّع؛ فسوف يؤول إلى من بعدكم؛ فاستخدموه في طاعة الله ﷻ، فقد ينفقونه في سبيل غير سبيل الله، فتكونوا أنتم جمعتم وآل جزاؤهم لغيركم، أو يستخدموه في معصيته ﷻ؛ فتكونوا قد أعنتم على إثم ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر؛ ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد هنا جميع مَنْ ﴿آمِنُوا مِنْكُمْ﴾: هذه الكلمة تفيد اطمئنان المؤمنين؛ لأن الله ﷻ شهد لهم بأنهم منكم ﴿وَأَنْفِقُوا﴾: مالا في سبيل الله ﷻ ﴿لَهُمْ﴾: تمليكًا وتخصيصًا ﴿أَجْرٌ﴾: ثواب عظيم، الجنة ﴿كَبِيرٌ﴾: إن الربط بين الإيمان والإنفاق جائزة في الدنيا والآخرة.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٨)

﴿وَمَا﴾: حرف استفهام؛ بغرض التوبيخ والتقريع وهو موجهٌ للكفار ﴿لَكُمْ﴾: أي عذر لكم، أي شيء يمنعكم، ما بالكم ﴿لَا﴾: أداة نفي ﴿تُؤْمِنُونَ بِ﴾: حرف باء الصلة وأي مانع من الإيمان وقد أزيحت عنكم العلة، ﴿اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾: أي عذر لكم في ألا تصدقوا بوحدانية الله ﷻ وتعملوا بشرعه ﷻ وقد جاءكم الرسول ﷺ ﴿يَدْعُوكُمْ﴾: يأمركم ﴿ل﴾: حرف تخصيص

﴿تُؤْمِنُوا﴾: تصدقوا ﴿بِرَبِّكُمْ﴾: هو ﷺ مالك أمركم كله ﴿وَقَدْ﴾: حدث في الماضي ﴿أَخَذَ﴾: أعطيتم الله ﷺ ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾: عهدكم، وهي بيعة المؤمنين للرسول ﷺ، وتصديق من بعده برسالته ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: وصف الرسول ﷺ التابعين، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَدِدْتُ أَنِّي لَقَيْتُ إِخْوَانِي، قَالَ: فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَوْلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانُكَ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي.^(١)

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٩)

﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، هو الله ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمفرد؛ والمقصود هنا الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، ﷻ ﴿يُنَزِّلُ﴾: من السماء وحيًا ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾: محمد بن عبد الله ﷺ ﴿آيَاتٍ﴾: أدلة وحجج ﴿بَيِّنَاتٍ﴾: ظاهرة واضحة، وبراهين قاطعة ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿يُخْرِجَكُم﴾: يأخذكم ﴿مِّنَ﴾: حرف جرٍ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿الظُّلُمَاتِ﴾: لينقلكم من حالات الكفر والتيه والجهل الذي هو عمى؛ كمن يمشي في الظلمات ﴿إِلَى النُّورِ﴾: نور الهدى، والإيمان ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق اعلموا ﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ بِكُمْ﴾: حرف باء الالتصاق ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: من رحمته ﷻ ورأفته بالناس أن هداهم إلى طريق النجاح، وعناصره جاءت في الآيات، وهي الإيمان وهي قلبية، وفي الإنفاق، وهي مادية مرئية.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أنْفَقُوا مِن بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١٠)

﴿وَمَا﴾: حرف استهتام ﴿لَكُمْ﴾: كيف بكم ﴿أَلَّا﴾: حرف يفيد التنبيه، وهنا بمعنى اجتهد ﴿تُنْفِقُوا﴾: الحديث عن الإنفاق في المستقبل، فُدم الإنفاق ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: جاء اللفظ القرآني "سبيل" على أربعة عشر وجهًا؛ هنا بمعنى الطاعة: أي شيء يمنعكم أن تُنفقوا طاعةً لله ﷻ؛

(١) مسند الإمام أحمد الرسالة - باب مسند أنس بن مالك - ج ٢٠ ص ٣٨، حسن لغيره.

لرفع شأن الإسلام وإعلاء كلمة المسلمين ﴿و﴾: عطفًا على ما جاء هنا ﴿اللَّهُ مِيرَاثٌ﴾: مآل ومُلكٌ ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها لكونها ببيضاوية الشكل ﴿و﴾: أيضًا له ملك ﴿الأَرْضِ﴾: وكل ما فيهما وما تنفقون في سبيله ﷻ هو مالك السموات والأرض فما عندكم ينفد وما عند الله ﷻ باق ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْتَوِي﴾: لا يتساوى في الأجر مُنفقٌ، وفي التوبة ﴿مِنْكُمْ مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿أَنْفَقَ﴾: ماله في سبيل الله ﷻ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الزمانيّة ﴿قَبْلَ الْفَتْحِ﴾: فتح مكة، حيث كان لإنفاقه أثر عظيم بسبب قلة المال ﴿وَقَاتِلَ﴾: هنا ربطٌ بين الإنفاق، والقتال في سبيل الله ﷻ، فضحى بماله؛ وأراد أن يُضحى بنفسه ﴿أَوْلَيْكَ﴾: إشارةً للبعيد؛ لأنهم أرفع منزلةً ﴿أَعْظَمُ﴾: أكبر ﴿دَرَجَةً﴾: رتبةً وقدرًا، وقيمة عند الله ﷻ، قد يكون الفتح فتح مكة، وقد يكون صلح الحديبية وهي قضية عامّة؛ ففي مجتمعٍ ضالٍّ من يبدأ في دعوته ينفق المال، والجهد، والجهاد، وهو منهج القرآن فيكون بذلك أعظم درجة؛ والله أعلم ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿أَنْفَقُوا﴾: دفعوا من أموالهم ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا بداية الغاية الزمانيّة ﴿بَعْدُ﴾: الفتح ﴿وَقَاتِلُوا وَكُلًّا﴾: الصنفان ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾: هي المثوبة الحسنة، وهي الجنة ولكن بينهم تفاضل الجزاء ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق اعلموا أنّ ﴿اللَّهُ بِمَا﴾: بالذي ﴿تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾: هذا ميزان العدل لأنّ القاضي، ﷻ، يعلم ما بالنفوس من إخلاصٍ أو نفاقٍ.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (١١)

﴿مَنْ ذَا﴾: من هو هذا؟ جاء استخدام الاستفهام هنا دليلًا على عظم هذه الفضيلة ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالفرد المذكور، من هذا وأي شيء يمنعك؟ هذا حتّى للجميع أن يختبروا أنفسهم ﴿يُقْرِضُ﴾: إعطاء دين، والمقصود أن يبذل في سبيلٍ خيرٍ مقابل ثواب ﴿اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا﴾: جاء اللفظ القرآني "حسن" على ثلاثة وجوه؛ هنا بمعنى محتسب من يدفع من ماله، وما يملك في سبيل الله ﷻ قرضًا حسنًا؛ أي محتسبًا هذا لله ﷻ، طيب النفس، راضيًا مخلص النية ﴿ف﴾: بهذا السبب ﴿يُضَاعِفُهُ لَهُ﴾: يزيده الله ﷻ أضعافًا ﴿وَلَهُ﴾: تخصيصًا وتمليكيًا ﴿أَجْرٌ﴾:

ثواب ﴿كَرِيمٌ﴾: الأجر والثواب العظيم، وله جزاء كريم في الجنة؛ متى هذا؟ أهو في الدنيا أم في الآخرة؟ هنا ذكر قيمة الإنفاق في سبيل الله في الدنيا، وثوابها في الآخرة أعظم.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٢)

﴿يَوْمَ﴾: القيامة ﴿تَرَى﴾: تُشاهد أيها المؤمن ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: بعد آيات الإنفاق في سبيل الله ﷺ، كيف يكون المؤمنون والمؤمنات يوم القيامة ﴿يَسْعَى﴾: يمشي أمامهم ﴿نُورُهُمْ﴾: جاء اللفظ القرآني "النور" على عشرة أوجه؛ قال عبد الله بن مسعود: حيث يمتد نورهم على الصراط على قدر أعمالهم ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: يكون أمامهم نور بعضهم كالجبل، ومنهم نوره مثل نخلة، ومنهم نوره مثل طول الرجل الواقف، ومنهم نوره في إبهامه، يتقد مرّة، وينطفئ مرّة، وقيل لكل واحد نور يوم القيامة؛ فإذا انتهوا إلى الصراط، طُفئ نور المنافقين، وهنا يقول المؤمنون خوفاً: ﴿رَبَّنَا أَتَمَّمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحریم-٨] ﴿و﴾: أيضاً يسعى نورهم ﴿ب﴾: حرف باء الصلة والمصاحبة ﴿أَيْمَانِهِمْ﴾: كُتِبَهم في أيمانهم، جاء في المعنى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ [الإسراء-٧١] ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ﴾: نبشركم ﴿جَنَّاتٍ﴾: بالجنّات ﴿تَجْرِي مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: زيادة في المتعة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: لا خروج منها بعد دخولها أبداً ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد الذي جاء ذكره من نعيم الله ﷻ ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، هنا هو ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: لا شيء أعظم من هذا الفوز. ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَصُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (١٣) وفي الصورة الأخرى: ﴿يَوْمَ﴾: القيامة، اليوم العصيب ﴿يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾: من الرجال الذين يظهرون الإيمان، ويُبطنون الكُفر ﴿و﴾: أيضاً تقول ﴿الْمُنَافِقَاتُ﴾: من النساء هنا جمع من الرجال والنساء يقولون ﴿ل﴾: حرف تخصيص لتبليغ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: يقولون للصادقين في إيمانهم ﴿انظُرُونَا﴾: انتظرونا؛ لأنهم يمشون على الصراط مُسرعين ﴿نَقْتِسِبْ﴾: نأخذ نصيباً ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء

الغاية المكانية **﴿نُورِكُمْ﴾**: ومنتفع بنوركم؛ لنرى طريقنا **﴿قِيلَ﴾**: يقال لهم **﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾**: ارجعوا خلفكم من حيث انطلقتم **﴿ف﴾**: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ **﴿الْتَمِسُوا﴾**: ابحثوا **﴿نُورًا﴾**: فلا يجدون شيئاً ولم يقل ﷻ اقتبسوا حال الاقتباس يقتضي وجود المقتبس منه، وهذا ثابت في حق المؤمنين، هو موجود، أما في جانب المنافقين فهو معدوم **﴿فَضْرِبَ﴾**: وُضع حاجز **﴿بَيْنَهُمْ ب﴾**: حرف باء السبب **﴿سُورٍ﴾**: يفصل بين أصحاب النور والمنافقين، وقال الحسن، وقتادة: هذا السور حائط بين الجنة والنار، وقال عبد الرحمن بن زيد: وجاء في المعنى: **﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾** [الأعراف-٤٨] **﴿لَهُ بَابٌ﴾**: إذا وصله المؤمنون دخلوا فيه، حتى إذا دخلوا جميعاً؛ أغلق **﴿بَابُتُهُ﴾**: داخله **﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾**: الجنة، وخارجه جهنم، وقال ابن عباس: بينما الناس في ظلمة، إذا بعث الله نوراً؛ فلما رأى المؤمنون النور توجهوا إليه، ولما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا، اتبعوهم؛ فأظلم الله ﷻ على المنافقين، فيقول المؤمنون، هذا طردٌ للخلف **﴿وِظَاهِرُهُ﴾**: وما يبدو ويظهر منه **﴿مِنْ﴾**: حرف جرٍ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الكلية **﴿قَبْلَهُ الْعَذَابُ﴾**: ضرب الله ﷻ حاجزاً بين أهل الجنة وأهل النار الذين هم بعد الحاجز، قال سُلَيْمٌ بْنُ عَامِرٍ: حَرَجْنَا عَلَى جَنَازَةٍ فِي بَابِ دِمَشْقَ مَعَنَا أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَى الْجَنَازَةِ وَأَخَذُوا فِي دَفْنِهَا، قَالَ أَبُو أُمَامَةَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ قَدْ أَصَبَحْتُمْ وَأَمْسَيْتُمْ فِي مَنْزِلٍ تَقْتَسِمُونَ فِيهِ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَتُوشِكُونَ أَنْ تَطْعَنُوا مِنْهُ إِلَى الْمَنْزِلِ الْآخِرِ وَهُوَ هَذَا يُشِيرُ إِلَى الْقَبْرِ، بَيْتُ الْوَحْدَةِ، وَبَيْتُ الظُّلْمَةِ، وَبَيْتُ الدُّودِ، وَبَيْتُ الصَّيْقِ إِلَّا مَا وَسَّعَ اللَّهُ، ثُمَّ تَنْتَقِلُونَ مِنْهُ إِلَى مَوَاطِنِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّكُمْ لَفِي بَعْضِ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ حَتَّى يَغْشَى النَّاسَ أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ فَنَبِيضٌ وَجُوهٌ وَتَسْوَدٌ وَجُوهٌ، ثُمَّ تَنْتَقِلُونَ مِنْهُ إِلَى مَنْزِلٍ آخَرَ فَيَغْشَى النَّاسَ ظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ، ثُمَّ يُعْطَى النُّورَ فَيُعْطَى الْمُؤْمِنُ نُورًا وَيُتْرَكُ الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَلَا يُعْطِيَانِ شَيْئًا وَهُوَ الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبَهُ اللَّهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ **﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾** [النور-٤٠] وَلَا يَسْتَضِيءُ الْكَافِرُ، وَالْمُنَافِقُ بِنُورِ الْمُؤْمِنِ كَمَا لَا يَسْتَضِيءُ الْأَعْمَى بِبَصْرِ الْبَصِيرِ يَقُولُ الْمُنَافِقُ لِلَّذِينَ آمَنُوا **﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ**

مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴿[الحديد-١٣] وَهِيَ الْخُدْعَةُ الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْمُنَافِقُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء-١٤٢] فَيَرْجِعُونَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي قُسِمَ فِيهِ النُّورُ، فَلَا يَجِدُونَ شَيْئًا فَيُنْصَرِفُونَ إِلَيْهِمْ، وَقَدْ ضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ؟ نُصَلِّي بِصَلَاتِكُمْ وَنَعُزُّو بِمَعَارِيكُمُ؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [الحديد-١٤] تَلَا إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَبئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد-١٥] (١).

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (١٤)

﴿يُنَادُونَهُمْ﴾: ينادي المنافقون على المؤمنين ﴿أَلَمْ﴾: حرف استفهام بغرض الإستتكار ﴿نَكُنْ﴾: لقد كنا في الحياة الدنيا ﴿مَعَكُمْ﴾: كنا نُصَلِّي الجماعة، ونقف بعرفات، ونحضر الغزوات، ونفعل سائر الطاعات ﴿قَالُوا﴾: المؤمنون ﴿بَلَى﴾: هنا يقول المؤمنون نعم نصدق أنكم كنتم معنا ﴿وَلَكِنَّكُمْ﴾: استدراكًا ﴿فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: أهلكتموها بالنفاق، وارتكاب الملمات والمعاصي ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿تَرَبَّصْتُمْ﴾: من الربص، وتعني الانتظار لأمرٍ يُنتظر زواله أو حصوله، انتظرتُم بالمؤمنين المصائب، وأخرتُم التوبة، قال قتادة: تربصتم بالحق وأهله، وقيل انتظرتُم النوائب والهزائم للمسلمين ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيد الحال ﴿ارْتَبْتُمْ﴾: كنتم في شكٍ من البعث بعد الموت ﴿وَعَرَّتْكُمْ﴾: خدعتكم ﴿الْأَمَانِيُّ﴾: الأكاذيب، وظننتم أن سيغفر لكم ﴿حَتَّى﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد انتهاء الغاية الشرطية ﴿جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: أدرككم الموت قبل أن تتوبوا ﴿وَعَرَّكُمْ﴾: خدعكم ﴿ب﴾: حرف باء الصلة والمصاحبة ﴿اللَّهِ﴾: بحقيقة تصديقكم بالله ﷻ ﴿الْغُرُورُ﴾: الشيطان، وكلٌّ من خادعكم من المنافقين.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١٥)

﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿الْيَوْمَ﴾: يوم الحساب في القيامة ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْخَذُ﴾: يُقبل ﴿مِنْكُمْ﴾: حرفٌ يفيدُ بداية الغاية المكانية ﴿فِدْيَةٌ﴾:

لو جئتم بكنوز الدنيا لا تنفعكم، ولا تُقبل منكم أيها المنافقون ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿مَنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد هنا جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: حالكم مثل حال الكافرين المُجاهرين ﴿مَأْوَأَكُمْ﴾: مصيركم وإليها تنقلبون ﴿النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾: هنا تهكمّ واضح، النَّار هي وليكم، وهي أولى بكم؛ منزلاً ومقاماً ﴿وَبُنُسٍ﴾: شرٌّ وسوء ﴿الْمَصِيرُ﴾: ذمّ ذكر المساوي لمستقبلكم وهي عكس المدح وتقريع لهذا المصير.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (١٦)

﴿أَلَمْ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار والتوبيخ والتقريع ﴿يَأْنٍ﴾: يحن الوقت، هذا عتاب من الله ﷻ ﴿لِلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَخْشَعَ﴾: أن تلتين ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: وهي مراكز الوعي والإدراك، عند سماع الذكر والموعظة ﴿لِذِكْرِ اللَّهِ﴾: للقرآن الكريم، وسماع القرآن؛ فتفهم، وتتبع، وتطيع؛ في هذا اللوم قال ابن عباس: بعد ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن، وقال ابن مسعود: ما كان بين إسلامهم وعتاب ربهم في هذه الآية إلا أربع سنوات ﴿و﴾: أيضاً تخشع قلوبهم بسبب ﴿مَا﴾: أيضاً الذي ﴿نَزَلَ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿الْحَقِّ﴾: الآيات والبيّنات ﴿وَلَا يَكُونُوا ك﴾: مثل وحال ﴿الَّذِينَ أُوتُوا﴾: أعطاهم الله تعالى ﴿الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾: حدّتهم الله ﷻ ألاّ يتشبهوا باليهود، والنصارى من قبلهم، الذين بدلوا دينهم ﴿ف﴾: حرف يفيد هنا ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿طَالَ﴾: امتد ﴿عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾: امتد بهم العمر والزمن ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: فبدلوا كلام الله ﷻ وفسدت، ولم تخشع قلوبهم، مراكز الوعي والإيمان أو الكفر ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿كَثِيرٌ﴾: أعداد كبيرة من مجتمعاتهم ﴿مِنْهُمْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿فَاسِقُونَ﴾: خرجوا عن تعاليم دينهم؛ فاخترعوا مؤخرًا كتابًا بحسب هواهم، مثل التلمود، وعرضوه على بني إسرائيل؛ فمن آمن به تركوه، ومن رفضه قتلوه.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١٧)

﴿اعْلَمُوا﴾: أمر ربّانيّ للمؤمنين، السابق ذكرهم وهم الصحابة الذين أكثروا المزاح، عليكم أن تعلموا علم اليقين ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿اللَّهُ يُحْيِي الْأَرْضَ﴾: كناية عن نمو النبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: كما أنّ الله ﷻ يُحوّل الأرض اليابسة بالمطر إلى أرضٍ مُنتجةٍ مُفيدةٍ، فإنّه ﷻ يُحي القلوب الميتة، القاسية، المجذبة؛ بالقرآن وما أنزل قبله ﴿قَدْ﴾: حرف جرّ أفاد التأكيد لأنّه دخل هنا على الفعل الماضي ﴿بَيِّنًا﴾: وضحنا وأظهرنا ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿الآيَاتِ﴾: دلائل قدرتنا، والبراهين، والحُجج، على وحدانية الله ﷻ، وأنّه ﷻ يُدخل النور في القلوب بعد أن كانت مُظلمةً، فتفكروا وتأمّلوا هذه الآيات ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: يفيد الإشفاق لأنّها هنا من الله ﷻ بهدف ﴿تَعْقِلُونَ﴾: تفهمون فتدركوا أنّ الذي أحيا الأرض قادرٌ على أن يُحي الموتى.

﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (١٨)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ﴾: الذين ينفقون بعض أموالهم في سبيل الله ﷻ، على المحتاجين، عن طيبِ نفسٍ ودونَ منّةٍ على أحدٍ ﴿و﴾: عطفًا على تصدقهم ﴿أَقْرَبُوا﴾: دفعوا أموالهم بنيةٍ خالصةٍ طيبةٍ؛ ابتغاء مرضات ﴿اللَّهُ قَرَضًا حَسَنًا﴾: لا يريدون جزاءً، ولا شكورًا من البشر ﴿يُضَاعَفُ﴾: يُزاد مرّات ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا وتمليكًا؛ لأنّ ثواب الحسنه بعشره أمثالها إلى سبعمائة ضعف، ويزيد من فضله ﴿وَلَهُمْ﴾: أيضًا تمليكًا وتخصيصًا ﴿أَجْرٍ﴾: ثوابٍ ﴿كَرِيمٍ﴾: عظيمٍ، ومألّ كريمٍ.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّجِيمِ﴾ (١٩)

﴿و﴾: أيضًا ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع من ﴿آمَنُوا بِ﴾: حرف باء الصلّة ﴿اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾: هنا إضافات مُهمّةٌ في صفات المؤمنين حقًا ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد، أي كلّ الأجيال، وفي كلّ المناطق ﴿هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المنكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الصِّدِّيقُونَ﴾: والصديق هو من آمن بالله ورسله ولم يكذب طرفه عين ومنهم أبو بكر الصديق، ومؤمن آل فرعون، وحبيب النجّار، وغيرهم الله ﷻ يعلمهم، يشهد الله ﷻ بصدقهم ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال، عن الشهداء الذين قُتلوا في سبيل الله ﷻ

﴿الشُّهَدَاءُ﴾: مفصولة عما قبلها؛ نخلص هنا إلى معرفة ثلاثة أصنافٍ من أهل الجنّة: المُتصدقين، والصديقين، والشهداء، وقد قدّم الله ﷺ الصديقين على الشهداء؛ لأنهم أعظم درجة؛ والله أعلم ﴿عِنْدَ﴾: ظرف زمان ومكان ﴿رَبِّهِمْ﴾: هو ﷺ المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ للشيء من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام، فهو مالك أمرهم كلّهم، هم في جنّات النعيم، وقال رسول الله ﷺ: أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرٍ، لَهَا قَنَادِيلٌ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرُحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً ﴿أَجْرُهُمْ﴾: ثوابهم، ذكر الله ﷺ الأجر؛ لأنّه جزيل ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿نُورُهُمْ﴾: ولهم نورٌ عظيمٌ يسعى بين أيديهم، يسير أمامهم؛ يُضيءُ لهم، ﴿وَالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع من ﴿كَفَرُوا﴾: غطّوا أركان الدين وطمسوه ﴿وَكَذَبُوا﴾: أنكروا وهنا تظهر العلاقة بين الكذب والكفر ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿آيَاتِنَا﴾: الأدلّة والبراهين على صدق الرسالة ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارةً للقريب والبعيد في الزمان والمكان ﴿أَصْحَابُ﴾: ملازمون دائمون في ﴿الْجَحِيمِ﴾: النار، ماكنون فيها أبداً.

﴿اعْمَلُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وِزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (٢٠)

﴿اعْمَلُوا﴾: أمرٌ وجوبٍ من الله ﷺ للناس أن يعلموا ﴿أَنَّمَا﴾: حرف توكيد حصري ﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: إنَّ حاصل أمر هذه الحياة الدنيا عند أهلها ﴿لَعِبٌ وَلَهُوَ﴾: مضیعةٌ للوقت ﴿وِزِينَةٌ﴾: للتجميل ﴿وَتَفَاخُرٌ﴾: تباهي بين الناس ﴿بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ﴾: أيضاً تكاثرٌ في ﴿الْأَوْلَادِ﴾: بكثرة الأموال، والجاه، والسلطان، وكثرة العيال والقبيلة، وكثرة المال من الذهب والفضة، والسيارات والعمارات، وكلّ ذلك يزول مثله ﴿ك﴾: حرف تشبيه ﴿مَثَلِ غَيْثٍ﴾: مطر ﴿أَعْجَبَ﴾: أدخل البهجة والسرور على ﴿الْكُفَّارِ﴾: الفلاحين الزراع، الذين يكفرون الحبّ في الأرض، أي يدفنون ويخفون ﴿نَبَاتُهُ﴾: أي ثماره إلى أجلٍ ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني ﴿يَهِيْجُ﴾: يصل إلى أقصى غايته في النمو، آخر عمره ﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿تَرَاهُ﴾: تشاهده ﴿مُصْفَرًّا﴾: يتحول من اللون الأخضر إلى الأصفر؛ كما يحدث جفاف الزرع، ومثله جفاف

مظاهر الحياة الدنيا في الشباب والمال ﴿ثُمَّ﴾: حرف يُفيدُ التتابع الزمني غير السريع ﴿يَكُونُ حُطَامًا﴾: فيجف؛ فيصيرُ حُطَامًا يتكسر، وهذا يسهلُ تحطيمه ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: قد يكون المقصود مصير الكفار في الحياة القريبة؛ وقد يعني في يوم القيامة، عذابٌ شديدٌ للكافرين ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يُفيدُ الحال ﴿مَغْفِرَةٌ مِّنَ﴾: حرف يفيدُ بداية الغاية ﴿اللَّهِ﴾: أو يتوب الناس؛ فيتوب الله ﷻ عليهم، ويغفر لهم ﴿وَرِضْوَانٌ﴾: رضا الله ﷻ حيث يدخلهم الجنة ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾: متعةُ المخدوع، ينخدع بها الضالون. ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢١)

﴿سَابِقُوا﴾: أمرٌ من الله ﷻ للناس، والسباق يحتاج إلى الإسراع؛ فأسرعوا ﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾: السعي إلى طلب التوبة والإنابة، والابتعاد عن المعاصي ليكون جزأؤهم ﴿مِّنَ﴾: حرف جرٍ يُفيدُ بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية الكلية ﴿رَبِّكُمْ﴾: مالك أمركم كلّه؛ فيغفر لكم الذنوب، ويرزقكم ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا﴾: والعرضُ أقلُّ من الطول، كناية على عظم المساحة، ومن عادة العرب أن يعبروا عن الشيء بعرضه دون طوله، فالعرض دليلُ السعة ﴿كَ﴾: مثل وحال ﴿عَرْضِ السَّمَاءِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها ﴿و﴾: أيضًا عرضها ﴿الْأَرْضِ﴾: كجنس السماء والأرض، وقد تكونُ مقارنةً بمساحات السموات والأرض؛ والله أعلم، فإذا كان هذا وصفُ العرض، فما بال الطول، الذي هو أطولُ من العرض ﴿أُعِدَّتْ﴾: جُهِّزَتْ ﴿لِ﴾: حرف تملك ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿آمَنُوا بِ﴾: حرف باء السببية ﴿اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾: إيمان اعتقاد ﴿ذَلِكَ﴾: إشارةٌ للبعيد، ما أعدّه الله ﷻ للمتقين ﴿فُضِّلَ﴾: كرم ﴿اللَّهِ﴾: من كريم فضله وإحسانه على الذين آمنوا به وبرسله ﴿يُؤْتِيهِ﴾: هذه منةٌ وكرمٌ من الله ﷻ يعطيها ﴿مَن﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَشَاءُ﴾: لمن شاء من عباده ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق اعلموا أنّ ﴿اللَّهُ ذُو﴾: صاحب ﴿الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: والله ﷻ ذو الكرم الكبير الوافر الواسع على عباده المؤمنين.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢٢)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿أَصَابَ﴾: ما من حدثٍ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿مُصِيبَةٍ﴾: مرض، أو جذب ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: تصيب الأرض وأهلها، وما عليها ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾: كمصيبة المرض الشديد، أو الموت، أو الفقر وغيرها ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء، مكتوبة ومسجلة ﴿فِي كِتَابٍ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿نَبْرَأَهَا﴾: كلُّ مصيبة بين السماء والأرض مُسجلة في كتاب الله ﷻ، من قبل أن يخلق الخلق، قدر ﷻ الفقر، والجذب، والأمراض، والأوجاع، قدرها قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: جاء اللفظ القرآني "يسير" على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى هين كما في قوله ﷻ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج-٧٠]، وبمعنى سريع في قوله ﷻ ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بَضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف-٦٥]، وبمعنى خفي في قوله ﷻ ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفرقان-٤٦].

﴿لِكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٢٣)

لقد أخبر الله ﷻ الخلق بسابق علمه، بإرادته ﷻ، وتم تسجيل ذلك في الكتاب قبل خلق الخلق ﴿ل﴾: حرف لام التعليل ﴿كَيْلًا﴾: حتى لا ﴿تَأْسَوْا﴾: كيلا تحزنوا أو تتدموا ﴿عَلَى مَا﴾: الذي ﴿فَاتَكُمْ﴾: مما أصابكم؛ مما أصابكم ما كان ليخطئكم، ما أخطأكم ما كان ليصيبكم، فلا تأسوا على ما فقدتم أو فاتكم؛ فهو ليس مُقدّر لكم ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿تَفْرَحُوا﴾: بطراً ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿آتَاكُمْ﴾: لا تتفاخروا، ولا تتباهوا، وتتكبروا، تدعون أن هذا بجهدكم، واجتهادكم وليس ما أكرمكم به الله ﷻ من النعم ﴿وَاللَّهُ لَا﴾: حرف

نفي ﴿يُحِبُّ كُلَّ﴾: تفيد العموم من جنس ﴿مُخْتَالٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد على كلِّ متكبرٍ ﴿فَخُورٍ﴾: متفاخر بما عنده من المال أو الجاه وغيره من النعم.
التكليف: تفيد هذه الآية الكريمة أنَّ الفرح يجب أن يكون شكرًا، وأنَّ الحزن يجب أن يكون صبرًا، وفي الحاليين يكون الأجر من الله ﷻ.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢٤)
﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿يَبْخُلُونَ﴾: لا ينفقون في سبيل الله مألًا، ولا يقدمون من عافيتهم زكاتها، ويفعلون المنكر ﴿و﴾: عطفًا على بخلهم ﴿يَأْمُرُونَ﴾: يشجعون ويحضّون ﴿النَّاسِ﴾: عموم بني آدم ﴿بِالْبُخْلِ﴾: الآخرين على البخل ﴿وَمَنْ﴾: الذي من بني آدم الذي ﴿يَتَوَلَّ﴾: من يبتعد عن طاعة الله ﷻ فلن يضرّه بشيءٍ ﴿فَإِنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل والقول ﴿اللَّهُ هُوَ﴾: ﷻ ﴿الْغَنِيُّ﴾: مالك الملك، والملكوت، الذي لا يحتاج إلى طاعة عباده ﴿الْحَمِيدُ﴾: المحمود على كلِّ حال.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢٥)

﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث، أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل ﴿أَرْسَلْنَا﴾: يقسم الله ﷻ أنه أرسل الملائكة على ﴿رُسُلَنَا﴾: عبادًا لنا؛ ليكونوا رسلنا إليكم أيها الناس ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات الباهرة، وأمددناهم، وزودناهم، وأعطيناهم بالأدلة القاطعة على صدق الرسالة ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿أَنْزَلْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع؛ لتعظيم الفعل ﴿مَعَهُمُ﴾: ﴿الْكِتَابِ﴾: هو جنس الكتاب المنزّل من التوراة، والإنجيل، والزيور، وغيرها وكان خاتمها وآخرها القرآن الكريم ﴿وَالْمِيزَانَ﴾: جوهر هذه الكتب؛ هو العدل، الذي تقر به العقول السليمة ﴿ل﴾: حرف علّة وسببٍ ﴿يَقُومَ﴾: يحكم ﴿النَّاسِ بِ﴾: حرف باء الصلة والمصاحبة ﴿الْقِسْطِ﴾: ليحقق كلُّ النَّاسِ العدل ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾: قيل أنزلناه؛ أي خلقناه، وهيأناه لكم، ومن المعلوم أنَّ الحديد ينتج في السماء من اندماجٍ نوويٍّ بين جزئياته في مرحلة نوبةٍ عاليةٍ

تخرج غازات ودخان تسمى السحابة السديمية، التي نزلت على الأرض، وعندما تبرد تبدأ بالتكاثف، والتحول من الحالة الغازية إلى الحالة الصلبة، على شكل حديد تستقر في بنية الأرض **﴿و﴾**: أيضاً **﴿مَنَافِعُ﴾**: يستفيد وينتفع بها **﴿ل﴾**: حرف تخصيص **﴿النَّاسِ﴾**: ذرية آدم ﷺ، استخدام الحديد في صناعة السيوف، والسهام، والبنادق، والمدافع، والدبابات، والطائرات، والصواريخ؛ لتحقيق العدل وصناعة بقية المصنوعات المدنية كالفأس والمنشار، وآلات الطبخ والحياكة والحراث، **﴿وَلِيَعْلَمَ﴾**: علم تحقيق **﴿اللَّهُ مِنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿يُنصِرُهُ وَ﴾**: أيضاً ينصر **﴿رُسُلَهُ﴾**: ليتحقق من حمل السلاح؛ نصره لدين الله ﷻ **﴿ب﴾**: حرف باء الصلة والمصاحبة **﴿الغَيْبِ﴾**: ليس مرأً ولا تفاخراً، ولكنه الجهاد في سبيل الله ﷻ، في السر، أيضاً **﴿إِنْ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿اللَّهُ قَوِيٌّ﴾**: صاحب القوة التي لا تدانيها قوة **﴿عَزِيزٌ﴾**: بقوته ينصر أوليائه بلا مساعدة من الناس، عزيز لا يُغالبه أحدٌ، والكل في حاجته. **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٢٦)**

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف إثبات وجزم، أقوى من قد، وأقى ما تكون إذا جاءت في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل **﴿أَرْسَلْنَا﴾**: بصيغة الجمع، لعظم المرسل ﷻ وعظم الحدث **﴿نُوحًا﴾**: كان نوح ﷺ، أول الرسل من أبناء آدم ﷺ **﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾**: ثم أرسل الله ﷻ إبراهيم ﷺ، ولم يرسل رسولا من بعده إلا وهو من سلالة **﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا﴾**: أولادهم وأحفادهم **﴿النُّبُوَّةَ﴾**: الذين حملوا رسالة الله ﷻ؛ فكانوا أنبياء **﴿و﴾**: أيضاً أرسلنا **﴿الْكِتَابَ﴾**: جنس كتاب الله ﷻ، مثل التوراة، والإنجيل، والزيور، وصحف إبراهيم، وكان آخرهم أنبياء بني إسرائيل؛ عيسى عليه السلام، الذي بشر بأخر الرسل والأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ **﴿ف﴾**: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب **﴿مِنْهُمْ﴾**: حرف يفيد بعض **﴿مُهْتَدٍ﴾**: انقسم الناس إلى قسمين؛ منهم من اتبع سبيل الإيمان؛ فاهتدى إلى القبول من الله ﷻ **﴿و﴾**: حرف عطف يفيد الحال، وعطفاً على ما جاء من نزول الكتب السماوية **﴿كَثِيرٌ﴾**: أعداد كثيرة **﴿مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾**: وكثير من الناس خرجوا عن الأوامر؛ فالفسوق هو الخروج عن الحد المسموح.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٢٧)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفيدُ التتابعَ الزمني، مع التراخي ﴿قَفَّيْنَا﴾: بعثنا من بعدهم، والقفا هو المؤخرة ﴿عَلَى آثَارِهِمْ﴾: أثر الشيء حصول ما يُدُلُّ على وجوده، وهنا بمعنى بعدهم، أتبعناهم بغيرهم ﴿بِرُسُلِنَا﴾: رسولاً بعد الآخر، على آثار نوح وإبراهيم، عليهما السلام، رسلنا الذين آتيناهم البينات، عليهم السلام ﴿و﴾: أيضاً ﴿قَفَّيْنَا﴾: بعثنا بعدهم ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾: وفي كلِّ ذكرٍ لعيسى عليه السلام، يُنسب إلى أمه رداً على الذين قالوا إنه ابن الله؛ ﷺ عما يصفون ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿آتَيْنَاهُ﴾: وهبناه بالوحي ﴿الْإِنجِيلَ﴾: وهو من جنس الكتاب الذي فيه تعاليم الله ﷻ، وقد حرّفوه ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ﴾: وهي مراكز الوعي والإدراك ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع من ﴿اتَّبَعُوهُ﴾: خلقنا في قلوب الحواريين ﴿رَأْفَةً﴾: لينا، وخشيةً، وعطفاً ﴿وَرَحْمَةً﴾: جاء اللفظ القرآني الرحمة على أحد عشر وجهاً؛ هنا بمعنى المودة، والشفقة على الخلق ﴿وَرَهَابَانِيَّةً﴾: زيادةً بالغلو في التعبد، وهذه ليست معطوفة على ما سبقها، والله أعلم؛ لأنه قال ﷺ ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾: وهم النصارى ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كَتَبْنَاهَا﴾: ما شرعناها ﴿عَلَيْهِمْ﴾: وإنما هم ابتدعوها من تلقاء أنفسهم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿ابْتِغَاءَ﴾: من أجل ﴿رِضْوَانِ اللَّهِ﴾: قال: سعيد بن جبیر، وقتادة: قصدوا بها رضا الله ﷻ ﴿فَمَا﴾: حرف عطف يفيد خبراً ﴿رَعَوْهَا﴾: لم يقوموا بما التزموا به، بل ضيّعها من جاء بعدهم ﴿حَقَّ﴾: الذي يجب ﴿رِعَايَتِهَا﴾: حق قيام، وهؤلاء الذين لم يقاتلوا ولم يضحوا؛ بل زعموا أن ذلك يُقربهم إلى الله ﷻ أكثر، ﴿ف﴾: حرف سبب ﴿آتَيْنَا﴾: وهبنا وأعطينا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿أَجْرَهُمْ﴾: ثوابهم، هؤلاء الذين حملوا بعد عيسى عليه السلام، راية الجهاد، ومنهم من قُتل، ومنهم من أُوذي في سبيل الله ﷻ ﴿وَكَثِيرٌ﴾: أعداد كبيرة، وهم يمثلون اليوم الغالبية العظمى من سكان الأرض البالغ عددهم اليوم حوالي (٧) مليارات نسمة ﴿مِنْهُمْ﴾: جزء أو

بعض ﴿فَاسْقُونَ﴾: أما المبتدعون الذين خرجوا عن تعاليم الله ﷻ؛ فشرعوا ما لم يشرع، افتراءً على رُسُلهم، وعلى الله ﷻ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٨)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: آمنوا يقيناً، طمعاً في الجنة، وخوفاً من العذاب ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: اعبدوه كأنتكم ترونه ﴿وَأَمِنُوا بِ﴾: حرف باء الصلة والمصاحبة ﴿رَسُولِهِ﴾: وهذا من أصول الإيمان الحق ﴿يُؤْتِكُمْ﴾: يهبكم، ويمنحكم ﴿كِفْلَيْنِ﴾: نصيبين ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: الرَّجُلُ تَكُونُ لَهُ الْأُمَّةُ، فَيُعَلِّمُهَا فَيُحْسِنُ تَعْلِيمَهَا، وَيُؤَدِّبُهَا فَيُحْسِنُ أَدَبَهَا، ثُمَّ يُعْفِقُهَا فَيَتَزَوَّجُهَا فَلَهُ أَجْرَانِ، وَمُؤْمِنٌ أَهْلُ الْكِتَابِ، الَّذِي كَانَ مُؤْمِنًا، ثُمَّ آمَنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَالْعَبْدُ الَّذِي يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ، وَيَتَصَحَّحُ لِسَيِّدِهِ^(١) ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿يَجْعَلُ﴾: يهيئ ويمنح ﴿لَكُمْ﴾: تحديدًا ﴿نُورًا﴾: هدى وبصيرة، وحكمة من الضياع، والجهالة ﴿تَمْشُونَ بِهِ﴾: جاء اللفظ القرآني المشي على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى المشي والسير؛ أي تسيرون في حياتكم على هُداية ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: تحديدًا يمحو عنكم الذنوب، والزلات دون الشرك، إنَّ الجائزة هنا هي النور والمغفرة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لأنَّه غفور يغفر، ولأنَّه رحيمٌ يرحم؛ فمن يملك يُعطي، ومن لا يملك لا يُعطي.

﴿لِنَلَّا يَغْلَمَ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٩)

﴿لِنَلَّا﴾: حرفٌ تنبيهٌ؛ فيكون المعنى لكيلا، وكى، وليتحقق ﴿يَغْلَمَ﴾: علم يقين ﴿أَهْلَ﴾: أصحاب ﴿الْكِتَابِ﴾: من اليهود والنصارى ﴿إِلَّا﴾: حرف تخصيص، بمعنى هل ﴿يَقْدِرُونَ﴾: من فضلِ الله ﷻ ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾: تفيد العموم، أي كلِّ شيءٍ ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿فَضْلٍ﴾: عطاء زيادة وكرم ﴿اللَّهُ﴾: لا يستطيعون أن يردوا شيئاً أعطاه الله ﷻ، أو أن يُعطوا ما لم يشأ ﷻ ﴿وَأَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل، ونفي الإنكار والشك ﴿الْفَضْلَ﴾: والرزق، والصحة، والنصر، والجنة ﴿بِ﴾: حرف باء الاستعانة ﴿بِيَدِ اللَّهِ﴾:

إِنَّ كُلَّ خَيْرٍ وَمَنَّةٍ وَتَفْضُلٍ كُلَّهُ مِنَ اللَّهِ ﷻ **﴿يُؤْتِيهِ مَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿بِشَاءٍ﴾**:
الذي يملك أن يهبه لمن شاء من عباده **﴿وَاللَّهُ ذُو﴾**: صاحب **﴿الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾**: أكبر مما
يعلمون، ويتصورون.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة؛ ندرك درجات الإيمان التي تدفع للدعوة والجهاد، وتخطى
عقبات النفس.



سُمِّيت سورة المجادلة بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير والسنة، ووجه التسمية
لأنها افتتحت بقضية مجادلة امرأة أوس بن الصامت" عند النبي ﷺ في شأن مظاهرة زوجها،
وتسمى سورة قد سمع" وسورة الظهار، وهي سورة مدنية بالإجماع، وترتيبها (١٠٥) في عداد
نزول سور القرآن الكريم، نزلت بعد سورة المنافقين، وقبل سورة الحجرات، وعدد آياتها (٢٢)
آية في عدّ أهل الشام والبصرة والكوفة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

**﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (١)**

سبب النزول: عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ، إِنِّي
لَأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ، وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ
تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكَلْتُ شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّى إِذَا كَبُرْتُ سِنِّي، وَانْقَطَعَ وَلَدِي، ظَاهَرَ
مَنِّي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ، فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى نَزَلَ جِبْرَائِيلُ بِهِؤْلَاءِ الْآيَاتِ (١).

﴿قَدْ﴾: حرف جرّ أفاد التأكيد لآته دخل هنا على الفعل الماضي **﴿سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي﴾**:
اسمٌ موصولٌ للمؤنث المفرد **﴿تُجَادِلُكَ﴾**: شكوى خولة بنت ثعلبة؛ التي تُراجعك **﴿فِي﴾**: شأن
وحوال **﴿زَوْجِهَا وَ﴾**: هي أيضًا **﴿تَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾**: هجر زوجها لها **﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾**:

(١) سنن ابن ماجه ٣/٢١٤ (٢٠٦٣) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

يسمع ﷻ الكلام المتبادل، كانت عائشة رضي الله عنها بالقرب منهما، ولم تسمع كل الكلام، ولكن الله ﷻ سمع مراجعة القول ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾: يسمع ويرى كل شيء في ملكه العظيم.

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَأِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ (٢)

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد هنا جميع من ﴿يُظَاهِرُونَ﴾: الذي يقول لزوجته: أنت علي كظهر أمي ﴿مِنْكُمْ﴾: من المسلمين ﴿مِنْ﴾: حرف جر يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿نِسَائِهِمْ﴾: وقد جاء اللفظ القرآني "ظهر" على ثمانية أوجه؛ هنا بمعنى باطل كما في قوله ﷻ ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد-٣٣]، وانظر [البقرة-١٠١] الذي قال لزوجته أنت علي كظهر أمي، ثم عاد يريد لها لنفسه؛ فرفضت بسبب ما قال، ودفعته عنها، ثم ذهبت إلى رسول الله ﷺ وقصت ما حدث، نصحتها حتى تعود، ﴿تَجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة-١]، ثُمَّ نَزَلَ الْفَرَضُ بِتَحْرِيرِ رَقَبَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامَ سِتِّينَ مَسْكِينًا فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مُرِيهِ فَلْيُعْتِقْ رَقَبَةً»، قُلْتُ: مَا عِنْدَهُ مَا يُعْتِقُ قَالَ: «فَلْيَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ»، قُلْتُ: إِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ، وَمَا بِهِ صِيَامٌ قَالَ: «فَلْيَتَصَدَّقْ»، قُلْتُ مَا عِنْدَهُ قَالَ: «سَأَعِينُهُ بِفَرَقٍ مِنْ تَمْرٍ»، قُلْتُ: وَأَنَا أَعِينُهُ بِفَرَقٍ آخَرَ قَالَ: «أَصَبْتُ»، وَالْفَرَقُ يَأْخُذُ الشَّطْرَ، وَالشَّطْرُ ثَلَاثُونَ صَائِمًا، فَأَطْعَمْتُ عَنْهُ سِتِّينَ مَسْكِينًا لِكُلِّ مَسْكِينٍ صَاعٌ مِنْ تَمْرٍ^(١)، ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿هُنَّ﴾: اسم إشارة للجمع المؤنث ﴿أُمَّهَاتِهِمْ﴾: كذبوا في هذا القول، ليست زوجاتهم أمهاتهم ﴿إِنَّ﴾: حرف شرط وبمعنى ما ﴿أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾: الذين جاؤوا من أرحام أمهاتهم، وأصلاب آبائهم ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد ﴿لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا﴾: كذبًا فظيحا ﴿مِنْ الْقَوْلِ﴾: قولًا عظيمًا يُنْكَرُهُ اللَّهُ ﷻ ﴿وَزُورًا﴾: افتراءً باطلاً

(١) مسند أحمد ٣٠٠/٤٥ (٢٧٣١٩) وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾: إِنَّ اللَّهَ ﷻ بالغ العفو والمغفرة؛ إذ جعل الكفارة عليهم مخلصاً لهم من هذا المنكر.

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٣)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿يُظَاهِرُونَ﴾: يجرّمون نساءهم على أنفسهم تحريم أمهاتهم ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿نِسَائِهِمْ ثُمَّ﴾: حرفٌ يفيد التتابع الزمني غير السريع، على التراخي يعودون للتلفظ بالظهار مرّةً أخرى ﴿يَعُودُونَ لِمَا﴾: حرفٌ يدلُّ على شيءٍ حدث الماضي ﴿قَالُوا﴾: يرجعون عن قولهم، قيل عن العودة الظهار؛ فكرره وهذا باطلٌ، وقيل أن يعود إلى الجماع أو يعزم؛ فلا تحل له؛ حتى يُكْفَر، وقيل: أن يعود إلى الظهار بعد تحريمه وهو من أمر الجاهلية، وقال سعيد بن جبير: يعودون إلى الجماع، وقال ابن عباس: يعود إلى النكاح لأنّه هو المس، وقيل لا يجوز له أن يُتَبَلَّها إلا بعد أن يُكْفَر ﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿تَحْرِيرٌ﴾: إعتاق ﴿رَقَبَةٍ﴾: تحريرُ إنسانٍ كاملٍ من العبودية من قبل التماس، ولفظ الرقبة؛ ليس شرطاً فيها رقبة مؤمنة، أما لفظ رقبة؛ هنا فمقيّدة بالإيمان ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿قَبْلَ أَنْ﴾: حرفٌ تأكيد الفعل ﴿يَتَمَاسًا﴾: يمارسا الجماع ﴿ذَلِكُمْ﴾: اسم إشارة للبعيد ﴿تُوعَظُونَ بِهِ﴾: تُتْرَجَرُونَ، وتُردعون به ﴿وَاللَّهُ بِمَا﴾: بالذي ﴿تَعْمَلُونَ﴾: جاء اللفظ العمل لأنّه أعمُّ فهو الذي يُصدّق على القول والعمل ﴿خَبِيرٌ﴾: بما يُصلح أحوالكم.

التكليف: يُشرّع الله ﷻ بعظمته العلاقة بين الرجل وزوجته تكريماً لهذا المخلوق.

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٤)

﴿فَمَنْ﴾: حرفٌ استفهامٌ عن العاقل، بمعنى الذي ﴿لَمْ﴾: حرفٌ نفي ﴿يَجِدْ﴾: ليس عنده ولا في طاقته وقدرته ﴿ف﴾: بسبب هذا عليه ﴿صِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾: دون انقطاع في أي يوم

﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿قَبْلَ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَتَمَاسًا﴾: من قبل الجماع ﴿فَمَنْ لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَسْتَطِيعُ﴾: لمرضي أو شيخوخة ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا﴾: من أوسط ما يطعم الرجل أهله ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد هو الحكم الربائي ﴿لِ﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿تُؤْمِنُوا﴾: أنّ الله ﷻ أمر بهذا ﴿بِ﴾: حرف باء الصلة والمصاحبة ﴿اللَّهِ وَ﴾: أيضًا تؤمنوا بـ ﴿رَسُولِهِ﴾: شريعة الله ﷻ ورسوله؛ لتطبيقها ﴿وَتِلْكَ﴾: إشارة للبعيد المؤنث ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾: هذه هي محارمه ﷻ ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿الْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: فكل عذاب هو أليم، تعذيب الذين لا يلتزمون بشرع الله ﷻ؛ بعذابٍ شديدٍ الوجع.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (٥)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿يُحَادُّونَ﴾: يقفون في الجانب المعادي، الذين يعادون، ويشاقون ﴿اللَّهِ وَرَسُولَهُ﴾: عدم تطبيق ما شرّعه ﷻ ﴿كُتِبُوا﴾: قد يكون الهدف هنا التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي تنبيهاً على تحقيق وقوعه، أدلوا، وأهينوا، ولعنوا، وأخزاهم الله ﷻ ﴿كَمَا﴾: مثلما ﴿كُتِبَ﴾: أهين ﴿الَّذِينَ مِنْ﴾: حرفٌ يفيدُ بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِهِمْ﴾: قوم نوح، وعاد، وثمود ﴿وَقَدْ﴾: حرف يفيد التحقق في الماضي ﴿أَنْزَلْنَا آيَاتٍ﴾: الأدلة والبراهين ﴿بَيِّنَاتٍ﴾: واضحات ﴿و﴾: حرف عطفي يفيد الحال ﴿الْكَافِرِينَ﴾: الذين غطوا حقائق وبراهين الإيمان ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾: عذابٌ شديدٌ الوجع، يلحقُ المهانة والذلّ والخضوع بأصحابه.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَلْحَسَاةَ اللَّهِ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٦)

﴿يَوْمَ﴾: يوم القيامة ﴿يَبْعَثُهُمُ﴾: يُحييهم ﴿اللَّهُ﴾: يوم البعث من القبور ﴿جَمِيعًا﴾: لا استثناء لأحدٍ من الأولين والآخرين ﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿يُنَبِّئُهُمُ﴾: يُخبرهم ﴿بِمَا﴾: اسمٌ موصولٌ بمعنى الذي ﴿عَمِلُوا﴾: في الماضي، في

حياتهم الدنيا مسطور في صُحف أعمالهم؛ من خيرٍ وشرٍ ﴿أَحْصَاهُ﴾: جمعه، وحفظه ﴿اللَّهُ﴾: كَلَهُ في كتاب عليهم ﴿وَنَسُوهُ﴾: بينما هم نسوا ما عملوا ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عَمِيمٌ﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: لا يغيب عن علمه شيءٌ صغيرٌ أو كبيرٌ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٧)

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: يا محمد ﷺ استفهام، ألم تعلم أن علمه ﷻ محيطٌ بكلِّ شيءٍ ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد، ونفي الشكِّ والإنكار ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا﴾: كلٌّ؛ هو من جنس غير العاقل؛ مثل الكواكب، والنجوم ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض وأحاط بها ﴿و﴾: أيضًا يعلم كلُّ ﴿مَا﴾: الذي ﴿فِي الْأَرْضِ مَا﴾: حرف نفي ﴿يَكُونُ مِنْ نَجْوَى﴾: ذكر أسرار ﴿ثَلَاثَةٍ﴾: إنَّ أيَّ سرٍّ يكون بين ثلاثة ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، هنا هو ﷻ يكون ﴿رَابِعُهُمْ﴾: فهو ﷻ بعلمه مُطَّلَعٌ؛ يسمع كلامهم، ويعلم سرهم، ونجواهم ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿خَمْسَةٍ إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿هُوَ﴾: الله ﷻ ﴿سَادِسُهُمْ﴾: هو السادس الحاضر ﴿وَلَا أَدْنَى﴾: أقلُّ ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍّ يُفيد بيان وتمييز النوع ﴿ذَلِكَ﴾: من هذه الأعداد ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿أَكْثَرَ﴾: من هذه الأعداد ﴿إِلَّا﴾: استثناء ﴿هُوَ﴾: ﷻ ﴿مَعَهُمْ أَيْنَ﴾: حيث ﴿مَا كَانُوا﴾: وُجِدُوا؛ إنها معيّة، علمُ الله ﷻ ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ﴾: يخبرهم بما لم يعلموا ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾: في حياتهم الدنيا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة نكرة؛ لتؤكد أنه ﷻ ﴿عَلِيمٌ﴾: قد أحاط بكلِّ شيءٍ علمًا كاملاً.

التكليف: بدأت الآية بنجوى ثلاثة للدلالة على ما بعده في قوله ﷻ ﴿وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ﴾ وهي الاثنان ﴿وَلَا أَكْثَرَ﴾؛ لأنه لو بدأ بالاثنتين فسيدخل في ذلك مناجاة النفس.

﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْغَدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٨)

﴿أَلَمْ تَر﴾: هنا استفهامٌ للتوبيخ ﴿إِلَى﴾: حرف جر يدل على المصاحبة لأنَّ النظر سببٌ في الرؤية، فقد ينظر المرء ولا يرى، والنهي هنا لتكرار النظر جاء الذم على عدم غض البصر ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع من ﴿نُهُوا﴾: نهاهم الرسول ﷺ هم من اليهود والمنافقين ﴿عَنِ﴾: حرف جر يفيد المجاوزة ﴿النَّجْوَى﴾: الكلام في السرِّ، وكان الهدف من التنجس بقصد إيذاء المؤمنين بالمدينة ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني مع التراخي ﴿يَعُودُونَ﴾: يرجعون ﴿لِمَا﴾: للذي ﴿نُهُوا عَنْهُ﴾: ثم يكررون فعل ما نهاهم الرسول ﷺ عنه ﴿وَ﴾: عطفًا على هذا ﴿يَتَنَاجَوْنَ بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿الْإِثْمِ﴾: هو الذنب والعمل الذي لا يحل؛ الذي يستحق العقوبة عليه، هي المعاصي التي أوجب الله ﷻ فيها حدًّا، وهنا هو الكلام الذي يخصهم من كفرٍ وكرهٍ للإسلام ﴿وَالْغَدْوَانِ﴾: بالاعتداء اللفظي، ما يتعلق بغيرهم من المسلمين ﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ ﷻ عصيانه ومخالفته، ويتواصلون على ذلك ﴿وَإِذَا﴾: حرف عطف ما بعدها على ما قبلها ﴿جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا﴾: بالذي ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾: قالت عائشة رضي الله عنها: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَفَهَمْتُهَا فَقُلْتُ: عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَهَلًا يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَقَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ^(١)، والسَّامُ هو المرض والإعياء الشديد ﴿وَ﴾: حرف عطف يفيد هنا حال نجواهم ﴿يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾: معنى ذلك أنَّ ما في أنفسهم هو قول، إمَّا بطريق الحقيقة أو بطريق الاعتزال، إمَّا وسوسةً نفسٍ، أو همسًا لا يسمعه غيرهم؛ والله ﷻ أعلم، يقولون لو كان هذا نبيًّا ﴿لَوْلَا﴾: حرف شرط يدل على امتناع شيء؛ لوجود غيره ﴿يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾: يقول ذلك في الباطن؛ على سبيل التهكم والاستهزاء، كان عذبا في الدنيا، ولماذا يؤخرنا ﴿حَسْبُهُمْ﴾: يكفيهم ﴿جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا﴾: يعانون عذابها

﴿ف﴾: حرفٌ يُفيدُ السببَ ﴿يُسُّ﴾: تعقيد الشر والضرر ﴿الْمَصِيرُ﴾: إنه نبي ﷺ، ويكفيهم عذابهم في جهنم يوم القيامة، وهو أسوأ مآلٍ ومصير.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْغَدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٩)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرفٌ نداءٍ للقريب والبعيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: النداء مخصص هنا للمؤمنين ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿تَنَاجَيْتُمْ﴾: إذا تساررتم، من الأسرار ﴿فَلَا﴾: حرفٌ تخصيصٍ ونهي يفيد طلب عدم الفعل ﴿تَنَاجَوْا بِ﴾: حرف باء السببية ﴿الْإِثْمِ﴾: هو الذنب والعمل الذي لا يحل؛ الذي يستحق العقوبة عليه، هي المعاصي التي أوجب الله ﷻ فيها حدًا وقد كان هذا حديث اليهود في أمورهم ﴿و﴾: أيضًا لا تتناجوا بـ ﴿الْغَدْوَانِ﴾: ما يخص الآخريين منكم، كما يفعل اليهود، والجهلة من أهل الكتاب، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّلَاثِ»^(١) ﴿وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ ﷻ مخالفة سنته ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿تَنَاجَوْا بِ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿الْبِرِّ﴾: جاء اللفظ القرآني "البر" على ثلاثة وجوه؛ هنا بمعنى طاعة الآخرين. انظر [البقرة- ٢٢٤] ﴿والتَّقْوَى﴾: تحدثوا بما فيه خيرٍ وطاعة وإحسان، والخشية من الله ﷻ بالعمل بما أمر، والانتهاز عما حرم ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: عبادة المشاهد المتيقن ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للفرد، الواحد الأحد الفرد الصمد ﷻ ﴿إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحَرَّرٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ، كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: يَذْنُو أَحَدَكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: أَعْمَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقْرُرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَنَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ.^(١)

﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٠)

(١) صحيح البخاري ٦٤/٨ (٦٢٨٨).

﴿إِنَّمَا﴾: للتحديد والتخصيص ﴿النَّجْوَى﴾: أن النجوى المنهي عنها هي المُسَارَة؛ أي الحديث سرًا، حيث يتوهم المؤمن بها السوء ﴿مَنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية بعض أو جزء من عمل ﴿الشَّيْطَانِ﴾: هو الذي يُسَوِّل للمتاجين، ويزيّن لهم هدفه ﴿لِ﴾: حرف علّة وسبب ﴿يَحْزُنُ﴾: يُسبب لهم الهمّ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: المؤمنون حقًا ﴿وَلَيْسَ﴾: فعلٌ ماضٍ ناقصٌ؛ يفيد النفي ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿صَارَهُمْ شَيْئًا﴾: لن يضرهم بصغيرةٍ أو كبيرةٍ ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: إذا استعاضوا بالله ﷻ من الشيطان الرجيم، إذا أحسوا سوءًا ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿عَلَى اللَّهِ فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿لِ﴾: حرف علّة وسببٍ ﴿يَتَوَكَّلُ﴾: يعتمد ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾: إنّ التوكل علاجٌ كلِّ سوءٍ من النجوى، قال ﷺ: إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ^(١).

التكليف: النجوى المنهي عنها هي الحديث الملزوم بالإثم، ولا يدخل في ذلك حديث النفس.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾
(١١)

هذه من آيات تأديب المسلمين ﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرفٌ نداءٍ للقريب والبعيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: خُصَّص النداءُ هنا للمؤمنين والمؤمنات ﴿إِذَا﴾: ظرفٌ لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿قِيلَ لَكُمْ﴾: أمرهم أحدٌ تحديدًا ﴿تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾: توسعوا لبعضكم؛ ﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿أَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾: وهذا جزاءٌ من جنس العمل، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُقَامَ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَيَجْلِسَ فِيهِ آخَرٌ وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَكْرَهُ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يُجْلِسَ مَكَانَهُ^(٢). ﴿و﴾: أيضًا ﴿إِذَا﴾: حرف عطف ما بعدها على ما قبلها ﴿قِيلَ انشُرُوا ف﴾: حرفٌ يفيد السبب والفعل السريع ﴿انشُرُوا﴾: جاء

(١) صحيح مسلم ١٧١٨/٤ (٢١٨٤).

(٢) صحيح البخاري ٧٥/٨ (٦٢٧٠).

اللفظ "النشوز" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى الارتفاع والقيام. انظر [البقرة-٢٥٩]، وقيل هبوا للقتال، وقيل انهضوا لتوسعوا على إخوانكم، وقال قتادة: إذا دُعيتم لخير فأجيبوا، وقال مقاتل: إذا دُعيتم للصلاة فلبوا النداء ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد هنا جميع من ﴿آمَنُوا مِنْكُمْ﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية المكانية، لا ينقص من مكانتكم عند الله ﷻ أن تقوموا لغيركم ﴿و﴾ عطفًا على ما سبق ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد هنا جميع من ﴿أُوثُوا﴾: وهبهم الله ﷻ ﴿الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾: منازل ومراتب في الدنيا والآخرة ﴿وَاللَّهُ بِمَا﴾: بالذي ﴿تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾: يعلم ما تُسرون، وما تُعلنون، وما تكتمون، وهذه من آيات آداب مجالس الذكر وغيرها.

التكليف: هنا عطف الخاص على العام تنويهاً بشرف العلماء مع أنهم داخلون في المؤمنين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٢)

سبب النزول: أكثر المسلمون من سؤال الرسول ﷺ؛ فشق ذلك عليه، فأراد الله ﷻ أن يخفف عنه؛ فجاء ﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد هنا جميع من ﴿آمَنُوا﴾: النداء مخصصًا هنا للمؤمنين ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿تَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾: إذا أراد أحدكم أن يقول للرسول ﷺ سرًا، أو يسأله مسألة ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿قَدِّمُوا﴾: ادفعوا ﴿بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ﴾: اللائقة بكم، قبل أن تتحدثوا معه إسرارًا؛ عليكم تقديم صدقة تُطهر، وتزكي؛ ليصلح لهذا المقام، وقد كان أول وآخر من قدم ﴿صَدَقَةٌ﴾: قال علي بن أبي طالب ﷺ، قدم دينارًا صدقة، ليسأل الرسول ﷺ عن عشر خصال ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد، تقديم الصدقة ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾: لأنها تطهرها ﴿وَأَطْهَرُ﴾: والطهارة نوعان طهارة النفس من الآثام، وطهارة الجسد من الأوساخ، هنا توقف المسلمون عن السؤال ﴿فَإِنْ﴾: حرف توكيد الفعل ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿تَجِدُوا﴾: كنتم فقراء ﴿فَإِنْ﴾: حرف تأكيد ﴿اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: يغفر لمن لا يملك.

التكليف: إن العلة والسبب في تقديم الصدقة هي النجوى، وقد نُسخَت هذه الآية بعد عشرة أيام.

﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَأْتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٣)

﴿أَ﴾: حرف استفهامٍ بغرض الإنكار والتقرير، هل ﴿أَشْفَقْتُمْ﴾: خفتم الفقر، هو الخوف من المكروه، وقيل بمعنى البخل ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَقَدَّمُوا﴾: تدفعا من أموالكم ﴿بَيْنَ يَدَيْ﴾: قبل ﴿نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾: أن تتصدقوا قبل سؤال الرسول ﷺ ﴿فَإِذْ﴾: حرف يُفيد ما مضى في الزمن ﴿لَمْ﴾: حرف جزم ينفي ﴿تَفْعَلُوا﴾: إذا شق ذلك عليكم ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: أنزل الله ﷻ رخصة السؤال دون صدقات ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: أدوا الصلاة وعلى وجهها الصحيح ﴿و﴾: أيضًا ﴿أَتُوا﴾: ادفعوا ﴿الزَّكَاةَ﴾: زكاة أموالكم؛ بحسب ما قرره الله ﷻ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ﷻ فيما يُشرعه لكم ﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال؛ فأعلموا إن ﴿اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا﴾: بالذي ﴿تَعْمَلُونَ﴾: اعلموا أن الله يعلم ما تُسرون، أي ما تكتُمون، وما تعلنون.

التكليف: لماذا جاءت الصدقة أولاً مفردة وجاءت بصيغة الجمع بعدها؛ لأن الأول لو جمعت الصدقة لتوهّم النَّاسُ أنَّ المراد صدقات وليس صدقة واحدة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٤)

يُذَكِّرُ اللَّهُ ﷻ المنافقين ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: هل علمتم ودائماً تفيد التوبيخ والحزن، والوجع؟ ﴿إِلَى الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿تَوَلَّوْا﴾: أحبوا ﴿قَوْمًا﴾: هم اليهود أحببهم، ونصروهم، وأيدوهم ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: استفهامٌ يراد منه التعجب، وهم اليهود المغضوبُ عليهم. انظر تفسير [الفاحة-٧] ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، تحديداً ﴿مِنْكُمْ﴾: حرف يُفيدُ بداية الغاية المكانية، هم ليسوا من المسلمين ﴿وَلَا﴾: أيضًا ليسوا ﴿مِنْهُمْ﴾: وليسوا من اليهود، إن الله ﷻ في هذه الآية يُخرجهم من ملة المسلمين، وملة اليهود، والله ﷻ أعلم ﴿وَيَخْلِفُونَ﴾: هم المنافقون ﴿عَلَى الْكَذِبِ﴾: قالوا لم نقل أخبار المسلمين لليهود، فقد عملوا جواسيس لهم، إن هذا خُلُقهم ﴿وَهُمْ﴾: تحديداً ﴿يَعْلَمُونَ﴾: أنهم يكذبون عندما حلفوا.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٥)

﴿أَعَدَّ﴾: جهّز وحضّر ﴿اللَّهُ لَهُمْ﴾: جهّز ﷻ لهؤلاء ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾: ألمًا شديدًا ﴿إِنَّهُمْ﴾: بالتأكيد ﴿سَاءَ﴾: أصحاب شرٍّ وضررٍ، وخزيت وجوهم ﴿مَا﴾: الذي ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: قبيح الله ﷻ أعمالهم، إنّ ولاءهم لليهود، وحبّهم، ونصرتهم والتعاون معهم في مجالات الأمن، والسياسة، والاقتصاد، والتناجى معهم، والتآمر على المسلمين، وإظهار ما لا يُبطنون.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (١٦)

﴿اتَّخَذُوا﴾: استخدموا واستعملوا ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾: الحلف الكذب، وإظهار الإيمان، وإبطان الكفر ﴿جُنَّةً﴾: وقايةً لأنفسهم من القتل وأموالهم من المصادرة ﴿ف﴾: حرف استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ، بسبب رغباتهم ﴿صَدُّوا﴾: صرفوا ومنعوا النَّاسَ وثبطوهم عن الحق وتثبيطهم ﴿عَنْ﴾: حرف جرّ يفيد المجاوزة والسبب ﴿سَبِيلِ﴾: دين ﴿اللَّهِ﴾: لمحاربة الإيمان وأهله ﴿فَلَهُمْ﴾: تحديدًا جزاؤهم ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾: مُذَلٌّ، مُجَزٌّ، مُحَقَّرٌ؛ جزاء الكذب، والأيمان الكاذبة.

﴿لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٧)

﴿لَنْ﴾: حرفٌ أبلغ في النفي من القول لا تغني؛ لأن الصدّ سابق على الإغناء ﴿تُغْنِي﴾: لن تدفع، ولا تجازي ﴿عَنْهُمْ﴾: حرف يفيد المجاوزة، لن تتجاوز عنهم ولن تحميمهم ﴿أَمْوَالُهُمْ وَ﴾: أيضًا ﴿لَا﴾: يحميمهم ﴿أَوْلَادُهُمْ﴾: كثرة المال والأموال، وهي وسائل القوة ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الكلية ﴿اللَّهِ شَيْئًا﴾: من عقابِ الله ﷻ وحسابه لهم ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارةً للبعيد والقريب ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾: المقيمون فيها دائمًا، الملازمون في جهنّم، خالدين، هم أهلها ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾: دائمون؛ باقون.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُخَلِّفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (١٨)

﴿يَوْمٌ﴾: القيامة، يوم ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾: يحشرهم عن آخرهم ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿يَخْلِفُونَ لَهُ﴾: لله ﷻ ﴿كَمَا﴾: مثلما ﴿يَخْلِفُونَ لَكُمْ﴾: كما تعودوا على الكلام الكذب تحت الحلفان ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿يَحْسَبُونَ﴾: يظنون ﴿أَنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾: أن هذا الحلف يجلب لهم نفعًا، أو يدفع عنهم عذابًا ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مرفوع للجمع المذكور والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الْكَاذِبُونَ﴾: والله ﷻ يفضح حقيقتهم، ويقول هم الكذّابون.

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١٩)

﴿اسْتَحْوَذَ﴾: سيطر، وتمكك، وتحكم في عقولهم ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾: أصبح سيدهم ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿أَنسَاهُمْ﴾: الشيطان بوسوسته ﴿ذِكْرَ اللَّهِ﴾: تملك قلوبهم، وأنساهم ذكر الله ﷻ، في منع صلاة الجماعة، عن أبي الدرداء، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَا مِنْ ثَلَاثَةِ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا نَقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذُّبُّ الْقَاصِيَةَ، قَالَ زَائِدَةٌ: قَالَ السَّائِبُ: يَعْنِي بِالْجَمَاعَةِ: الصَّلَاةُ فِي الْجَمَاعَةِ^(١)، ﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للقريب والبعيد ﴿حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾: الذين انضموا وانحازوا للشيطان ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾: جنود إبليس لعنه الله ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مرفوع للجمع المذكور والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الْخَاسِرُونَ﴾: المهزومون في الدنيا، ومصيرهم في الآخرة جهنم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْنَانِ﴾ (٢٠)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد هنا جميع من ﴿يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: الذين يعادون الله ﷻ، ورسوله ﷺ فيقفون في حدٍّ؛ أي جانبٍ، والشرع في حدٍّ، يجانبون الحق، معاندين، ومُعادين ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد ﴿فِي الْأَذْنَانِ﴾: هذا اللفظ

(١) سنن أبي داود ٤١٠/١ (٥٤٧)، قال الأرنؤوط: إسناده حسن.

أبلغ وأخص من القول أولئك أذلاء؛ لأن وصف الذلة مقابل لوصف معاداتهم الذي كان سبب ذلهم، هنا تعنيف مجموع من أذلهم الله ﷻ، هم في أسوأ المذلين في الدنيا وفي الآخرة.

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢١)

﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾: حكم الله ﷻ وقضى في كتابه الأول، في اللوح المحفوظ، القدر الذي لا يخالف، ولا يُمانع، ولا يُبدل. انظر [البقرة-١٧٨] ﴿لَأَعْلَبَنَّ﴾: بكل أدوات التوكيد اللفظي والعملية بالحجة الكلامية وبالسلح ﴿أَنَا﴾: الله ﷻ ﴿و﴾: أيضًا ﴿رُسُلِي﴾: نحن الغالبون، قدر محتوم، أمر مُبرم، أن العاقبة للمتقين ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ قَوِيٌّ﴾: قادر على نُصرة أوليائه ﴿عَزِيزٌ﴾: غالب على أعدائه، لا يغالبه أحد.

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢٢)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَجِدُ﴾: أيها الرسول وكل مؤمن من بعده ﴿قَوْمًا﴾: مجتمعًا من عرقٍ واحدٍ أو أصحابٍ مذهبٍ واحدٍ ﴿يُؤْمِنُونَ بِ﴾: حرف باء الصلة والمصاحبة ﴿اللَّهُ﴾: اطمأنت قلوبهم أن الله ﷻ هو الخالق، البارئ، المصور ﴿و﴾: عطفًا على هذا يؤمنون بـ ﴿الْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: ويؤمنون بيوم القيامة، يوم البعث، والنشور والحشر، والفصل ﴿يُوَادُّونَ﴾: يُحِبُّونَ ويتعاونون ﴿مَنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿حَادَّ﴾: عادى ﴿اللَّهُ وَرَسُولَهُ﴾: الذين وقفوا على الجانب المعادي لله ﷻ ورسوله ﴿وَلَوْ﴾: حرفٌ يُفيد الاستفهام والاستحالة ﴿كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾: جاء هنا تقديم الآباء على الأبناء من باب نفي المانع، حيث إن رقة القلب على الأب أقوى منها على الابن، ولأنه واحد كان المثال الأبرز الأول هو أبو عبيدة بن الجراح، الذي قتل أباه يوم بدر^(١)، ومن قبله إبراهيم الخليل، الذي فارق أباه ﴿أَوْ﴾: حرفٌ تسوية بين متعاطفين، ما قبله وما بعده ﴿أَبْنَاءَهُمْ﴾: قال عبد الرحمن بن أبي بكر لأبيه رضي

(١) انظر: نوادر الأصول للحكيم الترمذي ص: ٦٢٢.

الله عنهما بعدما أسلم يا أبت لقد أهدفت لي يوم بدر فضفت عنك فقال أبو بكر ﷺ أما أنك لو أهدفت لي ما ضفت عنك^(١) ﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾: والأخ والأخت هم المشارك لآخر من الأب والأم أو أحدهما نزلت في مصعب بن عمير الذي قتل أخاه عبيد بن عمير ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾: نزلت في عمر بن الخطاب الذي قتل أحد أقربائه أيضًا، ونزلت في حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث؛ قتلوا عتبة، وشيبة، والوليد بن عتبة، والله أعلم ﴿أَوْلِيكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد؛ هم جند الله ﷺ ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾: جاء اللفظ القرآني "كتب" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى قضى وحكم كما في قوله ﷺ ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة-٥١]، وفي قوله ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بَالِحِرٍ وَالْعَبْدِ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة-١٧٨] إن واقع هذا القتل هو الإيمان الذي هو قرينة من الله ﷺ ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿أَيْدَهُمْ﴾: نصرهم ودعمهم ﴿بِرُوحٍ مِنْهُ﴾: حرف يفيد بداية الغاية، بنور يقذفه في قلوبهم، أو بالقرآن، جاء اللفظ القرآني "روح" على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى رحمة، قال ابن عباس: منحهم قوة من عنده، وصبرًا ﴿و﴾: عطفًا على إيمانهم ﴿بُدْخَلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي﴾: المياه فيها ليست راکدة ﴿مِنْ﴾: حرف جر يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: وعداها المتقين ﴿خَالِدِينَ﴾: ماكتين ﴿فِيهَا﴾: في الجنة أبدًا ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾: بسبب سُخْطِهِمْ وَكُرْهِهِمْ عَلَى أَقَارِبِهِمُ الْكَافِرِينَ؛ عَوْضَهُمْ ﷺ بِرِضَاهِ عَنْهُمْ ﴿وَرَضُوا عَنْهُ أَوْلِيكَ حِزْبٌ﴾: جند وعبادُ ﴿اللَّهِ﴾ ﷺ وأهل كرامته ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿حِزْبِ اللَّهِ﴾: جماعة، جند الله ﷺ ﴿هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكور والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون بسعادتهم ونجاحهم، ونصرتهم في الآخرة.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نجد عرضًا لعلم الله الشامل، ومراقبته ﷺ.

(١) نوارد الأصول للحكيم الترمذي ص: ٦٢٢.

سُمِّيت سورة الحشر بهذا الاسم من قبل النبي ﷺ؛ ووجه التسمية بسبب وقوع لفظ (الحشر) فيها، وسميت أيضاً بسورة بني النضير؛ لأن قصة بني النضير ذكرت فيها، وهي سورة مدنية بالاتفاق، وترتيبها (١٠١) في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة البيّنة، وقبل سورة النصر، وعدد آياتها (٢٤) باتفاق العاديين.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١)

﴿سَبِّحْ﴾: مَجْدٌ، وَقَدْسٌ، وَعَظْمٌ وَوَحْدٌ كُلُّ مَا يَلِيقُ ﴿لِلَّهِ﴾: لَهُ تَخْصِيصٌ وَتَمْلِكُ ﴿مَا﴾: الَّذِي مِنْ جِنْسٍ غَيْرِ الْعَاقِلِ ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هِيَ كُلُّ مَا عَلَا الْأَرْضَ، وَأَحَاطَ بِهَا ﴿وَمَا﴾: أَيْضًا سَبَّحَ لِلَّهِ ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾: وَكُلِّ مَا هُوَ عَلَى الْأَرْضِ ﴿وَهُوَ﴾: اللَّهُ تَعَالَى ﴿الْعَزِيزُ﴾: مَنِيعُ الْجَنَابِ، الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ ﴿الْحَكِيمُ﴾: صَاحِبُ الصَّوَابِ وَالْحَقِّ فِي قَوْلِهِ وَشَرَعِهِ.

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ

الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ (٢)

﴿هُوَ﴾: فِي اللُّغَةِ يَعْنِي ضَمِيرًا مَفْصَلًا مَرْفُوعًا لِلْغَائِبِ الْمَفْرَدِ الْمَذْكَرِ، هُنَا هُوَ تَعَالَى ﴿الَّذِي﴾: اسْمٌ مُوَصَّلٌ هُنَا لِلْفَرْدِ، الْوَاحِدِ، الْأَحَدِ، الْفَرْدِ، الصَّمَدِ، تَعَالَى ﴿أَخْرَجَ﴾: الَّذِي أَجْلَى لِأَوَّلِ مَرَّةٍ مِنَ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ﴿الَّذِينَ﴾: اسْمٌ مُوَصَّلٌ، يَفِيدُ جَمِيعَ مَنْ كَانُوا مِنْ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ قَرِبَ الْمَدِينَةِ ﴿كَفَرُوا مِنْ﴾: حَرْفٌ يَفِيدُ بَدَايَةَ الْغَايَةِ الْمَكَانِيَّةِ ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾: فِي الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ، فَقَدْ هَادَنَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ، وَعَاهَدَهُمْ أَلَّا يَقَاتِلُوهُ، وَلَا يَقَاتِلَهُمْ؛ فَنَقَضُوا الْعَهْدَ؛ فَأَجْلَاهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ﴿لِ﴾: حَرْفٌ يَفِيدُ التَّوْقِيتَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى لَدُلُوكَ الشَّمْسُ ﴿أَوَّلِ الْحَشْرِ﴾: وَهُوَ إِجْلَاؤُهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ الطَّرْدُ الثَّانِي مِنَ الْأَرْضِ الْحِجَازِيَّةِ عَلَى يَدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ فِي أَوَّلِ طَرْدٍ لَهُمْ إِلَى الشَّامِ، ذَهَبَتْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ إِلَى أَدْرَعَاتٍ مِنْ أَعَالِي الشَّامِ، أَرْضِ الْمُحَشَّرِ

والمنشر، وذهبت طائفة إلى خيبر ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿ظَنَنْتُمْ﴾: تأكدتم وتيقنتم أيها المسلمون ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُخْرِجُوا﴾: لم تتخلوا أن تقدروا على إخراج اليهود بني النضير هم من أهل المدينة في ستة أيام ﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال ﴿ظَنُّوا﴾: كانوا على يقين ﴿أَنَّهَمْ﴾: تفيد التأكيد، ونفي الإنكار والشك ﴿مَانِعَتْهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾: من عادة اليهود أن يعيشوا في أماكن مُنْعَزَلَة، لا يجاورون غيرهم فيها، سميت في أوروبا بالجيتو، وتاريخهم في أوروبا حافلٌ بإجلائهم من هذه الأماكن، ومن أشهرها إجلاؤهم من فرنسا عام (١٢٥٣) ميلادية، ومن بريطانيا (١٢٨٠) م، وهكذا ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ، بسبب رغباتهم ﴿أَتَاهُمْ﴾: جاءهم وحلّ بهم أمرٌ وعقابٌ ﴿اللَّهُ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية والزمانية ﴿حَيْثُ﴾: ظرف يدلُّ على الزمان والمكان ﴿لَمْ﴾: حرف جزم؛ يفيد النفي ﴿يَحْتَسِبُوا﴾: لم يظنوا، ولم يخطر ببالهم من الرعب والخوف، وانصراف حلفائهم الكفار عن محاربة محمد ﷺ قبلها بقليل ﴿و﴾: أيضًا ﴿قَذَفَ﴾: ألقى وأنزل إنزالًا شديدًا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ الرُّعْبَ﴾: وهو العامل الأكثر تأثيرًا فيهم، هو الخوف الذي يُرعبُ الصدر ويملاه خوفًا ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِ﴾: حرف باء الصلة والمصاحبة ﴿أَيْدِيهِمْ﴾: حيث سمح لهم الرسول ﷺ بحمل ما تقدر على حمله إبلهم؛ فكانوا يخربون بيوتهم؛ ليأخذوا ما أرادوا منها ﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾: وجدوا فيهم تصميمًا وبأسًا ﴿فَاعْتَبِرُوا﴾: اتعظوا ﴿يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿أُولِي﴾: أصحاب ﴿الْأَبْصَارِ﴾: أصحاب الرؤى السليمة، والعقول الراجحة؛ بما جرى لهم؛ إن في قصة إجلائهم عبرةً وعظةً، بدأت القصة بمكاتبة كُفَّار قريش إلى عبد الله بن أبي بن سلول ومن يعبد الأوثان من الأوس، والخزرج في المدينة، قالوا لهم لقد قرّبتكم محمدًا، وقد أقسمنا على قتاله، لنخرجنكم بعد أن نقتله، ونسبي نساءكم، فلما سمعوا ذلك تفرقوا بعد أن أخبرهم النبي بنية قريش بقتلهم؛ بعد أن قرروا الغدر؛ فأرسلوا إليه ﷺ؛ فطلبوا أن يُخرج منها ثلاثين حبرًا؛ حتى نلتقي بمكان النصف، وليسمعوا منك؛ فإن صدقوك وآمنوا بك آمنًا بك، فطلب منهم عهدًا فلم يعاهدوا؛ فقاتلهم؛ ثم أكمل سيره إلى بني قريظة؛ فأجلاهم (١).

(١) انظر صحيح البخاري ١١٢/٥ (٤١٢٢).

التكليف: هذا الخطاب كان خاصًا للمسلمين الذين تيقنوا أنّ بني النضير لن يخرجوا من ديارهم لغزتهم ومنعة حصونهم، وعدّتهم وعتادهم، وفيه إشارة لكلّ مسلم يواجه أعداء الإسلام، والعالم الإسلامي ينتظر طردهم من فلسطين بمعركة وعد الآخرة بإذن الله ﷻ .

﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ (٣)

﴿وَلَوْلَا﴾: حرفٌ يُفيد امتناع العذاب لوجود الجلاء ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾: طردهم، وفيهم من ديارهم وأمّوالهم ﴿لَنْ﴾: حرفٌ علّةٍ وسببٍ ﴿عَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾: لكان عذابهم القتل والسبي؛ هؤلاء أصحاب موقعة بني النضير بعد ستة أشهر من معركة بدر، حاصرهم الرسول ﷺ، وقبلوا أنّ يهاجروا مع ما تحمل إبّلهم إلّا السلاح، هؤلاء كتب الله ﷻ عليهم الجلاء في التوراة، ولم يُنقذ العقاب إلّا في عهد محمد ﷺ ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾: إنّ جلاؤهم قسرًا لا يُسقط عنهم عذاب الآخرة.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٤)

﴿ذَلِكَ﴾: اسمٌ إشارةٍ للبعيد؛ الجلاء الذي حدث في الدنيا، وعذاب الآخرة في النَّار ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿شَاقُّوا﴾: عادوا، وعصوا، وحادوا ﴿اللَّهُ وَرَسُولَهُ﴾: لأنهم عادوا، وخالفوا الله ﷻ ورسوله أشدّ المخالفة، وكذبوا بما أنزل على رسلهم في البشارة ب محمد ﷺ ﴿وَمَنْ﴾: الذي من بني آدم ﷺ ﴿يُشَاقِّ﴾: يعادي ﴿اللَّهُ فَإِنَّ﴾: بالتأكيد ﴿اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: جزاء من يخالف الله ﷻ يعاقب بشدّة؛ قاعدة ثابتة راسخة، لا تتبدل.

﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٥)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿قَطَعْتُمْ مِنْ﴾: جزءًا أو بعضًا ﴿لِينَةٍ﴾: هي النخلة قليلة العمر، عن ابن عمّر رضي الله عنهما، قال: «حَرَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ وَقَطَعَ، وَهِيَ الْبُؤَيْرَةُ» فَنَزَلَتْ: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١)، ﴿لِينَةٍ﴾: جاء اللفظ القرآني "النخيل" في عشرين موضعًا، وجاءت ثمرة الرطب في موضع واحد، جاء تعريفها بمعنى نخلة كريمة، وقيل نوعٌ من التمر الجيد، وقال أبو عبيدة: هو ما خالف العجوة والبرني

(١) صحيح البخاري ٨٨/٥ (٤٠٣١).

من التمر، وقال ابن جرير: هو جميع النخل ﴿أَوْ﴾: حرفُ تسويةٍ بين متعاطفين ﴿تَرْكُتُمُوهَا﴾: لم تمسّوها ﴿فَائِمَةٌ﴾: باقية ﴿عَلَى أُصُولِهَا﴾: هذا تأكيد آخر بعد قائمة على أصولها، لم تقطعوا ساقها وجذعها ﴿فَ﴾: حرفٌ استثنائيٌّ؛ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿إِذْنِ اللَّهِ﴾: القطع والترك بأمر الله ﷻ ﴿وَ﴾: حرفٌ عطفيٌّ يفيد الحال ﴿لِ﴾: حرفٌ يفيد التعليل والسبب ﴿يُخْزِي﴾: يُصِيبُ بِالْخِزْيِ ﴿الْفَاسِقِينَ﴾: الخارجين عن حدود الله ﷻ.

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦)

﴿وَ﴾: أيضًا ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿أَفَاءَ اللَّهِ﴾: الفياء هو كلُّ مالٍ أخذ من العدو بالصلح والاتفاق، أمّا الغنيمة فهي ما أخذ من العدو بقوة القهر والسلاح من أعداء الإسلام ﴿عَلَى رَسُولِهِ﴾: محمد ﷺ ﴿مِنْهُمْ﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية الزمانية والمكانية، من يهود بني النضير ﴿فَمَا﴾: حرفٌ يفيد الخبر ﴿أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾: لم تحصلوا عليه بالخيل، والإبل، والركاب، وهي أدوات القتال، ولم تبارزوه، بل حصلتم عليه بالرعب، إنّ حاصل ذلك يعود إلى الرسول ﷺ ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿خَيْلٍ﴾: جاء تقديم الخيل هنا للتخصيص ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿رِكَابٍ﴾: ما يُركب من الإبل، ووسائل الركوب والمواصلات بغير قتال، وهو ما رُدّ وأعيد ﴿وَلَكِنَّ﴾: حرفٌ عطفيٌّ واستدراكٌ ﴿اللَّهُ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ﴾: هذا بسبب أن يُرسل الله ﷻ رسوله ﴿عَلَى مَنْ﴾: الذي من جنس ابني آدم ﴿يَشَاءُ﴾: بطريقته الخاصة لحكمة هو يعلمها ﴿وَ﴾: عطفاً على ما سبق؛ إنّ ﴿اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد عموم الأشياء ﴿قَدِيرٌ﴾: لا يُغالبه ولا يمنع شيء في الأرض ولا في السماء.

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٧)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿أَفَاء﴾: أنعم ﴿اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية، والمكانية ﴿أَهْلُ الْقُرَى﴾: جميع البلدان التي تُفتح؛ فحكمها حكم بني النضير ﴿ف﴾: حرف جواب الشرط ﴿لِلَّهِ﴾ تخصيصًا وتمليكًا ﴿و﴾: أيضًا ﴿لِلرَّسُولِ﴾: يُفقد منه على أهله ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾: أقارب الرسول من بني هاشم وبني، عبد المطلب ﴿وَالْيَتَامَى﴾: الذين فقدوا العائل الذي ينفق عليهم كالأب ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾: هم الفقراء لسد حاجاتهم ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: الذين انقطع ما لهم وهم في سفرٍ ﴿كَي﴾: حتى ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَكُونُ دَوْلَةً﴾: مُلْكًا مُتداولًا فقط ﴿بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية، في يد الأغنياء من المسلمين فقط؛ كيلا يُنفق إسرافًا وتبذيرًا ﴿وَمَا﴾: والذي ﴿آتَاكُمْ﴾: أعطاكم ﴿الرَّسُولُ فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿خُذُوهُ﴾: اقبلوه ﴿وَمَا﴾: الذي ﴿نَهَاكُمْ عَنْهُ﴾: حرّمه عليكم ﴿فَأَنْتَهُوا﴾: قال ﷺ: مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَاَفْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ^(١) ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: تجنبوا سخطه ﴿إِن﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: عافانا الله من عقابه.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٨)

﴿ل﴾: حرف تخصيص وتمليك ﴿الْفُقَرَاءِ﴾: تمليكًا وتخصيصًا ﴿الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿أُخْرِجُوا﴾: عنوة ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿دِيَارِهِمْ﴾: يُبين الله ﷻ أوجه صرف الفياء في الذين أُجبروا على ترك بيوتهم، ومزارعهم، وأشغالهم ﴿و﴾: أيضًا الذين فقدوا ﴿أَمْوَالِهِمْ﴾: ومصادر رزقهم ﴿يَبْتَغُونَ﴾: يرغبون ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ﴾: هو تشريفٌ للطاعة؛ لنيل رضاه، وعفوه، وتوفيقه ﷻ ﴿وَرِضْوَانًا﴾: جنّته ﷻ، وهم المهاجرون ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَ﴾: جاء ذكر الله ﷻ هنا للحث والتحفيز عليها، أيضًا ينصرون ﴿رَسُولَهُ﴾: الذين صدّقوا قولهم بفعلهم، وتضحياتهم، وهم أغنياء

(١) صحيح مسلم ٤/١٨٣٠/١٣٣٧.

المهاجرين ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للجمع ﴿هُم﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الصَّادِقُونَ﴾: يشهد الله ﷻ لهم بالصدق.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٩)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق فإن ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع من ﴿تَبَوَّءُوا﴾: ويُصرفُ جزءٌ من هذا المال للفقراء المهاجرين في سبيل الله ﷻ الذين أجبهم كفَّار مكة على ذلك، هم الذين نزلوا المدينة قبل الرسول ﷺ جاء اللفظ القرآني "تبوأ" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى توطن كما في قوله ﷻ ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران-١٢١] ﴿الدَّارَ﴾: الذين سكنوا دار الهجرة ﴿وَالْإِيمَانَ﴾: وآمنوا بالرسول ﴿مِنْ﴾: حرف جرٌّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿قَبْلِهِمْ﴾: وهم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ مَنْ﴾: البشر ﴿هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾: يُحبونهم؛ لشرفهم، وكرمهم عند الله ﷻ، وقد شهدوا بذلك للرسول ﷺ ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَجِدُونَ﴾: لا يوجد ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾: في قلوبهم مركز الوعي والإدراك ﴿حَاجَةً﴾: حسداً أو حرجاً أو ضيقاً ﴿مِمَّا﴾: من الذي ﴿أُوتُوا﴾: مما أخذوا في الدنيا، وأيضاً ﴿وَيُؤْتُونَ﴾: يُفضلون غيرهم في الخير ﴿عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ﴾: حرف يفيد الاستحالة ﴿كَانَ ب﴾: حرف باء الالتصاق ﴿هُمْ خَصَاصَةٌ﴾: هي الحاجة والفقير حتى لو كانوا فقراء، عن أبي هريرة ؓ، أن رجلاً أتى النَّبِيَّ ﷺ، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا، فَاَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرَمِي صَنِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷻ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوْثُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيْتِي طَعَامِكِ، وَأَصْبِحِي سِرَاجِكِ، وَتَوَمِّي صِبْيَانِكَ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأْتُ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحْتُ سِرَاجَهَا، وَتَوَمَّتُ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَ يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيئِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷻ، فَقَالَ: ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكَمَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾

فَأُوْتِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿[الحشر- ٩]﴾^(١) ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحالَ ﴿مَنْ﴾: الذي من بني آدم ﴿يُوقَ﴾: يعينه الله ﷻ على التغلب وتجنب ﴿شَحَّ﴾: حرصٌ، وبخلٌ، ورغبةٌ ﴿نَفْسِهِ﴾: في المال؛ فينقله في سبيل الله ﷻ ﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿أُوْتِكَ﴾: إشارةٌ للقريب والبعيد ﴿هُمُ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾: سينالون ما يرجون في الدنيا وفي الآخرة. ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٠)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيدُ هنا جميع مَنْ ﴿جَاءُوا مِنْ﴾: حرفٌ يفيدُ بداية الغاية الزمانية ﴿بَعْدِهِمْ﴾: أسلموا بعد فئة المهاجرين وفئة الأنصار، تأتي فئة التابعين لهم بإحسان، الذين اتبعوا آثارهم الحسنة ﴿يَقُولُونَ﴾: يدعون لإخوانهم الذين سبقوهم ﴿رَبَّنَا﴾: ﷻ المُعبود، والمُربي، وهو المنشئُ للشيء من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام، وهو ﷻ الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد؛ فهو مالك أمرنا كلّهُ ﴿اغْفِرْ لَنَا﴾: ذنوبنا ﴿و﴾: أيضًا اغفر ﴿لِإِخْوَانِنَا﴾ المقصود هنا أخوة العقيدة ﴿الَّذِينَ سَبَقُونَا بِ﴾: حرفُ باءِ السببية، هنا دليلٌ على أنّ الفضلَ للأسبقية في الإسلام، كما قال الفقهاء في الإمامة؛ أنه يُقدّم الأقدم سنًا في الإسلام ﴿الإِيمَانِ﴾: ويحصّنون أنفسهم بالدعاء ﴿وَلَا﴾: حرفُ نفي ﴿تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾: حقدًا، وحسدًا، وبغضًا ﴿ل﴾: حرفُ تخصيصٍ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: ليحققوا مبدأً إنّما المؤمنون إخوة ﴿رَبَّنَا﴾: مالك أمرنا كلّهُ ﴿إِنَّكَ﴾: أنت سبحانك؛ بالتأكيد ﴿رَءُوفٌ﴾: عطوفٌ حنون ﴿رَحِيمٌ﴾: واسعُ الرحمة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١١)

(١) صحيح البخاري ٣٤/٥ (٣٧٩٨).

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: انظر يا محمد ﷺ وهي تقييد استقهام بغرض التعجب، ألم تنظر أيها الرسول إلى المنافقين ﴿إِلَى الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿نَافَقُوا﴾: جاء التعبير بفعل الماضي لبعده تحقيق ذلك، الذين أبطنوا الكفر، ونصروا الكافرين، وأظهروا الإيمان من أمثال عبد الله بن أبي بن سلول ﴿يَقُولُونَ ل﴾: حرف لام التبليغ ﴿إِخْوَانِهِمْ﴾: والأخ والأخت هم المشاركون لآخر من الأبِّ والأمِّ أو أحدهما، ولكن المقصود هنا المشاركون في النفاق والكفر، الذي هو ملّة واحدة؛ وبتقديم النفاق على الكفر ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: هنا يتحقق أن الكفر والنفاق ملّة واحدة ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: يهود بني النضير ﴿لَنُن﴾: حرف اللام هنا موطئة للقسم ﴿أُخْرِجْتُمْ﴾: لو قرر محمدٌ وصحبُه إخراجكم من بيوتكم ﴿لَنُخْرِجَنَّ﴾: هنا جواب القسم، بكلّ تأكيد ﴿مَعَكُمْ﴾: أولاً عليكم أن تثبتوا في دياركم، وقاوموا وإذا أخرجكم محمد نشارككم الخروج ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿نُطِيعُ فِيكُمْ﴾: لن يمتنعنا من الخروج معكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾: على طول الدهر؛ جاء اللفظ القرآني "أحد" على ثلاثة أوجه؛ هنا المقصود محمد ﷺ، لن نشارك أو نسمح لأحدٍ ممن يعاونون محمدًا، فلا نصرهم عليكم، وجاء بمعنى الله ﷻ في قوله ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يُقَدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ [البعد- ٥، ٦]، وجاء بمعنى الصحابي بلال بن رباح عندما أعتقه أبو بكر ﷺ في قوله ﷺ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ [الليل- ١٩] ﴿وَإِنْ﴾: حرف شرط ﴿قُوتِلْتُمْ﴾: لو قاتلكم المسلمون ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿نُنْصِرَنَّكُمْ﴾: سنقف معكم مناصرين بكلّ تأكيد ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾: يعلم، والشهادة أخص من العلم ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد؛ المنافقون ﴿كَاذِبُونَ﴾: هذه صفة ملازمة لهم في كلّ شيء؛ لأنهم كذبوا على المسلمين بالتظاهر بالإسلام، وكذبوا على اليهود؛ لأنهم امتنعوا عن نصرتهم، وهي صفة كلّ منافقٍ إلى يوم القيامة.

﴿لَنُنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَنُنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَنُنْ نَصْرُوهُمْ لَنُؤَلِّنَ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ (١٢)

﴿لَنُن﴾ حرف شرط يتبع ما بعده ﴿أُخْرِجُوا﴾: طردوا من ديارهم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾: سيقعد المنافقون؛ ليظهروا أنهم مع المسلمين ﴿و﴾: أيضًا ﴿لَنُنْ قُوتِلُوا﴾: إذا هاجمهم

المسلمون للقتال ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُنْصِرُونَهُمْ﴾: كحال الأمة الإسلامية، في فترات الذين قعدوا عن نصرته المسلمين، في عصر العلو الصليبي، والصهيوني ﴿وَلَنْ نَنْصُرُوهُمْ﴾: وإذا أرادوا نصرته المسلمين ﴿لَنْ﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿يُولِنُ الْأَدْبَارَ﴾: سوف يهربون بالتأكيد ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني مع التراخي ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُنْصِرُونَ﴾: لن ينصرهم أحدٌ.

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (١٣)

﴿لَنْ﴾: حرف تأكيد ﴿أَنْتُمْ﴾: يؤكد الله ﷻ للمؤمنين أنكم أيها المسلمون ﴿أَشَدُّ﴾: أكثر شدة ﴿رَهْبَةً﴾: تخويفاً ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾: صدور المنافقين التي فيها قلوبهم وهي مراكز الوعي والإدراك ﴿مِنَ اللَّهِ﴾: إن خوف المنافقين منكم أشد وأكثر من خوفهم من الله ﷻ ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد الذي ذكرنا ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿أَنْهُمْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿قَوْمٌ﴾: جماعة كبيرة أصحاب مذهبٍ واحدٍ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَفْقَهُونَ﴾: لا يفهمون حقيقة القوى، قوة الخلق، أم قوة الخالق؟ ﴿لَا يِقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْىٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٤)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يِقَاتِلُونَكُمْ﴾: يحاربونكم ﴿جَمِيعًا﴾: لا يواجهون المسلمين في حربٍ كبيرةٍ، يشارك فيها الجميع منكم، ومنهم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿فِي قَرْىٍ مُحَصَّنَةٍ﴾: إن هذه الآيات الكريمة تُوضح؛ كما كان في الماضي، أن حُطّة اليهود في فلسطين، وفي العصر الحديث؛ هي بناء الملاجئ، والحُصون، والجدران، تجسيداً لحالة الخوف ﴿أَوْ﴾: يتساوى هذا مع بناء القرى المُحصّنة ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿وَرَاءِ﴾: خلف ﴿جُدُرٍ﴾: بينون أسواراً عاليةً تُحاصروهم، وتصدُّ بأس المؤمنين عنهم؛ بسبب جُبنهم في حرب دفاع، وقد بنى اليهود هذه الجدران في فلسطين المحتلة فعلاً ﴿بَأْسُهُمْ﴾: جبروتهم وقاتلهم ﴿بَيْنَهُمْ﴾: عداوة بعضهم لبعضٍ ﴿شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ﴾: تظنُّ وتعتقد أنّهم ﴿جَمِيعًا﴾: كأنهم مجتمعون، مُوحّدون، مؤتلفون ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾: وفي الحقيقة والواقع هم مُختلفون إلى أقصى درجة ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد، الخلاف والعداوة ﴿بِ﴾: حرف الباء السببية

﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف تأكيد الفعل، ونفي الإنكار والشك ﴿قَوْمٌ﴾: جماعة كبيرة من أصل واحد أو أصحاب مذهب واحد ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْقِلُونَ﴾: لا يعرفون الحق؛ لأنهم أغبياء. التكليف: إن حال اليهود في القرن الحادي والعشرين، وحال الغرب الصليبي وحال المنافقين من العرب ومن المسلمين يظهرهم أنهم جميعاً ضد الحركة الإسلامية؛ فينطبق عليهم هذا الوصف القرآني، يقول إبراهيم النخعي: هؤلاء أهل الكتاب والمنافقون.

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٥)

﴿ك﴾: مثلهم، حال كفرهم ﴿مَثَلٍ﴾: مُشابه كمثل ﴿الَّذِينَ مِنْ﴾: حرف بيان وتمييز النوع يفيد هنا بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾: قال مجاهد، والسدي: مثل المنافقين واليهود؛ مثل ما أصاب كُفَّار قريش يوم بدر، وقال ابن عباس: كمثل الذين من قبلهم يهود بني قينقاع؛ لأنَّ الله ﷻ أجلى هؤلاء قبل هذا، الذين ﴿ذَاقُوا﴾: كابدوا وعانوا ﴿وَبَالَ﴾: سوء عاقبة، وشرٌّ وضرر ﴿أَمْرِهِمْ﴾: جاء اللفظ القرآني "الأمر" على ثلاثة عشر وجهاً؛ هنا بمعنى الذنب كما في قوله ﷻ ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق-٩]، عانوا من مصائب ذنوبهم في الدنيا ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿لَهُمْ﴾: تمليكا وتخصيصًا؛ يوم القيامة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: شديد الوجع.

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦)

﴿ك﴾: مثل وحال هؤلاء اليهود بكفرهم بمحمد ﷺ ﴿مَثَلٍ﴾: نموذج وصفات ﴿الشَّيْطَانِ﴾: في إغرائهم بوعدهم النصر من أعوانهم ﴿إِذْ﴾: حرف سبب يُفيد حدوث الشيء في الماضي ﴿قَالَ﴾: الشيطان ﴿لِلْإِنْسَانِ﴾: بني آدم ﴿اكْفُرْ﴾: سؤل له، وأمره، وزين له الكُفر ﴿فَلَمَّا﴾: حرف تتابع وسبب ﴿كَفَرَ﴾: أنكر الإنسان أركان الإيمان؛ قال الشيطان ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿بَرِيءٌ﴾: أنا مُتصلٌ ﴿مِنْكَ﴾: من دعمك ونصرتك ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾: أخشى وأحسب حساب ﴿اللَّهِ رَبِّ﴾: هو مالك أمرهم كلَّ ﴿الْعَالَمِينَ﴾: كلِّ مخلوقاته في الكون.

﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ (١٧)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿كَانَ عَاقِبَتُهُمَا﴾: يُخْبِرُ الْحَقُّ ﷺ أَنَّ خَاتِمَةَ الْغَاوِي وَالْمَغْوِي، الْكُفَّارِ وَأَنْصَارَهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ﴿أَنْهُمَا﴾: حَرْفٌ يُفِيدُ تَأْكِيدَ الْفِعْلِ، وَنَفْيَ الْإِنْكَارِ وَالشَّكِّ؛ الصَّنْفَانِ ﴿فِي النَّارِ﴾: فِي جَهَنَّمَ ﴿خَالِدِينَ﴾: مَآكِثِينَ مُقِيمِينَ ﴿فِيهَا﴾: فِي النَّارِ ﴿وَذَلِكَ﴾: إِشَارَةٌ لِلْبَعِيدِ وَهُوَ الْعَذَابُ ﴿جَزَاءً﴾: عِقَابٌ ﴿الظَّالِمِينَ﴾: هَذِهِ نَهَايَةُ كُلِّ ظَالِمٍ لِنَفْسِهِ بِالْكَفْرِ، وَمَوَالٍ لِلْيَهُودِ وَاللَّنْصَارِيِّ وَالْمُنَافِقِينَ، وَلِكُلِّ ظَالِمٍ لغيره بِالْعُدْوَانِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨)

سبب النزول: عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جُلُوسًا فِي صَدْرِ النَّهَارِ فَجَاءَ قَوْمٌ حُفَاءٌ عُرَاءٌ مُجْتَابِي النَّمَارِ عَلَيْهِمُ الْعَبَاءُ أَوْ قَالَ: مُنْقَلِدِي السُّيُوفِ غَامَتْهُمْ مِنْ مُضَرَ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَرَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَغَيَّرُ؛ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِالْأَلَا فَأَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ فَخَطَبَ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء-١] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ثُمَّ قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر-١٨] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ تَوْبِهِ مِنْ صَاعٍ بَرَهُ مِنْ صَاعٍ تَمَرِهِ حَتَّى قَالَ: «وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ: فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِبُصْرَةٍ قَدْ كَادَتْ كَفُّهُ أَنْ تَعْجَزَ عَنْهَا بَلْ قَدْ عَجَزَتْ عَنْهَا فَدَفَعَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَتَابَعَ النَّاسُ فِي الصَّدَقَاتِ فَرَأَيْتُ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَتِيَابٍ وَجَعَلَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ وَقَالَ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أُوزَارِهِمْ شَيْئًا»^(١) ﴿يَا أَيُّهَا﴾: حَرْفٌ نِدَاءٍ لِلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ﴿الَّذِينَ﴾: اسْمٌ مُوصُولٌ يَفِيدُ هُنَا جَمِيعَ مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: هَذَا خَطَابٌ عَامٌّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: دَاوَمُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ﷻ حَقَّ طَاعَتِهِ، وَهُنَا إِشَارَةٌ إِلَى تَقْدِيمِ الْإِيمَانِ عَلَى التَّقْوَى؛ الَّتِي هِيَ أَحْصَى مِنَ الْإِيمَانِ ﴿و﴾: عَطْفًا عَلَى هَذَا ﴿ان﴾: تَخْصِيصًا وَتَحْدِيدًا ﴿تَنْظُرْ﴾: تَتَأَمَّلُ وَتَدْرُسُ ﴿نَفْسٌ﴾:

(١) صحيح مسلم ٧٠٤ / ٢ (١٠١٧)، ومسنَد أبي داود الطيالسي ٥٥ / ٢ (٧٠٥).

كل نفسٍ وهي جوهر الإنسان، جاءت بصيغة نكرة لتفيد عموم الأنفس وللتعظيم؛ ﴿مَا﴾: الذي
﴿قَدَمَتْ﴾: ما عملت في الحياة الدنيا ﴿بِغَدٍ﴾: لما بعد الموت، عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنِ أَبِيهِ،
قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي التَّمَارِ أَوْ
الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا
رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِأَلَا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ حَظَبَ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا
النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء-١] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء-١] ﴿وَاتَّقُوا﴾: تجنبوا غضب ﴿اللَّهِ﴾: تأكيد من الله ﷻ مرة أخرى
﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ خَبِيرٌ﴾: يعلم علم اليقين ﴿بِعَمَّا﴾: اسم موصول
بمعنى الذي ﴿تَعْمَلُونَ﴾: بجميع أعمالكم، لا يخفى عليه شيء.

التكليف: إنَّ العالم الإسلامي يحتاج إلى تذكير بهذه الآية؛ لينظروا إلى الشعوب الإسلامية التي
دمرتها الحروب الداخلية، والتدخلات الأجنبية.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١٩)

﴿وَلَا﴾: حرف نهي وتحريم ﴿تَكُونُوا كَ﴾: للتشبيه مثل ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد هنا جميع
مَنْ ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾: مثل الذين تركوا أداء حق الله ﷻ، فلم يعملوا بأمره، ولم ينتهوا عن لنهيه
﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ، بسبب رغباتهم ﴿أَنْسَاهُمْ
أَنْفُسَهُمْ﴾: كمثل الذي لم يُقدم لنفسه ما ينفعها، لقد أنساهم العمل الصالح الذي يُنجيهم من
عذاب الله ﷻ؛ فنسوا حظهم في الآخرة؛ ألتهم أموالهم، وأولادهم ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للقريب
والبعيد، الذين جاء ذكرهم ﴿هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد
والتخصيص والتأكيد ﴿الْفَاسِقُونَ﴾: الذين خرجوا عن أصول وحدود شرع الله ﷻ.

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٢٠)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْتَوِي﴾: لا يتساوى هؤلاء ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾: أهلها والدائمون فيها ﴿و﴾:
أيضًا لا يستوي مع ﴿أَصْحَابُ﴾: أهل ﴿الْجَنَّةِ﴾: لا يتساوى هؤلاء مع هؤلاء في حكم الله ﷻ

يوم القيامة؛ في الفضل والرتبة والمنزلة؛ لأنَّ ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾: الحائزون على الفوز في الدنيا والناجون من النار يوم القيامة.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١)

﴿لَوْ﴾: حرفٌ يُفيد المستحيل ﴿أَنزَلْنَا﴾: هنا دلالةٌ على علو مكانة القرآن الكريم؛ لأن النزول لا يكون إلا من مكانٍ مرتفعٍ ﴿هَذَا﴾: اسم إشارة للمفرد؛ يقتضي الحضور، لأنه لم ينزل حينئذٍ إلا بعضه، والمعنى ما نزل منه وما ينزل من ﴿الْقُرْآنَ﴾: لو كتبنا نزول القرآن الكريم ﴿عَلَى جَبَلٍ﴾: الصخر الغليظ القاسي؛ ففهم الجبل معاني الكتاب ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿رَأَيْنَاهُ﴾: شاهدته ﴿خَاشِعًا﴾: مُتَدَلِّلاً ﴿مُتَصَدِّعًا﴾: مُتَشَقِّقًا ﴿مِّنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿خَشْيَةِ اللَّهِ﴾: من خوفه من الله ﷻ ﴿وَتِلْكَ﴾: إشارة للبعيد المؤنث ﴿الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا﴾: نذكرها ﴿لِلنَّاسِ﴾: نذكرها ونوضحها تخصيصًا للناس أمثالاً؛ حتى يعقلوا، ولقد جاء اللفظ القرآني مثل على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى الأشباه والتشبيه. انظر [البقرة-٢١٤]

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرفٌ يفيد الإشفاق من الله ﷻ ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: تلين قلوبهم، وتخشع بعد أن يتفكروا، ويتدبروا، ويخشعوا.

التكليف: هذه آيةٌ تُعظّم القرآن الكريم، وتبيّن أثره على المخلوقات الكبيرة مثل الجبال، وفيها تعريضٌ لأهل الشرك والكفر.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢)

﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، هنا هو المقصود ﷻ ﴿اللَّهُ الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ هنا للفرد، الواحد الأحد، الفرد الصمد، ﷻ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿إِلَهَ﴾: لا معبود مُطاع ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء؛ يفيد الإثبات ﴿هُوَ﴾: هنا المقصود لا ربَّ غيره، ولا معبود سواه، كلُّ ما يُعبد من دونه باطل ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾: يعلم السرَّ وما تُخفي الصدور، التي نشاهدها، أو التي تغيبُ في السماء، أو في باطن الأرض، أو البحار ﴿و﴾: أيضًا عالم ﴿الشَّهَادَةِ﴾: وعالمٌ بما يُرى ويُشاهد من جليلٍ، وحقيقٍ، وصغيرٍ، وكبيرٍ ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ﴾: الذي

وسعت رحمته كل شيء، صاحب الرحمة الواسعة الشاملة **﴿الرَّحِيمُ﴾**: الذي يرحم المؤمنين خاصة.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣)

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمفرد، والمقصود هنا الواحد الأحد **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿إِلَهَ﴾**: معبود **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿هُوَ﴾**: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكور، هنا يعود على الله **﴿سُبْحَانَ﴾**؛ لا معبود سواه **﴿الْمَلِكُ﴾**: المالك لجميع الأشياء، المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مُدافعة **﴿الْقُدُّوسُ﴾**: البليغ في النزاهة عن النقائص، وقال وهب بن منبه: الظاهر، وقال مجاهد، وقتادة: المبارك، بمعنى كثير الخيرات، وقال ابن جريج: نُقِّدَسَه الملائكة الكرام، وقيل: إنّه المنزه عن كلّ نقصٍ **﴿السَّلَامُ﴾**: ذو السلامة من كلّ عيبٍ، جاء اللفظ القرآني "السلام" على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى الله **﴿الَّذِي﴾** ليس فيه أيُّ عيبٍ، سالمٌ من كلّ النقائص والعيوب؛ لكماله في ذاته، وصفاته، وأفعاله **﴿الْمُؤْمِنُ﴾**: المُصدِّق لرسله بالمعجزات، وقال ابن عباس: الذي آمن خلقه من أن يظلمهم، وقال قتادة آمن خلقه بقوله أنه حقٌّ، وقال ابن زيد: صدق عباده المؤمنين في إيمانهم به، وقيل المصدق رسله بالمعجزات، والآيات البيّنات **﴿الْمُهَيَّمُنُ﴾**: المسيطر الرقيب على خلقه **﴿الْعَزِيزُ﴾**: القوي الذي قهر كلّ شيء بإرادته **﴿الْجَبَّارُ﴾**: القهار، لا تليق الجبرية إلا له، ولقد جاء اللفظ القرآني "الجبار" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى القهار للخلق كما في قوله **﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾** [ق-٤٥]، قال ابن جرير: الجبار هو المُصلح لجميع أمور خلقه، المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم **﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾**: البليغ الكبرياء والعظمة، لا تكبر إلا لعظمته، المتكبر عن كلّ سوءٍ **﴿سُبْحَانَ﴾**: تنزيه الله **﴿سُبْحَانَ﴾** من كلّ النواقص **﴿اللَّهُ عَمَّا﴾**: عن الذي **﴿يُشْرِكُونَ﴾**: تنزيهه لله **﴿سُبْحَانَ﴾** عن قول وشرك المشركين.

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٤)

﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعاً للغائب عن الأبصار، المفرد المذكر، هنا هو
﴿اللَّهُ الْخَالِقُ﴾: الموجد من العدم؛ من غير سابق وجود؛ فإذا أراد شيئاً قال له كن؛ فيكون
﴿الْبَارِئُ﴾: الخالق من غير سابق وجود ﴿الْمُصَوِّرُ﴾: الذي يخلق الخلق على الصفة والصورة
التي يُريدها، بلا زيادة، وبلا نقصان؛ جاء في المعنى ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار -
٨] ﴿لَهُ﴾: حرف تمليك وتخصيص ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾: الدالة على حُسن المعاني. انظر
تفسير [طه-٨] له تسع وتسعون اسماً، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَوِيَتْهُ، قَالَ: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا،
مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وَثْرٌ يُحِبُّ الْوَثْرَ»^(١)، ﴿يَسْبِخُ﴾: يُعَدِّسُ
وينزه ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: كل المخلوقات التي هي من جنس العاقل مثل الإنسان
المؤمن وأيضاً تُسَبِّحُ له كل المخلوقات من غير العاقل، مثل الجبال، والبحار، والنجوم،
والكواكب، عن النواقص ﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال ﴿هُوَ الْعَزِيزُ﴾: القوي القاهر؛ لا يُرام
جنابه ﴿الْحَكِيمُ﴾: صاحب الحق والصواب في أقواله، وأفعاله، وشرعه.
التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة نُدرِكُ قدرة الله ﷻ في إضعاف اليهود والمنافقين،
في مواجهة حبِّ وألفة المؤمنين، وهي منهجٌ كلِّ عصرٍ، نحتاج إليه في زماننا أكثر من أيِّ
وقت مضى.



عُرفت سورة الممتحنة بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير؛ ووجه التسمية أنّها
جاءت فيها آية امتحان إيمان النساء، وهي تسمى أيضاً سورة الامتحان، وسورة المودة، وهي
سورة مدنية بالاتفاق، وترتيبها (٩١) في تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة العقود (المائدة)
وقبل سورة النساء، وعدد آياتها (١٣) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

^(١) صحيح البخاري ٨/٨٧ (٦٤١٠).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (١)

سبب النزول: عن عليٍّ ؓ، قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرُ، وَالْمِقْدَادُ، فَقَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاحٍ، فَإِنَّ بِهَا طَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوا مِنْهَا قَال: فَأَنْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا حَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالطَّعِينَةِ، قُلْنَا لَهَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، قَالَتْ: مَا مَعِيَ كِتَابٌ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ، أَوْ لَتُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ أَمْرًا مُلْصَقًا فِي فُرَيْشٍ، يَقُولُ: كُنْتُ حَلِيبًا، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَنْ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ قَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنِ دِينِي، وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَيَّ مِنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة-١] (١) ﴿يَا أَيُّهَا﴾: نداء للقريب والبعيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: هنا تفرقة وتوجيه، وعتاب، وتوبيخ عامٌ للمؤمنين، وفيه يُخبر الله ﷻ أَنَّ حَاطِبًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿لَا﴾: حرف نهي وتحريم ﴿تَتَّخِذُوا﴾: تعتمدوا ﴿عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾: هم المشركون والكفار ﴿أَوْلِيَاءَ﴾: أحببًا، ومؤيدين ﴿تُلْقُونَ﴾: تُسِرُّونَ؛ تُقْضُونَ ﴿إِلَيْهِمْ بِ﴾: حرف باء السبب ﴿الْمَوَدَّةِ﴾: بالأسرار والمحبة ﴿وَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿كَفَرُوا بِمَا﴾: بالذي ﴿جَاءَكُمْ مِنَ﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية ﴿الْحَقِّ﴾: وقد تيقنتم من كفرهم

(١) صحيح البخاري ١٤٥/٥ (٤٢٧٤).

بالرسول ﷺ والرسالة وهو حق، ومن أعمالهم **﴿يُخْرِجُونَ﴾**: يطردون **﴿الرَّسُولَ وَ﴾**: أيضاً يطردوكم **﴿يَأْتِكُمْ﴾**: وقد أخرجوا الرسول ﷺ وأخرجوكم من مكة **﴿أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل؛ أتكم بسبب إيمانكم **﴿تُؤْمِنُوا بِ﴾**: حرف باء الصلة **﴿اللَّهُ رَبِّكُمْ﴾**: هو ﷺ المعبود، والمُربي، وهو المنشئ للكون من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام وهو تعالى الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمحيط، والمدبّر، والجابز لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد؛ فهو مالك أمركم؛ آمنتم به ربّاً **﴿إِنْ﴾**: حرف شرط **﴿كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا﴾**: قتالاً **﴿فِي سَبِيلِي﴾**: لرفع شأن الدين **﴿وَابْتِغَاءً﴾**: أيضاً رغبةً **﴿مَرْضَاتِي﴾**: أطعتم أمري؛ فخرجتم للجهاد في سبيل الله ﷺ وإرضاءً لله ﷻ **﴿شِرُونَ﴾**: تُخبروهم بالأسرار **﴿إِلَيْهِمْ بِ﴾**: حرف باء الصلة والمصاحبة **﴿الْمُودَّةِ﴾**: جاء اللفظ القرآني "المودة" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى النصيحة؛ لتكسبوا ودّهم ونصرتهم لكم **﴿وَأَنَا﴾**: هو الله ﷻ **﴿أَعْلَمُ﴾**: صاحبُ العلم المُطلق **﴿بِمَا﴾**: اسم موصول بمعنى الذي **﴿أَخْفَيْتُمْ﴾**: خبأتم وكنتم **﴿وَمَا﴾**: الذي **﴿أَعْلَنْتُمْ﴾**: قلتُم في العلن؛ لماذا فعلتم هذا وأنا أعلم بالسرائر والضمائر، والظاهر **﴿وَمَنْ﴾**: الذي من البشر **﴿يَفْعَلُهُ مِنْكُمْ﴾**: بعضكم **﴿فَقَدْ﴾**: تحقق ووقع **﴿ضَلَّ﴾**: تاه وابتعد عن **﴿سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾**: جاء اللفظ القرآني "سواء" على ستة أوجه؛ هنا بمعنى أخطأ طريق الهدى، كما في قوله ﷻ **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾** [المائدة-٧٧]، وفي قوله ﷻ **﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾** [القصص-٢٢]. انظر [البقرة-٦].

﴿إِنْ يَتَّقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَنْبَسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾
(٢)

﴿إِنْ﴾: حرف شرط **﴿يَتَّقُواكُمْ﴾**: إذا ظفروا بكم، أمسكوا بكم، وانتصروا عليكم **﴿يَكُونُوا لَكُمْ﴾**: تحديداً وتخصيصاً **﴿أَعْدَاءً﴾**: سيعاملونكم معاملة الأعداء **﴿وَ﴾**: أيضاً **﴿يَنْبَسُطُوا﴾**: يمدوا، ويوسعوا **﴿إِلَيْكُمْ﴾**: عليكم **﴿أَيْدِيَهُمْ﴾**: يؤذونكم بالضرب، والفعل المؤذي **﴿وَأَلْسِنَتَهُمْ بِ﴾**: حرف باء السببية **﴿السُّوءِ﴾**: بالسبِّ، والشتم والافتراء **﴿وَ﴾**: حرف عطفٍ يُفيد الحال **﴿وَدُّوا﴾**: رغبوا

وأرادوا ﴿لَوْ﴾: حرف يفيد الاستحالة ﴿تَكْفُرُونَ﴾: يحرسون على كفركم؛ ولذلك لا تكونوا مثلهم؛ فلا تتالوا خيراً من ثمن الهزيمة، بل فتنة كبيرة في الدين.

﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٣)

﴿لَنْ﴾: حرف نفي ﴿تَنْفَعَكُمْ﴾: تفيدكم أو تشفع لكم ﴿أَرْحَامُكُمْ﴾: قرابتكم لهم ﴿وَلَا﴾: حرف نفي، أيضاً لا ينفعم ﴿أَوْلَادُكُمْ﴾: وخصّ هنا الله ﷻ الأولاد بالذكر مع دخولهم في الأرحام؛ لمزيد من المحبة لهم والعطف عليهم، لن ينفعم أولادكم الكفار إذا تحالفت مع الكفار من أجلهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ﴾: سيفرق الله ﷻ ﴿بَيْنَكُمْ﴾: فيدخل الجنة أهل الجنة، ويدخل النار أهل النار ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال؛ واعلموا أنّ ﴿اللَّهُ بِمَا﴾: بالذي ﴿تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: يراكم، ويعرف ما في نفوسكم؛ فاحذروه.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٤)

﴿قَدْ﴾: حرف جرّ أفاد التأكيد؛ لأنه دخل هنا على الفعل الماضي ﴿كَانَتْ﴾: في الماضي ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً أيها المؤمنون ﴿أُسْوَةٌ﴾: كان لكم قدوة ومثلاً ﴿حَسَنَةٌ﴾: طيبة ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد هنا جميع من ﴿مَعَهُ﴾: وهم أتباعه من المؤمنين ﷺ ﴿إِذْ﴾: يفيد ما مضى ﴿قَالُوا ل﴾: حرف تخصيص ﴿قَوْمِهِمْ﴾: الكافرين بالله ﷻ، من أصحاب عقيدتهم، ﴿إِنَّا بُرَاءُ﴾: أصل البرء والتبرؤ؛ أي التحصن مما يكره مجاورته ﴿مِنْكُمْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية، أبرياء منكم، تقطعت بيننا القرابة ﴿و﴾: أيضاً نحن بريؤون ﴿مِمَّا﴾: من المخلوقات غير العاقلة التي ﴿تَعْبُدُونَ﴾: تطيعون ﴿مِنْ دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهِ﴾: ومن كل ما تعبدون غير الله ﷻ مثل الأصنام ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾: أنكرنا ما أنتم عليه ﴿وَبَدَا﴾: عطفًا على ما سبق ظهر جلياً وشرّعت ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ﴾: العداوة الواضح ﴿وَالْبَغْضَاءُ﴾: أيضاً الكره ﴿أَبَدًا﴾: بلا انقطاع ما دمت على كفركم ﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يفيد انتهاء الغاية الشرطية ﴿تُؤْمِنُوا﴾

ب: حرف باء الصلة **﴿اللَّهُ وَحْدَهُ﴾**: أن تتركوا ما تعبدون، وتوحدون الله ﷻ، وتعبدوه بلا شريك **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء هنا من العداوة والبغضاء **﴿قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ ل﴾**: حرف تخصيص **﴿أَبِيهِ﴾**: ولكم في قول إبراهيم أسوة حسنة **﴿ل﴾**: حرف تأكيد **﴿أَسْتَغْفِرَنَّ﴾**: حرف علّة وسبب **﴿لَكَ﴾**: تخصيصًا بالتأكيد أطلب المغفرة لك؛ فكان هذا وعدًا من الله ﷻ **﴿وَمَا﴾**: حرف نفي **﴿أَمَلِكُ لَكَ﴾**: تخصيصًا **﴿مَنْ﴾**: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الكائنة **﴿اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾**: لا أقدر أن أدفع عنك من عذابِ الله ﷻ شيئاً **﴿رَبَّنَا﴾**: مالك أمرنا كلّ **﴿عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾**: اعتمدنا عليك وحدك **﴿وَإِلَيْكَ أُنَبِّئُ﴾**: رجعنا بالتوبة والطاعة، ونرجع إليك في كلّ أمرٍ **﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾**: أقررنا أنّ مصيرنا في كلّ أمورنا، في الحياة الدنيا والآخرة، بيدك وحدك، لا شريك لك، ولقد كان هذا دعاء إبراهيم عليه السلام لأبيه.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفُ رَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٥)

﴿رَبَّنَا﴾: يا مالك أمرنا كلّه يا مالك أمرنا كلّه؛ دعاء إلى الله ﷻ **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿تَجْعَلْنَا﴾**: تُصَيِّرُنَا **﴿فِتْنَةً﴾**: مُبْتَلِينَ، مُخْتَبِرِينَ **﴿لِلَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصول يفيد هنا جميع مَنْ **﴿كَفَرُوا﴾**: أن يظهر علينا الكُفَّار، قال مجاهد: لا تعذبنا بأيديهم، ولا بعذابٍ من عندك، وقال قتادة: لا تُظهِرْهُمْ علينا، وقال ابن عباس: لا تُسَلِّطْهُمْ علينا فيفتنونا **﴿وَاعْفُرْ﴾**: أيضًا سامح **﴿لَنَا﴾**: تخصيصًا **﴿رَبَّنَا﴾**: استر ذنوبنا عن غيرك، واعف عَنَّا فيما بيننا وبينك **﴿إِنَّكَ﴾**: أنت بالتأكيد **﴿أَنْتَ﴾**: وحدك **﴿الْعَزِيزُ﴾**: الذي لا يقهره ولا يغالبه شيءٌ، الذي لا يُضَام **﴿الْحَكِيمُ﴾**: في الأقوال، والأفعال.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ

الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ﴾ (٦)

﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث، أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل **﴿كَانَ﴾**: فيما سبق **﴿لَكُمْ﴾**: تخصيصًا **﴿أُسْوَةٌ﴾**: قدوة **﴿حَسَنَةٌ﴾**: التي تُرضي الله ﷻ. انظر تفسير [المتحنة-٤] الهدف هنا المبالغة في التحريض على الحكم والتأكيد على المتأسي بإبراهيم عليه السلام **﴿ل﴾**: حرف تمليك **﴿مَنْ﴾**: للذي من جنس العاقل **﴿كَانَ﴾**: في استمرار **﴿يَرْجُو﴾**:

يسأل الخير من ﴿اللَّهُ وَ﴾: أيضًا يؤمن ويعمل لـ ﴿الْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: يحضُّ الله ﷻ على الإيمان به وبيوم القيامة ﴿وَمَنْ﴾: الذي من البشر ﴿يَتَوَلَّ﴾: من يفارق ويبتعد عن أمر الله ﷻ ﴿فَإِنَّ﴾: لهذا السبب بالتأكيد ﴿اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾: ﷻ الذي لا يحتاج إلى شيء منكم، وقال ابن عباس: الذي كمل في غناه، ليس كمثل شيء ﴿الْحَمِيدُ﴾: المحمود في ذاته، وصفاته، وأفعاله.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
(٧)

﴿عَسَى﴾: فعلٌ ماضٍ جامد يفيد هنا للترجي في الأمر المحبوب، وهي تدلُّ على التحقق والوجوب ﴿اللَّهُ﴾: لعلَّ الله ﷻ؛ الطمع في كرمه ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ﴾: أيها المؤمنون ﴿وَبَيْنَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿عَادَيْتُمْ﴾: اتخذتموهم أعداءً ﴿مِنْهُمْ﴾: حرفٌ يُفيدُ بداية الغاية الزمانية والمكانية ﴿مَوَدَّةً﴾: محبةً بعد بغضاء، وقيل النصيحة. انظر [الممتحنة-١] هنا تحريم المودة مع الكافرين، وإذا حدثت المودة مع القريب الكافر فهذه من النفاق ﴿وَ﴾: عطفاً على ما سبق؛ اعلّموا أنّ ﴿اللَّهُ قَدِيرٌ﴾: إن شاء جمع بين القلوب المتنافرة، والمتباعدة، والمختلفة؛ فيؤلّف بينها ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾: مسامحٌ لمن تاب من الكافرين ﴿رَحِيمٌ﴾: صاحب الرحمة الواسعة لمن تاب من خلقه ﷻ.

﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَنْهَاكُمْ اللَّهُ﴾: لا يُحرّم الله ﷻ عليكم ﴿عَنِ﴾: حرف جرٍ يُفيدُ المجاوزة ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يُقَاتِلُوكُمْ﴾: الكفار الذين لم يقاتلوا المسلمين ﴿فِي الدِّينِ﴾: مثل النساء، والأطفال، والضعفاء منهم ﴿وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ﴾: يُبعدوكم ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيدُ بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية وهي الإخراج ﴿دِيَارِكُمْ﴾: مساكنكم وممتلكاتكم ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَبَرُّوهُمْ﴾: جاء اللفظ القرآني "البر" على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى الصلة في القربى؛ تكرموهم، وتحسنوا إليهم ﴿وَتُقْسِطُوا﴾: أيضًا تعدلوا فيهم ﴿إِلَيْهِمْ﴾: تحديداً ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾:

الذين يعدلون بين الناس، قال الرسول ﷺ: إِنَّ الْمُفْسِدِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَلَّمْنَا يَدَيْهِ يَمِينًا، الَّذِينَ يَغْدُلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا^(١).

﴿إِنَّمَا يَنْهَأُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٩)

﴿إِنَّمَا﴾: حرف يفيد التحديد والتأكيد **﴿يَنْهَأُكُمُ اللَّهُ﴾**: إن الله ﷻ يمنعكم، ويحرم عليكم، **﴿عَنِ﴾**: حرف جر يفيد المجاوزة **﴿الَّذِينَ﴾**: اسم موصول يفيد هنا جميع من **﴿قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾**: الذين ناصبوكم العدا بـسبب إسلامكم **﴿و﴾**: حرف عطف يفيد الحال **﴿أَخْرَجُوكُمْ مِنْ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية المكانية **﴿دِيَارِكُمْ﴾**: مثل اليهود الذين احتلوا فلسطين، وأخرجوا أهلها منها عام ١٩٤٨م **﴿وظَاهَرُوا﴾**: والذين عاونوا الذين قاتلوكم وأخرجوكم وساعدوا **﴿عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ﴾**: مثل ما حدث في العصر الحديث، من خيانات بعض العرب، وتآمر الغرب الأوربي، وبخاصة البريطاني والأمريكي **﴿أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿تَوَلَّوهُمْ﴾**: ينهاكم الله ﷻ؛ عن حبهم، ونصرتهم، وتأييدهم **﴿وَمَنْ﴾**: والذي من جنس العاقل **﴿يَتَوَلَّهُمْ﴾**: يُحِبُّهُمْ وَيُؤَيِّدُهُمْ **﴿ف﴾**: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ **﴿أُولَٰئِكَ﴾**: اسم إشارة للقريب والبعيد **﴿هُمْ﴾**: ضمير منفصل مرفوع للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد **﴿الظَّالِمُونَ﴾**: وهم في حكم واضح؛ أنهم مثل أعدائكم، وجاء في المعنى نفسه: **﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾** [المائدة-٥١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ أَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا دَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١٠)

سبب النزول: جاء في سورة الفتح في صلح الحديبية: على لسان الكفار: ألا يأتيك يا محمد أحدٌ منا وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، هذه الآية الكريمة نسخت هذه الحالة السابقة؛ فماذا

(١) صحيح مسلم ١٤٥٨/٣ (١٨٢٧).

يفعل المؤمنون؟^(١) **﴿يَا أَيُّهَا﴾**: حرف نداء للقريب والبعيد **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ **﴿آمَنُوا إِذَا﴾**: أداة ربطٍ ما بعدها بما قبلها **﴿جَاءَكُمْ﴾**: وصل إليكم **﴿الْمُؤْمِنَاتُ مَهَاجِرَاتٍ﴾**: تركن دار الكفر، إلى دار الإيمان **﴿ف﴾**: حرفٌ استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ، بسبب رغباتهم **﴿امْتَحِنُوهُنَّ﴾**: اختبروهن بالطلب منهن أن يحلفن **﴿اللَّهُ أَعْلَمُ﴾**: صاحب العلم الكامل الحقيقي **﴿بِإِيمَانِهِنَّ﴾**: إن كنَّ مؤمنات حقًا **﴿فَإِنَّ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾**: تأكدتم أنهن **﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾**: حقًا **﴿فَلَا﴾**: حرف تخصيصٍ ونهي يفيد طلب عدم الفعل **﴿تَرْجِعُوهُنَّ﴾**: لا تردوهن بالتأكيد **﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾**: أقيموهن بينكم؛ والسبب هو **﴿لَا﴾**: حرف تحريم **﴿هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ﴾**: لأنَّ النساء المسلمات مُحَرَّماتٌ على الرجال الكفار **﴿و﴾**: أيضًا **﴿لَا﴾**: حرف نفي لتأكيد التحريم **﴿هُنَّ﴾**: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، رجال الكفار **﴿يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾**: والرجال الكفار لا يحلُّون للنساء المؤمنات **﴿وَأَتَوْهُنَّ﴾**: عطفاً على هذا ادفعوا إلى الرجال المشركين الذين هاجرت زوجاتهم اللاتي أسلمن **﴿مَا﴾**: الذي **﴿أَنْفَقُوا﴾**: أموالهم التي دفعوها مهوراً **﴿وَلَا﴾**: حرف نهيٍ وتحريمٍ **﴿جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾**: لا إثم أو ذنب **﴿أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿تَنْكِحُوهُنَّ﴾**: تتزوجوهن **﴿إِذَا﴾**: أداة ربطٍ ما بعدها بما قبلها **﴿آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾**: دفعتم لهن المهور **﴿وَلَا﴾**: حرف تحريمٍ **﴿تُمْسِكُوا بِ﴾**: حرف باء المصاحبة **﴿عِصْمِ الْكُوفَرِ﴾**: بعقود زواج زوجاتكم الكافرات **﴿وَأَسْأَلُوا مَا﴾**: اطلبوا المال الذي **﴿أَنْفَقْتُمْ﴾**: اطلبوا ما دفعتموه لهن؛ إذا ذهبن للكفار **﴿وَلَيْسَ أَلْوَا مَا﴾**: المال الذي **﴿أَنْفَقُوا﴾**: من حق الكافرين، الذين ذهبت زوجاتهم إلى معسكر الإيمان أن يأخذوا ما أنفقوا **﴿ذَلِكَ﴾**: ما جاء ذكره **﴿حُكْمُ اللَّهِ﴾**: هذا شرع الله ﷻ **﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾**: يُشَرِّع ما تتحاكمون به **﴿و﴾**: عطفاً على ما سبق؛ اعملوا أن **﴿اللَّهُ عَلِيمٌ﴾**: بما يُصلح عباده **﴿حَكِيمٌ﴾**: يقول ويفعل الصواب في كلِّ حكم.

التكليف: هذه دعوةٌ تفكر في عدل الله ﷻ حتى مع الكافرين، بحيث لا يخسروا أموالهم.

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (١١)

(١) انظر: صحيح البخاري ١٨٨/٣ (٢٧١١).

قال مجاهد، وقتادة: هذه الآية نزلت في الكفار الذين لهم عهد **﴿وَإِنْ﴾**: حرف شرط **﴿فَأَتَكُمْ﴾**: ضاعت عليكم من أموالكم **﴿شَيْءٍ مِنْ﴾**: حرف يُفيدُ بداية الغاية الزمانية والمكانية **﴿أَزْوَاجِكُمْ﴾**: خرجت بعض زوجاتكم **﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾**: إذا فرّت إليهم امرأة مسلمٍ، ولم يدفعوا إلى زوجها شيئاً، وهذا معنى لم تأخذوا مقابل زوجاتكم الكافرات اللاتي ذهبن إلى معسكر الكفار، قال ابن عباس ومجاهد: إذا لحقت امرأة رجلٍ من المهاجرين بالكفار؛ أمر له رسولُ الله ﷺ أن يُعطي مثل ما أنفق **﴿فَ﴾**: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ **﴿عَاقِبْتُمْ﴾**: أصبتم غنيمةً من قريشٍ أو غيرهم **﴿فَأَتُوا﴾**: أعطوا وادفعوا إلى **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا مَنْ **﴿ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ﴾**: فأعطوا ما لا مكافئاً **﴿مَا﴾**: الذي **﴿أَنْفَقُوا﴾**: مهر مثلهما، والحلُّ الأول: مهرٌ مقابل مهرٍ بين المؤمنين والكافرين، والحلُّ الثاني: تعويضُ للمؤمن الذي ذهب زوجته من الغنائم **﴿وَ﴾**: وعطفًا على ما سبق **﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾**: خافوا الله ﷻ وأعملوا بما أمركم به ﷻ **﴿الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾**.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِفْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٢)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرف نداء من الله ﷻ إلى **﴿النَّبِيِّ﴾**: محمد ﷺ وهو نداء للقريب والبعيد **﴿إِذَا﴾**: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها **﴿جَاءَكَ﴾**: وصل إليك من النساء اللاتي تركن جماعة الكفر، وذهبن إلى معسكر المسلمين **﴿الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾**: يعاهدنك، كان إذا جاءت امرأة تُبايع الرسول ﷺ لم يضع يده في يدها، وقال لهن قولوا قد بايعناك، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُبَايِعُ النِّسَاءَ بِالْكَلامِ بِهَذِهِ الْآيَةِ: **﴿لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾** [الممتحنة-١٢]، قَالَتْ: وَمَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ إِلَّا امْرَأَةٌ يَمْلِكُهَا^(١) أي قاصدات لمبايعتك على الإسلام، **﴿عَلَى أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يُشْرِكْنَ بِ﴾**: حرف باء الصلة **﴿اللَّهِ شَيْئًا﴾**: كان هذا يوم فتح مكة المكرمة، فقد

(١) صحيح البخاري ٨٠/٩ (٧٢١٤).

جاء يوم فتح مكة نساء أهل مكة رسول الله يبايعنه؛ فأخذ عليهن بعد توحيد الله ﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْرِقَنَّ﴾: بعد سلامة النفس توحيد الله ﷺ تأتي سلامة اليد؛ بتحريم السرقة من الأجنب أو غيرهم ﴿وَلَا﴾: حرف نهي وتحريم ﴿يَزْنِينَ﴾: ولا معاشره الرجال بالحرام ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾: هنا تحريم قتل المولود بعد ولادتها إياه؛ من الفقر ﴿وَلَا﴾: حرف نهي ﴿يَأْتِينَ﴾: يفعلن ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿بُهْتَانٍ﴾: بكذبٍ وافتراءٍ، وهو إصاق اللقطاء للأزواج ﴿يَفْتَرِيَنَّهُ﴾: يختلقنه كذبًا وافتراءً ﴿بَيْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾: والحديث هنا عن اللقيط؛ ولا يلحقن بأزواجهن أولادًا ليسوا منهم، وفي هذا قال ابن عباس: أي ينسبوا أولادًا من غير أزواجهن ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾: يطعنك فيما تأمرهنَّ من حُسن العمل، واجتتاب المنكرات، وقيل النياحة، وضرب الخدود، وشق الحيوب، والدعوى بالجاهلية ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿بِأَيْغُهُنَّ﴾: على الدخول في الإسلام ﴿و﴾: وعطفًا على ما سبق ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ﴾: اطلب من الله ﷻ أن يمحو ذنوبهن السابقة ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ غَفُورٌ﴾: واسع العفو والمسامحة ﴿رَحِيمٌ﴾: عظيم الرحمة والعطف والشفقة على عباده الصالحين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ (١٣)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: أمرٌ نداءٍ من الله ﷻ للقریب والبعید إلى ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿آمَنُوا لَا﴾: حرف نهي وتحريم ﴿تَتَوَلَّوْا﴾: لا تحبوا، ولا تنصروا، ولا تؤيدوا ﴿قَوْمًا﴾: جماعةٌ كبيرةٌ من البشر من أصلٍ واحدٍ، أو أصحاب دينٍ واحدٍ وهنا المقصود هم اليهود، أو الكفار عامة ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: هم اليهود، والنصارى، وسائر الكفار ﴿قَدْ﴾: حرف جرّ أفاد التأكيد؛ لأنه دخل هنا على الفعل الماضي ﴿يَئِسُوا﴾: فقدوا الأمل في دخول الجنة ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية والغاية المكانية ﴿الْآخِرَةِ﴾: الجنة، لا أمل لهم في ثواب الآخرة في حكم الله ﷻ ﴿كَمَا﴾: مثلما ﴿يَئِسَ﴾: فقدوا الأمل ﴿الْكُفَّارُ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية هم ﴿أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾: فيها قولان: الأول: يأس الكافر

الحَيِّ من لقاء الكافر الميت، من أقاربهم؛ لإنكارهم البعث والنشور، والثاني: قال مجاهد، وعكرمة: كما يئس الكفار الذين هم في القبور من كلِّ خيرٍ، والله ﷻ أعلم.



اشتهرت سورة الصَّف بهذا الاسم في عصر الصحابة، رضي الله عنهم، ووجه التسمية؛ وقوع لفظ صَفًّا في السورة، وتُسمى أيضًا سورة الحواريين، وأيضًا تسمى سورة عيسى، وهي سورة مدنية، عند الجمهور، وترتيبها (١٠٩) في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة التغابن، وقبل سورة الفتح، وكان نزولها بعد معركة أحد وعدد آياتها (١٤) آية باتفاق أهل العدد.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١)

سبب النزول: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: قَعَدْنَا نَقَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَذَاكُرْنَا، فَقُلْنَا: لَوْ نَعْلَمُ أَيَّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ لَعَمَلْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١) ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾: يئزه الله ﷻ عما لا يليق بجلاله، تنزيهاً عن النواقص ﴿مَا﴾: الذي من جنس غير العاقل ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها من النجوم والكواكب والملائكة ﴿و﴾: أيضًا سبَّح لله ﷻ ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾: وكلِّ شيءٍ على وجه الأرض ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الذي لا يغلبه ولا يغالبه أحد، الذي لا يحتاج إلى شيء من أحدٍ ﴿الْحَكِيمُ﴾: صاحب وفاعل الصواب في أقواله وأفعاله، ﷻ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: هم الذين سألوها ما هي أحب الأعمال إلى الله ﷻ؛ ليعملوا بها ﴿لِمَ﴾: لماذا، هذا السؤال للتقرير والتوبيخ على جهة الإنكار ﴿تَقُولُونَ مَا﴾: الذي من الخير ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَفْعَلُونَ﴾: الذين قالوا فعلنا وهم لم يفعلوا، مثل الذين تمنوا الجهاد، فلما فرض الجهاد؛ نكَلَّ بعضهم عنه، قال

(١) انظر: سنن الترمذي ٤١٢/٥ (٣٣٠٩).

قتادة، والضحاك: نزلت توبيخاً لقومٍ قالوا: قتلنا، ضربنا، طعننا، وفعلنا، ولم يكونوا فعلوا ذلك، وقال ابن زيد: نزلت في المنافقين الذين وعدوا المسلمين بالعون، ولم ينفذوا، وقال مجاهد: نزلت في نفرٍ من الأنصار فيهم عبد الله بن رواحة الذي حبس نفسه للجهاد؛ ففضى شهيداً.

التكليف: ليس المقصود هنا نفي القول أو الفعل، بل المراد توبيخهم على قولهم ما لا يفعلون.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٣)

﴿كَبُرَ﴾: عَظُمَ ﴿مَقْتًا﴾: بُغْضًا من الله ﷻ على المغضوب عليه ﴿عِنْدَ﴾: ظرف زمان وظرف مكان ﴿اللَّهُ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَقُولُوا مَا﴾: الذي تقولون بألسنتكم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَفْعَلُونَ﴾: ما قيل من بعضهم في الآية السابقة، أن يكون صادقاً فيما فعل وما قال.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ (٤)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ يُحِبُّ﴾: يُخْبِرُ ﷻ عن أصناف من يُحِبُّهم من البشر من المؤمنين ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا كلَّ مَنْ ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾: يجاهدون في سبيل الله ﴿صَفًا﴾: جاء اللفظ القرآني "الصف" على وجهين؛ هنا بمعنى صفًا واحدًا؛ أي كتلةً واحدةً، وجاء بمعنى الجميع في قوله ﷻ ﴿وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف-٤٨] ﴿كَانَتْهُمْ﴾: حرف الكاف يفيد التشبيه والتقريب ﴿بُنْيَانٌ﴾: كثبوت البناء بالتراص كتراص البنيان ﴿مَرْصُوصٌ﴾: محكم التلاصق، لا فراغ فيه، ولا ينفذ منه عدو، ولذلك أحبَّ الصحابةُ القتال على الأرض عن القتال فوق الجبل.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَأْتُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٥)

﴿وَإِذْ﴾: حرفٌ يفيدُ ما مضى من الزمن، واذكر لقومك أيها الرسول حين ﴿قَالَ مُوسَى ل﴾: حرف تخصيص ﴿قَوْمِهِ﴾: هم الذين من أصلٍ واحدٍ معه، مُسْتَعْرَبًا مُسْتَكْرَمًا ﴿يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿قَوْمٍ﴾: جاء النداء هنا بالقوم تنبيهاً؛ على قُبْح ما فعلوه؛ لأنَّ قوم الإنسان هم من حزبه وأشياعه؛ فواجبٌ عليهم أن ينصروه ﴿لِمَ﴾: حرف استفهام ﴿تَأْتُونَنِي﴾: تُسَبِّون لي

الأذى بالقول والفعل، بمخالفة أمري تكذيبًا وتقريرًا، وعصيانًا، وحديثًا ﴿وَقَدْ﴾: حرفٌ يفيد التحقق بالعلم والتأكيد؛ لا للتقريب أو التقليل ﴿تَعْلَمُونَ﴾: متأكدون؛ جات بصيغة الفعل المضارع للدلالة على الاستمرار ﴿أَنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾: كيف تؤذونني مع علمكم بأني رسول الله ﷺ، وأنتم تعلمون صدق رسالتي إليكم ﴿فَلَمَّا﴾: حرفٌ يُفيدُ التتابع والسبب ﴿زَاغُوا﴾: مالوا، وعدلوا، وانحرفوا عن الحق؛ مع علمهم به ﴿أَزَاعَ﴾: باعد ﴿اللَّهُ﴾ ﷻ ﴿قُلُوبَهُمْ﴾: بين قلوبهم عن الهدى، وجعل فيها الشكَّ والحيرة ﴿و﴾: عطفًا على هذا؛ اعلموا أن ﴿اللَّهُ لَا﴾: حرف نفي ﴿يَهْدِي﴾: الله ﷻ لا يُسهل هداية ﴿الْقَوْمِ﴾: الذين هم على منهجٍ واحدٍ ﴿الْفَاسِقِينَ﴾: الذين خرجوا عن ملتته، وشريعته، وجاوزوا الحدود.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾
(٦)

﴿وَإِذْ﴾: واذكر يا محمد لقومك فيما مضى من الزمن ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾: يؤكد الحق ﷻ أنه لا أب لعيسى بن مريم ﷺ؛ بنسبه لأمته ﴿يَا﴾: حرفٌ نداءٍ للقريب والبعيد ﴿بَنِي﴾: أبناء ﴿إِسْرَائِيلَ﴾: هم اليهود أبناء يعقوب ﷻ ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾: بعثني الله ﷻ برسالته إليكم ﴿مُصَدِّقًا﴾: مؤكدًا بالحق ﴿لِمَا﴾: حدث في الماضي ﴿بَيْنَ يَدَيَّ﴾: مؤكدًا على ما جاء من قبلي ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيدُ بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿التَّوْرَةِ﴾: فقد أخبرتكم ما بلغني ربِّي ﴿وَمُبَشِّرًا بِ﴾: حرف باء الالتصاق ﴿رَسُولٍ يَأْتِي مِنْ﴾: حرفٌ يُفيدُ بداية الغاية الزمانية ﴿بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾: جاء الاسم "أحمد" للمدح والبشارة به؛ وهذا الاسم خاص؛ لم يُسم به أحدٌ قبله بخلاف اسم محمد، وإنما يُحمد جزاءً عن حمده؛ هو رسولٌ أمِّي، عربيٌّ، مكِّيٌّ، وهو محمد ﷺ، قال ﷺ: لِي حَمْسَةٌ أَسْمَاءُ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاجِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ^(١)، وعن أبي أمامة قال: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا كَانَ أَوَّلُ بَدْءِ أَمْرِكَ؟ قَالَ: دَعَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبُشِّرِي

(١) صحيح البخاري ١١٨٥/٤ (٣٥٣٢).

عَيْسَى، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ^(١)، ﴿فَلَمَّا﴾: حرف يفيد التتابع والسبب ﴿جَاءَهُمْ ب﴾: حرف باء الالتصاق ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾: لما جاءهم محمد ﷺ، وهو أحمد المبشر في الكتب القديمة بالبيّنات، والآيات ﴿قَالُوا﴾: الكافرون لمحمد ﷺ ﴿هَذَا﴾: الذي جنّت به في ذاتك وتقول إنّه الدليل والبراهين؛ وهو ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: سحرٌ واضحٌ.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٧)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال ﴿مَنْ﴾: حرف استقهام عن العاقل؛ بغرض النفي ﴿أَظْلَمُ﴾: لا أحد أظلم؛ أكثر ظلماً ﴿مِمَّنِ﴾: من الذي من جنس العاقل ﴿افْتَرَى﴾: اختلق ﴿عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ﴾: الذي يقول إنّ لله ﷻ أنداداً أو شركاء ﴿وَهُوَ﴾: المفترى الكذاب ﴿يُدْعَى﴾: يدعونه ﴿إِلَى الْإِسْلَامِ﴾: لاعتناق الدين الحق الواضح ﴿وَاللَّهُ لَا﴾: حرف نفي ﴿يَهْدِي﴾: يدلُّ ويرشد ويوفق ﴿الْقَوْمَ﴾: الجماعة، أصحاب مذهبٍ واحدٍ؛ وهم ﴿الظَّالِمِينَ﴾: بالكفر لا يُسهّل الله ﷻ لهؤلاء المجرمين طريق الهداية والرشاد.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨)

﴿يُرِيدُونَ﴾: يرغبون، وهم الكفار ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿يُطْفِئُوا﴾: يُخمدوا ويزيلوا ﴿نُورَ اللَّهِ﴾: الحق الذي جاء به محمد ﷺ من ربّه ﷻ ﴿ب﴾: حرف باء الالتصاق ﴿أَفْوَاهِهِمْ﴾: بما يقولون، وقيل كمن يريد أن يُطفئ نور الشمس بالنفخ عليها من فمه، وهذا مستحيلٌ في كلّ الأحوال ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال، عطفاً على هذا الموقف من الكافرين فإنّ ﴿اللَّهُ مُتِمُّ﴾: سيظهر ويكمل ﴿نُورِهِ﴾: دينه الحقّ، بالتمام والكمال، على الكون وعلى الخلق ﴿وَلَوْ﴾: حرف يفيد الاستقهام والنفي ﴿كَرِهَ﴾: لم يرغب أو يحب ﴿الْكَافِرُونَ﴾: المكذبون؛ كلُّ من كفر وغطى حقيقة الإيمان.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٩)

(١) مسند أحمد ٥٩٥/٣٦ (٢٢٢٦١)، قال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، هنا هو الله ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ؛ هنا هو الواحد، الأحد، الفرد، الصمد ﷻ ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾: محمداً ﷺ ﴿ب﴾: حرف تملك وتخصيص ﴿الْهُدَى﴾: جاء اللفظ القرآني الهدى على سبعة عشر وجهًا؛ هنا بمعنى التوحيد، ﴿و﴾: أيضًا أرسل ﴿دِينِ الْحَقِّ﴾: وهو دين الإسلام، الذي يدلُّ النَّاسَ على الطريق القويم ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿يُظْهِرُهُ﴾: لئُعلِّيه ويرفعه ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: فوق كلِّ الأديان السابقة، ﴿وَلَوْ﴾: حرف يفيد الاستحالة ﴿كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾: ما لا يُحبّه اليهود والنصارى، والذين جعلوا مع الله آلهةً أخرى.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (١٠)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرفُ نداءٍ للقريب والبعيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: نداء من الله ﷻ للمؤمنين ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام؛ بغرض التشويق؛ وهو إيجابٌ وإخبارٌ في المعنى، وذكره بلفظه تشريفًا لكونه أوقع في النفوس ﴿أَدُلُّكُمْ﴾: أهديكم وأرشدكم ﴿عَلَى تِجَارَةٍ﴾: المقصود العمل المذكور التجارة الرباحية، لها سوقها الرباح، تحقّق غايتها، وتزيلُ محاذيرها التي تُفسّلها في الدنيا ﴿تُنْجِيكُمْ﴾: تُنقذكم ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿عَذَابِ أَلِيمٍ﴾: يحميكم من عذاب الآخرة.

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١١)

﴿تُؤْمِنُونَ بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿اللَّهِ﴾: حق التصديق والتسليم ﴿و﴾: أيضًا تؤمنون وتصدقون ﴿رَسُولِهِ﴾: تصدقونه عليه الصلاة والسلام؛ وتتبعون سنته ﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِ﴾: حرف تملك وتخصيص ﴿أَمْوَالِكُمْ﴾: تسليحًا، ودعمًا للمجاهدين ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾: تقضون شهداء في سبيل الله ﷻ ﴿ذَلِكُمْ﴾: الإيمان بالله ﷻ، والجهاد بالمال، والنفوس ﴿خَيْرٌ﴾: فوائد ومنافع ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا في الدار الآخرة، جنةً، وفي الدنيا نصرًا وتمكينًا ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: فلتعلموا ذلك، وإن علمتم قبل الجهاد يقينًا، يوم القيامة يقينًا.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٢)

﴿يَغْفِرْ﴾: يمحو ﴿لَكُمْ﴾: يرفع عنكم تخصيصًا ﴿ذُنُوبَكُمْ﴾: يسامح الله ﷻ الزلات ﴿وَيُدْخِلْكُمْ﴾: يُسكنكم ﴿جَنَّاتٍ﴾: المساكن الطيبة التي ﴿تَجْرِي﴾: فيها المياه غير راكدة ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: من زيادة المتعة ﴿و﴾: هنا حرف عطف يفيد التخيير ﴿مَسَاكِنَ طَيِّبَةً﴾: كلُّ ما يستمتع به الجسد، وتقبله النفس، التي يطيب العيش فيها؛ فيها كلُّ ما يحتاج إليه الإنسان ﴿فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾: جنّات إقامة دائمة، لا انتقال منها ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ﴾: هذا النجاح ﴿الْعَظِيمُ﴾: الذي ليس بعده نجاح.

﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٣)

﴿و﴾: عطفاً على الغفران ﴿أُخْرَى﴾: وزيادة على ذلك ﴿تُحِبُّونَهَا﴾: ترغبونها بشدة ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ﴾: وهذا في الدنيا ينصركم الله ﷻ على أعدائكم ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال يفيد هنا زيادة على هذا ﴿فَتْحٌ﴾: كان فتح مكة، وبعده كان كلُّ فتح للإسلام ﴿قَرِيبٌ﴾: عاجل، وهذا من خير الدنيا؛ الموصول بنعيم الآخرة ﴿وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ﴾: قل لهم ما يسرهم ويفرحهم؛ فإن الله ﷻ لا يخلف الميعاد.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (١٤)

هذه أوامر الله ﷻ للطائفة المؤمنة ﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرف نداءٍ للقريب والبعيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع من ﴿آمَنُوا﴾: الذين يشهد لهم الله ﷻ بالإيمان ﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾: انصروا الله ﷻ في كلِّ أحوالكم، بالفعل، والقول، والمال، والنفس ﴿كَمَا﴾: مثلما ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾: فهي سننُ الله ﷻ في رسله، إذ سأل عيسى ﷺ ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿لِلْحَوَارِيِّينَ﴾: هم أصفياء وخواص عيسى وأتباعه ﷺ ﴿مَنْ﴾: حرف استفهام عن العاقل ﴿أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾: من ينصرني في سبيل الله ﷻ، من يُعينني ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ

اللَّهِ: نحن أنصارك على ما أرسلت به، قال ﷺ أيام الحج: من رجل يؤويني حتى أُبلِّغ رسالة ربي؛ فإنَّ قريشًا قد منعوني أُبلِّغ رسالة ربي؛ فأيده ﷺ بالأوس والخزرج، وعاهدوه على نصرته، إذا هو هاجر إليهم، فلما شرفهم ﷺ بهجرته؛ صدقوا الله ﷻ ما عاهدوا رسوله عليه فسُموا الأنصار^(١)، **﴿ف﴾**: حرف يُفيد السبب **﴿آمَنْتُ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾**: لما وقف الحواريون مع عيسى عليه السلام آمنت جماعة من بني إسرائيل **﴿و﴾**: حرف عطف يُفيد الحال **﴿كَفَرْتُ﴾**: جحدت وأنكرت وغطت **﴿طَائِفَةٌ﴾**: جماعة أخرى بنبوته، وقذفوه وأمّه بعظام الإثم، وبعضهم بالغ حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله ﷻ؛ وهي النبوة، فافترقوا إلى فرقتين وشيع؛ فمنهم من قال إنّه ثالث ثلاثة الأب والابن والروح القدس، ومن قال إنّه ابن الله؛ لعنهم الله بكفرهم، وتعمق الخلاف والصراع، فجاء الحق من الله **﴿فَأَيَّدْنَا﴾**: نصرنا ورفعنا شأن **﴿الَّذِينَ﴾**: اسم موصول يفيد هنا جميع مَنْ **﴿آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾**: نصرهم الله به على أعدائهم الكافرين عليه **﴿فَأَصْبَحُوا﴾**: صاروا **﴿ظَاهِرِينَ﴾**: منصورين، غالبين ببعثة محمد ﷺ، قال ابن عباس: فأمنت طائفة من بني إسرائيل في زمن عيسى وكفرت طائفة، وهي أيضًا من بني إسرائيل في زمن عيسى فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين؛ بإظهار محمد ﷺ على دين الكفار، وستبقى أمّة محمد ﷺ ظاهرة على الحق؛ حتى يأتي أمر الله ﷻ، حتى تقتل مع عيسى عليه السلام الدجال؛ والله أعلم.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ ندرك تحفيز الله ﷻ للمؤمنين؛ لنصرة الإسلام والمسلمين.



سورة الجمعة سورة مدنية نزلت على النبي ﷺ في السنة السادسة للهجرة وسميت (سورة الجمعة) بهذا الاسم لأنه ذُكر يوم الجمعة ولفظ الجمعة فيها، حيث تناولت هذه الآية الحديث

(١) انظر المستدرک علی الصحیحین ٧٣٣/٢ (٤٣١٠)، وقال: صحیح الإسناد.

عن أحكام صلاة الجمعة الواجبة على المسلمين التي ثبت أنها فرض على كل مسلم في الكتاب الحكيم والسنة الشريفة، لما فيها من فضل وخير كثير .

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١)

﴿يُسَبِّحُ﴾: يُنَزَّهُ، وَيُجَدِّدُ، وَيَذَلُّ ﴿لِلَّهِ﴾: تَخْصِيصًا يُنَزَّهُ اللَّهُ ﷻ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ، الْمَوْصُوفُ بِالْكَمَالِ ﴿مَا﴾: حَرْفٌ يَفِيدُ عَمُومَ غَيْرِ الْعَاقِلِ ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هِيَ كُلُّ مَا عَلَا الْأَرْضَ، وَأَحَاطَ بِهَا؛ لَكُونَهَا بِيضَاوِيَّةَ الشَّكْلِ ﴿و﴾: حَرْفٌ عَطْفٍ يُفِيدُ الْحَالِ، أَيْضًا يَسْبِحُ لِلَّهِ ﷻ ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾: جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ النَّاطِقِ وَالْجَامِدِ ﴿الْمَلِكِ﴾: مَالِكِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، الْمُتَصَرِّفِ فِيهِمَا بِحُكْمِهِ ﴿الْقُدُّوسِ﴾: الْمُنَزَّهُ عَنِ النَّقَائِصِ، الْمَوْصُوفِ بِكُلِّ صِفَاتِ الْكَمَالِ ﴿الْعَزِيزِ﴾: الَّذِي لَا يَغَالِبُهُ أَحَدٌ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ﴿الْحَكِيمِ﴾: يَفْعَلُ الصَّوَابَ فِي خَلْقِهِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ كَيْفَ يُحَقِّقُ غَايَةَ وُجُودِهِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ، الْحَكِيمِ فِي شَرْعِهِ وَقَدْرِهِ.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢)

﴿هُوَ﴾: فِي اللُّغَةِ يَعْنِي ضَمِيرًا مَنْفَصَلًا مَرْفُوعًا لِلْغَائِبِ الْمَفْرَدِ الْمَذْكَرِ، هُنَا الْمَقْصُودُ هُوَ اللَّهُ ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسْمٌ مَوْصُولٌ لِلْمَفْرَدِ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا الْوَاحِدِ، الْأَحَدِ ﷻ ﴿بَعَثَ﴾: أَرْسَلَ رَسُولَهُ ﴿فِي الْأُمِّيِّينَ﴾: فِي الْعَرَبِ، الَّذِينَ لَا يَقْرَأُونَ، وَلَا يَكْتُبُونَ، الْمَعَاصِرِينَ لِلرُّسُولِ ﷺ لَكِنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَهَذِهِ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَ بِالْمَعْنَى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة- ١٢٩] ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾: حَرْفٌ يُفِيدُ بَدَايَةَ الْغَايَةِ الزَّمَانِيَّةِ وَالْمَكَانِيَّةِ مِنْ جَنْسِهِمْ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا مُتَمَسِّكِينَ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ بَدَّلُوهُ شِرْكًَا، وَبِالْيَقِينِ شَكًّا، وَابْتَدَعُوا كَاهِنًا ﴿يَتْلُو﴾: يَقْرَأُ ﴿عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾: يَقْرَأُ عَلَيْهِمْ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْأَدْلَةَ، وَالْبِرَاهِينَ؛ عَلَى صِدْقِ رِسَالَتِهِ ﴿و﴾: أَيْضًا ﴿يُزَكِّيهِمْ﴾: يُطَهِّرُهُمْ مِنَ الْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ، وَالْأَفْعَالِ الذَّمِيمَةِ بِذِكْرِ الْمَسَاوِي وَهِيَ عَكْسُ الْمَدْحِ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾: الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ الْمُشْرِفَةَ؛ لِاقْتِرَانِهَا بِالْكِتَابِ ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: حَرْفٌ يَفِيدُ بَدَايَةَ الْغَايَةِ الزَّمَانِيَّةِ، وَقَدْ كَانُوا ﴿قَبْلُ﴾: قَبْلَ نَزُولِ الرِّسَالَةِ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿لَنْ﴾:

حرف علةٍ وسببٍ ﴿فِي ضَلَالٍ﴾: في ضياعٍ، وتيهٍ؛ بسبب كفرهم، وشركهم ﴿مُبِينٍ﴾: واضحٍ وظاهرٍ.

﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣)

﴿و﴾: أيضًا بعث الله ﷺ رسوله إلى قومٍ ﴿أَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾: حرفٌ يُفيد بداية الغاية الزمانية والمكانية، من العرب، وغير العرب، وقد أشار ﷺ إلى سلمان الفارسي فالدعوة لكلِّ النَّاسِ ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾: لم يأتوا بعد، سيلحقون بعدهم ﴿وَهُوَ﴾: ﴿الْعَزِيزُ﴾: الذي لا يُغالبه، ولا يغلبه أحدٌ ﴿الْحَكِيمُ﴾: الذي يفعل الصواب المطلق في خلقه الذي خلق، وأودع في خلقه كيف يُحقق غاية وجوده على أكمل وجه، والحكيم في شرعه وفي قدره. انظر تفسير (الجمعة- ١).

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٤)

﴿ذَلِكَ﴾: الذي جاء ذكره في إشارة للبعيد ﴿فَضْلٌ﴾: كرم ﴿اللَّهُ﴾: وتفضله من بعثة خير الخلق للناس إلى العرب والعجم ﴿يُؤْتِيهِ﴾: يمنحه ﴿مَنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع هنا لكل عاقل ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿يَشَاءُ﴾: لقد مَنْ به الله ﷻ على محمد ﷺ، ومن تبعه من الأمم: العرب، والعجم ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق؛ اعلموا أنّ ﴿اللَّهُ ذُو﴾: صاحب ﴿الْفَضْلِ﴾: الكرم، والإحسان، والشأن ﴿الْعَظِيمِ﴾: الجليل بما أعطاه لمحمد ﷺ وأُمَّته من بعده إلى يوم القيامة.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَا عَلِمُوا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَذَّةٌ مِنْهَا وَهُمْ فِي عَذَابٍ مُلْتَمِسِينَ﴾ (٥)

﴿مَثَلُ﴾: حال ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿خُمِلُوا﴾: كلفهم الله ﷻ بالعمل بما في ﴿التَّوْرَةَ﴾: الذين أنزل الله ﷻ عليهم التوراة، وحملوها؛ ليعملوا بها ﴿ثُمَّ﴾: حرف تنبيه يفيد التتابع الزمني غير الفوري ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَحْمِلُوهَا﴾: لم يعملوا بموجبها، إنَّ مثل هؤلاء ﴿ك﴾: حالهم ﴿مَثَلِ﴾: كحال ﴿الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾: كالحمار الذي يحمل الكتب الكبيرة في نفعها، لا يقرؤها الحمار، ولا يعرف ما فيها، ولا يستفيد منها، كاليهود حملوا الكتاب، حفظوه لفظًا، ولم يطبقوه عملاً والتزامًا ﴿بِئْسَ﴾: ساء وتقبَّح ﴿مَثَلٌ﴾: نموذج ﴿الْقَوْمِ﴾: هم اليهود الذين

هم أسوأ من الحمار، الذين لا فهم لهم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِ﴾: حرف باء السببية ﴿آيَاتِ اللَّهِ﴾: الأدلة والبراهين، لم يستخلصوا منها ما يستفيدون منه، وهي أدلة واضحة، بيّنة، واقعة، ﴿وَاللَّهُ لَا﴾: حرف نفي ﴿يَهْدِي﴾: يُوقِّق، ولا يُسهِّل لهم هداية ﴿الْقَوْمِ﴾: الجماعة الذين من أصل واحد، أو الذين أصحاب مذهب واحد ﴿الظَّالِمِينَ﴾: الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم، فلم يصيبوا الحق.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا﴾ نداءً للقريب والبعيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿هَادُوا﴾: للذين تدينوا باليهودية، التي حرّفوها، وتقولوا فيها وعليها ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿زَعَمْتُمْ﴾: ادعيتم كذبًا وزورًا ﴿أَنْتُمْ﴾: أنتم بالتأكيد ﴿أَوْلِيَاءُ﴾: أحبّابٌ وأنصارٌ ﴿اللَّهُ مِنْ دُونِ﴾: غير ﴿النَّاسِ﴾: بني آدم، أنتم فقط على حقٍّ؛ وأنَّ محمدًا ﷺ وصحبه على ضلالٍ ﴿ف﴾: حرف يفيد جواب الشرط ﴿تَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾: ادعوا الله ﷻ أن يميت الفئة الضالّة من الفئتين ﴿إِنْ﴾: حرف تأكيدٍ وشرطٍ ﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: إذا علمتم أنكم صادقون.

التكليف: إنّ الدعاء سلاح وحصن المؤمن، وهو وبالٌ على اليهود، والنصارى، والكافرين.

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٧)

﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا﴾: يُخبر الله ﷻ حقيقة اليهود من الموت؛ هم لا يتمنونهُ أبدًا؛ إيثارًا للحياة الدنيا على الآخرة ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى بسبب، بالذي ﴿قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ﴾: بسبب ما اقترفوا من كفرٍ، وظلمٍ، وفجورٍ في حياتهم الدنيا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: علمه شاملٌ كاملٌ ﴿بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿الظَّالِمِينَ﴾: وهم يعرفون أنّ الله ﷻ يعلم بظلمهم لأنفسهم؛ وبكفرهم أكثر مما يعلمون من أنفسهم.

﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٨)

﴿قُل﴾: يا محمد ﷺ، لليهود ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الْمَوْتُ الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ﴾: حرف يفيدُ بداية الغاية الزمانية والمكانية، الذي لا تريدونه ولا تتمنونه، جاء اللفظ القرآني "الفرار" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى الكراهية الذي تكرهونه، والذي لا تريدونه، وتهربون منه، ومن أسبابه مثل القتال ﴿فَإِنَّهُ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿مَلَأْتِكُمْ﴾: لم يقل ﷺ مدركم؛ لأن إدراك الهارب يكون من الخلف، بل آتاكم الموت لا محالة من أمامكم ﴿نَمْ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني غير السريع ﴿تُرْدُونَ﴾: تُرجعون ﴿إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ﴾: إلى الله ﷻ، الذي يعلم كل ما غاب عن خلقه ﴿و﴾: حرف عطفي يفيد الحال، أيضاً يعلم ﴿الشَّهَادَةَ﴾: ويعلم كل ما يُشاهد خلقه ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾: يخبركم ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بأخباركم، وبما فعلتم في دنياكم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٩)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرف نداءٍ للقريب وللبعيد، كلمة تواصل بين المُنَادِي؛ وهو الله ﷻ، والمُنَادَى عليه ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد هنا جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: نداءً للمسلمين المؤمنين بالله ﷻ وبرسالة محمد ﷺ ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿نُودِيَ﴾: رُفِع الأذان ﴿ل﴾: حرف يفيد السبب ﴿الصَّلَاةِ مِنْ﴾: حرف بيان؛ يفيد بداية الغاية الزمانية والمكانية لبيان النوع ﴿يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾: عن أبي هريرة، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا^(١)، وهو يوم خص الله به أمة محمد ﷺ عن أبي هريرة ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْنَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ، فَاحْتَفَلُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللَّهُ، فَالْنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ الْيَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ^(٢)، وسميت الجمعة اشتقاقاً من الجمع، فالمسلمون يجتمعون فيه كل أسبوعٍ مرة في المساجد، وقيل فيه اكتمل خلق جميع الخلائق، وفيه خلق الله آدم ﷺ، وفيه أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وفيه أُخْرِجَ مِنْهَا، وفيه تقوم

(١) صحيح مسلم ٥٨٥/٢ (٨٥٤).

(٢) صحيح البخاري ٢/٢ (٨٧٦).

الساعة، وأمر الله اليهود به فذلوا عنه، واختاروا يوم السبت الذي لم يُخلق فيه آدم، واختار النصارى يوم الأحد الذي ابتدئ في الخلق، المقصود النداء الثاني بعد أن يجلس الإمام على المنبر، أما النداء الأول الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ فإنما كان لكثرة الناس **﴿ف﴾**: حرف جواب الشرط السعي للذكر **﴿اسْعَوْا﴾**: اذهبوا وامضوا **﴿إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾**: إلى صلاة الجمعة، لسماع الخطبة وأداء صلاة الجماعة، ليس السعي هو المشي السريع، وإنما الاهتمام بالجمعة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قَالَ: إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ، فَاْمَشُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَلَا تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأْتِمُوا^(١)، قال قتادة: فالسعي بالقلب، والنية، والخشوع، ودليل ذلك المشي إليها **﴿و﴾**: عطفاً على هذا **﴿ذَرُوا﴾**: اتركوا **﴿الْبَيْع﴾**: الذي هو إعطاء الشيء المثلث وأخذ الثمن؛ والمقصود هو جميع المعاملات من البائع ومن المشتري، ولذلك اتفق العلماء رضي الله عنهم على تحريم البيع بعد النداء الثاني **﴿ذَلِكُمْ﴾**: الذي أمر به الشارع الحكيم ﷺ **﴿خَيْرٌ﴾**: كثير المنافع **﴿لَكُمْ﴾**: تمليكاً في الدنيا، وفي الآخرة **﴿إِنْ﴾**: حرف تأكيد وشرط **﴿كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**: أي عليكم أن تعلموا مصالحكم.

التكليف: يأتي دليل وجوب حضور صلاة الجمعة، والاستماع للخطبة لمن لا عذر له.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٠)

﴿فَإِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها **﴿قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾**: جاء اللفظ القرآني "قضى" على عشرة أوجه هنا؛ بمعنى فرغت انتهت وفرغ المصلون منها. انظر [البقرة-١٠] **﴿ف﴾**: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ، ولكون المنهي عنه غير دائم وهو محكوم بانقضاء الصلاة، وليس محكوماً بانتهاء المصلي **﴿انْتَشِرُوا﴾**: توزعوا من بعد لقاء الجمعة لتجارة وبيعها وشرائها من أمر الحاجة **﴿فِي الْأَرْضِ وَ﴾**: عطفاً على هذا **﴿ابْتَغُوا﴾**: اطلبوا الرزق؛ ففيه بركة الانتشار **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية **﴿فَضْلِ اللَّهِ﴾**: من كرم الله ﷻ، بعد

(١) صحيح البخاري ١/١٢٩ (٦٣٦).

التجمع، من الرزق الحلال ﴿و﴾: أيضًا ﴿ادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾: يأمر الله ﷻ المسلمين أن يذكروه ﷻ كثيرًا، في البيع، والشراء، والأخذ العطاء ﴿اعْلَمُوا﴾: حرف يُفيد التحقق إذا جاء من الله ﷻ ﴿تُفْلِحُونَ﴾: تناولوا الفوز بما تُحبون، وتُحفظون مما تكرهون.

التكليف: عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَعَسَلٌ، وَبَكَرَ وَابْتَكَرَ، وَدَنَا وَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا أَجْرُ سَنَةِ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا^(١).

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (١١)

سبب النزول: قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَتْ عِيرٌ تَحْمِلُ طَعَامًا، فَالْتَقَيْنَا إِلَيْهَا حَتَّى مَا بَقِيَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَتَرَلْتُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة-١١]^(٢).

﴿وَإِذَا﴾: أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿رَأَوْا﴾: حضروا وشاهدوا ﴿تِجَارَةً﴾: والتجارة هي استخدام رأس المال طلبًا للربح المسموح، هي معاملات مالية سمعوا بمجيء تاجرٍ ﴿أَوْ﴾: حرف يفيد التسوية والتقسيم ﴿لَهْوًا﴾: مثل الأفراح ﴿انْفَضُوا إِلَيْهَا﴾: خرجوا إلى التجارة لأنها كانت أهم عندهم لأن تعلق المصالح بها أشد من اللهو ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿تَرَكَوْكَ قَائِمًا﴾: كان الرسول ﷺ يخطب الجمعة، وهنا حكم: أن على الإمام أن يخطب وهو واقف، وقيل إن الآية نزلت والرسول ﷺ يخطب بعد صلاة الجمعة كما في صلاة العيدين ﴿قُلْ﴾: فعل أمرٍ لمحمد ﷺ، وللمسلمين ﴿مَا﴾: الذي ﴿عِنْدَ﴾: ظرف زمانٍ ومكانٍ ﴿اللَّهُ﴾: ما قدره لكم ﷻ من الثواب، والرضا، والقبول ﴿خَيْرٌ﴾: أفضل وأنفع ﴿مِنَ اللَّهْوِ﴾: ما يلهي عن الطاعة وفعل الخير ﴿وَمِنَ﴾: جزء أو بعض ﴿التِّجَارَةِ﴾: هو ثواب الجمعة، والاستماع، والصلاة، وفي الدار الآخرة هي النشأة الثانية في مقابل النشأة الأولى خيرٌ للمؤمنين ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾: أكرم، وأجزل وأكثر ﴿الرَّازِقِينَ﴾ من يعطى بلا ثمن في الدنيا.

^(١) سنن الترمذي ٣٦٧/٢ (٤٩٦)، وقال الألباني: صحيح.

^(٢) صحيح البخاري ١٣/٢ (٩٣٦).

سُمِّيتِ سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ بِهَذَا الْاسْمِ فِي الْمَصَاحِفِ وَكُتِبَ التَّفْسِيرُ وَالسُّنَّةُ، وَوَجَّهَ التَّسْمِيَةَ عِتْبَارًا بِذِكْرِ أَحْوَالِ وَصِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ فِي السُّورَةِ، وَهِيَ سُورَةٌ مَدَنِيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ، وَقَدْ عُدَّتْ فِي التَّرْتِيبِ (١٠٤) فِي نَزُولِ سُورِ الْقُرْآنِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْحَجِّ، وَقَبْلَ سُورَةِ الْمَجَادِلَةِ، نَزَلَتْ فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَعَلَى الْأَصْحَحِ أَنَّهَا قَبْلَ سُورَةِ الْأَحْزَابِ، وَعَدُّ آيَاتِهَا (١١) آيَةً بِاتِّفَاقِ الْعَادِينَ.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (١)

﴿إِذَا﴾: ظَرْفٌ لَمَّا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ، يَفِيدُ مَعْنَى الشَّرْطِ وَهِيَ أَدَاءُ رِبْطٍ مَا بَعْدَهَا بِمَا قَبْلَهَا
 ﴿جَاءَكَ﴾: وَصَلَ إِلَيْكَ وَحَضَرَ مَجْلِسَكَ الْمُنَافِقُونَ أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴿الْمُنَافِقُونَ﴾: قَوْلٌ لِمُحَمَّدٍ ﷺ
 وَلِكَلِّ مُسْلِمٍ، الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ الْإِسْلَامَ وَيَقُولُونَ ذَلِكَ بِالْإِسْنَتِ، أَمَّا بَاطِنُهُمْ؛ فَهَمْ لَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ
 ﴿قَالُوا نَشْهَدُ﴾: وَهِيَ تَعْبِيرٌ كَالْحَلْفِ إِثْبَاتِ الْأَمْرِ ﴿إِنَّكَ﴾: أُنْتُ بِالتَّأَكِيدِ ﴿ل﴾: حَرْفُ تَوْكِيدٍ
 لِلإِشْعَارِ بِأَنَّهَا صَادِرَةٌ مِنْ صَمِيمِ قُلُوبِهِمْ، مَعَ خُلُوصِ نِيَاتِهِمْ ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾: إِذَا جَاءُوا لِلرَّسُولِ
 قَالُوا نَعْرُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ﴾: أُنْتُ بِالتَّأَكِيدِ ﴿ل﴾: حَرْفُ تَخْصِيصِ ﴿رَسُولُهُ﴾:
 وَاللَّهُ يَحْقُقُ رِسَالَةَ نَبِيِّهِ؛ فَهُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ وَأَرْسَلَهُ ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾: شَهَادَةُ الْخَالِقِ الَّذِي يَعْرِفُ
 السِّرَّ وَالْعَلَنَ ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ ل﴾: حَرْفٌ عَلَّةٍ وَسَبَبٍ ﴿كَاذِبُونَ﴾: يَقُولُونَ غَيْرَ الْحَقِيقَةِ.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢)

﴿اتَّخَذُوا﴾: جَعَلُوا وَعَاعْتَمَدُوا وَاسْتَعْدَمُوا ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾: مَا يَحْلِفُونَ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ، يَتَّظَاهِرُونَ بِالْإِيمَانِ
 مِثْلَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ ﴿جُنَّةً﴾: وَقَايَةً، وَسِتْرًا؛ لِيُصَدِّقَهُم النَّاسُ؛ وَلِتَقْبِيهِمْ مِنَ الْمُؤَاخَذَةِ ﴿ف﴾: حَرْفُ
 اسْتِثْنَائِيٍّ بِهَدَفِ تَرْتِيبِ الْأَمْرِ وَيَفِيدُ السَّبَبَ وَسُرْعَةَ التَّنْفِيزِ ﴿صَدُّوا﴾: صَرَفُوا، وَابْتَعَدُوا، وَمَنْعُوا
 أَنْفُسَهُمْ، وَمَنْعُوا النَّاسَ ﴿عَنْ﴾: حَرْفٌ جَرٌّ يُفِيدُ السَّبَبَ وَالْمَجَاوِزَةَ ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أَلْبَسُوا عَلَى

كثير من النَّاسِ دينهم ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد ﴿سَاءَ﴾: وهي كبئس في إفادة الذم والتعجيب وتعظيم أمرهم عند السامعين، هم أصحاب شرٍ وضررٍ؛ قَبِحَ اللهُ ﷻ ﴿مَا﴾: الذي ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: كانت أعمالهم سيئة، وثبت الشك في كثيرين منهم، ويبين الله ﷻ حقيقتهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٣)

﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿بِ﴾: حرف بسبب ﴿أَنَّهُمْ﴾: بالتأكيد ونفي الإنكار ﴿آمَنُوا﴾: لأنهم آمنوا بألسنتهم في الظاهر؛ خوفًا، أو نقيَّةً، أو تصديقًا ﴿ثُمَّ﴾: حرف يُفِيدُ الترتيب والتباعد الزمني غير السريع ﴿كَفَرُوا﴾: ارتدوا في الباطن ﴿فَ﴾: لهذا السبب ﴿طُبِعَ﴾: طبع ختم الله ﷻ ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: بسبب كفرهم وهي مراكز الوعي والإدراك؛ مراكز الإيمان أو الكفر؛ كأنها في غلافٍ سميكٍ ﴿فَ﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿هُمُ﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، وتحديدًا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَفْقَهُونَ﴾: لا يفهمون الحقائق، ولا يعرفون أين مصلحتهم.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٤)

﴿وَ﴾: إشارة للبعيد ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُسْتَقْبَلُ من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿رَأَيْتَهُمْ﴾: نظرت إلى المنافقين، ولأبي ناظرٍ إليهم ﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾: فهم في هيئة بدنية حسنة؛ بسبب حسن الطعام، والملبس ﴿وَإِنْ﴾: أيضًا هنا حرف شرط ﴿يَقُولُوا﴾: لو تكلموا ﴿تَسْمَعُ لَ﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿قَوْلِهِمْ﴾: تسمع كلامهم؛ لفصاحتهم، وتزيين ألفاظهم، وبلاغتهم، إن رزقهم هو كلامهم، أمّا أجسادهم، وعزائمهم ﴿كَأَنَّهُمْ﴾: حرف يفيد التشبيه والتقريب ﴿خَشْبٌ﴾: جذوع الأشجار، أجسام بلا أحلام ﴿مُسْنَدَةٌ﴾: ليست واقفة، ولكنها تعتمد على غيرها لتقف، من الخور، والهلع، والجزع؛ خاصّة في مواجهة الأعداء ﴿يَحْسَبُونَ﴾: يظنون، ويعتقدون ﴿كُلَّ﴾: تفيد العموم ﴿صَيْحَةٍ﴾: صوتٍ غاضبٍ، مرتفع جاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد على عموم الصيحة ﴿عليهم﴾: يستهدفهم، ويعتقدون ﴿هُمُ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الْعَدُوُّ﴾: يُخْبِرُ اللهُ ﷻ عن خطورتهم، كما كلُّ عَدُوِّ

يتمني للمسلمين الضعف والهزيمة **﴿ف﴾**: لهذا السبب **﴿أخذزهم﴾**: لا تتذرع بأجسادهم، ولا بكلامهم، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **﴿إِنَّ لِلْمُنَافِقِينَ عَلَامَاتٍ يُعْرَفُونَ بِهَا: تَحِيَّتُهُمْ لَعْنَةٌ، وَطَعَامُهُمْ نُهْبَةٌ، وَغَنِيمَتُهُمْ غُلُوبٌ، وَلَا يَقْرُبُونَ الْمَسَاجِدَ إِلَّا هَجْرًا، وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا دُبْرًا، مُسْتَكْبِرِينَ، لَا يَأْتُونَ وَلَا يُؤْتُونَ، حُسْبُ بِاللَّيْلِ، صُحْبُ بِالنَّهَارِ وَقَالَ يَزِيدُ، مَرَّةً: سُحْبُ بِالنَّهَارِ﴾**^(١)، وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿أَرَبُّ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ﴾**^(٢) **﴿قَاتَلَهُمْ﴾**: لعنهم **﴿اللَّهُ أَنَّى﴾**: أداة شرطية للمكان **﴿يُؤْفَكُونَ﴾**: ومن صفات وأسرار المنافقين: أنهم يُصرفون عن الإيمان بعد قيام البرهان؟

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُوا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾
(٥)

﴿وَإِذَا﴾: أداة شرط تربط ما بعدها بما قبلها **﴿قِيلَ لَهُمْ﴾**: إذا دعاهم أحد **﴿تَعَالَوْا﴾**: أقبلوا حتى **﴿يَسْتَغْفِرْ﴾**: أقبلوا تائبين عما بدر منكم من سيئ القول، وسفه الحديث، يطلب السماح من الله ﷻ **﴿لَكُمْ﴾**: تخصيصًا **﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾**: إذا عرض عليهم شرف عظيم، أن يطلب الرسول ﷺ لهم المغفرة، والله ﷻ لا يزد سؤال رسوله الكريم **﴿لَوْأُوا﴾**: أشاحوا وعطفوا **﴿رُءُوسَهُمْ﴾**: أشاحوا بوجوههم على الجانب؛ استكبارًا، واحتقارًا، وسخريةً من هذا القول **﴿و﴾**: عطفًا على ليّ الرؤوس **﴿رَأَيْتَهُمْ﴾**: تُشاهدُهم **﴿يَصُدُّونَ﴾**: يمتنعون ويُعرضون **﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾**: يتكبرون أن يسأل الرسول ﷺ لهم من الله ﷻ مغفرةً.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾
(٦)

﴿سَوَاءٌ﴾: يتساوى **﴿عليهم﴾**: على هؤلاء المنافقين، ولا يستوي حالهم إن **﴿أَسْتَغْفَرْتَ﴾**: طلبت من الله ﷻ أن يغفر **﴿لَهُمْ﴾**: تخصيصًا **﴿أَمْ﴾**: أو **﴿لَمْ﴾**: حرف نفي **﴿تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾**: أو امتنعت عن ذلك **﴿لَنْ﴾**: حرف نفي قاطع **﴿يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾**: كلمات ربانية قاطعة؛ لن يسامحهم

(١) مسند أحمد ٣/١٣ (٧٩٢٦)، قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(٢) صحيح مسلم ٧٨/١ (٥٨).

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ لَا﴾: حرف نفي ﴿يَهْدِي﴾: لا يُوفِق، ولا يُهَيِّئ، ولا يُسهِّلَ لهم سبيل هدى ﴿الْقَوْمَ﴾: الجماعة الذين أصحاب عقيدة واحدة ﴿الْفَاسِقِينَ﴾: الخارجين عن الدين بالنفاق، والكفر.

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٧)

﴿هُمُ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد، هم المنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿يَقُولُونَ﴾: قالوا ويستمرون في القول؛ فهذا حالهم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تُنْفِقُوا﴾: تصرفوا من أموالكم ﴿عَلَيَّ مَنْ﴾: الذين من جنس العاقل ﴿عِنْدَ﴾: ظرفٌ زمانٍ وظرفٌ مكانٍ، مع ﴿رَسُولِ اللَّهِ﴾: هم المسلمون، لا تساعدوهم بالمال، ومن نفاقهم أن يقولوا من عند رسول الله، قولٌ باللسان، والقلب منكراً ﴿حَتَّى﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد انتهاء الغاية الشرطية ﴿يَنْفُضُوا﴾: حتى ينصرف المسلمون عن الرسول ﷺ فيضعف، ويُهْزَم، وتفسيرهم المستمر حتى اليوم للذي بيده المال أو السلطان، وليس إيماناً واحتساباً، وطمعاً في الآخرة، إنَّ ولاء العديد من الأمة الإسلامية اليوم للذي بيده المال، أو السلطة؛ حوله يدور الناس؛ حتى إذا ذهب المال، وفقد السلطة؛ انفضوا إلى غيره ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ﴾: كنوز ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها كروية الشكل ﴿وَالْأَرْضِ﴾: أيضاً ما فيهما من أرزاقٍ؛ يعطيها من يشاء ويمنعها عن يشاء. وهذا هو دواء دعواهم الكاذبة؛ لأنَّ المؤمن يعلم أنَّ كنوز السموات والأرض بيد الله ﷻ؛ يعطيها لرسوله إنَّ شاء وهو ليس بحاجة إلى أموالهم ﴿وَلَكِنَّ﴾: حرف استدراك ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾: الذين يُظهرون الإيمان، ويُبطنون الكفر ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَفْقَهُونَ﴾: لا يُدركون الحقيقة.

﴿يَقُولُونَ لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨)

سبب النزول: عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ ؓ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَمِّي، فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَرْزَةَ سَلُوكَ يَقُولُ: لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُضُوا، وَقَالَ أَيْضًا: لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ

لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي، فَذَكَرَ عَمِّي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَصَدَّقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَذَّبْتَنِي، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي بَيْتِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ [المنافقون-١] إِلَى قَوْلِهِ ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [المنافقون-٧] إِلَى قَوْلِهِ ﴿لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون-٨] فَأَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَهَا عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ^(١) ﴿يَقُولُونَ﴾: والقائل هو عبد الله بن أبي بن سلول وأمثاله في كل زمن ﴿لَنِينَ﴾: حرف شرط ﴿رَجَعْنَا﴾: من غزوة بني المصطلق ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾: يثرب ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿يُخْرِجَنَّ﴾: ليطرد بالتأكيد ﴿الْأَعَزُّ مِنْهَا﴾: حرفٌ يُفيد بداية الغاية الزمانية والمكانية، يقصدون ابن سلول، ومن مثله من الوجهاء والأثرياء ﴿الْأَذَلَّ﴾: الأضعف، والأهون على الناس؛ ويقصدون محمدًا ﷺ وصحبه ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيد الحال ﴿لِللَّهِ الْعِزَّةُ﴾: القوة، والقهر، والغلبة ﴿وَلِرَسُولِهِ﴾: يبيِّن الحق ﷺ حقيقة من هو الذليل؟ ومن هو العزيز؟؛ فالعزة لله ﷺ ولسوله ﴿وَاللِّمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ﴾: حرفٌ استدراكٍ ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾: الذين يُظهرون الإيمان، ويُبطنون الكفر ﴿لَا﴾: حرفٌ نفيٍ ﴿يَعْلَمُونَ﴾: لا يُدركون الحقيقة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوَلِّكْهُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٩)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرفٌ نداءٍ للقريب والبعيد ﴿الَّذِينَ﴾: حرفٌ جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿آمَنُوا﴾: يقينًا بالله ﷻ، وملائكته، ورسوله، والقيامة ﴿لَا﴾: حرفٌ نهيٍ وتحريمٍ ﴿تُلْهِكُمْ﴾: لا تشغلكم، ولا تُصرفكم ﴿أَمْوَالُكُمْ﴾: الحديث هنا عن العبادات للتنبية على غفلتهم وانشغالهم بتجارتهم، وجمعهم الأموال، عن ذكر الله ﷻ أو إنفاقها ﴿وَلَا﴾: أيضًا نهيٍ أن تلهيهم ﴿أَوْلَادُكُمْ﴾: مشاكلهم المالية، وتعليمهم، ومرضهم، ومتاع الحياة الدنيا وزينتها ﴿عَنْ﴾: حرفٌ جرٍ يفيد هنا المجاوزة في البعد ﴿ذِكْرِ اللَّهِ﴾: جاء اللفظ القرآني الذكر على ستة عشر وجهًا، هنا بمعنى الصلاة خاصةً، والزكاة، والذكر، والتسبيح، والتقرب إليه ﷻ ﴿وَمَنْ﴾:

(١) صحيح البخاري ١٥٢/٦ (٤٩٠١).

الذي من جنس العاقل **﴿يَفْعَلُ ذَلِكَ﴾**: من ثلّهُ الدنيا وتشغله الدنيا عن ذكر الله **﴿ف﴾**: بسبب هذا **﴿أُولَئِكَ﴾**: إشارة للجماعة للقريب والبعيد **﴿هُمْ﴾**: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد **﴿الْخَاسِرُونَ﴾**: المغبونون؛ الذين خسروا رضا الله **﴿وَتَوَفِّيهِ﴾**، وجنته؛ حتى لو جمعوا مال العالم كله.

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٠)

﴿وَأَنْفِقُوا﴾: أمر ربّاني للمؤمنين بالله **﴿وَرَسُولِهِ﴾** أن يدفعوا من أموالهم **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية **﴿مِمَّا﴾**: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية **﴿رَزَقْنَاكُمْ﴾**: أيها المؤمنون، فالرزق من الله **﴿وَاللَّهُ﴾**، وليس بخبرة، ولا بجهد الإنسان مع ضرورة بذله **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية الزمانية **﴿قَبْلِ أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿يَأْتِي﴾**: يُصيب **﴿أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾**: عندما تأتي ساعة الاحتضار، في إقبالٍ على الآخرة، وإدبارٍ من الدنيا، عندها يُدرك الإنسان الحقيقة **﴿ف﴾**: بسبب هذا وفي سرعة **﴿يَقُولُ رَبِّ﴾**: هو **﴿المُعْبُودُ﴾**، والمُرَبِّي، وهو المنشئ للشيء من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام، وهو **﴿الخالقُ﴾**، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحِيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ؛ فهو مالك أمرهم كله ويكون الإنسان هنا يعترف بربوبية الله **﴿لَوْلَا﴾**: بمعنى هلاً، حرفٌ يُفيد امتناع الثاني وهو الموت لوجود الأول، وهو التصدق، وتفيد الحُضُّ على الفعل؛ وأيضاً للتمني **﴿أَخَّرْتَنِي﴾**: هلاً، ليتك أهملتني، وأخّرت أجلي **﴿إِلَىٰ أَجَلٍ﴾**: زمنٍ أو موعدٍ **﴿قَرِيبٍ﴾**: مدةٍ يسيرةٍ؛ يُريد زيادة العمر؛ ليستدرك **﴿فَأَصَّدَّقَ﴾**: أنفق في سبيلك **﴿و﴾**: حرفٌ عطفٍ يُفيد الحال **﴿أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾**: أدخل في زمرة الذين أصلحوا ما بينهم وبين ربّهم **﴿وَاللَّهُ﴾**.

﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١١)

﴿وَلَنْ﴾: كلمةٌ نفيةٌ قاطعةٌ **﴿يُؤَخِّرَ﴾**: لن يُنظر، لن يُؤجل **﴿اللَّهُ نَفْسًا﴾**: جوهر الإنسان، الذي يموت بخروج الروح منه، ولن يتأخر موت إنسانٍ، أو مخلوقٍ، **﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ﴾**:

هو ﷺ أعلم وأخبر ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿تَعْمَلُونَ﴾: قولاً، وعملاً، لا يخفى عليه شيء؛ فهو مجازيكم بأعمالكم.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نجد وصفاً لحالة المنافقين؛ تُعرِّفنا على صفاتٍ أخطرٍ صنِفَ من البشر.



نزلت سورة التغابن بمكة، إلا آيات من آخرها نزلت بالمدينة، وتعدّ سورة التغابن من الصور المسبحات؛ ذلك لأنها تبدأ بتسبيح الله ﷻ، وهي من السور القرآنية ذات الفضل العظيم، والتي تحاول أن تبين لنا مدى عظمة الخالق، كما تحاول أن توعظ المؤمنين وتنبههم من هول يوم القيامة، ومصير الذين أشركوا بالله ﷻ ورقمها (١٠٨) في عدد نزول سور القرآن الكريم.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
(١)

﴿يُسَبِّحُ﴾: يُمَجِّدُ وَيَنْزِعُ ﴿لِلَّهِ﴾: الله ﷻ عمّا لا يليق به من نقصٍ، أو قصورٍ، وهذه آخرُ سور المسبحات، وهي الحديد، والحشر، والصف، والتغابن ﴿وَمَا﴾: الذي من غير العاقل ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما هو فوق الأرض وحولها ﴿وَمَا﴾: أيضاً جاءت مكررةً لتأكيد والتعميم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: كلُّ المخلوقات التي في السماء؛ الكواكب، والنجوم، وما في الأرض من شجرٍ، وحجرٍ، وبشرٍ؛ مؤمنين ﴿لَهُ﴾: حرف تمليك، فهو يملك ﴿الْمُلْكُ﴾: المُتَصَرِّفُ الْمُطْلَقُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ مَلِكِهِ ﴿وَلَهُ﴾: تَخْصِيصًا ﴿الْحَمْدُ﴾: الثناء الحسن ﴿وَهُوَ﴾: ﷻ ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: تعني عموم خلقه ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ لتُفيد العموم ﴿قَدِيرٌ﴾: لا يمنعه شيءٌ، إنّ التسبيح حصنُ المُسَبِّحِينَ.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢)

﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، هنا هو ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد، والمقصود هنا الواحد، الأحد، ﷻ ﴿خَلَقَكُمْ﴾: الذي أوجدكم بصوركم، وطباعكم، وصفاتكم من غير سابق مثالٍ أو وجودٍ ﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿مِنْكُمْ﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية الزمانية والمكانية ﴿كَافِرٌ﴾: وقدم ﷻ صنف الكافر لكثرتهم ﴿وَمِنْكُمْ﴾: جزءٌ آخرٌ ﴿مُؤْمِنٌ﴾: مطمئن القلب بالله ﷻ حقاً وبرسوله ﷻ وملائكته، واليوم الآخر، والقضاء، والقدر ﴿و﴾: عطفاً على ما جاء اعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ بِمَا﴾: بالذي ﴿تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: يعلم علم الرؤية اليقين، ماذا يعمل المؤمن، والكافر.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (٣)

﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق وجودٍ أو مثالٍ ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها بيضاوية الشكل ﴿و﴾: خلق أيضاً ﴿الْأَرْضَ بِ﴾: حرف باء الصلة والمصاحبة وهو يفيد هنا حرف اللام ﴿الْحَقِّ﴾: بالحكمة البالغة ليس عبثاً، هذه السماوات حقيقة، وأوجد الأرض من عدمٍ، في علاقاتٍ غايةٍ في الدقة والتعقيد، وقدر لكلِّ كائنٍ منها مجال حركته، في دوائر مغناطيسية عظيمة، لا يُقدرها إلا خالقها ﷻ، تسير بالعدل وفق ما أراد ﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾: أيضاً جعل أشكالكم وهيئاتكم في أتقن وأحكم صورة ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب ﴿أَحْسَنَ﴾: أفضل وأجمل ﴿صُوَرَكُمْ﴾: إنَّ الذين درسوا علم وظائف وتشريح الإنسان؛ يدركون عظمة هذه الخلقه التي هي من عظمة خالقها، نضرب مثلاً صغيراً: إنَّ وجوه البشر تختلف، وما من حالةٍ في تاريخ البشرية كان أنف إنسان عائفاً أمام رؤيته الكاملة، رغم اختلاف أحجام وأشكال أنوف البشر، واختلاف المساحات بين العينين ﴿و﴾: حرفٌ عطفاً يفيد الحال ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الله ﷻ ﴿الْمَصِيرُ﴾: الرجوع؛ للحساب يوم القيامة، إمّا جنة وسعادة، وإمّا الجحيم والعذاب الدائم.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُغْلِبُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٤)

﴿يَعْلَمُ﴾: الله ﷻ علم الذي أوجد ﴿مَا﴾: الذي ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض وأحاط بها ﴿وَالْأَرْضِ﴾: علم الذي صنعها، وأوجدها، ووضع مواصفاتها ﴿وَيَعْلَمُ مَا﴾: الذي

﴿تُسْرُونَ﴾: ما تُخفونه، ولا تظهروه لغيركم ﴿وَمَا﴾: الذي ﴿تُغْلِبُونَ﴾: ما تنطقون من قول
 ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِ﴾: حرفُ باء التوكيد ﴿ذَاتِ﴾: طبيعةٍ وكنهٍ وجوهرٍ ﴿الصُّدُورِ﴾: المقصود
 القلوب التي في الصدور، يعلم ﷻ طبيعة كل باطن.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٥)

﴿أَلَمْ﴾: حرف استفهام بغرض التقرير والتوبيخ ﴿يَأْتِكُمْ﴾: يصل إليكم حقًا ﴿نَبَأٌ﴾: خبر وما حلَّ
 بهم ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: الذين غطّوا حقائق الإيمان بالله ﷻ،
 وملائكته، وكتبه، ورسله، والقيامة ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء
 الغاية الزمانية ﴿قَبْلُ﴾: الذين جاؤوا قبلكم مثل أقوام نوحٍ، ولوطٍ، وموسى، وهودَ، وصالحٍ،
 وغيرهم عليهم السلام، وكلهم كذّب الرسل ﴿ف﴾: بسبب كفرهم ﴿ذَاقُوا﴾: عانوا وكابدوا ﴿وَبَالَ﴾:
 هو الثقلُ والشدة والوابل هو المطر الثقيل الغزير، هو سوء عاقبة ﴿أَمْرِهُمْ﴾: كفرهم في الدنيا
 ﴿و﴾: عطفاً على عذابهم في الدنيا ﴿لَهُمْ﴾: تحديداً وتخصيصاً ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: شديد يوم
 القيامة.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ

غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (٦)

﴿ذَلِكَ﴾: إشارة لما أصابهم في الدنيا، وما سيصيبهم في الآخرة ﴿ب﴾: حرف باء السبب ﴿أَنَّهُ﴾:
 حرفُ تأكيد الفعل ﴿كَانَتْ﴾: في الماضي ﴿تَأْتِيهِمْ﴾: تصلهم وتبعث فيهم ﴿رُسُلُهُمْ﴾: يُوحى
 الله ﷻ إلى رسله، عليهم السلام، الذين هم فيهم ﴿ب﴾: حرف باء الصلة والمصاحبة
 ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾: الأدلّة، والبراهين والحُجج ﴿ف﴾: بسبب ذلك وفي تتابعٍ سريعٍ ﴿قَالُوا أ﴾: حرف
 استفهام بهدف الإنكار ﴿بَشَرٌ﴾: من جنس الإنسان مثلنا ﴿يَهْدُونَنَا﴾: هل يدُلنا على الحقيقة؛
 أَنهم بشرٌ أمثالنا، ينزل عليهم الوحي من دوننا، ونحن أقوى، وأغنى، وأكثر منهم فكيف نتبعهم؟
 ﴿فَكَفَرُوا﴾: كذّبوا بالحق، وغطّوا الحقائق ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُعيد الحال ﴿تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا
 عن الإيمان الحق ﴿وَاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾: إنَّ الله غنيٌّ عن الخلق ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾: مالك كلِّ شيءٍ،
 لا يحتاج إلى شيء من خلقه؛ إنَّه ﴿حَمِيدٌ﴾: المحمودُ على كلِّ شيءٍ، أقواله، وأفعاله ﷻ.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٧)

﴿زَعَمَ﴾: ادعى زوراً، وبهتاناً ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: الكافرون بالله ﷺ ﴿أَنْ﴾: حرفٌ تأكيد الفعل ﴿لَنْ﴾: حرف نفي ﴿يُبْعَثُوا﴾: لا يعودون بعد أن ذابوا في تراب الأرض ﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ ﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب وتصديق ﴿وَ﴾: واو القسم ﴿رَبِّي﴾: هو المعبود، والمُرَبَّى، والمصلح، والسيد، فهو مالك أمري كله، وهذه واحدة من الآيات الثلاث التي أمر الله ﷺ رسوله أن يقسم بربه على وقوع المعاد؛ ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس-٥٣]، وقوله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ-٣]، وقوله ﷺ ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن-٧] ﴿لَنْ﴾: حرف تخصيص ﴿تُبْعَثُنَّ﴾: تقومون بالتأكيد من قبوركم يوم البعث؛ يوم القيامة ﴿ثُمَّ﴾: في تتابعٍ زمنيٍّ على التراخي ليس فوراً ﴿لَتُنَبَّؤُنَّ﴾: حرف "ل" علةٌ وسببٌ تُخبرون بكل تأكيد ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿عَمِلْتُمْ﴾: سترون كتبكم، وتستلمونها بشمائلكم؛ أحصى الله ﷺ عليكم فيها كل ما فعلتم، وما عملتم ﴿وَ﴾: عطفًا على هذا؛ اعملوا أن ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد، أن البعث والإخبار عن أعمالكم، وما سيصيبكم ﴿عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: لا يمنعه ولا يعيقه ﷺ شيءٌ في بعثكم وكشف أعمالكم.

﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٨)

﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿أْمِنُوا﴾: صدقوا وتيقنوا أيها المشركون ﴿ب﴾: حرف باء الصلة ﴿اللَّهِ﴾: ربًّا؛ الخالق، البارئ، المصور ﴿وَرَسُولِهِ﴾: محمد بن عبد الله ﷺ ﴿وَ﴾: أيضًا ﴿النُّورِ﴾: أطلق النور على القرآن الكريم بطريق الاستعارة ﴿الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾: جاء اللفظ القرآني "النور" على عشرة أوجه هنا بمعنى الحلال والحرام التي جاءت في القرآن الكريم؛ يُنير الظلمات؛ ويبدد الشبهات ﴿وَ﴾: حرفٌ عطفٌ يفيد الحال؛ اعملوا

أَنَّ **﴿اللَّهُ بِمَا﴾**: بالذي **﴿تَعْمَلُونَ﴾**: من خيرٍ أو شرٍ **﴿خَبِيرٌ﴾**: يعلم ما أخفيتم، وما أعلنتم؛ كلٌّ في كتاب.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٩)

﴿يَوْمَ﴾: القيامة **﴿يَجْمَعُكُمْ ل﴾**: حرف علّةٍ وسببٍ اذكروا **﴿يَوْمِ الْجَمْعِ﴾**: يوم القيامة، حيث يحشر الله ﷻ فيه الأولين والآخرين، في صعيدٍ واحدٍ، يسمعون الداعي، ويراهم البصير **﴿ذَلِكَ﴾**: إشارة للبعيد **﴿يَوْمِ التَّغَابُنِ﴾**: يفيد مبادلة الخير بالشر، فيما يُشبهه المبادلة والتعويض والتجارة؛ يوم يظهر فيه غُبن وخسارة أهل النَّار، قَالَ مُجَاهِدٌ: **﴿التَّغَابُنُ﴾**: غَبْنُ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَهْلَ النَّارِ^(١)، وقال ابن عباس: هو اسم من أسماء الله يوم القيامة، حيث يرثُ المؤمنون منازل أهل النَّار في الجنة، ويرث أهل النَّار منازل أهل الجنة في النَّار، وقال مقاتل بن حيان: لا غُبن أعظم من أن يدخل هؤلاء أهل الجنة، ويذهب بهؤلاء إلى النَّار **﴿وَمَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿يُؤْمِنُ بِ﴾**: حرف باء السببية **﴿اللَّهِ﴾**: إيمان يقين وتسليم **﴿و﴾**: أيضًا **﴿يَعْمَلُ﴾**: يكون العمل مصحوبًا بالنية ويكون الفعل مصحوبًا بالحواس **﴿صَالِحًا﴾**: كلٌّ ما أحلّه الله ﷻ **﴿يُكْفِرُ﴾**: يمحو الله ﷻ **﴿عَنْهُ﴾**: حرف يفيد التجاوز **﴿سَيِّئَاتِهِ﴾**: ذنوبه؛ فيدخل الجنة **﴿و﴾**: عطفًا على ما سبق **﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي﴾**: ليست أنهار راکدة **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية **﴿تَحْتِهَا﴾**: تحت قصورها **﴿الْأَنْهَارِ خَالِدِينَ﴾**: مُقيمين ماكثين **﴿فِيهَا أَبَدًا﴾**: الأبد هو مُدَّةُ الزمان الممتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان **﴿ذَلِكَ﴾**: إشارة للقريب والبعيد، دخول الجنة **﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**: وهل من فوزٍ أعظمٍ من النجاة من النَّار، ودخول الجنة. التكليف: فليجهز كل إنسان نفسه، ويحدد لأيّ الفريقين يذهب في الآخرة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١٠)
﴿وَالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا أيضًا جميع مَنْ **﴿كَفَرُوا﴾**: أنكروا أصول الإيمان **﴿وَكَذَّبُوا﴾**: أنكروا صدقها **﴿ب﴾**: حرف باء الصلة والصحبة **﴿آيَاتِنَا﴾**: البراهين الدالّة على الإيمان، فإن

(١) صحيح البخاري ١٥٥/٦

مكان حجزهم وإقامتهم ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد ﴿أَصْحَابُ﴾: الملازمون أبداً ﴿النَّارِ﴾: أصحابين لجهنم؛ قائمين فيها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: إقامتهم في النار دائمة؛ لا خروج منها ﴿وَبُئْسَ﴾: تعيد كل شرٍ وضررٍ ﴿الْمَصِيرُ﴾: ساء المآل الأبدي، هذا قدحٌ وذمٌّ، ذكر المساوي، وهي عكس المدح لهذا المآل.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١١)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿أَصَابَ﴾: وقعت ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿مُصِيبَةٍ﴾: أي ضررٍ أو مكروه يُصيب المخلوق ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿إِذْنِ﴾: أمر وإرادة ﴿اللَّهِ﴾: بقضاء الله وقدره ﴿وَمَنْ﴾: الذي من بني آدم ﴿يُؤْمِنُ بِ﴾: حرف باء السببية ﴿اللَّهُ يَهْدِي قَلْبَهُ﴾: للتسليم بأمره ﷺ والرضا بقضائه، وجاء اللفظ القرآني هدى هنا بمعنى استرجع؛ كما قال سعيد بن جبیر: يسترجع؛ يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ويوفقه للتسليم بالقضاء، والصبر على المصائب؛ لأنه أرجع الأمر إلى الله ﷻ، فمن علم أنّ ما أصابه بقضاء الله وقدره؛ فصبر واحتسب، عوضه الله ﷻ عما فاتته في الدنيا، قال ابن عباس: يقيناً في القلب، وقال الأعمش: فيرضى ويسلم، عن صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ^(١) ﴿وَاللَّهُ بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿كُلِّ﴾: تعيد عموم الأشياء ﴿شَيْءٍ﴾: وجاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد العموم ﴿عَلِيمٌ﴾: علم الخالق، وهو ﷻ الأكمل علماً.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (١٢)

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾: جاء تكرار أمر الطاعة للزيادة في التأكيد على فعل الطاعات، وطاعته بتحقيق ما شرع الله ﷻ في النفس باليقين، وعمل ما أمر به، وترك ما نهي عنه، أي تطبيق شرع الله ﷻ ﴿فَإِنْ﴾: حرف تأكيد الفعل، بمعنى إذا ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾: إذا تأكد لنا أنكم أعرضتم عن طاعة الرسول ﷺ؛ إن نكلتم عن العمل ﴿فَإِنَّمَا﴾: حرف تحديدٍ وتخصيصٍ ﴿عَلَى رَسُولِنَا﴾

(١) صحيح مسلم ٤/٢٢٩٥ (٢٩٩٩).

الْبَلَاغُ الْمُبِينُ: فَإِنَّ عَلَيْهِ ﷺ مَا حُمِّلَ مِنَ الْبَلَاغِ، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ مِنَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ؛ قَالَ الزَّهْرِيُّ: فَمِنَ اللَّهِ الرَّسَالَةَ، وَعَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٣)

﴿اللَّهُ﴾: المعبود المستحق للطاعة **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿إِلَهَ﴾**: معبود **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿هُوَ﴾**: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، هنا المقصود هو الله ﷻ وحده لا معبود بحقٍ سواه، هذا أمرٌ بتوحيد المعبود **﴿و﴾**: حرف عطفٍ يُفيد الحال، عطفًا على الاعتراف بوحداية الله تعالى **﴿عَلَى اللَّهِ فَ﴾**: لهذا السبب **﴿ن﴾**: حرف علّةٍ وسبب **﴿يَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾**: بعد الإخلاص يأتي الاعتماد على الله ﷻ وتفويضه في كلِّ أمرٍ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرفُ نداءٍ للقريب والبعيد **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ **﴿آمَنُوا﴾**: من شهد لهم الله ﷻ بالتصديق والطاعة **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشكِّ والإنكار **﴿مِنْ﴾**: حرف جرٍّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية **﴿أَزْوَاجِكُمْ﴾**: من الأزواج، والزوجات **﴿وَأَوْلَادِكُمْ﴾**: أيضًا البنين والبنات **﴿عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾**: منهم من يُلْهِمُكُمْ، وَيُثَبِّطُكُمْ، وَيُضَدِّكُمْ عن العمل الصالح، قال مجاهد: يحملكم على قطيعة الرحم **﴿وَإِنْ﴾**: إذا **﴿تَعَفَّوْا﴾**: تتجاوزوا عن سيئاتهم **﴿وَتَغْفِرُوا﴾**: تسامحهم وتستروها عليهم **﴿فَإِنَّ﴾**: بالتأكيد **﴿اللَّهُ غَفُورٌ﴾**: فإنَّ الله ﷻ يُسامح، فلا تتركوهم في غيِّهم، لا بد من إصلاحهم أولًا **﴿رَحِيمٌ﴾**: إنَّ رحمته ﷻ واسعة.

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٥)

﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصرٍ تُفيد التحديد **﴿أَمْوَالِكُمْ﴾**: ثرواتكم **﴿و﴾**: أيضًا **﴿أَوْلَادِكُمْ﴾**: وأحفادكم **﴿فِتْنَةٌ﴾**: إنَّ الأولاد والأموال من عوامل القوة، وهي بلاءٌ واختبارٌ من الله ﷻ لخالقه؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصي **﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ﴾**: ثوابٌ **﴿عَظِيمٌ﴾**: يُثيب من يطيعه، عَنْ يَعْلَى الْعَامِرِيِّ،

أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يَسْعِيَانِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَضَمَّهُمَا إِلَيْهِ وَقَالَ: إِنَّ الْوَلَدَ مَبْخَلَةٌ مَجْبُتَةٌ^(١)، أي مجبنة من الجبن، ومبخلة من البخل؛ أي تدفع إلى الجبن، وتدفع إلى البخل.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ

هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٦)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: اعملوا ما أَرَادَ، وانتهوا عما نهى عنه إِنَّ التَّقْوَى بِالْقَلْبِ، والتصديق بالجوارح وفق شرع الله ﷻ، فقد نزلت الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران-١٠٢]؛ فلما علم بها المسلمون اشتد عليهم العمل فقاموا حتى تورمت عراقيبهم، وفرضت جباههم، فنزلت هذه الآية تخفيفاً عنهم ﴿مَا﴾: الذي ﴿اسْتَطَعْتُمْ﴾: هذه نسخت الأولى، والأمر هنا بالاستطاعة ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿أَسْمِعُوا﴾: كلام الله ﷻ ورسوله ﷺ فهما صحيحا ﴿وَأَطِيعُوا﴾: انقادوا لما جاءكم من الأمر، ولا تتصرفوا عنه ﴿وَأَنْفِقُوا﴾: في سبيل الله ﷻ ﴿خَيْرًا لِّ﴾: حرف تخصيص ﴿أَنْفُسِكُمْ﴾: أعطوا مما آتاكم الله ﷻ على الأقارب، والفقراء، والمساكين، وأحسنوا المعاملة لكلِّ النَّاسِ ﴿وَمَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يُوقِ﴾: يتقي، يكف عن ﴿شَحْحِ﴾: بخلها الشديد مع حرصها ﴿نَفْسِهِ﴾: يكبح جماح بخل نفسه الشديد، وطمعها بما في أيدي النَّاسِ. انظر تفسير [الحشر-٩] ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الذين يكسبون قبول النَّاسِ لهم في الدنيا، ورضا الله ﷻ في الآخرة؛ فيدخلون الجنة.

﴿إِنْ تَقْرِبُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١٧)

﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿تَقْرِبُوا اللَّهَ﴾: تُنْفِقُوا من أموالكم في سبيل الله ﷻ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي، فَأَبَى أَنْ يُقْرِضَنِي وَسَبَّيْنِي عَبْدِي، وَلَا يَدْرِي يَقُولُ: وَادَّهَرَا هُوَ دَهْرَاهُ، وَأَنَا الدَّهْرُ ثُمَّ تَلَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنْ تَقْرِبُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾^(٢)، ﴿قَرَضًا حَسَنًا﴾: جاء اللفظ القرآني "الحسن" هنا بمعنى الاحتساب ما تصدقتم به أنزله الله ﷻ منزلة القرض له ﷻ، واحتسبه لكم، كما في قوله ﷻ

(١) سنن ابن ماجه ١٢٠٩/٢ (٣٦٦٦) قال الألباني: صحيح.

(٢) المستدرک على الصحيحين للحاكم ٥٣٣/٢ (٣٨١٦) وقال: حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. ووافقه الذهبي.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة-٢٤٥]، وفي قوله ﷺ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد-١١]، وعن أبي هريرة ؓ، قال ﷺ: مَنْ يُقْرِضْ غَيْرَ عَدُوْمٍ، وَلَا ظُلْمٍ (١)؛ أي لا يظلم نفسه، ولا يعدمها ما تملك، وقيل تُرْدُ إليه صدقته إليه يوم القيامة كاملة ﴿يُضَاعِفُهُ﴾: يجزي كثيرًا عن قليل؛ الحسنه بعشر أمثالها، والله يُضَاعِفُ لمن يشاء ﴿لَكُمْ﴾: تحديداً وتخصيصاً، هنا تشبيهة حيث شُبّه الإنفاق في سبيل الله ﷻ والتصدق على الفقراء بمن يقرض الله ﷻ القرض الحسن بفوائد كثيرة ﴿و﴾: أيضاً ﴿يَغْفِرُ﴾: يمحو الذنوب ﴿لَكُمْ﴾: يكفر عن السيئات مغفرة، وجزاءً حسناً ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾: يُعْطِي كثيراً لمن شكره من عباده ﴿حَلِيمٌ﴾: يغفر، ويستتر، ويتجاوز عن الذنوب.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨)

﴿عَالِمٌ﴾: يعلم الله ﷻ علم اليقين، علم الذي أوجد ﴿الْغَيْبِ﴾: هو كلُّ ما يغيب عن خلقه في السماء، وما في الأرض، فيما سبق الخلق، مصير كلِّ شيءٍ ومآله يوم القيامة ﴿و﴾: أيضاً عالم ﴿الشَّهَادَةِ﴾: كلُّ ما يراه الخلق، ويشاهدونه ويشهدون عليه ﴿الْعَزِيزُ﴾: الذي لا يُغَالِبُهُ أحدٌ، ولا يحتاجُ إلى نصره أحدٌ ﴿الْحَكِيمُ﴾: في أقواله، وأفعاله، قول الشيء في محله الصحيح، وفعل الفعل في محله الصحيح، ﷻ؛ انظر تفسير [الرعد-٩].

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة نُدرِك التحذير الشديد من الكفر وأهله؛ بسبب خسارتهم الفادحة.



سُمِّيت سورة الطلاق بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير؛ ووجه التسمية أن لفظ الطلاق جاء فيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ وسماها بعضهم سورة النساء الصغرى،

(١) صحيح مسلم ٥٢٢/١ (٧٥٨).

وهي سورة مدنية بالاتفاق، وترتيبها (٩٩) في ترتيب السور، ونزلت بعد سورة الإنسان، وقبل سورة البينة، وعدد آياتها (١٢) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ (١)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: نداء للبعيد والقريب ﴿النَّبِيِّ﴾: خطابٌ للرسول، وتكريماً من الله ﷻ لنبيه ورسوله ﷺ: ومنه إلى كلِّ مسلم إلى يوم القيامة ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط بين ما بعدها بما قبلها ﴿طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَ﴾: حرف سبب ﴿طَلِّقُوهُنَّ ل﴾: حرف سبب ﴿عَدَّتِهِنَّ﴾: مستقبلات لعدتهن؛ قال عبد الله بن عمر: والعدَّة هي الطُّهر من الحيض من غير جماع، وقال ابن عباس: لا يُطلقها وهي حائضٌ، ولا في طُهرٍ جامعها فيه، وأنواع الطلاق: طلاق سُنَّة: أي يُطلقها طاهرةً من غير جماع، أو حاملاً استبان حملها، و طلاق بدعة: إذا طلقها في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه، ولا يدري أحملت أم لا، و طلاق لا سُنَّة فيه ولا بدعة: وهو طلاق الصغيرة التي لم تحض، وطلاق الآيسة، التي لم تعد تحض، وطلاق غير المدخل بها ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿أَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾: احفظوا تاريخها، اعرّفوا ابتداءها، وانتهاءها؛ لتعلموا وقت الرجعة؛ إن أردتم إرجاعها، وهي ثلاثة قروء ﴿و﴾: عطفاً على ما جاء ﴿اتَّقُوا﴾: خافوا عذاب ﴿اللَّهِ رَبَّكُمْ﴾: مالك أمركم كلّهُ؛ خافوا غضب الله ﷻ ﴿لَا﴾: حرف نهي وتحريم ﴿تُخْرِجُوهُنَّ﴾: لا تطردوهن ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿بُيُوتِهِنَّ﴾: بطلب منكم ﴿وَلَا﴾: حرف تحريم ﴿يَخْرُجْنَ﴾: بمحض إرادتهن ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَأْتِيَنَّ ب﴾: حرف باء الصلة ﴿فَاحِشَةٍ﴾: معصية ﴿مُبَيِّنَةٍ﴾: وهي تشمل: قال ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، ومجاهد، وعكرمة، وغيرهم: الزنا، وقيل النشوز بمعصية الزوج، أو إهانته باللسان، وقيل إذا أساءت بلسانها إلى أهل زوجها، أو بأفعالٍ مسيئةٍ لهم ﴿وَتِلْكَ﴾: اسم إشارة للبعيد المؤنث

﴿حُدُودٌ﴾: أحكام وشرع ﴿اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾: من يخرج عن الحدود، ويتجاوزها بفعل غيرها، ولا ياتمر بها ﴿فَقَدْ﴾: يفيد التحقق في الماضي ﴿ظَلَمَ﴾: أوقع وأورد ﴿نَفْسَهُ﴾: فيما حرّم الله ﷻ؛ فاستحقت العقاب من الله ﷻ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَذَرِي﴾: تعلم ﴿لَعَلَّ﴾: حرف يُفيد التحقق لأنها جاءت من عند الله ﷻ ﴿اللَّهُ يُحَدِّثُ﴾: يُظهر ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: حرف يُفيد الزمن القادم البعيد ﴿أَمْرًا﴾: حدثًا لا تعرفه، ولا تتوقعه فتراجعها.

التكليف: إن من رحمة الله ﷻ بعباده أن شرّع لهم في حالات الطلاق ما يحفظ الحقوق.

﴿فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢)

﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ، ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط بين ما بعدها بما قبلها ﴿بَلَغَ الْأَجَلُ﴾: أشرفت المرأة المعتدة، التي هي في فترة العدة، على انتهاء مدة العدة ولو بقليل من الأيام ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: يعزم الزوج على إمساكها، أي رجعتها إلى عصمته على ما كانت عليه عنده ﴿ب﴾: حرف باء الالتصاق ﴿مَعْرُوفٍ﴾: محسنًا إليها في معاملته ﴿أَوْ﴾: حرف يُفيد تسوية بين شيئين يفيد التخيير أيضًا ﴿فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: جاء لفظ الطلاق بمعنى الفراق، أن ينفصلا من غير كلام، أو فعل قبيح، ولا شتائم ولا تعنيف، يطلقها بأسلوب حسن ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿أَشْهِدُوا﴾: اجعلوا شهودًا اثنين على الرجعة، أو على الطلاق ﴿ذَوِي﴾: أصحاب ﴿عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾: اثنان من الرجال العدول، من الذين يُشهد لهما بالصلاح، فلا يجوز في نكاح زواج، ولا طلاق ولا إرجاع، إلا شاهد عدل ﴿وَأَقِيمُوا﴾: أدوا وحققوا ﴿الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾: أشهدوا بما عملتم إرضاءً لله ﷻ، وخوفًا من عقابه في الدار الآخرة؛ واعلموا أنه ﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة للبعيد ﴿يُوعِظُ بِهِ﴾: يأمر به الله ﴿مَنْ﴾: الإنسان ﴿كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: يوم القيامة ﴿وَمَنْ﴾: أيضًا الذي من جنس العاقل ﴿يَتَّقِ اللَّهَ﴾: يخشى غضب الله فيما أمر به ﷻ، وترك ما نهى عنه ﴿يَجْعَلْ لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿مَخْرَجًا﴾: سيجعل الله ﷻ له فرجًا من كل مشاكله.

﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (٣)

﴿وَيَرْزُقُهُ﴾: يكتب له من الرزق، المال، والولد، ووسائل العيش الكريمة ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿حَيْثُ﴾: ظرف يدلُّ على الزمان والمكان ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَحْتَسِبُ﴾: من حيث لا يخطر بباله ولا ينتظر، ولا يُقدِّر، ولا يأمل ﴿وَمَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَتَوَكَّلْ﴾: من يُلقي حاجته وحمله ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ ﷻ ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المذكر، هنا هو ﷻ ﴿حَسْبُهُ﴾: كافيته، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا^(١) ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي والشك والإنكار ﴿اللَّهُ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾: مُنفذُ قضاءه، وأحكامه في خلقه بما يريد ﴿قَدْ﴾: حرف جرّ أفاد التأكيد لأنه دخل هنا على الفعل الماضي ﴿جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾: تفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة لتؤكد عموم الأشياء ﴿قَدْرًا﴾: جعل لكلِّ شيءٍ أجلًا ينتهي إليه وجاء بالمعنى نفسه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد-٨].
﴿وَاللَّائِي يَيْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (٤)

﴿و﴾: أيضًا ﴿اللَّائِي﴾: اسم موصول يفيد الجمع المؤنث ﴿يَيْسَنَ﴾: انقطع رجأؤهن من الحمل لكبر عُمرهن ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿الْمَحِيضِ﴾: وجود الحيض هو دلالةٌ على إمكانية الحمل ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ﴾: المرأة التي انقطع عنها الحيض؛ لكبر سنّها ﴿إِنْ﴾: حرف شرط؛ بمعنى إذا ﴿ارْتَبْتُمْ﴾: قولان: الأول: إن رأين؛ شاهدين دماً وشككتكم في كونه حيضاً، أو استحاضة، وارتبتم فيه، و الثاني: إن ارتبتم في حكم عدتّهن، ولم تعرفوه ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿عِدَّتُهُنَّ﴾: الفترة الزمنية المعتمدة ﴿ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾: قال ابن جرير، وجبير: هذا هو الأظهر ﴿و﴾: أيضًا ﴿اللَّائِي لَمْ﴾: حرف نفي

(١) سنن الترمذي ٥٧٣/٤ (٢٣٤٤) وقال: حديث حسن صحيح.

﴿يَحْضَنُ﴾: أي صغار السن من النساء ﴿وَأُولَاتُ﴾: صاحبات ﴿الْأَحْمَالِ﴾: المرأة الحامل؛ فعدتها هي نزول المولود، ولو كان بعد الطلاق ﴿أَجْلُهُنَّ﴾: مدة العدة ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾: أي تضع مولودها ﴿وَمَنْ﴾: من جنس العاقل ﴿يَتَّقِ اللَّهَ﴾: يعمل بأوامره، وينتهي عن مُحْرَمَاتِهِ ﷺ ﴿يَجْعَلُ لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾: مشاكلة ﴿يُسْرًا﴾: يُسهّل الله ﷻ له أمره.

التكليف: تنتهي عدة المرأة الحامل بأبعد الأجلين.

﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا﴾ (٥)

﴿ذَلِكَ﴾: هذا الحكم في الطلاق، والرجعة، والعدة، إشارة للبعيد ﴿أَمْرٌ﴾: قدرٌ ومشئئة ﴿اللَّهُ﴾: هو حكم الله وشرعه ﷻ ﴿أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾: يا أيها المؤمنون على رسوله ﷺ ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿مَنْ﴾: الذي من بني آدم ﴿يَتَّقِ اللَّهَ﴾: يعبده عبادة من يشاهد بعينه، ويؤمن بقلبه ﴿يُكْفِرُ﴾: يذهب، ويمحو، ويغفر ﴿عَنْهُ﴾: حرف يُفيدُ التجاوز ﴿سَيِّئَاتِهِ﴾: ذنوبه التي ارتكبتها ﴿وَيُعْظِمُ﴾: يُجزلُ، ويزيدُ، ويُباركُ ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿أَجْرًا﴾: له الثواب. إن تقوى الله ﷻ تمحو الذنوب وتُعْظِمُ الأجرور.

التكليف: تنتهي عدة المرأة الحامل بأبعد الأجلين.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِنُضَيْقِوْنَ عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسْتَضِعْ لَهُ أُخْرَى﴾ (٦)

الآية تخص المطلقات؛ فيأمر الله ﷻ الأزواج بالآتي: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ﴾: حرف يُفيدُ بداية الغاية المكانية ﴿حَيْثُ﴾: ظرفٌ يدلُّ على المكان ﴿سَكَنْتُمْ﴾: في مساكنكم، عندكم ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية وبعض ﴿وُجْدِكُمْ﴾: قال: ابن عباس: من سعتكم، من طاقتكم، وقال قتادة: إن لم تجد إلا جنب بيتك؛ فأسكنها فيه ﴿وَلَا﴾: حرف نهي وتحريم ﴿تُضَارُوهُنَّ﴾: لا تسبوا لهن الضرر ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿نُضَيْقُوا عَلَيْهِنَّ﴾: في المسكن والنفقة؛ قال مقاتل وابن حيان: يُضَيِّقُ عليها؛ لتسامحه بمالها، أو تخرج من مسكنه،

وقال الثوري: يُطلقها حتى إذا بقي لها يومان راجعها، وأيضًا من التضييق؛ مصاريف السكن، والأكل، والعلاج، وغيره ﴿وَأِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنَّ﴾: كانت المطلقات ﴿أُولَاتٍ﴾: صاحبات ﴿حَمَلٍ﴾: إذا طلقت الحوامل منهن ﴿فَ﴾: حرف ربط جواب الشرط، بسبب الحمل ﴿أَنْفَقُوا عَلَيْهِنَّ﴾: حدّوا لهنّ مصاريف معيشتهن ﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يفيد انتهاء الغاية الشرطية، وهو الحمل هنا ﴿يَضَعْنَ حَمَلَهُنَّ﴾: يلدن، في الطلاق البائن على الرجل أن يُنفق عليها حتى تضع مولودها، أمّا المرأة الرجعية التي يحق إرجاعها يجب نفقتها سواءً كانت حاملاً أم لا، وقيل في السياق كلّه المرأة التي هي رجعية حتى لا يظنّ الرجلُ المطلق أنّ النفقة في فترة العدة فقط ﴿فَإِنْ﴾: حرف شرط؛ فإذا ﴿أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾: أولادكم منهن ﴿فَأَتَوْهُنَّ﴾: أعطوهن وارزقوهن ﴿أُجُورَهُنَّ﴾: كناية عن المهور، والأجر والأجرة يقال فيما كان عن عقد، وما يجري مجرى العقد، ولا يُقال إلّا في النفع دون الضرر؛ أي أنفقوا عليهن مستحقّاتهن، فإذا وضعن حملهن وهن طالق؛ وأصبحت بائنة بانقضاء عدتها، فإنّ أرضعن استحققت منكم أن تدفعوا لهن مقابل الرضاعة ﴿وَ﴾: عطفاً على ما جاء ﴿أَتَمُّرُوا﴾: تشاوروا في الأجر والإرضاع ﴿بَيْنَكُمْ بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿مَعْرُوفٍ﴾: أن يكون التعامل بينكم بالتي هي أحسن، ليأمر بعضكم بعضاً بذلك، السماحة والطيبة ﴿وَأِنْ﴾: حرف شرط ﴿تَعَاَسَرْتُمْ﴾: تضايقتم وتشاحنتم، إذا اختلف الرجل مع المرأة، أو إذا طلبت المرأة كثيراً، ولم يستجب لها الرجل، أو أنفق أقلّ ولم توافقه ﴿فَ﴾: لهذا السبب ﴿سَ﴾: حرفٌ يُفيد تأكيد عملٍ في المستقبل ﴿تَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى﴾: فعليه أن يسترضع لطفله من غيرها؛ فإنّ رضيت الأم بما رضيت به الأجنبية؛ فالأم أولى بالرضاعة.

﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (٧)

﴿ل﴾: حرف تمليك وتخصيص، على الرجل أن ﴿يُنْفِقَ﴾: الذي هو ﴿ذُو﴾: صاحب ﴿سَعَةٍ﴾: قدرةٍ ومالٍ ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية ﴿سَعَتِهِ﴾: إن كان والدُ المولود ميسوراً؛ فعليه أن ينفق بحسب قدرته ﴿وَمَنْ﴾: وأمّا الذي ﴿قُدِرَ﴾: ضيقٌ ﴿عليه رِزْقُهُ﴾: وكان دخله قليلاً ﴿فَ﴾: بسبب هذا ﴿لِيُنْفِقَ مِمَّا﴾: بعض أو جزء الذي ﴿آتَاهُ﴾: رزقه

﴿اللَّهُ﴾: أن ينفق الوالد على الوليد بقدر ما يقدر ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿يَكْلَفُ﴾: يأمر ﴿اللَّهُ﴾
 ﴿نَفْسًا﴾: إنسانًا ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مَا آتَاهَا﴾: ومن ضيق عليه في الرزق وهو الفقير
 فليُنفق مما آتاه الله ﷻ فليس على الفقراء أن ينفقوا فوق طاقتهم ﴿س﴾: حرف تأكيد الفعل في
 المستقبل ﴿يَجْعَلُ﴾: يُغَيِّرُ ويهيئ ﴿اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ﴾: بعد نقص المال ﴿يُسْرًا﴾: إن الله ﷻ يعد،
 ووعده الحق إذا أنفق المُنفق امتثالاً لله ﷻ؛ سوف يبسر له سعةً وغنى بعد هذا العسر.

التكليف: من الواضح أن الله ﷻ يُشَرِّعُ ما يحفظ حق الشرائح الضعيفة في المجتمع المسلم.

﴿وَكَايُنَ مِنْ قَرِيَةٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾
 (٨)

﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال ﴿كَايُنَ﴾: اسم كناية مركب من كاف التشبيه وأيّ المنونة يُفيد
 الكثرة العددية ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿قَرِيَةٍ﴾
 ﴿عَنَّتْ﴾: عصت، وتجبرت، وتمردت، وطغت ﴿عَنْ﴾: حرف جرّ يُفيد المجاوزة ﴿أَمْرِ رَبِّهَا﴾:
 هو ﷻ المُعبود، والمُرَبِّي، وهو المنشئ للكون من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام وهو الخالق،
 والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدَبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ،
 والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، فهو ﷻ مالك أمرها كلّه عن شرع الله ﷻ ﴿وَرُسُلِهِ﴾ الرسل جميعًا
 الذين أرسلوا لهم ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿حَاسِبْنَاهَا﴾: عاقبناها، جاءت بصيغة الجمع؛ لتعظيم
 الفعل من الفاعل العظيم ﴿حِسَابًا﴾: عقابًا ﴿شَدِيدًا﴾: كان حساب الله ﷻ لها، وعقابه موجعًا
 جدًّا ﴿وَعَذَّبْنَاهَا﴾: سببنا لها الألم ﴿عَذَابًا نُكْرًا﴾: مُنكرًا فظيعةً.

﴿فَدَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ (٩)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿دَاقَتْ﴾: تجرعت، عرفت، وعانت عذاب النفس وعذاب الجسد
 ﴿وَبَالَ﴾: سوء عاقبة ﴿أَمْرِهَا﴾: جاء اللفظ القرآني الأمر على ثلاثة عشر وجهًا؛ هنا بمعنى
 الذنب؛ أي عاقبة ذنوبها ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿كَانَ﴾: وبقى حُكمًا ﴿عَاقِبَةُ أَمْرِهَا﴾:
 مصيرها ﴿خُسْرًا﴾: مصيرها في الدنيا خسارةً وهلاكًا، وفي الآخرة، مصيرها النَّار.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾
(١٠)

﴿أَعَدَّ اللَّهُ﴾: جهّز الله ﷻ ﴿لَهُمْ﴾: وهياً، لهم في الدنيا ﴿اللَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾: في الدنيا، وفي الآخرة عذاباً بالغ الشدّة ﴿ف﴾: حرف استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: آمنوا بقناعة؛ طمعاً في رحمته، وخوفاً من عذابه ﴿يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿أُولِي﴾: أصحاب ﴿الْأَلْبَابِ﴾: العقول الواعية، والفهم السليم ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد هنا جميع من ﴿آمَنُوا﴾: صدّقوا بالله ﷻ ربّاً، وبرسله، وبكتبه، وباليوم الآخر، والقضاء، والقدر ﴿قَدْ﴾: حرف جرّ أفاد التأكيد؛ لأنه دخل هنا على الفعل الماضي ﴿أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: وحياً ﴿إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾: هو القرآن الكريم.

﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ (١١)

﴿رَسُولًا﴾: هو محمد ﷺ وقد يكون المقصود جبريل عليه السلام ﴿يَتْلُو﴾: يُعَسِّرُ وَيُوضِّحُ ﴿عَلَيْكُمْ﴾: لكم ﴿آيَاتِ﴾: الأدلّة والبراهين من ﴿اللَّهُ مُبَيِّنَاتٍ﴾: الواضحة الجليّة ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿يُخْرِجَ الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد هنا جميع من ﴿آمَنُوا﴾: بالله ورسوله ﷺ ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: وأتبعوا إيمانهم بالعمل وفق ما شرّعه الله ﷻ ﴿مَنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿الظُّلُمَاتِ﴾: من ظلمات الكفر، والجهل ﴿إِلَى النُّورِ﴾: نور الإيمان والعلم الصادق ﴿وَمَنْ﴾: أيضاً الذي من بني آدم ﴿يُؤْمِنُ﴾: يُصَدِّقُ يَقِينًا ﴿ب﴾: حرف باء التوكيد يصدّق ﴿اللَّهُ وَيَعْمَلْ﴾: يكون العمل مصحوباً بالنية ويكون الفعل مصحوباً بالحواس ﴿صَالِحًا﴾: يُطَبِّقُ مَا أَمَرَ اللَّهُ ﷻ ؛ يكون نصيبه في الآخرة ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾: وليس جنة واحدة ﴿تَجْرِي مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: زيادة في المتعة ﴿خَالِدِينَ﴾: ماكتين أبداً بلا انقطاع ﴿فِيهَا﴾: في الجنة ﴿أَبَدًا﴾: الأبد عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان؛ توكيداً على البقاء الأبديّ في الجنة، لا خروج منها؛

وبذلك ﴿قَدْ﴾: حرفُ جرٍّ أفاد التأكيدَ لأنه دخل هنا على الفعل الماضي ﴿أَحْسَنَ﴾: تَكْرَمَ وتفضل ﴿اللَّهُ لَهُ﴾: تمليكًا وتخصيصًا ﴿رِزْقًا﴾: المال الحلال.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٢)

يختم الله ﷻ هذه السورة ببيان قدرته ﷻ التامة، وسلطانه العظيم؛ ليعظم الإنسان ما شرع ﷻ ﴿اللَّهُ الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد، والمقصود هنا الله ﷻ ﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق وجود ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾: هي كل ما علا الأرض وأحاط بها؛ بسبب طبيعة الأرض الكروية، لا يعلمها إلا هو، ومن أطلع عليها من ملائكته ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يفيد الحال ﴿مِنَ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾: وخلق سبعة من الأرضين لا يعلمهن إلا الله ﷻ، فنحن نعيش على الأرض التي نعرف فقط. انظر [الطلاق-١٢] ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾: يرسل الله ﷻ مع ملائكته ﴿ل﴾: حرفٌ علّةٍ وسببٍ ﴿تَعْلَمُوا﴾: تُدركوا يقينًا ﴿أَنَّ﴾: حرفٌ تأكيدٍ ونفي الإنكار والشك ﴿اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: لا يُعجزه شيءٌ ﴿وَأَنَّ﴾: حرفٌ تأكيدٍ ونفي الإنكار بصيغة النكرة لتؤكد جميع الأشياء ﴿قَدِيرٌ﴾: لا يُعجزه شيءٌ ﴿وَأَنَّ﴾: حرفٌ تأكيدٍ ونفي الإنكار والشك ﴿اللَّهُ قَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿أَحَاطَ﴾: جمع من غير نقصان ﴿بِ﴾: حرفٌ باء التوكيد ﴿كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة لتؤكد عموم الشيء ﴿عِلْمًا﴾: إنّه يعلم؛ علم الخالق لخلقه، والصانع لصنعه؛ ما ينفعها، وما يضرها فلا يخرج شيءٌ عن علمه وقدرته، ﷻ.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نعرف كيف يحفظ الله ﷻ حق المطلقات، وضرورة تقوى الله فيهن.



سُمِّيت سورة التحريم بهذا الاسم في كتب التفسير والسُّنة، وسُمِّيت أيضًا بسورة النبي " وأيضًا سُمِّيت "لَمْ تَحْرَم" وهي سورة مدنيَّة بإجماع أهل العلم، وترتيبها (١٠٧) في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الحجرات، وقبل سورة الجمعة، وعدد آياتها (١٢) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١)

سبب النزول: عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ: أَنَّ أَيْتِنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَلْتَقُلْ: إِنِّي أُحِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرٍ، أَكَلْتُ مَغَافِيرَ، فَدَخَلَ عَلَيَّ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: لَا، بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَلَنْ أَعُودَ لِهَفِّ نَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم-١] إِلَى ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ [التحريم-٤] لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ: ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ [التحريم-٣] لِقَوْلِهِ: بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا^(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾: حرف نداء لمحمد ﷺ وهي تكليفٌ للمسلمين من بعده ﴿لِمَ﴾: حرف استفهام، لماذا ﴿تَحْرِمُ﴾: تمنع نفسك عن المتعة الحلال؛ وتجعلها حرامًا عليك، والحديث كان عن مارية جارية الرسول التي أحلها الله ﷻ له ﷺ ﴿مَا﴾: الذي ﴿أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾: كيف تُحْرِمُ شرب العسل وهو الحلال ﴿تَبْتَغِي﴾: تطلب وتريد ﴿مَرْضَاتَ﴾: تريد أن تُرضي ﴿أَزْوَاجِكَ﴾: زوجاتك؛ فتَحْرِمُ ما أحلَّ الله ﷻ؟ فأمره الله ﷻ بالكفارة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: يغفر لك هذا العمل وغيره؛ لأنه ﷻ بالمؤمنين رحيم.

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٢)

﴿قَدْ﴾: حرف جرٍ أفاد التأكيد لأنه دخل هنا على الفعل الماضي ﴿فَرَضَ﴾: شرع ﴿اللَّهُ لَكُمْ﴾: تخصيصًا للناس ﴿تَحِلَّةَ﴾: فَرَضَ كَقَارَةٍ، وهي إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة

(١) صحيح البخاري ٤٤/٧ (٥٢٦٧).

﴿أَيْمَانِكُمْ﴾: التي تحل الإنسان من اليمين؛ والكفارة هنا إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، قال الإمام أحمد: " الكفارة على من حرم جاريته، أو زوجته، أو طعاماً، أو شراباً، أو شيئاً من المباح"، وقال الإمام الشافعي: لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية إذا حرّمهما؛ فأما إن نوى بالتحريم طلاق الزوجة أو عتق الأمة؛ نفذ فيهما؛ أي لا كفارة؛ بل التنفيذ **﴿وَاللَّهُ مَوْلَانَكُمْ﴾**: هو ﷺ الحبيب، والنصير، والمؤيد لكم **﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾**: يعلم أيضاً كلّ شيءٍ مما تُبدون ومما تكتُمون **﴿الْحَكِيمُ﴾**: صاحبُ الفعل والقول الصحيح ﷺ.

﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (٣)

﴿وَإِذْ﴾: حرفٌ يُفيدُ حدث في الماضي **﴿أَسْرَ﴾**: قال سرّاً **﴿النَّبِيُّ﴾**: قال ﷺ حديثاً لا يُريدُ أن يعرفه أحدٌ **﴿إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾**: من الأسرار إلى زوجته حفصة بنت عمر كان النبيُّ يمكث عند زينب بنت جحش، وشرب عندها عسلاً، قالت: فتواصيت أنا و حفصة بنت عمر إذا دخل النبي أن أقول له إني أجد منك ريح مغاير **﴿فَلَمَّا﴾**: حرف يفيد التتابع **﴿نَبَّأَتْ﴾**: أخبرت، ولم يقل حدث به؛ ليكون تبرئةً لزوجات الرسول من الخيانة وإفشاء الأسرار **﴿بِهِ﴾**: السر إلى زوجاته الأخريات **﴿و﴾**: عطفاً على هذا **﴿أَظْهَرَهُ﴾**: أوضحه وبيّنه **﴿اللَّهُ عَلَيْهِ﴾**: جاء اللفظ القرآني "ظهر" على ثمانية أوجه؛ هنا بمعنى: أطلعه وأخبره ﷺ **﴿عَرَفَ بَعْضَهُ﴾**: أخبر محمد ﷺ إحدى زوجاته وهي حفصة بنت عمر **﴿وَأَعْرَضَ﴾**: ترك **﴿عَنْ﴾**: حرف جرٍ يُفيدُ المُجاوزة **﴿بَعْضٍ﴾**: ولم يُخبر بكلِّ شيءٍ، وقيل إنَّ الرسول ﷺ قال لحفصة إنّه لن يُقرّب ماريًا؛ فأخبرت به غيرها، والله ﷻ أعلم **﴿فَلَمَّا﴾**: حرف يفيد التتابع والسبب **﴿نَبَّأَهَا بِهِ﴾**: عرفها ما علم من الله ﷻ **﴿قَالَتْ مَنْ﴾**: حرف استفهام عن العاقل **﴿أَنْبَأَكَ﴾**: أخبرك **﴿هَذَا﴾** كيف عرفت؟ ومن أوصل لك هذا؟ **﴿قَالَ﴾**: ﷺ **﴿نَبَّأَنِيَ﴾**: أخبرني **﴿الْعَلِيمُ﴾**: الذي يعرف السرّ والمُعلن للخلق كلّهُ **﴿الْخَبِيرُ﴾**: فلو كانت خيانةً لما عبر الله ﷻ بهذا اللفظ، بأحوالهم، وأقوالهم، وأعمالهم.

التكليف: أخبرت به ظناً منها أن لا حرج في ذلك، فهو اجتهاد منها، وهي مأجورة عليه، فقد كان الاجتهاد جائزاً في عصره على الصحيح.

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (٤)

سبب النزول: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، عَنِ الْمَرَاتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم-٤] حَتَّى حَجَّ وَحَجَّجْتُ مَعَهُ، وَعَدَلْتُ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِإِدَاوَةٍ فَنَبَّرَزَ، ثُمَّ جَاءَ فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْهَا فَنَوَّصًا، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمَرَاتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم-٤]؟ قَالَ: وَاعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، هُمَا عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرُ الْحَدِيثَ يَسُوقُهُ قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وَهُمْ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ، وَكُنَّا نَتَنَابَوُ النَّزُولَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِمَا حَدَّثَ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ أَوْ غَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَكُنَّا مَعَشَرَ فُرَيْشٍ نَعْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الْأَنْصَارِ إِذَا قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدْبِ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ، فَصَخِبْتُ عَلَى امْرَأَتِي فَرَاغَعْتِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، قَالَتْ: وَلِمَ تُنْكَرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ؟ قَوْلَ اللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لَيُرَاجِعُنَّهُ، وَإِنَّ إِحْدَاهُنَّ لَنَهَجُرُهُ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ، فَأَفْرَعَنِي ذَلِكَ وَقُلْتُ لَهَا: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُنَّ، ثُمَّ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي، فَنَزَلْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ لَهَا: أَيُّ حَفْصَةَ، أَتُعَاضِبُ إِحْدَاكُنَّ النَّبِيَّ ﷺ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: قَدْ خَبِتِ وَخَسِرْتِ، أَفَتَأْمَنِينَ أَنْ يَعْضَبَ اللَّهُ لِعَضْبِ رَسُولِهِ ﷺ فَتَهْلِكِي؟ لَا تَسْتَكْثِرِي النَّبِيَّ ﷺ وَلَا تُرَاجِعِيهِ فِي شَيْءٍ وَلَا تَهْجُرِيهِ، وَسَلِّبِي مَا بَدَا لَكَ، وَلَا يَعْزُتْكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكَ أَوْضًا مِنْكَ وَأَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُرِيدُ عَائِشَةَ^(١) ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾: ويقصد حفصة بنت عمر، وعائشة رضي الله عنهما أن تتعلما مما فعلتا، وتستغفران الله ﷻ ﴿فَقَدْ﴾: تحقق أن ﴿صَغَتْ﴾: مالت عن حقه ﷻ ﴿قُلُوبُكُمَا﴾: لم يقل الحق ﷻ قلباكما؛ لأن

(١) صحيح البخاري ٢٨/٧ (٥١٩١).

العرب تستكره الجمع بين تثنيتين في لفظٍ واحدٍ؛ وهذا الأمر جاء في كراهة إفشاء الحديث فناسب ذلك التعبير القرآني؛ وعليه عليكما أن تتوبا؛ فقد مالت قلوبكما إلى ما يكرهه رسول الله ﷺ من اجتناب الجارية وتحريمها على نفسه ﴿وَإِنْ﴾: حرف شرط ﴿تَظَاهَرَا﴾: تتعاوننا ﴿عَلَيْهِ﴾: بما يسوؤه، وتُصْرَانِ على التأليب على رسول الله ﴿فَإِنَّ﴾: حرف تأكيد مالت إلى ما كرهه رسول الله ﷺ من إفشاء سرّه ﴿اللَّهُ هُوَ مَوْلَاهُ﴾: فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ نَاصِرُهُ وَمُؤَيِّدُهُ ﴿وَو﴾: حرف عطف يُعْفِدُ الحال؛ أيضًا يؤيده ﴿جِبْرِيلُ﴾: ﷺ ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ﴾: جاء ذكر الملائكة بعد جبريل ﷺ، اهتمامًا بشأن رسول الله ﷺ ومناصرين؛ فهؤلاء معه ناصرين؛ معاونون؛ ومساعدون ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: بعد كل هؤلاء ﴿ظَهِيرٌ﴾: نصيرٌ، ومؤيدٌ، ومساندٌ.

﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ (٥)

كان هذا قول عمر رضي الله عنه، وقد وافق القرآن قوله في مواضع: الحجاب، وأسرى بدر، واتخاذ مقام إبراهيم صلى، وزوجات الرسول ﴿عَسَى﴾: هنا للتخويف، لا للوجوب، وهو في الأصل فعلٌ جامدٌ يُعْفِدُ التَّرجِي من البشر، والتحقق إذا جاء من الله ﷻ ﴿رَبُّهُ﴾: هو ﷻ المعبود، والمُرَبِّي، وهو المنشئ للشيء في هذا الكون الفسيح من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام، وهو تعالى الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحِيط، والمُدَبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فهو مالك أمرهنَّ كلّه ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿طَلَّقَنَّ﴾: إذا طلق زوجاته ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُبْدِلُهُ﴾: يُغَيِّرُ له ﷻ ﴿أَزْوَاجًا﴾: زوجات ﴿خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾: مواصفاتهنَّ ﴿مُسْلِمَاتٍ﴾: خاضعاتٍ مُنْقاداتٍ، مُطِيعاتٍ لأمر الرسول ﷻ ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾: إيمانهنَّ يقينًا صادقًا برسالته ﴿قَانِتَاتٍ﴾: مُطِيعاتٍ طاعة كاملة ﴿تَائِبَاتٍ﴾: يرجعن عن خطاياهن بتوبة صادقة ﴿عَابِدَاتٍ﴾: مؤديات فرائض الله ﷻ كاملة ﴿سَائِحَاتٍ﴾: صائمات؛ لأن الصيام يُهَدَّب النفس، وقيل مهاجرات ﴿ثَيِّبَاتٍ﴾: تزوجن من قبل ذلك، وقيل الثيب زواجه ﷻ من امرأة فرعون ﴿وَو﴾: أيضًا ﴿أَبْكَارًا﴾: لم يتزوجن قبل ذلك.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٦)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرفُ نداءٍ للقريب والبعيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿آمَنُوا قُوا﴾: احموا واحفظوا واجعلوا طاعة الله ﷻ لكم وقاية ﴿أَنْفُسَكُمْ وَ﴾: احفظوا أيضًا ﴿أَهْلِيكُمْ﴾: أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسبٌ أو دين، أو ما يجري مجراها من صناعة، وبيت، وبلد، فأهل الرجل في الأصل من يجمعه، وإياهم مسكنٌ واحدٌ ﴿نَارًا﴾: جهنم؛ قيل: أدبهم وعلموهم، وقال مجاهد: اتقوا الله، وأوصوا أهلكم بتقوى الله ﷻ، وقال قتادة: تأمرونهم بطاعة الله، وتتهونهم عن معصيته ﴿وَقُودُهَا﴾: حطبها الذي تُوقد منه ﴿النَّاسُ﴾: جثث بني آدم ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾: أيضًا وقودها الأصنام التي كان يعبدها المشركون، وقال مجاهد وابن مسعود: حجارةٌ من كبريت، أنتن من الجيفة ﴿عليها مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ﴾: هم خزنة جهنم، وهم تسعة عشر، قال ابن عباس، رضي الله عنهما: ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة، وقيل ما بين المشرق والمغرب. قساةٌ أقوياء أصحابُ مهامٍ غليظة، وهم زبانية جهنم ﴿شِدَادٌ﴾: أصحابُ بُنيةٍ قويةٍ، ومنظرٍ مرعبٍ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْصُونَ اللَّهَ﴾: لا يمتنعون عن تنفيذ ﴿مَا﴾: الذي ﴿أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾: يُنفذون أوامره ﷻ على الفور؛ وهم الزبانية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٧)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرفُ نداءٍ للقريب والبعيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: خطابٌ للذين كفروا، وهم في حالةٍ من الرعب، والتدبم؛ يُقال لهم: ﴿لَا﴾: حرف نهي للتبيين؛ يُقال لهم هذا القول عند دخولهم النار قطعًا لطمعهم في الجنة ﴿تَعْتَذِرُوا﴾: لا تتأسفوا على ما قلتم ولا تلتمسوا المعاذير في هذا ﴿الْيَوْمَ﴾: هذا يوم القيامة؛ يوم الحساب؛ لا قبول لمعذرة ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر؛ تفيد التحديد والتخصيص ﴿تُجْرُونَ﴾: تأخذون جزاء ﴿مَا﴾: الذي ﴿كُنْتُمْ﴾: في الحياة الدنيا ﴿تَعْمَلُونَ﴾: من المعاصي، والذنوب، وقد جاءكم من قبل من يُبلغكم عن العذاب يوم القيامة وكذبتكم؛ اليومُ يومُ العقاب لكم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٨)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرف نداءٍ للقريب والبعيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يشمل هنا جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: بالله ﷺ وصدقوا شرع رسوله ﴿تَوْبُوا﴾: ارجعوا ندمًا ﴿إِلَى اللَّهِ﴾: مما ارتكبتُم من ذنوب ﴿تَوْبَةً﴾: التوب ترك الذنب على أجمل الوجوه؛ وهو أبلغ وجوه الاعتذار ﴿نَّصُوحًا﴾: توبةٌ صادقةٌ، جازمةٌ لا تردد فيها، ولا يُريدُ صاحبها أن يعود إلى الذنب، مرّةً أخرى، لمحو ما قبلها من السيئات، وقيل يُقلع عن الذنب في الحاضر، ويندم على ما سلف في الماضي، ويعزم ألا يفعل في المستقبل، وقال الحسن: التوبة النصوح أن تبغض الذنب كما أحببتَه، وتستغفر منه إذا ذكرته عن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَلَّهْ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ، إِذَا وَجَدَهَا^(١) ﴿عَسَى﴾: فعلٌ جامدٌ يُعِيدُ الترجي عند الإنسان، ولكن إذا نُسب إلى الله ﷻ فهو مُحقق الوقوع ﴿رَبُّكُمْ﴾: هو ﷻ مالك أمرهن كلّه ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُكَفِّرُ﴾: يمحو ويزيل ﴿عَنْكُمْ﴾: حرفٌ يُعِيدُ التجاوز ﴿سَيِّئَاتِكُمْ﴾: يمحو ذنوبكم، ويُسقطها عنكم ﴿و﴾: حرفٌ عطْفٍ يُفيدُ الحال ﴿يُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ﴾: درجاتٍ ومنازلٍ، وليس جنّةً واحدةً؛ لمزيدٍ من النعيم ﴿تَجْرِي﴾: مياهُ غيرُ راکدةٍ ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيدُ بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها؛ وهذا من نعيم الآخرة ﴿يَوْمَ﴾: القيامة ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُخْزِي﴾: لا يُذِلُّ ﴿اللَّهُ النَّبِيَّ﴾: محمد ﷺ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾: الخزي هو الذلُّ والعقاب، هذا يوم فرح؛ يُفاخر فيه النبي ﷺ والذين آمنوا به، هذا يومٌ لا عذاب فيه، ولا خزيٍ للنبي وأتباعه ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى﴾: يكون أمامهم وهم يسيرون ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: يقع أمامهم على الصراط؛ بقَد أعمالهم. انظر تفسير [الحديد-١٢]: ﴿و﴾: أيضًا ﴿بِ﴾: حرف باء الاستعانة ﴿أَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ﴾: يدعون الله ﷻ ﴿رَبَّنَا﴾: مالك أمرنا كلّه ﴿أَتْمِمْ لَنَا﴾: تخصيصًا ﴿نُورَنَا﴾: يقول ذلك المؤمنون؛ أكمل لنا نورنا في يوم القيامة؛ حيث انطفأ

(١) صحيح مسلم ٢١٠٢/٤ (٢٦٧٥).

نور المنافقين، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةٍ مِنْ عَدَنِ لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ التَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلَا يَبِيئُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ وَإِنِّي لَأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: نَعَمْ لَكُمْ سِيمًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ تَرُدُّونَ عَلَيَّ غُرًّا، مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ^(١)، ﴿و﴾: أَيضًا ﴿اغْفِرْ لَنَا﴾: امحوا عنا ما أذنبنا في الحياة الدنيا ﴿إِنَّكَ﴾: أنت سبحانك بالتأكيد ﴿عَلَى كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: نكرة تفيد العموم ﴿قَدِيرٌ﴾: لا يُعْجِزُكَ شَيْءٌ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٩)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرف نداءٍ للقريب والبعيد؛ هنا مُخَصَّصٌ ﴿النَّبِيِّ﴾: هو محمد ﷺ ﴿جَاهِدِ﴾: قاوم وحارب ﴿الْكُفَّارَ﴾: الذين أنكروا الله ﷻ، ورسله، وكتبه، والقيامة، بالسلاح والقتال ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾: الذين يُبْطِنُونَ الكفر، وَيُظْهِرُونَ الإيمان، وجاهد المنافقين بإقامة الحدود عليهم ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفِيدُ الحال أَيضًا؛ قاوم وحارب ﴿اغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾: استعمل الشدَّة والخشونة لقمع حجَّتهم وتعذرهم ﴿وَمَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾: عطفًا على ما حدث مأواهم النار ﴿وَبِئْسَ﴾: ساء من الضرر والشر ﴿الْمَصِيرُ﴾: لم يقل ﷺ بِئْسَ المأوى؛ لأنَّه ﷻ علَّقَ على الأعم، فيلزم ثبوته للأخص؛ لأنَّ المصير أعم من المأوى؛ لأنَّ الكافر لا يهتم بمأواه بقدر ما يهتم بمصيره؛ هنا ذمٌّ للمال في الآخرة، وسوءُ المستقر.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ

فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ (١٠)

﴿ضَرَبَ﴾: ذكر ﴿اللَّهُ مَثَلًا﴾: للجميع ولكن خصَّ بالأول الكافر ليكون مثلًا لأمثاله الكافرين من قومه؛ للتقريب والتوضيح ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: هنا ذكر حال الكافرين الذين لم يؤمنوا بالله ﷻ، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر في مخالطتهم المسلمين وقربهم منهم، ومعاشرتهم لهم ﴿امْرَأَتِ نُوحٍ﴾: كانت من الكافرين ﴿و﴾: أَيضًا ذكر الله ﷻ مثل ﴿امْرَأَتِ لُوطٍ﴾: التي أخبرت قومها عن وجود

(١) صحيح مسلم ٢١٧/١ (٢٤٧).

الشُّبَّانِ الحسان وهم الملائكة؛ ليرتكب رجال قومها الفاحشة **﴿كَاثِنًا﴾**: زوجتين **﴿تَحْتُ﴾**: حتى لا تُفِيد تحتها **﴿عَبْدَيْنِ﴾**: واحد تحت نوح والأخرى تحت لوط، عليهما السلام **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يُفِيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية **﴿عِبَادِنَا صَالِحِينَ﴾**: كان الزوجان من الأنبياء، عاشت كلُّ امرأةٍ تَأْكُلُ وتشرب وتخالط النبي **﴿فَ﴾**: حرفٌ يُفِيدُ السبب **﴿خَانَتَاهُمَا﴾**: في الدين كُفْرًا ونفاقًا، ولم يستفيدا من معاشرة وجوار ومعاملتهما مع المؤمنين في الدنيا كامرأة نوح التي لم تؤمن مع زوجها، ولم تتركب معه سفينة النجاة، وقالت أنه مجنون، جاء اللفظ القرآني "الخيانة" على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى: الخلاف في الدين؛ وقيل بالنفاق والنميمة. انظر [البقرة-١٨٧]؛ إتهما لم تؤمنا، ولا صدقتا بالرسالة **﴿فَلَمْ﴾**: حرف تأكيد الخبر **﴿يُغْنِيَا عَنْهُمَا﴾**: لم تنفعهما معاشرتهما الأزواج، وتمنع عذابهما في الآخرة **﴿مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾**: ولم يدفع معاشرتهم من العذاب بسبب كفرهما **﴿و﴾**: حرفٌ عطْفٍ يُفِيدُ الحال **﴿قِيلَ﴾**: للمرأتين **﴿ادْخُلَا﴾**: في زمرة المحشورين إلى **﴿النَّارِ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾**: مع أصحاب النَّارِ، يجب التنويه: أنه لم ترتكب امرأة نوح، ولا امرأة لوط الفاحشة؛ فهن معصومات؛ بعصمة أزواج الأنبياء.

﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١١)

﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: هنا مثلٌ لزوجاتٍ مؤمناتٍ منهن **﴿امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾**: بحال زوجة فرعون مصر في عهد موسى عليه السلام، كانت مؤمنةً، وكانت في عصمةٍ أشدَّ الكافرين؛ فقد كان زوجها طاغيةً كافرًا، وهي كانت مؤمنةً **﴿إِذْ﴾**: تحقق في الماضي بمعنى حين **﴿قَالَتْ﴾**: وهي تُعَدِّبُ في الشمس؛ فإذا انصرف عنها فرعون أظلتها الملائكة بأجنحتها وكانت ترى بيتها في الجنة **﴿رَبِّ﴾**: يا مالك أمري كله **﴿ابْنِ﴾**: شيد **﴿لِي﴾**: تمليكًا **﴿عِنْدَكَ﴾**: ظرفُ مكانٍ **﴿بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾**: يقينًا وتصديقًا، فإنه لا يُعَوِّضُ امرأةً عذابها في شمسٍ وصحراء مصر الجنوبية، وحرارتها العالية إلا بيتًا في الجنة، وهو خير ثواب عن أشدَّ عذاب **﴿و﴾**: عطْفًا على هذا **﴿نَجِّنِي﴾**: سلّمني **﴿مِنْ﴾**: حرفٌ جرّ يُفِيدُ بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية **﴿فِرْعَوْنَ﴾**: خلّصني منه وأنا أبرأ إليك منه **﴿و﴾**: أيضًا سلّمني من **﴿عَمَلِهِ﴾**: عقاب ما ارتكب

من جرائم ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يُفيدُ الحالَ ﴿نَجْنِي﴾: سلّمني أيضًا ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾: من أصلٍ عرقيٍّ واحدٍ و مذهبِيٍّ واحدٍ ﴿الظَّالِمِينَ﴾: هي آسية بنت مزاحم التي كان فرعون يشد يديها ورجليها بالأوتاد؛ حتى تكفر وهي ترى بيتها في الجنّة؛ فتضحك؛ فيتهمها المجرم بالجنون، لقد اختارت الجار قبل الدّار.

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا﴾
﴿وَكَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (١٢)

﴿و﴾: أيضًا ضرب الله ﷺ مثلًا ﴿مَرْيَمَ ابْنَتِ عِمْرَانَ﴾: هي أم عيسى عليه السلام، التي يشهد لها خالقها أنّها ﴿الَّتِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد المؤنث ﴿أَحْصَنَتْ﴾: بالعفاف والحصانة حفظت ﴿فَرْجَهَا﴾: من الرجال وحفظت شرفها، وصانت عرضها عن الزنا، ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿نَفَخْنَا فِيهِ﴾: في رحمها ﴿مِنَ رُوحِنَا﴾: روحًا من خلقنا، بلا وسيط، ليس له أب، كان ذلك النفخ بواسطة الملك جبريل عليه السلام؛ أرسله الله ﷻ على هيئة بشرٍ سويٍّ، وأمره ﷻ أن ينفخ في جيب قميصها؛ فنزلت النفخة؛ فولجت في فرجها؛ فكان الحمل بعيسى عليه السلام ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يُفيدُ الحالَ ﴿صَدَّقَتْ﴾: آمنت يقينًا ﴿ب﴾: حرف باء الصلة ﴿كَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ﴾: التي هي بقدره، وشرعه ﷻ ﴿وَكَانَتْ مِنْ﴾: حرفٌ يُفيدُ بعضَ ﴿الْغَائِبِينَ﴾: المطيعين لربهم، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَمَلْ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنْ فَضَلَ عَائِشَةُ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضَلَ الثَّرِيدُ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ^(١).
التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة نُدرِك كيف كان نمطُ تربية بيت النبوة، النموذج الأمثل للبيت المسلم.



سُمِّيَتْ سورة المُلْكِ بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير والسنة، وسمّيت بسورة تبارك الذي بيده الملك وأيضًا سُمِّيَتْ تبارك الملك والمانعة والمنجية والواقية والمناعة والمجادلة

(١) صحيح البخاري ١٥٨/٤ (٣٤١١).

فهذه ثمانية أسماء لهذه السورة، وهي سورة مكية باتفاق الجميع، وترتيب نزولها (٧٧) في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة المؤمنون وقبل سورة الحاقة، وعدد آياتها (٣٠) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١)

فضل هذه السورة: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هِيَ إِلَّا ثَلَاثُونَ آيَةً، خَاصَمَتْ عَنْ صَاحِبِهَا حَتَّى أَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ، وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ^(١)، وعن عبد الله بن مسعود قَالَ من قرأ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر وكُنَّا في عهد رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نسميها الْمَانِعَةَ^(٢)، وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ الْم تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ، وَتَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ^(٣)، ﴿تَبَارَكَ﴾: ﷻ، وتمجد وتعظم، وكثر خيره، وبره ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التجدد والاستمرار؛ للتعظيم والتفخيم، صاحب السلطان والتصرف المطلق هو الواحد، الأحد، ﷻ ﴿ب﴾: حرف باء الصلة والالتصاق ﴿يَدِهِ﴾: يد الله ﷻ وهي ليست كيد البشر ﴿الْمُلْكُ﴾: الأمر، الناهي، والسلطان المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء، لا مُعَقَّبَ لحكمه، ولا يُسأل عما يفعل، الفاهر، الحكم، العدل ﴿وَهُوَ﴾: ضمير رفع منفصل للمفرد؛ هنا المقصود الواحد الأحد ﷻ ﴿عَلَى كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ لتفيد العموم ﴿قَدِيرٌ﴾: الأشدُّ قدرةً على كلِّ الخلق.

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (٢)

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول بالمفرد المذكر، والمقصود هنا لله ﷻ الواحد الأحد ﴿خَلَقَ﴾: أوجد ما لم يكن موجودًا ﴿الْمَوْتَ﴾: قدره أزلًا ﴿و﴾: أيضًا أوجد ﴿الْحَيَاةَ﴾: قدرهما أزلًا ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿يَبْلُوَكُمْ﴾: ليختبركم أيها الناس فيما بين الحياة والموت ﴿أَيُّكُمْ﴾: من منكم ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أخلصه، وأصوبه، وليس أكثره عددًا ﴿وَهُوَ﴾: أيضًا ﴿الْعَزِيزُ﴾: الذي لا يغالبه، ولا

(١) المعجم الأوسط ٧٦/٤ (٣٦٥٤)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٧٠/٧: رجاله رجال الصحيح.

(٢) عمل اليوم والليلة للنسائي ص ٤٣٣ (٧١٠) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٠/٧: رجاله ثقات.

(٣) مسند أحمد ٢٦/٢٣ (١٤٦٥٩) قال الأرنؤوط: حديث صحيح. قال الحاكم في المستدرک ٤٤٦/٢: صحيح على شرط مسلم.

ووافقه الذهبي.

يغلبه أحدٌ، ولا يحتاج إلى أحدٍ في شيءٍ ﴿الْغُفُور﴾: واسع السّماح والعفو للمؤمنين؛ إذا تابوا وأنابوا.

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ (٣)

﴿الَّذِي خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق وجودٍ ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾: والسّماء هي كلّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها بيساويّة الشكل ﴿طِبَاقًا﴾: متناسقة؛ طبقة سماءٍ، فوق طبقة سماءٍ مطابقة لها ولكن من غير مماسة؛ إذ ما بين كلّ سماءٍ وأخرى هواءٌ وفراغٌ مسيرة خمسمائة عام ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿تَرَى﴾: تلاحظ أو تجد ﴿فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ﴾: لا تجد فيما خلق الله ﷻ في هذه السموات ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ﴿تَفَاوُتٍ﴾: أي اختلافٍ، ولا تنافرٍ، ولا نقصٍ، ولا عيبٍ، ولا خللٍ ﴿فَ﴾: حرف استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿ارْجِعِ الْبَصَرَ﴾: انظر مرّة بعد مرّة؛ للتدقيق والتيقن ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام ﴿تَرَى مِنْ﴾: بعضًا أو جزء ﴿فُطُورٍ﴾: قال ابن عباس، ومجاهد: هل ترى شقوق، وقال السدي: هل ترى حُرُوقًا، وقال قتادة: هل ترى خللاً.

التكليف: ما جاء في هذه الآية يدلُّ على ضرورة دراسة البناء السّماويّ، في العلاقة بين القوى المؤثرة فيه، الجاذبية والطرْد المركزي لهذا البناء البديع للسموات؛ الذي يدلُّ على عظمة الخالق.

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (٤)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يُفيد التتابع الزمنيّ مع التراخي ﴿ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾: الكرّه تعني مرّة، وكرّتين تعني مرتين، مرّة بعد مرّة؛ لزيادة التنبيه والتذكير ﴿يَنْقَلِبْ﴾: يعود ﴿إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾: الطرد والإبعاد ذليلاً ﴿وَهُوَ﴾: ضميرُ رفعٍ منفصلٍ للغائب المفرد ﴿حَسِيرٌ﴾: مُتعبٌ، مُجهّدٌ، كليلٌ من الكلل؛ أي من الإعياء، من كثرة التكرار، منقطعٌ عن الرؤية، وهذا أبلغ في إقامة الحجة، وأقطع للمعذرة.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾

(٥)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف يفيد التحقق في الماضي ﴿زَيْنًا﴾: جمنا ﴿السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾: هي التي فوق الأرض مباشرة، المحيطة بها، والتي تراها العيون، وهي أسفل السماوات، ﴿ب﴾: حرف باء التعددية ﴿مَصَابِيحَ﴾: الكواكب المضيئة، السيارة منها والثابتة ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾: قدرناها ﴿رُجُومًا﴾: هي الشهب؛ تنقض على الشياطين ﴿لِلشَّيَاطِينِ﴾: تخصيصًا جاء اللفظ القرآني "الرجم" على خمسة أوجه، هنا بمعنى الرجم؛ أو القذف، أي من جنس المصابيح شهبًا تحرق الذين يسترقون السمع من الشياطين ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿أَعْتَدْنَا﴾: هيأنا، وأعدنا ﴿لَهُمْ عَذَابٌ السَّعِيرِ﴾: فبعد الرجم في الحياة الدنيا؛ جهّز الله ﷻ لهؤلاء عذاب جهنم، حيث لا يأتي الرجم من الشهب الثابتة، ولكن من أمثالها أو مستمدة منها؛ والله أعلم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٦)

﴿و﴾: أيضًا ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع من ﴿كَفَرُوا﴾: أنكروا كل البراهين الساطعة الدالة على ﴿ب﴾: حرف باء الصلة ﴿رَبِّهِمْ﴾: المعبود، والمربي، وهو المنشئ لكل شيء في الكون من حال إلى حال إلى حدّ التمام وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثير الخير، والمحيط، والمدبر، والجابر لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فهو مالك أمرهم كله أعتدنا لهم وجعلنا لهم بسبب كفرهم ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾: دائم مستمر ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿بِئْسَ﴾: سوء، وشر، وضرر في ﴿الْمَصِيرُ﴾: المأل، والمرجع، والمنتهى.

﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾ (٧)

﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها، وهو السمع مع ما قبلها وهو الإلقاء في النار ﴿أُلْقُوا فِيهَا﴾: تفيد طرحهم بالدفع، والرمي، والإلقاء؛ بإهانة في النار ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾: جاءهم صوت جهنم ﴿شَهيقًا﴾: هنا تشبيهة غرضه التقييح والتوبيخ، صوت لهيب النار وحسيسها بصوت شهيق الحمير والشهيق هي السحب، والزفير الطرد؛ فالنار لها صوت منكر؛ كالصياح يشدهم ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾: تغلي غليانًا شديدًا.

﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (٨)

﴿تَكَادُ﴾: توشك ﴿تَمَيَّزُ﴾: ينفصل بعضها عن بعضٍ، وتتمزق ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾: شدة غضبها على الكفار، هنا تشبيه جهنم في شدة غليانها ولهبا بإنسانٍ شديد الغيظ والحقن على عدوه ليبالغ في ضرره، ﴿كُلَّمَا﴾: حرفٌ يُفيدُ التكرار والتعميم ﴿أُلْقِيَ فِيهَا﴾: والإلقاء هو حملٌ، ورميٌ؛ لوصف حالة الإهانة في المعاملة ﴿فُوجٌ﴾: جماعةٌ من أصحاب النار ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾: هم الملائكة الموكلون بالنار ﴿أَلَمْ﴾: حرف استفهام تفريري بغرض التبكيت وزيادة الإيلاء، وهو من الإنكار والتوبيخ؛ لزيادة العذاب ﴿يَأْتِكُمْ﴾: تويحًا وتقریبًا: ألم يُبعث فيكم ﴿نَذِيرٌ﴾: رسولٌ يُحذركم من هذا المصير؟

﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾
(٩)

﴿قَالُوا﴾: أصحاب النار، معترفين ﴿بَلَى﴾: حرف للتصديق بمعنى نعم ﴿قَدْ﴾: حرف جرٍ أفاد التأكيد لأنه دخل هنا على الفعل الماضي ﴿جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾: نعم جاءنا رسولٌ، وأنذرنا من هذا المصير ﴿فَ﴾: حرف استثنائيٌ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿كَذَّبْنَا﴾: والسبب أننا لم نُصدّق رسولنا ﴿وَ﴾: عطفًا على هذا ﴿قُلْنَا﴾: كذبًا، وظلمًا لأنفسنا ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿نَزَّلَ اللَّهُ مِن﴾: جزءًا أو بعضًا ﴿شَيْءٍ﴾: كفرنا به فكأنه لم يُنزل الله ﷻ شيئًا نُصدّقه، شهدوا أنّ الله ﷻ لا يُعذب أحدًا من خلقه قبل أن يُنذره، ويُحذّره، ويُخوّفه؛ ليكون عقابه عدلًا ﴿إِنْ﴾: حرف تأكيدٍ بمعنى ما ﴿أَنْتُمْ إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿فِي ضَلَالٍ﴾: في تيهٍ، وضياحٍ عن الحق ﴿كَبِيرٍ﴾: جاء اللفظ القرآني "كبير" على سبعة أوجه، هنا بمعنى طويل؛ وقيل عظيم البعد عن الحق. راجع [البقرة-٢٨٢].

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١٠)

﴿وَ﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿قَالُوا﴾: معترفين، ومُقرّين ﴿لَوْ﴾: حرف يفيد الاستحالة ﴿كُنَّا﴾: في الحياة الدنيا ﴿نَسْمَعُ﴾: سماع من ينشد الحق، أو سماع من يكفر بما ندعيه ﴿أَوْ﴾: حرف يفيد التسوية بين متعاطفين، هنا هما السمع والفهم والإدراك ﴿نَعْقِلُ﴾: كانوا يسمعون؛ ولكن سماعهم لم يُؤد إلى تعقّلٍ، وتفهمٍ لقلوبهم وعقولهم ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كُنَّا﴾: صرنا ﴿فِي﴾

أَصْحَابٍ: الملازمين الماكثين أبداً في **السَّعِيرِ**: ما كُنَّا من أهل جهنم، إن أدوات التكليف السمع والبصر حجَّتان.

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١١)

﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ **﴿اعْتَرَفُوا﴾**: أقرؤا **﴿ب﴾**: حرف باء السببية **﴿ذَنبِهِمْ﴾**: لم يقل ﷻ بكفرهم، وهو الوصف الأعم، يوم لا ينفع الندم؛ أقرؤا بأنهم كانوا لا يعقلون، ولا يفهمون. **﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾**: فبعداً عن الرحمة، دماراً، وهلاكها لأهل النار.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١٢)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿الَّذِينَ﴾**: اسم موصول يفيد جميع مَنْ **﴿يَخْشَوْنَ﴾**: يخافون بقناعة **﴿رَبَّهُمْ﴾**: فهو مالك أمرهم كله، بعد الإخبار عن مصير وأحوال أهل النار في النار؛ جاء وصف الذين يخافون ربهم **﴿ب﴾**: حرف باء الصلة والمصاحبة **﴿الْغَيْبِ﴾**: حيث لا يراهم أحد، إلا الله ﷻ **﴿لَهُمْ﴾**: تخصيصاً للذين يخشون ربهم **﴿مَغْفِرَةٌ﴾**: يُسامحهم ربهم على الزلات **﴿وَأَجْرٌ﴾**: أيضاً لهم ثواب **﴿كَبِيرٌ﴾**: عظيم، وأعظمه دخول الجنة.

﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣)

﴿وَأَسْرُوا﴾: جاء الأمر أولاً ليدل بافتضاح أمرهم، ووقوع ما يخافونه من البداية، وهنا مبالغة في إظهار علم الله ﷻ الشامل والمحيط، ومنه ما أسروه الذي هو أقدم وأكثر مما أعلنوا من **﴿قَوْلَكُمْ﴾**: ما تقولون أيها الناس في أيّ من أموركم **﴿أَوْ﴾**: حرف تسوية هنا بين إخفاء السرّ وبين الجهر والإعلان به **﴿اجْهَرُوا بِهِ﴾**: أسمعوه غيركم؛ فإنّ هذا لا يُؤثّر **﴿إِنَّهُ﴾**: لأنّ الله ﷻ **﴿عَلِيمٌ ب﴾**: حرف باء الصلة **﴿ذَاتِ﴾**: عين الشيء وما تضمه **﴿الصُّدُورِ﴾**: التي فيها القلوب، والتي هي مركز الوعي والإدراك، إنّه ﷻ يعلم ما يخطر في البال، وليس ما يظهر على اللسان فقط.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤)

﴿أَلَا﴾: حرفٌ للاستفهام وللإنكار ﴿يَعْلَمُ مَنْ﴾: بتأكيد علمه ﷺ بالسر وما تضرر القلوب
 ﴿خَلَقَ﴾: الذي أوجد من غير مثالٍ سابقٍ، ألا يعلم صاحبُ الصنعة صنعته، ألا يعلم الخالق
 مخلوقه؟ ﴿وَهُوَ﴾: ﷻ ﴿اللَّطِيفُ﴾: الذي يرفق بخلقه ﴿الْخَبِيرُ﴾: العليم بما تضرر القلوب التي
 في الصدور، وهي مراكز الإيمان أو الكفر.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ نَزُولًا فَاَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١٥)

﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، هنا ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ
 موصولٌ للمفرد، والمقصود هنا هو الله، الواحد، الأحد ﷻ ﴿جَعَلَ﴾: خلق وهياً ﴿لَكُمْ﴾:
 تخصيصاً ﴿الْأَرْضَ نَزُولًا﴾: يُذَكِّرُ اللهُ ﷻ ببعض فضله على الناس؛ إذ سهّل ومهّد الأرض
 وجعلها مهياً مسخّرةً، هياً للزراعة، وجعل فيها الماء، ينزل عليها من السماء، ويُستخرج من
 باطن الأرض، وسيّره في الأنهار، وجعل لهم الطرق ﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر
 ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿امشوا في مناكبها﴾: جاء اللفظ القرآني "المشي" على أربعة أوجه،
 هنا بمعنى السير؛ راجع [البقرة-٢٠] وتعني جوانبها، وطرقها، وفجاجها ﴿و﴾: عطفاً على هذا
 ﴿كُلُوا مِنْ﴾: جزءاً أو بعضاً ﴿رِزْقِهِ﴾: مما زرعتم، ومما تاجرتم فيه، مع التوكل على الله ﷻ
 ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾: واعلموا أنكم ميتون، واعلموا أنكم إلى الله ﷻ تُرجعون يوم القيامة، يوم المرجع
 والمصير وتعرضون للحساب.

﴿أَمْيَنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١٦)

﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار، والتعجب، والتكذيب، وبالتالي التهديد ﴿أَمْيَنْتُمْ﴾: هل أمنتم؟
 هل اطمأننتم وتأكدتم يا كفّار مكّة؟ ﴿مَنْ﴾: هو الله ﷻ ﴿فِي السَّمَاءِ﴾: خصّ الله ﷻ السماء؛
 لأنّ العالم العلوي أعجب وأغرب؛ ومن هنا كان التخويف به أشدّ من غيره في تخويفهم ﴿أَنْ﴾:
 حرف تأكيد الفعل ﴿يَخْسِفُ﴾: يُدَمِّرُ ﴿بِكُمْ الْأَرْضَ ف﴾: في سببٍ وتتابعٍ سريعٍ ﴿إِذَا﴾: ظرف
 لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها، بين دور الأرض
 وبين الخسف ﴿هِيَ تَمُورُ﴾: أن تغور الأرض بكم، تضطرب بكم فتذهب وتجيء، وهذا سهلٌ
 في إطار كون شكل الأرض بيضاوي، شبه كروية تدور حول الشمس؛ فإنّ أيّ تغييرٍ في الجاذبية

المغناطيسية أو في قوة الطرد المركزي؛ يجعل نظامها يضطرب بصورة مدمرة، والنتيجة هي هلاك سُكَّان الأرض.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ (١٧)

﴿أَمْ﴾: هل، وهي هنا للتهديد ﴿أَمِنْتُمْ﴾: اطمانتُم إلى ﴿مَنْ﴾: الذي ﴿فِي السَّمَاءِ﴾: وهو الله ﷻ في علوه، وسمائه، وتعالیه، وتميَّزه عن خلقه ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُرْسِلُ﴾: يُسَلِّط ﴿عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: هل أمنتم أن يرسل الله تعالى عليكم ريحًا ترميكم بالحصباء، وهي الحجارَةُ الصغيرة، كما نزول البردِ مع المطر، تُكسِّرُ كلَّ شيءٍ، كما أرسلها على قوم لوط عليه السلام ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿س﴾: حرف يُفيد تأكيد الفعل، في المستقبل ﴿تَعْلَمُونَ﴾: تعابنون ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾: فتدركون قيمة إنذاري لكم، وتحذيري إياكم، لا فائدة من العلم حينئذٍ.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (١٨)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿كَذَّبَ﴾: هم الذين أنكروا الإيمان ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿قَبْلِهِمْ﴾: يُخبر الله ﷻ عن أممٍ سبقتهم كذَّبت وأنكرت، من أمثال قوم نوح، وعاد، وثمود ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿كَيْفَ﴾: أداة استفهامٍ تُفيدُ التعجب والإنكار ﴿كَانَ﴾: في الماضي بما كان من ﴿نَكِيرِ﴾: العذاب الشديد؛ فكيف كان عاقبة إنكارهم عملهم، وعقابي لهم، دمر الله ﷻ عليهم، وللكافرين أمثالها، ثم يخاطب الحق ﷻ عباده أن يتفكروا فيما حولهم.

﴿أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾

(١٩)

﴿أَوْلَمْ﴾: اسم مركب يفيد الاستفهام والاستنكار ﴿يَرَوْا﴾: لقد أغفل هؤلاء الكافرون ولم يتفكروا فيما يُشاهدوا، ويُعابنوا ﴿إِلَى الطَّيْرِ﴾: هي كلُّ ذي أجنحةٍ يسبح في الهواء ﴿فَوْقَهُمْ﴾: تأملوا ظاهرة طيران الطير، والتي قلدها الإنسان؛ فكانت الطائرات العملاقة ﴿صَافَاتٍ﴾: باسطاتٍ أجنحتها؛ يحملها الهواء ﴿وَ﴾: أيضًا ﴿يَقْبِضْنَ﴾: تجمع بين الجناحين، والظاهرة هي أن الطير

تدفع الهواء الذي فوقها؛ فيخف الضغط عليها من أعلى؛ فيدفعها الهواء الذي أسفها؛ فترتفع، وإذا توقفت الأجنحة نزلت بوزنها إلى أسفل، وهذا ما تفعله المراوح العملاقة في الطائرات الضخمة؛ بهذا كانت ظاهرة الطائرات **﴿مَا﴾**: حرف نفي **﴿يُمَسِّكُهُنَّ﴾**: يقيهن في أماكنهن في الهواء فلا يقعن **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء بمعنى لا أحد، باستثناء **﴿الرَّحْمَنُ﴾**: صاحب الرحمة الواسعة **﴿إِنَّهُ﴾**: هو ﷻ بالتأكيد **﴿بِكُلِّ﴾**: تفيد العموم **﴿شَيْءٍ﴾**: جاء بصيغة نكرة لتؤكد عموم الأشياء **﴿بَصِيرٌ﴾**: هو الذي لا يغيبون عن بصره لحظة، وهو ﷻ الذي يُقدّر بقاءهن في الهواء.

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ (٢٠)

﴿أَمَّنْ﴾: حرف يتكون من "أم" و "من"، مَنْ هذا الذي في زعمكم أيها الكافرون **﴿هَذَا الَّذِي﴾**: سؤال للاستنكار؛ والتوبيخ، والتفريع، والغيبة يسأل الحق ﷻ وهو أعلم: من هو هذا؟ والإجابة لا أحد لكم **﴿هُوَ جُنْدٌ﴾**: من هو حزبكم وجندكم الذي يمنعكم من عذاب الله ﷻ، من هو المُجَنَّد المسخر **﴿لَكُمْ﴾**: لخدمتكم، الذي **﴿يَنْصُرُكُمْ﴾**: يمنعكم من أعدائكم، ويحميكم **﴿مِنْ دُونِ﴾**: غير **﴿الرَّحْمَنِ﴾**: من عقاب الله ﷻ، وتعتمدون عليه، والإجابة لا أحد **﴿إِنَّ﴾**: حرف يفيد النفي **﴿الْكَافِرُونَ إِلَّا﴾**: استثناء **﴿فِي غُرُورٍ﴾**: إنَّما يعيش الكافرون في حالة خداع الشيطان لهم، وضلال أعوان الشيطان؛ أن حلفاءهم من بعض جنود المجرمين أو كلَّهم يمنعكم من عذاب الله ﷻ الشديد.

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ (٢١)

﴿أَمَّنْ﴾: كلمة مركبة من أم من بمعنى أم الذي **﴿هَذَا﴾**: اسم إشارة للمفرد المذكر **﴿الَّذِي﴾**: اسم موصول بالمفرد، والمقصود هنا الواحد الأحد ﷻ **﴿يَرْزُقُكُمْ﴾**: من هو الذي ترعمون أنه يسوق إليكم الرزق من الأرض ومن السماء؟ والإجابة: لا أحد **﴿إِنَّ﴾**: حرف شرط؛ إذا **﴿أَمْسَكَ﴾**: منع **﴿رِزْقَهُ﴾**: إذا قطع الله ﷻ عنكم رزقه؛ من يرزقكم من بعده؟ والإجابة لا أحد، والحقيقة أنهم **﴿بَلْ﴾**: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده **﴿لَجُوا﴾**: تهادوا **﴿فِي عُتُوٍّ﴾**: الاستكبار والعناد **﴿وَوُجُوهٍ﴾**: حرف عطف يفيد الحال، أيضاً لجوا في **﴿نُفُورٍ﴾**: هروبٍ وامتناعٍ، لا يسمعون، ولا يريدون، ويكرهون الاستجابة، في عنادٍ وابتعادٍ عن الحق.

﴿أَمَّنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٢)

﴿أ﴾: حرف استفهام ﴿فَمَنْ﴾: حرف استفهام استثنائي عن العاقل ﴿يَمْشِي﴾: هل يستوي الذي يمشي ﴿مُكِبًّا﴾: يسيرٌ ووجهه إلى الأرض كالدواب ﴿عَلَى وَجْهِهِ﴾: ينظر إلى الأرض فلا يرى إلا مساحةً صغيرةً، فلا يعرف أين يذهب ﴿أَهْدَى﴾: هل هذا الذي مثل الدابة يعلم أكثر ﴿أَمَّنْ﴾: أم الذي ﴿يَمْشِي سَوِيًّا﴾: يسير على قدميه؛ مُنْتَصِبًا ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: يمشي على طريق واضحٍ مستوٍ، مُدَلِّلٍ، يعرف أين يسير، وكيف يسير.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٢٣)

﴿قُلْ﴾: هذا فعل أمر خاص؛ لأن عادة القرآن أن لا يُعاد لفظ "قل" إلا حيث يُراد التشريف والتعظيم والتشديد في الحكم، يا محمد ﷺ وهو أمرٌ لكلِّ مؤمن برسالته ﷺ ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرٌ منفصلًا مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، هنا المقصود هو الله ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ هنا يفيد الفرد، الواحد الأحد، ﷻ ﴿أَنْشَأَكُمْ﴾: ابتداء خلقكم، ولم تكونوا شيئًا مذكورًا ﴿وَجَعَلَ﴾: خلق ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا وتمليكًا ﴿السَّمْعَ﴾: قدّم الله ﷻ السمع بصيغة المفرد؛ فالذي لا يسمع لا يتعلم، وهي عملية في غاية الإبداع، حيث تمر الكلمة على هيئة ذبذبات الهواء من فم المتحدث، أو مصدر الصوت؛ فتطرقُ طبلةً رقيقةً في الأذن؛ فتتهتز؛ فتتحول هذه الذبذبات عبر ثلاث عظمات صغيرة إلى عصب السمع، وتسير على هيئة موجات كهربائية، تصل إلى مركز السمع؛ فيعرف الإنسان والحيوان ويعي المعنى؛ في زمنٍ غايةٍ في القصر ﴿و﴾: أيضًا خلق لكم ﴿الْأَبْصَارَ﴾: بينما جعل السمع بصيغة المفرد جاء الأبصار بصيغة الجمع، وهو سُقوط ضوءِ الأشياء على شبكيةٍ في أعرق جزءٍ من العين؛ فتتحول الموجاتُ الضوئيةُ إلى موجاتٍ كهربائيةٍ، تسير في أعصاب البصر، إلى مركزٍ في قاع المخ؛ فيترجمها إلى صورٍ يُدركها العقل ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾: خصّ الله ﷻ القلوب بالذكر؛ لأنها مراكز العلم والإدراك، وجاء ذكره ليذكرهم ﷻ بقيمة المسموع والمشاهد والمعقول التي توضح الحجج وتقطع المعذرة وذمّ عدم ذكر فضل الله ﷻ. هذه القلوب التي تعمل كمضخاتٍ للدمّ بصورةٍ مستمرةٍ؛ بلا كللٍ، ولا مللٍ، وأيضًا كما جاء أنّ القلوب هي مراكز الوعي والإدراك في كثير من الآيات ﴿قَلِيلًا مَّا

تَشْكُرُونَ: جاء اللفظ القرآني "قليل" هنا بمعنى لا شيء من الشكر على نعم ربكم ﷺ عليكم. انظر [البقرة-٧٩]، أي لا تستخدمون هذه القوى في طاعة الله ﷻ، وامثال أوامره، وترك نواهيه.

قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾

قُلْ: ارفع صوتك يا محمد ﷺ: **هُوَ الَّذِي**: اسمٌ موصولٌ بالفرد، الواحد، الأحد الصمد ﷻ **ذَرَأَكُمْ**: خلقكم، وبتكم، وفرقكم **فِي الْأَرْضِ**: بعد خلقكم؛ بتسخير وسائل الانتقال من المشي، وركوب الدواب، والسيارات، والطائرات، كل هذا من فضل الله ﷻ عليكم؛ فالذي نشركم قادرٌ على جمعكم **وَإِلَيْهِ**: إلى الله يوم القيامة **تُحْشَرُونَ**: يجمعكم من تفرقكم في أقطار الأرض، بعد أن يجمع رفات أجسادكم المتحللة من الأرض، وهذا يُذكر بيوم القيامة، ويوم الحشر، والحساب.

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾

و: عطفًا على ما سبق **يَقُولُونَ**: يقول الكفار الذين لا يؤمنون بيوم البعث، في سؤال يعرفون أنّ أحدًا لا يعرفه؛ حتى يأتي **مَتَى**: حرفٌ استفهامٌ عن الزمن **هَذَا**: حرفٌ تنبيهٍ وإشارة **الْوَعْدُ**: سَمَاهُ اللهُ ﷻ الوعد وهو وعيد متى يكون يوم البعث؛ يسألون استبعادًا لحدوثه **إِنْ**: حرف شرط **كُنْتُمْ صَادِقِينَ**: يقولون للمسلمين إذا لم تذكروا لنا موعد القيامة؛ فأنتم كاذبون.

التكليف: يسأل الكافرون عن الثواب الذي يناله المؤمنون متى يكون، ومتى تتحقق البشري بنصرهم على أعدائهم؛ من باب التعجيز.

قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾

قُلْ: يا محمد ﷺ: **إِنَّمَا**: أداة حصرٍ تفيد التحديد والتخصيص **الْعِلْمُ**: لا يعلم موعد القيامة أحدٌ؛ لأنه **عِنْدَ**: ظرفُ زمانٍ وظرفُ مكانٍ اختص به فقط **اللَّهُ**: إلا الله ﷻ **و**: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال **إِنَّمَا أَنَا**: محمد ﷺ **نَذِيرٌ**: أنا أخبركم، وأُنذركم، وأُحذركم، وأؤكد لكم وقوع هذا اليوم العظيم **مُبِينٌ**: مهمتي البلاغ، وقد أديته بوضوح، وجلاءٍ، وصدقٍ؛ فلا حُجَّةَ لكم بعدي، أمّا كيف سيكون حالكم هذا اليوم؟

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ (٢٧)

﴿فَلَمَّا﴾: حرف يُعِيدُ التتابع والسبب ﴿رَأَوْهُ﴾: رأي أهل النار عذاب الله ﷻ ﴿زُلْفَةً﴾: قريبًا، جاء وعد الله ﷻ، يوم القيامة، واقعا ﴿سِيئَتْ﴾: تغيرت؛ فاسودت وصارت كئيبةً، وتغير لون ﴿وُجُوهُ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: من الرجال والنساء اسودت، وذلت، وخضعت وجوههم ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحال ﴿قِيلَ﴾: توبيخًا، الله ﷻ أعلم من سيقول لهم ﴿هَذَا﴾: يوم القيامة ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ هنا باليوم ﴿كُنْتُمْ بِهِ﴾: في حياتكم الدنيا ﴿تَدْعُونَ﴾: هذا الذي طلبتم، واستعجلتم وقوعه؛ جاء تقريبًا وتوبيخًا.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (٢٨)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ للكافرين المنكرين فضله عليهم ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الاستنكار ﴿رَأَيْتُمْ﴾: علمتم ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿أَهْلَكْنِي اللَّهُ﴾: افتراضًا؛ أماتي ﴿وَمَنْ﴾: أيضًا الذي أمات الذين ﴿مَعِيَ﴾: من المسلمين المؤمنين ﴿أَوْ﴾: حرف عطفٍ يُفيدُ تسوية ما بعده "الرحمة" بما قبله "الموت" ﴿رَحِمَنَا﴾: نجّانا في الدنيا وفي الآخرة، ورحمنا من عذاب النار، وأدخلنا الجنة، ونحن أحبّاءه، وأولياؤه ﴿فَمَنْ﴾: حرف استفهام استثنائي عن العاقل ﴿يُجِيرُ﴾: يُنجي أو يمنع ﴿الْكَافِرِينَ﴾: من يحمي الكافرين، من يأخذهم في جواره؛ لئنجيهم ﴿مَنْ﴾: حرف جرٍ يُفيدُ بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿عَذَابِ أَلِيمٍ﴾: شديد الوجع والإيلام؛ لا أحد يُجيركم؛ فاعتبروا.

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنًا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢٩)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ يا أيها المؤمنون قولوا الحقيقة واضحة: ﴿هُوَ﴾: الله ﷻ ﴿الرَّحْمَنُ﴾: هو الله الذي كتب على نفسه الرحمة ﴿آمَنًا بِهِ﴾: نُعلنها عاليةً، واضحةً، صريحةً؛ أننا المؤمنون بالله ﷻ، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر؛ كله من عند الله ﷻ ﴿وَعَلَيْهِ﴾: على الله ﷻ ﴿تَوَكَّلْنَا﴾: اعتمدنا في كلِّ أمورنا، ونحن مؤمنون بفوز الدنيا والآخرة ﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿س﴾: حرف يفيد توكيد القول والفعل في المستقبل ﴿تَعْلَمُونَ مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿هُوَ﴾: في اللغة

يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، هنا هو الذي ﴿في ضلال﴾: في بعد واضح من هو التائه؟ الضائع؟ عن طريق الله ﷻ المستقيم؟ نحن أم أنتم؟ ﴿مبين﴾: رغم وضوح الحق من الباطل؛ فستعرفون من هو الذي في تيه واضح وبين.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ (٣٠)

﴿قُلْ﴾: يأمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يستمر في الحديث إلى الكافرين؛ فيسألهم: ﴿أ﴾: حرف استفهام ﴿رَأَيْتُمْ إِنْ﴾: أخبروني في حال ﴿أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾: لم ينزل ماءً من السماء، وغار ما بقي من ماءٍ في أعماق الأرض؛ فلا تتأله فؤوسكم، ومحاريتكم، ولا تصل إليه أيديكم وأدواتكم الحديثة؛ وغارت الآبار العميقة الكبيرة داخل الأرض ﴿فَمَنْ﴾: حرف استفهام استثنائي عن العاقل ﴿يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾: من سيوفر لكم ماء الأنهار، وماء باطن الأرض غير الله ﷻ؟ التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ تُدرك درجة كمال ملك الله ﷻ، وقدرته في ملكوته العظيم، في الأرض وخيراتها والكواكب ودورها؛ حتى يتيقن أهل العلم من صدق دعوة الإسلام.



سُمِّيت سورة القلم بهذا الاسم في معظم كتب التفسير، وسُمِّيت أيضاً سورة "ن والقلم"، وبعضهم قال "سورة نون" وسُمِّيت سورة "ص" وسورة "ق"، وهي سورة مكية، لا خلاف في ذلك بين أهل التأويل، وترتيبها رقم (٢) في عدد نزول سور القرآن الكريم، وعدد آياتها (٥٢) باتفاق العاديين.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (١)

﴿ن﴾: اعتماداً على ما يقوله علماء النحو والبلاغة إن الضمائر في الكلام الأصل أن تعود على متقدم في اللفظ والترتبة، ولا تعود على متأخر في اللفظ والترتبة، بمعنى ما هو الاسم الذي سبق، وعليه فإن الحرفين؛ أي على ما ومن يعود الضمير، أرى، والله أعلم، أنها إشارة إلى محمد ﷺ، وبدراسة الآية نجد أنه جاء بعدها ﴿وَالْقَلَمِ﴾ هنا واو القسم، وجاء في الآية (٢) ﴿مَا

أَنْتَ ﴿ ولم يسبقها في هذه السورة ضميرٌ أو اسمٌ أحد، وجاء في الآية (٣) ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾، ولم يأت ضميرٌ اسمٌ قبلها يعود إليه الضمير لك وجاءت في الآية (٤) ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ﴾، وفي الآية (٥) ﴿فَسْتَنْبِصِرُ﴾، وفي الآية (٦) ﴿بِأَيْكُمُ﴾، وفي الآية (٧) ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾، وفي الآية (٨) ﴿فَلَا تُطِعْ﴾، وفي الآية (٩) ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ﴾ وفي الآية (١٠) ﴿وَلَا تُطِيعُ﴾ وكلها تعود على محمد ﷺ، وقد يكون المقصود هو الحرف ذاته: نجد في الآية رقم (١) يقسم الله ﷻ بالقلم أداة الكتابة، الذي يكتب به الملائكة والناس، وأيضًا يُقسم بالكتابة ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾. ولا شك أنّ القراءة والكتابة من أعظم ما كُرم به بنو آدم. وبدراسة موقع هذا الحرف القرآني نجد أنه كان حرفًا في كلمات منيرة في هذه السورة العظيمة؛ نجد أنه جاء في نهاية معظم الكلمات الربّانية، التي شملتها هذه السورة ففي الآية رقم (١) ﴿يَسْطُرُونَ﴾، وفي الآية (٢) ﴿بِمَجْنُونٍ﴾، وفي الآية (٣) ﴿مَمْنُونٍ﴾، وفي الآية (٥) ﴿وَيُبْصِرُونَ﴾، وفي الآية (٦) ﴿الْمَفْتُونُ﴾، وفي الآية (٧) ﴿بِالْمُهْتَدِينَ﴾، وفي الآية (٨) ﴿الْمُكْذِبِينَ﴾، وفي الآية (٩) ﴿فَيُذْهِبُونَ﴾، وفي الآية (١٠) ﴿مَهِينٍ﴾، وفي الآية (١٤) ﴿وَبَنِينَ﴾، وفي الآية (١٥) ﴿الْأُولِينَ﴾، وفي الآية (١٧) ﴿مُضْجِبِينَ﴾، إلى آخر السورة، ولقد جاء حرف النون في هذه السورة الكريمة (١٣١) مرّة في خمسين آية، فيها (٧٧) كلمة قرآنية عظيمة تنتهي بحرف النون، وليس هناك حرفٌ آخرُ انتهت به آية بهذا العدد، والله أعلم، ولقد جعل الله من حرف النون، سورةً عظيمةً بكلماتٍ عظيمة؛ انتهت بحروف عظيمة؛ دليل إعجازٍ عظيم، وقيل حوت عظيم، وقيل لَوْحٌ من نورٍ، وقال الحسن، وقتادة: الدواة التي فيها الحبر ﴿و﴾: حرفٌ واو القسم ﴿الْقَلَمُ﴾: جنس القلم، وقيل القلم الذي كتب الله ﷻ به الذكْر، حيث يُقسم الله ﷻ بالقلم والحبر، وهي أدوات الكتابة والقراءة، وهي من أكبر النعم على الإنسان ﴿وَمَا﴾: ويقسم ﷻ أيضًا بالذي ﴿يَسْطُرُونَ﴾: جاءت بصيغة المضارع للدلالة على استمرار وتجدد أعمال الخلق إلى يوم القيامة؛ قال ابن عباس: ما يكتبون، وقال أبو الضحى: ما يعملون، وقال السدي: الملائكة وما تكتب من أعمال العباد من الخير، والعلوم.

﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ (٢)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿أَنْتَ﴾: يا محمد ينفي الله ﷻ عنه ﷺ ﴿بِنِعْمَةٍ﴾ بفضل الله عليك من النبوة والرسالة والهدى والفرقان ﴿رَبِّكَ﴾: مالك أمرهن كله ﴿بِمَجْنُونٍ﴾: لست كما يقول الكفار أنك فاقد العقل؛ وهذا جواب القسم.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ (٣)

﴿و﴾: أيضًا ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿لَكَ﴾: تخصيصًا ﴿لَأَجْرًا﴾: ثوابًا ﴿غَيْرٍ﴾: حرف استثناء بمعنى إلا ﴿مَمْنُونٍ﴾: سيكافئك ربك بأجرٍ عظيمٍ في الدنيا، يرفعُ ذكرك، وفي الآخرة لك أجرٌ أعظم، غير مقطوعٍ وغير منقوصٍ، وغير محسوبٍ، عطاءً غير مجذوذ؛ بسبب ما عانى من الشدائد؛ على تبليغه للرسالة.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿إِنَّكَ﴾: أنت بالتأكيد يا محمد ﷺ ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ، أنت قائمٌ على ﴿خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾: تقيّد الاستعلاء على سبيل المجاز والاستعارة، وليس بمعنى الاستعلاء فوق الخلق العظيم، قال: ابن عباس: على دينٍ عظيمٍ، وقال عطية: على أدبٍ عظيمٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا أَنْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ حَتَّىٰ يُنْتَهَكَ مِنْ حُرْمَاتِ اللَّهِ، فَيَنْتَقَمَ لِلَّهِ^(١).

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ (٥)

﴿ف﴾: حرفٌ يُفيدُ السبب ﴿س﴾: حرفٌ تحقيق الفعل والقول في المستقبل القريب ﴿تُبْصِرُ﴾: هنا وعد من الله ﷻ لرسوله ﷺ سوف ترى، وتعرف وتدرک أيها الرسول ﴿وَيُبْصِرُونَ﴾: أيضًا يشاهدون ويعانون؛ وعيدٌ لمن لم يُصدّق الرسول، ويقصد المشركين.

﴿بِأَيْكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ (٦)

﴿ب﴾: حرف باء الالتصاق ﴿أَيْكُمُ﴾: في أيّ الفريقين أنت؟ أمّن المسلمين؟ أم الكافرين؟ قال ابن عباس: ستعلم ويعلمون يوم القيامة من هو ﴿الْمَفْتُونُ﴾: المجنون، الذي كان وليًّا للشيطان، وقال قتادة: الذي ضلّ.

(١) صحيح مسلم ٤/١٨١٣ (٢٣٢٧).

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٧)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿رَبَّكَ﴾: الله ﷻ مالك أمرك وأمرهم كلّه يا محمد ﷺ
﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضمير رفعٍ منفصلٍ للغائب الفرد المذكور، والمقصود هنا الله ﷻ
﴿أَعْلَمُ﴾: هو الأعلم، صاحب العلم الكامل ﴿بِ﴾: حرف باء الالتصاق ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس
العاقل ﴿ضَلَّ﴾: الذي تاه وابتعد ونأى ﴿عَنْ﴾: حرف جرّ يُفيد سبب المجاوزة ﴿سَبِيلِهِ﴾: عن
دين الله ﷻ ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾: هو أعلم بالذين هداهم، ودلّهم، على الطريق السليم،
طريق الحق.

﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٨)

﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب وهو ترتيب النهي ﴿لَا﴾: حرفٌ ربط جواب الشرط ﴿تُطِعِ﴾: ينهى
الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ وكلّ مسلمٍ عن طاعة وممالة المشركين، وهم كفّارٌ مكّة الذين دعوا
النبي ﷺ إلى دين آبائهم ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾: لا طاعة للذين كذبوا برسالة محمدٍ ﷺ وأنكروا يوم
القيامة، وبما آمن به المؤمنون، وهي تصلح لكلّ قولٍ وعملٍ في كلّ زمانٍ.

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (٩)

﴿وَدُّوا﴾: تمنوا، وأحبوا، وأرادوا بوسائلهم الشيطانية، أنصاف الحلول ﴿لَوْ﴾: حرفٌ يفيد الاستحالة
﴿تُدْهِنُ﴾: قال ابن عباس: لو ترضخ لهم فيرضخون، وقال مجاهد: تركن إلى آهتهم، وتنزل
عما أنت عليه من الحق، وقيل: تُلاين، وتتنازل قليلاً، وتُصانع ﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌ بهدف
ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿يُدْهِنُونَ﴾: فيُظهروا تنازلاً ويصانعونك، وهم لا
يُقدّمون إلاّ كذباً.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ (١٠)

﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿لَا﴾: حرف تحريم ﴿تُطِعْ﴾: لا تتصاع، وتستجيب أيّها الرسول ﴿كُلِّ﴾:
جميع ﴿حَلَّافٍ﴾: إنسانٍ، كثير الحلف، الذي يتجرأ على الله ﷻ؛ فيحلف باسم الله في كلّ
وقتٍ، وفي غير محلٍّ، وهو الذي يُكثر من الحلف بالله ﷻ ﴿مَّهِينٍ﴾: حقير الرأي والتميز،
قال: ابن عباس: الكاذب، وقال الحسن: هو ضعيف.

التكليف: كل الأوامر والنواهي الربانية هي فقط إطار التربية والتأديب قال ﷺ: أدبني ربّي فأحسن تأديبي.

﴿هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ (١١)

﴿هَمَّازٍ﴾: هو كثير اغتياب النَّاسِ، الذي يُعيب على عددٍ كبيرٍ منهم ﴿مَشَاءٍ﴾: كثيرُ السعي للإفساد بين النَّاسِ ﴿بٍ﴾: حرف باء الصلة ﴿نَمِيمٍ﴾: الذي يسعى للفساد بين النَّاسِ، والتحريش بينهم، هم أصحابُ النَمِيمَةِ، قال ﷺ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ^(١).

﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ (١٢)

﴿مَنَاعٍ﴾: الذي يمنع الخير بصورةٍ كبيرةٍ، ولا يؤدي الزكاة المفروضة، مَنَاعٌ بصيغة فَعَالٍ يمنع ما عنده وما عليه ﴿لِلْخَيْرِ﴾: هو كلُّ ما يُفيد الإنسان من مالٍ، وكسائٍ، ودواءٍ، ونصيحةٍ ﴿مُعْتَدٍ﴾: يأكل الحرام، ويتجاوز الحدَّ المشروع ﴿أَثِيمٍ﴾: يرتكب الجرائم الكبيرة من الآثام.

﴿عَثَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ (١٣)

﴿عَثَلٍ﴾: صاحبُ اللسان الفظ، الغليظ، المستكبر، وقيل المَنُوع الذي يمنع، وهو الجَوَاطِ، المُستكبر ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: إشارةٌ للبعيد ﴿زَنِيمٍ﴾: الدعيّ في قومه، الذي يُنسبُ لنفسه ما ليس فيه، قال ابن عباس: الدَّعِيُّ الفاحشُ اللئيم، وقال مجاهد: المُلْحَقُ النسب، وقال سعيدُ بن المسيَّب: المُلصقُ بالقوم ليس منهم، وقال عكرمة: ولد الزنا، وقال ابن جبير: الذي يُعرف بالشر، وقال الضحاك: اللئيم المُلصق في النسب، وقد تكون هذه الصفات كلّها، أو بعضها في شخصٍ واحدٍ؛ مثل الوليد بن المغيرة، والله أعلم.

﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ (١٤)

﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿كَانَ ذَا﴾: صاحب ﴿مَالٍ﴾: قد يكون من الأغنياء، الذي وهبه الله ﷻ مَالًا ﴿و﴾: أيضًا له ﴿بَنِينَ﴾: وأعطاه الله ﷻ الأولاد؛ فكفر بأنعم الله ﷻ عليه.

﴿إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ﴾ (١٥)

(١) صحيح مسلم ١٠١/١ (١٠٥).

﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها
 ﴿ثَلَاثِي﴾: تُقرأ ﴿عليه آياتنا﴾: إذا سمع آيات الله ﷻ؛ كذّبا وقال: ﴿أَسَاطِيرُ﴾: قصص
 وحكايات ﴿الْأُولَيْنِ﴾: الأقسام السابقة، أو قال: هي تاريخ وليس عقيدة، أو هي مآثر وليست
 كتابًا من الله ﷻ.

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ (١٦)

﴿سَن﴾: حرفٌ يُفيد التحقق للفعل والقول في المستقبل ﴿نَسِمُهُ﴾: سنلحق به العار والفضيحة
 يوم القيامة؛ بوسمٍ لا يُفارقُه؛ كالوسم الذي على الأنف؛ نجعل له علامةً يُعرف بها لا تزول،
 وقيل سُنْدَلُهُ غاية الإذلال، وقيل هي سمّة أهل النَّار؛ نسود وجهه يوم القيامة ﴿عَلَى الْخُرْطُومِ﴾:
 أي لازمه عار لا ينمحي عنه، علامةً على أنفه، أو في مكانٍ لا تُغادره، وقيل على أنفه كناية
 عن وجهه كلّهُ، وقد تكون كلُّ هذه الصفات فيه؛ والله أعلم. وقد حُطِمَ الوليد بن المغيرة على
 أنفه بالسيف يوم معركة بدر.

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ (١٧)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع
 وهو واحدٌ أحد؛ للتعظيم والتوكيد ﴿بَلَوْنَاهُمْ﴾: اختبرنا أهل قريش من أهل مكّة بالقطط ﴿كَمَا﴾:
 مثلما ﴿بَلَوْنَا﴾: كما اختبرنا ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾: كما اختبرنا أصحاب بستانٍ بالقرب من صنعاء،
 فيه من كلِّ أنواع الفواكه والثمار ﴿إِذْ﴾: حرفٌ للتوكيد يُفيدُ حدث في الماضي، قيل إنهم من
 أهل اليمن، وقيل إنهم من أهل الحبشة، ترك لهم أبوهم هذه الجنة؛ فكان يسترد ما أنفق، ويُوفّر
 ما يحتاج إليه عياله، ثم ينفق حق الفقراء، فلما أرادوا أن يستولوا على حق الفقراء، أذهب الله
 ﷻ كلَّ ما بأيديهم: رأس المال، والربح، والصدقة ﴿أَقْسَمُوا﴾: حلفوا فيما بينهم ﴿ل﴾: حرف
 علّةٍ وسببٍ ﴿يَصْرِمُنَّهَا﴾: يقطعون، ويجنون الثمار من بساتينهم ﴿مُصْبِحِينَ﴾: قيل ليلاً؛ حتى
 لا يراهم الفقراء، وقيل عند دخول الصبح؛ والفقراء نيام؛ حتى لا يتصدقوا في النهار بشيء.

﴿وَلَا يَسْتَنْوِنُونَ﴾ (١٨)

﴿و﴾: أيضًا أقسموا ﴿لا﴾: حرف نفي ﴿يَسْتَتْنُونَ﴾: قيل فيما حلفوا أنهم لا يُعطون أحدًا، من المساكين وقيل لم يستثنوا للفقراء ما خصصه أبوهم للفقراء من قبل، مخالفين لأبيهم، ولكن لم يقولوا إن شاء الله؛ والله أعلم.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (١٩)

﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿طَافَ عَلَيْهَا﴾: أحاطت بهذه الجنة ﴿طَائِفٌ﴾: والطائف هو الغالب في الشرّ، كما جاء سابقًا: ﴿إِذَا مَسَّهْمَ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأعراف-٢٠١]، فأنزل الله ﷻ عليها نارًا فكانت بلاءً وعذابًا، فأنت عليها جميعًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية وهي هنا تفيد بداية الغاية الكلية ﴿رَبِّكَ﴾: فهو مالك أمره كلّه جاءت نازًا من الله ﷻ ﴿وَهُمْ﴾: تحديدًا ﴿نَائِمُونَ﴾: وأصحابُ، البستان، الجنة، لا يدرون.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ (٢٠)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿أَصْبَحَتْ﴾: صارت ﴿ك﴾: مثل وحال ﴿الصَّرِيمِ﴾: أحرق الله ﷻ جنتهم ليلاً، فأصبحت محترقةً، سوداء كالليل المظلم، قال ابن عباس: كالليل الأسود؛ احترقت، وقال السدي: مثلُ الزرع الذي جفّ؛ فصار هشيمًا يابسًا، أو كالبستان الذي جُنبت ثماره من قبل.

﴿فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ﴾ (٢١)

﴿ف﴾: لهذا السبب ودون تأخير ﴿تَنَادُوا﴾: نادى بعضهم على بعضٍ ﴿مُصْبِحِينَ﴾: مُبكرين في الصباح؛ ليذهبوا إلى قطف ثمارهم.

﴿أَنْ اَعْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾ (٢٢)

﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿اعْدُوا﴾: من العُدوّ؛ اذهبوا مُبكرين مُسرعين ﴿عَلَى حَرْثِكُمْ﴾: على زرعكم، وثماركم، قبل مجيء الفقراء ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾: كنتم قاصدين جني الثمار، قال مجاهد: كان زرعهم عنبًا؛ والله ﷻ أعلم.

﴿فَأَنظَلُّوْا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ﴾ (٢٣)

﴿ف﴾: حرف استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿انطلقوا﴾: ذهبوا ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال، عطفًا على ما سبق كانوا ﴿هم﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، وتحديدًا ﴿يتخافتون﴾: يتاجون بينهم، بصوتٍ منخفضٍ؛ حتى لا يسمعهم أحدٌ، ككل المتأمرين.

﴿أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ (٢٤)

﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل، يُخبر الله ﷻ الذي يعلم السر والنجوى ﴿لا﴾: حرف نفي ﴿يدخلنها﴾: بكل تأكيد لا تسمحوا أن يدخل مزرعتكم ﴿اليوم عليكم﴾: في مزرعتكم ﴿مسكين﴾: فقيرٌ، من الذين لا يملكون قوت يومهم، يأخذ من ثمركم، بمعنى لا يأخذ منها فقيرٌ ولا محتاجٌ، هؤلاء البخلاء المخالفون لأمر الله ﷻ.

التكليف: جاء لفظ مسكين أي فقيرٍ واحدٍ؛ كناية دلالة على شدة بُخلهم. فقد كان الفقراء يذهبون إلى البستان يأخذون حاجتهم أيام حياة والدهم الذي كان يُعطيهم شكرًا لله ﷻ وأداءً لحقّه.

﴿وَعَدُوا عَلَى حَزْبٍ قَادِرِينَ﴾ (٢٥)

﴿وعدوا﴾: مشوا مُبكرين إلى حرثهم ﴿على حزب﴾: على انفرادٍ، وعلى منعٍ، وقيل: قوةٍ وشدةٍ، قال مجاهد: على جدٍ، وقال عكرمة: على غيظٍ، وقيل: على نيةٍ القصد السيئ ﴿قادرين﴾: مصممين وعازمين في أنفسهم على ألا يأخذ الفقراء من البستان شيئاً؛ بل يحملون الثمار والحبوب إلى مخازنهم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ﴾ (٢٦)

﴿فلما﴾: حرف يُفيد التابع ﴿رأوها﴾: وصلوا إلى جنتهم المثمرة في الصُّبح، وقد تغير حالها، وذهبت نضارتها؛ وفسدت ثمارها، واسودت أوراقها، وصارت لا تصلح لشيءٍ ﴿قالوا إننا﴾: نحن أصحاب هذه الأرض التي كانت مثمرة بالتأكيد ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿ضالون﴾: جاء اللفظ القرآني "الضلال" على ثمانية أوجه، هنا بمعنى خطأ؛ أي قد أخطأنا المكان، هذا ليس زرعنا، ولا أرضنا التي نعرف، ولم يعلموا أنّ الله ﷻ إذا قدر غير كل شيءٍ في لحظات.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ (٢٧)

﴿بَل﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿نَحْنُ﴾: ضمير رفع منفصل يفيد الجمع من أصحاب هذه الأرض، التي كانت مُثمرةً ولكن نحن ﴿مَحْرُومُونَ﴾: عندما تعرّفوا على أرضهم أدركوا أنّ الله ﷻ حرّمهم الثمر، ولم يُعدّ لهم حظّ فيه، ولا نصيب.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ (٢٨)

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾: قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة: أخيرهم، وأفضلهم، وأعدلهم ﴿أَلَمْ﴾: حرف استفهامٍ تقريرٍ ﴿أَقُلْ﴾: لقد قلت ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا يوم صمّتم على حرمان الفقراء من ثمركم ﴿لَوْلَا﴾: حرف تخصيصٍ بمعنى هَلَّا ﴿تُسَبِّحُونَ﴾: قال مجاهد، والسدي: تستغفرون، وكان هذا في زمانهم تسبيحًا، وقال ابن جرير: قولوا إنّ شاء الله، وقيل هَلَّا تسبحون الله ﷻ وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم عليكم.

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٢٩)

﴿قَالُوا﴾: بعد أن عادوا إلى رشدهم ﴿سُبْحَانَ﴾: قالوا بعد أن عادوا إلى رشدهم ننزهُ الله ﷻ، عن القصور والضعف وكل النواقص، ﴿رَبِّنَا﴾: هو تعالى المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ للكون البديع من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام، وهو سبحانه الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فهو مالك أمرنا كلّه؛ وندمنا واعترفنا ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر ﴿كُنَّا﴾: قبل ذلك ﴿ظَالِمِينَ﴾: لمجرد أنهم أرادوا أن يجرموا الفقراء، كانوا ظالمين، فكيف بالذين يسرقون شعوبهم، وأرضهم؟.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ﴾ (٣٠)

﴿ف﴾: حرف استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿أَقْبَلَ﴾: جاء ﴿بَعْضُهُمْ﴾: عددٌ منهم ﴿عَلَى بَعْضٍ﴾: على عددٍ آخر، اتجه بعضهم إلى بعضٍ ﴿يَتَلَوْمُونَ﴾: يتعاتبون، يلومُ بعضهم بعضًا.

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ (٣١)

﴿قَالُوا﴾: نادمين ﴿يَا وَيْلَنَا﴾: يا خسارتنا يا عذابنا ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر ﴿كُنَّا﴾: في عملنا الذي سبق ﴿طَاغَيْنَ﴾: اعتدينا، وبغيانا، وتجاوزنا الحدود، في منعنا الفقراء ومخالفة أمر الله ﷻ.

﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ (٣٢)

قالوا نادمين: ﴿عَسَى﴾: فعلٌ جامدٌ يُفِيدُ الترجي؛ لأنه جاء من البشر ﴿رَبِّنَا﴾: يا مالك أمرنا كله، وهو أقوى منهم؛ يسألونه ﷻ ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُبَدِّلُنَا﴾: أن يُعَوِّضَنَا ﴿خَيْرًا﴾: أفضل، وأنفع وأجدي ﴿مِنْهَا﴾: حرفٌ يُفِيدُ بداية الغاية المكانية، وهي الحقائق والبساتين التي فقدناها ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾: نرجو عفوهُ ونطلب العوض منه وحده ﷻ وقيل: احتسبوا ثوابها في الآخرة؛ بتوبتكم؛ والله أعلم.

﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٣)

﴿كَذَلِكَ﴾: مثل هذا بالحرمان ﴿الْعَذَابُ﴾: هكذا نُعَذَّبُ من خالف أمرنا، لمن بخل، ومنع حق الفقراء والمساكين ﴿وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ﴾: كان العذاب في هذه الحالة في الدنيا ذهاب كلِّ المال، أمَّا عذاب الآخرة ﴿أَكْبَرُ﴾: من ذلك ﴿لَوْ﴾: حرفٌ يُفِيدُ الاستحالة ﴿كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: في شدته، وقسوته، فهي النار، خالدين فيها أبدًا، وهذا أكبر وأشدُّ.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ (٣٤)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿لِل﴾: حرف تخصيص وتمليك ﴿الْمُتَّقِينَ﴾: الذين آمنوا بالله يقينًا راسخًا، يرجون رحمته، ويخشون عذابه وفعلوا ما أمرهم به وتركوا ما نهاهم عنه ﴿عِنْدَ﴾: ظرف زمان ومكان ﴿رَبِّهِمْ﴾: مالك أمرهم كله ﴿جَنَّاتٍ﴾: وليست جنَّةً واحدةً ﴿النَّعِيمِ﴾: استجابةً من الله ﷻ يُعَدُّ جَنَّاتٍ، يتنعم فيها المتقون، لا تبيد ولا تفرغ، ولا يذهب نعيمها.

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٥)

﴿أَف﴾: حرف استفهامٍ بغرض الإنكار، والتفريع، والتوبيخ للكفار، وهذا الأول من التفريع ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿نَجْعَلُ﴾: في الجزاء ﴿الْمُسْلِمِينَ﴾: هل نعامل المسلمين الخاضعين لله ﷻ

بالطاعة ﴿ك﴾: حال ومثل معاملة ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: كما تعامل المشركين الكافرين، أو كما يقول المشركون؟ والإجابة لا يتساوون في الجزاء.

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٣٦)

﴿مَا لَكُمْ﴾: ماذا أصابكم ﴿كَيْفَ﴾: استفهامٌ يُعِيدُ التعجب والتوبيخ والإنكار ﴿تَحْكُمُونَ﴾: كيف حكمت هذا الحكم الجائر، تعتقدون أن نساوي بين المحسن والمسيء، وبين المؤمن والكافر؟

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ (٣٧)

﴿أَمْ﴾: هل ﴿لَكُمْ﴾: تمليكًا ﴿كِتَابٌ﴾: هل عندكم كتابٌ مُنَزَّلٌ من السماء ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾: تقرأون، وتجدون فيه أن المطيع لله ﷻ كالعاصي؟ كيف تفهمون، وتحفظون، وتطبّقون.

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ (٣٨)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿فِيهِ﴾: في هذا الكتاب ﴿لَمَا﴾: للذي ﴿تَخَيَّرُونَ﴾: ما تختارون منه ما تشاؤون، والحقيقة أنه ليس عندهم هذا الإدراك.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالِغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ (٣٩)

﴿أَمْ﴾: هل ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿أَيْمَانٌ﴾: هل أعطيناكم عهدًا ومواثيق ﴿عَلَيْنَا بِالِغَةِ﴾: مؤكدة بالأيمان ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: مستمرة حتى قيام الساعة ﴿إِنَّ﴾: نحن نؤكد لكم فيها أن ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿لَمَا﴾: للذي حين ﴿تَحْكُمُونَ﴾: تحكمون به لأنفسكم أنكم ستحصلون على ما تريدون، وتتلون ما تشتهون، والحقيقة أنه لا يوجد عندهم من هذا من شيء.

﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ (٤٠)

﴿سَلِّمُوا﴾: اسألهم يا محمد ﷺ المراد هنا المعنى المجازي وليس الحقيقي بغرض التوبيخ والتقريع ﴿إِلَيْهِمْ﴾: من منهم ﴿بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿ذَلِكَ﴾: بما يدعون ﴿زَعِيمٌ﴾: أيهم بذلك الحكم الضامن المُتَكَلِّفُ بهذه الوعود، والإجابة لا أحد؛ لاستحالة سؤالهم يوم القيامة؛ لأن الله ﷻ منعهم من ذلك.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٤١)

﴿أَمْ﴾: هل ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿شُرَكَاءَ﴾: هل لهم من دون الله ﷻ شركاء، آلهة ممن يعبدون من الأصنام، والأنداد، وعدوهم بما يدعون ﴿ف﴾: لهذا السبب هنا ربط جواب الشرط ﴿إِنْ﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿يَأْتُوا﴾: هذا أمرٌ للتعجيز ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة ﴿شُرَكَائِهِمْ﴾: ليأتوا بهؤلاء ﴿إِنْ﴾: حرف شرطٍ بهدف التعجيز ﴿كَانُوا صَادِقِينَ﴾: كيف سينطق الصنم والحجر، وماذا سيقول الكذّابون؟

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتِطِيعُونَ﴾ (٤٢)

﴿يَوْمَ﴾: هو اليوم الذي وعد الله ﷻ عباده المؤمنين بجنّات النعيم ﴿يُكْشَفُ عَنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد التجاوز ﴿سَاقٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة لتفيد أنه أمرٌ مُبهمٌ في الشدة وهو تشمير الملابس عن الساق في شدة الأمر؛ وصعوبة الخطب، والتشمير كنايةً عن الحاجة إلى الجدّ ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿يُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ﴾: والأمر هنا لاختبار لإيمانهم؛ ليس الهدف السجود في ذاته. قال ﷺ: يُكْشَفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا^(١)، وقيل أيضًا: نُورٌ عَظِيمٌ؛ يَخْرُونَ لَهُ سُجْدًا، وقال ابن عباس: هو يوم القيامة؛ يوم كربٍ وشدةٍ، وقال أيضًا: يوم يُكْشَفُ الأَمْرُ الشَّدِيدُ الفَظِيعُ مِنَ الهَوْلِ يوم القيامة، وقال مجاهد: يوم يُكْشَفُ عَنْ شَدَّةِ الأَمْرِ وَجَدَّهُ ﴿فَلَا﴾: حرفٌ تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل ﴿يَسْتِطِيعُونَ﴾: ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسُمْعَةً فيذهب؛ ليسجد فيعود ظهره قطعةً واحدةً.

﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُفُهُمْ ذِلَّةً وَقَدْ كَانُوا يُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ (٤٣)

﴿خَاشِعَةً﴾: منكسة ذليلة ﴿أَبْصَارُهُمْ﴾: هنا مجاز عقلي نسب الله ﷻ الخشوع إلى أبصارهم التي في وجوههم، والتي تعكس ما في قلوبهم يوم القيامة، تعكس تكبرهم، وتجبرهم في الدنيا ﴿تَرْهُفُهُمْ﴾: تغشاهم وتثقل عليهم ﴿ذِلَّةً﴾: الذلّة هي المشاعر التي كانت عن قهرٍ وهوانٍ وخوفٍ ﴿وَقَدْ﴾: حرفٌ يُفيد حدث في الماضي ﴿كَانُوا﴾: في حياتهم الدنيا ﴿يُدْعُونَ﴾: يُطلب منهم ﴿السُّجُودِ﴾: أي في الصلاة لله ﷻ وعبادته ﴿وَهُمْ﴾: تحديدًا ﴿سَالِمُونَ﴾: أصحاء أقوياء؛ فلم

(١) صحيح البخاري ١٥٩/٦ (٤٩١٩).

يسجدوا لله ﷻ ؛ فكان عقابهم في الآخرة عدم قدرتهم على السجود، بل كلما حاول أحدهم عاد ظهره لوحًا واحدًا، ثم يخزُّ على قفاه، ظهره.

﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٤)

﴿ف﴾: بسبب هذا، وفي تتابعٍ سريعٍ، وعطفًا على ما سبق ﴿ذَرْنِي﴾: هذا تهديدٌ شديدٌ؛ أي دعني، اتركني أيها الرسول، وهذا تشبيهٌ لما يحدث في الدنيا ولكن الرسول لا يملك أن يمنع الله ﷻ ﴿وَمَنْ﴾: وهذا الذي من جنس الإنسان ﴿يُكذِّبُ بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿هَذَا﴾: حرف تنبيه وإشارة ﴿الْحَدِيثِ﴾: فحسابه علي ﴿س﴾: حرفٌ يُفيد تحقق الفعل في المستقبل ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾: ننزل بهم في ذلّةٍ درجةٍ درجةً حتى يصلوا إلى العذاب وكأنتهم سيخرون على وجوههم أولًا بعد أن كانوا في أبراجهم وعلى عروشهم؛ جاءت بصيغة الجمع لتعظيم وتغليظ العذاب، وهم يظنون أنّ ذلك كرامة لهم من الله ﷻ ؛ بأنّ مدّهم بالمال والولد والنعم؛ أو لأنّهم يستحقون بما عملوا في الدنيا ﴿مِنْ حَيْثُ﴾: ظرف زمان ومكان ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُونَ﴾: لا يشعرون أنّ هذا إهانة.

﴿وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (٤٥)

﴿وَأْمَلِي﴾: أيضًا أمدٌ وأمهل ﴿لَهُمْ﴾: يشمل هذا إمهالهم، ومرادفة النعم وكثرة العطايا والآلاء عليهم؛ وأؤخرهم، وأطيل أعمارهم؛ ليزدادوا إثمًا، هذا مكري بهم، وكيدي لهم ﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿كَيْدِي﴾: بطش الله ﷻ بأهل الكفر ﴿مَتِينٌ﴾: قوي، شديد. عَنْ أَبِي مُوسَى ؓ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ اللَّهُ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ^(١).

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ (٤٦)

﴿أَمْ﴾: بل ﴿تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾: تطلب منهم ثمن ما تدعوهم إليه ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر يفيد سبب التحقق ﴿هُم﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، وتحديدًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿مَغْرَمٍ﴾: كأنّ ما

(١) صحيح البخاري ٧٤/٦ (٤٦٨٦).

يعطونك إياه يتسبب لهم في أعباء كثيرة على ظهورهم، وغرامة ذلك الأجر يرفضون؟ بسبب خسارة ما يدفعون من الأجر **﴿مُتَّقِلُونَ﴾**: أثقل، وشقّ، عليهم دفعه.

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ (٤٧)

﴿أَمْ﴾: بل **﴿عِنْدَهُمْ﴾**: ظرف زمانٍ وظرفُ مكانٍ، هل يعلمون ما هو في **﴿الْغَيْبِ﴾**: علمُ الله ﷻ فقط **﴿ف﴾**: بسبب هذا **﴿هُمْ﴾**: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، وتحديدًا من **﴿يَكْتُمُونَ﴾**: بناءً عليه يكتبون ما يحكمون به من الحُجج التي يُحاجّونك بها.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (٤٨)

﴿ف﴾: لهذا السبب **﴿اصْبِرْ﴾**: يا محمد ﷺ أنت ومن آمن معك على أذى قومك وتكذيبهم لك **﴿ل﴾**: حرف بمعنى على **﴿حُكْمِ﴾**: ما حكم به وقضاه **﴿رَبِّكَ﴾**: فهو مالك أمرهم كلّهُ حتى يأتي قدر الله ﷻ؛ فإنّ العاقبة لك، ولمن تبعك في الدنيا **﴿و﴾**: عطفاً على هذا **﴿لَا﴾**: حرف نفي وتحريم **﴿تَكُنْ ك﴾**: مثل أو حال **﴿صَاحِبِ الْحُوتِ﴾**: ولا تفعل كما فعل ذو النون وهو يونس بن متى **﴿إِذْ﴾**: حرف حدث في الماضي بمعنى حين ذهب مُغاضباً قومه، ولم يصبر على أذاهم، فتركهم وركب السفينة، فابتلعه الحوت، وغاص به في البحر؛ فسمع يونس تسبيح البحر، وما فيه من مخلوقات **﴿نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾**: وقد كان مُمتلئاً غيظاً وغماً من قومه، وقال عطاء: وهو مكروب، وقال ابن عباس: وهو في بطن الحوت، وفي عمق البحر، قال ﷺ: **﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾** [الأنبياء-٨٧، ٨٨]، عَنْ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " دَعَا ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ" (١).

﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ (٤٩)

(١) مسند أحمد ٦٥/٣ (١٤٦٢) قال الأرنؤوط: إسناده حسن. قال الحاكم في المستدرک ٤١٤/٢: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

دعا يونس عليه السلام، رَبِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِلًا: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ؛ ﴿لَوْلَا﴾: تخصيصًا ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَذَارِكُهُ﴾: أدركته ﴿نِعْمَةً﴾: رحمةً وعطفٌ ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية وهنا المقصود الغاية الكلية ﴿رَبِّهِ﴾: بتوفيق من الله ﷻ مالك أمره كله، له ليتوب، وقبول توبته؛ ففدغه الحوت من بطنه، ثم أنبت الله ﷻ عليه شجرةً من يقطين ﴿لَنْ﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿نُبْدًا﴾: أُلقي مطروحًا بالأرض الفضاء، وحيدًا، مُبعدًا ﴿بِ﴾: حرف باء الظرفية ﴿الْعَرَاءِ﴾: في المناطق الصحراوية، وحيدًا لا غطاء فيها من الشمس ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾: ذكر المساوي أيضًا وهي عكس المدح مُبعدٌ عن كلِّ خير، قال عبد الله بن عباس: قال رسول الله ﷺ: لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى (١).

﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٥٠)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿اجْتَبَاهُ﴾: قرَّبه واصطفاه بعودة الوحي ﴿رَبُّهُ﴾: مالك أمره كله، وفضله، واختاره، وخصه، وحباه ﴿فَجَعَلَهُ﴾: ارتضاه وقدره ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: عباد الله ﷻ الذين عملوا بما أمرهم ربُّهم، فأصلحوا دينهم ودنياهم.

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ (٥١)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿يَكَادُ﴾: يوشك ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا لَنْ﴾: حرف سببٍ ﴿يُزْلِقُونَكَ﴾: يزلون قدمك؛ فيرمونك، وقيل يصرعونك بأبصارهم من شدة الحقد، وقيل يختبرون قوتك ﴿بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿أَبْصَارِهِمْ﴾: قال ابن عباس، ومجاهد: حسدًا بسبب بغضهم الشديد ﴿لَمَّا﴾: حين ﴿سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾: بسبب ما سمعوا من القرآن الكريم ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿يَقُولُونَ إِنَّهُ﴾: الرسول ﷺ بالتأكيد ﴿لَنْ﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿مَجْنُونٌ﴾: ينفون عنك صفة النبوة، ويرمونك بالجنون. التكليف: تُؤكد هذه الآية أنّ العين تُصيب، وتؤثر.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا نَذْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٥٢)

(١) صحيح البخاري ١٥٣/٤ (٣٣٩٥).

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، هنا هو القرآن الكريم إنَّ هذا الذي جاءت فيه هذه الآيات ﴿إِلَّا﴾: حرفُ استثناءٍ بمعنى ما هو إلاَّ ﴿نَكَرَ﴾: موعظةٌ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾: أي عظةٌ وحكمةٌ وتذكيرٌ وتنبيهٌ لهم، على ما في عقولهم وما فطرهم عليه من التوحيد.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة نُدرِك علمًا وتلية من الله ﷻ له بعد مكابدة المشركين.



سُمِّيت سورة الحاقة بهذا الاسم في عهد النبي ﷺ في جميع المصاحف وكتب التفسير والسنة، ووجه التسمية هو وقوع هذه الكلمة في أولها، ولم تقع في غيرها من السور، وسُمِّيت أيضًا بسورة "السلسلة"، وسورة "الواعية"، وهي سورة مكية بالاتفاق، وهي في الموقع (٧٨) في ترتيب السور، نزلت بعد سورة "تبارك" وقبل سورة "المعارج"، وعدد آياتها (٥٢) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْحَاقَّةُ﴾ (١)

﴿الْحَاقَّةُ﴾: اسمٌ من أسماء يوم القيامة، الواقعة حقًا؛ التي يتحقق فيها الوعد للمؤمنين، والوعيد للكافرين.

﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ (٢)

﴿مَا﴾: حرف استفهامٍ غرضه تفخيم وتعظيم أمرها، وفضاعة شأنها، وتهويل حالها، وما هي طبيعتها؟ أي شيءٍ في أهوالها؟ سؤال يُعظّم شأن ﴿الْحَاقَّةُ﴾: هي يومُ القيامة.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ (٣)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيد الحال ﴿مَا أَدْرَاكَ﴾: ماذا تعلم؟ ومن أعلمك ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾: كيف فعلت الأمم السابقة عند ذكر يوم القيامة، يوم يُحقُّ الحق؛ فيكونُ الثواب ويكونُ العقاب؟

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودٌ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ (٤)

﴿كَذَّبَتْ﴾: أنكرت ورفضت التصديق ﴿ثَمُودُ﴾: قوم صالح ﴿و﴾: أيضًا كذَّبت ﴿عَادٌ﴾: قوم هود ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿الْقَارِعَةُ﴾: بيوم القيامة، التي تفرع القلوب بأهوالها.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ (٥)

﴿فَأَمَّا﴾: حرف تفضيلٍ وتوكيدٍ بمعنى أي ﴿ثَمُودُ﴾: هم قومُ صالحٍ ﷺ ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿أُهْلِكُوا﴾: دُمروا ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿الطَّاغِيَةِ﴾: قال ابن جرير: الصيحة التي أسكنتهم، والزلزلة التي أسكنتهم، من شدتها، وقال مجاهد: هلاكهم بسبب الذنوب.

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ (٦)

﴿و﴾: أيضًا ﴿أَمَّا﴾: حرف تفضيلٍ وتوكيدٍ ﴿عَادٌ﴾: هم قوم هود ﷺ ﴿ف﴾: كان سبب هلاكهم ﴿أُهْلِكُوا﴾: بادوا جميعًا ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿رِيحٍ﴾: جاءت كلمة "ريح" كما هي هنا في موضع الشرّ، أما كلمة الرياح فغير ذلك تمامًا ﴿صَرْصَرٍ﴾: شديدة البرودة ﴿عَاتِيَةٍ﴾: شديدة الهبوب، عنت عليهم؛ حتى كسرت صدورهم، وكشفت قلوبهم، وقيل كان صوتها مرتفعًا.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَنِعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ (٧)

﴿سَخَّرَهَا﴾: سلطها الله ﷻ ﴿عَلَيْهِمْ سَنِعَ لَيَالٍ وَ﴾: أيضًا ﴿ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾: وهي مدةٌ طويلةٌ؛ لأنها ﴿حُسُومًا﴾: تُفنيهم وتذهب بهم كاملات، مُتتابعات غير متقطعة ﴿ف﴾: حرف يفيد الاستئناف ﴿تَرَى﴾: تُشاهد ﴿الْقَوْمَ﴾: الجماعة أصحاب العقيدة الواحدة، وهم الكافرون ﴿فِيهَا﴾: في ديارهم في تلك الليالي والأيام ﴿صَرْعَى﴾: موتى مُهلكين، مصروعين في الأرض ﴿ك﴾: حرف تشبيه ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف يُفيد التأكيد ويفيد هنا التقريب ﴿أُعِجَازُ﴾: أصول وجذوع ﴿نَخْلٍ﴾: ساقطة على الأرض، جاء التشبيه بالنخل لطول قامتهم ﴿خَاوِيَةٍ﴾: مهترئة بالية، وقيل جذوع نخلٍ بلا رؤوس.

﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ (٨)

﴿فَهَلْ﴾: حرف استفهام يفيد النفي، بمعنى أهلكهم جميعًا ﴿تَرَى لَهُمْ﴾: هل وجدت أو شاهدت لهؤلاء القوم منهم نفسًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية

﴿بَاقِيَةٌ﴾: من نفسٍ تعيش حيّةً، هل بقي منهم أحدٌ لم يهلك؟ أو ممن ينتسب إليهم؟ والإجابة:
لا.

﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾ (٩)

﴿و﴾: أيضًا، وعطفًا على ما سبق، وليست للترتيب ﴿جَاءَ فِرْعَوْنُ﴾: فرعون حاكم مصر، بعد ذلك بزمانٍ طويلٍ، وما أكثر فراغته مصر منذ القرون الأولى، وحتى قيام الساعة ﴿وَمَنْ﴾: الذين ﴿قَبْلَهُ﴾: ومن سبق من الأمم الكافرة برسولهم ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾: قومُ لوطٍ عليه السلام، الذين انقلبت الأرض فوقهم ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة والصلة ﴿الْخَاطِئَةِ﴾: أصحاب الأفعال والأخطاء الجسيمة وهي التكبُّب، والفاحشة، والمعصية.

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ (١٠)

﴿ف﴾: بسبب هذا تعقيد السبب وأيضًا، والجمع بين الشيئين، من غير ترتيب ﴿عَصَوْا﴾: لم تطع كلُّ أمّةٍ ﴿رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾: مالك أمرهم كلّهُ، كلُّ قومٍ منهم كدّب رسوله الذي بعثه الله ﷻ فيهم ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والتتابع السريع ﴿أَخَذَهُمْ﴾: عذبهم ﴿أَخْذَةً رَابِيَةً﴾: عقابًا بالغ الشدّة، قال مجاهد: عذابًا، وفعلةً عظيمةً شديدةً، مُهلكة.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ (١١)

هذه في قوم نوح عليه السلام ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحدٌ؛ للتعظيم والتوكيد ﴿لَمَّا﴾: دليلٌ حدثٌ في الماضي ﴿طَغَى﴾: جاوز ﴿الْمَاءُ﴾: حدّه، وعلا وارتفع أكثر، فوق كلّ شيءٍ ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾: في السفينة؛ أرشد الله ﷻ نوحًا عليه السلام، كيف يصنع سفينة، ويحملهم ويحملكم؛ وأمر المؤمنين بركوبها، ثم جرت على الماء.

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيهَا أَدْنُ وَأَعْيَةً﴾ (١٢)

﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿نَجْعَلَهَا﴾: تكون ﴿لَكُمْ﴾: على وجه الخصوص ﴿تَذْكِرَةً﴾: عبرةٌ وعظةٌ، حفظ الله ﷻ المؤمنين الذين ركبوا السفينة، وابتلع الماء الكافرين، وبقيت قصة نوح عليه السلام، تتذكرون الذين غرقوا، ولماذا؟ وتتذكرون الذين نجوا ولماذا؟ ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيد

الحال ﴿تَعِيَهَا﴾: تحفظها وتُدرك الحقيقة بوعي ﴿أُذُنٌ﴾: جاءت هنا بصيغة النكرة إشارة إلى الذين وعوها كانوا قلةً عند سماعها بالأذن، ولتوبيخ الناس بقلّة من يعي منهم وهي واحدة من أدوات التعلم، ترسله للقلب مركز الإدراك، ﴿وَاعِيَةً﴾: قال قتادة: عقلت؛ وانتفعت. التكليف: إنّ دراسة القصص القرآني والقصص الهادف؛ للمواعظ، وليست للتسلية.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (١٣)

وهذه من أهوال يوم القيامة ﴿فَ﴾: حرفٌ استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ، ﴿إِذَا﴾: حرف مفاجأة وأمر للمستقبل ﴿نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾: وهي النفخة الأولى نفخة الفزع، ثم تتلوها نفخة الصعق؛ حيث يُصعق كلُّ مخلوقٍ في الأرض وفي السماء، إلّا من شاء الله ﷻ، ثم نفخة القيام؛ فجاءت ثلاث نفخات بالمفرد، ولا تحتاج من الله ﷻ إلى تكرار، وكلُّها نفخة الملك إسرافيل عليه السلام.

﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ (١٤)

﴿وَ﴾: حرفٌ عطفيٌّ يفيد الحال ﴿حُمِلَتِ﴾: رُفعت فتغيّر مكان ﴿الْأَرْضِ وَ﴾: أيضًا تغيّرت فيها ﴿الْجِبَالُ﴾: ارتفعت، ومُدّت وتبدّلت الأرض؛ فصارت غير الأرض في شكلها وتماسكها ﴿فَ﴾: حرفٌ يفيد السبب ﴿دُكَّتَا﴾: ضُربتَا بشدّة؛ فتكسرت وتغير مكانها ﴿دَكَّةً﴾: ضربةٌ ﴿وَاحِدَةً﴾: فتكسرت، الجبال فاستوى السطح؛ فأصبحت الأرض كالبساط، لا جبال فيها، ولا أغوار، ولا أنهار.

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (١٥)

﴿فَ﴾: هنا ربط جواب الشرط، أي الوقوع ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم يحدث هذا تكون ﴿وَقَعَتِ﴾: قامت ﴿الْوَاقِعَةُ﴾: القيامة.

﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ (١٦)

﴿وَ﴾: حرفٌ عطفيٌّ يفيد الحال ﴿أَنْشَقَّتِ﴾: تفتّرت، وتصدّعت ﴿السَّمَاءُ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ بحيث تتغير القوى الرابطة لها، قوى الطرد المركزي وما يصادها وهي قوى الجاذبية، بإرادة الله ﷻ؛ لنزول الملائكة منها جاء في المعنى: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾

[النبا-١٩] ﴿ف﴾: حرف سبب ﴿هي﴾: الأرض ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿واهيئة﴾: ضعيفة، متشققة، متناثرة لا تماسك فيها ولا صلابة؛ بسبب تغير علاقة المساواة والتوازن بين قوى الطرد المركزي للكواكب وبين الجاذبية.

﴿وَالْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ (١٧)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿الملك﴾: من جنس الملائكة أعدادًا لا تُحصى ﴿على أَرْجَائِهَا﴾: على حواف الأرض، قال الضحاك: أطرافها، وقال الحسن البصري: أبوؤها، وقال الربيع بن أنس: منهم من ينظر إلى أهل الأرض ﴿ويَحْمِلُ عَرْشَ﴾: كرسي العرش ﴿رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾: فوق المخلوقات السابقة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: في هذا اليوم العظيم ﴿ثَمَانِيَةٌ﴾: وحملة العرش هم من الملائكة المقربين، قال ﷺ: أذن لي أن أُحدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَىٰ عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ^(١)، وقال سعيد بن جبیر: ثمانية صفوفٍ من الملائكة. والله ﷻ أعلم.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (١٨)

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: في هذا اليوم العظيم وبعد النفخة الثانية ﴿تُعْرَضُونَ﴾: يُعرض النَّاسُ على عالم السرِّ والنجوى، ﷻ ﴿لا﴾: حرف نفي ﴿تَخْفَى﴾: تغيب أو تحتجب ﴿مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾: عَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: لِأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا حَلُّوا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا^(٢).

التكليف: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ تَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤَخَّذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ^(٣).

(١) سنن أبي داود ١٠٩/٧ (٤٧٢٧)، قال الأرنؤوط: إسناده جيد.

(٢) سنن ابن ماجه ١٤١٨/٢ (٤٢٤٥)، قال الألباني: صحيح.

(٣) صحيح البخاري ١١١/٨ (٦٥٣٤).

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ مِثْلُ مَا كُنْتُ أَفْعَلُ﴾ (١٩)

﴿فَأَمَّا﴾: حرف تفضيلٍ وتوكيدٍ بمعنى أي ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿أُوتِيَ﴾: تسلّم
﴿كِتَابَهُ﴾: كتاب تسجيل أعماله في حياته الدنيا، بعد العرضات الثلاثة ﴿بِ﴾: حرف باء
الالتصاق ﴿بِيَمِينِهِ﴾: فهؤلاء الفائزون يوم القيامة، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، أَلَيْسَ يَقُولُ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق-٨] قَالَ:
«ذَلِكَ الْعَرْضُ يُعْرَضُونَ وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ»^(١)، ﴿فَ﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب
الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿يَقُولُ﴾: من شدة فرحه وسعادته ﴿هَؤُلَاءِ﴾: الهاء اسم إشارة
للدلالة على النوع والعدد، هذا هو كتابي؛ خذوا انظروا ﴿أَفْعَلُ﴾: فقد تبدلت سيئاتي فيه
حسنات وفيه خيرٌ، فقد ستره الله ﷻ وسامحه، والسبب:

﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ (٢٠)

﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿ظَنَنْتُ﴾: كنت متيقناً ﴿أَنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾: إني كنت
متيقناً في الدنيا أنني سألقى جزائي، وأنَّ يوم القيامة حقٌ، كائنٌ لا محالة، وهو يوم الجزاء على
العمل وكنت أعلم أنني سأحاسب عليه؛ فعملت بما يرضي الله تعالى.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (٢١)

﴿فَهُوَ﴾: الذي عرف مصيره في الجنة ﴿فِي عِيشَةٍ﴾: حياة جديدة ﴿رَاضِيَةٍ﴾: راضٍ فيها، قبولٍ
وسعادةٍ، ورضاً بالعيش الرغيد.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (٢٢)

﴿فِي جَنَّةٍ﴾: رفيعة المكان والمكانة، فُصُوْرُهَا جَمِيْلَةٌ، حَسَانٌ حَوْرُهَا، دَائِمٌ سُرُورُهَا، يَتَزَاوَرُونَ
﴿عَالِيَةٍ﴾: فينزل أهل الدرجات العليا إلى ما دونهم، ولا يقصد أهل الدرجات السفلى حيث تقتصر
أعمالهم، إنّ الجنة مائة درجة ما بين كلّ درجتين كما بين السماء والأرض.

﴿فَطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ (٢٣)

(١) صحيح البخاري ١٦٧/٦ (٤٩٣٩).

﴿فُطُوفُهَا﴾: ثمارها ﴿دَانِيَةٌ﴾: ثماؤها قريبة، يتناولها أحدهم وهو نائم على سريره، قال البراء: أهل الجنة يأكلون فيها من الثمار كيف شاؤوا قياماً وقعوداً وجلوساً على كل حال، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي ذَاتَ لَيْلَةٍ صَلَاةً إِذْ مَدَّ يَدَهُ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتَكَ صَنَعْتَ فِي هَذِهِ الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَصْنَعُهُ فِيمَا قَبْلَهُ، قَالَ: «أَجَلٌ إِنَّهُ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا ذَالِيَةَ فُطُوفُهَا دَانِيَةً فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَاوَلَ مِنْهَا شَيْئًا، فَأُوجِي إِلَيَّ أَنْ اسْتَأْخِرُ فَاسْتَأْخَرْتُ»^(١).

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (٢٤)

يقال لهم تكريمًا واحتفاءً ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾: كلوا واشربوا، هنا أمرٌ يمسُّ الله ﷻ به عليهم، وليس أمر تكليف ﴿هَنِيئًا﴾: كلوا طعامًا واشربوا شربًا لا أذى فيه، غير مُنْعَصٍ، ولا مُكَدَّرٍ ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي هي جائزة الذي ﴿أَسْلَفْتُمْ﴾: بما قدمتم من إيمانٍ وطاعةٍ ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾: في حياتكم الدنيا، التي مضت.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ﴾ (٢٥)

﴿وَأَمَّا﴾: حرف تفضيلٍ وتوكيدٍ ﴿مَنْ﴾: الذي من بني آدم ﴿أُوْتِيَ﴾: تسلَّم ﴿كِتَابَهُ﴾: أمَّا من أعطى كتاب إحصاء أعماله في الحياة الدنيا ﴿بِ﴾: حرف باء الالتصاق ﴿شِمَالِهِ﴾: أمَّا الخاسر من أهل النَّار، الذي تسلَّم كتابه بشماله ﴿فَيَقُولُ﴾: نادماً شديد الندم ﴿يَا لَيْتَنِي﴾: حرف يُفِيدُ التمني والترجي ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿أُوْتِ﴾: أتسلم ﴿كِتَابِيهِ﴾: ما يُذَكِّرني بجرائمي في الدنيا في هذا اليوم العصيب.

﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ﴾ (٢٦)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفِيدُ الحال ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿أَدْرِ﴾: ليت كتابي لم يُعرِّفني ﴿مَا حِسَابِيهِ﴾: جاء الاستفهام هنا للتعظيم والتهويل، بمعنى لم أعلم أي شيء سيكون حسابي ما هو مصيري في هذا اليوم الرهيب، بل استمرت جاهلاً كذلك كما كنت في الدنيا.

﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ (٢٧)

^(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٥/٣/٤ (٨٤٠٨)، وقال: صحیحُ الإسنادِ، ولم يُخرِجَاهُ. ووافقه الذهبي.

﴿يَا لَيْتَهَا﴾: حرفٌ للتمني والترجي، قال الضحاك: ليتها ﴿كأنت﴾: ميتة ﴿القاضية﴾: يا ليت الموتة التي مُتَّها في الدنيا كانت الفاطعة المُنهية لأمرِي كلَّه؛ لا حياة بعدها، وقال قتادة عن المجرم: يتمنى يوم القيامة الموت الذي لم يتمَّاه في الدنيا.

﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةُ﴾ (٢٨)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿أغنى﴾: لم يدفع من العذاب ﴿عني﴾: حرف يُفيدُ البذل ﴿ماليَّةُ﴾: لم ينفعني ما جمعت من مال بالحرام، لتخفيف العذاب، وقد يكون معنى ما استفهام بمعنى لم يغن عني المال الذي منعه عن الفقراء.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةُ﴾ (٢٩)

﴿هَلَكَ﴾: غاب، وزال ﴿عني﴾: بمعنى انتهاء الغاية ﴿سُلْطَانِيَّةُ﴾: لم ينفعني أيضًا سلطاني وتسلطي، ولا حُجتي ومبرراتي، وما اعتمدت عليه في الدنيا من قوةٍ، وجاهٍ، وأنصارٍ، فكان نصيبي اليوم عذاب الله ﷻ، لقد أصبحت وحدي، ولا مُجبر.

﴿خَذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ (٣٠)

بعد معرفة أهل النَّار مصيرهم يأتي القرار الربَّاني ﴿خَذُوهُ﴾: يأمر الله ﷻ الزبانية أن تأخذ صاحب النَّار المجرم ﴿فأ﴾: حرف يفيد السبب والسرعة ﴿غُلُّوهُ﴾: ضعوا السلاسل والأغلال في يده، واجمعوها إلى عنقه، ثم اسحبوه.

﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ (٣١)

﴿ثُمَّ﴾: تفيد التتابع الزمني مع التراخي؛ هنا لمزيدٍ من العذاب ﴿الْجَحِيمَ﴾: في النار دون الوصول إلى مرحلة ﴿صَلُّوهُ﴾: اغمروه في النَّار، يحترق فيها، هنا نعلم أنَّ العذاب درجات.

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (٣٢)

﴿ثُمَّ﴾: تفيد التتابع الزمني مع التراخي، هنا لمزيدٍ من العذاب، بمعنى لا تسلكوه إلا ﴿في﴾ سِلْسِلَةٍ: ثم أدخلوه في سلسلةٍ من حديدٍ ﴿ذَرْعُهَا﴾: طولها ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَ﴾: لهذا السبب ﴿اسْلُكُوهُ﴾: أدخلوه فيها.

التكليف: هنا ندرك دركات النار والتفاوت ما بينها في الشدة، فجاء أولاً الغل أي القيد بالسلسلة، ثم تصليته في الجحيم تخصيصاً.

﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ (٣٣)

والسبب ﴿إِنَّهُ﴾: هو بالتأكيد من الله ﷻ ﴿كَانَ﴾: في الحياة الدنيا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُ﴾: أي كان يكفر ﴿بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿اللَّهُ الْعَظِيمِ﴾: هنا تعليل وسبب ما جاء في الآية السابقة؛ لأنه رفض عبادة الله ﷻ، وطاعته؛ وأنكر رسالة نبيه، ولم يُحقق غاية الله ﷻ للخلق في الدنيا.

﴿وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ (٣٤)

﴿و﴾: أيضاً كان ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَخْضُ﴾: لا يحدُّ، ولا يُحرِّضُ النَّاسَ في الدنيا ﴿عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾: إطعام، أو إنفاقٍ على الذين يحتاجون إلى المال والغذاء ومتطلبات الحياة فيها.

﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ (٣٥)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿لَيْسَ﴾: فعلٌ يُفيدُ النفي ﴿لَهُ﴾: لهذا الكافر تحديداً ﴿الْيَوْمَ﴾: في يوم القيامة ﴿هَاهُنَا﴾: اسم إشارة للدلالة على النوع والعدد ﴿هَهُنَا﴾: اسم إشارة للتنبه عن المكان أو المرتبة ﴿حَمِيمٌ﴾: قريبٌ من أهله، يحميه، ويدفع عنه العذاب.

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ﴾ (٣٦)

﴿و﴾: وعطفًا على ما سبق ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿طَعَامٌ﴾: وليس له في الجنة من طعامٍ ﴿إِلَّا﴾: تفيد الحصر، بمعنى باستثناء فقط ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿غَسْلِينَ﴾: قيل صديدُ أهلِ النَّارِ، وقال قتادة: شرُّ طعام أهل الأرض، وقال الضحاك: طعامُ شجرةٍ في جهنم، وقال ابن عباس: لا أدري ما الغسلين؛ ولكنني أظنُّه الزقوم، وقال عكرمة: الدَّمُ والماء يسيل من لحومهم.

﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ (٣٧)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَأْكُلُهُ﴾: لا يطعمه ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع؛ أي أن هذا هو طعام يأكله فقط ﴿الْخَاطِئُونَ﴾: الذين يتعمدون الخطأ، وقد جاء اللفظ القرآني "خاطئ" على ثلاثة أوجه، هنا بمعنى المذنبون بالشرك، المُصْرُونَ على الكفر بالله ﷻ، وجاءت بمعنى مذنب في غير شرك في قوله ﷻ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف-٩٧]، وفي قوله ﷻ ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص-٨]، وجاءت بمعنى الخطأ غير المتعمد في قوله ﷻ ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة-٢٨٦].

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٨)

﴿فَلَا﴾: أداة تخصيص ونهي تفيد طلب عمل الفعل لتأكيد القسم وليست نافية ﴿أُقْسِمُ﴾: أحلف ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿تُبْصِرُونَ﴾: بما ترونه في الدنيا من نعم الله ﷻ في مخلوقاته؛ الدالة على بديع صنعته، وحقيقة كمال صفاته، وصدق أنبيائه وآخرهم محمد ﷺ.

﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٩)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تُبْصِرُونَ﴾: تشاهدون، ويقسم الله ﷻ بما لا يراه البشر الذي هو الغيب، فما هو جواب القسم:

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (٤٠)

﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد من الله ﷻ ﴿ل﴾: حرف تمليك ﴿قَوْلٍ﴾: كلام ﴿رَسُولٍ﴾: هو القرآن الذي نزل على محمد ﷺ هو كلام الله ﷻ ووحيه، أنزله على الذي اصطفاه؛ ليبليغ رسالته ﴿كَرِيمٍ﴾: صفة الرسول ﷺ الذي معه الخير كله في الدنيا والآخرة، ولا أفضل من الذي اتبع تعاليم الله ﷻ.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾ (٤١)

﴿وَمَا﴾: نفي ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، هنا هو هذا القرآن ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة والصلة ﴿قَوْلِ شَاعِرٍ﴾: لم ينظمه ولم يُجمله ولم يُحسّنه

شاعرٌ من البشر كما يزعمون، بل هو كلام الله ﷻ **﴿قَلِيلًا﴾**: قلة منكم **﴿مَا﴾**: الذي **﴿تُؤْمِنُونَ﴾**: والمعنى هنا يؤمن، أو يؤمنون بقليل مما يقال.

التكليف: كان العرب بفطنتهم يميزون بين الشعر وغيره، فجاء ما هو بقول شاعر.

﴿وَلَا يَقُولِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٤٢)

﴿وَلَا﴾: حرف نفي **﴿يَقُولِ كَاهِنٍ﴾**: هو الذي يُخبرُ بالأخبار الماضية الخفية بضربٍ من الظن، الذي يأتيه الجنُّ بالكلمات؛ الآية هنا تؤكد أنه القرآن الكريم، ليس من أقوال الكهنة المشعوذين، إنه تنزيلٌ من الله ﷻ، حمله جبريل عليه السلام، رسولاً من الله ﷻ إلى محمدٍ ﷺ، الرسول المرسلُ إلى الخلق أجمعين، فكلاهما مُبلِّغٌ أمينٌ **﴿قَلِيلًا﴾**: يشهد الله ﷻ في البشر أنهم قلة الذين **﴿مَا﴾**: الذي **﴿تَذَكَّرُونَ﴾**: تسترجعون بذاكرتكم ما سمعتم وما علمتم.

التكليف: لأن أمر الكهنة يخفى على الناس ولا يُدرك إلا بتأملٍ وفطنة؛ جاء اللفظ التذكير.

﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٣)

﴿تَنْزِيلٌ﴾: نزل تُعيد من العلو إلى ما هو تحته **﴿مِنْ﴾**: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الكلية، وهو ﷻ، الذي لا يحده مكان **﴿رَبِّ﴾**: مالك أمرك كله **﴿الْعَالَمِينَ﴾**: كلِّ العوالم: الإنس، والجن، والملائكة، وسائر، المخلوقات.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ (٤٤)

﴿وَلَوْ﴾: حرف يُفيد الاستهزام والنفي **﴿تَقَوَّلَ﴾**: لو افتري واختلق علينا قولاً؛ يقصد محمداً ﷺ **﴿عَلَيْنَا﴾**: نسب ذلك إلى الله ﷻ؛ **﴿بَعْضُ﴾**: فزاد في الرسالة جزءاً أو أنقص من **﴿الْأَقَاوِيلِ﴾**: القليل من الكلام.

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ (٤٥)

﴿ل﴾: حرف يُفيد العلة **﴿أَخَذْنَا﴾**: لانتقمنا **﴿مِنْهُ﴾**: حرف تأكيد هنا **﴿بِ﴾**: حرف باء المصاحبة والصلة **﴿الْيَمِينِ﴾**: بقدرة وقوة الله ﷻ، وليست بيمين أو شمال ما يعرفه البشر.

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (٤٦)

﴿ثُمَّ﴾: تفيد التتابع الزمني غير الفوري ﴿ل﴾: حرف يُفيد العلة والسبب ﴿قَطَعْنَا مِنْهُ﴾: حرف يُفيد بداية الغاية المكانية ﴿الْوَتِينَ﴾: قيل هو نياط القلب، وقد يكون الشريان الأبهر، المعروف بشريان الأورطي؛ الذي ينقل الدم من القلب؛ إلى الجسم كله، ومنه يخرج شريانان اثنان، إلى الرقبة والرأس؛ واحدٌ في اليمين، والثاني في الشمال، وهما مكانُ الذبح في العنق، ومن الشريان الأورطي ينزل بالدم إلى البطن والساقين أيضًا، والله أعلم.

﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (٤٧)

﴿فَمَا﴾: حرفٌ نفيٌّ بمعنى ليس ﴿مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾: لا أحد من البشر أو غيرهم ﴿عَنْهُ﴾: حرفٌ يفيدُ، المجاوزة، لا أحد من الخلق يستطيع أن يحول بين الله ﷻ والمجرمين ﴿حَاجِزِينَ﴾: من يمنعنا عنه، أو عن غيره. ﴿﴾:

﴿وَأَنَّهُ لَتَذَكُّرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٨)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿إِنَّهُ﴾: القرآن الكريم بالتأكيد، نزل على محمد ﷺ؛ وهو ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿تَذَكُّرَةٌ﴾: ليتذكره باستمرار ويعمل بموجبه ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْمُتَّقِينَ﴾: تخصيصًا للذين آمنوا يقينًا راسخًا؛ طمعًا في رحمته، وخشيّةً من عذابه، وهم الذين ينتفعون ويعتبرون بالتذكرة، بعكس الآخرين الذين نظروا فلم يتذكروا ولم يعتبروا.

﴿وَأِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾ (٤٩)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحد؛ للتعظيم والتوكيد ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿نَعْلَمُ﴾: يخبر الله ﷻ عن ذاته، أنه يعلم كمال العلم ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿مِنْكُمْ﴾: حرفٌ يفيدُ بداية الغاية المكانية من البشر، في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ﴿مُكَذِّبِينَ﴾: بالله ﷻ وبرسوله ﷺ، وبالقرآن الكريم، وبيوم القيامة، وبكلِّ أصول الإيمان.

﴿وَأَنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٥٠)

﴿و﴾: أيضًا ﴿إِنَّهُ﴾: القرآن الكريم أو يوم القيامة ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿حَسْرَةً﴾: ندامة عظيمة ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ قال ابن جرير: إنَّ الكذب ندامة على الكافرين يوم القيامة. وقد يعود الضمير على القرآن الكريم؛ إنَّ الذين كفروا به سيكون ذلك عليهم حسرةً وندامةً.

﴿وَأَنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ (٥١)

﴿و﴾: أيضًا ﴿إِنَّهُ﴾: القرآن الكريم، أو محمد ﷺ بالتأكيد ﴿لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾: خير الصدق، لا كذب، ولا شك.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (٥٢)

﴿ف﴾: لهذا السبب ودون تأخير ﴿سَبِّحْ﴾: نزه الله ﷻ عما لا يليق به ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾: المُعبود، والمُربي، وهو المنشئُ للشيء من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابِزُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيِّدُ، فهو مالك أمرِك كلِّه ﴿الْعَظِيمِ﴾: في ذاته وصفاته، والذي أنزل القرآن الكريم.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ يتأكد المسلم بحتمية القيامة، وصدق القرآن الكريم، ومصير كلِّ فريقٍ في الآخرة على ما عمل في الحياة الدنيا.



سُمِّيت سورة المعارج بهذا الاسم في معظم المصاحف وكتب التفسير وكتب السنَّة، وسُمِّيت أيضًا بسورة "سأل سائل" وأيضًا باسم سورة "الواقع"، وهي سورة مكِّيَّة بالاتفاق، وترتيبها (٧٩) في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الحاقة، وقبل سورة النبأ، وعدد آياتها (٤٤) في عدِّ جمهور الأنصار.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (١)

﴿سَأَلْ﴾: دعا ﴿سَائِلٌ﴾: داع قال ابن عباس: سأل الكفَّار ﴿بِعَذَابٍ﴾: حرف الباء يفيد هنا عن أي عذاب ﴿وَاقِعٍ﴾: متحقِّقٍ بهم، وقال مجاهد: دعا داعٍ على نفسه بعذابٍ يقع عليه وعلى قومه

في الآخرة، والمقصود سؤال سُخرية، واستهزاءً، إنكارٍ، وتحديٍّ، جاء في المعنى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [العنكبوت-٥٣] وقيل دعا داعٍ على نفسه وقومه.

﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ (٢)

﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْكَافِرِينَ﴾: مُعدّ ومُهيأ للكافرين ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماضٍ ناقص يفيد النفي ﴿لَهُ دَافِعٌ﴾: وهو العذاب، لا يدفعه، ولا يمنع، ولا يردّه أحدٌ؛ إذا أراد الله ﷻ ذلك.

﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ (٣)

﴿مِنَ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الكلية وهو ﷻ لا يحده مكان ﴿اللَّهُ ذِي﴾: صاحب ﴿الْمَعَارِجِ﴾: هي السماوات، وقال ابن عباس: ذو الدرجات، وقيل العلو والفضائل، وقال مجاهد: معارج السماء، وقال قتادة: ذو الفضائل والنعم، وكلُّ ذلك صحيح؛ والله أعلم.

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (٤)

﴿تَعْرُجُ﴾: قال قتادة: تصعد ﴿الْمَلَائِكَةُ وَ﴾: أيضًا تصعد ﴿الرُّوحُ إِلَيْهِ﴾: قيل تصعد الملائكة، وقيل جبريل ﷺ، وقيل: جنس أرواح بني آدم ومفردها روح ﴿فِي يَوْمٍ﴾: هو يوم القيامة ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ﴾: عدد السنين ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: هنا إشارة إلى استطالة ذلك اليوم لشدّته، وليس لأنه بهذا المقدار من العدد في الحقيقة؛ ولأن العرب كانت تصف أوقات الشدّة والحزن بالطول، وتصف أوقات الفرح بالقصر. هو على المؤمن في الدنيا مثل صلاة مكتوبة. قال الضحاك، وابن زيد، وعكرمة، وابن عباس: يوم القيامة، وقيل: ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين؛ أي قرار الأرض السابعة، وقال ابن عباس: ذلك مسيرة خمسين ألف سنة. عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ حَمَادٌ: وَهُوَ عِنْدَنَا مَرْفُوعٌ، ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين-٦] ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج-٤] قَالَ: «يَقُومُونَ فِي الرَّشْحِ إِلَى أَنْصَافِ آذَانِهِمْ»^(١).

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ (٥)

(١) سنن الترمذي ٦١٥/٤ (٢٤٢٢). وقال: "حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ."

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿اصْبِر﴾: يا محمد ﷺ على تكذيب قومك لك ﴿صَبْرًا جَمِيلًا﴾: الصبر الذي ليس فيه جزع، ولا شكوى إلا لله ﷻ.

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ (٦)

﴿إِنَّهُمْ﴾: إنَّ الكفَّار بكلِّ تأكيد، يُكذِّبون بالرسالة ويكذبون أيضًا بيوم القيامة ﴿يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾: مقتنعون أنه مُستحيلُ الوقوع.

﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ (٧)

﴿و﴾: أيضًا نحن ﴿نَرَاهُ﴾: هو الله ﷻ الذي قرره، ومُحققه، ويعتقد المؤمنون أنه ﴿قَرِيبًا﴾: هو آتٍ، ولكن لا يعرف أحدٌ من الخلق متى؟

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ (٨)

﴿يَوْمَ﴾: في هذا اليوم ﴿تَكُونُ﴾: تصير ﴿السَّمَاءُ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها بيضاوية الشكل ﴿ك﴾: مثل ﴿المُهْلِ﴾: تصبح السماء سائلةً مثل حثالة الزيت، أو مثل المعدن الذائب، قال ابن عباس ومجاهد: دُردي، أي حثالة الزيت، وقيل كالفضة المذابة؛ والله ﷻ أعلم.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ (٩)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحال ﴿تَكُونُ﴾: تصير ﴿الْجِبَالُ﴾: بعلوِّها وصلابتها ﴿ك﴾: مثل ﴿العِهْنِ﴾: الصوف المصبوغ بالألوان، المنفوش، المُتطَّير من خَفْتِه. انظر [القارعة-٥].

﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ (١٠)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحال، عطفًا على هذا المشهد الرهيب ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْأَلُ﴾: يستفسر ﴿حَمِيمٌ﴾: قريبٌ ﴿حَمِيمًا﴾: أقاربه، لا يسأل القريب عن قريبه، ولا سؤال الأخ عن أخيه، يوم يفر بعضهم من بعضٍ.

﴿يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَقْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ (١١)

﴿يُبْصِرُونَهُمْ﴾: يتعارفون فيما بينهم ﴿يَوْمَ﴾: يرغبُ بشدةٍ ويتمنى ﴿المُجْرِمِ﴾: الكافر يوم القيامة ﴿لَوْ﴾: حرفٌ يُفيدُ الاستحالة؛ لأن الترجي لا يكون إلا في الأمر الممكن ﴿يَقْتَدِي﴾: يدفع فدية

﴿مَنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ﴾: يريد الكافر أن يفدى نفسه ﴿بِبَنِيهِ﴾: يُقدّم كلّ أولاده للنّار؛ حتى ينجو بنفسه، وهذا الترجي لا استجابة له.

﴿وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾ (١٢)

﴿و﴾: أيضًا يُضحى بـ ﴿صَاحِبَتِهِ﴾: بزوجته ﴿وَأَخِيهِ﴾: بأصحاب القرابة المقربين ليجو من النّار.

﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ (١٣)

﴿و﴾: أيضًا يُضحى ﴿فَصِيلَتِهِ﴾: بعائلته، وعشيرته الأقربين ﴿الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾: التي تضمه، وتمنعه، وتحميه في الدنّيا.

﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ (١٤)

﴿و﴾: أيضًا يُضحى بكلّ ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: كلّ سكّان الكرة الأرضية، من الإنسان، وغيرها، ولن يُقبل منه فدية، حتى ولو جاء بأهل الأرض ﴿ثُمَّ﴾: مع التتابع الزمني غير السريع ﴿يُنْجِيهِ﴾: أن ينجو هو بنفسه.

﴿كَلَّا إِنَّهَا لَنظَى﴾ (١٥)

﴿كَلَّا﴾: حرف ردعٍ وزجرٍ واستنكارٍ حقًا، ليس الأمر كما يتمناه الكافر من عملية الافتداء ﴿إِنَّهَا﴾: بالتأكيد الآخرة ﴿لَنظَى﴾: هي جهنّم المُلتهبة التي تتلظى بما يُلقى فيها.

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى﴾ (١٦)

﴿نَزَّاعَةً﴾: تنزع وتسلخ الرأس أو أيّ عضوٍ لا يتسبب في قتل إنسانٍ إذا نُزع منه. إنّ طبيعة النّار أنّها تلتهب وتشتعل، تريد أن تشوي، وقال ابن عباس، ومجاهد: تحرق جلدة الرأس ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الشَّوَى﴾: وقال أيضًا: تشوي الجلد، وقال أبو صالح: تشوي أطراف اليدين والرجلين؛ لأنّها أكثر المناطق الحسّاسة، وقال الحسن البصري: تحرق كلّ شيء فيه، ويبقى فؤأده.

﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ (١٧)

﴿تَدْعُو﴾: تُنادي النَّارُ على نصيبيها من الكفَّار ﴿مَنْ﴾: الذي من بني البشر ﴿أَدْبَرَ﴾: الذين أداروا ظهورهم ونأوا بأنفسهم عن الدين الحق في الدنيا ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يُفيدُ الحالَ ﴿تَوَلَّى﴾: ذهبَ وابتعد.

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ (١٨)

﴿وَجَمَعَ﴾: جمعُ المالِ بعضه على بعضٍ ﴿ف﴾: حرفُ استثنائيٍ بهدف ترتيب الأمرِ بالسرعةِ الممكنةِ ﴿أَوْعَى﴾: خزَّنه في أوعية، ولم يصرفه في سبيلِ الله ﷻ، وقال الحسن البصري: سمعتُ كلامَ الله ثم أوعيت الدنيا، وقال قتادة: كان جامعًا للخبث، وكلُّها أفعالُ البخلاء.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (١٩)

﴿إِنَّ﴾: حرفُ تأكيدٍ ونفيِ الشكِّ والإنكارِ ﴿الْإِنْسَانَ﴾: يُخبرُ اللهُ ﷻ في هذه الآياتِ عن بعضِ صفاتِ ابنِ آدمَ ﴿خُلِقَ﴾: جُبلَ الإنسانُ، من الأخلاقِ الدنيئةِ ﴿هَلُوعًا﴾: سريعَ الجزعِ، شديدِ الحرصِ، يمنعُ الإنفاقَ في الخيرِ إذا جاءه خيرٌ.

﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ (٢٠)

﴿إِذَا﴾: ظرفٌ لما يُستقبلُ من الزمانِ، يفيدُ معنى الشرطِ وهي أداةٌ ربطٌ ما بعدها بما قبلها ﴿مَسَّهُ﴾: أصابه في العمقِ ﴿الشَّرُّ﴾: الضررُ المكروهُ والعسرُ فيكونُ ﴿جَزُوعًا﴾: يكونُ كمن انخلَ قلبه من شدَّةِ الرعبِ، إنَّه كثيرُ الأسى والحزنِ.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (٢١)

﴿وَإِذَا مَسَّهُ﴾: أصابه في العمقِ ﴿الْخَيْرُ﴾: إذا حصلَ خيرًا كثيرًا من الله ﷻ كان ﴿مَنُوعًا﴾: بخلٌ به على الآخرين، ومنعٌ حقوقِ الخلقِ، التي شرَّعها اللهُ ﷻ.

﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ (٢٢)

﴿إِلَّا﴾: يُستثنى من أصحابِ هذه الخصالِ السيئةِ ﴿الْمُصَلِّينَ﴾: فهم في نعمةٍ وتوفيقٍ من الله ﷻ، وخيرٍ، وصفاتهم:

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (٢٣)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع من ﴿هُم﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، وتحديدًا ﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ﴾: قال ابن مسعود: يؤدونها في أوقاتها وواجباتها، ﴿دَائِمُونَ﴾: قال عقبة بن عامر: يؤدونها في سكونٍ وخشوعٍ؛ لأنَّ كلمة الدائم تعني الساكن؛ دلالةً على الطمأنينة.

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ (٢٤)

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿فِي أَمْوَالِهِمْ﴾: يقتطعون مما جمعوا من المال ﴿حَقٌّ﴾: فريضةُ الزكاة، وجاء اللفظ القرآني "الحق" على عشرة أوجه، هنا بمعنى الحظ، أي النصيب الحق ﴿مَّعْلُومٌ﴾: نصيبٌ مُعَيَّنٌ، فرضه الله ﷻ عليهم وهي الزكاة؛ لمن؟

﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (٢٥)

﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿السَّائِلِ﴾: الذي يسأل النَّاسَ من حاجةٍ وفقيرٍ ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾: أيضًا المحتاج، المتعفف عن السؤال.

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ (٢٦)

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا أيضًا جميع مَنْ ﴿يُصَدِّقُونَ﴾: يؤمنون بيقينٍ راسخٍ ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة والصلة ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾: يُوقنون بيوم القيامة، يوم المعاد والحساب والجزاء فيعملون له الأعمال الصالحة.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ (٢٧)

﴿وِ﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿هُم﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، وتحديدًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿عَذَابِ رَبِّهِمْ﴾: الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، فهو مالكٌ أمرٌ كلِّه ومالكٌ أمرهم كلِّه في الدنيا وفي الآخرة ﴿مُشْفِقُونَ﴾: خائفون من عذاب الله، لماذا؟

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ (٢٨)

﴿إِنَّ﴾: بالتأكيد ﴿عَذَابِ رَبِّهِمْ﴾: مالكٌ أمرهم كلِّه في الدنيا وفي الآخرة ﴿غَيْرُ﴾: حرف استثناء بمعنى إلا ﴿مَأْمُونٍ﴾: لا ينبغي أن يأمنه أحدٌ.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (٢٩)

﴿و﴾: أيضًا ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿أَزْوَاجِهِمْ﴾: وهي الأجهزة التناسلية، كناية أنهم لا يقتربون ما حرّم الله ﷻ عليهم وهي جريمة الزنا.

﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ (٣٠)

﴿إِلَّا عَلَىٰ﴾: حرف استثناء، جماع ﴿أَزْوَاجِهِمْ﴾: يؤدون حق نفوسهم وأزواجهم حلالًا ﴿أَوْ﴾: حرف يفيد التسوية، ويفيد التخيير أيضًا ﴿مَا﴾: الذي ﴿مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: في زمن الإماء الجوارى؛ فكان هذا من حَقِّهم بحسب شرع الله ﷻ: ﴿فَأِنَّهُمْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿غَيْرُ﴾: حرف استثناء بمعنى إلا ﴿مَلُومِينَ﴾: لا حُرْمَة عليهم، وماذا يحدث لمن يخالف؟

﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (٣١)

﴿فَمَنْ﴾: حرف استفهام عن العاقل، فالذي ﴿ابْتَغَىٰ﴾: من طلب وأراد ﴿وَرَاءَ﴾: غير ﴿ذَلِكَ﴾: أي تعدى ما حرّمه الله ﷻ في غير الزوجات والإماء ﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿أُولَٰئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد ﴿هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الْعَادُونَ﴾: الذين خالفوا شرع الله ﷻ. انظر [المؤمنون-٥، ٦، ٧].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (٣٢)

﴿و﴾: أيضًا ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع الرجال والنساء مَنْ ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، وهنا تحديدًا ﴿ل﴾: على ﴿أَمَانَاتِهِمْ﴾: يُحافظون على الأمانة إذا أوْتَمَنُوا، ويوفون، ولا يخونون ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾: إذا عاهدوا ﴿رَاعُونَ﴾: يراعونها، ويلتزمون ولا يغدرون.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ (٣٣)

﴿و﴾: أيضًا ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، وهنا تحديدًا ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة والصلة ﴿شَهَادَاتِهِمْ﴾: إذا شهدوا ﴿قَائِمُونَ﴾: يؤدونها بحقها من غير تحريفٍ، مُحافظون عليها، لا يزيدون فيها، ولا يُنقصون.

التكليف: جاء تكرار كلمة الصلاة ووصفهم بها أولاً وأخيراً؛ للدلالة على فضلها؛ وتقديمها على سائر الطاعات؛ بهدف الإتمام والتكميل.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٣٤)

﴿و﴾: أيضاً ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد هنا جميع مَنْ ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، وهنا تحديداً من ﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: يُحَافِظُونَ على مواقيتها، وأركانها، وواجباتها، ومستحقاتها، وقد وصفت الآيات السابقة، صفات، وأفعال أهل الجنة وهي عبادات، ومعاملات.

﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ (٣٥)

﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد، هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾: وليس في جنّةٍ واحدةٍ، دلالةً على زيادة التمتع ﴿مُكْرَمُونَ﴾: يُكْرَمُهُمُ اللهُ ﷻ بالمزيد من النعيم.

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكُمْ مَهْطِعِينَ﴾ (٣٦)

﴿فَمَالِ﴾: حرف استفهام؛ الغرض منه الاستهجان والاستنكار، ما الذي دفع ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد هنا جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: من الرجال والنساء، هؤلاء قوم قريش في عهد رسول الله ﷺ؛ رغم الآيات البينات الباهرات ﴿قِبَلِكُمْ﴾: نحوك أو حولك ﴿مَهْطِعِينَ﴾: قيل: مُسرعين مادين أعناقهم إليك، وقيل هاربين، يميناً وشمالاً، وقيل فرقاً مسرعين، نافرين، وقال الحسن البصري: مُنطلقين.

التكليف: إنّ خلاصة ما كان منهم هو التكذيب بالرسالة.

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ (٣٧)

﴿عَنِ﴾ حرف جرّ يفيد هنا الظرف ﴿الْيَمِينِ وَ﴾: أيضاً ﴿عَنِ الشِّمَالِ﴾: مُحيطون بالرسول ﷺ إلى اليمين وإلى الشمال ﴿عِزِينَ﴾: جماعات متفرقة، ومفرده عزة، هم المتعصبون، المُستهزئون، عن اليمين وعن الشمال؛ أي على كلّ حال، وفي كلّ موقع.

﴿أَيُّطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةً نَعِيمٍ﴾ (٣٨)

﴿أ﴾: حرف استفهام؛ بغرض الإنكار والتفريع والتوبيخ ﴿يَطْمَعُ﴾: والطمع هو نزوع النفس إلى شيء؛ شهوة له، هل يتطلع، ويأمل، ويرغب طمعا ﴿كُلُّ﴾: تعيد جميع ﴿أمرئ﴾: إنسان ﴿منهم﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية، كل شخص كافر ﴿أن﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يدخل﴾: أن ندخله ﴿جنّة نعيم﴾: يتنعم في الجنّة وهو كافر؟

﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا﴾ (٣٩)

﴿كَلَّا﴾: حرف ردع وزجر واستنكار، هنا الإجابة عن أسئلة الآيات السابقة: لأنّ ماوهم جنّهم يوم القيامة، وحتى يتذكرون ﴿إنّا﴾: هي في اللغة ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحد أحد؛ للتعظيم والتوكيد ﴿خلقناهم﴾: أوجدناهم من غير سابق وجود، أو مثال ﴿مِمّا﴾: من الذي ﴿يَعْلَمُونَ﴾: من حيوان منويّ ضعيف، ومن بويضة ضعيفة؛ تموت إذا لم تُخصب، فأصل الإنسان ضعيف، جاء في المعنى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ وهنا يتجلى الأدب القرآني بنزاهة التعبير؛ وحسن التذكير. [المرسلات-٢٠].

﴿فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ (٤٠)

﴿فَلَا﴾: حرف تخصيصٍ ونهي يفيد طلب عدم الفعل، وهو ﴿أُقْسِمُ بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿رَبِّ﴾: هنا إفادة لنعمة الامتنان والرحمة في إحياء النبات والحيوان بانتقال الشمس في المشارق كل يوم؛ ليعمّ نفعها كل مكان في الأرض، يقسم الله ﷻ وهو مالكٌ وخالقٌ ﴿المشارق﴾: كل شبر تشرق منه أو عليه الشمس في السموات والأرض وقيل عددها (٣٦٠) مشرقاً ومغرباً بعدد أيام السنة ﴿و﴾: أيضاً يُقسم الله ﷻ بما خلق في ﴿المغارب﴾: وكل نقطة في هذا الكون هي مشرق ومغرب، المقصود مشرق ومغرب كل يوم من أيام السنة ﴿إنّا لقادرون﴾: بالجمع للتأكيد على القدرة الربّانية.

﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمُسْبُوقِينَ﴾ (٤١)

﴿عَلَى أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿نُبَدِّلُ﴾: تأتي بغيرهم ﴿خَيْرًا مِنْهُمْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية، أن نُهلك هذه الأقوام الكافرة، ونبدلها بغيرها من المؤمنين المطيعين، وقادرون أن نعيد هذه الأجسام يوم القيامة بخيرٍ منها؛ فإن قدرته ﷻ حقيقة، وهو ﷻ قادرٌ على تبديلهم بغيرهم،

يطيعونه ﷺ ﴿ق﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿نَحْنُ﴾: هو الله ﷻ، الواحد الأحد العظيم الجليل، وجاءت هنا بصيغة الجمع للتعظيم ﴿بِمَسْبُوقَيْنِ﴾: لسنا عاجزين أو مغلوبين؛ لا أحد يُفوتنا في قدرتنا.

﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ (٤٢)

﴿ف﴾: حرفٌ يفيد ربط جواب الشرط ﴿ذَرَهُمْ﴾: دعهم واتركهم يا محمد ﷺ ﴿يَخُوضُوا﴾: يُناقشوا، ويُجادلوا، ويُكذبوا، ويُعانَدوا، ويُكفروا، ويلعبوا في باطلهم ﴿حَتَّى﴾: حرف جرٍ يفيد انتهاء الغاية الزمنية ﴿يُلَاقُوا﴾: حتى يأتيتهم ﴿يَوْمَهُمْ﴾: يوم القيامة؛ اليوم ﴿الَّذِي يُوعَدُونَ﴾: الذي وعدناهم بمجيئه.

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفِضُونَ﴾ (٤٣)

﴿يَوْمَ﴾: القيامة ﴿يَخْرُجُونَ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية والزمانية ﴿الْأَجْدَاثِ﴾: يوم يقومون من القبور، إذا دعاهم الله ﷻ ليوم الحساب ﴿سِرَاعًا﴾: مُسرعين ﴿ك﴾: للتشبيه مثل، حال، والغرض هو التهكم بهم والتعريض بسخف عقولهم، وإدانتهم بالجهل لعبادتهم غير الله ﷻ ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف للتشبيه والتقريب ﴿إِلَى نُصْبٍ﴾: هو الصنم إذا جاء بفتح حرف النون وضمّ حرف الصاد، أو بضمّ النون وضمّ حرف الصاد بمعنى واحد، وهو الصنم ﴿يُوفِضُونَ﴾: يذهبون، ويطوفون، ويزورون أحجارًا تُعبد من دون الله ﷻ، وهي الأصنام، كما كانوا يُهرولون في الدنيا إلى الأصنام إذا رأوها، أيهم يأتها أسرع، وقيل كأنهم يتسارعون للتجمع حول أصنام؛ استمالةً، وتمسُّحًا، وعبادةً.

﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (٤٤)

﴿خَاشِعَةً﴾: ذليلةٌ مُنكسرةٌ ﴿أَبْصَارُهُمْ﴾: عيونهم ﴿تَرْهُقُهُمْ﴾: تتعبهم وتغشاهم ﴿ذِلَّةٌ﴾: ذلٌّ ومهانةٌ في مقابل تكبرهم وتجبرهم في الدنيا ﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة للبعيد ﴿الْيَوْمِ﴾: يوم القيامة ﴿الَّذِي كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿يُوعَدُونَ﴾: الذي وعدهم الله ﷻ، وقد جاء وتحقق وعده.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ تتضح أكثر صور عذابِ المجرمين يوم القيامة، في مقابل صورِ نعيمِ المؤمنين.

سُمِّيت سورة نوح بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير وفي كتب السنة، وسُمِّيت أيضًا "إنا أرسلنا نوحًا"، وهي من السور المكيّة، بالاتفاق، وهي في موقع (٧١) في ترتيب السور، نزلت بعد أربعين آيةً من سورة النحل، وقبل سورة الطور، وعدد آياتها (٢٨) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحد؛ للتعظيم والتوكيد ﴿أَرْسَلْنَا﴾: بعث الله ﷻ بصيغة الجمع؛ لعظم شأن البعثة ﴿نُوحًا﴾: هو أولُ رسولٍ جاء بعد آدم عليهما السلام، بألف عام ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾: الذين كانوا كُفَرًا من قبل، ثم كفروا برسالته ﷺ، وأصروا على كفرهم ﴿أَنْ﴾: حرفُ تأكيد الفعل ﴿أَنْذِرْ﴾: حذّر ﴿قَوْمَكَ﴾: الذين من أصلك، قبيلتك وعشيرتك؛ وخوفهم من بأس الله ﷻ ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ﴾: يُصيبهم ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: عقابٌ شديدٌ الوجع والإيلام.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٢)

﴿قَالَ﴾: نوح ﷺ ﴿يَا﴾: حرفُ نداءٍ للقريب وللبعيد ﴿قَوْمِ﴾: نسب قومه إليه؛ ليدكرهم بصلّة القرابة بينه وبينهم، ناصحًا ومُحذّرًا من غضب الله ﷻ القادم، من باب الشفقة عليهم ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿نَذِيرٌ﴾: مُحذّر ومخوِّف ﴿مُبِينٌ﴾: بصراحة، ووضوحٍ من غضب الله ﷻ، إن لم تؤمنوا.

التكليف: الملاحظ أنّ نوحًا ﷺ طبق لأمر الربّاني مباشرةً دون ترددٍ أو توانٍ لذا لم يأت في الآية أي حرف عطفٍ.

﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ (٣)

﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل إِنَّ جوهر إنذاري ﴿عَبُدُوا﴾: أطيعوا ﴿اللَّهِ﴾: نسب العبادة لله ﷻ لأنها لا يجب أن تكون لغيره، وحده ﷻ، ولا تشركوا به شيئاً ﴿وَاتَّقَوْهُ﴾: أيضاً خافوه، واجتنبوا غضبه ﴿وَأَطِيعُوا﴾: اعملوا ما أمركم به، وانتهوا عما أنهاكم عنه، وستكون عاقبة استجابتكم لله ﷻ:

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤)

﴿يَغْفِرْ﴾: يُسامح ويمحُ ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿ذُنُوبِكُمْ﴾: يصفح الله ﷻ عن كلِّ ذنوبكم، ويمح خطاياكم ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿يُؤَخِّرْكُمْ﴾: يؤجلكم ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ﴾: زمنٍ وموعدٍ، الموت ﴿مُسَمًّى﴾: ومعروف ومكتوب له ﷻ يمدُّ في أعماركم، ويُبعد عنكم العذاب ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكِّ والإنكار ﴿أَجَلَ اللَّهِ﴾: وقت مجيء العذاب وأيضاً بمعنى ما قدره الله ﷻ من أعمار الخلق ﴿إِذَا﴾: حرفٌ يفيد الزمن القادم في المستقبل ليستر لكم بعض ذنوبكم ﴿جَاءَ﴾: وقع وحدث ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤَخَّرُ﴾: بادروا بالطاعة قبل حلول الغضب؛ فإنَّ أمره ﷻ لا يؤخر ﴿لَوْ﴾: حرفٌ يفيد الاستحالة ﴿كُنْتُمْ﴾: في الحياة الدنيا ﴿تَعْلَمُونَ﴾: لو علمتم الحقيقة لأسرعتم في التوبة والإيمان.

التكليف: إِنَّ الطاعة، والبر، وصلة الرحم، تزييد في العمر، عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَإِنَّ صَنَائِعَ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَإِنَّ صَلَاةَ الرَّحْمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ، وَتَقِي الْفَقْرَ. وَأَكْثَرُوا مِنْ قَوْلٍ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً مِنْ تِسْعَةِ وَتِسْعِينَ دَاءً، أَدْنَاهَا الْهَمُّ»^(١).

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ (٥)

﴿قَالَ﴾: نوح ﷺ ﴿رَبِّ﴾: ولأن نوح ﷺ، يعلم معنى كلمة الرب فهو: المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ للكون من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير،

(١) المعجم الأوسط ١/٢٨٩ (٩٤٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/٢٩٣: إسناده حسن.

والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيّدُ؛ سأل نوح ﷺ، الله ﷻ: **﴿إِنِّي﴾**: أنا بالتأكيد **﴿دَعْوَتْ﴾**: ناديت **﴿قَوْمِي﴾**: أهلي وعشيرتي أحثهم لعبادتك وطاعتك **﴿لَيْلًا وَنَهَارًا﴾**: أيضًا دعوتهم **﴿نَهَارًا﴾**: قَدَمَ ﷻ الليل على النهار للدلالة على عدم الفتور والتقصير في دعوة قومه، مما يُظهر حجم المعاناة خاصة دعوة الليل التي هي أشقّ على النفس في النهار، لمدة تسعمائة وخمسين (٩٥٠) سنة في الليل والنهار، أي على طول اليوم؛ امتثالاً لأمرك سبحانه.

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ (٦)

﴿فَلَمْ﴾: أداة توكيد الخبر **﴿يَزِدْهُمْ دُعَائِي﴾**: أسند الزيادة للدعاء لأنه السبب؛ كلما دعوتهم ليؤمنوا، زادوا في كفرهم **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿فِرَارًا﴾**: جاء اللفظ القرآني "الفرار" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى حادوا وابتعدوا، وجاء بمعنى الهرب في قوله ﷻ **﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾** [الأحزاب-١٦]، وفي قوله ﷻ **﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾** [الشعراء-٢١]، وبمعنى لا يلتفت إليه في قوله ﷻ **﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾** [عبس-٣٤، ٣٥].

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾
استكبارًا﴾ (٧)

﴿وَإِنِّي﴾: أنا أيضًا وبالتأكيد **﴿كُلَّمَا﴾**: تفيد التكرار والتعميم **﴿دَعَوْتُهُمْ﴾**: في كل مرة أذكرهم بالله ﷻ **﴿ل﴾**: حرف علة وسبب، دعوتهم للإيمان الذي هو سبب المغفرة، **﴿تَغْفِرَ لَهُمْ﴾**: لتمحو ذنوبهم **﴿جَعَلُوا﴾**: وضعوا **﴿أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾**: سدّوا آذانهم بأصابعهم، حتى لا يسمعو ما أدعوهم إليه؛ دلالة على شدة الإعراض عن الحق **﴿و﴾**: حرف عطف يُفيد الحال **﴿اسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾**: قال ابن عباس: تنكروا حتى لا يعرفهم نبيهم، وقال السدي: غطّوا رؤوسهم؛ كيلا يسمعو ما يقول نوح ﷻ، وقيل بالغوا في إظهار الكراهية لدعوته ﷻ **﴿وَأَصْرُوا﴾**: تشدّدوا وصمّموا على ما هم عليه **﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾**: بالغوا في الاستكفاف **﴿استكبارًا﴾**: تعاليًا شديدًا.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا﴾ (٨)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يُفيد التباعد الزمني ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا﴾: رفعت لهم صوتي عاليًا في وسط النَّاس؛ ليسمع الجميع.

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ (٩)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني البطيء ﴿إِنِّي﴾: بالتأكيد ﴿أَعْلَنْتُ﴾: قلت بوضوح ﴿لَهُمْ﴾: تحديدًا كلامًا واضحًا، عاليًا، ظاهرًا في العلن، وأمام الجميع ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾: دعوتهم أيضًا سرًّا بيني وبينهم، فقد نوح نوح ﷺ، في وسائل إقناعهم؛ إذ دعاهم إلى الإيمان سرًّا وعلانية، في الليل والنهار، أفرادًا وجماعات، ترغيبًا وترهيبًا.

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (١٠)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والتتابع السريع ﴿قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا﴾: قلت لهم اطلبوا المغفرة من الله ﷻ، وتوبوا إلى ﴿رَبِّكُمْ﴾: مالك أمرك كلّه ﴿إِنَّهُ﴾: ﷻ بالتأكيد ﴿كَانَ﴾: وسيبقى بلا انتهاء ﴿غَفَّارًا﴾: كثيرُ الغفران، والمسامحة. فيكون من خيره:

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ (١١)

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾: يرسل الغيث الذي هو الماء يسوق إليكم السحاب المُحمَّل بالماء، ﴿عَلَيْكُمْ﴾: يُنزل لكم الماء من السماء ﴿مِدْرَارًا﴾: قال ابن عباس: غزيرًا مُتتابعًا، بحسب حاجتكم. التكليف: في هذه الآية دليلٌ على أنّ الاستغفار من أعظم أسباب نزول المطر، نبات الرزق.

﴿وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (١٢)

﴿وَيُمِدُّكُمْ﴾: يرزقكم، ويعطيكم بكثرة ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿أَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾: بمال وافر، وأولاد كثيرين نافعين ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿جَنَّاتٍ﴾: حيث يكثر الماء، والأرض الصالحة ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ﴾: تمليغًا وتخصيصًا ﴿أَنْهَارًا﴾: أيضًا المياه العذبة الجارية، وهذا ما يطمع فيه كلُّ سكّان الأرض.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (١٣)

﴿مَا لَكُمْ﴾: ما بكم؛ ما شأنكم، ماذا جرى لكم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَرْجُونَ﴾: لا تخافون لا ترجون فضل الله ﷻ ولا تجعلون ﴿لِلَّهِ وَقَارًا﴾: ولا تخافون عظمة الله ﷻ، وتتصرفون في دنياكم ولا توقرونه ﷻ؛ بلا حسابٍ للعواقب الوخيمة، فتسمعوا، وتطيعوا.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (١٤)

﴿وَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿خَلَقَكُمْ﴾: أوجدكم من غير سابق وجود، ولم تكونوا من قبل ﴿أَطْوَارًا﴾: مراحل متعاقبةً متدرجةً من النطفة، التي هي الحيوان المنوي من الذكر، وبويضة من الأنثى، يمتزجان، وتلتصق بجدار الرحم؛ فتسمى علقة، ثم تتطور إلى مضغة مخلقة وغير مخلقة، ثم يخرج طفلاً، ثم مرحلة الصبا، ثم الشباب، ثم الكهولة.

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ (١٥)

﴿أَلَمْ﴾: أداة استفهامٍ بغرض الاستتكار ﴿تَرَوْا﴾: ألم تعلموا علم مشاهدة ﴿كَيْفَ﴾: حرف استفهامٍ يفيد التعجب والاستتكار ﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق وجود ﴿اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ بسبب شكلها البيضاوي ﴿طِبَاقًا﴾: كيف خلق ﷻ سبع سماوات طبقاتٍ، بشحناتٍ مغناطيسيةٍ جبّارة، تحافظ على المجالات المختلفة، واحدةً فوق أخرى، وفيها تسير الكواكب، كلٌ واحدةً في فلكها، فالقمر يُكمل دورته في شهر، والشمس في سنة، وكوكبٌ زحل في ثلاثين سنة.

التكليف: إنَّ المُراد من هذه الدراسة هو الاستدلال على كمال قدرته ﷻ، وبديع صنعته، وأحقّيته عبادته.

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ (١٦)

﴿وَجَعَلَ﴾: خلق وحدّد أيضًا ﴿الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾: جاء اللفظ القرآني "النور" هنا بمعنى ضوء القمر الذي يعكس ضوء الشمس كما تفعل المرآة، أي لا ينبعث منه النور، بل يعكسه ﴿وَجَعَلَ﴾: سخر ﴿الشَّمْسَ﴾: لتكون ﴿سِرَاجًا﴾: مصباحًا، هي كتلةٌ من غاز الهيليوم المُشتعل، هي سراجٌ، يُنتجُ النور؛ نتيجة احتراق غاز الهيليوم، وهذا من الإعجاز العلمي الفلكي الباهر أن يُنزل هذا العلم على نبيٍّ أميٍّ، في مجتمعات أميّة.

التكليف: عندما يذكر النبي الأمي ﷺ؛ هذا تشريف له؛ لأن هذا الإعجاز العلمي دليل على صدق رسالته.

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (١٧)

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ﴾: أنشأ أصلكم ﴿مِن﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾: فقد خلق الله ﷻ أبا البشر آدم ﷺ، من ترابٍ، من حمأ مسنون، ومن آدم خلق الله ﷻ حواء، عليهما السلام، وترتبط حياتكم أيها الناس بما تُخرجه لكم الأرض من ماءٍ وغذاءٍ وثروات.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ (١٨)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يفيد التتابع الزمني غير السريع ﴿يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾: يُدفن الميت، ويتحلل في الأرض ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ من قبوركم ﴿إِخْرَاجًا﴾: يوم البعث، يوم القيامة، يوم يُعيدُ الله ﷻ البشر كما بدأهم أول مرة.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ (١٩)

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ﴾: خلق، ومهّد، وبسط ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا؛ للإنسان بالدرجة الأولى وجعل ﴿الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾: والبسطُ هو نشرُ الشيء وتوسعه، مهّدها، وبسطها، وثبّتها بالجبال الراسخات، وهي تدور؛ حتى لا تميد بمن وبما عليها.

﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ (٢٠)

﴿لِ﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿تَسْلُكُوا مِنْهَا﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية؛ لتسيروا فوقها ﴿سُبُلًا﴾: طُرُقًا ﴿فِجَاجًا﴾: واسعةً ممهدةً مناسبةً لكلِّ وسائل نقلكم؛ للسيارات الصغيرة، والكبيرة، والقطارات، والشاحنات.

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٢١)

﴿قَالَ نُوحٌ﴾: ناجى نوح ﷺ، رَبّه شاكياً، ﴿رَبِّ﴾: فهو مالك أمرك كلّهُ، أنّه بعد أن ذكّر قومه بنعم الله ﷻ عليهم، وقدرته، وعظمته في خلقه، كان ردّهم ما وصفه نوح ﷺ: ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد ﴿عَصَوْنِي﴾: لم يُطيعوني وخالفوني ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿اتَّبَعُوا﴾: أطاعوا

وانقادوا ﴿مَنْ﴾: الذي من البشر ﴿لَمْ﴾: حرف جزم ينفي الفعل المضارع ﴿يَزِدُهُ مَالَهُ وَ﴾: أيضًا لم يزده ﴿وَلَدَهُ﴾: كانت كثرة الأموال والأولاد سببًا في كفره ﴿إِلَّا﴾: استثناء ﴿حَسَارًا﴾: ضلالًا في الدنيا، وهنا إشارة إلى وسائل الإفساد، وكما هي وسائل الإصلاح المال والبنون، الذين لم يكتفوا بالكفر، بل عمدوا إلى المكر.

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ (٢٢)

﴿وَمَكَرُوا﴾: كادوا وتآمروا ﴿مَكْرًا﴾: كيدًا؛ ومكرًا ﴿كُبَّارًا﴾: عظيمًا بالغ الغايات الخبيثة؛ باتباعهم الكافرين.

﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (٢٣)

﴿وَقَالُوا﴾: وهم الكافرون ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿تَذَرُنَّ﴾: لا تتركوا بالتأكيد ﴿آلِهَتَكُمْ﴾: أصنامكم التي تعبدون ﴿وَلَا﴾: حرف نهي ﴿تَذَرُنَّ﴾: لا تتركوا، ولا تتصرفوا عن عبادة ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾: هذه أسماء رجال صالحين بين أبناء آدم، ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا وسوس إبليس للناس، وقال هؤلاء هم أسباب سقوط المطر؛ فاعبدوهم، ثم زين لهم الشيطان أن يجعلوا لهم تماثيل، بحجة أن التماثيل ستشجعهم على الاستمرار في طاعتهم، ثم أصبحت العبادة للتماثيل، وانتشرت هذه التماثيل في الجزيرة العربية ﴿وَدًّا﴾: كان معبود قبيلة كلب في دومة الجندل و﴿سُوَاعًا﴾: كان لقبيلة هُدَيل ﴿يَغُوثَ﴾: فكانت لبني مراد، ثم لبني غطفان بالجرف عند سبأ ﴿وَيَعُوقَ﴾: فكانت لهذمان ﴿وَنَسْرًا﴾: فكانت لحمير آل ذي الكلاع.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ (٢٤)

﴿وَقَدْ﴾: حدث وتحقق في الماضي ﴿أَضَلُّوا﴾: أبعدوا الناس عن العبادة الحق، بعبادتهم للأصنام ﴿كَثِيرًا﴾: من بني آدم عن عبادة الله ﷻ، كانت الأصنام سببًا في ضلال كثيرين، واستمرت عبادتهم إلى عقود طويلة ﴿وَ﴾: حرف عطف يُفيد الحال ﴿لَا﴾: حرف نهي وتحريم ﴿تَزِدِ﴾: يا رب لا تعطي المزيد ﴿الظَّالِمِينَ إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿ضَلَالًا﴾: بُعدًا وتيهًا عن الحق، لقد دعا نوح ﷺ، على قومه؛ لإصرارهم على عبادة الأصنام، وقد دعا إبراهيم ﷺ بعده؛ فقال:

﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم-٣٥]، ودعا موسى ﷺ، عليهم فقال: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ﴾ [يونس-٨٨].

﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ (٢٥)

﴿مِمَّا﴾: من الذي ﴿خَطِيئَاتِهِمْ﴾: من كثرة ذنوبهم، واقترافهم الخطايا، ورفضهم الإيمان برسوله ﴿أُغْرِقُوا﴾: ماتوا غرقًا، وانتقلوا من مكان الموت وهو الماء ﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿أَدْخَلُوا نَارًا﴾: كان مآلهم إلى جهنم ﴿فَلَمْ﴾: حرف توكيد الخبر الذي بعده ﴿يَجِدُوا لَهُمْ﴾: المقصود في المستقبل تخصيصًا ﴿مِنْ دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهُ أَنْصَارًا﴾: لم يجدوا لهم من مجيرٍ ولا معينٍ يدفع عنهم عذاب الله ﷻ، كان هذا بدعاء نوح ﷺ.

التكليف: جاء التعبير عن المستقبل بصيغة الماضي لأنه سيتحقق وقوعه، لن يمنعهم من عذاب الله ﷻ أحدٌ

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٢٦)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ﴾: يا مالك أمري كله ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿تَذَر﴾: لا تترك، لا تُبقي ﴿عَلَى الْأَرْضِ﴾: على وجه الأرض ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية، جنس ونوع ﴿الْكَافِرِينَ﴾: تخصيصًا بالعذاب ﴿دَيَّارًا﴾: فيها أقوال: لا تترك واحدًا حيًّا على وجه الأرض؛ يدور؛ ويتحرك، وقال الضحاك: واحدًا، وقال السدي: الذي يسكن الدار؛ فاستجاب الله لدعاء نوح؛ فأهلك الكافرين.

﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاَجْرًا كَفَّارًا﴾ (٢٧)

﴿إِنَّكَ﴾: أنت سبحانه تباركت وتعاليت ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿تَذَرَهُمْ﴾: أبقيت منهم أحدًا حيًّا ﴿يُضِلُّوا﴾: يصرفوا عن الدين الصحيح ﴿عِبَادَكَ﴾: الذين ستخلقهم بعدهم ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَلِدُوا﴾: لا يُنجبوا من نسلهم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿فَاَجْرًا﴾: مُبَالِغًا في ظلمه وفي أعماله وأقواله ﴿كَفَّارًا﴾: قلبه كافر لا يؤمن، وهذا من تجربته ﷻ، معهم تسعمائة وخمسين سنة.

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ (٢٨)

﴿رَبِّ﴾: يتحبيب نوح ﷺ، ببناء خالقه، هو المنشئ لهذا الكون البديع من حالٍ "طور" إلى حالٍ "طور" آخر، وهو المُربي إلى حدِّ التمام؛ فهو مالك أمركم كلّه ومالك أمري كلّه ﴿اغْفِرْ لِي﴾: امحُ عني خطاياي ﴿وَلَوْلَا الَّذِي﴾: وأبي وأمي، ولم يأت ذكرهما مع الكافرين ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال اغفر أيضًا ﴿لِمَنْ﴾: للذي من جنس بني آدم ﴿دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾: قال الضحاك: من دخل مسجدي، وقيل كل مؤمنٍ دخل منزل نوح ﷺ، وهو منهج سيدنا محمد ﷺ فعن أبي سعيد الخُدري، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَصْحَبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»^(١)، ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: يدعو لعموم المؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، وهو دعاءٌ مستحبٌ ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾: يدعو نوح ﷺ عليهم ألا يزيد الله ﷻ على الظالمين ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿تَبَارًا﴾: قال السدي: هلاكًا، وقال مجاهد: خسارًا في الدنيا والآخرة.

التكليف: بدراسة هذه السورة؛ نجد نتيجة النموذج الأول للداعية، نوح ﷺ؛ نصرَةً للمؤمنين وهلاكًا للكافرين.



سمّيت سورة الجن بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير والسنة، وتسمى أيضًا سورة قل أوحى إليّ، وسورة قل أوحى، وهي سورة مكية بالاتفاق، وموقعها (٤٠) في نزول السور، نزلت بعد الأعراف، وقبل "سورة يس"، وعدد آياتها (٢٨) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (١)

﴿قُلْ﴾: يأمر الله ﷻ رسوله محمدًا ﷺ أن يُخبر قومه ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾: أنه نزل على محمد ﷺ وحي من السماء، مفادُه ﴿أَنَّهُ﴾: حرف تأكيد الخبر ونفي الإنكار والشك ﴿اسْتَمَعَ﴾: وصل إلى مسامع ﴿نَفَرٌ﴾: جماعة يتراوح عددهم بين الثلاثة والعشرة ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز

^(١)مسند أحمد ٤٣٧/١٧ (١١٣٣٧)، قال الأرنؤوط: إسناده حسن.
٤٦٣

النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿الْجَنِّ﴾: قراءته للقرآن الكريم ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿قَالُوا﴾: الجن ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر ﴿سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾: بديعًا في بلاغته وفصاحته، ومعانيه.

التكليف: أمر الله ﷺ رسوله محمدًا ﷺ أن يُبَلِّغَ الناس جميعًا بالوحي الذي جاءه عن قضية الجن الذين استمعوا إلى النبي وهو يُصلي بأصحابه صلاة الفجر؛ فرجع الجن إلى قومهم يبلغونهم ما سمعوا فقالوا ما جاء هنا.

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ (٢)

﴿يَهْدِي﴾: يقودُ ويدلُّ ﴿إِلَى الرُّشْدِ﴾: إلى الصواب في الاعتقاد، والقول، والعمل: إلى الحق، والهدى، والسداد، والنجاح، والرشد ليحقق الهداية، والرشد؛ جاءت بالرفع أخص من الرشد؛ فإن الرشد بالفتح يقال في الأمور الدنيوية والأخروية، وأما الرشد فيقال في الأمور الأخروية لا غير ﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿آمَنَّا﴾: أعلنوا تصديقهم ﴿بِهِ﴾: لما جاء فيه، وأنه من الله ﷻ، إلى رسوله محمد ﷺ ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿لَنْ﴾: حرفٌ نفي، نحن ننفي أن ﴿نُشْرِكَ﴾: نجعل معه ﷻ معبودًا آخر في عبادتنا ﴿بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿رَبِّنَا﴾: يا مالك أمرنا كله ﴿أَحَدًا﴾: لا نُشْرِكُ في عبادة الله ﷻ أحدًا.

التكليف: في الآية تعريضٌ واضحٌ بسخف المشركين والكافرين من حول الرسول ﷺ الذي عاش بينهم إحدى عشر سنة يقرأ عليهم القرآن بمكة وهم به منكرون، ولكن الجن بمجرد أن سمعوا بعض الآيات آمنوا به ﷻ وحملوا رسالته إلى قومهم.

التكليف: هنا توبيخٌ للكفار من البشر؛ لما سمع الجن القرآن مرةً واحدةً فأدركوا بوعي أنه كلام الله ﷻ؛ آمنوا ولم ينتفع منه الكافرون من بني آدم وبخاصة كبرائهم.

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ (٣)

﴿وَأَنَّهُ﴾: حرف تأكيد الخبر؛ ونفي الإنكار والشك ﴿تَعَالَى﴾: هو الله ارتفع وتعظم ﴿جَدُّ﴾: قال ابن عباس: الأؤة، وقدرته، ونعمه، على خلقه، وقال مجاهد: جلال ربنا، وقال قتادة: جلاله وعظمته وأمره، وقال السدي أمرُ ربنا، وقال سعيد بن جبیر ﷺ ﴿رَبِّنَا﴾: المُعبود، والمُربي، وهو

المنشئ للشيء من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام وهو الخالق، فهو مالك أمرك كله وكلُّ ذلك صحيح؛ والله أعلم ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿اتَّخَذَ﴾: اعتمد ﴿صَاحِبَةً﴾: أن تكون له زوجة، ما اتخذ، ولا يجب ﴿وَلَا﴾: حرف نفي، ليس، ولا يجب أن يكون له ﴿وَلَدًا﴾: جاء التعبير بالولد ليشمل الذكر والأنثى، وبذلك ينتفي كذب الجاهلين؛ الذين قالوا إنّ الملائكة بنات الله، وما قاله اليهود أنّ عزيزاً ابن الله، وعلى النصارى الذين قالوا: عيسى ابن الله، تنزه الله ﷻ أن يكون له صاحبةٌ أو ولدٌ.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ (٤)

﴿و﴾: أيضًا ﴿أَنَّهُ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿كَانَ﴾: في الحياة الدنيا ﴿يَقُولُ سَفِيهًا﴾: المقصود هنا إبليس، لعنه الله ﷻ، وهو الجاهل، وهو قول كَلِّ سفيهه، في كلِّ زمانٍ ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾: قولاً مُفْرَطًا في الكذب، قولاً مُنْحَرَفًا عن الحق، قال ابن زيد: جورًا وظلمًا.

﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (٥)

﴿وَأَنَا﴾: نحن بالتأكيد ودون نفيٍ وشكٍ ﴿ظَنَنَّا﴾: اعتقدنا ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿لَنْ﴾: حرف نفي ﴿نَقُولَ الْإِنْسُ﴾: أبناء آدم ﷺ ﴿و﴾: أيضًا لن نقول ﴿الْجِنُّ﴾: أن يتأمر بعض الإنس وبعض الجن؛ على أن يقولوا ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: أن يدّعوا أنّ لله ﷻ صاحبةً، وأنّ له ولدًا.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (٦)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفِيدُ الحال ﴿أَنَّهُ﴾: بالتأكيد ودون شكٍ ﴿كَانَ﴾: في السابق ﴿رِجَالٌ مِنَ﴾: بعض ﴿الْإِنْسِ﴾: في عهد الجاهلية، والذين استمروا بعد الرسالة ﴿يَعُوذُونَ﴾: يستجرون، ويستجدون ﴿بِ﴾: حرف باء الاستعانة ﴿رِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾: كان من عادة العرب في الجاهلية الاستجارة بعظيم المكان، الذي هم فيه من الجن؛ حتى لا يُصيبهم سوءٌ، مثل القول أعوذ بسيد هذا الوادي من شرِّ سفهاء القوم ﴿ف﴾: حرف استثنائيٍّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿زَادُوهُمْ رَهَقًا﴾: الرهق هنا الإثم والخطيئة وغشيان المحارم باستعانة الإنس بالجن يحصل الإثم والخطيئة. أرهقوهم بزيادة الخوف والذعر، قال الثوري: ازدادت الجنُّ عليهم جُرأةً؛ فزادوهم

رهفًا؛ فكان من يستعيز بهم يزيدونه أذى، قال أبو العالية: زادوهم خوفًا، وقال ابن عباس: زادوهم
إثمًا، وقال مجاهد: زادوهم طغيانًا، وكلها صحيحة؛ والله ﷻ أعلم.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ (٧)

﴿وَأَنَّهُمْ﴾: بالتأكيد ودون إنكار، وكان آخر الحديث عن الرجال كفار الإنس الذين ﴿ظَنُّوا كَمَا
ظَنَنْتُمْ﴾: أي اعتقدوا، وحسبوا ﴿أَن﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿لَن﴾: حرف نفي ﴿يَبْعَثُ﴾: لن يُرسل
﴿اللَّهُ أَحَدًا﴾: رسولًا جديدًا.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلْتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ (٨)

﴿وَأَنَّا﴾: هم الجن ﴿لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾: طلبنا بلوغ السماء، حتى ننتمع لكلام أهلها ﴿ف﴾: حرف
يُفيد السبب ﴿وَجَدْنَاهَا﴾: شاهدناها ﴿مَلْتًا﴾: حيث حُفظت السماء من سائر أرجائها، حفظًا
للقرآن الكريم، وطردت الشياطين عن مقاعدها، حتى لا يسترقون السمع؛ لطفًا من الله ﷻ بعباده
ورحمته، وحفظًا لكتابه الكريم ﴿حَرَسًا﴾: حُرَاسًا ﴿شَدِيدًا﴾: هم الملائكة ﴿و﴾: حرف عطف
يُفيد الحال؛ أيضًا ملئت بأعداد كبيرة أيضًا ﴿شُهَبًا﴾: القذائف المكونة، نُجومًا مُحرقَةً.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ (٩)

﴿وَأَنَّا﴾: هم الجن قالوا ﴿كُنَّا﴾: في السابق ﴿نَقْعُدُ﴾: نتخذ أماكن ﴿مِنْهَا﴾: حرف يُفيد بداية
الغاية المكانية، من السماء في أماكن نجلس فيها في السابق ﴿مَقَاعِدَ﴾: مواقع في السماء
﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿السَّمْعِ﴾: يستمعون لما يقوله الملائكة، ويُخبرون به الكهنة من أهل
الأرض ﴿فَمَنْ﴾: حرف استفهام استثنائي عن العاقل فالذي ﴿يَسْتَمِعِ﴾: من يسترق السمع،
يبتصت ﴿الآنَ﴾: بعد بداية نزول القرآن ﴿يَجِدْ لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿شِهَابًا﴾: نارًا ملتهبة من
المقذوفات السماوية ﴿رَصَدًا﴾: مرصودة له، لا يتعدها، وإلا هلك، عن أبي هريرة، يُقول: إِنَّ
نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، صَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ،
كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُرِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الْحَقُّ، وَهُوَ
الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ
فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرَ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوْ الْكَاهِنِ،

فَرَبَّمَا أَدْرَكَ الشَّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرَبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا، فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ" (١).

﴿وَأَنَا لَا نَذْرِي أَشْرًا أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (١٠)

﴿وَأَنَا﴾: هم الشياطين ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿نَذْرِي﴾: لا نعلم سبب هذه الحراسة الشديدة ﴿أ﴾: حرف استفهام ﴿شَرًّا﴾: ضررٌ وسوءٌ ﴿أُرِيدُ بِ﴾: حرف باء المصاحبة والصلة ﴿مَنْ﴾: الذين من البشر ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: هل أراد أحد سكان الأرض من البشر، ولم ينسبوا الشر إلى فاعل؛ فقد تعودوا أن تُقذف بالكواكب ﴿أَمْ﴾: أو، هل ﴿أَرَادَ بِهِمْ﴾: تحديداً ﴿رَبُّهُمْ﴾: الخالق، والمالك، والعاطي، فهو مالك أمرك كله وكل ذلك صحيح؛ والله أعلم ﴿رَشَدًا﴾: خيراً، وصلاًحاً.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: هَبَطُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ بَبْطُنٍ نَخْلَةً فَلَمَّا سَمِعُوهُ قَالُوا: أَنْصِتُوا. قَالُوا: صَه. وَكَانُوا تِسْعَةً أَحَدُهُمْ زَوْبَعَةٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾ (الأحقاف- ٢٩) الْآيَةُ إِلَى ﴿ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران- ١٦٤] (٢)، فعرفوا أن هذا سبب حفظ السماء؛ فأمن منهم من آمن، وتمرد آخرون، وقد جاء: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف- ٢٩]، ولما استمعوا؛ أسلموا؛ فأنزل الله الآية التالية:

﴿وَأَنَا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ (١١)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿أَنَا﴾: نحن بالتأكيد ﴿مِمَّا﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿الصَّالِحِينَ﴾: هؤلاء هم الأبرار من الجن ﴿وَمِمَّا﴾: أيضاً من الجن ﴿دُونَ﴾: غير ذلك، من هم أقل من ﴿ذَلِكَ﴾: منهم الكافرون والفاسقون ﴿كُنَّا طَرَائِقَ﴾: مذاهب ﴿قِدْدًا﴾: مختلفة.

﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَّنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ (١٢)

﴿وَأَنَا﴾: نحن الجن ﴿ظَنَنَّا﴾: أيقنا ﴿أَنْ﴾: حرف تصورٍ وتوهمٍ ﴿لَنْ﴾: حرف نفي ﴿نُعْجِزُ﴾: نُضْعَفُ ﴿اللَّهُ فِي الْأَرْضِ﴾: أننا لن نفر، أو أن نهرب من قدر الله ﷻ وقدرته ﴿وَلَنْ﴾: حرف نفي ﴿نُعْجِزُهُ﴾: ولن نفوته ﴿هَرَبًا﴾: فراراً وهروباً.

(١) صحيح البخاري ١٢٢/٦ (٤٨٠٠).

(٢) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٤٩٥/٢ (٣٧٠١). وقال: "صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ". ووافقته الذهبي.

﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ (١٣)

﴿وَأَنَا﴾: نحن الجن ﴿لَمَّا﴾: تفيد حدث في الماضي، أي حين ﴿سَمِعْنَا الْهُدَىٰ﴾: قال الذين آمنوا من الجن؛ مُفَاخِرِينَ: لَمَّا سَمِعْنَا كَلَامَ اللَّهِ ﷻ فِي قُرْآنِهِ الْكَرِيمِ ﴿آمَنَّا بِهِ﴾: فهذا فَوْزٌ عَظِيمٌ، وَقَالُوا فَرِحِينَ ﴿فَمَنْ﴾: حرف استفهامٍ استثنائي يفيد هنا الذي جنس العاقل ﴿يُؤْمِنُ﴾: يعتقد يقيناً ﴿بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿رَبِّهِ﴾: مالك أمره كَلَّهُ ﴿فَلَا﴾: حرفٌ تخصيصٍ ونهيٍ؛ يفيد طلب عدم الفعل ﴿يَخَافُ﴾: لا يخشى ﴿بَخْسًا﴾: أن يُنْقَصَ اللَّهُ ﷻ مِنْ حَسَنَاتِهِ أَوْ يُعَاقَبَ عَلَى سَيِّئَاتِهِ الَّتِي أَقْلَعَ عَنْهَا، وَتَابَ ﴿وَلَا رَهَقًا﴾: غَشِيَانٌ ذَلَّةً، وَلَا يُضَافُ عَلَيْهِ إِثْمٌ عَلَى آثَامِهِ السَّابِقَةِ؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿وَأَنَا مِمَّنِ الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّنِ الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ (١٤)

يُصِفُ الْجَنِّ مَجْتَمَعَاتِهِمْ ﴿و﴾: أَيْضًا ﴿أَنَا﴾: حَرْفٌ يُفِيدُ التَّكْثِيرَ وَنَفْيَ الشَّكِّ وَالْإِنْكَارِ، نَحْنُ الْجَنِّ ﴿مِمَّنِ﴾: جِزْءٌ مِمَّا أَوْ بَعْضُنَا ﴿الْمُسْلِمُونَ﴾: الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ﷻ، وَبِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ، وَانْقَادُوا لَطَاعَتِهِ ﷻ ﴿وَمِمَّنِ الْقَاسِطُونَ﴾: الْجَائِرُونَ، الْمُنْحَرِفُونَ بِكُفْرِهِمْ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، الظَّالِمُونَ، الَّذِينَ حَادَوْا عَنِ الْحَقِّ، وَهَذَا بِخِلَافِ الْمُقْسَطِ؛ الَّذِي هُوَ الْعَدْلُ ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَ﴾: حَرْفٌ يُفِيدُ السَّبَبَ؛ فَمُصِيرِهِ ﴿أُولَئِكَ﴾: إِشَارَةٌ لِلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ﴿تَحَرَّوْا﴾: بَحِثُوا بَجِدِّ عَنِ الْهُدَى قَصَدُوا ﴿رَشَدًا﴾: طَرِيقَ الرَّشَادِ، وَعَدَمَ التِّيهِ؛ وَطَلَبُوا لِأَنْفُسِهِمُ النِّجَاةَ.

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (١٥)

﴿وَأَمَّا﴾: حَرْفٌ تَفْضِيلٌ وَتَأْكِيدٌ ﴿الْقَاسِطُونَ﴾: الْمُنْحَرِفُونَ إِلَى طَرِيقِ الضَّلَالَةِ وَالتِّيهِ، عَنِ الْحَقِّ ﴿ف﴾: حَرْفٌ اسْتِثْنَائِيٌّ بِهَدَفِ تَرْتِيبِ الْأَمْرِ وَيُفِيدُ السَّبَبَ وَسُرْعَةَ التَّنْفِيزِ ﴿كَانُوا لِ﴾: حَرْفٌ تَخْصِيسٍ ﴿جَهَنَّمَ حَطَبًا﴾: كَانُوا وَقُودًا يَزِيدُ مِنْ اشْتِعَالِ جَهَنَّمَ.

﴿وَأَلَّوْا اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (١٦)

﴿وَأَلَّوْا﴾: حَرْفٌ اسْتِفْهَامٌ بِغَرَضِ الاسْتِنْكَارِ وَالتَّوْبِيخِ ﴿اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾: عَلَى الْإِيمَانِ أَوْ الْكُفْرِ، هُنَا اخْتِلَافٌ فِي الْمَعْنَى فِي تَفْسِيرَيْنِ: الْأَوَّلُ: اسْتَقَامُوا عَلَى الْإِسْلَامِ؛ فَوَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الرِّزْقَ، وَبِخَاصَّةِ الْمَاءِ الْوَفِيرِ لِلزَّرْعَةِ وَالشَّرْبِ، وَالثَّانِي: قَالَ قَتَادَةُ: لَوْ اسْتَمَرُّوا عَلَى الضَّلَالِ

﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿أَسْقَيْنَاهُمْ﴾: جاءت بصيغة الجمع لتفيد الكثرة ﴿مَاءً غَدَقًا﴾: غزيراً ووسعنا عليهم به في الرزق؛ استدراجاً، وفي هذا المعنى قال ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام-٤٤]، والمعنيان صحيحان؛ والله أعلم.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ (١٧)

﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: قال مجاهد: نختبرهم؛ لنعرف من يثبت على إيمانه ممن يرتد عنه، وقيل: أشكرُ أم يكفرُ ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحال ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يُعْرِضُ﴾: يكفر ويبتعد جانباً ﴿عَنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيدُ هنا السبب والمجازة ﴿ذِكْرُ﴾: عبادة الله ﷻ ﴿رَبِّهِ﴾: هو ﷻ المُعبود؛ فهو مالك أمرنا كله ومالك أمرهم كله ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾: يُدخله في عذابٍ صعداً وهو جبلٌ في جهنم يُكفون بصعوده وكلما وضعوا أيديهم عليه ذابت وهو نوع من العذاب عذاباً مؤلماً شديداً، قال ابن عباس، ومجاهد: مشقةٌ لا راحة معها، وقيل جبلاً في جَنِّهم.

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحال ﴿أَنَّ﴾: حرفٌ يفيدُ التأكيد ونفي الإنكار والشكّ ﴿الْمَسَاجِدَ﴾: بيوت وأماكن عبادة المسلمين ﴿لِلَّهِ﴾: إن الأماكن التي يُعبد فيها الله ﷻ، وهي المساجد هي لله ﷻ وحده، وليس ككنائس اليهود والنصارى ﴿فَلَا﴾: حرفٌ تخصيصٍ ونهيٍ يفيدُ طلب عدم الفعل ﴿تَدْعُوا﴾: في المساجد ﴿مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾: لا تعبدوا غير الله ﷻ، قال ابن عباس: لم يكن من المساجد لماً نزلت هذه الآية سوى المسجد الحرام، ومسجد إيليا بيت المقدس في فلسطين، وقال عكرمة: نزلت في المساجد كلها.

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (١٩)

﴿وَأَنَّهُ﴾: حرف تأكيد الفعل، ونفي الإنكار والشكّ ﴿لَمَّا﴾: حين ﴿قَامَ﴾: وقف ﴿عَبْدُ اللَّهِ﴾: محمد ﷺ يقرأ القرآن ﴿يَدْعُوهُ﴾: يقرأ القرآن الكريم يعبد الله ﷻ في الصلاة ﴿كَادُوا﴾: أوشك الصالحون من الجنّ ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ﴾: على محمد ﷺ ﴿لِبَدًا﴾: مجتمعةً، ملتصقةً، متزاحمةً يلتقون ويتزاحمون على الرسول ﷺ، كما لبدة الأسد حول رأسه؛ لشدة دنوهم منه، وكثرتهم حوله،

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ ﷺ: «كَانُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا» [الجن-١٩] قَالَ:
«كَانُوا يَرْكَعُونَ بِرُكُوعِهِ وَيَسْجُدُونَ بِسُجُودِهِ، يَعْنِي الْجَنُّ»^(١).

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ (٢٠)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ للمشركين ﴿إِنَّمَا﴾: حرفٌ تحديدٍ وتخصيصٍ ﴿أَدْعُو﴾: الناسُ لعبادةِ
﴿رَبِّي﴾: مالكُ أمرنا كلِّه، وحده لا شريك له وأستجبر به، وأتوكل عليه ﴿وَلَا﴾: حرفٌ نفي
﴿أُشْرِكُ بِهِ﴾: أجعل معه في طاعتي ﴿أَحَدًا﴾: قطعًا لا أعبد سواه.

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (٢١)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿لَا﴾: حرفٌ نفي ﴿أَمْلِكُ﴾: لا أستطيع ﴿لَكُمْ﴾:
تخصيصًا ﴿ضَرًّا﴾: لن أستطيع أن أضركم بشيء، فأنا أعبد الله ﷻ ليس لي من الأمر شيءٌ
في هدايتكم، ولا غوايتكم ﴿وَلَا﴾: أيضًا ﴿رَشَدًا﴾: ولا أنفعكم بشيء منعه الله ﷻ عنكم.

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (٢٢)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿لَنْ﴾: حرفٌ نفي ﴿يُجِيرَنِي﴾: لن ينقذني ﴿مِنْ﴾:
حرفٌ يُفيد بداية الغاية الكلية؛ وهو ﷻ لا يحده مكان ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾: إذا أراد الله أن يعاقبني، ولا
يخلصني من عذابه أحدٌ ﴿وَلَا﴾: أيضًا ﴿لَنْ أَجِدَ﴾: واحدًا ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيان وتمييز
النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿دُونِهِ﴾: غير الله ﷻ ﴿مُلْتَحَدًا﴾: لن أجد ملجأً أفرُّ إليه
من عذاب الله ﷻ.

﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾
(٢٣)

﴿إِلَّا﴾: حرفٌ استثناء منقطع، وتعني إنَّ ما أملكه هو ﴿بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾: أملك أن
أبلغكم عن الله ﷻ ما أمرني بتبليغه لكم، إنَّ تكليفي هو تبليغ رسالة ربي إلى الناس ﴿وَمَنْ﴾:
الذي من جنس العاقل والذي ﴿يَعْصِ﴾: لا يُطعُ ويتمرد على ﴿اللَّهُ وَ﴾: أيضًا يعصي ولا يعمل
على تطبيق سنة ﴿رَسُولِهِ﴾: من يرفض ويمتنع عن أداء الواجب ﴿فَ﴾: لهذا السبب

^(١)المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٥٤٧/٢ (٣٨٦٠) وقال: ضحیح الإسناد ولمْ یُخرِجْاهُ. ووافقهُ الذهبي.

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿لَهُ﴾: مصيره ﴿نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾: مقيم ﴿فِيهَا أَبَدًا﴾: الأبد عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان؛ أي إقامة مستمرة، بلا انقطاع.

﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقَلَّ عَدَدًا﴾ (٢٤)

﴿حَتَّى﴾: حرف جرٍ يفيد انتهاء الغاية الشرطية ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿رَأَوْا﴾: عاينوا ﴿مَا﴾: الذي ﴿يُوعَدُونَ﴾: شاهدوا العذاب يوم القيامة ﴿فَ﴾: رابطة لجواب الشرط ﴿سَ﴾: حرف توكيد القول والفعل في المستقبل وهو ﴿يَعْلَمُونَ﴾: علم اليقين ﴿مَنْ﴾: من جنس العاقل الذي ﴿أَضَعَفَ﴾: أكثر ضعفاً أصحاب محمد أم كفار ذلك الزمان ﴿نَاصِرًا﴾: من الذين طلبوا النصر من الضعفاء، وكم هم أنصارهم ضعفاء ﴿وَ﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿أَقَلَّ عَدَدًا﴾: وهو من عناصر ضعف الأنصار قلّة عددهم، نسبة إلى جنود الله ﷻ.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ (٢٥)

﴿قُلْ﴾: أمرٌ من الله ﷻ لمحمد ﷺ أن يقول للناس: ﴿إِنْ أَدْرِي﴾: لا علم لي ﴿أَ﴾: حرف استفهام هل هو ﴿قَرِيبٌ مَا﴾: الذي ﴿تُوعَدُونَ﴾: وهو علمٌ يوم القيامة؛ أقرب هذا العذاب ﴿أَمْ﴾: هل ﴿يَجْعَلُ لَهُ﴾: لهذا اليوم ﴿رَبِّي﴾: الجامع، والمصلح، والسيد؛ فهو مالك أمرنا كلّهُ ﴿أَمَدًا﴾: أم أنّ الله ﷻ جعل له أجلاً بعيداً، لا يعلمه إلا هو.

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٢٦)

﴿عَالِمِ﴾: الذي يعلم ﴿الْغَيْبِ﴾: ما خفي عن الخلق في الماضي، والحاضر، والمستقبل، ولا يعلمه غيره ﴿فَلَا﴾: حرف تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل ﴿يُظْهِرُ﴾: جاء اللفظ القرآني "ظهر" على ثمانية أوجه؛ هنا بمعنى أطلع عليه؛ أي أظهر عليه، والمعنى يكون لن يُطلع على علمه، أي على ﴿غَيْبِهِ﴾: ما أخفاه عن علم الخلق ﴿أَحَدًا﴾: لا الرسل الملائكة، ولا الرسل البشر، عليهم السلام.

﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (٢٧)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ منقطعٍ ﴿مِنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿أَزْتَضَى﴾: باستثناء من رضي الله ﷺ أن يُبلّغه ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾: من الإنس أو من الملائكة ﴿فَ﴾: بسبب هذا ﴿إِنَّهُ﴾: هو بالتأكيد ﴿يَسْأَلُكَ﴾: يَخْصُه بإرسال ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: بمزيدٍ من معقبات من الملائكة؛ والله أعلم ﴿وَمِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿خَلْفِهِ﴾: من ورائه ﴿رَصْدًا﴾: ملائكة يحفظونه ويحرسونه، أربعة ملائكة حفظة مع جبريل عليه السلام .

﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (٢٨)

﴿ل﴾: حرف يفيد العلة والسبب ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ﴾: الضمير عائد على النبي ﷺ؛ ليعلم نبي الله أن الرُّسل قد أبلغوا رسالات ربهم من قبله، وقد يكون الضمير عائداً على الله ﷻ، وقد جاء في المعنى نفسه: ﴿وَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت-١١] ﴿قَدْ﴾: حرف جرٍ أفاد التأكيد؛ لأنه دخل هنا على الفعل الماضي ﴿أَبْلَغُوا﴾: أوصلوا ﴿رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾: رسالة الله ﷻ؛ ليعلم الذين كذبوا أن الرُّسل قد بلغوا رسالات ربهم، مالك أمرهم كله في حياتهم وآخرتهم ﴿وَأَحَاطَ﴾: علماً تاماً ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿لَدَيْهِمْ﴾: بما عندهم ﴿و﴾: حرف عطفي يفيد الحال ﴿أَحْصَى﴾: جمع وضبط ﴿كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد العموم ﴿عَدَدًا﴾: وضبط كل شيءٍ ضبطاً كاملاً.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نجد أن بعض الجن آمنتم بالقرآن، وهذا يبطل مزاعم المشركين.



سُميت سورة المزمّل بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير والسنة، وليس لها اسم غيره، وهي سورة مكّية عند الجمهور، واختلف في ترتيب نزول السورة، والأصح في الترتيب الذي تضافرت عليه الأخبار الصحيحة أنها نزلت بعد سورة القلم؛ فتكون ثالثة السور، وعدد آياتها (٢٠) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾ (١)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرفُ نداءٍ للقريب والبعيد، يعكس حبَّ ولطفِ الله ﷻ بنبيه محمدٍ ﷺ ﴿الْمَزْمَلُ﴾: المفروض أن تكون المزمّل، ليس المزمّل من أسماء النبي ﷺ والمقصود هنا محمد ﷺ هو المتغطي للنوم، وأصلها أنّ المزمّل هو الملتحف بثيابه، وقيل النائم، والغرض هو التدرج في التكليف للراقد في الليل ﷻ أن يقوم الليل.

﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢)

﴿قُمِ﴾: أمرٌ من الله ﷻ بالقيام للصلاة في ﴿اللَّيْلَ﴾: صلاةٌ وقراءةٌ للقرآن، والعبادة في الليل ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع ﴿قَلِيلًا﴾: المقصود كان قيام نصف الليل، المقصود قليلاً من زمن النوم في الليل، سُئِلت عائشة، رضي الله عنها، عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: «أَلَسْتُ تَقْرَأُ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا، وَأَمْسَكَ اللَّهُ خَاتِمَتَهَا اثْنِي عَشَرَ شَهْرًا فِي السَّمَاءِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التَّخْفِيفَ، فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ»^(١).

﴿نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ (٣)

﴿نِصْفَهُ﴾: نصف وقت الليل، بدلاً من كلّ الليل ﴿أَوْ﴾: حرف عطف يفيد التخيير، هنا بين متعاطفين نصف الليل أو ﴿انْقُصْ مِنْهُ﴾: من قيام نصف الليل إلى الثلث ﴿قَلِيلًا﴾: أقل من نصف الليل وقتاً قليلاً، الآيات من [١-٣] نسختهم الآية الكريمة من سورة المزمّل ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾

﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (٤)

﴿أَوْ﴾: حرف عطف يفيد التخيير ﴿زِدْ عَلَيْهِ﴾: قيامٌ ثلثي الليل مع زيادةٍ قليلةٍ لا حرج في ذلك ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الاستئناف ﴿رَتِّلِ﴾: حضور القلب مركز الوعي والإدراك، هو اتساق الشيء وانتظامه على استقامة، بمعنى اقرأ بتدبيرٍ وتمهّل ﴿الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾: مُظهِرًا

(١) صحيح مسلم ٥١٣/١ (٧٤٦).

الحروف، وأماكن الوقوف، وتحقيق الأحكام اللغوية؛ حتى تفهم معانيه وتتدبر أحكامه العقديّة، ومقبل عند الله ﷻ ما تقوم.

مواصفات الترتيل: كان الرسول يمُدُّ مدًّا، ويحسنُ الصوت بالقراءة؛ قال ﷺ: **زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ^(١)**، وكذلك عدم الإسراع؛ قال ابن مسعود: لا تنتروه نثر الرمل، ولا تهزوه هز الشعر، وأيضًا قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا تتعجلوا إنهاء السورة.

﴿إِنَّا سَأَلْنَاكَ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (٥)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحد؛ للتعظيم والتوكيد **﴿س﴾:** حرف توكيد القول والفعل **﴿نُلْقِي﴾:** نزل **﴿عَلَيْكَ قَوْلًا﴾:** هو القرآن الكريم **﴿ثَقِيلًا﴾:** قال: الحسن، وقتادة: ثقيلاً على العاملين به، وقيل ثقيلاً وقت نزوله؛ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلَاحَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيُفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ» قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُنَزَّلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيُفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَّقِصَّدُ عَرَقًا^(٢)، وقيل ثقيلاً عظيماً، ممتثلاً للأوامر والنواهي.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ (٦)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿ناشئة﴾:** العبادة التي تنشأ بهذا النزول وتحدث في **﴿الليل﴾:** ساعات الليل، جاء اللفظ القرآني "أنشأ" على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى ما قاله عمر، ﷺ: الليل كله ناشئة، وقال مجاهد: نشأ إذا قام من الليل، وقال أيضاً: بعد العشاء، وقيل ساعة وأوقات، وكلُّ ساعة تسمى ناشئة، وهي العبادة التي تنشئ قيام الليل **﴿هي أشدُّ﴾:** أقوى **﴿وطئاً﴾:** ثباتاً للقدم **﴿وأقوم﴾:** وأيضاً أصوب **﴿قِيلاً﴾:** لفظاً، وقيل أشدُّ مواطأة بين القلب

(١) سنن أبي داود ٥٩٤/٢ (١٤٦٨)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢) صحيح البخاري ٦/١ (٢).

واللسان، وأجمع على التلاوة، وأسهل فهمًا من النَّهار؛ بسبب غياب حركة النَّاس، وعدم علو الأصوات، والأشغال، وقيل أكثر رسوخًا.

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ (٧)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿لَكَ﴾: تخصيصًا يا محمد ﷺ ﴿فِي النَّهَارِ سَبْحًا﴾: تصرفًا وتقلبًا في مهماتك ﴿طَوِيلًا﴾: قال: أبو العالية، ومجاهد: فراغًا طويلًا، وقال قتادة: تصرفًا وتقلبًا في مصالح الإنسان، وقال السدي: تطوعًا كثيرًا، وقال عبد الرحمن بن زيد: وقت لقضاء الحاجات؛ فافرج لدينك ليلاً، وقال ابن جرير: لما نزلت يا أيها المزمّل قام المسلمون حولًا كاملاً؛ حتى ورمت أقدامهم، وسوقهم؛ حتى نزلت: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾؛ فاستراح النَّاس. التّكليف: يُخَيِّرُ اللهُ ﷻ رسوله ﷺ بأن له في النهار أعمالًا تشغله عن قراءة القرآن؛ لذا أرشده إلى قيام الليل وترتيل القرآن فيه.

﴿وَادْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ (٨)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿ادْكُرِ﴾: يا أيها النبي أكثر من ذكر ﴿اسْمَ رَبِّكَ﴾: وهو علمٌ يوم القيامة؛ أقرب هذا العذاب ﴿أَمْ﴾: هل ﴿يَجْعَلُ لَهُ﴾: لهذا اليوم ﴿رَبِّي﴾: هو ﷻ المعبود، والمُربي، وهو المنشئ للخلق من حالٍ إلى حالٍ حدّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثير الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابز لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد؛ فهو مالك أمرنا كلّه، مع العبادة على الوجه المطلوب، بعد الفراغ من العمل ﴿وَتَبَتَّلْ﴾: انقطع للعبادة، وهي الاعتكاف ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الله ﷻ ﴿تَبْتِيلًا﴾: بإخلاص العبادة واستغراقًا في مراقبته؛ بتحقيق ما أمر، والانتهاه عما نهى عنه ﷻ.

﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ (٩)

﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ﴾: الأرض التي تشرق منها الشمس أيضًا ربّ ﴿الْمَغْرِبِ﴾: الأرض التي تغرب فيها، فهو ﷻ المالك المتصرف في الكون مشارك ومغاربه، وما بينهما المتفرد بالعبادة، ومن المعلوم أنه ما من شبرٍ من الأرض إلا وتشرق وتغرب عليه الشمس ﴿إِلَّا﴾: حرف نفي ﴿إِلَهَ﴾: معبود ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿هُوَ﴾: الله ﷻ ﴿فَ﴾: بسبب هذه الحقيقة ﴿اتَّخِذْهُ﴾: اعتمد

عليه وحده ﴿وَكَيْلًا﴾: واطلب العون منه، وقد جاء في المعنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفتحة-٥].

﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ جُرًّا جَمِيلًا﴾ (١٠)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿اصْبِرْ﴾: يا محمد ﷺ ﴿عَلَىٰ مَا﴾: الذي يقولون من الافتراءات، والأكاذيب التي ﴿يَقُولُونَ﴾: من سفاهة القول وكذب؛ عليك الصبر على القول لأنه أكثر من الفعل، وهو متعلق هنا بالنبي ﷺ ﴿و﴾: حرف عطف يُعيد الحال ﴿اهْجُرْهُمْ﴾: قاطعهم ﴿هَجْرًا﴾: مقاطعة ﴿جَمِيلًا﴾: بلا عتاب، واترك الانتقام منهم، ولقد نسختها الآية (٥) من سورة التوبة.

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا﴾ (١١)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿ذَرْنِي﴾: دع أمر هؤلاء إليّ ﴿و﴾: أيضًا أترك أمر ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾: برسالتك ﴿أُولِيَ﴾: أصحاب وأرباب ﴿النَّعْمَةِ﴾: المترفين، والمُنعمين بالأموال ﴿وَمَهَلْهُمْ﴾: أنظرهم، أجلهم زمنًا ﴿قَلِيلًا﴾: بتأخير العذاب عنهم وقتًا قصيرًا. التكليف: في الآية تهديد ووعد للمكذبين بأن أمر عذابهم، وحسابهم عند الله ﷻ.

﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ (١٢)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿لَدَيْنَا﴾: عندنا في الآخرة ﴿أَنْكَالًا﴾: قيودًا شديدة ثقيلة ﴿وَجَحِيمًا﴾: وهي السعير المُلتهبة، صورة هؤلاء أنهم مُقَيَّدون مع ما عبدوا من الجن؛ والله ﷻ أعلم.

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٣)

﴿و﴾: أيضًا لدينا لهم ﴿طَعَامًا﴾: ما يؤكل ﴿ذَا﴾: له ﴿غُصَّةٍ﴾: يلتصق في الحلق، لا يخرج من الفم، ولا يُبتلع للجوف.^(١) ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾: مُوجعًا بشدة.

﴿يَوْمَ تَرُجَّفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ (١٤)

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٤/٦٣٧ (٨٧٥٧).

سيحدث ما جاء ذكره ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾: تضطرب ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾: يوم الزلزلة ﴿وَكَانَتْ﴾: أيضاً صارت ﴿الْجِبَالُ﴾: القائمة ﴿كثيباً﴾: كالرمال المفتتة؛ كلُّه يزول ﴿مهيبلاً﴾: الأشياء التي تُهال، مثل التراب، لا شيء يرتفع في السطح.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ (١٥)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحد؛ للتعظيم والتوكيد ﴿أَرْسَلْنَا﴾: بعثنا بصيغة الجمع؛ لتعظيم الفعل ﴿إِلَيْكُمْ﴾: تخصيصاً ﴿رَسُولًا﴾: يشهد الله ﷻ أنه أرسل محمداً ﷺ رسولاً ﴿شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾: إنَّ هذه الشهادة ﷻ على أمته وعلى الأمم ليست للتركية لأنَّ عليمكم؛ إشارة إلى أنَّ شهادته على أمته وعلى الأمم ليست للتركية، بل تدخل إلى التخيوف والوعيد ﴿كَمَا﴾: مثلما ﴿أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: حاكم مصر الطاغية ﴿رَسُولًا﴾: هو موسى ﷻ.

﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ (١٦)

﴿ف﴾: بسبب هذا كان التعقيب ﴿عَصَى﴾: رفض وامتنع ﴿فِرْعَوْنَ﴾: عن طاعة ﴿الرَّسُولِ﴾: كذب فرعون موسى ﷻ وحاربه، وأراد قتله ﴿فَأَخَذْنَاهُ﴾: لهذا السبب جاءت بصيغة الجمع لعظم الفعل من الفاعل ﷻ أهلكتناه ﴿أَخْذًا﴾: هلاكاً ﴿وَبِيلاً﴾: أخذاً شديداً ثقيلاً، وخيماً.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ (١٧)

﴿ف﴾: لهذا السبب ودون تأخير ﴿كَيْفَ﴾: حرفٌ يُفيدُ الاستفهام والتعجب والاستنكار ﴿تَتَّقُونَ﴾: كيف تتجنبون؟ ﴿إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا﴾: يومَ عذابٍ من الله ﷻ ﴿يَجْعَلُ﴾: لو يُصيب ﴿الْوِلْدَانَ﴾: الصبية الصغار؛ فيصيروا ﴿شِيبًا﴾: كالكبار في العمر من شدّة الخوف.

التكليف: ومن الحقائق الطبية أنّ هرمون الأدرينالين هو هرمون الخوف، وأنَّ صبغة شعر الرأس الطبيعية اسمها ميلانين، وأنَّ زيادة الأدرينالين؛ يُؤثر سلبيّاً على الميلانين؛ فيتحول الشعر الأسود إلى الأبيض، وهو الشيب، عندما يفقد الصبغة.

﴿السَّمَاءُ مَنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ (١٨)

﴿السَّمَاءِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ كونها بيضاوية الشكل ﴿مَنْفَطِرٌ﴾: قال ﴿الَّذِينَ﴾ مَنْفَطِرٌ ولم يقل منفطرة؛ لتزليل السماء منزلة شيء؛ لكونها قد تغيرت ولم يبق منها إلا ما يُعبر عنه الشيء ﴿بِهِ﴾: يوم تشقق السماء، بسبب شدة ذلك اليوم ﴿كَانَ وَعْدُهُ﴾: تقدير الله ﴿الَّذِينَ﴾ وإرادته ﴿مَفْعُولًا﴾: هذا اليوم واقع كائن لا محالة.

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (١٩)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿هَذِهِ﴾: آيات السور القرآنية، وليس ما في هذه السور فقط ﴿تَذْكَرَةٌ﴾: تُذَكَّرُ أصحاب العقول ﴿فَمَنْ﴾: حرف استنهام استثنائي يفيد هنا عن العاقل ﴿شَاءَ﴾: أراد ﴿اتَّخَذَ﴾: انتهج واعتمد ﴿إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾: وسيلة، وعناصرها أمن، وهدى ونجاة من النار.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٠)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: فِي الْمُرْمَلِ ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ﴾ [المزمل-٣]، نَسَخَتْهَا الْآيَةُ الَّتِي فِيهَا: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ - وَنَاشِئَةُ اللَّيْلِ أَوْلُهُ - وَكَانَتْ صَلَاتُهُمْ لِأَوَّلِ اللَّيْلِ، يَقُولُ: هُوَ أَجْدَرُ أَنْ تُحْصُوا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا نَامَ لَمْ يَدْرِ مَتَى يَسْتَيْقِظُ، وَقَوْلُهُ: أَقَوْمٌ قِيَلًا هُوَ أَجْدَرُ أَنْ يَقَعَهُ فِي الْقُرْآنِ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل-٧] يَقُولُ: «فَرَاغًا طَوِيلًا»^(١)، ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾: علم صاحب المخلوق لمن وما خلق ﴿أَنَّكَ﴾: أنت بالتأكيد ﴿تَقُومُ﴾: للصلاة في الليل ﴿أَدْنَى﴾: أقل ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع

(١) سنن أبي داود ٤٧٤/٢ (١٣٠٤)، قال الأرناؤوط: صحيح.

ويفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية **﴿ثُلْثِي اللَّيْلِ﴾**: مُصْلِيًا متهجداً في الليل **﴿و﴾**: حرف عطفٍ يفيد الحال، أيضاً تقوم **﴿نِصْفَهُ﴾**: وتقوم تُصَلِّي نصفه **﴿وَتُلْتَهُ وَطَائِفَةٌ مِنْ﴾**: جزء أو بعض **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ **﴿مَعَكَ﴾**: يقوم معك مِنْ المؤمنين، وهذا ليس بقصدٍ منك أو منهم، ولكن لأنكم لا تقدرون على المواظبة الدائمة على ما أمركم الله ﷻ به، لأن ذلك يشقُّ عليكم **﴿و﴾**: عطفاً على هذا فإن **﴿اللَّهُ يُقَدِّرُ﴾**: يُحصي زمن **﴿اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾**: ساعات الليل وساعات النهار، مرة يزيدُ زمن الليل على زمن النهار، ومرة يزيدُ زمن النهار على زمن الليل، ومرة يتساويان **﴿عَلِمَ﴾**: **﴿أَنَّ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿لَنْ﴾**: حرف نفي **﴿تُحْصُوهُ﴾**: لن تطيقوا وقت قيامه **﴿ف﴾**: لهذا السبب **﴿تَابَ﴾**: غفر **﴿عَلَيْكُمْ﴾**: غفر لكم؛ لأنه يعلم أنكم لن تستطيعوا قيام الليل كله، إذا أوجبه عليكم **﴿فَأَقْرءُوا﴾**: لهذا السبب اقرأوا في صلاتكم **﴿مَا﴾**: الذي **﴿تَيْسَّرَ مِنْ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية المكانية **﴿الْقُرْآنِ﴾**: بقدر طاقتكم من غير تحديد وقت **﴿عَلِمَ أَنْ سَ﴾**: حرف تأكيد الفعل في المستقبل **﴿يَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى﴾**: لا يقدرُونَ على القيام، بسبب مرضهم، وعجزهم **﴿وآخَرُونَ﴾**: من غيرهم **﴿يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾**: يُسافرون أو يعملون في النهار **﴿يَبْتَغُونَ﴾**: يريدون **﴿مِنْ﴾**: حرف جرٍ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الكلية **﴿فَضَّلَ اللَّهُ﴾**: يطلبون بالعمل الرزق من الله ﷻ **﴿وآخَرُونَ﴾**: غيرهم من النَّاسِ **﴿يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾**: هم المرابطون، والمجاهدون، دفاعاً عن الإسلام والمشغولون بالغزو في سبيل الله ﷻ **﴿ف﴾**: من أجل ذلك **﴿اقْرءُوا مَا﴾**: الذي **﴿تَيْسَّرَ مِنْهُ﴾**: صلوا بما يسهل عليكم قراءته **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾**: أدوا الفروض الواجبة **﴿وَأْتُوا﴾**: ادفَعُوا أموال **﴿الزَّكَاةَ﴾**: الأموال المفروضة **﴿وَأَقْرءُوا﴾**: احتسبوا في سبيل **﴿اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا﴾**: بإنفاق الصدقات، وهو ما زاد عن الزكاة المفروضة بطيبِ نفسٍ **﴿وَمَا﴾**: الذي **﴿تَقْدَمُوا لِ﴾**: حرف تخصيص **﴿أَنْفُسِكُمْ مِنْ﴾**: بعض **﴿خَيْرٍ﴾**: المقصود العام من الصدقات التي بين أيديكم **﴿تَجِدُوهُ﴾**: تأخذوا ثوابه **﴿عِنْدَ﴾**: ظرف يدلُّ على الملك **﴿اللَّهُ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾** وهو الذي تجدون ثوابه في الآخرة أمامكم، هذا خير مما تركتموه **﴿وَاسْتَغْفِرُوا﴾**: اطلبوا المغفرة من **﴿اللَّهُ﴾**: بإكثار الذكر، وطلب المغفرة **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**: مسامح عطوف شفوق.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نستخلص الزاد الروحي للداعية الذي يعينه في مهامه الصعبة.



سميت سورة المدثر بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير وفي السنة، وهي سورة مكية بالاتفاق، وهي ثمانية السور نزولاً، ولم ينزل قبلها إلا سورة " اقرأ باسم ربك " ونزلت قبل سورة المزمل، وترتيبها (٤) في عدد نزول سور القرآن الكريم، وعدد آياتها (٥٦) آية عند أهل المدينة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (١)

سبب النزول: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه سمع النبي ﷺ، يقول: ثم فتر عني الوحي فترة، فبينما أنا أمشي، سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري قبل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء، قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجنثت منه، حتى هويت إلى الأرض، فجنث أهلي فقلت: زملوني زملوني، فأنزل الله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ (١). ﴿يَا أَيُّهَا﴾: نداء للقريب والبعيد ﴿الْمُدَّثِّرُ﴾: المتغطي بثيابه، وهو محمد ﷺ.

التكليف: الأصل في النداء المتدثر، في هذا النداء ملاطفة في الخطاب من الكريم ﷻ إلى الحبيب إذ ناداه بحاله وصفاته ولم يناده باسمه أو بصفته كني.

﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ (٢)

﴿قُمْ﴾: شمر عن ساق العزم ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿أَنْذِرْ﴾: حذر، وخوف الناس من عذاب الله ﷻ.

﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ (٣)

(١) صحيح البخاري ١١٦/٤ (٣٢٣٨).

﴿و﴾: عطفاً على قيامك ﴿رَبِّكَ﴾: وهو علمٌ يوم القيامة؛ أقرب هذا العذاب ﴿ف﴾: حرفٌ يُفيدُ السبب، ودونَ تأخير ﴿كَبَّرَ﴾: حُصَّ رَبِّكَ بالتعظيم من إشراك المشركين به ﷻ.

﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾ (٤)

﴿و﴾: حرفٌ عطفي يُفيدُ الحال، أيضاً ﴿تِيَابِكَ﴾: ملابسك ﴿فَطَهَّرَ﴾: والطهارة نوعان طهارة النفس من الآثام وطهارة الجسد والثياب من الأوساخ، نقّ نفسك من الذنوب، وطهّر ثيابك من النجس، وقال ابن عباس: لا تلبسها على معصية، ولا على غدر، وقيل اغسلها بالماء، وقال ابن جرير: تطهّر وطهّر ثيابك.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرَ﴾ (٥)

﴿و﴾: أيضاً ﴿الرُّجْزَ﴾: أصل الرجز الأضرار، وهي الأصنام، وأعمال الشرك، والمعاصي، والآثام ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والتتابع السريع ﴿اهْجُرَ﴾: آدم هجرانك للأوثان.

﴿وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْثِرُ﴾ (٦)

﴿وَلَا﴾: حرف نهى ربّاني ﴿تَمَنَّ تَسْتَكْثِرُ﴾: قال ابن عباس: لا تُعطِ العطية تُريد أخذ أكثر منها، وقال الحسن البصري، وابن جرير: لا تمننْ بعملك على ربك، تستكثره، وقال مجاهد: لا تضعف أن تستكثر من الخير، وقال ابن زيد: لا تمنن على العرب بالنبوة؛ لتأخذ على ذلك عوضاً.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ (٧)

﴿و﴾: أيضاً يقول ﷺ لرسوله ﷺ ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿رَبِّكَ﴾: مالك أمرك كله ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿اصْبِرْ﴾: على الأذى القادم، واصبر على ما أوجب الله عليك من الأوامر والنواهي، واجعل صبرك لله ﷻ.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ (٨)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿نُقِرَ﴾: نُفِخَ ﴿فِي النَّاقُورِ﴾: قال ابن عباس، ومجاهد: نُفِخَ فِي الصُّورِ، وقال مجاهد: والناقور على هيئة القرن، وهي النفخة الثانية، نفخة البعث والنشور.

﴿فَذَلِكَ يَوْمًا يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ (٩)

﴿فَذَلِكَ﴾: بسبب ﴿يَوْمًا﴾: هذا ما يستقبل من الزمن ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾: ذلك الوقت، يومئذ صعب شديد على الجميع.

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرَ يَسِيرٍ﴾ (١٠)

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: من جعلوا مع الله معبودًا آخر ﴿غَيْرٌ﴾: حرف استثناء بمعنى إلا ﴿يَسِيرٍ﴾: وهو شديد أشد على الكافرين.

﴿ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتَ وَحِيدًا﴾ (١١)

﴿ذُرِّي﴾: جاء اللفظ القرآن "ذري" على وجهين؛ هنا بمعنى دعني لا تخف، وجاء بمعنى اتركوا ولا تأكلوا كما في قوله ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف-٦٤]، وفي قوله ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة-٢٧٨]، وف يقوله ﷺ ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام-١٢٠] ﴿و﴾: أيضًا اترك ﴿مَنْ﴾: والذي من جنس العاقل ﴿خَلَقْتَ﴾: أوجدت من غير سابق مثال من البشر، من الذين أنعمت عليهم، ولم يؤمنوا ﴿وَحِيدًا﴾: الذي خرج من بطن أمه وحيدًا، ضعيفًا، وقيل الوليد بن المغيرة الذي ولد وحيدًا لا مال له، ولا ولد؛ وهي عامّة عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنّ الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم، إنّ قومك يرون أنّ يجمعوا لك مالا. قال: لم؟ قال: ليُعطوكه فإنّك أتيت محمّدًا لتعرض لما قبله قال: قد علمت فريش أنّي من أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولًا يبلغ قومك أنّك منكّر له أو أنّك كاره له قال: وماذا أقول «فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني ولا بأشعار الجنّ والله ما يشبهه الذي يقول شيئًا من هذا، والله إنّ لقوله الذي يقول حلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنّه ليعلو وما يُعلَى وإنّه ليخطم ما تحته» قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر

قَالَ: "هَذَا سِحْرٌ يُؤْتِرُ يَأْتِرُهُ مِنْ غَيْرِهِ فَنَزَلَتْ ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ (المدثر - ١) ، والله ﷻ أعلم.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ (١٢)

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ﴾: خَصَّصْتُ ﴿مَالًا﴾: رزقته من المال ﴿مَمْدُودًا﴾: واسعًا كثيرًا، غير مُنْقَطِعٍ.

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ (١٣)

﴿و﴾: أيضًا رزقته ﴿بَنِينَ﴾: أولاده الذكور؛ لأنهم أنفع لوالدهم من الإناث في مجتمعات العمل الشاق ﴿شُهُودًا﴾: حاضرون معه للتكسب.

﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ (١٤)

﴿و﴾: حرفٌ يفيد الاستئناف ﴿مَهَّدْتُ لَهُ﴾: بسطتُ له ومكنته من وسائل القوة؛ والرياسة، والجاه، والأثاث، والمال ﴿تَمْهِيدًا﴾: بسطًا كثيرًا.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ (١٥)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُعِيدُ تَتَابِعَ زَمَنِ بَطِيءٍ ﴿يَطْمَعُ﴾: والطمع هو نزوع النفس إلى شيء؛ شهوةً له؛ يريده بكثرةٍ مع عناده وكفره ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿أَزِيدَ﴾: أعطي أكثر؛ إِنَّ اللَّهَ ﷻ يصفه بالطماع.

﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ (١٦)

﴿كَلَّا﴾: حرف ردعٍ وزجرٍ واستكبارٍ، ليس الأمر كما يراه ﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد ﴿كَانَ﴾: في السابق، في الحياة الدنيا ﴿ل﴾: حرف تخصيصٍ ﴿آيَاتِنَا﴾: مع كلِّ ما نزل من آياتٍ معجزاتٍ، واضحاتٍ ﴿عَنِيدًا﴾: جاحدًا مُعَانِدًا للآيات التي أنزلناها على الرسول ﷺ.

﴿سَأَرْهُقُهُ صُعُودًا﴾ (١٧)

﴿س﴾: حرف تأكيد الفعل والعمل في المستقبل ﴿أَرْهُقُهُ﴾: سأتعبه، وأجعله يعاني ﴿صُعُودًا﴾: عذابًا شاقًا، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «الْوَيْلُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ يَهْوِي فِيهِ الْكَافِرُ أَرْبَعِينَ حَرِيْفًا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ، وَالصُّعُودُ جَبَلٌ فِي النَّارِ فَيَتَصَعَّدُ فِيهِ سَبْعِينَ حَرِيْفًا، ثُمَّ

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٢/٥٥٠ (٣٨) وقال: حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يُخْرَجْهُ. ووافقه الذهبي.

يَهْوِي وَهُوَ كَذَلِكَ»^(١)، وقال ابن عباس: صعودًا، صخرةً في جهنم، يُسحب فيها الكافر على وجهه، وقال السدي: صخرةً ملساءً في جنهم، يُكَلَّفُ أَنْ يصعدَها، وقال مجاهد: مشقةً من العذاب، وقال قتادة: عذابًا لا راحة فيه.

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ (١٨)

﴿إِنَّهُ﴾: هو الكافر بالتأكيد ﴿فَكَّرَ﴾: والفكر هو ترتيب أمرين ليتوصل بهما إلى ثالث، والفكر هو استحضار أمورٍ ومعلوماتٍ؛ والنظر في ترتيبها؛ ليتوصل بها إلى النتيجة كيف سيقول في حق القرآن؛ هذا سبب قوله ﷺ سأرهقه صعودًا؛ لبعده عن الإيمان؛ لأنه فكَّرَ كيف يُبطل أثر القرآن الكريم ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿قَدَّرَ﴾: تروى، وتمهّل، كيف أعدّ وهياً في نفسه قولاً في الله ﷻ وفي الرسول ﷺ.

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (١٩)

﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿قُتِلَ﴾: لعن، هذه لعنة، ودعاءً عليه بالقتل ﴿كَيْفَ﴾: حرف استفهام يفيد التعجب والاستكار ﴿قَدَّرَ﴾: هياً قولاً.

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (٢٠)

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطفٍ يفيد تتابعاً زمنياً، على التراخي، غير سريع ﴿قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾: والتكرار بهدف التأكيد والزيادة، للتوبيخ؛ كيف تروى وأعدّ وجهز نفسه فيما قال، ثم أعاد النظر، هذه له لعنة، ودعاءً عليه.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ (٢١)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يفيدُ التتابع مع التباعد الزمني والتراخي ﴿نَظَرَ﴾: أعاد النظر والتروي، وجهز ما يطعن به في القرآن، هذا يدلُّ على تصميم المجرم على جريمته.

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ (٢٢)

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٥٥١/٢ (٣٨٧٣). وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. ووافقهُ الذهبي.

﴿نَمَّ﴾: أداة تُفيدُ التتابعَ الزمنيَّ على التراخي ﴿عَبَسَ﴾: قطَّبَ وجهه، وظهرت على وجهه علامات الكُره ﴿وَقَّ﴾: أيضًا ﴿بَسَرَ﴾: كَلَّحَ وجهه من الغضب، وكثَّرَ عن أنيابه، وقطَّبَ جبهته؛ لأنَّه لم يجد ما يطعن به في الدين..

﴿نَمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ (٢٣)

﴿نَمَّ﴾: حرفٌ يُفيدُ تتابعًا زمنيًّا غير سريع ﴿أَدْبَرَ﴾: رجع القهقري عن الإيمان، ولَّى وذهب بعيدًا عن اتباع الحق ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾: طلب ونشد التكبر رافضًا إتياع محمد ﷺ.

﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ (٢٤)

﴿فَ﴾: بسبب ما سبق وفي تتابعٍ سريعٍ ﴿قَالَ﴾: كاذبًا، مبررًا كُفْرَه ﴿إِنَّ﴾: ما ﴿هَذَا﴾: ما يقوله محمد ﷺ ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿سِحْرٌ﴾: الخداع، وتخيلات لا حقيقية ﴿يُؤْتَرُ﴾: سحرٌ منقولٌ، يتعلمه ويرويه محمدٌ ﷺ عمَّن سبقه من السحرة، ويقصّه عنهم.

﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ النَّبَشْرِ﴾ (٢٥)

﴿إِنَّ﴾: ما ﴿هَذَا﴾: ما يقوله محمد ليس بكلام الله ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿قَوْلُ﴾: كلامُ ﴿النَّبَشْرِ﴾: ليس كلام الله، بل قول الإنس، وهذا ما قاله الوليد بن المغيرة.

﴿سَأْضَلِيهِ سَقَرٌ﴾ (٢٦)

﴿سَ﴾: حرفٌ استقبالٌ يُقصد منه تحقيق العمل والقول في المستقبل ﴿أُضَلِيهِ﴾: توعدده الله ﷻ في القرآن الكريم أن سَأذيقه عذابًا، وسَأدخله، وأغمس جسده في ﴿سَقَرٍ﴾: هي طبقةٌ من جنَّهم.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ﴾ (٢٧)

﴿وَقَّ﴾: عطفًا على هذا ﴿مَا﴾: حرف استفهام ﴿أَدْرَاكَ﴾: سؤالٌ للتحويل، والتفخيم، ما أعلمك؟ ومن عرفك يا محمد ﷺ ﴿مَا سَقَرٌ﴾: بأمرٍ سقر؟ وهذا لتفخيم أثرها وطبيعتها.

التكليف: في لغة العرب ما أدراك: تعني إذا أرادوا المبالغة، وتعظيم شأنٍ.

﴿لَا تُتَّبِعِي وَلَا تَذُرِّي﴾ (٢٨)

والإجابة هي ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تُنْبِئِي﴾: هي تحرق كلَّ شيء في أجسادهم، اللحم، والعظم، والجلد، فيتحول إلى رماد ﴿و﴾: حرف عطف يُعيد الحال ﴿لَا تَذُرُّ﴾: لا تترك شيئاً حتى تحرقه، ثم تتجدد هذه الأعضاء، لِيُعاد حرقها لمزيدٍ من العذاب.

﴿لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ (٢٩)

﴿لَوَاحَةٌ﴾: تحرق الجلد، قيل إذا لفحت الجلد جعلته أسوداً ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْبَشَرِ﴾: البشر جمع بشرة، بمعنى أنها تغيّر لون البشرة بالسواد؛ تخصيصاً لبني آدم.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ (٣٠)

﴿عَلَيْهَا﴾: يعمل عليها من الزبانية ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾: من الملائكة، عظيمٌ خُلِقَهم، غليظٌ خُلِقَهم، هذا ردٌّ على سؤال اليهود للصحابة فسألوا رسولهم ﷺ؛ فأجابهم، وشبه ذلك بعدد أصابع اليد. التكليف: عدد ساعات النهار والليل في اليوم (٢٤) ساعة، خمس ساعات منها مشغولة بالصلوات الخمس، وبقية الساعات (١٩) خالية عن ذكر الله ﷻ فكان عدد الزبانية كعددتها حتى لا ينقطع الذكر لحظةً واحدةً.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ (٣١)

بعد أن أخبر الله ﷻ رسوله ﷺ والذي بدوره أخبر صحابته ﷺ عن عدد زبانية جهنم، قال أبو جهل: يا معشر قريش أما يستطيع كلُّ عشرةٍ منكم لواحدٍ منهم، فتغلبونهم؛ ف جاء الردُّ القرآني الكريم ﴿و﴾: عطفًا على هذا القول ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿جَعَلْنَا﴾: خلقنا وكلفنا ﴿أَصْحَابَ النَّارِ﴾: خزنة جنهم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مَلَائِكَةً﴾: وهم شدادٌ، غلاظٌ، لا يُغلبون ولا يقاومهم أحدٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا»^(١)، ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾: ما ذكرنا عددهم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء

(١) صحيح مسلم ٢١٨٤/٤ (٢٨٤٢).

﴿فَنَّهُ﴾: اختصارًا للنَّاسِ ﴿لَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا لِ﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿يَسْتَتِيقْنَ﴾: يتأكد ويعلم ويتحقق الإيمان والاعتقاد ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: من اليهود والنصارى، يتأكد أهل الكتاب أنّ محمدًا ﷺ رسولُ الله، فقد جاء في كتبهم ما جاء على لسان محمد ﷺ ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾: عندما يرون صدق ما قاله رسولهم ﷺ، وما قال الأنبياء من قبل يزداد إيمانهم، ويزداد الكفر في الكافرين ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَزْتَابُ﴾: ولا يشكّ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: أهل الكتاب، اليهود والنصارى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾: أيضًا لا يرتاب الجدد بالإسلام، ولسببٍ آخر ﴿و﴾: أيضًا ﴿لِ﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿يَقُولُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: المنافقون، ومنهم أبو جهل الذي قال: أما لمحمدٍ أعوانٌ إلاّ تسعة عشر؟ ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾: أيضًا يقول المنكرون بقلوبهم وأعمالهم الإيمان ﴿مَادَا﴾: أداة استفهام ﴿أَرَادَ اللَّهُ بِهِذَا﴾: بذكر هذا العدد من الملائكة ﴿مَثَلًا﴾: ما الحكمة من ذكر هذه المعلومة ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل، أيضًا يذكر الله ﷻ هذا ﴿يُضِلُّ﴾: لا يهدي ﴿اللَّهُ مَنْ﴾: الذي من جنس بني آدم ﴿يَشَاءُ﴾: والإجابة: ليضلّ من ضلّ عن بيّنة، أنّه جاهلٌ ليس بعاقل ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: ويؤمن من آمن عن بيّنة ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُ﴾: عدد وطبيعة وقدرات ﴿جُنُودَ رَبِّكَ﴾: مالك أمرك كلّهُ ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلًا مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، هنا هو ﷻ؛ حتى لا يتوهم الكفار أنّ عدد الملائكة فقط تسعة عشر، فقد جاء في حديث الإسراء: أنّ البيت المعمور يدخله في كلّ يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون. أخرج البخاري ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿هِيَ﴾: ذكر النار ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ ﴿ذَكَرَى﴾: تذكره ﴿لِلْبَشَرِ﴾: تذكير البشر بالذكر؛ لأنّ النَّارَ فيهم أكثر تأثيرًا في العذاب؛ جننا بذكر النَّارِ بوصفها، حتى يتذكر الإنسان.

﴿كَلَّا وَالْقَمَرَ﴾ (٣٢)

﴿كَلَّا﴾: حرف ردعٍ وزجرٍ واستنكارٍ ﴿و﴾: واو القسم ﴿الْقَمَرَ﴾: يقسم الله ﷻ بالقمر، ومجموعةٍ من المخلوقات الطبيعية التي خلقها؛ دليلًا على عظمته.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾ (٣٣)

﴿و﴾: يقسم الله ﷻ بـ ﴿اللَّيْلِ إِذْ﴾: حرفٌ يفيد ما مضى، حدث في السابق، عندما ﴿أَدْبَرَ﴾: ولى وذهب، وهذا يُقوِّدُ إلى دراسة ظاهرة تعاقب الليل والنَّهار، وما سينتج عنها من حقيقة دوران الأرض حول الشمس، ودوران القمر حول الأرض.

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ (٣٤)

﴿و﴾: يقسم الله ﷻ بـ ﴿الصُّبْحِ﴾: الذي أضاءته الشمس ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها، فالأصل فيها الاستقبال ﴿أَسْفَرَ﴾: بدا وظهر النَّهار، واضحًا كاشفًا، وهو من نتائج دراسة تعاقب الليل والنَّهار.

﴿إِنِّهَا لِإِحْدَى الْكَبِيرِ﴾ (٣٥)

جاء جواب القسم: ﴿إِنِّهَا﴾: جهنم بالتأكيد ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿إِحْدَى﴾: واحدة من العلامات ﴿الْكَبِيرِ﴾: هذه جواب القسم، إحدى الدواهي الكبيرة العظيمة.

﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ (٣٦)

﴿نَذِيرًا﴾: لتنذر وتحذِّرهم من عاقبة كفرهم ﴿ل﴾: حرف تملك ﴿الْبَشَرِ﴾: تخصيصًا للنَّاس، أنَّ النَّارَ مثوَاهم بما فيها من الشدَّة.

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ (٣٧)

﴿ل﴾: حرف تملك ﴿مَنْ﴾: جنس العاقل ﴿شَاءَ﴾: المعنى أراد؛ ولكن الأمر ليس بالتخيير ﴿مِنْكُمْ﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية المكانية، أيها النَّاس ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَتَقَدَّمَ﴾: فيقبل على الحق، مؤمنًا، ويتقرب إلى الله ﷻ؛ ويعمل بما أمر ﷻ ﴿أَوْ﴾: حرف عطف يفيد التسوية بين أمرين ﴿يَتَأَخَّرَ﴾: أو أن يتراجع كافرًا.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٣٨)

﴿كُلُّ﴾: تفيد الجميع ﴿نَفْسٍ﴾: هي جوهر الإنسان، وجاءت بصيغة النكرة لتفيد العموم، كل إنسانٍ أو غيره ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿كَسَبَتْ﴾: بما عملت من أعمال الشر والضرر ﴿رَهِينَةٌ﴾: مأخوذة به، رهونة عنده، مرتبطة بعملها، محبوسة عليه فإمَّا أن تُهلكها أعمالها أو تُنجيها من العذاب.

﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ (٣٩)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾: الذين يتسلمون كتابهم بأيمانهم؛ هم أهل الجنة، فهم لا يأخذهم الله ﷻ بذنوبهم، إنما يتجاوز عنها ويغفرها.

﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٤٠)

إن أصحاب اليمين ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾: ليس جنّةٍ واحدةٍ ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾: بينهم؛ ليسوا مشغولين بأنفسهم؛ فهم يتنعمون في الغرفات.

﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٤١)

يسألون ﴿عَنِ﴾: حرف جرّ يُفيد هنا التعليل ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: الذين أوردوا أنفسهم الهلاك، وهم اليوم يسكنون الدركات في النار.

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ (٤٢)

﴿مَا﴾: حرف استفهام ﴿سَلَكَكُمْ﴾: ما الذي أدخلكم ﴿فِي سَقَرٍ﴾: في جهنّم؟

﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ (٤٣)

﴿قَالُوا﴾: يجيبُ أهلُ النارِ معترفين بصفاتهم، وأعمالهم في الدنيا ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿نَكُ﴾: نكن ﴿مِنَ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿الْمُصَلِّينَ﴾: لم نُصلِّ في الحياة الدنيا، وكانت هذه أول المصائب عليهم، وهذا يعني أن الكفار كانوا مطالبين بفروع الشريعة.

﴿وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ﴾ (٤٤)

﴿وَلَمْ﴾: حرف نفي ﴿نَكُ﴾: نكن ﴿نَطْعُمُ﴾: لم نُقدِّم طعامًا ونتصدق على ﴿الْمَسْكِينِ﴾: للفقراء، والضعفاء الذين أمر الله ﷻ بإطعامهم، في الحياة الدنيا، ولم ندفع الزكاة لمن يستحقها، وهذه ثانيّة المصائب.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ (٤٥)

﴿و﴾: أيضًا ﴿كُنَّا﴾: في الحياة الدنيا ﴿نَخُوضُ﴾: نتكلم في الكفر بما لا نعلم، كلما ضلّ ضالًّا اتبعناه، ونشرع الباطل والحرام ﴿مَعَ الْخَائِضِينَ﴾: ندور مع أهل الباطل حيث داروا؛ وهذه الثالثة المصائب.

﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ (٤٦)

﴿وَكُنَّا﴾: في الحياة الدنيا ﴿نَكْذِبُ﴾: لم نعترف؛ ولم نصدق ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة والصلة ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾: أنكرنا يوم القيامة، يوم الحساب، ولم نعمل له حسابًا، وتمادينا في تكذيب الرسل. وكانت هذه رابعة المصائب.

﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ (٤٧)

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جرّ يفيد انتهاء الغاية بمعنى إلى أن ﴿أَتَانَا﴾: جاءنا ﴿الْيَقِينُ﴾: الموت، ونحن في تلك الضلالات والمنكرات؛ فحالت بيننا وبين التوبة.

﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (٤٨)

﴿فَمَا﴾: حرفٌ يُفِيدُ خَيْرًا ﴿تَنْفَعُهُمْ﴾: ليس المقصود لا تفيد، ولا تُنْقِذُ، ولا تُخَفِّفُ عنهم ﴿شَفَاعَةٌ﴾: وساطة ﴿الشَّافِعِينَ﴾: لكن المعنى هو نفي الشفاعة، هنا انتفى النفع من أيّ وسيطٍ يوم القيامة من الملائكة، أو النبيين، أو الصالحين، لانتفاء شرط الشفاعة برضا الله ﷻ عن المشفوع عنه.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ (٤٩)

﴿فَمَا﴾: حرفٌ يُفِيدُ خَيْرًا ﴿لَهُمْ﴾: حرف تمليك، بمعنى ليس لهم، أمّا حال هؤلاء الكفّار المجرمين فقد كانوا ﴿عَنِ﴾: حرفٌ جرّ يفيد التجاوز ﴿التَّذْكَرَةِ﴾: المقصود الاعتبار والاتعاظ لا النسيان، ولا تجاهل القرآن الكريم الذي يُذَكِّرُهُم بيوم القيامة، وبالجنّة والنّار ﴿مُعْرِضِينَ﴾: نأوا وابتعدوا عن الدين الحق، وأهله.

﴿كَانَ لَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ (٥٠)

﴿كَأَنَّهُمْ﴾: حرفٌ يُفيد التشبيه والتقريب؛ هنا في موقفهم المُعرض والرافض مثل ﴿حُمُرٌ﴾: حميرُ الوحش الذين يهربون من أيِّ حركةٍ ﴿مُسْتَنْفِرَةٌ﴾: تنفرُ بشدَّةٍ وسرعةٍ؛ فتُسرع وتُعرض عن مواقعها.

﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ (٥١)

﴿فَرَّتْ﴾: هربت كالحمير التي هاجمها ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿قَسْوَرَةٍ﴾: قال أبو هريرة، وابن عباس، وزيد بن أسلم: من الأسد. التكليف: القسورة هي من القسر، وهو القهر؛ لأنَّ الأسد من قوته يقهرُ السباع الأخرى.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً﴾ (٥٢)

﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿يُرِيدُ﴾: إنّما يريد ﴿كُلُّ﴾: تفيد العموم ﴿امْرِئٍ﴾: شخصٍ كافرٍ ﴿مِنْهُمْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية من الناس ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُؤْتَى﴾: أن يُرسل إليه الله ﷻ شخصياً ﴿صُحُفًا﴾: أن يُنزل عليه كتباً ﴿مُنشَرَةً﴾: منشورة من السماء، يُخبره أنّ محمداً ﷺ رسول الله ﷻ، مثلما أوتي رسل الله. إنّه الكبر وليس قلة الأدلّة.

﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الآخِرَةَ﴾ (٥٣)

﴿كَلَّا﴾: حرف ردعٍ وزجرٍ واستنكارٍ ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَخَافُونَ الآخِرَةَ﴾: إنّما أفسدتهم نفوسهم بالكفر وإنكارها يوم القيامة.

﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكِّرَةٌ﴾ (٥٤)

﴿كَلَّا﴾: حرف ردعٍ وزجرٍ واستنكارٍ ﴿إِنَّهُ﴾: إنّ الآيات التي في القرآن، أي القرآن كلّهُ ﴿تَذَكِّرَةٌ﴾: موعظةٌ، وتذكُّرةٌ لمن أراد أن يتذكر.

﴿فَمَنْ شَاءَ نَكَرَهُ﴾ (٥٥)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿مَنْ﴾: حرف استفهام عن العاقل من بني آدم ﴿شَاءَ﴾: مَنْ أراد أن يتعظ بالقرآن فعليه قراءته ﴿نَكَرَهُ﴾: ومن قرأ القرآن الكريم؛ وأراد أن يتذكر فقد نجا وفاز.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّفْوى وَأَهْلُ المَغْفِرَةِ﴾ (٥٦)

﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿يَذْكُرُونَ﴾: ما يتعظون ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الخبر ﴿يَشَاءُ اللَّهُ﴾: يسهل الله ﷻ لهم ذلك ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا، منفصلاً، مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، هنا المقصود ﷻ أهلٌ أَنْ يخافه الخلق، ويتقوا عذابه ﴿أَهْلٌ﴾: أصحاب ﴿النَّفْوَى﴾: الذين يعبدونه حق العبادة ويطيعونه حق الطاعة ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾: وهو الذي يغفر ذنب من تاب، وأتاب.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة نُدرِك ضرورة النهوض بالدعوة إلى الله ﷻ، وكيفية التعامل مع المُكذِّبين؛ بتذكيرهم بيوم القيامة.



سمّيت سورة القيامة بهذا الاسم في المصاحف، وكتب التفسير، وفي السنّة، ووجه التسمية لوقوع القسم بيوم القيامة في أول السورة، وسمّت أيضًا بسورة "لا أقسم"، وهي سورة مكّية بالاتفاق وموقعها رقم (٣١)، في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة القارعة، وقبل سورة الهمزة، وعدد آياتها عند أهل الكوفة (٤٠) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (١)

﴿لَا﴾: حرفٌ نهي بقصد طلب الكفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، وهي تعيد التحريم أيضًا، هنا بمعنى ليس الأمر كما يدّعي المشركون من أنه لا بعث ولا حساب، ولذلك أقسم الله ﷻ بالذي كذب به المكذبون ﴿أُقْسِمُ﴾: يقسم الله ﷻ ﴿بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: لعظم شأنها، سأل سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عن هذه الآية ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قَالَ: يُقْسِمُ رَبُّكَ بِمَا شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، قُلْتُ: "وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللّوَامَةِ" [القيامة-٢] " قَالَ: مِنْ النَّفْسِ الْمَلُومِ. قُلْتُ: "أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ" ﴿

[القيامة-٤] " قَالَ: لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ خُفًا أَوْ حَافِرًا، قُلْتُ: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الأنعام-٩٨]
قَالَ: الْمُسْتَقَرُّ فِي الرَّجْمِ وَالْمُسْتَوْدَعُ فِي الصُّلْبِ^(١).

﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (٢)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحالَ ﴿لَا أُقْسِمُ﴾: قال الحسن: أقسم الله ﷻ بيوم القيامة، ولم يُقسم بالنفس اللوامة، وقال ابن عباس، وسعيد بن جبير، وابن جرير: أقسم بهما جميعاً؛ أي أنّ "لَا" هنا لتأكيد القسم ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة ﴿النَّفْسِ﴾: التي هي جوهر الإنسان ﴿اللَّوَّامَةِ﴾: التي تلوم صاحبها على عدم فعل الخير، وتلومه على فعل الشر، لو فعلت كذا وكذا، قال مجاهد: تندم على ما فات، وتلوم عليه، وقال ابن عباس: المذمومة، وقال قتادة: الفاجرة، وظاهر المعنى: هي النفس التي تلوم صاحبها على عدم فعل الخير وتلومه على فعل الشر، وتندم على ما فات.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ (٣)

ابن آدم الكافر الملحد ﴿أَنْ﴾: أداة توكيد وجزم أننا لا ﴿نَجْمَعُ عِظَامَهُ﴾: تجميع عظامه بعد أن صارت رُفَاتًا.

﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ (٤)

﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب للتصديق بمعنى نعم، حقًا ﴿قَادِرِينَ عَلَىٰ﴾: نقدر على جمع عظامه، من بعد موته، ومن بعد تحلل أعضائه، وأيضًا قادرين ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾: نُعيد أطراف أصابعه، يخلقها أو يعيدها كما كانت؛ قال ابن عباس: أن نجعل أصبعه كخُفِّ الجمل، أو كحافر الخيل؛ بمعنى أن الله ﷻ قادرٌ أن يخلقه في صورٍ أكبر مما كانت، والمقصود هي أطراف الأصابع، علمًا أنّ عمل أصابع الإنسان من أعظم النعم في جسمه؛ ومن أفضلها وظيفة.

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ (٥)

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٥٠٢/٢ (٣٨٧٧). وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. ووافقه الذهبي.

﴿بَل﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿يُرِيد﴾: يرغب؛ جاءت بصيغة المضارع ليدوم على فجوره في المستقبل أيضًا ﴿الْإِنْسَان﴾: الكافر ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿يَفْجُر﴾: ينكر الإنسان البعث يُجاهر برغبته أن يبقى على فجوره ﴿أَمَامَهُ﴾: قال ابن عباس: هو الكافر بيوم الحساب؛ وهذا هو الأظهر، وقيل يستمر في غيّه وضياعه؛ فيعجل الذنوب، ويؤخر التوبة.

﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٦)

﴿يَسْأَلُ﴾: الكافر مُستكراً، ومُستبعداً، ومُتحدّياً الأمر كله ﴿أَيَّانَ﴾: متى ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: سؤالٌ عند الموت على وجه الاستبعاد، متى يقع؟

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ﴾ (٧)

﴿فَإِذَا﴾: حرف مفاجأة وأمر ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿بَرِقَ﴾: بكسر الراء، أي تحير ودُهِش ﴿الْبَصْرُ﴾: دُهِش لأحوال يوم القيامة، وخشعت وذلت العيون من شدّة الخوف.

﴿وَخَسَفَ الْقَمْرُ﴾ (٨)

﴿وَخَسَفَ﴾: ذهب ضوءه ﴿الْقَمْرُ﴾: وانطفأ، وهذا يعني عدم طلوع الشمس عليه، وهذا ما تفسره الآية التالية.

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمْرُ﴾ (٩)

﴿وَجُمِعَ﴾: فُرن بينهما ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمْرُ﴾: في الطلوع من المغرب مظلّمين، قال مجاهد: كُور القمر والشمس؛ مستدلاً بقوله ﷺ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير-١].

﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ﴾ (١٠)

﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾: الكافر في يوم القيامة بعد أن رأى خسف القمر، وكيف جُمع بالشمس يقول: ﴿يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ﴾: هل من ملجأ؟ هل من مهرب؟ أين الفرار؟

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ (١١)

﴿كَلَّا﴾: حرف ردع وزجر واستكثار، قال ابن مسعود، وابن عباس: حقاً ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿وَزَرَ﴾: لا نجاة، وقيل لا مكان تعصمون فيه.

﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ (١٢)

﴿إِلَى رَبِّكَ﴾: مالك أمرك كله ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يا محمد ﷺ في هذا اليوم، يوم القيامة ﴿الْمُسْتَقَرُّ﴾: المرجع والمصير.

﴿يُنَبِّأُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (١٣)

﴿يُنَبِّأُ﴾: في هذا اليوم يُخَبَّرُ ﴿الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ﴾: كل إنسانٍ، بجميع أعماله، قديمها، وحديثها، أولها، وآخرها، صغيرها، وكبيرها ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿قَدَّمَ﴾: ما عمله قديماً من أجل دنياه ﴿وَأَخَّرَ﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿أَخَّرَ﴾: وما عمله أخيراً من أجل آخرته، أو ما عمله في دنياه من أجل آخرته.

﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (١٤)

﴿بَلِ﴾: حرف عطف يفيد هنا الإثبات ﴿الْإِنْسَانِ﴾: ابن آدم ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾: على جوهره وذاته، شاهدٌ عليها ﴿بَصِيرَةٌ﴾: حجة واضحة على نفسه بما فعل وما لم يفعل؛ ستنتطق جوارحه: سمعه، وبصره، ويداها، إنَّ الإنسان شاهدٌ، على نفسه، وقيل الإنسان يرى عيوب الآخرين وينسى عيوبه.

﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ (١٥)

﴿وَلَوْ﴾: حرف يفيد الاستحالة، حتى إذا ﴿أَلْقَى﴾: أوجد لنفسه ﴿مَعَاذِيرَهُ﴾: ذكر الأعدار، وجادل في ذلك، وقال قتادة: ولو اعتذر يومئذٍ بباطلٍ؛ لا يُقبل منه، وقال السدي، وابن جرير: عرض حجته، وقال الضحاك: ولو ألقى ستوره، وقال ابن عباس: قدّم الاعتذار.

﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦)

يوضح الله ﷻ لرسوله ﷺ كيفية تلقي القرآن الكريم من الوحي ﷻ في ثلاث مراحل ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿تُحْرِكْ بِهِ﴾: بالقرآن ﴿لِسَانَكَ لِ﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿تَعْجَلَ بِهِ﴾: وهي المرحلة الأولى: لا تُحْرِكْ لِسَانَكَ، ولا تحاول أن تتعجل بحفظ القرآن قبل أن يُقضى إليك؛ وهذه مرحلة جمعه في الصدر؛ أي حفظه، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة-١٦] قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحْرِكُ شَفْتَيْهِ - فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحْرِكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحْرِكُهُمَا، وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحْرِكُهُمَا كَمَا

رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَكَ شَفَتَيْهِ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة-١٧] قَالَ: جَمَعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأُهُ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة-١٨] قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة-١٩] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ^(١).

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿عَلَيْنَا﴾: على الله ﷻ، وجاءت بصيغة الجمع؛ لعظم العمل ﴿جَمَعَهُ﴾: في صدرك؛ لتحفظه ﴿و﴾: أيضًا على الله ﷻ ﴿قُرْآنَهُ﴾: قراءته، وهذه المرحلة الثانية؛ نقرئك إياه.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (١٨)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿قُرْآنَهُ﴾: إذا أتم الملك جبريل ﷺ عليك قراءته عن الله ﷻ ﴿ف﴾: حرف ربط الجواب ﴿اتَّبِعْ قُرْآنَهُ ف﴾: استمع له، ثم اقرأه كما أقرأك الوحي جبريل ﷻ.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني على التراخي ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿عَلَيْنَا﴾: على الله ﷻ ﴿بَيَانَهُ﴾: بعد حفظه، وتلاوته، نعلمك معناه وتفسيره على ما أردنا، وشرعنا.

التكليف: من هذه الآيات نرى المراحل الثلاث: حفظ القرآن الكريم في الصدر، والثانية تلاوته على الوجه الصحيح، والثالثة تفسيره وفهم معانيه.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ (٢٠)

(١) صحيح البخاري ١/٨٠(٥).

﴿كَلَّا﴾: حرف ردعٍ وزجرٍ واستنكارٍ، حقًا ليس الأمر كما زعمتم عن استحالة البعث بعد الموت
 ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿تُحِبُّونَ﴾: تفضلون وتتمنون ﴿الْعَاجِلَةَ﴾: تُحبون
 متاع الدنيا، وزينتها وهي سريعة الانقضاء، وهذا يجعلكم مُشغولين عن الآخرة.

﴿وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾ (٢١)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحال ﴿تَذَرُونَ﴾: تتركون وتتشغلون عن الطاعات، وترك المحرمات،
 وإهمال ثواب ﴿الآخِرَةَ﴾: العمل ليوم القيامة.

﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ (٢٢)

﴿وَجُودٌ﴾: ستكون طبيعة وجوه المؤمنين وجميع أعضاء أجسادهم ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة
 ﴿نَاصِرَةٌ﴾: مُشركةٌ، حسنةٌ، بهيئةٌ، لها نورٌ، مسرورة من النصارة.

﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (٢٣)

﴿إِلَى رَبِّهَا﴾: المُعبود، والمُربي، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر،
 والجابِرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، الله ﷻ مالك أمرها كله
 ﴿نَاطِرَةٌ﴾: ترى ربها عيانًا، وليس مجازًا؛ لأن الوجود دليل على صحة الرؤية. عَنْ جَرِيرِ بْنِ
 عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عِيَانًا^(١)؛ وَقَالَ أَيْضًا: كُنَّا جُلُوسًا لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ
 ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً أَرْبَعَ عَشْرَةَ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تُضَامُونَ فِي
 رُؤُوسِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةِ قَبْلِ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلِ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَرَأَ:
 ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق-٣٩]^(٢) والأحاديث متعددة.

﴿وَوَجُودٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ (٢٤)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحال ﴿وَجُودٌ﴾: الفجار، أهل النار ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿بَاسِرَةٌ﴾:
 قال قتادة: عابسةٌ كالحةٌ، وقال السدي: تتغير ألوانها، وهذا ما نشهده في الدنيا بصورةٍ مُخففةٍ،
 والبسر: هو الاستعجال بالشيء قبل أوانه.

﴿تَنْظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (٢٥)

(١) صحيح البخاري ١٢٧/٩ (٧٤٣٥).

(٢) صحيح البخاري ١٣٩/٦ (٤٨٥١).

﴿تَنْظُنْ﴾: متيقنة، متأكدة ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُفَعِّلُ﴾: يُنزل الله ﷻ ﴿بِهَا فَاقِرَةٌ﴾: تصيبها داهية عظيمة ستكسر فقرات الظهر، عذابٌ عظيمٌ، وقال مجاهد: داهيةٌ، وقال قتادة: شرٌ، وقال السدي: تستيقن أنها هالكة، وقال ابن زيد: متيقنةٌ من دخول النار.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّرَاقِي﴾ (٢٦)

هذه ساعة الموت، والاحتضار، وأهواله ﴿كَلَّا﴾: حرف ردعٍ وزجرٍ واستنكارٍ، حقًا، يا ابن آدم ليس هناك تكذيب، وهذه كلمة رادعة ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿بَلَغَتِ﴾: الروح ﴿النَّارَاقِي﴾: وهي عظمة الترقوة، في منطقة أول العنق، وبالقرب من الصدر، والتي بلغت هي الروح التي انتزعت من الإنسان، وبلغت ترقوته؛ كنايةً عن الوصول إلى حافة الموت؛ وخروج الروح.

﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ (٢٧)

﴿و﴾: أيضًا ﴿قِيلَ﴾: صاح ﴿مَنْ﴾: من جنس العاقل ﴿راقٍ﴾: من يطلب الرقية، للشفاء، هل من مُغيث، هل من مُعين، قال ابن عباس: هل من راقٍ يرقى. هل من طبيبٍ يشفي، وقال ابن عباس، وأبو حاتم: من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب.

﴿وَوَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ (٢٨)

﴿و﴾: أيضًا ﴿وَوَظَنَّ﴾: تأكد وأيقن ﴿أَنَّهُ﴾: حرف يُفيدُ التأكيد ونفي الشكِّ والإنكار ﴿الْفِرَاقُ﴾: النهاية من الدنيا.

﴿وَالنَّفْتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ﴾ (٢٩)

﴿و﴾: حرفٌ عطفيٌ يُفيدُ الحال ﴿النَّفْتِ﴾: النَّوْتُ والتصقت ﴿السَّاقِ﴾: الطرف السفلي للإنسان ﴿بِ﴾: حرف باء المقابلة ﴿السَّاقِ﴾: الأخرى تغيرت هيئة المشي والهروب، وتعثرت الساق بأختها فوق صاحبها، لقد اجتمعت الشدائد في نهاية الدنيا وبداية القيامة، وقال ابن عباس: هو الأمر العظيم، آخرُ يومٍ من الدنيا، وأوَّلُ يومٍ من أيام الآخرة؛ فتلتقي الشدة بالشدّة، إلا من رحم الله ﷻ، وقال عكرمة: الأمرُ العظيمُ بالأمرِ العظيم، وقال مجاهد: بلاءٌ بلاءً، عليه أمران: النَّاسُ يُجهزون عليه، والملائكةُ يُجهزون عليه.

التكليف: الآية تعيد الشدة بسبب مفارقة الإنسان للحياة، عند الموت للوطن، والأهل، والولد، والصدق؛ وشدة القدوم على ربه ﷻ، فالتقت الشدتان ببعضهما، كما تلتف الساق على الساق، فقد اجتمع كرب الدنيا وكرب الآخرة.

﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (٣٠)

﴿إِلَى رَبِّكَ﴾: هو ﷻ الثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد؛ فهو ﷻ مالك أمرك كله ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: عطفاً على ما جاء في الآية السابقة، وترفع الروح إلى بارئها في السموات، ويردُّ جسد الإنسان إلى الأرض؛ فمنها خلقه ﷻ، وإليها يُعيدُه، ومنها يخرجُه مرةً أخرى ﴿الْمَسَاقُ﴾: سُاقُ الروح، ويُسَاقُ الجسد، انتظاراً ليوم القيامة؛ والله أعلم.

﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ (٣١)

﴿فَلَا﴾: حرفٌ تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل، هي هنا تنفي عن الإنسان الكافر التصديق بالرسالة والصلاة والعبادة ﴿صَدَقَ﴾: لم يُصدِّق الكافر صاحب هذه الروح والجسد الكافر، أي كذَّب بالرسالة في الدنيا بقلبه ﴿و﴾: أيضاً ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿صَلَّى﴾: ولم يُصلِّ في الدنيا، وهي الفريضة المرئية، فلا خير في باطنه ولا ظاهره.

﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (٣٢)

﴿وَلَكِنْ﴾: حرفٌ يفيد الاستدراك ﴿كَذَّبَ﴾: بما جاء به رسوله ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿تَوَلَّى﴾: ابتعد، ونأى، وأعرض عن الحق.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ (٣٣)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يفيد التتابع الزمني البطيء ﴿ذَهَبَ﴾: رجع ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾: إلى عشيرته، وأقربائه ﴿يَتَمَطَّى﴾: قال ابن عباس: يختال في مشيته، وقال قتادة: يتبختر في نشوة كبيرة، أشراً، بطراً.

﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾ (٣٤)

يقول له الله ﷻ متوعداً ﴿أُولَىٰ﴾: اقترب، وحق ﴿لَكَ﴾: تخصيصاً ﴿فَأُولَىٰ﴾: هنا التناقض من الغيبة إلى المخاطب، جاء التكرار للتأكيد على الوعيد، ويلٌ لك ثم ويلٌ لك؛ حقّ عليك العذاب ويُهْلِكُكَ؛ هي كلمةٌ تهديدٍ من ربِّ العباد، ووعيدٍ للكافر المتبختر في مشيه، هلاكٌ لك ثم هلاك.

﴿ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأَُولَىٰ﴾ (٣٥)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفيدُ التتابعَ الزمني غير السريع ﴿أُولَى﴾: اقترب، وحق ﴿لَكَ﴾: تخصيصاً ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿أُولَى﴾: هنا إعادة الجملة على سبيل التأكيد، قالها رسول الله ﷺ لأبي جهل الذي ردَّ قائلاً: أتتوعدني يا محمد؟ والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئاً، وإني لأعز من مشى بين جبليها. ألا لعنةُ الله على الكافرين.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (٣٦)

﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار والتوبيخ ﴿يَحْسَبُ﴾: هل يظن؛ وهي هنا للتوبيخ على العلم، بالرغم من علم ﴿الْإِنْسَانُ﴾: كل إنسانٍ في كل زمانٍ، وفي كل مكان ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُتْرَكَ﴾: يتركه الله ﷻ ﴿سُدًى﴾: دون تكليفٍ بشريعته ﷻ، وقال السدي: يظن أنه لن يُبعث يوم القيامة، وقال مجاهد: لا يُؤمر ولا يُنهى؛ والله أعلم أنها الحالتان: أيترك في الدنيا بكفر، ويترك في القبر بلا عذاب؟

﴿أَلَمْ يَكْ نُطْفَئَهُ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ (٣٧)

﴿أَلَمْ﴾: أداهُ استفهامٍ بغرض الاستنكار ﴿يَكْ﴾: هل نسي المتجبر أنه كان ﴿نُطْفَئَهُ مِنْ﴾: حرفٌ يُفيدُ بداية الغاية المكانية ﴿مَنِيٍّ﴾: يوجد ربع مليون حيوان منوي ينزل من مجرى البول، من سائل مهين ﴿يُمْنَى﴾: يراق من الخصيتين، ويخرج من مجرى البول، ثم ينزل إلى الأرحام، أمامه مئانة البول، وخلفه مخزن وممر البراز إلى الخارج.

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقَةَ فَخَلَقَ فَسَوَى﴾ (٣٨)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفيدُ التتابع مع التراخي الزمني ﴿كَانَ﴾: صار الإنسانُ في مرحلة اسمها ﴿عَاقَةَ﴾: قطعة من دمٍ متماسكٍ، تعلقت في جدار الرحم من الخلف وأعلاه؛ تتغذى من جدار الرحم، ويمكن أن تسقط بسهولة، وتنزل إلى الخارج، موجودةً بالقرب من مجرى البول ﴿ف﴾: بهذا السبب ﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق وجودٍ ﴿فَسَوَى﴾: ثم صار مُضغَةً، وتخلقت فيه بإرادته ﷻ أجهزته وأعضاؤه، وحدد الله ﷻ أيكون ذكراً أم أنثى.

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزُّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ (٣٩)

هذه الآية تفسيرٌ للآية التي سبقتها ﴿ف﴾: حرفٌ استثنائي يُفيدُ ترتيبَ الأمر وسرعة التنفيذ ﴿جَعَلَ مِنْهُ﴾: حرفٌ يُفيدُ بداية الغاية المكانية، من الحيوان المنوي ومن البويضة، يتكون الذكر والأنثى، هما يُكوّنان ﴿الزَّوْجَيْنِ﴾: الجنسين لبني آدم ﴿الذَّكَرَ﴾: الرجل ﴿وَالْأُنثَى﴾: أيضًا المرأة. ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُخَيِّبَ الْمَوْتَى﴾ (٤٠)

﴿أ﴾: حرفٌ استفهامٌ يُفيدُ التقرير، هو اعترافٌ منه ﷺ ﴿لَيْسَ﴾: فعلٌ ماضٍ ناقصٌ يفيدُ النفي ﴿ذَلِكَ﴾: هل الخالق للإنسان من هذه الكائنات الضعيفة، والذي جعله رجلاً أو امرأة ﴿ب﴾: حرفٌ باءٌ السببية ﴿قَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ﴾: حرفٌ تأكيدٌ الفعل، أليس الخالق العظيم بقادرٍ على أن ﴿يُخَيِّبَ الْإِنْسَانَ﴾: حرفان يفيدان تعريف الجنس؛ فتدخل هنا البهائم والحشرات ومقدرته على قبض أرواح العاقل وغير العاقل جميعاً؛ فيكونون ﴿مَوْتَى﴾: أن يعيدهم مرةً أخرى، قد جاء في السياق: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم-٢٧]، بعد ذكر هذه الآية؛ نقول: كما كان يقول رسولُ الله ﷺ، عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَوْقَ بَيْتِهِ، وَكَانَ إِذَا قَرَأَ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُخَيِّبَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة-٤٠]، قَالَ: سُبْحَانَكَ، فَبَكَى، فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (١).

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نرى مزيداً من مشاهد يوم القيامة في الخلائق.



سمّيت سورة الإنسان بخمسة أسماء، بهذا الاسم في المصاحف وسمّيت أيضًا سورة "هل أتى على الإنسان" وسمّيت "سورة الدهر" وسمّيت "سورة الأمشاج" و "سورة الأبرار" واختلف فيها فقيل هي مكية وهذا الأصح، وقيل مدنيّة، وتقع في الترتيب (٩٨) نزلت بعد سورة الرحمن وقبل سورة الطلاق، واتفقوا على أنّ عدد آياتها هو (٣١) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (١)

(١) سنن أبي داود ٢٣٣/١ (٨٨٤)، قال الألباني: صحيح.

﴿هَل﴾: حرف هنا بمعنى الاستفهام وغرضه التقرير، بمعنى قد ﴿أَتَى﴾: جاء زمانٌ قريبٌ وقد مضى ﴿عَلَى الْإِنْسَانِ﴾: آدم ﷺ، ونسله من بعده ﴿حِينَ﴾: زمنٌ المكوث في الرحم ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿الدَّهْرِ﴾: من الزمن الطويل ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَكُنْ﴾: ما كان ﴿شَيْئًا﴾: كان معدومًا ﴿مَذْكُورًا﴾: قيل مضى وقتٌ طويلٌ من الزمن قبل أن تُنفخ فيه الروح لم يكن له ذكرٌ، ولا يُعرف له أثر.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٢)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحد؛ للتعظيم والتوكيد ﴿خَلَقْنَا﴾: أوجدنا، جاءت بصيغة الجمع للتعظيم، أوجدنا من غير وجود سابق ﴿الْإِنْسَانَ﴾: إنَّ الله ﷻ الذي أوجد آدم ﷺ، أبا الإنسانية من ترابٍ، ثم جعل منه زوجه، ثم كان خلق النَّاس من أبوين ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿نُطْفَةٍ﴾: هي الحيوان المنوي من الرجل والبويضة من المرأة ﴿أَمْشَاجٍ﴾: اختلاط الجينات المذكرة بالمؤنثة؛ فيكبر وينمو ﴿نَبْتَلِيهِ﴾: نختبره بالأوامر والنواهي، وقد هيأنا له أدوات الإدراك ﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿جَعَلْنَاهُ﴾: أكملنا خلقه؛ فصار ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾: بالسمع والبصر؛ ليعي ويدرك ضرورة طاعة الخالق ﷻ، أو يقرر المعصية.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٣)

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ﴾: جاءت بصيغة الجمع؛ لعظم الخلق، الذي هو من عظم الخالق ﴿السَّبِيلَ﴾: وضحنا للإنسان وبصّرناه بطريق الخير وطريق الشر ﴿إِمَّا﴾: عندما يكون ﴿شَاكِرًا﴾: لله ﷻ على نعمه وفضله؛ فيتبع ما أمر ﴿وَأِمَّا﴾: عندما يكون ﴿كَفُورًا﴾: يغطي نعم الله ﷻ، ويُنكرها.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ (٤)

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾: أعددنا وهيأنا، وهي تعني كل وسائل التعذيب ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿الْكَافِرِينَ﴾: إذا اختار الكافر الكفر؛ فإتينا جهنمنا له في الآخرة ﴿سَلَاسِلَ﴾: يُسحبُ بها، بعد أن نُوضع في عنقه ﴿وِ﴾: حرفٌ عطفٌ يُفيد الحال؛ أيضًا أعددنا له ﴿أَغْلَالًا﴾: في أعناقهم كما للدواب ﴿وَسَعِيرًا﴾: يُسحبون إلى جهنم.

التكليف: هناك فرق في معنى "أعدنا" فهي تعني وسائل التعذيب، لأصحاب النار، بينما اللفظ أعددنا يعني وسائل التعويم لأصحاب الجنة.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ (٥)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الْأَبْرَارَ﴾: الذين أطاعوا الله ﷻ، وعبدوه؛ فمصيرهم الجنة ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ﴾: حرف يُفيد بداية الغاية الزمانية وهي يوم القيامة، ويفيد الغاية المكانية من ﴿كَأْسٍ﴾: من كؤوس الجنة ﴿كَانَ﴾: جاءت بصيغة الماضي لأنها آتية لا ريب فيها ﴿مِزَاجُهَا﴾: ممزوجة ﴿كَافُورًا﴾: شرابًا ممزوجًا بالكافور؛ أو أنّ رائحته طيبة، وله طعمٌ لذيذٌ.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ (٦)

﴿عَيْنًا﴾: الشراب من عينٍ سهل تناوله؛ لا تحف، ولا تتضب ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾: جاء استعمال "بها" فجعلها كأداةٍ تنتقل حيث ينتقل عباد الله في الجنة لعذوبة مائها وصفائه؛ يجرونها حيث شأؤوا؛ يشرب منها ﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾: الذين أطاعوه في الدنيا ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾: لأنها غزيرة لا تتضب، قال مجاهد: يجعلونها تجري بسهولة حيث شأؤوا، والتفجير؛ هو الاتباع ﴿تَفْجِيرًا﴾: تأكيدٌ على ما سبق؛ يجرونها خلفهم في أي اتجاهٍ حيث شاءوا.

﴿يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (٧)

﴿يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ﴾: يحققون ما نذروه، تقريبًا لله ﷻ، وفعالًا للطاعات فيما أوجبه على أنفسهم، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ»^(١)، ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيد الحال ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ﴾: سوء عاقبته وضرره ﴿مُسْتَطِيرًا﴾: قال ابن عباس: فاشيًا منتشرًا على الناس، وقال قتادة: استطار الله شرّ ذلك اليوم؛ حتى ملأ السموات والأرض.

﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨)

﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾: قال مجاهد، ومقاتل: يُطعمون الآخرين طعامًا يُحبونه ويشتهونه، مثل قوله ﷻ: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [البقرة-١٧٧] ﴿مِسْكِينًا﴾: هو البائس الذي

(١) صحيح البخاري ١٤٢/٨ (٦٦٩٦).

لا يملك شيئاً ﴿و﴾: أيضاً ﴿يَتِيمًا﴾: الذي مات عائلته أو مات المنفق عليه ﴿وَأَسِيرًا﴾: يُطعمون من وقع في أسر المسلمين من الأعداء، قال الحسن والضحاك: من أهل القبلة، وقال ابن عباس: هم المشركون، وقال ابن جرير: هم العبيد، وقال مجاهد: هم المجوس. والله ﷻ أعلم. والكلمة عامّة في كلِّ أسير.

﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (٩)

﴿إِنَّمَا﴾: أداة تقييد التحديد والحصر ﴿نَطْعِمُكُمْ ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿وَجْهِ اللَّهِ﴾: هم مقتنعون في سرهم أنهم يطعمونهم يرجون ثواب الله ﷻ ورضاه ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿نُرِيدُ مِنْكُمْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿جَزَاءً﴾: لا نريد مقابل ذلك مكافأة ﴿وَلَا شُكُورًا﴾: ولا ننتظر منكم شكرًا، قال مجاهد: والله ما قالوه بألسنتهم، ولكن الله علم به من قلوبهم؛ فأنتى عليهم، إن الذي وهب النعم، وحدد النعم لمن يستحق لا يطلب منهم شيئاً.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ (١٠)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحد؛ للتعظيم والتوكيد ﴿نَخَافُ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الكليّة ﴿رَبَّنَا﴾: مالك أمرنا كلّهُ ﴿يَوْمًا﴾: أن يرحمنا من يوم القيامة كان ﴿عَبُوسًا﴾: هنا مجاز عقلي حيث وصف الله ﷻ اليوم بالعبوس؛ الذي فيه تعبس الوجوه من هوله وشدّته، وهو ما يحدث في الحياة الدنيا فالخوف يسبب إفراز هرمون الأدرينالين، الذي يُسبب انقباض الأوعية الدموية من جميع الجلد، فتكبح فيه الوجوه، وقال ابن عباس: ضيقًا، وقال مجاهد: العابس الشفتين، وقال ابن زيد: الشُّرُّ ﴿قَمْطَرِيرًا﴾: صعبًا، شديدًا، قال ابن عباس: طويلًا، وقال مجاهد: يقبض الوجه، وقال سعيد بن جبير، وقتادة: تقلص الجبين بين العينين من الهول، وقال ابن زيد: الشديد، وأيّ شديد يُقال له قمْطيرير.

﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ (١١)

﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿وَقَاهُمُ﴾: جنبهم وحفظهم ﴿اللَّهُ شَرَّ﴾: عذاب وضرر ﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة للبعيد ﴿الْيَوْمِ﴾: هنا إجابات، كيف سيفعل ﷻ بالمؤمنين ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال

﴿لِقَاهُمْ﴾: أعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾: جعل نضرةً في وجوههم، راحة وسماحة ﴿و﴾: أيضًا منحهم ﴿سُرُورًا﴾: بأثار الفرح تنبسط أساريرهم.

﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (١٢)

﴿وَجَزَاهُمْ﴾: كافأهم وأعطاهم ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿صَبَرُوا﴾: على معاملتهم للأسرى، واليتامى، والمساكين ﴿جَنَّةً﴾: وهو السكن والنعيم ﴿وَحَرِيرًا﴾: اجتمع لهم العيش الرغيد، والملبس الحسن.

﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ (١٣)

﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا﴾: يجلس فيها أهل الجنة جلساتٍ مريحة. انظر تفسير [الصفات-٤٠ حتى ٤٩] ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: هي سررٌ تحت الحجال، و"الحجال" هي جمع حَجَلَةٍ وهي مثل القبة على السرير تزين بالستور والقماش الحسن وتسمى الكُلل ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَرَوْنَ﴾: يُشاهدون ﴿فِيهَا﴾: في الجنة ﴿شَمْسًا﴾: ليس عليهم حرٌّ مزعجٌ كحر الشمس ﴿وَلَا﴾: حرف نفي، وأيضًا لا يعانون من ﴿زَمْهَرِيرًا﴾: ولا فيها بردًا، شديدًا، قارسًا.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ (١٤)

﴿وَدَانِيَةً﴾: قريبةً منهم، ليست مرتفعة ﴿عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾: أغصانُ الجنة المثمرة ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿ذُلَّتْ﴾: سهلت عملية ﴿قُطُوفُهَا﴾: الحصول على الثمار ﴿تَذْلِيلًا﴾: يتدلى القطف متى أَرَادَهُ المؤمن، طائعًا دونَ جهدٍ منه، قال مجاهد: إذا قام ارتفعت معه بقدرٍ، وإذا قعد تذللت له حتى ينالها، وإن اضطجع؛ تذللت له حتى ينالها، وقيل لا يَرَدُّ أيديهم شوكٌ ولا بُعْدٌ.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ (١٥)

﴿وَيُطَافُ﴾: يمرُّ ويدور ﴿عَلَيْهِمْ﴾: الخدم في الجنة ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿آنِيَةٍ﴾: هي أوعية الطعام ﴿مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾: التي يُوضع فيها الشراب، ليس لها خراطيم ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾: مثل الزجاجات هي من فِضَّةٍ، ولكنها شفافة.

﴿قَوَارِيرٍ مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ (١٦)

﴿قَوَارِيرٍ مِنْ﴾: حرفٌ يُفيدُ بدايةَ الغايةِ المكانيةِ ﴿فِضَّةً﴾: على البذل أو التمييز، قال ابن عباس: بياضُ الفضة، في صفاء الزجاج؛ أي أنها من فِضَّةٍ؛ ولكنها شفافة، وكله صحيح؛ والله أعلم ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾: فهي مقدرةٌ في الحجم، والري، والإشباع.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ (١٧)

﴿و﴾: أيضًا ﴿يُسْقَوْنَ فِيهَا﴾: في الجنة يشرب الأبرار في هذه الأكواب ﴿كَأْسًا﴾: إما الخمر أو زجاجة ﴿مِزَاجُهَا﴾: ممزوجة هنا ﴿زَنْجَبِيلًا﴾: وهو شرابٌ ساخنٌ في الأولى، كان مزاجها كافورًا، وهو شراب بارد، وهنا شراب ساخن؛ ممزوجًا بالزنجبيل.

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ (١٨)

﴿عَيْنًا﴾: من عيون الجنة ﴿فِيهَا﴾: في الجنة ﴿تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾: قال عكرمة: عينٌ في الجنة، وقال مجاهد: سميت بذلك؛ لسهولة وسلاسة شربها، وحدّة جريها.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنُورًا﴾ (١٩)

﴿وَيَطُوفُ﴾: والطواف هو المشي حول شيء ﴿عليهم﴾: بينهم خدم الجنة ﴿وِلْدَانٌ﴾: من ولدان الجنة ﴿مُخَلَّدُونَ﴾: يبقون في عمرٍ واحدٍ وفي هيئةٍ جميلةٍ واحدةٍ، لا تتغير أعمارهم؛ أي لا يشيخون، مخلدون في عمرهم هذا ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿رَأَيْتَهُمْ﴾: نظرت إليهم في جمال وجوههم، وجمال ألوانهم، وثيابهم، وخيئهم ﴿حَسِبْتَهُمْ﴾: تظنهم وتعتقد أنهم ﴿لُؤْلُؤًا مَنُورًا﴾: هنا تشبيهٌ جميلٌ؛ كاللؤلؤ المنتشر في الجنة، قال قتادة: ما من أهل الجنة من أحدٍ إلا يسعى عليه ألف خادمٍ، كلّ عملٍ ما عليه صاحبه.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ (٢٠)

﴿و﴾: أيضًا ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿رَأَيْتَ﴾: شاهدت يا محمد ﷺ ﴿نَمَّ﴾: إشارة للبعيد بمعنى هناك ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾: حيث رأيت في الجنة، ونعيمها، وسعتها ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يفيد الحال ﴿مُلْكًا كَبِيرًا﴾: مملكة عظيمة، سلطانًا باهرًا، حيث يُقال لآخرٍ واحدٍ من أهل الجنة: إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها.

التكليف: الحديث هنا عن ما في الجنة رأيت نعيمًا لا يُوصف ومُلكًا واسعًا لا يُعدّر.

﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾

(٢١)

﴿عَالِيَهُمْ﴾: على أجسادهم ﴿ثِيَابٌ﴾: لباس أهل الجنة ﴿سُنْدُسٍ﴾: الحرير الرقيق، كالقمصان،

وأمثالها ﴿خُضْرٌ﴾: ولونه أخضر البطانة ﴿و﴾: أيضًا ﴿إِسْتَبْرَقٌ﴾: وهو الحرير السميك، وهو

ظاهر الثياب، وله لمعانٌ وبريقٌ ﴿وَحُلُوا﴾: يتحلّون، يتزينون ﴿أَسَاوِرَ﴾: تطوق أذرعهم ﴿مِنْ﴾:

حرفٌ جرٌّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿فِضَّةٍ﴾: وهذه صفة الأبرار،

أما المقربون؛ فقال فيهم ﷺ: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾

[فاطر - ٢٣] ﴿وَسَقَاهُمْ﴾: تكريمًا لهم ﴿رَبُّهُمْ﴾: المعبود، والمُربي، وهو المنشئ للمخلوق من حالٍ

إلى حالٍ إلى حدّ التمام؛ فهو ﷺ مالك أمرك كلّهُ ﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾: قال سيدنا علي ﷺ في قوله

ﷺ وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا: إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من

تحت ساقها عينان؛ فيشربون من إحداها لتجري عليهم بنضرة النعيم فلا تتغير آبشارهم "لون

بشرتهم" ولا تشعث أشعارهم أبدًا ثم يشربون من الأخرى؛ فيخرج ما في بطونهم من الأذى؛ ثم

تستقبلهم خزنة الجنة؛ فيقولون: سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها خالدين".

التكليف: ومن المعلوم أنّ الطهارة نوعان طهارة النفس من الآثام وطهارة الجسد من الأوساخ

يُطهّر بواطنهم من الرجس، والدنس، والغلّ، والحقْدِ وكلّ الأخلاق والمنغصات الرديئة.

﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ (٢٢)

يقال لأهل الجنة: ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿هَذَا﴾: إشارة لقبول الطاعات وما

تبعها من ثواب النعيم في المقام، والشراب، واللباس، والخدم ﴿كَانَ لَكُمْ﴾: تمليكٌ ﴿جَزَاءً﴾: عاقبة

أعمالكم الحسنة؛ تكريمًا وإحسانًا من الله ﷻ لكم ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿كَانَ سَعْيُكُمْ﴾: عملكم

وطاعتكم ﴿مَشْكُورًا﴾: كان جزاء طاعتكم من الله ﷻ كثيرًا وعظيمًا.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ (٢٣)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحد؛ للتعظيم والتوكيد ﴿نَحْنُ﴾: المقصود الله ﷻ، وجاءت بصيغة الجمع؛ للتعظيم ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ﴾: بعثنا رسولنا جبريل ﷺ، يُنَزِّلُ عليك ﴿الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾: مفرقًا ليس من عندك، وليس جملة واحدة.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ (٢٤)

﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿اصْبِرْ﴾: كما أكرمناك بنزول القرآن عليك ﴿لِحُكْمِ﴾: قضاء ﴿رَبِّكَ﴾: مالك الله ﷻ مالك أمرك كله وما قدره، التدبير من عنده، وسيواجهك الكفار، يحاولون ثنيك ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿لَا﴾: حرف نهي رباني ﴿تُطِعْ مِنْهُمْ﴾: حرفٌ يفيد التبعية ﴿آثِمًا﴾: الذين يرتكبون الإثم والفواحش، ومعهم المنافقون الذين يخفون ما لا يبدون؛ فبلغ ما أنزل إليك، والله ﷻ يعصمك ﴿أَوْ﴾: ولا تطع أيضاً منهم من كان ﴿كَفُورًا﴾: الكافر قلبه، وتعمل بالكفر جوارحه.

﴿وَادْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٢٥)

﴿وَادْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾: الثابت، والقريب، والجامع، والمصلح ﴿بُكْرَةً﴾: في صلاة الفجر ﴿وَأَصِيلًا﴾: وفي صلوات المساء، الظهر والعصر.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ (٢٦)

﴿و﴾: حرفٌ عطفيٌّ يفيد الحال ﴿مِنَ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿اللَّيْلِ﴾: وقت الليل ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿اسْجُدْ لَهُ﴾: وهي الصلاة لله ﷻ ﴿وَسَبِّحْهُ﴾: نزه الله ﷻ عن النواقص ﴿لَيْلًا طَوِيلًا﴾: وهي صلاة التهجد، وقد جاء: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ [الإسراء-٧٩]، وقوله ﷻ: ﴿فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل-٢].

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ (٢٧)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿هَؤُلَاءِ﴾: الكفار والمنافقون ﴿يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾: يستمتعون بملذات الدنيا، وزخرفها ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿يَذُرُونَ﴾: يتركون ﴿وَرَاءَهُمْ﴾:

بمعنى أمامهم، ينتظرهم يومُ حساب يوم القيامة ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾: يوم القيامة، شديد الأهوال، مستعار من الثقل المُتعب لحامله؛ فمن أهمل الاستعداد له في دنياه؛ ثقلت عليه آخرته.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ (٢٨)

﴿نَحْنُ﴾: هو الله ﷻ الواحد الأحد، وجاءت هنا بصيغة الجمع للتعظيم ﴿خَلَقْنَاهُمْ﴾: الله ﷻ أوجدهم في الحياة الدنيا من غير سابقٍ مثال، بقدرته وعظمته ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يفيد الحال ﴿شَدَدْنَا﴾: قوينا ﴿أَسْرَهُمْ﴾: أحكنا خلقهم، مفاصل عظامهم، وعضلاتهم، وجميع أجهزة أجسادهم، وغيرها وأحكنا خلقهم، وهذه عبارة غاية في الدقة؛ لأنَّ دراسة علم التشريح، ووظائف الجسم، وعلاقته تُظهر الخلق العظيم المُحكمة، والمُنضبطة ﴿و﴾: حرفٌ يفيد التخيير ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿شِئْنَا﴾: لو أردنا ﴿بَدَّلْنَا﴾: غيرنا ﴿أَمْثَالَهُمْ﴾: لو أراد الله ﷻ لجاء بقومٍ آخرين غيرهم، وقد جاء بالمعنى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء-١٣٣] ﴿تَبْدِيلًا﴾: تغييرًا كاملاً.

﴿إِنْ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (٢٩)

﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد ونفي والشك والإنكار ﴿هَذِهِ﴾: حرف تنبيه وإشارة للمفرد المؤنث، هي هنا السورة المباركة بما فيها من ترغيبٍ وترهيبٍ ﴿تَذْكَرَةٌ﴾: لمن يعقل، ويعي، ويتعظ، وفيما جاء فيها ﴿فَمَنْ﴾: حرف استفهامٍ استثنائي يفيد هنا عن العاقل ﴿شَاءَ﴾: أراد رضا الله ﷻ ﴿اتَّخَذَ﴾: اعتمد ﴿إِلَىٰ رَبِّهِ﴾: مالك أمرهم كلّه ﴿سَبِيلًا﴾: طريقًا للهدى، والنقى، والنجاة.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٣٠)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿تَشَاءُونَ﴾: لا يقدر أحدكم أن يهدي نفسه، ولا يدخل ساحة الإيمان؛ بقدرته ولا يملك لنفسه نفعًا ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَشَاءَ اللَّهُ﴾: إلا بمشيئته ﷻ؛ فييسرها لمن يستحق الهداية، ويهيئ له أسبابها، أمّا من يستحق الغواية؛ فيصرفه ﷻ عن الهدى ﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد ونفي والشك والإنكار ﴿اللَّهُ كَانَ﴾: وبقايا بلا نهاية ﴿عَلِيمًا﴾: يعلم بكل شيءٍ ﴿حَكِيمًا﴾: له الحكمة البالغة في الخلق، والقول، والعمل.

﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٣١)

﴿يُدْخِلُ﴾: يهدي ويسهل ﴿مَنْ﴾: جنس العاقل ﴿يَشَاءُ﴾: من أراد من خلقه ومن يستحق الهداية ﴿فِي رَحْمَتِهِ﴾: في دينه، ويُصلحُ عمله، ويبارك له فيه ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾: أيضًا عن الضالين الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم ﴿أَعَدَّ﴾: جهز ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا وتمليًا ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: شديد الإيلام. التكليف: من مقاصد هذه السورة الكريمة؛ ندركُ عظمةَ خلقِ الله ﷻ للإنسان، ومصيره في الدنيا والآخرة.



سُمِّيَتْ سورة "المرسلات" بهذا الاسم في المصاحف في عهد النبي ﷺ، وكذلك في كتب التفاسير، وسُمِّيَتْ أيضًا بسورة "المرسلات عرفا" وسميت "سورة العرف" وهي سورة مكيّة، عند جمهور المفسرين من السلف، وترتيبها (٣٣) في عداد نزول السور، وهي من أوائل سور القرآن نزولًا، نزلت على الرسول ﷺ مختفٍ في غارِ بمِني مع بعض أصحابه، واتفق العادون على عدد آياتها (٥٠) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ (١)

﴿و﴾: يقسم الله ﷻ بحرف "و" القسم ﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾: جاءت من كلمة رُسل؛ يقسم الله ﷻ بالريح الطيبة، وقيل القسم بالملائكة المرسلّة لوحيه، وأمره، ونهيه ﴿عُرْفًا﴾: المتتابعة إذا هبّت شيئًا، فشيئًا، التي يتبع بعضها بعضًا، كعرف الخيل، وقال مسروق، والسدي: هذا قسمٌ بالملائكة التي يتبع بعضها بعضًا.

﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ (٢)

ويقسم الله ﷻ ﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌّ يُفيدُ ترتيبَ الأمر وسرعة التنفيذ ﴿الْعَاصِفَاتِ﴾: هي الریحُ شديدةُ الهبوب المسببة للضرر لشدّتها ﴿عَصْفًا﴾: هبوبًا شديدًا.

﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ (٣)

﴿و﴾: أيضًا يُقسم الله ﷻ بـ ﴿النَّاشِرَاتِ﴾: هل الناشرات هي الرياح التي تنشر السحاب في السماء المحمل ببخار الماء، وتأتي بالغيث، أم يُقسم بالملائكة المُوكِّلين بالسحاب ينشرونه ﴿نَشْرًا﴾: فيكون المطر، أم يكون الذين ينشرون أجنحتهم؟ الله ﷻ أعلم.

﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ (٤)

﴿فَالْفَارِقَاتِ﴾: هي الملائكة التي تنزل بأمر الله ﷻ على النَّاسِ؛ لتفرك بين الحق والباطل، وبين الحلال والحرام ﴿فَرْقًا﴾: واضحًا بالتأكيد.

﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ (٥)

﴿ف﴾: حرفٌ يُفيدُ السببِ ﴿الْمُلْقِيَاتِ﴾: التي تُلقِي وتُنزل ﴿ذِكْرًا﴾: من الكتب السماوية، وأمر الله، وشرعه ﷻ.

﴿عَذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ (٦)

﴿عَذْرًا﴾: فلا يُكون للنَّاسِ فيه أَعذارٌ ﴿أَوْ﴾: حرف عطف يفيد التسوية بين ما قبله وما بعده ﴿نُذْرًا﴾: إنذارًا لهم من عقاب الله ﷻ، وهذا إمَّا للإعذار أو للإنذار، وقد يكون تلقي الملائكة الوحي من الله ﷻ إعذارًا منه ﷻ إلى خلقه، وإنذارًا وتخويفًا من عذابه ﷻ.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ﴾ (٧)

﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصرٍ تفيد التحديد والتوكيد، هذا هو المقسوم عليه ﴿تُوعَدُونَ﴾: ما وعدكم الله ﷻ من قيام الساعة، والنفخ في الصور، وبعث الأجساد ﴿ل﴾: حرفٌ علّةٌ وسببٌ ﴿وَاقِعٍ﴾: سيكون لا محالة.

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ (٨)

﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ، ﴿إِذَا﴾: حرف مفاجأة وأمر للمستقبل يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾: هو إزالة الأثر بالمحو، ذهب نُورها، وانطفأت، وهذا تغيُّرٌ عظيم في الكون.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ (٩)

﴿و﴾: أيضًا ﴿إِذَا﴾: حرف ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط، وهو أداة ربط بين ما بعدها بما قبلها ﴿السَّمَاءِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها ببيضاوية الشكل ﴿فُرِجَتْ﴾: انفطرت وانشقت، وتدلت أرجاؤها، وضعفت أطرافها، ونزل الملائكة منها.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ (١٠)

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾: تطايرت، فلم يبق لها أي أثر.

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتَتْ﴾ (١١)

﴿و﴾: أيضًا ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿الرُّسُلُ أُقْتَتَتْ﴾: قال: ابن عباس: جُمعت لوقتٍ محددٍ، وقيل بلغت ميقاتها المنتظر، وقال مجاهد: أُجِلَّت.

﴿لَأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ (١٢)

﴿ل﴾: حرفٌ تخصيصٍ ﴿أَيِّ﴾: حرف استفهام عن ﴿يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾: استفهامٌ للتعظيم وإثارة العجب؛ أحرّت ليومٍ عظيمٍ، ليشهد الرسل على أممهم.

﴿لَيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ (١٣)

﴿لَيَوْمِ الْفَصْلِ﴾: يوم الحُكم والقضاء بين النَّاسِ، يوم الثواب، والعقاب، يوم الفصل والتمييز بين أهل الجنة وأهل النار.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ (١٤)

﴿وَمَا﴾: أداة استفهام للتهويل والتعظيم للأمر ﴿أَدْرَاكَ﴾: ما أعلمك يا محمد ﷺ ﴿مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾: ما يوم القيامة، يوم التمايز بين أهل الجنة وأهل النار.

﴿وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٥)

﴿وَيَلِّ﴾: هلاكٌ، وعذابٌ، وخسارةٌ جاء لفظ الويل في هذه الآية عشر مرّات؛ في مقام الترهيب والترغيب؛ لأنه قسم الويل بينهم، على قدر تكذيبهم؛ لتفاوت درجة جرم التكذيب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: في هذا اليوم ﴿لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: تخصيصًا للذين كذبوا برسالات ربّهم، ووعده بالجنة والنار في الآخرة.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦)

﴿أَلَمْ﴾: حرف استفهام إستنكاري ﴿نُهَلِك﴾: نعم أهلك الله ﷻ ﴿الْأَوَّلِينَ﴾: الأمم السابقة، قوم عاد، وثمود، وقوم لوط، وقوم نوح ومن بعدهم كفار بني إسرائيل وقوم فرعون وغيرهم، وسيكون أمثالهم من يهود العصور التالية والصليبيين والمشركين ممن يتسمون بالمسلمين وهم أولياء المجرمين.

﴿ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ (١٧)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يُفيدُ التتابع غير السريع ﴿نُنَبِّئُهُمُ﴾: نُلقحُ بهم ﴿الْآخِرِينَ﴾: هم كفار قريش في مكة يلحق بهم بالحق بالأمم السابقة وفي هذا تسلية للنبي والصحابة الأجلاء؛ سيحل بالكفار ما حلَّ بأمثالهم، الذين تشابهوا معهم في كفرهم.

﴿كَذَلِكَ نَفْعُ الْبِغْمِ﴾ (١٨)

﴿كَذَلِكَ﴾: أيضًا بمثل هذه العقوبات ﴿نَفْعُ﴾: نُطبِّقُها عمليًا ﴿بِ﴾: بآء السببية ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: كل الكافرين بمحمد ﷺ.

﴿وَيَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٩)

﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾: هلاك، وعذاب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: في هذا اليوم العصيب ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾: تخصيصًا للذين كذبوا برسالات ربهم ﷻ، ووعده بالآخرة.

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ (٢٠)

﴿أَلَمْ﴾: حرف استفهام بغرض التقرير ﴿نَخْلُقْكُمْ﴾: نوجدكم من غير سابق وجودٍ من ﴿مَاءٍ﴾: من السائل المنوي في الذكر والبويضة من الأنثى. انظر تفسير [المرسلات-٢٠] ﴿مَهِينٍ﴾: ضعيف، حقير، قليل، من الحيوانات المنوية التي تخرج من مجرى البول ومن البويضة التي تخرج من المهبل بالقرب من مجرى البول والبراز.

﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ (٢١)

﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿جَعَلْنَاهُ﴾: هذا الجمع بين الحيوان المنوي والبويضة مكناه من الوصول إلى ﴿قَرَارٍ﴾: وهو رحم الأنثى ﴿مَكِينٍ﴾: المُحاطُ بعظام الحوض من كلِّ جانبٍ، وهو مكانٌ حصينٌ.

﴿إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (٢٢)

﴿إِلَى قَدَرٍ﴾: إلى مدة الحمل ﴿مَّعْلُومٍ﴾: المعيّنة من أربعة وعشرين أسبوعًا حتى أربعين أسبوعًا، والأسبوع سبعة أيام.

﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ (٢٣)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿قَدَرْنَا﴾: قَدَّرَ وشاء الله ﷻ جنس المولود، ولونه، وصفاته الجسدية ﴿فَنِعْمَ﴾: مدح وتكريم ﴿الْقَادِرُونَ﴾: مدحٌ لقدرة الله ﷻ، المُقدِّر الخير عظيمًا لائقًا.

﴿وَيَلِّ يَوْمئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٢٤)

﴿وَيَلِّ﴾: هلاكٌ وعذابٌ وخسرانٌ ﴿يَوْمئِذٍ﴾: في هذا اليوم ﴿ل﴾: تخصيصًا ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾: تخصيصًا للذين كذبوا برسالات ربهم ﷻ ووعده بالآخرة.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ (٢٥)

﴿أَلَمْ﴾: أداة استفهام بهدف الاقرار ﴿نَجْعَلِ﴾: نخلق ثم نُهيئ ﴿الْأَرْضَ﴾: الكرة الأرضية بسهولها، وجبالها، وأنهارها، وبحارها وثرواتها، الطبيعية، وأجوائها ﴿كِفَاتًا﴾: قال مجاهد: هي التي تضم الناس جميعًا؛ ويكفت فيها الميت؛ فلا يراه أحدٌ، والكفت هو القبض والجمع، وتكفتهم وهم أحياء على ظهرها في بيوتهم ومنازلهم.

﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ (٢٦)

﴿أَحْيَاءَ﴾: تضمُّ وتؤوي الأحياء فوق سطحها ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال؛ أيضًا تضمُّ وتؤوي ﴿أَمْوَاتًا﴾: قال الشعبي: بطؤها للأموات وظاهرها للأحياء، جاءت بصيغة النكرة للتفخيم، ولكثرة العدد.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ (٢٧)

﴿وَجَعَلْنَا﴾: أيضًا خلقنا وهيأنا ﴿فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: جاءت بصيغة النكرة بهدف التبويض، الجبال التي تثبت الأرض في دورانها حول الشمس، وحول نفسها ﴿شَامِخَاتٍ﴾: عاليات ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً﴾: للشرب، وبدونه لا توجد حياة لكم، وللنبات، والحيوان، والطير: أنزلناه عليكم من السماء، واستخرجنا لكم من باطن الأرض ﴿فُرَاتًا﴾: ماءً عذبًا.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٢٨)

﴿وَيْلٌ﴾: هلاكٌ، وعذابٌ، وخسرانٌ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: في هذا اليوم يوم القيامة ﴿ل﴾: حرف تخصيص
﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾: للذين كذبوا برسالات ربهم، ووعده بالآخرة.

﴿انظِّفُوا إِلَيَّ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٢٩)

﴿انظِّفُوا﴾: جاء الأمر الرباني للتوبيخ والتقريع هنا إلى الكفار، الذين كذبوا بيوم القيامة؛ أن
سيروا أيها المكذبون برسلكم ﴿إِلَيَّ مَا﴾: الذي ﴿كُنْتُمْ بِهِ﴾: في الحياة الدنيا ﴿تُكَذِّبُونَ﴾: من
العذاب إلى جنهم الذي كذبتهم به في الدنيا.

﴿انظِّفُوا إِلَيَّ ظِلِّي ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ (٣٠)

﴿انظِّفُوا﴾: جاء التكرار للأمر الرباني بهدف التوبيخ والإهانة ﴿إِلَيَّ ظِلِّي﴾: ناتج من دخان لهب
جهنم، الذي يصعد من النار ﴿ذِي﴾: له ﴿ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾: من شدته وقوته؛ افترق إلى ثلاث
فرق أو قطع.

﴿لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ (٣١)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿ظَلِيلٍ﴾ بتسمية العذاب ظلًا: هنا أسلوب تهكم ليس هناك بردُ الظل، هو لا
يظلُّ أحدًا؛ فهو دخانُ نار، لا ظلُّ لأحدٍ يومئذٍ ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يُغْنِي﴾: لا يقي الكافر
﴿مِنَ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿اللَّهَبِ﴾: لا يحمي
ولا يمنع حرَّ جنهم من تصلية الكافرين.

﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ﴾ (٣٢)

﴿إِنَّهَا﴾: نار جهنم ﴿تَرْمِي﴾: تقذف ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿شَرِّ﴾: الذي يتطاير الشرُّ
منها، كلُّ شرارةٍ منها ﴿كِ﴾: مثل ﴿القَصْرِ﴾: قال ابن مسعود: كالحُصون، وقال ابن عباس
ومجاهد: كأصول الشجر، أي الجذوع الضخمة.

﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ (٣٣)

في سوادها وضخامة حجمها عندما يفصل الشرر من النار في عظمتها من النار فيشبهه بالقصر،
ولم يفصل عن بعضه يكون ﴿كَأَنَّهُ﴾: حرف "ك" يفيد التشبيه والتقريب، يبدو كالشرارات الضخمة

﴿جَمَلَاتٌ صُفْرٌ﴾: قال مجاهد، والحسن: كالإبل السوداء، وقال ابن عباس: حبال السفن، وقال ابن عطاء: كقطع النحاس. والله ﷻ أعلم.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣٤)

﴿وَيْلٌ﴾: هلاكٌ، وعذابٌ، وخسرانٌ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: في هذا اليوم ﴿لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: تخصيماً للذين كذبوا برسالات ربهم وبالأخرة.

﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٣٥)

﴿هَذَا يَوْمٌ﴾: الرعب الشديد ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَنْطِقُونَ﴾: لا يتكلم أحدٌ رعباً، ولم يؤذن لهم، هذا حالُ المجرمين يوم القيامة.

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ (٣٦)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يُفيدُ الحالَ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْذَنُ﴾: غيرُ مسموحٍ لهم ﴿ف﴾: حرفٌ يفيدُ السببَ ﴿يَعْتَذِرُونَ﴾: ليعتذروا عن جرائمهم في الدنيا، وأولها الكفر، وهم لا يقدرُونَ على الكلام، قامت الحجة، ووقع عليهم العذاب.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣٧)

﴿وَيْلٌ﴾: هلاكٌ، وعذابٌ، وخسرانٌ وهلاكٌ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: في هذا اليوم، يوم القيامة ﴿ل﴾: حرفٌ تخصيصٌ ﴿لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: تخصيماً للذين كذبوا برسالات ربهم ﷻ ووعده بالأخرة.

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَى﴾ (٣٨)

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾: يوم الحساب بين الخلائق ﴿جَمَعْنَاكُمْ﴾: حشراً ﴿و﴾: أيضاً جمعنا ﴿الْأُولَى﴾: جمعهم الله ﷻ بقدرته في صعيدٍ واحدٍ، مع من سبق من الأمم؛ يسمعهم الداعي، ويراهم البصر، يتجمعون مع من كذبوا رسلهم نوحاً، وصالحاً، وهوداً، وعيسى، ولوطاً، وغيرهم ومحمداً عليهم الصلاة والسلام.

﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونَ﴾ (٣٩)

﴿فَإِنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿كَانَ لَكُمْ﴾: تحديداً ﴿كَيْدٌ﴾: إذا امتلكتكم حيلةً، ووسيلةً، وقدرةً على الإفلات من قبضة الله ﷻ، والنجاة ﴿فَ﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿كَيْدُونَ﴾: فاحتالوا على الله ﷻ، ولكتكم لا تستطيعون.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٠)

﴿وَيْلٌ﴾: هلاكٌ، وعذابٌ، وخسرانٌ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: في هذا اليوم يوم القيامة ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾: تخصيصاً للذين كذبوا برسالات ربهم ﷻ، ووعده بالآخرة.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ (٤١)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الْمُتَّقِينَ﴾: هنا تكونُ خاتمة المتقين، الذين عبدوا الله ﷻ يقيناً، طمعاً في رحمته ﷻ، وخوفاً من عذابه، إن أهل التقوى ﴿فِي ظِلَالٍ﴾: في الجنة، لأن الظلال فيها تمتد في نعيمٍ ورغدٍ، يعيشون في الفناء، بعيداً عن جهنم ولهيبتها ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال، أيضاً يشربون من ﴿عُيُونٍ﴾: من مصادر الماء؛ يشربون منها بطعمٍ ولذّةٍ مختلفة.

﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (٤٢)

﴿وَفَوَاكِهَ﴾: وجدوا أيضاً كل ما ترغب فيه أنفسهم ﴿مِمَّا﴾: مكونة من: من: هنا للنوع والجنس، و ما بمعنى الذي ﴿يَشْتَهُونَ﴾: يُحبون، ويتمنون أكله.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤٣)

﴿كُلُوا﴾: أمرٌ من الله ﷻ ﴿وَاشْرَبُوا﴾: أيضاً يُقال لهم ذلك على سبيل الإحسان ﴿هَنِيئًا﴾: من غير تنغيصٍ ولا كدرٍ ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى هو ثواب الذي ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: في حياتكم الدنيا، إيماناً، وطاعةً لله ﷻ.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤٤)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحد؛ للتعظيم والتوكيد ﴿كَذَلِكَ﴾: بمثل هذا ﴿نَجْزِي﴾: نكافئ جاءت بصيغة الجمع؛ للتعظيم ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: الذين عبدوا الله حقّ عبادته

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٥)

﴿وَيْلٌ﴾: هلاكٌ، وعذابٌ، وخُسرانٌ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: في هذا اليوم، يوم القيامة ﴿لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: تخصيصًا للذين كذبوا برسالات ربهم ﷻ ووعده بالآخرة.

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾ (٤٦)

﴿كُلُوا﴾: أيها الكُفَّار من الحرام ﴿وَتَمَتَّعُوا﴾: باقتراف المحرمات وهذا سيكون ﴿قَلِيلًا﴾: في حياتكم الدنيا، القليلة، الفانية ﴿إِنَّكُمْ﴾: أنتم بالتأكيد ربهم ﷻ، ووعده بالآخرة ﴿مُجْرِمُونَ﴾: أجرتم في حق أنفسكم، وفي حق خالقكم، فخرستم خُسرانًا مُبينًا. التكليف: كان هذا قول الله ﷻ للمجرمين في الدنيا.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٧)

﴿وَيْلٌ﴾: عذابٌ، وخُسرانٌ، وهلاكٌ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: في يوم القيامة ﴿لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: تخصيصًا للذين كذبوا ربهم والآخرة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ (٤٨)

﴿وَ﴾: عطفاً على ما سبق ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾: فقد قيل لهم في الحياة الدنيا صلُّوا مع المُصلِّين، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، وكان لفظ الركوع لأنه يعبر عن الخضوع والخشوع، ولأنه خاصٌ بصلاة المسلمين ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَرْكَعُونَ﴾: يرفضون الصلاة؛ مُستكبرين.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٩)

﴿وَيْلٌ﴾: هنا تكرار الوعيد والتهديد عذابٌ، وخُسرانٌ متصلٌ بما قبله؛ للتحذير والترهيب، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: في يوم القيامة ﴿لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: تخصيصًا للذين كذبوا ربهم والآخرة.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٠)

﴿ف﴾: حرف ربط جواب الشرط ﴿بِأَيِّ﴾: حرف استفهامٍ بغرض الاستتكار، بمعنى بأيِّ ﴿حَدِيثٍ﴾: كلامٍ أو نقاشٍ ﴿بَعْدَهُ﴾: لقد كفروا بالقرآن، ولم يؤمنوا به، وهو الذكر الحكيم،

والصراط المستقيم، هو الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء
﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فبأي كتابٍ بعد القرآن يؤمنون؛ آمنت بالله وبما أنزله ﷺ.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نرى صورةً واضحةً لعذاب الكفار يوم القيامة،
ونرى نعيم المؤمنين.



سُمِّيت "سورة النبأ" بهذا الاسم في أكثر المصاحف وكتب التفسير والسنة، ووجه التسمية
لوقوع كلمة "النبأ" في أولها، وسُمِّيت بسورة "عمًا يتساءلون" وسميت "سورة عمّ" وسورة
"يتساءلون"، وسورة "التساؤل" وسورة "المعصرات"، وهي صورة مكّية بالاتفاق، وترتيبها (٨٠)
في ترتيب النزول، نزلت بعد "المعارج"، وقبل سورة "النازعات"، وعدد آياتها (٤٠) آية عند
أصحاب العدد من أهل المدينة والشام والبصرة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١)

﴿عَمَّ﴾: عن أي شيءٍ عظيم الشأن ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾: يستفسر هؤلاء الكفار بعد أن جاءهم رسول
الله ﷺ؟ جاء الاستفهام هنا للتفخيم والتهويل والتقرير والتعجب؛ لأنهم كانوا يقولون ما الذي جاء
به محمد؟

﴿عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾ (٢)

﴿عَنِ﴾: حرف جرٍ يُفيد هنا السبب ﴿النَّبَاِ﴾: عن القرآن الكريم والبعث ﴿الْعَظِيمِ﴾: الخبر
الهائل، الذي ينبئ عن التوحيد وتصديق الرسول؛ والذي تحدث عن البعث والنشور بعد الموت،
وعن الجنة والنار، وقد يكون المقصود خبر يوم القيامة، والله أعلم.

﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ (٣)

﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد؛ وهنا المقصود النبأ ﴿هُمَّ﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي
للتخصيص، هنا للذين كذبوا به ﴿فِيهِ﴾: واختلفوا فيه بين مُصدقٍ ومُكذِّبٍ، وبين مؤمنٍ وكافرٍ،

فهم في وصفه ﴿مُخْتَلِفُونَ﴾: الذي شكَّ فيه كَفَّار قريشٍ وكذبوا به؛ فكانوا بين قائل عن القرآن إنَّه قولٌ ساحرٍ، أو قولٌ شاعرٍ، أو أساطيرُ الأولين، أو قول كاهن، وإذا كان يوم القيامة فهم بين مؤمنٍ مصدقٍ وكافرٍ مُنكرٍ.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (٤)

﴿كَلَّا﴾: حرف ردعٍ وزجرٍ واستتكارٍ حقًّا؛ بسبب اختلاف الكفَّار فيه ﴿س﴾: حرف تأكيد الفعل في المستقبل ﴿يَعْلَمُونَ﴾: المقصود هنا هم الكفَّار فقط؛ سيصلهم خبر القرآن الكريم، وسيصلهم خبرُ القيامة، هذا تهديدٌ مؤكَّد.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (٥)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفيدُ التتابع الزمني غير السريع، تكرر هنا للمبالغة والتشديد في الوعيد ﴿كَلَّا﴾: حرف ردعٍ وزجرٍ واستتكارٍ، حقًّا وصدقًا ﴿س﴾: حرف استقبال، يُفيد التحقق في المستقبل سيأتيتهم الخبر اليقين وعندها ﴿يَعْلَمُونَ﴾: وسيعرفون الأمور العجيبة الدالة على قدرة الله ﷻ.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ (٦)

﴿أَلَمْ﴾: حرف استفهام بغرض الإقرار ﴿نَجْعَلِ﴾: صيْرنا ﴿الْأَرْضَ مِهَادًا﴾: والبسط هو نشر الشيء وتوسعته ومنها جاء البساط من بسطه، تسهل حركتهم عليها، والاستقرار عليها، وصيْرنا فيها مساحاتٍ مُدلَّلةً للزراعة، والسكن، والسير.

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (٧)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحال؛ أيضًا صيْرنا ﴿الْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾: ثبتنا الأرض بالجبال كالأوتاد، تمنعها من الاضطراب في دورانها حول نفسها، وحول الشمس.

﴿وَوَخَّلَفْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ (٨)

﴿وَوَخَّلَفْنَاكُمْ﴾: أوجدناكم من غير وجودٍ سابق ﴿أَزْوَاجًا﴾: الذكر والأنثى؛ للزواج، والإنجاب، وعمارة الأرض.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ﴾ (٩)

﴿وَجَعَلْنَا﴾: قَدَرْنَا ﴿تَوَمَّكُمْ﴾: في الليل والنَّهَار ﴿سُبَاتًا﴾: السبات هو الموت إحدى الموتتين، فالنائم، المسبوت يشبه الميت ولكن لم تفارقه الروح، هو الانقطاع، توقف الحركة، راحةً للأبدان حتى تتخلص من إفرازات الجسم الضارة بسبب العمل طوال النَّهَار.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ (١٠)

﴿و﴾: أَيضًا ﴿جَعَلْنَا﴾: قَدَرْنَا ليكون ﴿اللَّيْلَ﴾: حيث تغيب الشمس وتُظلم الأرض ﴿لِبَاسًا﴾: هنا تشبيهه بليغ؛ لأنه في الحالتين يحدث الستر؛ ما يستر، ويُغطي، ويمنع، ويصدّ كأنّ الظلام ساترٌ، يُغطي النَّاس والأرض بسواده، كأنّ لباسًا وُضِع على جسدٍ؛ فغطّاه؛ ليسكن.

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (١١)

﴿وَجَعَلْنَا﴾: قَدَرْنَا ليكون ﴿النَّهَارَ مَعَاشًا﴾: لتحصيل الرزق، والحركة، والعمل، من العيش، وهي الحياة التي قوامها الأكل والشرب، وما يلزم ذلك من زراعةٍ وصناعةٍ وغيرها، وأدوات الكسب؛ لتوفير ذلك، وبذلك يعيش ويحيا الإنسان.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ (١٢)

﴿وَبَنَيْنَا﴾: السماوات المبنية على علاقات عظيمة، من الجاذبية، والطرْد المركزي ﴿فَوْقَكُمْ﴾: في السماء التي تعلوكم وتُحيطُ بكم بحكم بيضاوية شكل الأرض ﴿سَبْعًا﴾: السموات السبع ﴿شِدَادًا﴾: متينةُ البُنْيَان، محكمةُ العمل في اتساعها، وابتعادها، وإتقانها.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾ (١٣)

﴿وَجَعَلْنَا﴾: خلقنا وقَدَرْنَا لتكون الشمس ﴿سِرَاجًا﴾: مُصْبِحًا عظيمًا، وهي الشمس التي تُضيء الكون ﴿وَهَاجًا﴾: مُشْتَعَلًا مُضِيئًا، مُكوَّنًا من كتلةٍ جبارةٍ من غاز الهيليوم المُشتعل، تصل درجة حرارة الشمس (١٥) مليون درجة مئوية، وعلى أطرافها تصل درجة الحرارة (٦) ملايين درجة مئوية، بينما درجة حرارة جسم الإنسان (٣٧) درجة مئوية؛ وبفعل الحرارة الهائلة تتحد جزيئات الذرة؛ وتنتج غاز الهيدروجين الذي يكون (٩٢.١) % من مادة الشمس، ثم يتحول الهيدروجين إلى غاز الهيليوم؛ فينشأ ضوء الشمس.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ (١٤)

﴿و﴾: أيضًا ﴿أَنْزَلْنَا مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿الْمُغْصِرَاتِ﴾: السحبِ الْمُحْمَلَةِ ببخار الماء؛ قال: ابن عباس: الرياح، والسحاب ﴿مَاءً﴾: ماء المطر ﴿تَجَابًا﴾: قال مجاهد: مُنْصَبًا بكثرة، وقال الثوري: مُتْتَابِعًا، وقال ابن زيد: كثيرًا، وكلُّها صحيح؛ والله أعلم.

﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ (١٥)

﴿ل﴾: حرف علةٍ وسبب ﴿نُخْرِجَ﴾: نُنبِثُ ﴿بِهِ﴾: بالماء النازل على الأرض ﴿حَبًّا﴾: من حبوب القمح، والشعير، والذرة، والأرز وغيرها مما يُؤكل ويُخزّن من الحبوب ﴿وَنَبَاتًا﴾: أيضًا نُخرج كلَّ ما ينبت من خضرواتٍ، وفواكه، وأشجارٍ، وأعشابٍ.

﴿وَجَنَاتٍ أَلْفَافًا﴾ (١٦)

﴿و﴾: أيضًا نُخرج به ﴿جَنَاتٍ﴾: البساتين، والحدائق ذات الثمار المتنوعة، والألوان، والأطعمة، ذات الروائح المختلفة، التي تنبت في مكانٍ واحدٍ ﴿أَلْفَافًا﴾: قال ابن عباس: مُجمعة. وهي التي تلتف من كثافتها ببعضها، كما في قوله ﷺ: ﴿قَطَعَ مُتَجَاوِرَاتٍ وَجَنَاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ﴾ [الرعد-٤].

﴿إِنْ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ (١٧)

﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿يَوْمَ﴾: جاء بصيغة نكرة لبيان تفخيمه وتهويله ﴿الْفُضْلِ﴾: لأن الله ﷻ يفصل فيه يوم القيامة بين العباد؛ وهو مفصولٌ عن يوم النفخ في الصور ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾: يومًا مؤقتًا؛ مُحدَّدًا بأجلٍ، لا يُزاد عليه ولا يُنقص منه.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ (١٨)

﴿يَوْمَ﴾: هو اليوم الذي فيه ﴿يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾: ينفخ الملك الكريم إسرئيل في البوق. انظر تفسير [يس-٥١] ﴿ف﴾: حرف استثنائيٍ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿تَأْتُونَ﴾: تخرجون من القبور ﴿أَفْوَاجًا﴾: قال: مجاهد: زُمْرًا، وقال ابن جرير: تأتي كلُّ أمةٍ مع رسولها، جاء في المعنى قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ [الإسراء-٧١].

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ (١٩)

﴿وَفُتِحَتْ﴾: أمر الله ﷻ بفتح ﴿السَّمَاءِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها كروية، أصبح فيها مسالك وطُرق ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب ﴿كَانَتْ﴾: صارت ﴿أَنْبَابًا﴾: لفتحات في السماء، يدخل، ويخرج منها الملائكة.

﴿وَسَيَّرَ الْجِبَالَ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ (٢٠)

﴿وَسَيَّرَ الْجِبَالَ﴾: نُسفت من مواقعها، وصارت: ﴿كَانَتْ﴾: صارت ﴿السَّرَابَ﴾: حرفٌ استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿كَانَتْ﴾: صارت ﴿سَرَابًا﴾: يُخَيَّل للإنسان أنها موجودة، وهي غير موجودة، كسراب الماء.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ (٢١)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي والشك والإنكار ﴿جَهَنَّمَ كَانَتْ﴾: وباقية إلى ما شاء الله ﷻ ﴿مِرْصَادًا﴾: ترصد الكافرين، وهي مُرصدةٌ ومستعدةٌ.

﴿لِلطَّاغِيْنَ مَا بَأْسًا﴾ (٢٢)

﴿ل﴾: حرف تخصيصٍ وتمليكٍ ﴿الطَّاغِيْنَ﴾: تخصيصًا للعصاة، المُتجبرين، المُخالفين للرسول ﴿مَا بَأْسًا﴾: مآلاً، ومتقلباً، وسكنًا، ومصيرًا.

﴿لَا يَبْقَىٰ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (٢٣)

﴿لَا يَبْقَىٰ﴾: ماكين ﴿فِيهَا﴾: باقين في جهنم ﴿أَحْقَابًا﴾: جمع حقب، وهو مُدَّة من الزمن، وعن مقداره قال علي بن أبي طالب: ثمانون سنة. كل سنة اثنا عشر شهرًا، وكل شهر ثلاثون يومًا، وكلُّ يومٍ كآلف سنةٍ مما تعدون، وقال الحسن، والسدى: سبعون سنة.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ (٢٤)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَذُوقُونَ﴾ والذوق هو فقط للطعام، وكإشارة إلى أنّ كلَّ أدوات الحواس الجلد والشم وغيرها سيصيبها ﴿فِيهَا بَرْدًا﴾: لا ينعْمون بأجسادهم، ولا ينتفسون هواءً باردًا؛ لا يُخَفِّف عنهم حرَّ جهنم ﴿وَلَا﴾: حرف نفي لا يشربون ﴿شَرَابًا﴾: ولا يوجد ما يشربون؛ فتخفُّ حرارة جهنم التي يصلونها.

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا﴾ (٢٥)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿حَمِيمًا﴾: قال الربيع بن أنس: الحارُّ جدًّا ﴿وَعَسَاقًا﴾: أيضًا هو سيلٌ وتجمعُ صديدِ أهلِ النَّارِ، وعرقهم، ودموعهم وجروحهم. لا يُستساغ من برده، ولا يُواجه من رائحته النتنة.

﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ (٢٦)

﴿جَزَاءً﴾: عقابًا ﴿وَفَاقًا﴾: وفق ما ارتكبوا من جرائم؛ فالجزاء من جنس العمل.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ (٢٧)

﴿إِنَّهُمْ﴾: هم الكفار بكلِّ تأكيد ﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَرْجُونَ﴾: لا يريدون، لا يخافون، ولا يعتقدون، ولا يُصدقون ﴿حِسَابًا﴾: محاسبة الله ﷻ لهم، ولا بقيام القيامة التي فيها العقاب وفيها الثواب.

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ (٢٨)

﴿وَكَذَّبُوا﴾: عطفًا على تكذيبهم أنكروا أدلّة، وبراهين، وآيات الله ﷻ ﴿ب﴾: حرف باء الصلة والمصاحبة ﴿آيَاتِنَا﴾: أدلّة وبراهين الله ﷻ المُنزلة على محمد ﷺ ﴿كِذَابًا﴾: كذبوا تكذيبًا كبيرًا.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ (٢٩)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيدُ الحالَ فإنَّ ﴿كُلَّ﴾: تفيدُ العمومَ ﴿شَيْءٍ﴾: تؤكدُ العمومَ؛ لأنّها جاءت بصيغة نكرة ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾: جمعنا كلَّ أعمالِ البشرِ وكتبناها عليهم ﴿كِتَابًا﴾: نحاسبهم عليها إن خيرًا؛ فخير، وإن شرًّا فشر؛ هذا هو العدل.

﴿فَدُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ (٣٠)

﴿ف﴾: حرف استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿دُوقُوا﴾: والذوق هو فقط للطعام، وكإشارةٍ إلى أنّ كلَّ أدوات الحواسِ الجلد والشم وغيرها سيصيبها يا أهل النَّارِ، اصلوا العذاب ﴿فَلَنْ﴾: حرف نفي ﴿نَزِيدَكُمْ﴾: نُضاعف لكم أضعافًا ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿عَذَابًا﴾: عذابًا فوق العذاب، قال قتادة: لم ينزل على أهلِ النَّارِ آيةً أشدَّ من هذه الآية؛ لأنَّ فيها مزيدًا من العذاب.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ (٣١)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿ل﴾: تخصيصاً ﴿الْمُنْتَقِينَ﴾: الذين عبدوا الله يقيناً، طمعاً في جنته، وخوفاً من عذابه ﴿مَفَازًا﴾: مكان الفائزين، يفوزون فيه، وقال ابن عباس: مُتَنَزِّهًا، وقال مجاهد: فازوا فنجوا من النَّار، وقيل فوزًا كبيرًا، وظفرًا بدخول الجنة.

﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ (٣٢)

﴿حَدَائِقَ﴾: البساتين، والنخيل، وغيرها ﴿وَأَعْنَابًا﴾: أيضًا من جنس الفواكه؛ والله أعلم.

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ (٣٣)

﴿و﴾: أيضًا ﴿كَوَاعِبَ﴾: قال ابن عباس، ومجاهد: فتيات ناهدات لم تتدلَّ أثداؤهن؛ فالكواعب هنا هي النهدي؛ لأنهن عُرب ﴿أَتْرَابًا﴾: متساويات في السن.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ (٣٤)

﴿وَكَأْسًا﴾: آنية، وعاء المشروب ﴿دِهَاقًا﴾: قال ابن عباس: مملوءة مُتَتَابِعَةً، وقال عكرمة: صافية، وقال مجاهد، والحسن: المملأى المترعة، وقال سعيد بن جبیر: المتتابع، وكلُّها تفيد الكثرة، والجودة، والاستمرار.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا﴾ (٣٥)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾: لا يصل إلى مسامعهم في الجنة ﴿لَغْوًا﴾: الكلام الكذب، أو يسمعون كلامًا بلا فائدة ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿كِدَابًا﴾: لا يكذب بعضهم على بعض، بل يسمعون كلامًا كاملًا، ليس فيه نقص.

﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ (٣٦)

﴿جَزَاءً﴾: ثوابًا ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾: هو ﷻ المعبود، والمُربّي، وهو المنشئ للمخلوق من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام، وهو ﷻ الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد؛ فهو ﷻ مالك أمرِك كلّه ﴿عَطَاءً﴾: منحة، وعطية، وإحسانًا، وهبةً ﴿حِسَابًا﴾: كافيًا وافيًا سالمًا كثيرًا.

﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ (٣٧)

﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها لأنها بيبضاوية ﴿و﴾: أيضًا مالك الأرض: ﴿وَمَا﴾: وما فيهما ﴿وَمَا﴾: الذي ﴿بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾: رحمان الدنيا والآخرة، الذي شملت رحمته كل شيء ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَمْلِكُونَ﴾: لا يستطيعون وليس من حقهم ﴿مِنْهُ خُطَابًا﴾: لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته، كطلب الشفاعة مثلًا إلا بإذنه ﷻ.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (٣٨)

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾: قال الشعبي، وسعيد بن جبير، والضحاك: هو جبريل عليه السلام، وقال ابن عباس: أرواح بني آدم، وقال الحسن، وقتادة: بنو آدم، وقال ابن عباس ومجاهد: خلق على هيئة بني آدم، ليسوا بملائكة، ولا ببشر، وقال ابن عباس: ملك. وقيل ملك بقدر جميع المخلوقات، هو ملك عظيم من أعظم الملائكة خلقًا ﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال؛ أيضًا تقوم ﴿الْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾: مصطفين ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَتَكَلَّمُونَ﴾: بشفاعة أحد ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿أَذِنَ﴾: سمح ﴿لَهُ﴾: تحديدًا ﴿الرَّحْمَنُ﴾: وجاء اسم "الرَّحْمَنُ" في موقف الشفاعة؛ لأنها لحظات الرحمة، لا يتكلم أحد قبل أن يؤذن له ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾: قال الحق، ومنه أن يشهد أن لا إله إلا الله ﷻ.

التكليف: جاء ذكر جبريل عليه السلام، مرتين، الأولى يقوم الروح والثانية ضمن الملائكة لتأكيد عظمة قدره عند الله ﷻ.

﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاءَ﴾ (٣٩)

﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿الْيَوْمُ﴾: الذي جاء وصفه لكم هو ﴿الْحَقُّ﴾: الصحيح الصدق، كائن لا محالة ﴿فَمَنْ﴾: حرف استفهام استثنائي يفيد هنا عن العاقل ﴿شَاءَ﴾: أراد النجاة ﴿اتَّخَذَ﴾: نهج واعتمد ﴿إِلَىٰ رَبِّهِ﴾: مالك أمره كله ﴿مَا بَاءَ﴾: سبيلًا، ومرجعًا، يُهتدى به، ومنهجًا يتبعه.

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (٤٠)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضمير للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحد أحد؛ للتعظيم والتوكيد ﴿أَنْذَرْنَاكُمْ﴾: جاءت بصيغة الجمع، للتعظيم والتأكيد، أبلغناكم،

وحذرناكم، تخويفًا ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾: في يوم القيامة؛ ولأنه تحدّد فهو آتٍ، وكلُّ آتٍ قريب، وجاء في السياق: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: يُعرض على الإنسان جميع أعماله، خيرا وشرا، قديمها وحديثها، جاء في المعنى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف-٤٩] ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي﴾: مُتَمَنِّيًا ﴿كُنْتُ تُرَابًا﴾: حتى لا يتعذب. بعد أن يقتص الله ﷻ من الدواب، ويقول لها كوني تُرَابًا، فيتمنى الكافر يومها لو كان تُرَابًا، ولا يبقى على صورته، فيُعذَّب في النَّار خالداً فيها.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نجد الأدلّة، وصور، وأهوال، وأحوال الخلق يوم القيامة؛ يوم الثواب الجنّة، والعقاب النَّار.



سمّيت "سورة النازعات" بهذا الاسم في المصاحف وأكثر كتب التفاسير، ووجه التسمية لوقوع كلمة "النازعات" في بداية السورة، وقد سمّيت أيضاً سورة "الساهرة" و"سورة الطامة" وسورة "فالمدبرات" وهي سورة مكيّة بالاتفاق، وترتيبها في النزول (٨١) نزلت بعد سورة النبأ، وقبل سورة الانفطار، وعدد آياتها (٤٦) عند أهل الكوفة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ (١)

﴿و﴾: حرفٌ واو القسم، يُقسمُ اللهُ ﷻ بـ ﴿النَّازِعَاتِ﴾: وهي الملائكة التي تنزع، تجذب بقوة، أرواح الكفّار، كما ينزع النازع في القوس ﴿غَرْقًا﴾: تأخذ أرواح العباد بشدة، وعُسْرٍ؛ مؤلماً. التكليف: هنا ترتيب أعمال الملائكة دلالةً بأنّها أولاً أمرت، ثم سبحت؛ فسبقت؛ فدبرت ما أمرت بتدبيره؛ وهذه أفعالٌ للملائكة يتصل بعضها ببعض.

﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ (٢)

﴿و﴾: يُقسم الله ﷻ أيضًا بـ ﴿النَّاشِطَاتِ﴾: بالملائكة التي تأخذ روح ابن آدم المؤمن بسهولة ويسرٍ، وقيل النجوم الخارجات من الشرق إلى الغرب، وقيل الملائكة التي تنزع أرواح النَّاسِ ﴿نَشْطًا﴾: نزعًا سريعًا.

﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ (٣)

﴿و﴾: يُقسم الله ﷻ بـ ﴿السَّابِحَاتِ﴾: قال ابن مسعود: الملائكة التي تنزل من السماء إلى الأرض بسهولة ويسرٍ؛ كأنها تسبح بسهولة ويسرٍ، وقال قتادة: النجوم، وقال عطاء: السفن، وكلها من خلق وملك الله ﷻ، وهو أعلم.

﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ (٤)

﴿ف﴾: حرف استثنائي يُفيد ترتيب الأمر، وسرعة التنفيذ ﴿السَّابِقَاتِ﴾: الملائكة التي تُسابق بعضها في تأدية أمر الله ﷻ بقبض أرواح المؤمنين إلى الجنة ﴿سَبْقًا﴾: للتأكيد، وقيل إنَّ قسماً منهم تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء، حتى لا تسرقه الشياطين.

﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾ (٥)

﴿ف﴾: حرف سبب ﴿الْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾: يُقسم الله ﷻ بقسمٍ من الملائكة تُدبِّر، وتُنفِّذ الأمر من السماء إلى الأرض بأمر ربِّها.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ (٦)

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾: هنا جواب القسم، تتحرك الأرض والأجرام السماوية حركةً شديدةً؛ بسبب الصيحة العظيمة ﴿الرَّاجِفَةُ﴾: قال ابن عباس، ومجاهد: عند النفخة الأولى؛ نفخة الموت. وهي التي تتردد واضطرابٌ كالرعد، وهي النفخة الأولى؛ التي تسبب موت جميع الخلائق.

﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ (٧)

﴿تَتَّبِعُهَا﴾ بعد الرجفة الأولى تأتي ﴿الرَّادِفَةُ﴾: هي النفخة الثانية التي جاءت بعد النفخة الراجفة؛ لم يفصل الله ﷻ هنا بين الراجفة والرادفة بحرف واو؛ للدلالة على ترتيبهما بغير مُهلة، قال ابن عباس: النفخة الثانية؛ نفخة البعث.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (٨)

﴿قُوبٌ﴾: جاءت بصيغة النكرة لتفيد الجميع وبخاصةً أنّ أهل النَّار، وهم أكثر عددًا من أهل الجنّة؛ والمُرَاد هو عموم الخلق، وخاصّةً جنس الإنسان، وقلوبهم هي مراكز الإيمان أو الكفر ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿وَاجِفَةٌ﴾: مُضطربةٌ، قلقةٌ، خائفةٌ.

﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ (٩)

﴿أَبْصَارُهَا﴾: أبصار أصحابها، نظراتهم ﴿خَاشِعَةٌ﴾: ذليلةٌ، حقيرةٌ، منكسرةٌ؛ ملأها الخوف من الأهوال في هذا اليوم، يوم القيامة.

﴿يَقُولُونَ أَنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ (١٠)

﴿يَقُولُونَ﴾: هم الكافرون، مُستبَعدين البعث بعد الموت ﴿أَنَّ﴾: حرفُ استفهامٍ وإنكارٍ وتعجبٍ ﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر ﴿ل﴾: حرفُ علّةٍ وسببٍ ﴿مَرْدُودُونَ﴾: سيتم إرجاعنا ﴿فِي الْحَافِرَةِ﴾: والحافرة عند العرب تعني الأرض التي تُحفر فيها قبورهم؛ بمعنى هل سنعود للحياة على الأرض مرّةً أخرى؛ وتعني اسما لأول الشيء، وابتداء الأمر، بمعنى هل سنرجع إلى ما كنّا عليه في أول الأمر على الأرض مرّةً أخرى من القبور، بعد تفرّق أجسادنا؟ قال ابن عباس: الحافرة؛ هي الحياة بعد الموت.

﴿إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ (١١)

﴿أَنَّ﴾: حرفُ استفهامٍ وتعجبٍ ﴿إِذَا﴾: ظرفٌ لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداةٌ ربط ما بعدها بما قبلها ﴿كُنَّا﴾: صرنا ﴿عِظَامًا نَخِرَةً﴾: هل سنُجمَعُ عظامنا بعد أن تقننت وذاابت بالتراب؟

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ (١٢)

﴿قَالُوا﴾: الكفّار وأهل النَّار ﴿تِلْكَ﴾: حرفُ إشارةٍ للمؤنث البعيد، إذا حدث هذا، وأحيانا الله ﷻ بعد الموت؛ فهذه ﴿إِذَا﴾: حرفُ جوابٍ وجزاءٍ ﴿كَرَّةٌ﴾: رجعةٌ ﴿خَاسِرَةٌ﴾: غابنةٌ، لا مكاسب فيها، بل العذاب والخسارة الأبدية.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (١٣)

﴿فَانَمَا﴾: حرفٌ تحديديٌّ وتخصيصيٌّ ﴿هِيَ زَجْرَةٌ﴾: سُمِّيَتْ بزجرةٍ لِيُفْهَمَ منها النهي عن التخلف أو الامتناع ﴿وَاحِدَةٌ﴾: صيحةٌ واحدةٌ من الملك المكلف، نفخةُ البعث، إنّما هو أمرٌ من الله ﷻ، مرّةٌ واحدةٌ لا ثاني لها، ولا تأكيد لها.

﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (١٤)

﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد هنا جواب الشرط السبب وسرعة التنفيذ ﴿إِذَا﴾: ظرفٌ لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي تفيد الفجأة ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المذكور، وهي للتخصيص، وهنا هي للناس الذين بعد النفخة صاروا أحياءً ﴿ب﴾: حرف باء الصلة والمصاحبة ﴿السَّاهِرَةِ﴾: قال ابن عباس: هي الأرض كلها، وقال عكرمة، والحسن: وجه الأرض، وقال مجاهد: كانوا بأسفلها؛ فخرجوا إلى أعلاها. وقيل أرضٌ بيضاء عفراءٌ خاليةٌ، كالخيزرة النقية، اعتمادًا على قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم-٤٨].

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ (١٥)

﴿هَلْ﴾: حرف استفهام ﴿أَتَاكَ﴾: يقول ﷺ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ سوف أنبئك ﴿حَدِيثٌ﴾: قصة النبي ﴿مُوسَى﴾: هل سمعت بخبره؟

﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (١٦)

﴿إِذْ﴾: حرفٌ يُفيدُ: حدث في الماضي ﴿نَادَاهُ﴾: كلمه ﴿رَبُّهُ﴾: هو ﷻ المُعبود، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرٌ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد؛ فهو ﷻ المستجيب لكلِّ نداءٍ ﴿ب﴾: حرف باء الظرفية ﴿الْوَادِ﴾: منطقة بين مرتفعات ﴿الْمُقَدَّسِ﴾: المُطهر من الدنس ﴿طُوًى﴾: اسم الوادي.

﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (١٧)

﴿أَذْهَبَ﴾: أمرٌ ربّانيٌّ بذهاب موسى ﷺ ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾: حدّد الله ﷻ لِنَبِيِّهِ مهمة الذهاب إلى حاكم مصر الطاغية. ﴿إِنَّهُ﴾: هو فرعون مصر بالتأكيد ﴿طَغَى﴾: الذي تجرّب، وتمرد، وتجاوز المسموح؛ بالظلم، والاستبداد.

﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ﴾ (١٨)

﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿قُلْ﴾: يا موسى لفرعون ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام ﴿لَكَ﴾: أتريد يا فرعون أن تستجيب إلى طريقة ومسلك ﴿إِلَىٰ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَزَكَّىٰ﴾: تتطهر من الكفر والطغيان؟

﴿وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ (١٩)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال ﴿أَهْدِيكَ﴾: أدلك ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: عبادة مالك أمرك كله ﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌّ يفيد ترتيب الأمر وسرعة التنفيذ ﴿تَخْشَىٰ﴾: يخضع قلبك لله ﷻ، ويطيع، ويلين ويستجيب لله ﷻ.

﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ (٢٠)

﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب والتتابع السريع وتعني الإفصاح عن كلامٍ محذوفٍ؛ بمعنى فذهب فقال له ما قاله الله ﷻ ﴿أَرَاهُ﴾: أظهر موسى لفرعون ﴿الْآيَةَ﴾: الدليل والبرهان ﴿الْكُبْرَىٰ﴾: العصا التي تحوّلت إلى ثعبانٍ ضخٍ يتحركٌ ويسعى، ويبتلعُ ما صنع السحرة من حبالٍ وعصيٍّ، واليد التي تخرج بيضاء من غير مرض.

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ (٢١)

﴿ف﴾: حرف عطف يفيد السبب ﴿كَذَّبَ﴾: فرعون، وأنكر الحق ﴿وَعَصَىٰ﴾: أيضاً لم يطع موسى ﷺ.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ (٢٢)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يفيد التتابع الزمني مع التراخي؛ لأنَّ إبطال الأمر ونقضه؛ يقتضي زمناً طويلاً ﴿أَدْبَرَ﴾: ابتعد، وأدار ظهره للحق ﴿يَسْعَىٰ﴾: يجتهد في الإفساد، ومعارضة، وملاحقة موسى ﷺ، ونقض ما يقوله ﷻ.

﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ (٢٣)

﴿ف﴾: لهذا السبب وبسرعةٍ ﴿حَشَرَ﴾: جمع فرعونُ السحرة، والجُند، والوجهاء ﴿فَنَادَىٰ﴾: خطب منادياً في قومه للتحريض لينصروه على موسى ﷺ، بالنداء أولاً في قومه.

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (٢٤)

﴿ف﴾: حرف يُفيد التتابع السريع، فبعد النداء مباشرة ﴿قَالَ﴾: فرعون ﴿أَنَا﴾: ملك مصر ﴿رَبُّكُمُ﴾: مالك كل أمركم ﴿الْأَعْلَى﴾: الأعظم، لا طاعة لأحدٍ غيري، قال ابن عباس ومجاهد: قال فرعون هذا بعد أربعين سنة من قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص-٣٨].

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ (٢٥)

﴿ف﴾: بسبب طغيانه ﴿أَخَذَهُ اللَّهُ﴾: عاقبه الله ﷻ، وانتقم من فرعون بالغرق ﴿نَكَالَ﴾: عقوبة وردعًا على ﴿الْآخِرَةِ﴾: قدم الله ﷻ الآخرة التي قال فيها ما علمت لكم من إلهٍ غيري ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يُفيد الحال، مثل أخذ نكال ﴿الْأُولَى﴾: أيضًا كان فيها كفر؛ جعله الله ﷻ عبرةً لأمثاله في الدنيا؛ وعبرةً في الآخرة، وهذا الأصح؛ والله أعلم، وقيل عقوبةً على الكلمتين الأولى والثانية، وقيل كفره وعصيانه.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ (٢٦)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: في الذي حدث لفرعون ﴿ل﴾: حرف سبب ﴿عِبْرَةٌ﴾: موعظةٌ وزجرًا ﴿لِمَنْ﴾: من بني آدم الجنس العاقل ﴿يَخْشَى﴾: لمن يتعظ، ويعتبر، ويخاف عذاب ربّه ﷻ.

﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ (٢٧)

﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض التوبيخ، هل ﴿أَنْتُمْ﴾: تحديدًا ﴿أَشَدُّ﴾: أقوى ﴿خَلْقًا﴾: جاء اللفظ القرآني "خلق" على سبعة أوجه، هنا بمعنى البعث؛ كما في قوله ﷻ ﴿فَأَسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات-١١]، وفي قوله ﷻ ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس-٨١]؛ أي هل بعثكم أصعبُ على الخالق؟ ﴿أَمْ﴾: هل خلق ﴿السَّمَاءُ﴾: كل ما علا الأرض وأحاط بها التي ﴿بَنَاهَا﴾: التي أنشأها الله ﷻ. بقوانين الجاذبية وفي مقابلها قوانين الطرد المركزي.

التكليف: هل خلقكم وبعثكم بعد الموت أشدُّ في تقديركم أم خلق السماوات؛ لأنَّ من قدر على خلق السماء بهذه الأجرام العظيمة كيف يعجز عن إعادة الأجسام البشرية إلى الخلق الأول؟

﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ (٢٨)

﴿رَفَعَ﴾: أعلى ﴿سَمَكَهَا﴾: بُنيانها، ورفع سقفها ﴿ف﴾: حرف استثنائي يُعِيدُ ترتيب الأمر وسرعة التنفيذ لهذا السبب ﴿سَوَّاهَا﴾: قوية البناء، مستوية الأرجاء، مطلة على الكواكب.

﴿وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ (٢٩)

﴿و﴾: حرف عطف يُفيدُ الحال ﴿أَعْطَشَ لَيْلَهَا﴾: جعل الليل فيها مُظلمًا، والأعطش هو الذي في عينه شبه عمش، والتعاطش هو التعامي ﴿و﴾: أيضًا ﴿أَخْرَجَ﴾: أبرز وأظهر ﴿ضُحَاهَا﴾: جعل نهارها مُضيئًا، واضحًا، وهو أشرف أوقاته وأطيبها.

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (٣٠)

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾: بعد خلق ما سبق ﴿دَحَاهَا﴾: بسطها أي نشرها ووسعها والبساط هو من الأرض الواسعة، وأودع فيها منافعها، وأوسعها.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ (٣١)

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا﴾: وضع فيها ﴿مَاءَهَا﴾: الذي يُسَخَّرُهُ ﷻ من البحار بُخارًا، يسقط حيث شاء الله ﷻ، واستودع باطنها الماء؛ يتفجر عيونًا ﴿و﴾: أيضًا أخرج ﴿مَرْعَاهَا﴾: كل ما يأكله مما على ظهرها من حيوانٍ، وطييرٍ، ومن على ظهرها من بشر.

﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ (٣٢)

﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾: جعلها ثابتة؛ لتضمن توازن حركة الأرض الدائمة، حول نفسها، وحول الشمس.

﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ (٣٣)

﴿مَتَاعًا لَكُمْ﴾: تخصيصًا كل ذلك فائدةً تتعمون بها، من أكلٍ وشربٍ ﴿و﴾: أيضًا ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿أَنْعَامِكُمْ﴾: تخصيصًا ما تحتاج إليه الأنعام، والفائدة لكم.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ (٣٤)

﴿فَإِذَا﴾: حرف مفاجأة وأمر للمستقبل ﴿جَاءَتْ﴾: قامت ﴿الطَّامَّةُ﴾: الداهية ﴿الْكُبْرَى﴾: النفخة الثانية من يوم القيامة، التي تطمُ وتطغى على كلِّ أمرٍ هائلٍ مفرع، جاء في السياق: ﴿وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾ [القمر-٤٦].

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ (٣٥)

﴿يَوْمَ﴾: في هذا اليوم ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾: يستعيد الإنسان ذكريات ﴿مَا﴾: الذي ﴿سَعَى﴾: ما عمل في دنياه، خيره وشره.

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ (٣٦)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيدُ الحال ﴿بُرِّزَتِ﴾: أظهرت ﴿الْجَحِيمُ﴾: النار، فرآها الخلق، بدت واضحة ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿مَنْ﴾: من جنس العاقل من بني آدم ﴿يَرَى﴾: يُشاهد عيانًا.

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ (٣٧)

﴿فَأَمَّا﴾: حرف استفتاح بمعنى أي ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس البشر ﴿طَغَى﴾: ظلم، وتجبر، وتجاوز الحدَّ في ضلاله.

﴿وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٣٨)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيدُ الحال؛ عطفًا على طغيانه ﴿أَثَرَ﴾: فضل وقدم متاع ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: فيما عمله وفق هواه على الأرض، عكس ما أمر ربّه ﷻ، وضيع آخرته بالكفر، والقتل، وفعل المحرّمات فإنّ مصيره.

﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (٣٩)

﴿ف﴾: يفيد السبب ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿الْجَحِيمَ﴾: النَّار ﴿هِيَ﴾: ضمير للمفرد المؤنث ﴿الْمَأْوَى﴾: فيها الإقامة الدائمة، العذاب المستمر؛ مطعمه من الزقوم، وشرابُه من الحميم.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ (٤٠)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿أَمَّا﴾: حرف تفضيلٍ، وتأكيدٍ، واستفتاحٍ ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾: المؤمنُ الذي خشي الله ﷻ في دنياه، فاتّبع أوامره، وانتهى عن نواهيه منها قيامه بين يديه ﷻ عمّا قدّم وأخر ﴿وَنَهَى﴾: منع أيضًا ﴿النَّفْسَ﴾: جوهر الإنسان،

عمّا تريد وترغب، من شهواتٍ مخالفةٍ لما أمر الله ﷻ، ورسوله، وخاف الوقوف يوم القيامة بين يدي ربّه، وخاف حكمه، ودعا نفسه إلى الطاعة وأبعدها ﴿عَنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد هنا المجاوزة ﴿الْهَوَى﴾: جاء اللفظ القرآني "يهوى" على أربعة وجوه؛ هنا بمعنى ما تشتهيهِ الأنفس كما في قوله ﷻ ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم-٢٣]، وفي قوله ﷻ ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه-١٦]، وفي قوله ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الفصص-٥٠].

﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (٤١)

﴿فَإِنَّ﴾: بالتأكيد ﴿الْجَنَّةَ﴾: بنعيهما ﴿هِيَ﴾: تحديداً ﴿الْمَأْوَى﴾: هي المصير والمقام الدائم.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (٤٢)

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: يسألك المؤمن والكافر، يا محمد ﷺ ﴿عَنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد هنا الظرف، يوم القيامة ﴿السَّاعَةِ﴾: يوم القيامة ﴿أَيَّانَ﴾: عبارة تفيد وقت الشيء، والمعنى متى ﴿مُرْسَاهَا﴾: تقع، تقوم القيامة؟

﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ (٤٣)

﴿فِيمَ﴾: ليس من شأنك ولا اختصاصك ﴿أَنْتَ مِنْ﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية ﴿ذِكْرَاهَا﴾: يا محمد ليس علمها عندك يا محمد ﷺ، ولا عند أحدٍ من الخلق، بل مردها إلى الله ﷻ، سأل رسول الله ﷺ جبريل عن وقت الساعة؛ فقال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل.

﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ (٤٤)

﴿إِلَى رَبِّكَ﴾: والرب هو الله ﷻ المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ لكل شيء من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد؛ فهو ﷻ مالك كلِّ أمرٍ ﴿مُنْتَهَاهَا﴾: إنّ منتهى علم الساعة عند الله ﷻ وحده، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ "يُسْأَلُ عَنِ

السَّاعَةِ حَتَّىٰ أَنْزَلَ عَلَيْهِ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ [النازعات-٤٣] قَالَ: «فَأَنْتَهَىٰ»^(١).

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا﴾ (٤٥)

﴿إِنَّمَا﴾: أدأه حصرِ تقييد التحديد والتخصيص ﴿أَنْتَ﴾: إنَّ دورك يا محمد ﷺ أنك ﴿مُنذِرٌ﴾: مُحذِّر ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل الذي ﴿يَخْشَاهَا﴾: يخاف مقام ربِّه، ويصدِّق بوعده، واتبَعك؛ فأفْلح، وأمَّا الذي خالف وكذَّب وعصى فهم جميعًا:

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُتُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (٤٦)

﴿كَأَنَّهُمْ﴾: حرف "ك" يفيد التشبيه والتقريب ﴿يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾: يوم تقوم القيامة؛ كأنَّ ما رأوه وعاشوه في الدنيا ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَلْبُتُوا﴾: يُقيموا إقامةً دائمةً، يعيشوا في الدنيا ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿عَشِيَّةً﴾: ليلةً من يومٍ؛ وصفها ابن عباس: العشيَّة ما بين الظهر وغروب الشمس، أو وقت منتصف النَّهار ﴿أَوْ﴾: حرف تسوية بين أمرين ﴿ضُحَاهَا﴾: المراد تحقير وتقليل مدَّة الدنيا بالتشبيه إلَّا ساعة من نهار، جاء اللفظ القرآني الضحي على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى إذا دخل النَّهار أول ساعة؛ ما بين طلوع الشمس إلى منتصف النهار.
التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ عُرضت مشاهد الموت، والبعث، والحشر، وكلَّها مُرعبة.



سميت سورة "عبس" في المصاحف وكتب التفسير والسنة ووجه التسمية لوقوع لفظ "عبس" ولم يقع في غيرها، كما سُميت بسورة "ابن أم مكتوم" وسورة "الصاخة" وسورة "السفرة" وسورة "الأعمى"، وهي سورة مكِّيَّة بالاتفاق، وهي في ترتيب السور رقم (٢٤) نزلت بعد سورة "والنجم" وقبل سورة "القدر"، وعددُ آياتها عند العادين من أهل المدينة وأهل مكَّة والكوفة (٤٢) آية.

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٥٥٨/٢ (٣٨٩٥). وقال: صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ (١)

سبب النزول: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَنْزَلَ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ [عبس - ١] فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومِ الْأَعْمَى، أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَشِدْنِي، وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَى الْآخِرِ، وَيَقُولُ: «أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بَأْسًا؟» فَيَقُولُ: لَا، فَفِي هَذَا أَنْزَلَ".^(١)

﴿عَبَسَ﴾: قَطَّبَ وَجْهَهُ، وَظَهَرَتْ عَلَامَاتُ عَدَمِ الرِّضَا عَلَى وَجْهِهِ الْمَقْصُودِ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، كَانَ الرَّسُولُ يَتَحَدَّثُ مَعَ أَبِي بَنِ خَلْفٍ أَحَدِ كِبَارِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ يَطْمَعُ فِي إِسْلَامِهِ؛ وَفَجْأَةً جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ كَفِيفٌ، وَكَانَ قَدْ أَسْلَمَ؛ فَجَعَلَ يَسْأَلُ الرَّسُولَ وَيُلْحِقُ عَلَيْهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ ﷻ، وَأَخَذَ يَكْرُرُ هَذَا؛ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ ﷺ مَشْغُولٌ مَعَ الْمُشْرِكِينَ؛ فَكَرِهَ الرَّسُولُ وَوَدَّ ﷺ أَنْ يَتَوَقَّفَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ عَنِ السُّؤَالِ؛ وَعَبَسَ فِي وَجْهِهِ؛ مَعَ أَنَّ الْعَمَى يَسْتَوْجِبُ الْعَطْفَ وَالرَّأْفَةَ لَذَوِي الْعَاهَاتِ؛ لَا التَّوَلَّى وَالْعَبُوسَ فِي وَجْهِهِمْ؛ فَنَزَلَتْ الْآيَةُ ﴿و﴾: حَرَفٌ عَطْفٌ يُفِيدُ الْحَالَ ﴿تَوَلَّى﴾: أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ الشَّرِيفِ ﷺ.

﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ (٢)

﴿أَنْ﴾: حَرَفٌ تَأْكِيدُ الْفِعْلِ ﴿جَاءَهُ﴾: وَصَلَ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿الْأَعْمَى﴾: الرَّجُلُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ؛ فَقَطَعَهُ عَمَّا هُوَ مَشْغُولٌ بِهِ مِنْ دَعْوَةِ بَعْضِ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ لِلْإِسْلَامِ.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾ (٣)

﴿وَمَا﴾: حَرَفٌ اسْتِفْهَامٌ ﴿يُدْرِيكَ﴾: مَا يُعْلَمُكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ؛ هُنَا الْتِفَاتٌ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخَطَابِ لِمَزِيدٍ مِنَ الْإِنْكَارِ، بِمَعْنَى أَيِّ شَيْءٍ جَعَلَكَ تُعْرِضُ عَنْهُ ﴿لَعَلَّهُ﴾: حَرَفٌ يُفِيدُ التَّوَقُّعَ وَالتَّرْجِيءَ، الْمَقْصُودُ هُنَا الْأَعْمَى ﴿يَزَكِّي﴾: يَتَطَهَّرُ بِمَا تَعَلَّمَهُ مِنْكَ.

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ (٤)

^(١) سنن الترمذي ٤٣٢/٥ (٣٣٣١) وقال: حديث حسن غريب. قال الأرنؤوط في حاشية صحيح ابن حبان ٢٩٤/٦: إسناده صحيح على شرط مسلم.

﴿أَوْ﴾: حرفٌ يُفيدُ التسوية بين متعاطفين بين يزكى و ﴿يَذَكِّرُ﴾: يتعظ بما يسمع منك، ويتجنب المحارم ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب ﴿تَنْفَعَهُ﴾: تفيده ﴿الذِّكْرَى﴾: يحصل له المزيد من الاعتبار والزجر، يفوز برضا الله ﷻ بتطهره.

﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾ (٥)

﴿أَمَّا﴾: حرفٌ يُفيدُ التفضيل والتوكيد ﴿مَنِ﴾: الذي من جنس بني آدم ﴿اسْتَغْنَى﴾: الغنى بنفسه بما يملك من المال، والجاه، واستغنى عن الإيمان، وكان المقصود أبي بن خلف، وهذا يشمل كل إنسانٍ كافرٍ.

﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ (٦)

﴿ف﴾: حرف يفيد سبباً ﴿أَنْتَ﴾: ولم يقل ﷺ له يا محمد ﷺ ﴿لَهُ﴾: تحديداً ﴿تَصَدَّى﴾: لمزيد من تنفير للنبي من الإقبال عليهم والإصغاء لكلامهم والانشغال عن الأعمى تتعرض له، وتقبل عليه؛ حتى يهتدي.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾ (٧)

﴿وَ﴾: عطفًا على هذا ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿عليك﴾: لست مُطالبًا به ﴿أَلَّا﴾: حرف تنبيه ﴿يَزَّكَّى﴾: بمعنى اجتهد ولا شيء عليك إذا لم يتطهر من كفره ويُسلم.

﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ (٨)

﴿وَأَمَّا﴾: حرفٌ يُفيدُ التفضيل والتوكيد ﴿مَنْ﴾: العاقل الذي ﴿جَاءَكَ يَسْعَى﴾: الذي كان حريصًا على لقائك وهو الأعمى الذي جاءك ليهتدي بما تقول.

﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ (٩)

﴿وَ﴾: حرفٌ عطفٌ يُفيدُ الحال ﴿هُوَ﴾: ضمير رفعٍ منفصل للغائب المفرد، يقصد الأعمى ﴿يَخْشَى﴾: يخاف الله ﷻ من التقصير في الاسترشاد.

﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ (١٠)

﴿ف﴾: حرف تتابع سريع وسبب ﴿أَنْتَ﴾: تحديداً ﴿عَنْهُ﴾: عن الأعمى ﴿تَلَهَّى﴾: تتشاغل، وتعرض عنه لتتنظر إلى وجهاء المشركين.

﴿كَلَّمَ إِنَّهَا تَذَكِّرَةٌ﴾ (١١)

﴿كَلَّمَ﴾: حرف ردعٍ وزجرٍ واستنكارٍ، حقا ليس المطلوب ما فعلت ﴿إِنَّهَا﴾: هي بالتأكيد
﴿تَذَكِّرَةٌ﴾: لا تعدّ لمثل هذا، ليس الأمر كما فعلت أيّها الرسول، إنّ هذه السورة موعظةٌ، وتذكيرٌ،
ووصيةٌ في هذه الآيات للمساواة بين الناس، وإبلاغُ القرآن للغني والفقير هو على حدٍ سواء.

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ (١٢)

﴿فَمَنْ﴾: حرف استفهامٍ استثنائيٍّ؛ يفيد هنا من جنس العاقل ﴿شَاءَ﴾: أراد ﴿ذَكَرَهُ﴾: أراد ذكر
الله ﷻ؛ وذكره في جميع أموره، وقيل الوحي؛ لدلالة الآتي.

﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ﴾ (١٣)

هذا القرآن الكريم ﴿فِي صُحُفٍ﴾: منسوخةٌ من صفحات اللوح المحفوظ ﴿مُكْرَمَةٍ﴾: الشريفة،
المُعظمة، الموقرة عند الملائكة.

﴿مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ (١٤)

﴿مَرْفُوعَةٍ﴾: عالية القدرِ ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾: والطهارة نوعان طهارة النفس من الآثام، وطهارة الجسد
من الأوساخ، والمقصود هنا أنّ الصحف بأيدي الملائكة في السماء محفوظةٌ من الدنس،
والرجس، ومن الزيادة، والنقص؛ ومحافظةٌ من مسّ الشياطين لها.

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ (١٥)

﴿بِ﴾: حرف باء الالتصاق ﴿أَيْدِي سَفَرَةٍ﴾: ملائكة كتبة سفراء بين الله ﷻ وخلقه، قال وهب
بن منبه: هم الملائكة الكتبة، يقومون بالسفارة بين الله ﷻ وخلقه، وقال قتادة: هم أصحاب
محمد ﷺ، وقال قتادة: هم القراء، وقيل عن ﴿سَفَرَةٍ﴾: هم الذين يسعون بين الناس بالصلح.

﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ (١٦)

﴿كِرَامٍ﴾: مُكرّمين عند الله ﷻ جاء اللفظ القرآنيّ الكريم هنا بمعنى المسلمين وكذلك في قوله
﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار-١٠، ١١] هم أصحابُ خُلُقٍ كريمٍ
﴿بَرَرَةٍ﴾: المُطيعين لله ﷻ، أصحابُ فعلٍ الخيرِ الوفير، وقيل الأبرار؛ والبرّة هي الطاهرة،
الذين يبرون الناس بالخير.

﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ﴾ (١٧)

﴿قَتَلَ﴾: لعن الكافر وعذّب ﴿الْإِنْسَانَ﴾: ابن آدم ﴿مَا﴾: جاءت هنا للتعجب وتفيد انفعالا في النفس عند انكارها من شيء سببه خفي ﴿أَكْفَرَهُ﴾: ما أشدّ إفراطه كُفْره بالله ﷻ، وما حمّله على التكذيب بالقيامة.

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (١٨)

﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿أَيِّ﴾: حرف استفهام ﴿شَيْءٍ﴾: تفيد عموم الذي ﴿خَلَقَهُ﴾: ألم ير من أي شيء خلقه الله ﷻ أول مرة؛ أوجده من غير سابق وجود؛ من نطفة صغيرة في مسكنها في الخصية وأخرى من المبيض، وخروجها من مجرى البول عند الرجل، ومن الرحم الذي أمامه مجرى البول، وخلفه مخرج البراز.

﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ (١٩)

﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿نُطْفَةٍ﴾: الحيوان المنويّ والبويضة ﴿خَلَقَهُ﴾: أوجده من غير سابق وجود ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿قَدَرَهُ﴾: قدر له أطواره، ورزقه، وأجله، وعمله، ومصيره؛ شقي أم سعيد.

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ (٢٠)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يُفيدُ التتابع الزمني مع التراخي أي ليس السريع ﴿السَّبِيلَ﴾: الخروج من رحم أمّه بعد أربعين أسبوعا ﴿يَسَّرَهُ﴾: قال ابن عباس: يسّر عليه خروجه من بطن أمّه، وهي عملية غاية في الإبداع، عملية الولادة، حيث يفرز جسم المرأة الحامل في نهاية الحمل مادة تعرف بأوكسيتوسين؛ التي تُنشّط بقوة انقباض عضلات الرحم، وتتوسع في الوقت نفسه قناة الرحم؛ فيخرج المولود منها، وقال مجاهد: سهّلنا عليه علمه، يشكر أم يكفر، قال ﷻ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان-٣]، وهذا ضعيف، والله أعلم، وعندما شبّ وكبر سهّل له طريق الهداية.

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ (٢١)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني مع التراخي، ليس فوراً ﴿أَمَاتَهُ﴾: جعله ميتاً ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿أَقْبَرَهُ﴾: دُفن في قبره؛ بأمرٍ من الله ﷻ.

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ (٢٢)

﴿ثُمَّ﴾: تفيد التتابع الزمني مع التراخي، أي ليس السريع ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿شَاءَ﴾: أراد الله ﷻ ﴿أَنْشَرَهُ﴾: إنَّ بعث الإنسان، معلقٌ بمشيئة الله ﷻ بعد موته، يوم البعث والنشور، قال ﷻ: يَأْكُلُ التُّرَابُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجَبَ ذَنْبِهِ قِيلَ: وَمِثْلُ مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ، مِنْهُ تَنْبُثُونَ^(١).

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ (٢٣)

﴿كَلَّا﴾: حرف ردِّ وزجرٍ واستنكارٍ حقاً ﴿لَمَّا﴾: تُفيد حدثاً مضى ﴿يَقْضِ﴾: ليس كما يقول الإنسان الكافر، بل القضاء لله ﷻ ﴿مَا﴾: الذي ﴿أَمَرَهُ﴾: أنه قد أدى حق الله ﷻ في نفسه وماله، بل هو لم يُؤدِّ حق الله ﷻ من الفرائض، وقال مجاهد: لا يقضي أحدٌ أبداً كلَّ ما افترض عليه.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (٢٤)

﴿ف﴾: حرف يفيد الاستئناف والسبب ﴿لن﴾: حرف تخصيص ﴿يَنْظُرِ﴾: ليدرس ويتدبر ﴿الْإِنْسَانُ﴾: ابن آدم ما من الله ﷻ على عباده، ظاهرة إحياء الأجسام إذا بُليت، وصارت في التراب ﴿إِلَى طَعَامِهِ﴾: كيف تتحول الحبة الهامدة إلى ظاهرة حياةٍ، ونموٍ، وتكاثرٍ، وإنتاجٍ.

﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ (٢٥)

﴿أَنَا﴾: ضمير للجمع المتكلم الحاضر، تعود هنا على الله ﷻ ﴿صَبَبْنَا الْمَاءَ﴾: أنزلنا الماء من السماء على الأرض بكثرةٍ وغزارةٍ ﴿صَبًّا﴾: ماءً وافراً ينزل في باطن الأرض، أو يكون الأنهار.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ (٢٦)

(١) مسند أحمد ٣٣٢/١٧ (١١٢٣٠)، قال الأرنؤوط: إسناده حسن لغيره.

﴿ثُمَّ﴾: تفيد التتابع الزمني مع التراخي، أي ليس السريع ﴿شَقَّقْنَا الْأَرْضَ﴾: أسند الله ﷻ السبب بأنه مُوجد الأشياء؛ أسكنا حبة النبات في الأرض، وأنزلنا عليها الماء؛ فنزلت إلى باطنها، وأحاطت بالحبوب والزرع، ودخلت المياه الحب؛ فانتفتحت، وذهبت الجذور لباطن الأرض، وذهب الساق إلى أعلى ﴿شَقَّأ﴾: فشق الأرض، وارتفع، وكُنَّا من قبلُ قد عَلَّمْنَا الإنسان شقَّ الأرض، أي حرثها.

﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ (٢٧)

﴿ف﴾: بهذا السبب ﴿أَنْبَتْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع لعظم الحدث ﴿فِيهَا﴾: في الأرض ﴿حَبًّا﴾: هو كلُّ زرعٍ من الحبوب؛ كالقمح، والشعير، والذرة، والفل، والحمص، والترمس، وغيرها.

﴿وَعِنْبًا وَقَضْبًا﴾ (٢٨)

﴿و﴾: أيضًا أنبتنا ﴿عِنْبًا﴾: العنب المعروف ﴿وَقَضْبًا﴾: وأيضًا أنبتنا ما يأكله الدواب رطبًا مثل البرسيم، وقال ابن عباس، وقتادة، والحسن البصري: العلف، وما يأكله الدواب جافًا.

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ (٢٩)

﴿وَزَيْتُونًا﴾: ويؤكل الزيتون حبوبًا، ويُعصر منه الزيت، وتأكل الحيوانات النمل والقش ﴿وَنَخْلًا﴾: أيضًا يُؤكل بلحًا، ورطبًا، وتمرًا، ونيئًا، ومطبوخًا، ومنه يُستخلص السكر والخل.

﴿وَوَحْدَانِقَ غَلْبًا﴾ (٣٠)

﴿وَوَحْدَانِقَ غَلْبًا﴾: هي البساتين، قال قتادة، والحسن: النخل الضخم المثمر، وقال ابن عباس، ومجاهد: كلُّ ما التف واجتمع، وقال ابن عباس: الشجر الذي يُستظل به، وقال عكرمة: غلاظ الأوساط؛ أي الشجر الضخم.

﴿وَوَاقِهَةً وَأَبًا﴾ (٣١)

﴿وَوَاقِهَةً﴾: قال ابن عباس: كلُّ ما يُتفكه به من الثمار، كلُّ ما يُؤكل رطبًا ﴿وَأَبًا﴾: هو النبات المرعي؛ المتهيئ للرعي والجرِّ، ومن قولهم أبٌ لكذا؛ أي تهيأ لقصده، وكذا أبٌ لسيفه؛ أي تهيأ لسله.

﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ (٣٢)

﴿مَتَاعًا لَكُمْ﴾: تخصيصًا؛ تتمتعون به في عيشتكم أكلاً ﴿و﴾: أيضًا طعامًا ﴿لِأَنْعَامِكُمْ﴾: تخصيصًا في الدنيا وهو عائدٌ عليكم بالفائدة أيضًا هذه من نعم الله ﷻ عليكم في الدنيا؛ فأين هذا من نعيم القيامة؟

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ (٣٣)

﴿فَإِذَا﴾: حرف مفاجأة وأمر لما يُستقبل من الزمان، يفيد أيضًا الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿جَاءَتِ﴾: وقعت وحدثت ﴿الصَّاخَّةُ﴾: هي شدة الصوت؛ الصيحة العظيمة، صيحة يوم القيامة، التي تصخّ الأسماع تصمّ الأذان من هولها من النفخة الثانية، قال ابن عباس: اسمٌ من أسماء يوم القيامة، وقال البغوي: يوم القيامة.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (٣٤)

﴿يَوْمَ﴾: في هذا اليوم الرهيب ﴿يَفِرُّ﴾: يهرب، جاء اللفظ القرآني "الفرار" على أربعة وجوه، هنا بمعنى لا يلتفت إليه ﴿الْمَرْءُ﴾: الإنسان ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿أَخِيهِ﴾: وهو يراه ويعرفه؛ لهول الحدث، وجلال الخطب؛ علمًا أنّ العرب كانت تستنصر وتستتجد بالأخ؛ وفي هذا توبيخٌ لهم.

﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ (٣٥)

﴿و﴾: أيضًا يهرب الإنسان من ﴿أُمِّهِ وَ﴾: يهرب أيضًا من ﴿أَبِيهِ﴾: لن يلتفت المرء لأمّ، أو أبٍ؛ إنّما نفسي.

﴿وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ (٣٦)

﴿و﴾: أيضًا يهرب الإنسان من ﴿صَاحِبَتِهِ﴾: زوجته ﴿وَبَنِيهِ﴾: ويهرب من أولاده.

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (٣٧)

﴿ل﴾: حرف تخصيص وتمليك ﴿كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿امْرِئٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد كلّ واحدٍ ﴿مِنْهُمْ﴾: حرفٌ يُفيد بداية الغاية الزمانية والمكانية من البشر ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة يوم الأحوال ﴿شَأْنٌ﴾: موضوع النجاة الذي ﴿يُغْنِيهِ﴾: يشغله عن السؤال؛ فلا الأخ يسأل عن أخيه، ولا الزوج يسأل عن زوجته، ولا الأمّ تسأل عن ابنها، ولا الأب يسأل عن ابنه، يسأله حسنةً فلا

يتنازل أحد عن حسنة واحدة، يقول عيسى عليه السلام: لا أسأله اليوم إلا نفسي، لا أسأله مريم التي ولدتني، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: نُحْشِرُونَ حَقَاءَ عُرَاءِ غَزَلًا قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهَمَّهُمْ ذَلِكَ^(١). نعوذ بالله من ذلك اليوم، اللهم اجعلنا من أهل الجنة.

﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ (٣٨)

﴿وَجُودٌ﴾: جاءت بصيغة نكرة في مقام التفصيل والتنويع، وهي هنا وجوه المؤمنين؛ وجوه بشر، وجوه السعداء ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿مُسْفِرَةٌ﴾: مُسْتَبْرَئةٌ، مُشْرِقةٌ، مضيئةٌ.

﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ (٣٩)

﴿ضَاحِكَةٌ﴾: مسرورة فرحة ﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾: مطمئنة، وهذه آثار بشرى الخير على وجوههم، هم أهل الجنة.

﴿وَوَجُودٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ (٤٠)

﴿وَوَجُودٌ﴾: هم أشقياء أهل النار ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾: عليها غبار أسود.

﴿تَرَهَقَهَا قَتْرَةٌ﴾ (٤١)

﴿تَرَهَقَهَا﴾: تغشاها فتنتقل عليها ﴿قَتْرَةٌ﴾: قال ابن عباس: ذلّةٌ وسوادُ الوجوه.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجْرَةُ﴾ (٤٢)

﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد، هم أهل جهنم ﴿هُمُ﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، وهنا تحديداً الموصوفين بهذه الأوصاف من الله ﷻ هم ﴿الْكَافِرَةُ﴾: الذين فسدت قلوبهم فأنكروا بإنكار الإيمان في حياتهم الدنيا؛ فجمعوا بين فسادين، الكفر، والفجور ﴿الْفَجْرَةُ﴾: الذين بالغوا في أعمالهم المحرمة.

التكليف: بدراسة مقاصد السورة؛ ندرك ثواب من يتبع الهدى، وخسارة المعرضين عن الإيمان، يوم القيامة.

(١) صحيح البخاري ١٠٩/٨ (٦٥٢٧).

سمّيت سورة "التكوير" بهذا الاسم في أكثر كتب التفسير وفي المصاحف، وتسمى أيضاً سورة "كورت" وسمّيت أيضاً سورة "إذا الشمس كورت"، وأيضاً "إذا السماء انفطرت"، وإذا السماء انشقت، وهي سورة مكيّة بالاتفاق، وهي السورة السابعة في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الفاتحة، وقبل سورة الأعلى، وعدد آياتها (٢٩) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (١)

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَهُوَ ابْنُ يَزِيدِ الصَّنَعَانِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ» فَلْيَقْرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَأَحْسَبُ أَنَّهُ قَالَ: سُورَةُ هُودٍ^(١)، ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: جاء اللفظ القرآني "تكوير" على وجهين؛ هنا بمعنى جُمع بعضها إلى بعض، ثم لُفَّت؛ فَرَمِيَتْ، وبهذا يذهب ضوؤها، وجاء الوجه الآخر بمعنى حدوث انفجارٍ شديد، ففي اللغة نقول ضربه فكوره؛ أي صرعه، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير-٦] قَالَ: يُكْوَرُ اللَّهُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ فِي النَّجْرِ، ثُمَّ يُرْسَلُ عَلَيْهِنَّ رِيحًا، فَتَنْفُخُهَا فَتَنْصِيرُ نَارًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾^(٢)، وقال ﷺ: الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُكْوَرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٣)، وهذا في علم الفلك ممكن تصوّره وتصديقه؛ فالعلاقة بين الجاذبية والطرْد المركزي بين الشمس والقمر، وبين الشمس والأرض، تنتهي بإرادة الله ﷻ؛ فيضعف أو يزول الطرد المركزي وتبقى الجاذبية، فيجتمعان، في هذه الحالات يذهب ضوء الشمس.

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (٢)

^(١)مسند أحمد ٤٢٤/٨ (٤٨٠٦) وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

^(٢) الزهد لهناد ٢٠٣/١.

^(٣) صحيح البخاري ١٠٨/٤ (٣٢٠٠).

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحالَ ﴿إِذَا﴾: ظرفٌ لما يُستقبلُ من الزمانِ، يفيدُ معنى الشرطِ وهي أداةٌ ربطٌ ما بعدها بما قبلها ﴿النُّجُومُ﴾: الكواكبُ ﴿انْكَدَرَتْ﴾: تساقطت، من الانصباب؛ انصبت، وراح ضوءُها، قال ابن عباس: تغيّرت، وقيل انكدرت في جنّهم، وقيل تساقطت، وتناثرت.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ (٣)

﴿وَإِذَا﴾: أداةٌ ربطٌ ما بعدها بما قبلها ﴿الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾: زالت من أماكنها، نُسفت وتُركت الأرضُ قاعًا صنفصًا، صارت هباءً منبثًا.

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (٤)

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ﴾: عشار الإبل، الحوامل، وهي أهم رؤوس المال عند العرب وفي عهد محمد ﷺ ﴿عُطِّلَتْ﴾: قال مجاهد: تُركت؛ وسُيِّت دون أصحابها، وقال أبي بن كعب: أهملها أهلها، والملخص يومها: سيهمل الأغنياء ثروتهم يوم القيامة؛ فالكلُّ يسعى إلى النجاة من النَّارِ.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (٥)

﴿وَإِذَا﴾: أداةٌ ربطٌ ما بعدها بما قبلها ﴿الْوُحُوشُ﴾: أيضًا إذا الكواسر والجوارح ﴿حُشِرَتْ﴾: جمعت من كلِّ صوبٍ مع البشر، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير-٥] قَالَ: «حَشُرَ الْبَهَائِمُ مَوْتَهَا وَحَشِرُ كُلِّ شَيْءٍ الْمَوْتُ غَيْرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ»^(١)، وقال عكرمة: قيل حشرها: وموتها، والمرجح أنَّ الحشر هو الجمع والتكديس، ليقْتَص الله ﷻ من بعضها لبعض، والله أعلم.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (٦)

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾: قال ابن عباس: تصوير نارًا تتأجج، وقال مجاهد: أوقدت، وقال الضحاك: فُجرت. من المعلوم أنَّ الماء يتكون من نوعين من الذرات، ذرتي هيدروجين وهي مادة قابلة للاشتعال، وذرة أكسجين وهي مادة تُساعد على الاشتعال، وهذا التلاحم بين العنصرين هو أهمُّ عاملٍ في بقاء الماء بصورته الطبيعية؛ فإذا انفصل العنصران حدث الاشتعال.

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٧)

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٢/٥٦٠ (٣٩٠١). وقال: صحیحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. ووافقهُ الذهبي.

﴿وَإِذَا﴾: أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿النَّفُوسُ﴾: وهي جوهر الإنسان، والتي تُبعث، وتُحاسب ﴿زُوجَتْ﴾: فُرنت بأمثالها، ونظائرها قيل: يُحشر أصحاب الأعمال الواحدة مع بعض، المؤمن مع المؤمن، والكافر مع الكافر، وقيل كلُّ شيعةٍ إلى شيعتها، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؓ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا النَّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير-٧] قَالَ: «هُمَا الرَّجُلَانِ يِعْمَلَانِ الْعَمَلَ يَدْخُلَانِ بِهِ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ الْفَاجِرُ مَعَ الْفَاجِرِ، وَالصَّالِحُ مَعَ الصَّالِحِ»^(١)، وقال ابن عباس: حين يكون الناس أزواجًا أنواعًا ثلاثة قال ﷺ: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة-٧]، وقال الحسن البصري، وعكرمة: زُوِّجَت الأرواح بالأبدان، وقال القرطبي: زُوِّجَ المؤمن بالحوار العين، وزُوِّجَ الكافرون بالشياطين، وكلَّها صحيحة؛ فقد جاء ذكرها في أهوال يوم القيامة؛ والله أعلم.

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ (٨)

﴿وَإِذَا﴾: أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿الْمَوْءُودَةُ﴾: هي الطفلة التي تُدفن حيّة؛ بسبب كراهية الآباء للبنات في الجاهلية ﴿سُئِلَتْ﴾: يوم القيامة، سؤالٌ تطيب لها وتبكي لوائدها؛ فإذا الضحية تُسأل؛ فكيف بالقاتل، وقال ابن عباس: تُقرأ سألَتْ؛ أي طالبت بدمها، وقال ابن عباس: هم أطفال المشركين في الجنة. عَنْ عَائِشَةَ، عَنْ جَدَامَةَ بِنْتِ وَهْبٍ، أُخْتِ عُكَّاشَةَ، قَالَتْ: حَضَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فِي أَنَاسٍ وَهُوَ يَقُولُ: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغِيْلَةِ، فَتَنَظَرْتُ فِي الرُّومِ وَفَارِسَ، فَإِذَا هُمْ يُغِيلُونَ أَوْلَادَهُمْ، فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ ذَلِكَ شَيْئًا، ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنِ الْعَزْلِ؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ذَلِكَ الْوَأْدُ الْخَفِيُّ، زَادَ عُبَيْدُ اللَّهِ فِي حَدِيثِهِ: عَنِ الْمُقْرِيِّ، وَهِيَ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾^(٢).

﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (٩)

﴿بِأَيِّ﴾: حرف استفهام يفيد الاستنكار ﴿ذَنْبٍ﴾: وهي لم ترتكب ذنبًا حتى تُعاقب بالقتل، لماذا ﴿قُتِلَتْ﴾: أنهيت حياتها الدنيا، جَاءَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٥٦٠/٢ (٣٩٠٢). وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح مسلم ١٠٦٧/٢ (١٤٤٢).

وَأَدْتُ بَنَاتٍ لِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: أَعْتَقَ عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ رَقَبَةً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي صَاحِبُ إِبِلٍ، قَالَ: فَانْحَزْ عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ بَدَنَةً^(١)

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ (١٠)

﴿وَإِذَا﴾: أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿الصُّحُفُ﴾: وثيقة أعمال كلِّ إنسانٍ ﴿نُشِرَتْ﴾: عُرضت، قال الضحاك: أخذ كلُّ إنسانٍ صحيفته، بيمينه، أو شماله.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ (١١)

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها كروية الشكل ﴿كُشِطَتْ﴾: نُزعت كما يُنزع الجلد عن الجسد، وكما يُقلع السقف من البيوت، قال مجاهد: اجتذبت، وهذا هو الأصح، والله ﷻ أعلم؛ فبغيباب ظاهرة الطرد المركزي للكواكب تبقى الجاذبية وقال السدي: كشفت، وقال الضحاك: تذهب.

﴿وَإِذَا النَّجِيمُ سُعِرَتْ﴾ (١٢)

﴿وَإِذَا النَّجِيمُ﴾: النَّارُ جهنم ﴿سُعِرَتْ﴾: قال السدي: أوقدت نارها، وأحميت، وقال قتادة: أوقدت، أنَّ الله ﷻ سَعَرها بغضبه.

﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ﴾ (١٣)

﴿وَإِذَا﴾: أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ﴾: دار النعيم، قال الضحاك: قُرِّبت إلى أهلها، وأدْنيت بعد هذه الأهوال:

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ (١٤)

بعد هذه الأحداث: النشر، والكشط، والتسعير، وتقريب الجنة ﴿عَلِمَتْ﴾: هنا جواب الشرط، أدركت وتيقنت ووجدت كلُّ ﴿نَفْسٍ﴾: وهي جوهر الإنسان، جاءت بصيغة النكرة لتفيد العموم؛ فإذا ثبت الأمرُ ووضَّح لواحدٍ من البشر؛ ثبت العلم للجميع ﴿مَا﴾: الذي ﴿أَحْضَرَتْ﴾: تعلم كلُّ نفسٍ ما قدَّمت لهذا اليوم، من خيرٍ أو شرٍّ، جاء في المعنى نفسه: ﴿يُنَبِّأُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة-١٣].

(١) مسند البزار = البحر الزخار ١/٣٥٥ (٢٣٨). قال الألباني: إسناده صحيح.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُسِ﴾ (١٥)

﴿فَلَا﴾: حرفٌ تخصيصٍ ونهْيٍ يفيد طلب عدم الفعل، وقيل إنّ لا زائدة، بمعنى أنّ الله ﷻ: ﴿أُقْسِمُ﴾: هو قسم من الله ﷻ ﴿بِ﴾: حرف باء القسم ﴿الْخُنُسِ﴾: النجوم الخفية، قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن: هي النجوم تخنس تختفي بالنهار، وتظهر في الليل.

﴿الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ (١٦)

﴿الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾: النجوم التي تجري في أفلاكها، التي تغيب ببزوغ الشمس، قال ابن عباس: البقرُ تذهب تكنس إلى الظل، وقيل مثل الطباء التي تدخل كناسها أي بيتها، ومنها الكنيس والكنيسة وهي بيوت عبادة اليهود والنصارى؛ والله أعلم.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ (١٧)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال، يقسم الله تعالى بحال ﴿اللَّيْلِ إِذَا﴾: أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿عَسْعَسَ﴾: هنا تشبيه للإنسان الذي في كربٍ أو حزنٍ، المحبوس بحيث لا يتحرك؛ فإذا تنفس وجد راحةً؛ وقيل أول الليل إذا أقبل بظلامه وهي الأرجح، وقال مجاهد: أظلم، وقال ابن جببر: إذا نشأ، وقال البصري: غشي الناس، وقال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن جرير: إذا أدير، وهي من أفاض الأضداد، الشيء وضده أي الجمع بين الشيء وضده.

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (١٨)

﴿و﴾: أيضًا يقسم الله ﷻ بـ ﴿الصُّبْحِ إِذَا﴾: أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿تَنَفَّسَ﴾: والتنفس هو خروج هواء الزفير من صدر الإنسان أو الحيوان، وتنفس الصبح بمعنى أقبل بروح ونسيم، ف: أنه تنفس؛ إذا أضاء، وبزغ نُورُه، ويُلاحظُ في الآية (١٧) أنّ الأرجح أنّها تعني أظلم؛ لأنّ الآية (١٨) أضاء؛ والله أعلم.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (١٩)

يأتي جواب القسم هنا ﴿إِنَّهُ﴾: بكل تأكيد ربّاني، هو قول جبريل عليه السلام، من ربّه ﷻ ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿قَوْلٍ﴾: كلام الله ﷻ أنزله على محمد ﷺ بواسطة ﴿رَسُولٍ﴾: ملكٍ من الملائكة

﴿كَرِيمٌ﴾: وهو المؤمنُ عليه، جبريل ﷺ. جاء اللفظ القرآني "الكَرِيمُ" على سِتَّةِ أوجه؛ هنا بمعنى الكريم على الله ﷻ؛ هو جبريل ﷺ، ملكٌ شريفٌ، حسن الخلق، بهي المنظر.

﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (٢٠)

﴿ذِي﴾: صاحب ﴿قُوَّةٍ﴾: شديد البطش، والفعل في تنفيذ ما يُؤمر به ﴿عِنْدَ﴾: حرف ظرف مكان وظرف زمان ﴿ذِي﴾: صاحب ﴿الْعَرْشِ﴾: هو الله ﷻ ﴿مَكِينٍ﴾: له منزلةٌ ومكانةٌ رفيعةٌ عند الله ﷻ، صاحب العرش.

﴿مُطَاعٍ نَمَّ أَمِينٍ﴾ (٢١)

﴿مُطَاعٍ﴾: مسموع القول في الملأ الأعلى، تطيعه الملائكة الأبرار ﴿نَمَّ﴾: اسمٌ يُشار به إلى المكان البعيد، أي هناك في الملأ الأعلى؛ لأنه هو من سادة الملائكة وأشرفهم ﴿أَمِينٍ﴾: من صفات جبريل ﷺ أنه مؤتمنٌ على الوحي ما يُبلغ من الوحي. نجد هنا أنّ الطاعة أدبٌ من الأمانة، والدليل على ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾.

﴿وَمَا صَاحِبِكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ (٢٢)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿صَاحِبِكُمْ﴾: الخطاب لأهل مكة والصاحب هو محمد الذي تعرفونه ﷺ؛ يأتي لفظ الصاحب لأنهم يعلمون عنه كلَّ شيء بالجنون ﴿بِ﴾: حرف باء التوكيد، ومع ذلك يرمونه ﴿مَجْنُونٍ﴾: ليس كما وصفه كفارٌ قريش. يؤكد الله ﷻ نفي الجنون عن رسوله ﷺ. التكليف: جاءت كلمة الصاحب هنا لتشير إلى طول المدة التي عاشها سيدنا محمد ﷺ بين ظهرانِي قريش فهم يعرفونه قبل البعثة.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ (٢٣)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف يفيد التأكيد على وقوع حدثٍ في الماضي ﴿رَآهُ﴾: رأى محمدٌ ﷺ جبريل ﷺ، هذه المرّة بصورته الحقيقية، على الصورة التي خلقه الله ﷻ عليها، له ستمائة جناح ﴿بِ﴾: حرف باء الظرفية ﴿الْأُفُقِ﴾: هو مبلغ النهاية، التقاء الأرض بالسماء أمام نظر النَّاسِ ﴿الْمُبِينِ﴾: كان واضحًا بيّنًا في أفق السماء، وهي الرؤية الأولى الواقعة بغار حراء.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (٢٤)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿ما﴾: حرف نفي ﴿هو﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، هنا هو محمد ﷺ ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾: لا يبخل محمد ﷺ بتبليغ ما تلقاه من الله ﷻ عن الخالق، وعن الجنة، والنار، والقيامة ﴿ب﴾: حرف باء الصلة والمصاحبة ﴿ضَنِينِ﴾: إذا قُرئت بالضاد؛ فمعناها ليس ببخيل، بل يعطي العلم لكلِّ أحدٍ، وإذا قُرأت بظنين الظاء وهي من الظن، تعني ليس بمُتهمٍ، والمعنيان مُتواتران.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ (٢٥)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿هو﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، الضمير يعود الضمير هنا على القرآن الكريم، ليس بشعرٍ، ولا كهانة كما ادعت قريش ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة ﴿قَوْلِ شَيْطَانٍ﴾: لأنه لا يقدر على حمله، ولا يريده، ولا ينبغي له ﴿رَجِيمٍ﴾: مرجومٌ من الملائكة؛ إذا استرق السمع.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (٢٦)

﴿ف﴾: حرفٌ يُفيدُ ربط جواب الشرط ﴿أَيْنَ﴾: استفسارٌ عن المكان ﴿تَذْهَبُونَ﴾: إذا كذبتُم بالقرآن الكريم مع ظهوره، ووضوحه، وإعجازه، فأين تذهب عقولكم في التكذيب بعد هذه الحجج القاطعة، عن ضرورة طاعة الله ﷻ، أو تعدلونه بشيءٍ آخر؟

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢٧)

﴿إِنْ﴾: حرف بمعنى ما ﴿هو﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، هنا يعود الضمير على القرآن الكريم ﴿ذِكْرٌ﴾: جاء اللفظ القرآني "الذكر" على ستة عشر وجهًا؛ هنا بمعنى موعظة، وهداية؛ للتفكر، وكذلك في قوله ﷻ ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ [يس-٦٩]؛ دليلٌ هدايةٍ وارشادٍ، فلا هداية بدونه ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿العالمين﴾: لكلِّ إنسانٍ، ولكلِّ عالمٍ من عوالم الإنس والجن.

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨)

﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿شَاءَ﴾: أراد ﴿مِنْكُمْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية ﴿أَنْ﴾: حرف تصور ﴿يَسْتَقِيمُ﴾: لمن أراد أن يسير على طريقٍ مستقيمٍ، منهج الإيمان، لا عوج، ولا شرك فيه، ولا انحراف.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿تَشَاءُونَ﴾: ليست المشيئة موكلةً إليكم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَشَاءَ﴾: بل هي مشيئةُ الله ﷻ؛ ردًا على قول أبي جهل: الذي قال عندما سمع ذلك؛ فقال: إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم. بل هي مشيئةُ ﴿اللَّهُ رَبُّ﴾: المعبود، والمُرَبِّي، ومالك أمر السموات والأرض ﴿الْعَالَمِينَ﴾: مالك عوالم الإنس والجن، وكلِّ المخلوقات. التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ وفي الربط مع ما سبقها كأننا يوم القيامة، وقد تفكك هذا الكون الذي نعيشه أمامنا.



سُمِّيت سورة "الانفطار" بهذا الاسم في المصاحف، ومعظم التفسير، وسُمِّيت بسورة "إذا السماء انفطرت"، وسميت سورة "المنفطرة"، وهي سورةٌ مكِّيَّةٌ بالاتفاق، وهي السورة رقم (٨٢) في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة النزاعات، وقبل سورة الانشقاق، وعدد آياتها (١٩) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (١)

﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿السَّمَاءُ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ بسبب كرويتها ﴿انْفَطَرَتْ﴾: تشققت، واختل نظامها؛ لنزول الملائكة، من المعلوم أن حول الأرض وحول الكواكب أحزمةً كهربائيةً مغناطيسيةً، وهي من صور إعجاز الخلق من الخالق ﷻ، فعند إيجادٍ مخرجٍ أو مداخلٍ من هذه الأحزمة؛ تنتزل الملائكة بإذن ربهم.

﴿وَإِذَا الْكُوَكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ (٢)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحالَ ﴿إِذَا﴾: أداة ربطٍ ما بعدها بما قبلها للترتيب ﴿الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾: الضخمة، تتساقط، وتتناثر، وتنفرق، وهذه من مشاهد يوم القيامة؛ فهذه أوّل عملية تخريب السماء التي هي كالسقف، وهذا يستتبع انتشار الكواكب، ثم يأتي بعدها خراب ما على وجه الأرض التي هي كالبناء، فتفتجر البحار؛ ثم تتقلب الأرض ظهرًا لبطن، وبطنًا لظهر، وهي بعثرة القبور.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ (٣)

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾: المحيطات، والبحارُ الضخمة، والصغيرة، قال ابن عباس: فجر الله بعضها في بعض؛ أي اختلطت، وقال الحسن: فجر الله بعضها في بعض، فذهب ماؤها، وهذا ممكنٌ إذا صارت درجة الحرارة عاليةً؛ فيتبخر الماء، وقال قتادة: اختلط عذبها بمالحها، وقال الكلبي: ملئت؛ والله أعلم.

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ (٤)

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ﴾: بما حوت من رفات الموتى من البشر ﴿بُغِثِرَتْ﴾: قال السدي: انقلبت وزال ثرابها، ويخرج ما فيها؛ فهذه هي القيامة.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (٥)

عند ذلك ﴿عَلِمَتْ﴾: هنا جواب الشرط، أدركت وأيقنت كلُّ ﴿نَفْسٍ﴾: جوهر الإنسان وذاته ﴿مَا﴾: الذي ﴿قَدَّمَتْ﴾: من عمل الخير، الذي عملته في الحياة الدنيا ﴿و﴾: أيضًا علمت نفسٌ الذي ﴿أَخَّرَتْ﴾: ما لم تعمله، هذا يوم كشف الحساب.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (٦)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرفٌ نداءٍ للقريب وللبعيد ﴿الْإِنْسَانُ﴾: العاصي المنكر للبعث من بني آدم، من الكفار ﴿مَا﴾: حرف استفهام بغرض التوبيخ والإنكار ﴿غَرَّكَ﴾: ما خدعك، ودفعتك للكفر ﴿ب﴾: حرف باء الالتصاق ﴿رَبِّكَ﴾: المعبود، صاحب الملك العظيم والكرم، الذي أمهلك ولم يعجل لك عذابك في الدنيا.

﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ (٧)

﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد، والمقصود هنا الواحد الأحد الفرد الصمد ﷻ ﴿خَلَقَكَ﴾: أوجدك ولم تكن من قبل ﴿فَسَوَّاكَ﴾: جعلك مُستوي الخِلقة ﴿ف﴾: حرفٌ يُفيدُ السبب ﴿عَدَلَكَ﴾: جعلك سالم الأعضاء، معتدلاً في أفضل قامَةٍ.

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (٨)

﴿فِي أَيِّ﴾: حرفٌ استفسارٍ ﴿صُورَةٍ﴾: في أيِّ شكلٍ ﴿مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾: خلقك، قال مجاهد: في الصورة التي أرادها، أن تكون شبه الأم، أو شبه الأب، أو الخال، أو العم، ولم يخلقك كباقي الخلق، وقال عكرمة: في صورة قردٍ أو خنزيرٍ، إنَّ الله قادرٌ على ذلك وعلى غيره، ومن المعلوم أنه في عمر النطفة يمكن أن يحدث التغيير.

ملاحظة: أعجب ما في هذه الآية أنها لا تحتوي على أيِّ من أدوات التشبيه، أو الاستعارة، أو غيرها من أدوات المبالغة، أو المجاز من شيء؛ إذن هو تركيب حقيقي لتلك النفس التي هي الإنسان الحقيقي، داخل تلك الأجساد قبل نفخ الروح، وقبل سجود الملائكة، إنَّه تركيب تلك النفس داخل ذلك الجسد؛ كتركيب الشريحة المغناطيسية داخل التليفون المحمول؛ تصديقاً لقول الحق ﷻ: ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت-٥٣]، وتلك هي الحقيقة الغائبة: فالإنسان هو النفس، بالروح يحيا، وداخل هذا الجسد يعيش، و بحياته يظل هذا الجسد حياً، وبنزع الروح منه يموت، أي يُقبض ويفارق الحياة.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ (٩)

﴿كَلَّا﴾: حرف ردِّ وزجرٍ واستنكارٍ، حقاً وهي كلمةٌ تفيد معنى شيءٍ تقدّم؛ وتحقق أو جاء غيره، بهدف الردع ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿تُكَذِّبُونَ﴾: تُنكرون ﴿ب﴾: حرف باء الالتصاق ﴿الَّذِينَ﴾: إضافة إلى إنكار الخالق والرسالة، يكونُ تكذيب القلوب التي تُنكر يوم القيامة، وتُكذِّر فيها الثواب، والعقاب.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ (١٠)

﴿وَإِنَّ﴾: بالتأكيد ﴿عَلَيْكُمْ﴾: مخصصون لكم ﴿ل﴾: حرفُ علّةٍ وسببٍ ﴿حَافِظِينَ﴾: الملائكة الحفظة، يضبطون، ويُسجّلون، ويرقبون أعمالكم، ويحفظون أقوالكم؛ فلا تقابلوهم بالقبائح.

﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ (١١)

﴿كِرَامًا﴾: مُكْرَمِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﷺ، جَاءَ اللَّفْظُ الْقُرْآنِيُّ "الْكَرِيمُ" عَلَى سِتَّةِ أَوْجِهٍ، هُنَا بِمَعْنَى الْمُسْلِمِ كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس-١٦] ﴿كَاتِبِينَ﴾: لَا تَقَابَلُوا الْمَلَائِكَةَ بِالْقَبَائِحِ؛ لِأَنَّهُمْ يَكْتُبُونَ عَلَيْكُمْ جَمِيعَ أَعْمَالِكُمْ، عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قَالَ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: مِنْ مَخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيرُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهَدَاءَ، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيَقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُخْفًا، فَعَنْكَنَّ كُنْتُ أَنَاضِلُ^(١).

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (١٢)

﴿يَعْلَمُونَ﴾: وَيُسَجِّلُونَ ﴿مَا﴾: كُلِّ الَّذِي ﴿تَفْعَلُونَ﴾: عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا^(٢)، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ، وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَإِيَّايَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِحَقِّ^(٣).

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (١٣)

﴿إِنَّ﴾: حَرْفُ تَأْكِيدٍ وَنَفْيِ الشَّكِّ وَالْإِنْكَارِ ﴿الْأَبْرَارَ﴾: الْأَتْقِيَاءُ الْأَنْقِيَاءُ مِنَ الْخَبَائِثِ؛ الْقَائِمِينَ بِحَقُوقِ اللَّهِ ﷻ وَحَقُوقِ عِبَادِهِ؛ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي إِيْمَانِهِمْ، الَّذِينَ يُكْثِرُونَ مِنْ عَمَلِ الْخَيْرِ وَالطَّاعَاتِ، وَلَمْ يَذْهَبُوا إِلَى عَمَلِ الْمَعَاصِي ﴿ل﴾: حَرْفُ عِلَّةٍ وَسَبَبٍ ﴿فِي نَعِيمٍ﴾: يَتَنَعَّمُ فِيهِ الْمُؤْمِنُ، دَائِمًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (١٤)

(١) صحيح مسلم ٢٢٨٠/٤ (٢٩٦٩).

(٢) صحيح البخاري ١١٥/٢ (١٤٤٢).

(٣) مسند أحمد ١٥٨/٦ (٣٦٤٨)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

﴿وَأَنَّ﴾: بالتأكيد الربانيّ ﴿الْفَجَّارِ﴾: جمع فاجر، وهو عكس المطيع، هم أهل المعصية ﴿أَفِي جَحِيمٍ﴾: في نار جهنّم المستعرة والمستقرّة عليهم.

﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ (١٥)

﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يدخلونها؛ يقيسون لهيبتها ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾: يوم الحساب، والجزاء، يوم القيامة.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ (١٦)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿هُم﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، الفجّار أهل النار تحديداً ﴿عَنْهَا﴾: ليسوا عن عذاب النار ﴿بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿غَائِبِينَ﴾: لن يغيبوا عن العذاب ساعة واحدة.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ (١٧)

﴿وَمَا﴾: حرف استفهام ﴿أَدْرَاكَ﴾: أعلمك وأخبرك عن عظم شأن يوم القيامة، يسأل الله ﷻ وهو أعلم، كيف ستدرك، كيف ستدري، كيف ستعلم ﴿مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾: ما هو يوم الحساب؛ فجنةٌ أبدية، أو نارٌ أبدية.

﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ (١٨)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفيدُ التباعد الزمني مع التراخي ﴿مَا﴾: حرف استفهام ﴿أَدْرَاكَ﴾: أعلمك وأخبرك ﴿مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾: عظم هذا اليوم؟ جاء التكرار تعظيماً لشأن يوم القيامة، وتفخيماً لقدره، وتهويلاً لأمره؛ الأمر الذي يستوجب التدبر والتأمل وهو سؤالٌ يُثيرُ الانتباه، والتأملُ والمتدبرُ في انتظارٍ لمعرفة ما سيقوله ﷻ.

التكليف: جاء التكرار ما أدراك تعظيماً لقدر هذا اليوم وشأنه؛ وتهويلاً لأمره.

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (١٩)

﴿يَوْمَ﴾: القيامة حيث ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَمْلِكُ﴾: يوم لا تقدر ﴿نَفْسٌ﴾: هي جوهر وذات الإنسان على نفع أحدٍ، ولا تملك خلاصه مما هو فيه ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿نَفْسٍ﴾: لنفس ثانية ﴿شَيْئًا﴾: وشيئاً نكرة؛ تفيدُ عموم الأشياء ﴿و﴾: حرفٌ عطفيٌ يفيدُ الحال ﴿الْأَمْرُ﴾: كلُّ

الأمر والشؤون وبخاصة الوجود ﴿يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾: في ذلك اليوم لصاحب الملك لا ينازعه فيه أحد، جلّ في علاه.

التكليف: في هذه السورة؛ تُضاف في هذه السورة الكريمة صورٌ لمصير الخلق يوم القيامة، يوم تتبعر الكواكب في مشهدٍ مرعبٍ.



سُمّيت سورة "المطففين" بهذا الاسم في كثير من المصاحف وكتب التفسير، وسُمّيت أيضًا بسورة "ويل للمطففين" ويوجد خلاف كونها مكية أو مدنية، ولكن الراجح أنها مكية، نزلت قبل هجرة الرسول ﷺ بين مكة والمدينة، وترتيبها (٨٦) في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة العنكبوت، وقبل سورة البقرة، وعدد آياتها (٣٦) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (١)

سبب النزول: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: " لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ كَانُوا مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ كَيْلًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين-١] فَأَحْسَنُوا الْكَيْلَ بَعْدَ ذَلِكَ (١).

﴿وَيْلٌ﴾: حالة من إعلان الحرب من الله ﷻ وعذابٌ شديد، وهلاكٌ، وقيل هو وادٍ في جهنم، وقيل خسارة ﴿لِلْمُطَفِّفِينَ﴾: تخصيصًا أصحاب منهج البخس في المكيال والميزان، إمّا بالزيادة للمطفف، إذا اشترى، أو بالنقص إذا باع.

﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ (٢)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿أَكْتَالُوا﴾: بالوزن ﴿عَلَى النَّاسِ﴾: إذا اشترى من الآخرين مكيلاً أو موزوناً؛ جاء هنا تقديم المفعول على الفعل ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾: ليفيد الخصوصية، يأخذون أكثر من حقهم، أو يأخذون حقهم دون غيرهم.

(١) سنن ابن ماجه ٧٤٨/٢ (٢٢٢٣).

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (٣)

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾: باعوا للناس بمكيالٍ ﴿أَوْ﴾: حرف عطفٍ يساوي بين متعاطفين ﴿وَزَنُوهُمْ﴾: باعوا بالوزن ﴿يُخْسِرُونَ﴾: يُنْقِصُونَ الميزان، ويأكلون حقوق الآخرين، وكان قومُ شعيبٍ عليه السلام، من المطففين.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ (٤)

﴿أَلَا﴾: حرف تنبيهه ﴿يَظُنُّ أُولَئِكَ﴾: يفيد اللفظ "أولئك" معنى البعد في إشارةٍ ببعده منزلتهم في الشر والفساد؛ هم المطففون؛ ويحمل هذا الاستئناف فظاعةً، وتعجبًا من حالهم في الجرؤ، يعتقد ويتيقن هؤلاء المطففون ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف تأكيدٍ ونفي الإنكار والشك هم ﴿مَبْعُوثُونَ﴾: يقومون لحساب يوم القيامة، يوم البعث والنشور.

﴿لَيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٥)

﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: جاء هذا الوصف لكونه في زمان تلك الأمور العظيمة؛ فيه سيكون بعثهم في يوم الفزع الأكبر، يوم الخطب الجلل، يوم يدخل النار أهل النار، ويدخل أهل الجنة الجنة.

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦)

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾: يخرج الموتى من بني آدم من القبور حفاةً، عراةً ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿رَبِّ﴾: مالك أمر السموات والأرض فهو مالك أمر ﴿الْعَالَمِينَ﴾: مالك الملك الكبير، في يومٍ صعبٍ على المجرمين، يوم العرق الأعظم، حيث يلجم العرق الرجال إلى إنصاف آذانهم، كما وصف ذلك رسول الله ﷺ: عن المقداد بن الأسود، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ - قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ مَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ - قَالَ: فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِنْجَامًا قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ (١).

(١) صحيح مسلم ٢١٩٦/٤ (٢٨٦٤).

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ﴾ (٧)

﴿كَلَّا﴾: حرف ردع وزجر واستنكار ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿كِتَابَ الْفُجَارِ﴾: ما كتبت الملائكة عن أهل النار ﴿لَفِي سَجِينٍ﴾: هو السجن الضيق، وقيل مثبت مصير الفجار في كتاب الشر، وقيل بئر في جهنم، وقيل أسفل السافلين، وقيل سجين جمع الضيق والسفول، وهي الأرض السابعة.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ﴾ (٨)

﴿وَمَا﴾: حرف استفهام ونفي ﴿أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ﴾: ما أعلمك وعرفك أيها الرسول ﷺ جاء السؤال لتعظيم عذابهم، ما هذا الضيق، إنه سجنٌ مقيم، وعذابٌ أليم.

﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ (٩)

﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾: مكتوبٌ فيه أعمالهم، ومحددٌ فيه مصيرهم، بلا زيادةٍ أو نقصٍ، كالرسم على القماش، لا يُزاد عليه ولا يُنقص منه شيء.

﴿وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٠)

﴿وَيَلِّ﴾: هلاكٌ وخسارةٌ وهي من العذاب، والهلاك، والدمار ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: جاء التعبير دليلاً على يوم القيامة ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾: للمُنكرين يوم الجزاء.

﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ (١١)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿يُكَذِّبُونَ﴾: لا يصدقون، وينكرون ﴿بِ﴾: حرف باء الظرفية ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾: يوم القيامة، يوم الجزاء، الثواب أو العقاب.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ (١٢)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿يُكَذِّبُ﴾: يُنكرُ ﴿بِهِ﴾: حرف باء الالتصاق، بيوم الدين ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ منقطعٍ ﴿كُلُّ﴾: جميعٌ ﴿مُعْتَدٍ﴾: الفاجر المتعدي حدود الله ﷻ وحقوق الناس ﴿أَثِيمٍ﴾: مُرتكب كثير من الإثم، إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر.

﴿إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ﴾ (١٣)

﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿ثَلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾: إذا سمع كلام الله ﷻ من الرسول ﷺ أو من المؤمنين يُكذّب، ويظنُّ به ظنُّ السوء، ويعتقد أنه مُفتعل ﴿قَالَ﴾: كذبًا وافتراءً ﴿أَسَاطِيرُ﴾: أحاديث، وأباطيل اكتبها ﴿الْأَوَّلِينَ﴾: السلف الذين سبقوه في الحياة.

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤)

﴿كَلَّا﴾: حرف ردعٍ وزجرٍ واستتكارٍ بمعنى: حقًّا إنَّ الأمر ليس كما يزعمون، كما وصفوا القرآن بأساطير الأولين ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿رَانَ﴾: غلب، وغطى، وليس ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: مراكز الوعي والإدراك، حيث الإيمان، أو الكفر، أو النفاق؛ كثرة الذنوب والخطايا ﴿مَا﴾: الذي ﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿يَكْسِبُونَ﴾: يرتكبون من الإثم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكْتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَعْفَرَ وَتَابَ سَقَلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُو قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين-١٤] (١) وقال الحسن البصري، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد: هو الذنب يُعمى القلب؛ فيميته.

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (١٥)

﴿كَلَّا﴾: حرف ردعٍ وزجرٍ واستتكارٍ حقًّا ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد الربانيّ المكذوبون ﴿عَنْ﴾: حرف جرٍ يُفيدُ هنا المجاوزة ﴿رَبِّهِمْ﴾: مالك أمرهم كلّه ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿لَ﴾: حرف تخصيص ﴿مَحْجُوبُونَ﴾: ليس الأمر كما زعم الكفار، بل إنَّهم يوم القيامة محجوبون عن رؤية ربهم ﷻ. قال الإمام الشافعي: لن يروا ربهم، وبهذا يُستدلُّ أنَّ المؤمن يوم القيامة سيرى ربه ﷻ؛ ويؤكد هذا ما جاء في المعنى قوله ﷻ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة-٢٢، ٢٣].

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾ (١٦)

(١) سنن الترمذي (٤٣٤/٥) (٣٣٣٤)، قال الألباني: حسن.

﴿نَمْ﴾: حرفٌ يفيدُ التتابعَ الزمنيَّ على التراخي، ليس السريع ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿صَالُوا الْجَحِيمِ﴾: تخصيصًا؛ سيدخلون النار، ويصلون، ويقاسون سعيها مع حرمانهم من رؤية ربهم ﷻ؛ دخولًا للنار بلا خروج.

﴿نَمْ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (١٧)

﴿نَمْ﴾: حرفٌ يفيدُ التتابعَ الزمنيَّ غير السريع ﴿يُقَالُ﴾: تفریعًا، وتوبيخًا ﴿هَذَا﴾: إشارة إلى اليوم وهذا العذاب ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد المذكر، والمقصود هو دخول النار ﴿كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾: دخولكم جهنم وحرمانكم من الجنة، وحرمانكم من رؤية الله ﷻ.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عَالِيْنَ﴾ (١٨)

﴿كَلَّا﴾: حرف ردعٍ وزجرٍ واستنكارٍ حقًا ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيدٍ ونفي الشكِّ والإنكار ﴿كِتَابَ الْأَنْبَارِ﴾: حقًا إن ما كُتِبَ من أعمال المؤمنين ﴿لَفِي عَالِيْنَ﴾: في المراتب العالية في الجنة؛ بالتأكيد في ديوان الخير، قال ابن عباس: فيها أرواح المؤمنين؛ وهي السماء السابعة بينما سجّين في الأرض السابعة، فيها أرواح الكفّار، وقال قتادة: هي ساقُ العرش اليمنى، وقيل عند سدرة المنتهى؛ هي من العلو؛ وهو ما علا أمره وعظم شأنه.

﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا عَلِيُونَ﴾ (١٩)

﴿وَمَا﴾: حرف استفهام لإظهار عظمتها وجمالها ﴿أَذْرَاكَ﴾: ما أعلمك وعرفك يا محمد ﷺ ﴿مَا عَلِيُونَ﴾: والإجابة هي:

﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ (٢٠)

﴿كِتَابٌ﴾: أعمالهم ﴿مَرْقُومٌ﴾: مثبتٌ في ديوان الخير، لا يزول، ولا يزداد عليه، ولا ينقص منه، انظر [المطففين-٩].

﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (٢١)

﴿يَشْهَدُهُ﴾: يحضره ويراه ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾: الملائكة، قال ابن عباس: يشهده من كلِّ سماءٍ مقرَّبوها.

﴿إِنَّ الْأَنْبَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (٢٢)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿الْأَبْرَارِ﴾: المؤمنون المُكثرون من الطاعات ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿فِي نَعِيمٍ﴾: حياة منعمة، مقيمة، دائمة.

﴿عَلَى الْأَرَاكِ يَنْظُرُونَ﴾ (٢٣)

يجلسون ﴿عَلَى الْأَرَاكِ﴾: جمع أريكة، وهي المقاعد المرتفعة المزينة والتي عليها الحجال؛ تستر من يجلس عليها ﴿يَنْظُرُونَ﴾: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، رَجُلٌ صَرَفَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قَبْلَ الْجَنَّةِ، وَمَثَلٌ لَهُ شَجَرَةٌ ذَاتَ ظِلٍّ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، قَدَّمَنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا، هُوَ لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، فَتَقُولَانِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا، وَأَحْيَانَا لَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ^(١)

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نُصْرَةَ النَّعِيمِ﴾ (٢٤)

إذا رأيتهم ﴿تَعْرِفُ﴾: تشاهد، وتدرك ﴿فِي وُجُوهِهِمْ نُصْرَةَ﴾: بهجة، ورونقاً، وبهاءً، وهي حسن اللون، وظهور السرور ﴿النَّعِيمِ﴾: أثر، وملاح، وصفة السعادة والسرور، والبهجة.

﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ (٢٥)

﴿يُسْقَوْنَ﴾: يطوف عليهم غلمانٌ مُخلدون بأباريق؛ فيشربون ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿رَحِيقٍ﴾: والرحيق أجود وأنقى الخمر في الجنة ﴿مَخْتُومٍ﴾: مقفل، مختوم على إنائها، لشرفها وقيمتها حتى يفتحهُ الشارب من أهل الجنة.

﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (٢٦)

﴿خِتَامُهُ﴾: ختام الإناء بدل الطين ﴿مِسْكٌ﴾: آخره رائحة المسك، هو من خلطة المسك، فقد طيب الله ﷻ لهم الشراب، خليط المسك، وعاقبته المسك، قال ابن جرير: شرابٌ أبيض مثل الفضة، يختمون به شرابهم، وقال مجاهد: طيبه مسك ﴿و﴾: عطفاً على ما جاء هنا ﴿فِي ذَلِكَ﴾: في مثل هذا ﴿ف﴾: حرف علة وسبب، ودون تأخير ﴿ل﴾: حرف سبب ﴿يَتَنَافَسِ﴾: فليعمل العاملون، ويتفاخر المتفاحرون ﴿الْمُتَنَافِسُونَ﴾: المتسابقون للنجاح، والنجاة، والتنعيم.

(١) صحيح مسلم ١/١٧٥ (١٨٨).

﴿وَمِرْأَجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ (٢٧)

﴿وَمِرْأَجُهُ﴾: وأيضا ما يشربون قد امتزج بـ «مِنْ»: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿تَسْنِيمٍ﴾: هي عينٌ عاليةٌ، رفيعة المستوى في الجنة، وقيل شرابٌ يقال له تسنيم، وهو شرابُ أهل الجنة وأعلاه.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ (٢٨)

﴿عَيْنًا﴾: من هذه العين ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾: يشرب منها ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾: أصحاب اليمين من المؤمنين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ (٢٩)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿أَجْرَمُوا﴾: من صفات المجرمين، أهل الكفر في الدنيا أتهم ﴿كَانُوا مِنَ﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية المكانية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾: كانوا يستهزئون، ويضحكون من المؤمنين.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ﴾ (٣٠)

﴿وَ﴾: عطفاً على هذا ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿مَرُّوا بِهِمْ﴾: إذا قابلوا المؤمنين ﴿يَتَغَامِرُونَ﴾: يغمزون بأعينهم استهزاءً بالمؤمنين، واحتقاراً لهم.

﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ (٣١)

﴿وَ﴾: حرفٌ عطفيّ يفيد الحال ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿انْقَلَبُوا﴾: رجعوا ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾: ذويهم وإلى الذين من أمثالهم، في منازلهم، ومجالسهم ﴿انْقَلَبُوا﴾: رجعوا ﴿فَكِهِينَ﴾: عادوا مُستمعين، مُتَلذذين بالسخرية من المؤمنين.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾ (٣٢)

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾: إذا شاهد الكافرون المؤمنين أصحاب محمد ﷺ ﴿قَالُوا إِنَّ﴾: بالتأكيد ﴿هَؤُلَاءِ﴾: حرف إشارة للبعيد حيث يوجد المؤمنون ﴿لَ﴾: حرف علة وسبب ﴿ضَالُّونَ﴾: تائهون بالتأكيد عن دين آبائهم الكافرين.

﴿وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ (٣٣)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي واستفهام ﴿أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ﴾: ولم يُرسلِ اللهُ ﷻ هَؤُلَاءِ المجرمين ﴿عليهم﴾: على المؤمنين ﴿حَافِظِينَ﴾: رقباء؛ يُحصون عليهم أفعالهم ويسجلون لهم كلامهم.

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ (٣٤)

﴿ف﴾: حرف استثنائي يُفيدُ السبب ﴿الْيَوْمَ﴾: يوم القيامة ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيدُ هنا جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: جاء دورهم لينالوا من عدوهم ﴿مِنَ الْكُفَّارِ﴾: حرفٌ يُفيدُ بداية الغاية المكانية؛ وهم الذين كفروا بالله ﷻ وبرسله، عليهم السلام ﴿يَضْحَكُونَ﴾: الضحك والسرور المشروع.

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ (٣٥)

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: يجلسون براحةٍ وتمعنٍ على مقاعد الجنة المرتفعة ﴿يَنْظُرُونَ﴾: إلى ربهم، وهي الجائزة الأعظم، أن يشاهدوا ربهم مرتين في اليوم.

﴿هَلْ تُؤْتِبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦)

﴿هَلْ﴾: حرفٌ استفسارٍ بغرض التقرير؛ لبيان أنه قد وقع الجزاء على الكفار بما فعلوا ضد المؤمنين في الدنيا من استهزاء ﴿تُؤْتِبُ﴾: هل جُوزي، هل نالوا جزاء ﴿الْكُفَّارِ﴾: أخذوا عقابهم على ﴿مَا﴾: الذي ﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿يَفْعَلُونَ﴾: جزاء استهزاء، وإيذاء المؤمنين، والإجابة نعم يشهد بها الله ﷻ في هذه الآية الكريمة.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ ندرك منازل البشر يوم القيامة.

سُمِّيت سورة "الانشقاق" بهذا الاسم في المصاحف في زمن الصحابة، رضوان الله عليهم، سُمِّيت أيضًا سورة "إذا السماء انشقت"، وهي سورة مكية بالاتفاق، وموقعها (٨٣) في تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة "الانفطار" وقبل سورة "الروم"، وعدد آياتها (٢٥) آية عند أهل العدد بالمدينة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (١)

﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها **﴿السَّمَاءُ﴾**: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ بسبب ببيضاوية شكلها **﴿انشَقَّتْ﴾**: السماء تصدّعت؛ فتناثرت، وتقطرت يوم القيامة؛ لنزول الملائكة منها.

﴿وَأَذْنُ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ﴾ (٢)

﴿وَأَذْنُ﴾: جاء اللفظ القرآني "أذن" على وجهين؛ هنا بمعنى استمعت، وأطاعت لربّها؛ فانشقت، استمعت؛ مُنصاعةً مُذعنةً، أي مُنقادةً **﴿لِ﴾**: حرف تمليكٍ وتخصيص **﴿رَبِّهَا﴾**: المُعبود، والمُربي، مالك أمر السموات والأرض **﴿وِ﴾**: أيضًا **﴿حَقَّتْ﴾**: وحُق لها أن تتصاع لأمر الله العظيم ﷻ، الذي لا يُغالب.

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ (٣)

﴿وَإِذَا﴾: أداة عطفٍ ما بعدها على ما قبلها **﴿الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾**: انبسطت، توسعت وانتشرت ومنه البساط، وفُرشت، ووسّعت، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: تُمَدُّ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَدًّا لِعِظْمَةِ الرَّحْمَنِ، ثُمَّ لَا يَكُونُ لِبَشَرٍ مِنْ بَنِي آدَمَ إِلَّا مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ، ثُمَّ أُدْعَى أُولَى النَّاسِ فَأَخْرَجُوا سَاجِدًا ثُمَّ يُؤَدَّنُ لِي فَأَقُومُ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَخْبِرْنِي هَذَا لِجِبْرِيلَ وَهُوَ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَاللَّهُ مَا رَأَهُ جِبْرِيلُ قَبْلَهَا قَطُّ أَنْتَكَ أَرْسَلْتَهُ إِلَيَّ، قَالَ وَجِبْرِيلُ سَاكِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى يَقُولَ اللَّهُ: صَدَقَ، ثُمَّ يُؤَدَّنُ

لي في الشفاعة فأقول: يَا رَبِّ عِبَادُكَ عَبْدُكَ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ، فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ^(١)، وهذا يعني زوال الجبال، والله ﷻ أعلم بمصير البحار.

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ (٤)

﴿وَأَلْقَتْ﴾: أخرجت ولفظت ﴿مَا﴾: الذي من غير العاقل؛ لأنه رُفَات ﴿فِيهَا﴾: ما في باطنها من الأموات، والكنوز، والذخائر، وهنا تشبيهة لحال الأرض بحال المرأة الحامل، تلقي ما في بطنها عند الشدة، ألقتهم أحياء إلى ظهرها ﴿وَتَخَلَّتْ﴾: أيضاً تركت وتنازلت لهم عما كان في بطنها، وهذا تصويرٌ ليوم النشور، لم يبق في باطنها منهم شيءٌ.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ (٥)

﴿وَأَذِنَتْ﴾: استمعت وأطاعت ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿رَبِّهَا﴾: مالك أمرها كله؛ فانشقت ﴿وَحُقَّتْ﴾: وحق لها أن تُطيع الأمر العظيم الذي لا يُغالب. جاء تكرار هذه الآية لأنَّ الأولى كانت في السماء، وهذه كانت في الأرض.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (٦)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: نداءٌ من الله ﷻ للقريب والبعيد ﴿الْإِنْسَانُ﴾: لكلِّ البشر، من ولد آدم ﷺ ﴿إِنَّكَ﴾: أنت بالتأكيد الرباني ﴿كَادِحٌ﴾: إنك عاملٌ لكسب الخير أو الشرِّ إلى أن تلقى ربك فليكن عملك عملاً يُرضي ربك عنك في حياتك الدنيا، سعيًا وعملاً تحاسب عليه، والكدح هو السعي بعناء، وقد يُستعمل استعمال الكدم في الأسنان ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾: تعني كلمةُ الرَّبِّ: خمسة عشر معنى؛ وهي: المعبود، والمُربي، وهو المنشئ للشيء من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ الكمال، وهو تعالى الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيدُ ﴿كَدْحًا﴾: عاملٌ بجِدٍّ وتعبٍ ومشقة ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب ﴿مُلَاقِيهِ﴾: ستلقى جزاء ما عملت من خيرٍ أو شرِّ، ملاقي ربك؛ فيجازيك بعملك، ويُجازيك على سعيك، وقيل ملاقي عملك خيرًا بخير، وإن كان شرًّا بشر.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ (٧)

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٤/٦١٤ (٨٧٠١) وقال: صحیح الإسناد علی شرط الشیخین ولم یخرجاه.

﴿فَأَمَّا﴾: حرف تفضيلٍ وتوكيدٍ بمعنى أي ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿أُوتِيَ﴾: استلم يوم القيامة ﴿كِتَابَهُ﴾: صُحْفُ أعماله ﴿بِ﴾: حرف باء الصلّة والتأكيد ﴿يَمِينِهِ﴾: يتسلمه بيده اليمنى، وهذا هو من أهل الجنة.

﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨)

﴿ف﴾: حرف استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿سَوْفَ﴾: كلمة وعدٍ لعملٍ في المستقبل ﴿يُحَاسِبُ﴾: يُجَازَى ﴿حِسَابًا﴾: جزاءً ﴿يَسِيرًا﴾: لا يُحَقِّقُ معه على دقائق صغائر أعماله، فإنّ مَنْ حُوسِبَ هلك لا محالة، قال محمدٌ: ﷺ: مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُدِّبَ^(١).

﴿وَيُنْقَلَبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (٩)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿يُنْقَلَبُ﴾: يرجع ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾: في الجنة ﴿مَسْرُورًا﴾: فرحًا، سعيدًا، مُغْتَبِطًا.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ (١٠)

﴿وَأَمَّا﴾: حرف تفضيلٍ وتوكيدٍ ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿أُوتِيَ﴾: تسلّم من أهل النار ﴿كِتَابَهُ﴾: كتاب الحساب، صحيفة عمله ﴿وَرَاءَ﴾: خلف ﴿ظَهْرِهِ﴾: حيثُ تُثْنَى ذراعُهُ اليمنى وراء ظهره؛ ويأخذ الكتاب باليد اليسرى؛ والهدف هو الإهانة، والله ﷻ أعلم.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾ (١١)

﴿ف﴾: حرف استثنائيّ يفيد ترتيب الأمر وسرعة التنفيذ ﴿سَوْفَ﴾: كلمة وعدٍ لعملٍ في المستقبل ﴿يَدْعُو﴾: على نفسه بالهلاك ﴿ثُبُورًا﴾: الثبور حالات من الهلاك، والفساد المثابرة، المستمرة.

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ (١٢)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال؛ أيضًا يدخل النار ﴿يَصْلَىٰ﴾: يُقَاسَى وَيُكَابَدُ ﴿سَعِيرًا﴾: حرّ جهنّم.

﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (١٣)

(١) صحيح البخاري ١١١/٨ (٦٥٣٦).

﴿إِنَّهُ﴾: هو بالتأكيد ﴿كَانَ فِي أَهْلِهِ﴾: مع أهله، وأقرانه من العصاة في الحياة الدنيا
﴿مَسْرُورًا﴾: فرحًا بكفره، وعصيانته، لا يُفكر في العواقب، ولا يخاف الآخرة.

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ (١٤)

﴿إِنَّهُ﴾: هو بالتأكيد شهادة من الله ﷻ ﴿ظَنَّ﴾: اعتقد ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿لَنْ﴾: حرف
نفي ﴿يَحُورَ﴾: لن يُبعث، ولن يرجع إلى الله ﷻ، لقد كان كافرًا بالقيامة.

﴿بَلَىٰ إِنْ رَبُّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ (١٥)

﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب للتصديق بمعنى نعم، حقًا ليحورن وليُبعثن وليُحاسبن ﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد
ونفي الشك والإنكار ﴿رَبُّهُ﴾: مالك كلِّ أمره ﴿كَانَ﴾: وسيبقى ﴿بِهِ بَصِيرًا﴾: عليمًا به وبما عمل
علم الذي يُبصر كلَّ شيءٍ بأقواله، وأفعاله في العلن والسر.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ (١٦)

﴿فَلَا﴾: حرف تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل ﴿أُقْسِمُ﴾: أقسم الله ﷻ ﴿بِ﴾: حرف باء
الصلة والمصاحبة ﴿الشَّفَقِ﴾: قال عليّ، وابن عباس: الحُمرة في السماء، وقال مجاهد: الشفق
هو حُمرة، إمّا قبل طلوع الشمس وإمّا بعد غروبها، والحُمرة من غروب الشمس وقت العشاء
الآخرة، فإذا غاب قيل غاب الشفق، وقال أبو هريرة: البياض، وقال مجاهد: النَّهار كَلَّه؛ إنَّ
هذه الظواهر ناتجة من عظم خلق الشمس والأرض، وبسبب دور ووظيفة الشمس، ودورة الأرض
حولها، وتعاقب الليل والنَّهار، وأثرها في الزراعة، والحياة، والنمو وغيرها، أكثر أهل العلم على
أنَّ الشفق هو الحُمرة بعد غروب الشمس يقول الله ﷻ ليس الأمر هكذا كما تدعون من أنَّه لا
بعث ولا جزاء، أقسم ﷻ أنه سيكون.

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ (١٧)

﴿و﴾: أيضًا يقسم الله ﷻ بـ ﴿اللَّيْلِ وَمَا﴾: الذي ﴿وَسَقَ﴾: ما جُمع الليل من كلِّ ذي روحٍ من
السواحب والطيور وسارح في البرِّ؛ فيكون القسم بالضياء الشفق، والظلام. وهي ظاهرة تعاقب
الليل والنَّهار، وهي ظاهرة طبيعية عظيمة، حيث تدور الأرض حول الشمس؛ فإنَّ غابت عن

الأرض منطقة عن ضوء الشمس كان الليل؛ وإن تعرضت له كان النهار، فعلى سطح الأرض في كل لحظة ليل ونهار متعاقبين.

﴿وَالْقَمَرَ إِذَا اتَّسَقَ﴾ (١٨)

﴿و﴾: أيضًا يقسم الله ﷻ ب ﴿الْقَمَرَ إِذَا اتَّسَقَ﴾: قال ابن عباس: اجتمع واستوى، وقال الحسن: اجتمع، وامتلاً، واكتمل نوره، وقال قتادة: استدار، وكل ما قيل يُفيد اكتمال النور؛ في الليالي البيض، ويُلاحظ أنّ ظاهرة اكتمال القمر ظاهرة طبيعية؛ غاية في العظمة، والنظام والتكرار، ناتجة من حركة دوران القمر حول الأرض، ودورانه والأرض حول الشمس، في هذا الإطار البديع من العلاقات الكونية.

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٩)

هنا يأتي جواب القسم الربّاني ﴿ل﴾: حرف لام القسم، الذي يفيد هنا العاقبة، وهي ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾: بكل تأكيد ستلاقون حالاً بعد حالٍ، الموت ثم الحياة، ثم العرض، ثم الحساب، ثم الجزاء ليس كما تظنون أنه موتٌ ولا غير، بالتأكيد تلاقون ﴿طَبَقًا﴾: وتعيشون أحوالاً ﴿عَنْ﴾: حرف جرٍ يفيد هنا على ﴿طَبَقٍ﴾: قال ابن عباس: حالاً بعد حال، وقال الشعبي: لتركبن يا محمد ﷺ سماءً بعد سماءٍ في ليلة الإسراء، وقيل منزلاً على منزلٍ، وقيل أمراً بعد أمرٍ.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠)

﴿فَمَا﴾: حرف عطفٍ يفيد هنا الاستفهام ﴿لَهُمْ﴾: استفهام إنكاريٍ وللتعجب من حالهم تخصيصاً، ماذا يمنعهم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: بالله ﷻ، ورسوله، واليوم الآخر.

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ (٢١)

﴿وَإِذَا﴾: أداة ربطٍ ما بعدها بما قبلها ﴿قُرِئَ﴾: قرأ الرسول ﷺ أو قرأ مؤمنٌ ﴿الْقُرْآنُ﴾: كتاب الله ﷻ وآياته، يكون رد فعلهم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْجُدُونَ﴾: لا يسجدون تكريماً وتعظيماً.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ﴾ (٢٢)

﴿بَلِ﴾: حرف إثباتٍ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع من ﴿كَفَرُوا﴾: إنّ حقيقة الكافرين وسجيتهم أنهم ﴿يُكْذِبُونَ﴾: عناداً، وتكبراً ورغبةً في المخالفة.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ (٢٣)

﴿و﴾: عطفاً على هذا فإنَّ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ﴾: صاحب العلم المطلق ﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي ﴿يُوعُونَ﴾: يضمرون، يجمعون على فهمه من السيئات، وقال مجاهد، وقتادة: يكتمون في صدورهم.

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢٤)

﴿ف﴾: حرف استثنائي يُفيدُ ترتيب الأمر وسرعة التنفيذ؛ لهذا السبب ﴿بَشِّرْهُمْ﴾: أيها الرسول، من المعروف أنَّ البشري للخبر السار، ولكنها هنا للتقريع والتوبيخ، والتهكم أخبرهم يا محمد ﷺ أنَّ الله ﷻ أعدَّ وجهز لهم وسيصيبهم ﴿ب﴾: حرف باء الصلة والمصاحبة ﴿عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: شديد الوجع والإيلام.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٢٥)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ منقطعٍ؛ يعني لكن ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع النساء والرجال من ﴿آمَنُوا﴾: بقلوبهم وعملت بذلك جوارحهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: أيصاً عملوا ما أمر الله ﷻ بها ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً ﴿أَجْرٌ﴾: ثوابٌ وجائزةٌ في الآخرة ﴿غَيْرُ﴾: حرف استثناءٍ بمعنى إلا ﴿مَمْنُونٍ﴾: قال ابن عباس: غير منقوصٍ، وقال مجاهد: غير محسوبٍ، وفي هذه الحالات غير مقطوعٍ؛ أي غير منقوص، وهو الجنة.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نعلم شيئاً من أهوال يوم القيامة وهو خضوع الكون لله ﷻ.



سمّيت سورة "البروج" بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير والسنة، وسمّيت أيضاً سورة "السماء ذات البروج" وهي سورة مكّية بانطاق، وترتيبها (٢٧) في تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة "والشمس وضحاها" وسورة "التين"، وعدد آياتها (٢٢) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ (١)

﴿و﴾: واو القسم ﴿السَّمَاءِ﴾: يقسمُ اللهُ ﷻ بالسماء، وما جاء بعدها، وهي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها بسبب بيضاوية شكل الأرض، وهو في الحقيقة كلُّ ما يحيط بالكرة الأرضية وبما فيها من مخلوقاتٍ ﴿ذَاتِ﴾: المشتملة على ﴿الْبُرُوجِ﴾: هي القصور، قال ابن جرير: هي منازل الشمس والقمر، وهي اثنا عشر بُرجًا، تسير الشمس في كلِّ واحدٍ منها شهرًا، ويسير القمر في كلِّ واحدٍ منها يومين وثلث اليوم، فذلك ثمانية وعشرون منزلةً، ويستتر، يختفي ليلتين، وقال ابن عباس: هي النجومُ العظام، وقال يحيى بن رافع: قصور السماء، وقال المنهال بن عمرو: الخلق الحسن.

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ (٢)

﴿و﴾: أيضًا يقسم اللهُ ﷻ بـ ﴿الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَالْيَوْمُ الْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَمَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ عَلَى يَوْمٍ أَفْضَلَ مِنْهُ، فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَفِّقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يَدْعُو اللَّهَ بِخَيْرٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ، وَلَا يَسْتَعِيدُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَعَادَهُ اللَّهُ مِنْهُ»^(١)، وقال ابن جرير عن ابن عباس: يوم عرفة.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ (٣)

﴿و﴾: أيضًا يقسمُ اللهُ ﷻ بكلِّ ﴿شَاهِدٍ﴾: كلُّ نبيٍّ يشهد على أمته، وكلٌّ من يشهد على غيره فيه ﴿و﴾: أيضًا يقسمُ تعالى بكلِّ ﴿مَشْهُودٍ﴾: جاء اللفظ "شاهد" و"مشهود" بصيغة النكرة من بين الأيام التي أقسم بها اللهُ ﷻ بفضيلةٍ ليست لغيرهما قال أبو هريرة: يوم عرفة، وقال ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، ومجاهد، والضحاك: يوم القيامة، وقال مجاهد، وابن عباس، وابن جرير: يوم الجمعة، والأغلب أنَّ الشاهد هو يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة؛ والله ﷻ أعلم.

﴿قَتْلِ أَصْحَابِ الْأَخْذُودِ﴾ (٤)

^(١) سنن الترمذي ٤٣٦/٥ (٣٣٣٩) حسنة الألباني.

﴿قُتِلَ﴾: لعن ﴿أَصْحَابُ﴾: لعن الله ﷺ لعنًا شديدًا ﴿أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾: والأخدود هو مفرد أخاديد، وهي الخفر في الأرض؛ لعمل شقّ مستطيل في الأرض، هو الخندق. عَنْ صُهَيْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَأَبَعْتُ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السِّحْرَ، فَبَعَثْتُ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرًّا بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلَ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجْرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَأَقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبُ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بُنْيٍ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلَ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَأَمَنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بُنْيٍ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَن دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمُنْشَارِ، فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شَقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَن دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شَقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَن دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَهْرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَن دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذْهَبُوا بِهِ فَصَعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتُمْ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا

فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَعْرِ مَنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَأَحْمِلُوهُ فِي فُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَأَقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَأَنْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَعَرِفُوا، وَجَاءَ يَمْسِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِدْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ صَعِ السَّهْمَ فِي كَيْدِ الْفَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْعُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِدْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَيْدِ الْفَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْعُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْعُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْعُلَامِ، فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأَخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّبْكَ، فَحُدَّتْ وَأُضْرِمَ النَّيْرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: افْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْعُلَامُ: يَا أُمَّهُ اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ" (١).

﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ (٥)

﴿النَّارِ﴾: الْمُوجَّجَةُ فِي الْأَخْدُودِ ﴿ذَاتِ﴾: صَاحِبَةُ ﴿الْوُقُودِ﴾: الْإِشْتِعَالِ الْكَبِيرِ، تُسَعَّرُ، مُرْعَبَةٌ، مُخَيَّفَةٌ.

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ (٦)

﴿إِذْ﴾: حَرْفٌ يَدُلُّ عَلَى مَا مَضَى مِنَ الزَّمَنِ لِلتَّوَكِيدِ ﴿هُمُ﴾: ضَمِيرُ الْجَمْعِ الْمَذْكَرِ، وَهِيَ لِلتَّخْصِيصِ، هُنَا هُمُ الْمَجْرُمُونَ ﴿قُعُودٌ﴾: عَلَى حَافَةِ النَّارِ يَقْعُدُونَ يَنْتَظِرُونَ الْأَمْرَ بِالْقَائِمِ فِي النَّارِ، وَهَذَا أَرْجَحُ، وَقَدْ يَكُونُ الْمَقْصُودُ مِنْ جُلُوسِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِجَوَارِ الْأَخْدُودِ، يَنْتَظِرُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ ﷻ؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) صحيح مسلم ٤/٢٢٩٩ (٣٠٠٥)

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ (٧)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحالَ ﴿هُمْ﴾: ضميرُ الجمعِ المذكورِ، وهي للتخصيصِ، هنا هم الكفارُ تحديدًا ﴿عَلَىٰ مَا﴾: الذي ﴿يَفْعَلُونَ﴾: التخويفُ، والترهيبُ، والتتكيلُ، ثم الإلقاءُ في النارِ ﴿بِ﴾: حرفُ باءِ الصلةِ والمصاحبةِ ﴿الْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾: يُشاهدون ماذا سيحدثُ للمؤمنينَ، وقد يعني أيضًا سيشهدون يومَ القيامةِ على ما فعلوا بالمؤمنينَ في الدنيا.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (٨)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿مَا﴾: حرفُ نفيٍ ﴿نَقَمُوا﴾: أداةٌ تقيدُ الحصرَ؛ بما كرهوا، وما عابوا، وما أنكروا ﴿مِنْهُمْ﴾: على المؤمنين ﴿إِلَّا﴾: حرفُ استثناءٍ ﴿أَنْ﴾: حرفُ تأكيدِ الفعلِ ﴿يُؤْمِنُوا﴾: إلا أنهم آمنوا ﴿بِ﴾: حرفُ باءِ الصلةِ والمصاحبةِ ﴿اللَّهُ الْعَزِيزِ﴾: الذي لا يُغالبه أحدٌ، وما من أحدٍ إلا يحتاجُ إليه ﷻ ﴿الْحَمِيدِ﴾: المحمودُ في ذاته وصفاته.

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٩)

﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد؛ والمقصودُ هنا الواحد، الأحد، ﷻ ﴿لَهُ﴾: تمليكًا ﴿مُلْكُ﴾: ملكوت ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرضَ، وأحاطَ بها؛ بسبب كونها ببيضاوية الشكلِ ﴿وَالْأَرْضِ﴾: مالكٌ ما خلقَ، وهي السمواتُ والأرضُ وما ومن عليها ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحالَ؛ عطفًا على هذا فإنَّ ﴿اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: تفيدُ عمومَ الخلقِ دونَ استثناءٍ ﴿شَيْءٍ﴾: جاء بصيغةِ النكرةِ ليؤكدَ كلَّ شيءٍ ﴿شَهِيدٌ﴾: يعلمُ كلَّ قولٍ و كلَّ عملٍ، في ملكوته العظيمِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَهَنَّمُ إِلَّا جَهَنَّمَ وَاللَّهُ شَهِيدٌ﴾ (١٠)

﴿إِنَّ﴾: حرفُ التأكيدِ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيدُ هنا جميعَ مَنْ ﴿فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: الآيةُ عامَّةٌ عذبوا المؤمنينَ والمؤمناتِ بالنارِ ﴿لَمْ﴾: حرفٌ نفيٍ ﴿يَكُنْ لَهُمْ جَهَنَّمُ إِلَّا جَهَنَّمَ﴾: لم يُقلعوا عمدًا يفعلون، ولم يتوبوا، ولم يندموا قبلَ الغرغرةِ ﴿ف﴾: حرفٌ يفيدُ السببِ ﴿لَهُمْ﴾: حرفٌ يفيدُ التخصيصِ، نصيبهم ﴿جَهَنَّمَ﴾: جزاؤهم جهنمُ، وهو الخزي في الآخرة، وهو غيرُ عذابِ الحريقِ؛ عذابًا من جنسِ عملهم في المؤمنين في الحياة

الدنيا ﴿و﴾: أيضًا ﴿لَهُمْ﴾: تحديداً ﴿عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾: يُعَذَّبُونَ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ بسبب تعذيبهم المؤمنين بالنار في الحياة الدنيا.

التكليف: إِنَّ التَّوْبَةَ مَقْبُولَةٌ قَبْلَ الْغُرُورِ وَلَوْ طَالَ الزَّمَنُ، بِمَعْنَى لَوْ تَابُوا لَخَرَجُوا مِنَ الْوَعِيدِ.
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾
(١١)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: بقلوبهم ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: نَفَّذُوا مَا أَمَرَ اللَّهُ ﷻ بِعَمَلِهِ مِنْ عِبَادَاتٍ وَمَعَامِلَاتٍ ﴿لَهُمْ﴾: تمليكًا وتخصيصًا ﴿جَنَّاتٍ﴾: وليست جنَّةً واحدةً ﴿تَجْرِي﴾: تمر بسرعة ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: زيادة في المتعة ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد، وتعني هنا علو الدرجة الفضل والشرف، وهذه من ﴿الْفَوْزِ الْكَبِيرِ﴾: الجائزة الكبرى فوز الآخرة، في مقابل عذاب الحريق للذين كفروا.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (١٢)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿بَطْشٌ﴾: أخذهُ الشَّدِيدُ لِلجَبَابِرَةِ وَالظَّالِمِينَ بِالْعَذَابِ ﴿رَبِّكَ﴾: مالك كلِّ أمر فهو مالك أمر السموات والأرض هو الله ﴿لَشَدِيدٌ﴾: قاسٍ شديدٌ الإيلاج.
﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾ (١٣)

﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد الرباني ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، هنا المقصود هو الله ﷻ ﴿يُبْدِي﴾: فقد خلق الخلق ابتداءً بلا ممانعة جاء لفظ "يبدئ" لأنَّ الإعادة أهون عليه من البداية؛ ﴿و﴾: أيضًا ﴿يُعِيدُ﴾: ويعيدهم أحياء بعد الموت حين يُبعثُ الموتى فاتَّه يُعِيدُ بلا ممانعة؛ أي يحيي من خَلَقَ سابقًا، مرَّةً أخرى يوم القيامة.

﴿وَهُوَ الْعَفْوَورُ الْوَدُودُ﴾ (١٤)

﴿وَهُوَ﴾: الله ﷻ ﴿الْعَفْوَورُ﴾: يسامح عن ذنب من تاب، وأناب، وخضع، وأطاع لمن تاب ﴿الْوَدُودُ﴾: المُحِبُّ لِأَوْلِيَائِهِ، الْمَحْبُوبُ لَهُمْ، الْمُتَوَدُّدُ بِالْكَرَامَةِ، يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ.

﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ (١٥)

﴿ذُو﴾: صاحب ﴿الْعَرْشِ﴾: عرش الله ﷻ ﴿الْمَجِيدُ﴾: جاءت صفة الرَّبِّ مرفوعًا، فهو العظيم الجليل المتعالي، فهو صاحب العرش العظيم، العالي على الخلق.

﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (١٦)

﴿فَعَالٌ﴾: جاء اللفظ بالنكرة لتعظيم الأفعال إذا فعل فلا مُعَقَّب لحكمه، ولا رادَّ لقضائه ﴿لِذَا﴾: للذي ﴿يُرِيدُ﴾: لعظمته، وقهره، وعدله.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ (١٧)

﴿هَلْ﴾: حرفٌ للاستفهام بغرض التقرير ﴿أَتَاكَ﴾: هل بلغك يا محمد ﷺ ﴿حَدِيثٌ﴾: قصة ﴿الْجُنُودِ﴾: كانوا اثنين من الجنود الطغاة الكفرة في أممٍ من قبلك؟ هما:

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ (١٨)

﴿فِرْعَوْنَ﴾: اقتصر الذكر على هاتين الطائفتين لشهرتهما عند أهل الكتاب، وعند المشركين من العرب؛ وهما عبرةٌ كافيةٌ لغيرهم؛ الأول هو فرعون الذي طغى في البلاد، في مصر؛ في عهد موسى ﷺ؛ فأكثر فيها الفساد؛ فأغرقه الله ﷻ وجموده؛ ونبذهم في البحر ﴿و﴾: أيضًا الآخر ﴿ثَمُودَ﴾: من قوم صالح ﷻ. انظر تفسير [الأعراف-٧٣ حتى ٧٩].

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ (١٩)

﴿بَلِ﴾: حرف إثبات، يفيد الانتقال من معنى إلى معنى آخر، بمعنى اضرب عن مماثلة هؤلاء الكفار الموجودين في عصرك يا محمد ﷻ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: إنَّ الذين كفروا بالله ﷻ، وملائكته، وكتبه، ورسله، وغطوا حقائقها، وأنكروها ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾: هم في شكٍّ وريبةٍ، وفي عنادٍ، وتكبرٍ لمن أدرك صدق الآيات، ولم يؤمن.

﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ (٢٠)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال ﴿اللَّهُ مِنْ﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية المكانية ﴿وَرَائِهِمْ﴾: في حسابه تعالى على أعمالهم ﴿مُحِيطٌ﴾: يحيطهم علمه ﷻ، وتحيطهم قوته ﷻ، وهو قاهرٌ لهم، لا يُعجزونه ولا يفرون من أمره.

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ (٢١)

﴿بَل﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده، حرفٌ نفيٌّ وإثباتٌ ﴿هُوَ﴾: إنّه بالتأكيد ﴿قُرْآنٌ﴾
﴿مَجِيدٌ﴾: ليس كما زعم المكذوبون والمشركون الذين قالوا عنه شعر، أو قالوا سحر، بل هو قرآن
عظيمٌ كريمٌ.

﴿فِي نُوْحٍ مَّحْفُوْظٍ﴾ (٢٢)

﴿فِي نُوْحٍ﴾: في الملاء الأعلى ﴿مَّحْفُوْظٍ﴾: محميٌّ ومُصانٍ من الزيادة والنقص، ولا يناله
التحريف، والتبديل، واللوح المحفوظ مكتوب فيه أعمال الخلائق وما هو كائن إلى يوم القيامة،
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ
قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ (١).
التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ جاء استعراض قوة الله ﷻ، ووعيده للمشركين
بالعذاب الشديد.



سمّيت سورة "الطارق" بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير والسنة، ووجه التسمية
لوقوع هذا اللفظ في أولها، وسمّيت أيضًا "السماء والطارق"، وهي سورة مكّية بالاتفاق: وترتيب
نزولها الرقم (٣٦) في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة لا أقسم بهذا البلد" وقبل سورة "اقتربت
الساعة" وعدد آياتها (١٧) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ بِالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ، وَالسَّمَاءِ
ذَاتِ الْبُرُوجِ وَنَحْوَهُمَا مِنَ السُّورِ (٢).

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ (١)

(١) صحيح مسلم ٢٠٤٤/٤ (٢٦٥٣).

(٢) سنن أبي داود ١٠٣/٢ (٨٠٥)، قال الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره.

﴿و﴾: واو القسم ﴿السَّمَاءِ﴾: يقسم الله ﷻ بكلِّ ما علا الأرض، وأحاط بها، وما فيها من
كواكب ﴿و﴾: أيضاً يقسم الله تعالى بـ ﴿الطَّارِقِ﴾: وأقسم ﷻ بالنجم، هو نجمٌ يظهر ليلاً في
السماء، ثم أوضح ﷻ ما هو الطارق.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ (٢)

﴿وَمَا﴾: حرف استفهام ﴿أَدْرَاكَ﴾: ما أعلمك وعزَّكَ ﴿مَا الطَّارِقُ﴾: ما أعلمك يا محمد ﷺ عن
هذا النجم العظيم، الذي يظهر ويطلع ليلاً، ويختفي نهاراً، وجاء التعريف بما أقسم به ﷻ وله
رفعة قدرٍ بحيث لا ينالها إدراك الخلق، إلا بفضل الله ﷻ، وقد يكون الطارق هو كلُّ ما يطرق
ويأتي ليلاً، فإذا طرق أحدهم الباب يطلب حاجته فهو طارق.

﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ (٣)

﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾: هنا تعريفٌ بما سبق؛ لإزالة الإبهام الحاصل بالاستفهام السابق؛ الذي يتقب
السماء بضياءه المتوهج، قال ابن عباس: المضيء، وقال السدي: يتقب الشياطين إذا أرسل
عليهم، وقال: عكرمة مضيء، ومحرَّق للشياطين.

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (٤)

﴿إِنْ﴾: هنا جواب القسم حرف شرط ما ﴿كُلُّ﴾: حرف يفيد العموم ﴿نَفْسٍ﴾: هي جوهر
الإنسان؛ هي ذاته، ولقد جاءت نكرة؛ لتؤكد العموم، وجاء جواب القسم: لكلِّ نفس مخلوق
﴿لَمَّا﴾: بمعنى إلا ﴿عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾: أوكل الله ﷻ على كلِّ نفسٍ رقيباً ومهيماً وحافظاً، يحرسها
من كلِّ شرٍّ، وهو ملكٌ يحفظ الأعمال.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (٥)

﴿ف﴾: حرف استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿ل﴾: حرف علّة وسببٍ
﴿يَنْظُرِ﴾: ليدرس ﴿الْإِنْسَانُ﴾: ابن آدم الذي يُنكر البعث ﴿مِمَّ﴾: من أيِّ شيءٍ ﴿خُلِقَ﴾: من
مبتدأ خلقه؛ ليعلم قدرة الله ﷻ على ما هو دون البعث؛ نظرة تفكيرٍ واستدلالٍ؛ هي دعوة إلى
معرفة أصل الإنسان الذي خلقه الله ﷻ، وهو القادر على إعادته، ويجب ﷻ:

﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ (٦)

﴿خُلِقَ﴾: أوجد الله ﷻ الإنسان من غير سابق وجود أو مثال ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿مَاءٍ﴾: جاء من ماءٍ واحدٍ؛ هو خليط السائل المنوي من الذكر ومن ماء الأنثى الذي فيه البويضة من الأنثى، ﴿دَافِقٍ﴾: يخرج المنى دفعًا من الرجل على هيئة سائلٍ بشكلٍ سريعٍ، وتخرج البويضة من مبيض المرأة؛ تسير في واحدةٍ من قناتين، نحو الرحم، يُعرّفهما الأطباء بقناتي "قالبوب" وهو اسم العالم الذي وصفهما.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ (٧)

﴿يَخْرُجُ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿بَيْنِ﴾: السائل المنوي من الخصيتين والبويضات من المبيض؛ وهذا من الإعجاز العلمي الواضح؛ فأصل الإنسان من الحيوان المنوي الذي تنتجه خصية الرجل، حيث توجد خصيةٌ على كلّ جانب، وتخرج البويضة من المبيض، مبيضٌ على كلّ جانب، وأصلُ تكوين الخصية، وأيضًا تكوين المبيض من منطقة في الزاوية بين ﴿الصُّلْبِ﴾: وهو العمود الفقري، وبين مكانٍ آخر هو ﴿التَّرَائِبِ﴾: وهي الضلوع، ومعهم نسيج الكلية، ثم يحدث التمييز؛ فتتكون الخصية في الذكر، ويتكون المبيض في الأنثى، وتُسحب كلّ خصية بوترٍ أوله في بطن كيس الصفن في الذكر، وبالقرب من المبيض في حوض المرأة؛ فأصلُ الخصية والمبيض من بين الصلب والترائب.

التكليف: هذه الدراسة الطبية من الإعجاز العلميّ الطيّب في القرآن الكريم.

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ (٨)

﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد هو الله ﷻ ﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾: إعادة إحياء الإنسان ﴿لِ﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿قَادِرٌ﴾: كما أنشأ الإنسان، الذكر والأنثى ﷻ من المبيض والخصية؛ قادرٌ على أن يُعيده من التراب يوم القيامة.

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ (٩)

﴿يَوْمَ﴾: يوم القيامة ﴿تُبْلَى﴾: يوم تتكشف ﴿السَّرَائِرُ﴾: المكنونات، والخفيات والأسرار، فتتكشف ما كانت تضمّر القلوب من النيات والعقائد وغيرها، يتم التمايز بين المؤمن الكافر.

﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ (١٠)

﴿فَمَا﴾: حرفٌ يفيدُ الخير ﴿لَهُ﴾: ليس للإنسان يوم القيامة ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيدُ بيانَ وتمييزِ النوعِ ويفيدُ هنا ابتداءَ الغاية ﴿قُوَّةٍ﴾: طاقةٌ وعزيمةٌ في نفسه ﴿وَلَا﴾: وأيضًا ليس له ﴿نَاصِرٍ﴾: يُنقذهُ من عقابِ الله ﷻ له.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ (١١)

﴿و﴾: حرفٌ واو القسم؛ يقسم الله ﷻ بـ ﴿السَّمَاءِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لأنها كروية الشكل ﴿ذَاتِ﴾: صاحبة ﴿الرَّجْعِ﴾: من الرجوع، قال ابن عباس: الرجوع هو المطر، حيث يرجع ويتكرر كلَّ عام، وقال قتادة: يرجع رزق العباد كلَّ عام؛ وفي هذا حياةٌ للإنسان، والحيوان، والنبات، والحشرات، وغيرها.

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ (١٢)

﴿و﴾: واو القسم بـ ﴿الْأَرْضِ ذَاتِ﴾: صاحبة خاصية ﴿الصَّدْعِ﴾: التي تتشقق، وتبتعد عن بعضها، ويخرج منها النبات، والشجر، فالصدع هو تشقق الأرض.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ (١٣)

﴿إِنَّهُ﴾: هنا جواب القسم، هو القرآن الكريم ﴿لِ﴾: حرف تأكيد ﴿قَوْلٍ فَصْلٍ﴾: قال ابن عباس: قولٌ حقٌّ، وقال آخرون: حُكْمٌ عدل، قولٌ يفصل؛ فيبين لهم الحق من الباطل.

﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ (١٤)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلًا مرفوعًا للغائب المفرد، المذكر، هنا المقصود القرآن الكريم؛ إنّه جدُّ، وحقٌّ، وصدق ﴿بِ﴾: حرف باء الصلة والتوكيد ﴿الْهَزْلِ﴾: الذي هو عكس الجد، وليس باللعب، أو اللهو، أو التسلية.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ (١٥)

﴿إِنَّهُمْ﴾: هم الكفار المكذبون بالرسول ﷺ ﴿يَكِيدُونَ﴾: يمكرون بالمؤمنين وبالناس، ويضلونهم، ويأخذونهم إلى خلافٍ مع القرآن الكريم ﴿كَيْدًا﴾: مكرًا كبيرًا مؤكَّدًا. التكليف: هذه الآيات بشارات للنبي ﷺ وللمؤمنين من أنه سيُبطل كيد كفار قريشٍ وسيستأصل شأفتهم، وهي قضيةٌ مستمرة في كلِّ عصرٍ ومع كلِّ دعوةٍ إسلاميةٍ صادقة.

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ (١٦)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحالَ ﴿أَكِيدُ كَيْدًا﴾: والقائلُ هو اللهُ ﷻ: أبطلَ كيدهم، وأردّه عليهم في الدنيا وأعاقبهم عليه في الآخرة.

﴿فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُؤِينًا﴾ (١٧)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿مَهْلٍ﴾: لا تستعجل الانتقام من ﴿الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ﴾: أجَلهم ﴿رُؤِينًا﴾: قليلاً، أو قريباً؛ سيحلّ بهم من الخيبة والعذاب في الدنيا؛ ولعذاب الآخرة أشدُّ وأبقى.
التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ ندرك ضرورة رقابة الله ﷻ البالغة لكلِّ شيءٍ في ملكه.



سماها أكثر المفسرين بسورة "الأعلى"، وكتبت بهذا الاسم في المصاحف، وفي السنة النبوية، ووجه التسمية لوقوع صفة الأعلى فيها دون غيرها، وسميت أيضاً "سبح اسم ربك الأعلى"، وسميت "سبح"، وهي سورة مكّية في قول الجمهور، وترتيبها (٨) في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة التكوير، وقبل سورة الليل، وعدد آياتها (١٩) آية باتفاق أهل العَدِّ،

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١)

فضل هذه السورة: عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ، وَفِي الْجُمُعَةِ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ، قَالَ: وَإِذَا اجْتَمَعَ الْعِيدُ وَالْجُمُعَةُ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، يَقْرَأُ بِهِمَا أَيْضًا فِي الصَّلَاتَيْنِ^(١).

﴿سَبِّحْ﴾: أمرٌ من الله ﷻ للإنسان: أن نزهَ أيها المخلوق الله ﷻ، عمّا لا يليق به ﴿اسْمِ﴾: أي انطق باسمه ﷻ عند ذكرك إياه ﴿رَبِّكَ﴾: هو ﷻ المُعبود، والمُربّي، وهو المنشئ لكلِّ شيءٍ من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام وهو تعالى الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط،

(١) صحيح مسلم ٥٩٨/٢ (٨٧٨).

والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ؛ فهو ﷻ مالك كلِّ أمر فهو مالك أمر السموات والأرض؛ فأنت عبده وهو ﴿الأعلى﴾: تنزيهاً يليق بعظمته ﷻ، له علو الذات، والقدر، والقهر، على الكون.

التكليف: رُوي في السنن أنه لما نزلت سبح باسم ربك الأعلى قال ﷻ اجعلوها في سجودكم؛ فكانوا يقولون في سجودهم سبحان ربِّي الأعلى ثلاثاً فأكثر.

﴿الذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ (٢)

﴿الذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد، والمقصود هنا هو الله ﷻ الواحد، الأحد، ﷻ ﴿خَلَقَ﴾: أوجد كلَّ شيءٍ، وخاصةً الإنسان، من غيرِ سابقِ وجودٍ ﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب ﴿سَوَّى﴾: جعله سويًا في وظائف أعضائه، وفي قامته المنتصبة، وجعله في أحسن الهيئات.

﴿وَالذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ (٣)

﴿وَالذِي قَدَّرَ﴾: قدرًا محتومًا لكلِّ مخلوقٍ ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب ﴿هَدَى﴾: دلَّ الإنسان على ما هو مُقدَّر له، قال مجاهد: هدى الإنسان للشقاوة والسعادة، وهدى وقدر للمخلوقات كلها أجناسها، وصفاتها، وطباعها ومثال ذلك كيف هدى الأنعام لمراعيتها، مثال ذلك قد يولد الحيوان وهو لا يرى، ولكنّه يذهب بحثًا عن ثدي أمه؛ ولا يقبل سواه.

﴿وَالذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ (٤)

﴿وَالذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد، الواحد الأحد ﷻ ﴿أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾: جعل الحبة تأخذ الماء، وتنفتح، ويخرج الساق لأعلى، وتتجه الجذور إلى أسفل.

﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ (٥)

﴿ف﴾: بهذا السبب ﴿جَعَلَهُ﴾: قدر مصيره أن يكبر، وينمو، وينتج، ويُحصد، فيكون ﴿غُثَاءً﴾: هشيمًا، الجاف من النبات، ضعيف الوزن، كغثاء السيل ﴿أَحْوَى﴾: مُتغيّرًا بعد الخضرة إلى السُمرّة أو السواد.

﴿سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ (٦)

﴿س﴾: حرفُ توكيدِ الفعلِ والقولِ في المستقبلِ ﴿نُقْرُوكَ﴾: نتلو عليك أيها الرسول الوحي من عندنا حتى تقرأه وتحفظه، ولا تتساه، جاءت بصيغة الجمع؛ لعظم الحدث؛ وهو تعلمُ القراءة والكتابة ﴿فَلَا﴾: حرفُ تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل ﴿تَنْسَى﴾: ما نقرُّك لا تتساه، القرآن وسنته ﷺ.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ (٧)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مَا﴾: الذي ﴿شَاءَ﴾: أراد ﴿اللَّهُ﴾: فالنسيان من مشيئة الله ﷻ ﴿إِنَّهُ﴾: الله ﷻ ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾: ما يجهز به العبادُ من قولٍ وعملٍ ﴿وَو﴾: حرفُ عطْفٍ يفيد الحال؛ أيضًا يعلم ﴿مَا يَخْفَى﴾: العباد من أقوالهم، وأفعالهم، الكلُّ يعلمه الله ﷻ.

﴿وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ (٨)

﴿وَو﴾: حرفُ عطْفٍ يفيد الحال ﴿نُيْسِرُكَ﴾: نوقفك، نُسهل عليك فعل الخير، ولم يقل ﷻ نيسر لك؛ ليفيد أنك موفقٌ لها ﴿لِلْيُسْرَى﴾: في الدين والدنيا؛ الشرع السهل، السمع، الذي لا زيغ فيه عن العدل، ولا حرج.

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ (٩)

﴿فَف﴾: لهذا السبب، ودون تأخير ﴿ذَكِّرْ﴾: بلِّغ النَّاسَ وذكّرهم، والمطلوب هو الاستمرار في التذكير ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿نَفَعَتِ﴾: أفادت ﴿الذِّكْرَى﴾: أو لم تنفع؛ لأن النبي ﷺ بعث مبلغًا للإعذار والإنذار، لكلِّ النَّاسِ.

﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ (١٠)

﴿سَس﴾: حرفُ توكيدِ الفعلِ والعملِ في المستقبلِ؛ بمعنى سوف، التي هي من الله ﷻ واجب، ﴿يَذَكَّرُ﴾: يتعظُّ بالقرآن الكريم، وبالحديث النبوي الشريف ﴿مَنْ﴾ الذي من جنس بني آدم ﴿يَخْشَى﴾: الذي يخاف الله ﷻ.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ (١١)

﴿وَو﴾: أيضًا ﴿يَتَجَنَّبُهَا﴾: يمتنع عن تطبيقها ﴿الْأَشْقَى﴾: الأكثرُ شقاوةً بكفره، يشقى في الحياة الدنيا، وفي الآخرة شقاءً مُقيماً.

﴿الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى﴾ (١٢)

﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد الذكر ﴿يَصَلِّي﴾: يدخل النار، ويُقاسي حرّها ﴿النَّارَ الْكُبْرَى﴾: نار الآخرة، وهي أشدُّ وأقسى من نار الدنيا.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (١٣)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني غير السريع ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَمُوتُ فِيهَا﴾: لا يموت؛ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَى﴾: ولا يعيشُ عيشةً ينتفع بها؛ لأنّه عاش في الدنيا كما أراد؛ فعُوقب.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٤)

﴿قَدْ﴾: حرف جرّ أفاد التأكيد؛ لأنّه دخل هنا على الفعل الماضي ﴿أَفْلَحَ﴾: لقد فاز فوزاً عظيماً ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل الذي ﴿تَزَكَّى﴾: تطهّر بجسده، بما يفعله للصلاة، ويطهّر نفسه من كلّ ما خالف الدين بالذكر، وأهمها الصلاة.

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (١٥)

﴿وَذَكَرَ﴾: أيضاً قال مصدقاً ﴿اسْمَ رَبِّهِ﴾: بالتكبير في أوّل الصلاة؛ لأنّها لا تتعقد إلاّ بذكره ﷺ بالقول الله أكبر؛ أن لا شهد إله إلاّ الله، وأنّ محمداً ﷺ عبده ورسوله، وذكر اسم الله ﷻ في كلّ حال وكل حديث ﴿فَ﴾: لهذا السبب ﴿صَلَّى﴾: أقام الصلوات الخمس، وأداها على الوجه المطلوب.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (١٦)

﴿بَلْ﴾ حرف إثبات ﴿تُؤْثِرُونَ﴾: تُفضّلون متاع وملذات ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: النساء، والطعام، والشراب في الحياة على الأرض.

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (١٧)

﴿وَ﴾: حرف عطف يفيد الحال؛ عطفاً على هذا فإنّ ﴿الْآخِرَةُ﴾: قال ﷺ: مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَنْتَهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ^(١)، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي

(١) سنن ابن ماجه ١٣٧٥/٢ (٤١٠٥)، قال الألباني: صحيح.

طَالِبٍ: ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتِ الآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أبنَاءِ الآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أبنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ اليَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَعَدَا حِسَابٍ وَلَا عَمَلٍ^(١) ﴿خَيْرٌ﴾: أكثر نفعًا وخيرًا ﴿وَأَبْقَى﴾: أيضًا أدوم عملاً في الآخرة؛ فأثروا ما يبقى على ما يفنى.

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (١٨)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿هَذَا﴾: ما جاء في الآيات الأربعة السابقة، وفي سورة الأعلى ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾: إنّ مضمون هذا الكلام جاء في صحف موسى ﷺ، وفي الصحف الأولى؛ التي نزلت على الأنبياء قبله، عليهم السلام.

﴿صُّحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (١٩)

﴿صُّحُفٍ﴾: ما جاء ذكره في الصحف التي نزلت على ﴿إِبْرَاهِيمَ وَ﴾: أيضًا في صحف ﴿مُوسَى﴾: وهي التوراة، عليهما السلام.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ تتذكر النفوس فضل الله ﷻ، وضرورة التقديم ليوم الحساب.



سماها أكثرُ المفسرين بسورة "الغاشية"، وكُتبت في المصاحف، وفي كتب التفسير، ووجه التسمية لوقوع لفظ الغاشية في أولها، أمّا في السنة فسميت بسورة "هل أتاك حديث الغاشية"، وسميت أيضًا "هل أتاك"، وهي سورة مكيّة بالاتفاق، وترتيب نزولها (٦٨) في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الذاريات، وقبل سورة الكهف، وعدد آياتها (٢٦) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (١)

هذه السورة، وسورة الأعلى كان يصلي بهما رسول الله ﷺ في صلاة العيد، والجمعة^(٢).

(١) صحيح البخاري ٨/٨٩.

(٢) صحيح مسلم ٢/٩٨٨ (٨٧٨).

﴿هَل﴾: حرفٌ استفهامٍ بغرض التعجب، والتشويق إلى الاستماع والمعرفة، بمعنى قد ﴿أَتَاكَ﴾: وصلك وعلمت سنقُصُّ عليك ﴿حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾: القيامة التي تغشى النَّاسَ بأهوالها؛ إن لم يكن جاءك فيها قد جاءك وكيف سيكون حال النَّاسِ فيها؟

﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ (٢)

﴿وَجُودٌ﴾: المقصود أصحاب الوجوه؛ هم الأشقياء المجرمون، ذكر الجزء تعبيرًا عن الكل، وخصَّ الله ﷻ الوجه لأنه أشرف أعضاء الإنسان؛ والذي يظهر عليه الذلُّ أولاً دون غيره ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: في يوم قيام القيامة ﴿خَاشِعَةٌ﴾: ذليلة منكسرة.

﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ (٣)

﴿عَامِلَةٌ﴾: تُجَرُّ بالسلاسل والأغلال في أعناقها ﴿نَاصِبَةٌ﴾: تعبت من كثرة ما عُذِّبت، قال ابن عباس: هم النصارى، وقيل النفوس التي عملت في الدنيا بالمعاصي، قال السدي، وعكرمة: ناصبةٌ في النَّارِ بالعذاب.

﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ (٤)

﴿تَصَلَّى﴾: أحميت وأوقد عليها مدّة طويلة؛ فهي سوداء مظلمة". تدخل هذه الوجوه؛ كناية عن الأجساد كلّها ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾: تُقَاسِي نار حرّها الشديد.

﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ (٥)

﴿تُسْقَى﴾: شربها ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفِيدُ بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿عَيْنٍ﴾: حرفٌ يُفِيدُ بداية الغاية المكانية، هو نبعُ ماءٍ ﴿آنِيَةٍ﴾: تغلي من شدّة الحرارة، لو وقعت منها قطرةٌ على جبال الدنيا لذابت، من شدة غليانها.

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾ (٦)

﴿لَيْسَ﴾: فعل نفي ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿طَعَامٌ﴾: إنّ طعامهم الوحيد ﴿إِلَّا﴾: حرف الاستثناء هنا يعني إنّ أكلهم الوحيد ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفِيدُ بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿ضَرِيحٍ﴾: قال ابن عباس: شجرٌ من النَّارِ، وقال سعيد بن جبيرة: الزقوم، وقال أيضًا

هي الحجارة، وقال مجاهد: نبات يُقال له الشبرق، يُسمّيه أهل الحجاز الضريع؛ وإذا يبس صار سُمًّا، وقال قتادة: من أشرّ، وأبشع، وأخبث الطعام.

﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ (٧)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُسْمِنُ﴾: لا ينفع في بناء الجسم وإمداده بما يحتاج إليه ﴿و﴾: حرف عطفي يُفيد الحال، أيضًا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُغْنِي﴾: لا يُشبع ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿جُوعٍ﴾: جاء اللفظ بصيغة النكرة للتحقير ولا يسد رمقه؛ لأنهم إن أكلوا الضريع يُسلط عليهم العطش؛ فيضطرهم إلى شرب الحميم؛ فيشوي وجوههم ويُقطع أمعاءهم. فماذا عن أهل الجنة؟

﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ (٨)

﴿وَجُودٌ﴾: أهل الجنة التي تُعبّر عن مشاعرهم ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿نَاعِمَةٌ﴾: حسنة نصرته ذات بهجة، وجمال، وحسن.

﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ (٩)

﴿ل﴾: حرف يفيد السبب ﴿سَعْيِهَا﴾: لعملها الذي عملته في الدنيا ﴿رَاضِيَةٌ﴾: رضيت عن عملها؛ لأنّ الله ﷻ رضي عنها فأدخلها الجنة.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (١٠)

﴿فِي جَنَّةٍ﴾: ربيعة المستوى بهيجة ﴿عَالِيَةٍ﴾: في عُرفاتٍ عاليةٍ، آمنة.

﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَعْيَةٍ﴾ (١١)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَسْمَعُ فِيهَا﴾: لا أحد يتكلم فيها كلمة ﴿لِأَعْيَةٍ﴾: جاءت بصيغة نكرة وهي في صيغ النفي تفيد العموم؛ لأنهم لا يتكلمون إلا بالحكمة فلا يسمع أحدٌ فيها لغواً، وهو الكلام المُحرّم أو الكلام الكذب.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ (١٢)

﴿فِيهَا﴾: في الجنة ﴿عَيْنٌ﴾: فيها عيونٌ عديدة، ولكن جاء هنا نوع العين، وصفاتها ﴿جَارِيَةٌ﴾: تتدفق مياهها، يجري فيها الشراب المسك.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ (١٣)

﴿فِيهَا﴾: في الجنة ﴿سُرُرٌ﴾: المجالس المرتفعة ﴿مَّرْفُوعَةٌ﴾: عالية المنزلة، وناعمة، وكثيرة الفرش، عليها الحور العين.

﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ (١٤)

﴿و﴾: فيها أيضًا ﴿أَكْوَابٌ﴾: أواني الشرب، جمع كوب، وهي المستخدمة كأواني الشرب ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾: معدة للشرب، مخصصة لأصحابها.

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ (١٥)

﴿وَنَمَارِقُ﴾: قال ابن عباس وعكرمة، وقتادة، والضحاك: هي الوسائد التي يتكى عليها أهل الجنة، وهي جمع نمرقة ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾: منضمة؛ ومرتببة في صفوف منظمة.

﴿وَرِزَابِيٌّ مَبْنُوثَةٌ﴾ (١٦)

﴿و﴾: فيها أيضًا ﴿رِزَابِيٌّ﴾: هي توسعة الشيء، ومنها الأرض المنبسطة، قال ابن عباس: البسط، وهي فرش أرض الجنة ﴿مَبْنُوثَةٌ﴾: منتشرة هنا وهناك، لمن أرد الجلوس، دلالة على اتساعها.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (١٧)

﴿أَفَلَا﴾: حرف استفهام هنا بغرض الاستنكار والتقريع والتوبيخ ﴿يَنْظُرُونَ﴾: يأمر الله ﷻ عباده التأمل ﴿إِلَى﴾: حرف جر يدل على المكان في خلق ﴿الْإِبْلِ﴾: دراسة صفات الإبل العجيبة ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾: الخلق العجيب حيث القوة الجسدية، والصبر على العطش؛ باختزان الماء، واختزان الطعام، وإرجاعه لهضمه عند الحاجة، ونهاية أقدامها التي تمكنها من السير في الرمال، وانقيادها للإنسان، ويأكل لحمها، ويشرب لبنها، ويلبس وبرها، وغيرها الفوائد الكبيرة، وهي الوحيدة في الحيوانات التي تبرك على الأرض فتضع عليها الأحمال بعكس بقية المواشي.

﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (١٨)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال؛ أيضًا النظر ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ كونها كروية الشكل ﴿كَيْفَ رُفِعَتْ﴾: الرفع البديع دون عمد؛ ويمكن الاستزادة من علم

الفلك؛ لمعرفة هذه العلاقات العظيمة، بين الدوران، وما ينتج عنه من قوة الطرد المركزي، وبين الجاذبية، التي في عكس ومساوية تماماً للطرد المركزي؛ مما حافظ على ثباتها واستمرارها.

﴿وَالِي الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (١٩)

﴿و﴾: أيضاً النظر، وهي دعوة من الله ﷻ؛ لدراسة ﴿الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾: كيف صارت ثابتة راسخة، مستقرة، تحافظ على دوران الأرض، وفيها من الكنوز والمنافع كثيراً.

﴿وَالِي الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (٢٠)

﴿وَالِي الْأَرْضِ﴾: التي تبلغ مساحتها (٥١٠) مليون كيلومتر مربعاً، ﴿كَيْفَ سُطِحَتْ﴾: كيف بسطها، وامتدادها، وكيف تهيأت للزراعة، واختزان الماء، وتعبيدها للسير؛ واستغلال معادنها وثرواتها العظيمة.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (٢١)

﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿ذَكِّرْ﴾: عظ أيها الرسول، هؤلاء المعرضين، وخوفهم من عذابٍ قادمٍ، أمر من الله ﷻ لرسوله ﷺ بما نزل عليه من ربه ﴿إِنَّمَا﴾: حرف تأكيد ﴿أَنْتَ﴾: يا محمد ﷺ ﴿مُذَكِّرٌ﴾: مهمتك التبليغ، أما التوفيق فبيد الله ﷻ.

﴿أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (٢٢)

﴿أَنْتَ﴾: تقيد النفي ﴿عليهم﴾: على الكافرين ﴿ب﴾: حرف باء الصلة والمصاحبة ﴿مُصَيِّرٍ﴾: قال ابن عباس، ومجاهد: لست عليهم بجبار؛ إنك لا تدخل الإيمان في قلوبهم، وقال ابن زيد: لست بالذي يكرههم على الإيمان.

﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ (٢٣)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿تَوَلَّى﴾: الذي ترك الإيمان بالله ﷻ وبرسوله، ولم يعمل بالأركان ﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال؛ عطفاً على التولي ﴿كَفَرَ﴾: أعرض عن التكبير والموعظة، وأصر على الكفر، فغطى حقيقة الإيمان بقلبه وجوارحه، الذي وصفه ﷻ: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [القيامة-٣١، ٣٢].

﴿فِيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ (٢٤)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿يَعَذِّبُهُ اللَّهُ﴾: يوم القيامة جزاء كفره بقلبه، وجوارحه ﴿الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾: ولأنهم عذبوا في الدنيا بالجوع، والقحط، والقتل، والأسر، وهذا قليلٌ بالنسبة للعذاب الأعظم والأشدّ إيلاماً يوم القيامة؛ جهنّم خالدًا فيها، والعياذ بالله ﷻ.

﴿إِنِ الْإِنْسَانُ لِرَبِّهِمْ﴾ (٢٥)

﴿إِن﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿الْإِنْسَانُ﴾: إلى الله ﷻ وحده؛ جاء تقديم الظرف إلينا؛ للتشديد في الوعيد وأن رجوعهم في الآخرة بعد الموت ﴿إِيَابَهُمْ﴾: وأنّ مرجعهم بعد الموت، إلينا؛ لا لأحدٍ غيرنا بالبعث والنشور، للانتقام منهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (٢٦)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يُعِيدُ التتابع الزمنيّ البطيء؛ للتراخي في الرتبة، وليس التراخي في الزمان؛ لبعد منزلة الحساب في الشدة عن منزلة الإياب ﴿إِن﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿عَلَيْنَا﴾: على الله ﷻ وحده، ليس عليك، ولا على غيرك من الخلق ﴿حِسَابَهُمْ﴾: جاء اللفظ القرآنيّ "الحساب" على وجهين؛ هنا بمعنى الجزاء كما في قوله ﷻ ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾ [الشعراء-١٣]، وفي قوله ﷻ ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون-١١٧]؛ سيحاسبهم الله ﷻ على أعمالهم؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

التكليف: في مقاصد هذه السورة؛ يجب دراسة التحذيرات الربّانية في عذاب الكافر وفي نعيم المؤمن.



سمّيت سورة الفجر بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير، ولم يُختلف في تسميتها بهذا الاسم، وهي سورة مكّية باتفاق، وترتيبها (١٠) في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الليل، وقبل سورة الضحى، وعدد آياتها (٣٠) آية عند أهل العدّ بالكوفة والشام.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالْفَجْرِ﴾ (١)

﴿و﴾: حرفٌ واو القسم؛ يقسم الله تعالى بواحدٍ من مخلوقاته وهو ﴿الفجر﴾: يُقسم الله ﷻ بوقت الفجر، وهو وقت انفجار الظلمة عن النهار من كلِّ يوم. وهو جزءٌ من الوقت المعروف أول النهار؛ وهو الصبح، قال مسروق: فجر يوم النحر خاصة، وقيل الصلاة في الفجر؛ لأنَّ الحدث عظيم، فالقسم عظيم، حيث تُظهر دراسة علم الفلك العلاقة بين الأرض التي تدور حول الشمس مرة في اليوم تقريباً عندما تتكشف الأرض للشمس؛ فتُضيء.

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (٢)

﴿و﴾: ويقسمُ الله تعالى أيضاً بحال ﴿ليالٍ عشر﴾: قيل هي الأوائل من ذي الحجة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، ﴿والفجر﴾ [الفجر - ١] قال: «فَجْرُ النَّهَارِ» ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر - ٢] قال: «عَشْرُ الْأَضْحَى»^(١)، وهذا مُرَجَّحٌ، وقيل العشر الأوائل من شهر محرم، وقال ابن عباس: العشر الأوائل من رمضان.

﴿وَالشَّفَعِ وَالْوَتْرِ﴾ (٣)

﴿و﴾: يقسم الله ﷻ بـ ﴿الشَّفَعِ﴾: بالزوج، والمقصود يوم النحر والله أعلم ﴿و﴾: أيضاً يقسم الحق ﷻ بـ ﴿الْوَتْرِ﴾: والفرد من كلِّ الأشياء، قال مجاهدٌ: «كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ فَهُوَ شَفَعٌ، السَّمَاءُ شَفَعٌ، وَالْوَتْرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^(٢)، وقال: ابن عباس: يومُ النحر لكونه العاشر، وقال أيضاً: النَّاسُ شَفَعٌ، وقال عطاء: يوم عرفة، وقال أبو سعيد بن عوف: مَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ، وقال الحسن البصري: الخلق كلُّهم شَفَعٌ وَوَتْرٌ، وقيل الشفع صلاة الغداة، وقال مجاهد: الزوج، وقيل كلُّ شيءٍ خلقه الله شفع ويقسم الله ﷻ أيضاً بالوَتْرِ، قيل يوم عرفة، وقال ابن عباس: هو الله ﷻ، وقيل صلاة المغرب؛ والله ﷻ أعلم.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ﴾ (٤)

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٥٦٨/٢ (٣٩٢٧). وقال: صحیحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. ووافقه الذهبي.

(٢) صحیح البخاری ١٣١/٤.

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحال؛ يقسمُ اللهُ ﷻ بـ ﴿اللَّيْلِ إِذَا﴾: حرفٌ عطفٍ ما بعدها على ما قبلها ﴿يسر﴾: جاء وحلّ، يسري بظلامه؛ يجري، قال مجاهد، وابن عباس: إذا ذهب، وقيل إذا أقبل؛ لأنّ هذا مقابلُ الفجر؛ إقبالُ النَّهار، ويسر هو إقبالُ الليل؛ والله أعلم؛ وهذا هو الأفضل، جاء جواب القسم معناه الجزاء على أعمالك صغيرها وكبيرها، حاضرها وماضيها.

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ (٥)

﴿هَلْ﴾: حرفٌ استفهامٍ يُفيدُ تعظيمٍ ما أقسم به اللهُ ﷻ، ويعني هنا "قد" لأنّ هذا لا يصح أن يكون مُقسماً عليه أبداً ﴿فِي ذَلِكَ﴾: في الذي أقسمنا به، هذا التأملُ المذكور في هذا الخلق، وخاصة إقبال وإدبار النَّهار والليل ﴿قَسَمٌ﴾: حلف؟ هل ينفع هذا القسم ﴿لِ﴾: حرفٌ تملكٍ ﴿ذِي﴾: أصحاب ﴿حِجْرٍ﴾: أليس فيما يُقسم به اللهُ ﷻ ما يُقنع أصحاب العقولِ السليمة، وسُمِّي العقل حجراً؛ لأنّه يمنع، أي يحجر على الإنسان ما لا يُقبل من الأفعال والأقوال.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ (٦)

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: للاستفهام بغرض التقرير، وقيل إنّها إذا جاءت تُفيد دائماً الوجد، والحزن، ألم تعلم ﴿كَيْفَ﴾: حرفٌ استفهامٍ ﴿فَعَلَ﴾: أصاب ﴿رَبُّكَ﴾: هو ﷻ المُعبود، والمُرَبَّى، وهو المنشئ للكون وما فيه من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام، وهو ﷻ الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ؛ فهو ﷻ مالك كلِّ أمرٍ فهو مالك أمر السموات والأرض ﴿بِ﴾: بالذين يستحقون، وهو حرفُ الصلة والمصاحبة ﴿عَادٍ﴾: عادِ الأولى؛ قومٌ هودِ ﷻ، الجبابرة المتمردين، الذين خرجوا عن طاعة هودِ ﷻ، وكذبوه؛ فأهلكهم اللهُ ﷻ بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ. انظر [الأعراف-٦٥].

﴿إِزْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ (٧)

﴿إِزْمَ﴾: قبيلة إزم، هذا اسمُ جدّهم، وقد تسموا به، والإزم إشارةٌ إلى أعمدةٍ مرفوعةٍ مزخرفةٍ ﴿ذَاتِ﴾: صاحبة ﴿الْعِمَادِ﴾: هم الذين سكنوا بيوتاً كانت ترفعها أعمدةٌ شديدةٌ قويةً، وكانوا أشدَّ الناس خلقاً، وأشدّهم بطشاً، كان طول الرجل منهم اثني عشر ذراعاً. قال مجاهد: هي عادِ الأولى، وقال قتادة والسدي: كان بيت مملكة عاد.

﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ﴾ (٨)

﴿الَّتِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمؤنث المفرد ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يُخْلَقُ﴾: لم يوجد ﴿مِثْلَهَا﴾: من قبلها مثل ﴿فِي الْبِلَادِ﴾: قبيلة عاتية، زادهم الله ﷻ في الخلق بسطةً، لم يكن في قبيلتهم مثلهم في قوتهم؛ فقيل إنَّ الرجل منهم كان يحمل الصخرة، ويُلقبها على الحي؛ فيهلكهم.

﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ (٩)

﴿وَتَمُودَ﴾: قوم صالح ﷻ، كانوا من العرب، وكانوا من وادي القُرى. انظر [الأعراف-٧٣-٧٩] ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿جَابُوا﴾: شقُّوا وفتحوا ﴿الصَّخْرَ﴾: كانوا يقطعون الصخر ﴿بِ﴾: حرف باء الصلة والالتصاق ﴿الْوَادِ﴾: بالوادي، وقال ابن عباس: ينحتونها، ويخرقونها، وقيل في العرب إذا اجتاب الثوب؛ يعني فتحه. وجعلوها بيوتاً لهم وهي الكهوف.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ (١٠)

﴿و﴾: أيضًا ﴿فِرْعَوْنَ﴾: حاكم مصر الطاغية في عهد موسى ﷺ ﴿ذِي﴾: صاحب ﴿الْأَوْتَادِ﴾: قيل هم الجنود الذين يستخدمهم لتثبيت ملكه، وقيل هي أوتاد يُعذب بها النَّاسُ، فعن ابن عباس ومجاهد: أنَّ فرعون كان يُقيّد، يربط، أيديهم وأرجلهم في أوتادٍ من حديدٍ يُعلّقهم بها، كان يربط الرجل في وتدٍ، ثم يُنزل عليه صخرةً عظيمةً تقتله، وقيل لأنّه ضرب لزوجته أربعة أوتاد، ثم جعل على ظهرها رحي عظيمة حتى ماتت، وقد يكون المقصود الذي صنع المسلات العالية.

﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ (١١)

هؤلاء الظلمة ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿طَغَوْا﴾: تجاوزوا المسموح، وتعدوا الحدود، وتمردوا، وظلموا، وأفسدوا، وأذوا النَّاسَ ﴿فِي الْبِلَادِ﴾: كلُّ طاغيةٍ منهم فعل هذا في قومه، وقبيلته.

﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ (١٢)

﴿ف﴾: حرف استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿أَكْثَرُوا فِيهَا﴾: زادوا بدرجاتٍ كثيرةٍ هذه نتيجة النظام المُعتمد على ﴿الْفَسَادَ﴾: في كلّ زمانٍ، إنّ الطُّغيان يُفسدُ المجتمع، ويُفسدُ الاقتصاد، ويُفسدُ العلاقات، وتشيعُ الرشوة، ويُهاجرُ العلماء، ويُسجن الأتقياء، ويُسود المجرمون.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ (١٣)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿صَبَّ﴾: والصبُّ هو نزولُ أشياء كثيرةٍ أو كبيرةٍ مرّةً واحدةً من أعلى؛ وهذا يفيد سرعةً نزوله بالشيء المصبوب، وقد جاء لفظ الصب الذي هو خاص بالماء ﴿عليهم﴾: على الظالمين ﴿رَبُّكَ﴾: فهو مالك أمرك كلّهُ ﴿سَوْطَ﴾: السوط هو آلةٌ ضربٍ، يُؤخذ من جلدٍ يُضَقَّرُ ضفراً فيُصبح كالعصا؛ تُضرب به الخيل لتسرع في جريها، ويطلق العربُ لفظ سوط على كلّ عذابٍ يكون فيه السوط. جاءت التسمية بالسوط للإيدان بأنّه عظيم بالنسبة إلى ما أعدّ لهم من الآخرة؛ قد تعني كضربهم بالسوط بالنسبة إلى سائر وسائل الـ ﴿عَذَابٍ﴾: عذابٍ، شديدٍ، مؤلمٍ، ودائمٍ؛ فأخذهم، وذهب بهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (١٤)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي والشكّ والإنكار ﴿رَبُّكَ﴾: مالك أمرك يا محمد ﷺ ﴿ل﴾: حرف يفيد التخصيص؛ هنا تشبيهه كيف يرقب ﷻ أعمال العصاة، وكيف يجازيهم على نقيرها، وقطميرها، بحيث لا ينجو منهم أحدٌ من العذاب ﴿بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿الْمِرْصَادِ﴾: تخصيصاً وحرف ﴿بِ﴾: الصلة يرصدُ كلّ حركةٍ، وسكنةٍ، وكلمةٍ، يسمع ويرى ما يعمل الخلق، يمهل قليلاً ثم يأخذه، ويجازي كلّاً بحسب عمله؛ أخذ عزيزٍ مقتدرٍ.

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ (١٥)

يذكر الله ﷻ بعض صفات خلقه من الإنس ﴿فَأَمَّا﴾: حرف تفضيلٍ وتوكيدٍ بمعنى أي، بالتأكيد وليس لتفصيل المجلد ﴿الْإِنْسَانُ﴾: ابن آدم من المؤمنين ومن الكافرين ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿مَا﴾: حرف يفيد الظرف ﴿ابْتَلَاهُ﴾: إذا اختبر الله ﷻ عبداً ﴿رَبُّهُ﴾: فهو مالك أمره كلّهُ ﴿ف﴾: حرف استثنائيّ

يهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ **﴿أَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾**: جاء اللفظ القرآني التكريم على ستة أوجه؛ هنا بمعنى التفضيل؛ رزقًا، وجاهًا، وقوةً **﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾**: يعتقد لأنه يستحق كرم الله ﷻ له، وليس ابتلاءً منه ﷻ.

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ (١٦)

﴿وَأَمَّا﴾: حرف تفضيلٍ وتوكيدٍ **﴿إِذَا﴾**: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها **﴿مَا﴾**: حرف يفيد الظرف **﴿ابْتَلَاهُ﴾**: إذا اختبره **﴿ف﴾**: لهذا السبب **﴿قَدَرَ﴾**: بأن ضيق **﴿عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾**: اختبارًا له؛ أيصبر أم يكفر **﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾**: ظنّ هذا لهوانه على الله ﷻ.

﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ (١٧)

يذكر الله ﷻ بعض أمراض الذين رسبوا في الابتلاء؛ ومن أعمالهم **﴿كَلَّا﴾**: حرف ردعٍ وزجرٍ واستتكارٍ حقًا ليس الأمر كما يزعم الكافر ويعتقد **﴿بَلْ﴾**: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده، وللتوبيخ والتفريع، بمعنى لكن كانت أحوالكم **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾**: لا تعطون اليتامى مما رزقكم الله ﷻ، قال ﷻ: وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا « وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا^(١) ».

﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ (١٨)

﴿وَلَا﴾: حرف نفي **﴿تَحَاضُّونَ﴾**: لا تُحَرِّضُونَ وتُحْتُونَ بعضكم والناس **﴿عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾**: إطعام الفقراء الذين ليس عندهم مال ولا طعام.

﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ (١٩)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال **﴿تَأْكُلُونَ التَّرَاثَ﴾**: المواريث وهي حقوق الفقراء الضعفاء من النساء واليتامى، وغيرهم؛ تأكلونه **﴿أَكْلًا لَمًّا﴾**: الأصل في كلمة لَمًّا لممْتُ الطعام أي جمعته وأكلته، ومنه قولهم لَمَّ اللهُ شملك أو شعئك، أي جمع اللهُ ﷻ ما تفرَّق من أمرك. تجمعون الحلال والحرام كثيرًا، من أيّ جهةٍ كانت، وبأيّ وسيلةٍ كانت، حرامًا أو حلالًا.

(١) صحيح البخاري ٥٣/٧ (٥٣٠٤).

﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (٢٠)

﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾: والجَمُّ هو جمع المال بأي وسيلة، أكانت من حلالٍ أو من حرامٍ. يحبون جمعه حبًّا شديدًا؛ فيكون هذا سببًا للُبخل، ويحرضون على جمعه وتخزينه.

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ (٢١)

﴿كَلَّا﴾: حرف ردعٍ وزجرٍ واستتكارٍ حقًّا؛ ليس الأمر كما تظنون، وما هكذا ينبغي أن يكون حالكم؛ يُخبرُ الله ﷻ عن أهوال يوم القيامة، وحال الذين سبق ذكرهم في الآيات السابقة، وتذكروا يوم القيامة ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿دُكَّتِ الْأَرْضُ﴾: زُلزلت، وتحركت تحركًا شديدًا، وهذا بإرادة الله ﷻ عن عدم توازي قوى الجذب المغناطيسي مع قُوى الطرد المركزي، ومهدت، وسويت الأرض والجبال، وكُسرت ﴿دَكًّا دَكًّا﴾: هنا للتأكيد على الدك الأول متتابعًا، ومتكررًا، شديدًا، تأكيدًا؛ وإبرازًا للدك.

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (٢٢)

﴿وَجَاءَ﴾: جاء الفعل هنا بصيغة الماضي وهو لم يتحقق بعد ليؤكد على تحقيق هذا الفعل في المستقبل ﴿رَبُّكَ﴾: هو ﷻ المُعبود، والمُرَبَّى، وهو المنشئ للكون وما فيه من حالٍ إلى حالٍ؛ إلى حدِّ التمام، وهو ﷻ الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابِرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد؛ فهو ﷻ مالك كلِّ أمر فهو مالك أمر السموات والأرض ومالك أمرك يا محمد ﷺ وأمر كلِّ الخلق؛ ويستشفع الناس بسيدنا محمد ﷺ؛ فيأتي الربُّ ﷻ لفصل القضاء بين خلقه؛ مجيئًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال، أيضًا جاء ﴿الْمَلَكُ﴾: ويأتي ملائكة كلِّ سماءٍ بين يديه ﷻ ﴿صَفًّا﴾: مصفوفون ﴿صَفًّا﴾: صفوفًا منتظمة.

التكليف: لو قال ﷻ صَفًّا صَفًّا ووقف لأجزأه ذلك؛ ولكن لم يقف ﷻ عنده بل تعداه ليكون الكلام أبلغ، وهذا ما يعرف بفن الإفراط في الصفة.

﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ (٢٣)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿جِيء﴾: جاؤوا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿ب﴾: حرف باء الصلة والمصاحبة ﴿جَهَنَّمَ﴾: قال ﷺ: يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا^(١) ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: في هذا اليوم ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾: يسترجع كل إنسان ما قد أسلف من قولٍ وعملٍ في حقِّ الله ﷻ في حياته كلها ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يفيد الحال ﴿أَنَّى﴾: حرف استتكار يفيد الاستحالة بمعنى من أين ﴿لَهُ﴾: للإنسان تخصيصًا ﴿الذِّكْرَى﴾: كيف تنفعه الذكرى، من أين له منفعتها في يوم الحساب، وقد انتهى يوم العمل؟

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (٢٤)

﴿يَقُولُ﴾: نادماً متحسراً ﴿يَا﴾: حرف يفيد التنبيه ﴿لَيْتَنِي﴾: حرفٌ يفيدُ التمني والرجاء، يتمنى لو أنه زاد في الطاعات، إن كان في الدنيا طائعاً، ويتمنى لو أنه أقلع عن المعاصي إن كان عاصياً ﴿قَدَّمْتُ﴾: عملت الطاعات في حياتي الدنيا ﴿ل﴾: بمعنى في ﴿حَيَاتِي﴾: معيشتي الأبدية في الآخرة، قال رسول الله ﷺ: لَوْ أَنَّ عَبْدًا حَرَ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمٍ وُلِدَ، إِلَى أَنْ يَمُوتَ هَرَمًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، لَحَقَّرَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَلَوْ دَّ أَنْهُ رَدَّ إِلَى الدُّنْيَا كَيْمَا يَزِدَّادَ مِنَ الْأَجْرِ وَالنَّوَابِ^(٢).
التكليف: هنا الندم والحسرة في يوم لا تنفع فيه ندامة أو حسرة، فلتجهز جميع الخلائق أنفسها لهذا اليوم الرهيب.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ (٢٥)

﴿ف﴾: حرف استئنافي بهدف ترتيب الأمر ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: في هذا اليوم، يوم القيامة ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾: لا أحد يُعَذِّبُ العاصي أشدَّ من عذاب الله ﷻ، إنَّ عذاب ربِّك أيُّها الكافر أليمٌ شديدٌ لا يُساويه عذابٌ مهما كُبر أو اشتد.

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ (٢٦)

﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾: لا أحد أشدُّ قبضًا، ووثقًا وتقييدًا من الله ﷻ لمن كفر بربِّه ﷻ، هذا حالة المجرمين في النَّارِ، وأمَّاها صنوف العذاب، والعصاة مُقيدون، ويأتي بعد ذلك ذكرُ حال الطائعين.

(١) صحيح مسلم ٢١٨٤/٤ (٢٨٤٢).

(٢) مسند أحمد ١٩٧/٢٩ (١٧٦٥٠)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧)

﴿يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد، وكلهم يوم القيامة قريب ﴿أَيُّهَا﴾: حرف نداء للمفرد المؤنث
﴿النَّفْسُ﴾: هي جوهر الإنسان وذاته ﴿الْمُطْمَئِنَّةُ﴾: يُنادي الله ﷻ على عباده أصحاب النفوس
الطاهرة، المطمئنة، في حال الموت، وحال القيامة.

﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾ (٢٨)

﴿ارْجِعِي﴾: أمرٌ من الله ﷻ مُوجِبٌ بالعودة ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: والرَّبِّث هو المُعبود، والمُرَبِّي، وهو
المنشئ لكلِّ شيءٍ من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير،
والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ؛ فهو ﷻ
مالك كلِّ أمرٍ فهو مالك أمر السموات والأرض، إلى جوار الله ﷻ، جاء وصف رَبِّكَ؛ لانتسابهم
إلى خالقهم، وبارئهم، وحيبيهم؛ طمأننةً، وتشريعًا ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾: تشعر بالرضا على الله
ﷻ.

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (٢٩)

﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌّ بهدف و ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿ادْخُلِي﴾: انضمي
﴿فِي عِبَادِي﴾: إلى جملة عبادي، ووصفهم بعباد الله ﷻ، وهي مرتبةٌ ومنزلةٌ عظيمةٌ تُفيد
رضاه ﷻ عنهم؛ لأنهم مع أهل الجنة.

﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (٣٠)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيد الحال؛ عطفاً على هذا ﴿ادْخُلِي﴾: هذا القول العظيم ادخلي معهم في
زمرة عباد الله الصالحين، وادخلي جنتي، هذا ما يُقال للنفس الطيبة عندما تُغادر الجسد عند
الاحتضار، وقد بشر رسولُ الله ﷺ أبا بكر بهذه البشارة.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ تتجلى القدرة الربانية في كل ما ومن في الكون
من الإنسان، وغيره، وعاقبة من يُنكر الدين.

سمّيت "سورة البلد" بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير؛ ووجه التسمية هو وقوع لفظ "البلد" في أولها، وهي سورة مكيّة، وموقعها (٣٥) في عدد نزول السور، نزلت بعد سورة "ق" وقبل سورة "الطارق"، وعدد آياتها (٢٠) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (١)

﴿لَا﴾: زائدة تفيد تقوية الكلام؛ هي ردٌّ على الكافرين بمعنى **﴿أُقْسِمُ﴾**: يقسم الله ﷻ قسمًا عظيمًا **﴿ب﴾**: حرف باء التوكيد **﴿هَذَا الْبَلَدِ﴾**: مكّة المكرّمة الذي أنت يا محمد تسكن فيه، تشریفًا لقدرك؛ لأنه بإقامتك فيه عظيمٌ شريفٌ زيادةً على ما كان عليه من الشرف والعِظم؛ السكن فيها حلال، بلدٌ عظيمٌ يشهد الله ﷻ لها.

﴿وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (٢)

﴿وَأَنْتَ﴾: يا محمد ﷺ **﴿حَلٌّ﴾**: يحل لك **﴿بِهَذَا﴾**: حرفٌ تنبيه وإشارة **﴿الْبَلَدِ﴾**: ما تصنع فيه، أن تقاتل في مكّة من يستحق القتال، وتأسر من يستحق الأسر، وقال مجاهد: ما أصبت فيه فهو حلالٌ لك، وقال الحسن البصري: حرم الله هذا البلد يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرامٌ بحرمة الله ﷻ إلى يوم القيامة، أحلّ الله ﷻ ساعةً من نهار؛ وفي هذا بشارَةٌ للنبي ﷺ بفتح مكّة على يديه.

التكليف: هذه الآية معترضة بين متعاطفين الآية الأولى والثالثة؛ لغرض تسليّة الرسول ﷺ ووعده ﷻ بنصره على أعدائه.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٍ﴾ (٣)

﴿و﴾: الله ﷻ يقسم أيضًا بـ **﴿وَالِدٍ﴾**: وأقسم ﷻ بوالد البشرية، قال مجاهد، وقتادة، والضحاك: هو آدم عليه السلام **﴿وَمَا﴾**: الذي **﴿وَلَدٍ﴾**: وولد آدم عليه السلام، وقال ابن عباس: الذي يلد، وقال ابن جرير: كلامٌ عامٌّ في كلِّ والدٍ.

التكليف: جاء القسم بالوالد وما ولد، صالحهم وطالحهم؛ لأنهم أعجب ما خلق الله ﷻ على وجه الأرض، لما فيهم من البيان، والعقل، والتدبير، واكتشاف العلوم، ومنهم الأنبياء، والأولياء، والصالحون، والدعاة على الله ﷻ، والانتصار لدينه، وجعل كل ما في الأرض من الخلق لأجلهم، وأسجد الله ﷻ ملائكته لأبيهم آدم ﷺ، وعلمه الأسماء كلها.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (٤)

﴿لَقَدْ﴾: هنا جواب القسم، حرفٌ يُفيدُ التحقق في الماضي والمضارع، ولا يفيد التحقق في المستقبل ﴿خَلَقْنَا﴾: أوجدنا من غير سابق وجودٍ ﴿الْإِنْسَانَ﴾: آدم ﷺ، ونسله ﴿فِي كَبَدٍ﴾: بمعنى بالكبد، في شدة، وعناء، ومشقة؛ من مكابدة الدنيا، قال ابن مسعود، وابن عباس: منتصبًا، وأيضًا مُنتصبًا في بطن أمه؛ أي مستقيمًا، وقال أيضًا: في شدة خلق، وعناءٍ مثل ظهور الأسنان، ومولده، وقال مجاهد: نطفة ثم علقة ثم مضغة؛ يُكابد الحياة، وقال سعيد بن جبير: في شدةٍ وطلبٍ معيشةٍ، وقال الحسن البصري: مشقة، والمُحصلة أنه يُكابدُ ضيق الدنيا، وشدائد الآخرة.

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ (٥)

﴿أَنَّ﴾: حرف استفهام بغرض التوبيخ ﴿يَحْسَبُ﴾: أيظن متأكدًا، قال الحسن البصري: أن أحدًا لن يأخذ ماله، وقال قتادة: أيحسب أن لن يسأله أحدٌ عن ماله، كيف اكتسبه، وفيما أنفقه؟، وقال السدي: أيظن أن لن يقدر عليه ربه؟ ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل؛ يتوهم إن اقترف المعاصي بالتأكيد ﴿لَنْ﴾: حرف نفي ﴿يَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾: لن يغلبيه ﴿أَحَدٌ﴾: جاء اللفظ القرآني "أحد" على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى الله ﷻ.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ (٦)

﴿يَقُولُ﴾: كان يقول العاصي الكافر ﴿أَهْلَكْتُ﴾: أنفقت ﴿مَالًا لُبَدًا﴾: المال الوفير واللبد هي كتلة الشعر المُجمعة الملتصقة المُتزاخمة حول عنق الأسد، قال مجاهد، والحسن: هي المال الوفير المتراكم في المكزّمات، والتباهي، والتعظيم، والتكبر؛ بعضه فوق بعضٍ كلبدة الأسد، مفاخرًا بعداوة الرسول ﷺ.

﴿أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ (٧)

﴿أ﴾: حرف استفهامٍ بغرض التوبيخ ﴿يَحْسِبُ﴾: هل يظنُّ ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَرَهُ﴾: يُشاهده، يعاينه ﴿أَحَدٌ﴾: قال مجاهد: أَيْظَنُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَنْ يَرَاهُ، وَلَنْ يُحَاسِبَهُ فِي مَالِهِ، مِنْ أَيْنِ اكْتَسَبَ؟ وَفِيمَا أَنْفَقَ؟.

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ (٨)

هنا يأتي ذكر بعض الفضل والمنن والنعم الربانية على العبد الكافر والذي كان ينبغي عليه أن يُقابل ذلك بالشكر والطاعة وليس بالكفر والجحود ﴿أَلَمْ﴾: حرف استفهام بغرض التقرير، يسأل الله ﷻ العبد الكافر هل تُتَكْرَأُنَا ﴿نَجْعَلُ﴾: قد خلقنا ﴿لَهُ﴾: تخصيصاً للإنسان ﴿عَيْنَيْنِ﴾: فإن أنكر فالسؤال: فمن خلقهما؟ إن دراسة ظاهرة الإبصار تقود إلى الإيمان، فالضوء يقع على شبكة في الجدار الداخلي للعين، تتحول هذه الطاقة الضوئية إلى طاقة كهربائية، تنتقل في عَصَبِيَّ العَيْنَيْنِ، الأيمن والأيسر؛ ومنها إلى مسربٍ خاصٍ في قاع المخ، ثم تصل حيث مركز الإبصار في الجزء الخلفي من المخ؛ فتترجمها إلى مشهدٍ بأسرع مما يتصور الإنسان.

﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ (٩)

﴿و﴾: أيضاً خلقنا له ﴿لِسَانًا﴾: هذه المعجزة التي تتحرك بأمرٍ من مركزٍ صغيرٍ في المخ، تصلها الأوامر من المخ على هيئة موجة كهربائية تصلُ اللسان؛ فيتحرك كطاقة حركية ميكانيكية؛ بالحروف، والجمل، إضافةً إلى خاصية التذوق ﴿و﴾: أيضاً خلقنا له ﴿شَفَتَيْنِ﴾: وهما أدوات خروج الحروف؛ إضافةً إلى دورهما كبوابة للطعام، وهي من نعم الله ﷻ.

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (١٠)

﴿وَهَدَيْنَاهُ﴾: عرفناه ﴿النَّجْدَيْنِ﴾: قال ابن مسعود: هما السيلان؛ طريق الخير وطريق الشر، وحذف المشبه، وأبقى المُشَبَّه به، وقد وصف سبيل الخير بالرفعة والنجدية؛ بخلاف سبيل الشر؛ فإن فيها هبوطاً من ذروة الفطرة إلى حضيض الشقاوة وهذا الأصوب في المعنى، وقال ابن عباس: الثديان. بما لهما من أثر بالغٍ على حياة المواليد من حيث الغذاء والماء والمناعة وغيرها.

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ (١١)

﴿فَلَا﴾: حرفٌ تحضيضٍ ونهيٍّ يفيد طلب عدم الفعل ﴿اقْتَحَمَ﴾: اجتاز ﴿الْعَقَبَةَ﴾: ومعناها الطريق الوعر في الجبل وفي البحر، وهي كلُّ ما يصعب على الإنسان مثل الصعود؛ تعبيراً عن الأعمال الشاقة المرتفعة القدر عند الله ﷻ، وقال قتادة: عقبة هي قحمة، فاقتحموها بطاعة الله ﷻ؛ أي جاهد نفسه بالطاعات وهذا الأصوب؛ والله أعلم، وقال ابن عباس: جبلٌ في جهنم، وقال كعب الأحبار: سبعون درجة في جهنم، وقال الحسن البصري: عقبةٌ في جهنم، والله أعلم.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ (١٢)

﴿وَمَا﴾: حرفٌ استفهامٍ ﴿أَدْرَاكَ﴾: من عرّفك؛ وذلك ﴿مَا﴾: حرفٌ استفهامٍ؛ بغرض الإخبار والإعلام ﴿الْعَقَبَةُ﴾: وأي شيء أعلمك ما مشقة الآخرة، وما يعين على تجاوزها، سنقول لك ما هي العقبة التي تمكّنك من دخول الجنة.

﴿فَأَكْرَبْتَهُ﴾ (١٣)

﴿فَأَكْرَبْتَهُ﴾: إعتاق، أي تحرير، أي حلّ القيد؛ سُمّي العتق فكاً؛ لأن الرّق كالقيد ﴿رَقَبَةً﴾: كناية عن رجلٍ أو امرأةٍ مؤمنةٍ كالأسير المربوط في رقبته؛ قال ﷺ: مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرَجَهُ بِفَرْجِهِ^(١)، وقال ﷺ: مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً كَانَتْ فِدَاءَهُ مِنَ النَّارِ^(٢).

﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ (١٤)

﴿أَوْ﴾: حرفٌ تسويةٍ بين متعاطفين، هنا بين عتق رقبة وبين ﴿إِطْعَامٌ﴾: ولأن الإطعام يعني إخراج المال في ذلك الوقت أثقل على النفس؛ لكنّه أوجب للثواب ﴿ذِي﴾: فيه ﴿مَسْغَبَةٍ﴾: أو إطعام في وقتٍ فيه مجاعةٌ أو نُدرةٌ طعامٍ، والسغب هو الجوع؛ قال: ابن عباس: جوعان، وقال مجاهد: أطمع في يومٍ فيه الطعام عزيزاً، وقال قتادة: يوم يُشتهي فيه الطعام.

﴿بِئْتِمَانًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ (١٥)

(١) صحيح البخاري ١٤٥/٨ (٦٧١٥).

(٢) سنن أبي داود ٩٦/٦ (٣٩٦٦)، قال الأرنؤوط: حديث صحيح.

﴿يَتِيمًا﴾: إطعام اليتيم الذي فقد أباه قبل سن البلوغ، خاصةً إذا كان طفلًا ﴿ذَا﴾: له أو به
﴿مُتْرَبَةً﴾: من أقارب المُطعم، قال ﷺ: إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّجْمِ
اِثْنَتَانِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ^(١).

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مُتْرَبَةٍ﴾ (١٦)

﴿أَوْ﴾: حرفٌ تسويةٍ بين متعاطفين هنا بين ﴿مِسْكِينًا﴾: فقيرًا فقيرًا مُدَقَعًا ﴿ذَا﴾: صاحب
﴿مُتْرَبَةٍ﴾: شديد الفقر، لاصقًا بالتراب، والتراب هو الدعاء، وقال ابن عباس: هو المطروح
على التراب؛ لا بيت له ولا فراش، وقال عكرمة: الفقير المدين المحتاج، وقال ابن جبير: الذي
لا أحد له، وقال قتادة: ذو العيال، وكلُّ هذه المعاني صحيحة؛ والله أعلم.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ (١٧)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفيدُ التتابع الزمني مع تراخ رتبة الإيمان ورفعة محلّه وفيه دليلٌ على أنّ هذه
القربة إنما تنفع مع الإيمان ﴿كَانَ﴾: أي بعد هذه الأعمال والأوصاف الجميلة ﴿مِنَ﴾: حرفٌ
جرٌّ يُفيدُ بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا
جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: قلبه مطمئنٌ بالإيمان، قانعًا ومُصدقًا، مُحْتَسِبًا ما قدّمه لله ﷻ ﴿و﴾: حرفٌ
عطفٍ يُفيدُ الحال؛ عطفًا على هذا ﴿تَوَاصَوْا﴾: نصح الآخرين ﴿بِ﴾: حرفُ بَاءِ الاستعانة
﴿الصَّبْرِ﴾: على أذى الناس ﴿وتَوَاصَوْا﴾: أيضًا نصح بعضهم بعضًا ﴿بِ﴾: حرفُ بَاءِ الصلّة
والمصاحبة ﴿الْمَرْحَمَةِ﴾: الراحمين للنّاس.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ (١٨)

﴿أُولَئِكَ﴾: اسمٌ إشارةٌ للقريب والبعيد، المُتصفون بما سبق في الآيات ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾: من
أصحاب اليمين، أو اليمين. انظر تفسير [الواقعة-٩١].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ (١٩)

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: أنكروا حقيقة الإيمان ﴿بِ﴾: حرفُ بَاءِ
السببية ﴿آيَاتِنَا﴾: آيات الله ﷻ وهي القرآن الكريم ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المنكر، وهي

(١) سنن النسائي ٩٢/٥ (٢٥٨٢)، قال الألباني: صحيح.

للتخصيص، بالتأكيد الذين يُؤخذُ بهم يوم القيامة ذات الشمال إلى نار جهنم، فهم ﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾: الشؤم وأصحاب الشمال. انظر تفسير [الواقعة-٤١].

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ (٢٠)

﴿عَلَيْهِمْ﴾: هذه الكلمة لها مدلولها المناسب في هذا السياق وكأنّ العذاب يُصبُّ عليهم من علوّ يُطبق على أنفاسهم فيختنقون؛ فهي تُحيط بهم؛ فلا يخرجون منها ﴿نَارٌ﴾: جنهم والعياذ بالله ﷻ ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾: قال أبو هريرة: مطبقة، وقال ابن عباس، ومجاهد: مغلقة الأبواب، وقال الضحاك: حائط لا باب له، وقال قتادة: مطبقة فلا ضوء فيها، ولا فُرج.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ ندرك درجة مكابدة الكافر في الآخرة، وفوز المؤمن بثواب الدارين.



سمّيت "سورة الشمس" بهذا الاسم في المصاحف وفي معظم كتب التفسير؛ وسمّيت بسورة "الشمس وضحاها" في كتب السنّة وبعض التفاسير، وهي سورة مكّية بالاتفاق وترتيبها (26) في عدد نزول السور، نزلت بعد سورة "القدر" وقبل سورة "البروج"، وعدد آياتها (١٥) آية في عدد جمهور الأمصار.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ (١)

يقسم الله ﷻ بالشمس ليبين عظمتها، وفضلها، وهي من صنيع خالقها ﴿وَ﴾: حرفُ واو القسم، يقسم الله ﷻ بـ ﴿الشَّمْسِ وَ﴾: أيضًا يقسم الله ﷻ بالضحى ﴿ضُحَاهَا﴾: وهو الوقت الذي ترتفع فيه الشمس من مشرقها، وهي ظاهرة تنشأ عند تعرّض الأرض لضوء الشمس بسبب دوران الأرض حولها، جاء اللفظ القرآني "الضحى" هنا بمعنى حرّ الشمس والنّهار كله، وقال ابن جرير: وقت ارتفاعها، والنّهار كلّهُ، وهذا يشبه أحوال القيامة

التكليف: هذه الحالة تشبه أحوال يوم القيامة، ووقت الضحى يشبه استقرار أهل الجنّة فيها.

﴿وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَاهَا﴾ (٢)

﴿و﴾: واو القسم، يقسم الله ﷻ ب ﴿الْقَمَرَ إِذَا﴾: أداة ربط ما بعدها وهو القمر، وما قبلها، وهي الشمس وضحاها ﴿تَلَاهَا﴾: قال مجاهد: القمر تبع الشمس، وقال ابن عباس يتلوها النهار، وقال قتادة: إذا تلاها ليلة الهلاك، إذا سقطت الشمس، أي غابت، وشوهد الهلاك، وقيل تعاقب الاثني عشر في نصف الشهر بتبادل.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ (٣)

﴿و﴾: أيضا يقسم الله ﷻ ب ﴿النَّهَارِ﴾: أقسم الله ﷻ بالنَّهَارِ ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها وهي ﴿جَلَّاهَا﴾: أضاءها؛ إذا كشف ما على وجه الأرض بضوء الشمس، وقال مجاهد أضاءها.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ (٤)

﴿و﴾: أقسم الله ﷻ ب ﴿اللَّيْلِ﴾: قال قتادة: ﴿إِذَا يَغْشَاهَا﴾: غشاها، أي أظلم، وهي ظاهرة تتابع الليل والنَّهَارِ، الذي معناه دوران الأرض حول نفسها، ودورانها حول الشمس، في الليل والنهار، بلا توقّف.

التكليف: أقسم الله ﷻ بهذه المخلوقات الأربعة، الشمس، والقمر، والنهار، والليل وأراد بها الشمس؛ لدورها في وظائف هذه المخلوقات والظواهر الطبيعية.

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ (٥)

﴿وَالسَّمَاءِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ بسبب كرويتها ﴿وَمَا﴾: قد تكون مصدرية بمعنى وبنائها، وقد تكون ما للوصل أي والذي ﴿بَنَاهَا﴾: ببناء السماء المتقن بسر هذه الكواكب، في مساراتها المتقنة، لم تحد عنها منذ خلقها ﷻ.

﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ (٦)

﴿و﴾: ويقسم الله ﷻ ب ﴿الْأَرْضِ وَمَا﴾: الذي ﴿طَحَاهَا﴾: قال مجاهد، وقتادة، والضحاك: بسطها، وقال مجاهد: دحاها. انظر [الرعد-٣]، وقال مجاهد، وابن عباس: خلق فيها.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧)

﴿و﴾: ويقسم ﷻ بكلّ ﴿نفس﴾: وهي جوهر الإنسان؛ جاءت هنا للتكثير؛ ولتفيد عموم ما خلق الله ﷻ من الإنس والجنّ وغيرها ﴿و﴾: أيضًا ﴿ما﴾: والذي ﴿سَوَّاهَا﴾: خلقها سوية، عدل أعضائها، وقوّاه، وجعلها مستقيمةً على الفطرة القويمة لأداء مهمتها على الوجه الذي ارتضاه ﷻ.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٨)

﴿ف﴾: حرف استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿أَلْهَمَهَا﴾: والإلهام هو إلقاء الشيء في القلب بطريق الفيض؛ أي الزيادة لينشرح ويطمئن له الصدر؛ أرشدها بالفطرة الربّانية، دونّ تعليم ﴿فُجُورَهَا﴾: معصيتها، ومعرفة الشر؛ حتى تتجنبه، جاءت أولًا لأنّ التخلية مقدّمةً على التخلية ﴿و﴾: أيضًا أرشدها ﴿تَقْوَاهَا﴾: طاعتها ما هو خيرٌ لتأتيه، قال ابن عباس: معرفة الخير.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (٩)

﴿قَدْ﴾: حرف جرّ أفاد التأكيد؛ لأنّه دخل هنا على الفعل الماضي ﴿أَفْلَحَ﴾: فاز بما أراد ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿زَكَّاهَا﴾: طهرها بطاعة الله ﷻ، وتطهيرها من الصفات الدنيئة والردائل.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (١٠)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿قَدْ﴾: حرف جرّ أفاد التأكيد؛ لأنّه دخل هنا على الفعل الماضي ﴿خَابَ﴾: خسر ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿دَسَّاهَا﴾: غمس نفسه، وأخفاها في المعاصي، وترك الطاعات، فأخفاها وأنقصها.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ (١١)

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾: وهذا من نموذج المجرمين، الذين كذبوا رسولهم صالحًا ﷻ. انظر تفسير [الأعراف-٧٣ حتى ٧٩] ﴿ب﴾: حرف باء الصلة والمصاحبة ﴿طَغْوَاهَا﴾: المبالغة في العصيان والطغيان، هو تجاوز حدود المسموح، وارتكاب المعاصي، واقتراف الجرائم، بالبغي والظلم.

﴿إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا﴾ (١٢)

﴿إِذ﴾: حرفٌ يُفيد ما مضى من الزمن ﴿أَنْبَعَثَ﴾: قام مسرعاً، ﴿أَشْقَاهَا﴾: وهو أشقى القبيلة؛ اسمه قدار بن سالف؛ عاقرُ الناقة، وكان رجلاً عارماً، عزيزاً، منيعاً في رهطه، قال رسول الله ﷺ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَشْقَى النَّاسِ رَجُلَيْنِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَحْيِمِرُ ثَمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذِهِ، يَعْنِي قَرْنَهُ، حَتَّى تُبَلَّ مِنْهُ هَذِهِ، يَعْنِي لِحْيَتَهُ^(١).

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ (١٣)

﴿ف﴾: بسبب وبسرعة ﴿قَالَ لَهُمْ﴾: لثمود الكافرين ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾: النبي صالح ﷺ ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾: جاءت الإضافة هنا للتشريف مثل القول كبيت الله، اتركوا، واحذروا إنها ليست ناقتي، إنما هي ناقة الله ﷻ إيّاكم أن تمسوها بسوءٍ ﴿وَسُقْيَاهَا﴾: أيضاً لا تعتدوا عليها في يوم سقياها؛ فإن لها شربٌ يومٍ، ولكم شربٌ يومٍ معلوم.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ (١٤)

﴿ف﴾: حرفٌ يفيد هنا الترتيب والتعقيب والسرعة؛ وبسبب قول صالح ﷺ ﴿كَذَّبُوهُ﴾: كذبوا رسولهم بما حذّروهم ﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿عَقَرُوهَا﴾: قتلوا الناقة بدون تأخير ﴿فَدَمْدَمَ﴾: أطبق الله ﷻ عليهم فعمّمهم به فلن ينج منهم أحدٌ وهذا جزاء الظالمين، وكانت الدمدمة مضاعفةً للعذاب وترديده؛ أي أطبق الله ﷻ عليهم، وأنزل ﴿عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾: المعبود، والمُرَبِّي، وهو المنشئ للكون بما وبمن فيه من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحِيط، والمُدَبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد؛ فهو ﷻ مالك كلِّ أمر فهو مالك أمر السموات والأرض ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿ذَنبِهِمْ﴾: بسبب غضب الله ﷻ عليهم؛ فأطبق عليهم العذاب، وقد ذكر قتادة أنّ عاقر الناقة لم يعقرها حتى تبعه صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم؛ فلما اشترك الجميع في قتلها؛ أطبق الله ﷻ العذاب عليهم جميعاً ﴿فَسَوَّاهَا﴾: جعل العقوبة على الجميع، سواءً، الكبير، والصغير، والذكر، والأنثى.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ (١٥)

(١) مسند أحمد ٢٥٦/٣٠ (١٨٣٢١)، قال الأرنؤوط: حسن لغيره.

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحالَ ﴿لا﴾: حرفٌ نفيٍ ﴿يَخَافُ﴾: ولأنَّ الضميرَ يعودُ على آخرِ اسمٍ جاءَ قبله فالمقصودُ أنَّ اللهَ ﷻ ربُّ العالمين لا يخافُ تبعَةً تلحقه ﷻ من إهلاكِ قومٍ أو إنسانٍ فهو مالكُ أمرِ الكونِ بما وبمن فيه من الخلقِ؛ وهو القاهرُ فوقَ عباده.

التكليف: بدراسةِ مقاصدِ هذه السورةِ الكريمة؛ نطلعُ على آياتِ الله ﷻ في الآفاقِ وفي الأنفسِ.



سميت "سورة الليل" بهذا الاسم في معظم المصاحف وبعض كتب التفسير؛ وسميت "سورة والليل" وسميت سورة "والليل إذا يغشى" وهي سورة مكية في قول الجمهور، وموقعها رقم (٩)، في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة "الأعلى"، وقبل سورة "الفجر"، وعدد آياتها (٢١) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (١)

عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: أقبل رجلٌ بناضحين وقد جنح الليل، فوافق معاذًا يصلي، فترك ناضحه وأقبل إلى معاذ، فقرأ بسورة البقرة - أو النساء - فانطلق الرجل وبلغه أن معاذًا نال منه، فأتى النبي ﷺ، فشكا إليه معاذًا، فقال النبي ﷺ: «يا معاذ، أفأتان أنت» - أو «أفأتان» - ثلاث مرارٍ: «فلولا صليت بسبح اسم ربك، والشَّمسِ وضحاها، والليل إذا يغشى، فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة»^(١)، كان الرسول ﷺ يصلي الجمعة والعيدين بسورتي سبح، والليل، ونزلت الآية فيأبي بكر الصديق، ﷺ بإجماع المفسرين ﴿و﴾: يقسمُ الله ﷻ بأحدٍ ما خلق وهو ﴿الليل﴾: يقسمُ الله ﷻ ببعضٍ من مخلوقاته، وهي نشوء الليل، الناتج عن علاقة الأرض بالشمس والقمر، وقد قدم الليل على النهار ﴿إذا﴾: ظرفٌ لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربطٍ ما بعدها بما قبلها ﴿يغشى﴾: يُغطي الأرض في فترة من اليوم.

(١) صحيح البخاري ١/٤٢١ (٧٠٥).

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ (٢)

﴿و﴾: واو القسم، أقسم الله ﷻ أيضًا بـ ﴿النَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾: لأنَّ النَّهَارِ إِذَا جَاءَ انْكَشَفَ بَضُوئُهُ ظِلَامُ الدُّنْيَا، كَمَا الْآيَاتِ الرِّبَانِيَّةِ إِذَا جَاءَتْ انْكَشَفَ لَهُمْ كُلُّ أَمْرٍ؛ فَصَارُوا عَلَى بَيِّنَةٍ مِنَ الْإِيمَانِ.

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (٣)

﴿و﴾: أيضًا أقسم ﷻ بـ ﴿مَا﴾: الذي من غير العاقل ﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق وجود ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾: جاء الحرف "ما" الذي يفيد غير العاقل؛ لأنَّ أصلَ تكوين الإنسان من حيوانٍ منويٍّ من الرجل ومن بويضة من الأنثى وهي مخلوقات لا تعقل، وهذا من بديع صنْع الله ﷻ، فُكِّلَ المخلوقات تتكون من ذرَّاتٍ، ووحدة التكوين في المخلوقات هي الذَّرة، التي تتكون من ثلاثة مكونات: إلكترون وهو الجزء صاحبُ الشحنة السالبة، والذي يمثل الأنثى في الذَّرة، ومن البروتون، هو صاحبُ الشحنة الموجبة، والذي يُمثِّلُ الجزء الموجب الذكر، والعنصر الثالث هو النيوترون، وهو الجزء المُتَعَادِلُ، ثم جاء خلق الذكر والأنثى في الإنسان، والحيوان، والنبات، بديعٍ خلقٍ لا يشبع منه العلماء، المؤمن منهم، والكافر، العرب والعجم.

﴿إِنْ سَعَيْكُمْ لَشَأْنِي﴾ (٤)

هنا جواب القسم ﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكِّ والإنكار ﴿سَعَيْكُمْ﴾: أعمالكم يا بني آدم ﴿لَ﴾: حرف علَّةٍ وسببٍ ﴿شَأْنِي﴾: مختلفة ومتضادة في الثواب؛ فمن فاعلٍ خيرٍ، توجب السعادة الثواب والجزاء الحسن في الدارين، ومنها من فاعلٍ السيئات التي توجد كلَّ شرٍّ، وتوجب العذاب والشقاء في الدارين، وبينهما درجاتٌ، وهذا جواب القسم؛ ولا يزالون مختلفين؛ انظر [هود-١١٨].

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ (٥)

﴿فَأَمَّا﴾: حرف تفضيلٍ وتوكيدٍ بمعنى أي ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿أَعْطَى﴾: بذل من ماله وعمل الحسنات، أخرج ما أمر الله ﷻ بإخراجه من الزكاة، والصدقات، وغيرها وهي سبب دخول الجنة ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿اتَّقَى﴾: حاله كحال النهار المضِيء، عبَدَ الله ﷻ يقينًا، وتصديقًا، وتجنَّبَ محرَّماته؛ فنجَّاه من العذاب.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ (٦)

﴿و﴾: أيضًا ﴿صَدَّقَ﴾: آمن يقينًا وقناعةً ﴿ب﴾: حرف باء الصلة والمصاحبة ﴿الْحُسْنَى﴾: بالملة الصحيحة؛ وهي الإسلام، قال أبو موسى الأشعري: الحسنى هي الجنة، وقال ابن عباس، ومجاهد: صدق بالجزاء، والثواب، والحلف، وقال الضحاك: صدق بلا إله إلا الله؛ أي صدق بالإسلام؛ الملة الحسنى، وما ترتب عليها من الجزاء.

﴿فَسُنِّيَتْهُ لِلْيُسْرَى﴾ (٧)

﴿ف﴾: حرف استثنائي يهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿س﴾: حرف يفيد التحقق في المستقبل قولًا وفعلًا ﴿نِيَّتُهُ﴾: نُسهلُ عليه ونُوفقه ونُهيئُه ونُرشده ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْيُسْرَى﴾: للخصلة التي تؤدي لليسر والسعة والراحة، قال ابن عباس: للخير، وقال زيد بن أسلم: للجنة، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَعَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَعَهُ مِنَ النَّارِ» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: «لَا، اْعْمَلُوا فِكُلِّ مَيْسَرٍ» ثُمَّ قَرَأَ: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسُنِّيَتْهُ لِلْيُسْرَى» [الليل-٥] إِلَى قَوْلِهِ «فَسُنِّيَتْهُ لِلْيُسْرَى» [الليل-١٠] (١)

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ (٨)

﴿وَأَمَّا﴾: حرف تفضيلٍ ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿بَخِلَ﴾: من بخل بماله ولم يُنفق مما آتاه الله تعالى حاله كحال الليل بظلامه ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد الحال ﴿اسْتَغْنَى﴾: بماله عن ثواب وجزاء الله تعالى، قال ابن عباس: بخل بماله، واستغنى عن ربه تعالى.

﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ (٩)

﴿و﴾: أيضًا ﴿كَذَّبَ﴾: بما وعد الله تعالى البشر بالجنة ﴿ب﴾: حرف باء الصلة والمصاحبة ﴿الْحُسْنَى﴾: كذب بوعد الله تعالى له بالزّرية، والمال، وبالملة الحسنة، والإسلام، والجزاء الحسن في الآخرة.

﴿فَسُنِّيَتْهُ لِلْيُسْرَى﴾ (١٠)

(١) صحيح البخاري ١٧١/٦ (٤٩٤٧).

﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿س﴾: حرف يفيد تحقق الفعل والقول في المستقبل والتأخير ﴿نَيْسِرُهُ﴾: نُسهل له وزيده ﴿لِلْعُسْرَى﴾: أسباب الشقاء، وطريق الشر؛ بخلق الخصال المؤدية إلى العسر، والضيق، والشدة؛ جاء في المعنى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام- ١١٠]، قال ﷺ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: لَا، اْعْمَلُوا فَكُلُّ مُيَسَّرٌ (١)

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ (١١)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال، وعطفًا على ما سبق ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿يُغْنِي عَنْهُ﴾: ما يدفع عنه ماله الذي بخل به، ويحفظه ويحميه من العذاب ﴿مَالُهُ﴾: لن يشتري الجنة بماله ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿تَرَدَّى﴾: والتردي هو السقوط من علٍ إلى أسفل يُفضي بصاحبه إلى الهلاك، قال مجاهد: إذا مات، وقال زيد بن أسلم: إذا تردي في النار، فلن يمنع ماله.

﴿إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ (١٢)

﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿عَلَيْنَا﴾: قمنا بتبيان الحرام والحلال ﴿لَلْهُدَى﴾: على الله ﷻ أن يتفضل بحكمته أن يبين طريق الهدى الموصل إليه، لمن أراد أن يهتدي إلى الحق فيؤمن بالله ﷻ.

﴿وَإِنَّا لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ (١٣)

﴿وَإِنَّا﴾: بالتأكيد ﴿لَنَا﴾: وتقيد هنا الثواب، إن لنا ثواب الآخرة، ملكنا الذي نتصرف فيه ﴿ل﴾: حرف تملك ﴿الْآخِرَةِ﴾: جاء اللفظ القرآني "الآخرة" هنا بمعنى القيامة؛ يوم تقوم القيامة يجمع الله ﷻ الأولين والآخرين؛ للتصرف فيهم ﴿و﴾: أيضًا لنا، وفي ملكنا ﴿الْأُولَى﴾: الحياة الدنيا نتصرف فيها بإرادتنا.

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ (١٤)

(١) صحيح البخاري ١٧١/٦ (٤٩٤٧).

﴿ف﴾: لهذا السبب، ودون تأخير ﴿أَنْذَرْتُمْ﴾: حذرتكم ﴿نَارًا تَلظى﴾: تلتهب، وتتوقد، وتتوهج، قال الرسول ﷺ: إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ، عَلَى أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ وَالْقَمُومُ^(١).

﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ (١٥)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَصْلَاهَا﴾: لا يدخلها ويُقاسي عذابها ﴿لَا﴾: حرف استثناء ﴿الْأَشْقَى﴾: المخد في النار، وهو يصلي أشد ممن يصلي من غيره، إن دخول جهنم الأبدي هو للكافر شديد الكفر، والشقاوة.

﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (١٦)

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول للمفرد المذكر ﴿كَذَّبَ﴾: أنكر قلبه، أصول الإيمان بالله ﷻ، وملائكته، وكتبه، ورسله، والقيامة، والقضاء، والقدر ﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال، عطفًا على هذا ﴿تَوَلَّى﴾: وابتعد، ولم تُود جوارحه العبادة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى^(٢)

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتَقَى﴾ (١٧)

﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال ﴿س﴾: حرف يفيد تحقق الفعل والقول في المستقبل ﴿يُجَنَّبُهَا﴾: يُبعد عن النار، ولا يدخلها؛ أي النار ﴿الْأَتَقَى﴾: قيل أبو بكر ﷺ، وهي المؤمن بقلبه، وتشمل كل نقي تقِي، والله أعلم، وعن عبد الله بن الرُّبَيْرِ، قَالَ: قَالَ أَبُو قُحَافَةَ لِأَبِي بَكْرٍ: أَرَأَيْكَ تُعْتَقُ رِقَابًا ضِعَافًا فَلَوْ أَنَّكَ إِذْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ أَعْتَقْتَ رِجَالًا جَلْدًا يَمْنَعُونَكَ وَيَقُومُونَ دُونَكَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا أَبَتِ إِيَّيْ إِنَّمَا أُرِيدُ مَا أُرِيدُ لِمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ فِيهِ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل-٦] إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل-١٩]^(٣).

(١) صحيح البخاري ١١٥/٨ (٦٥٦٢).

(٢) صحيح البخاري ٩٢/٩ (٧٢٨٠).

(٣) المستدرک على الصحيحين للحاكم ٥٧٢/٢ (٣٩٤٢)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ (١٨)

﴿الَّذِي﴾: اسمٌ على سبيل الترجيح بالمفرد المُذكر، وتشمل المفرد المؤنث أيضًا ﴿يُؤْتِي﴾: يصرف ويُنفق ﴿مَالَهُ﴾: الذي جمعه بالحلال ﴿يَتَزَكَّى﴾: ليطهر نفسه بالإِنفاق في طاعة ربّه ﷻ.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ (١٩)

﴿و﴾: أيضًا ﴿مَا﴾: حرفٌ نفي ﴿لأَحَدٍ﴾: لواحدٍ من الخلق ﴿عِنْدَهُ﴾: ظرفٌ زمانٍ وظرفٌ مكانٍ في كلِّ مكانٍ وكلِّ وقتٍ ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿نِعْمَةٍ﴾: ليس عليه دين أو معروف أسدى إليه ﴿تُجْزَى﴾: تُكافأ فينفق ماله جزاء المعروف، بمعنى ليس إنفاقه ذاك مكافأة لمن أسدى إليه معروفًا.

﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ (٢٠)

﴿إِلَّا﴾: حرفٌ استثناء لا ينفق ماله إلا في سبيل الله ﷻ ﴿ابْتِغَاءَ﴾: طمعًا أن يرى ﴿وَجْهِ رَبِّهِ﴾: هو ﷻ المُعبود، والمُربي، والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد؛ فهو مالك كلِّ الأمر ﷻ ﴿الأَعْلَى﴾: العالِي على الخلق في الأولى والآخرة، وهذه أعظم جائزة.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (٢١)

﴿و﴾: حرفٌ يفيد الاستئناف ﴿ل﴾: حرفٌ علّةٍ وسببٍ وهي الموطئة للقسم، بمعنى وتالله لسوف يرضى بما نعطيه من الكرامة والجزاء العظيم ﴿سَوْفَ﴾: كلمة تفيد تحقق الفعل والقول في المستقبل، وعدًا من الله ﷻ لمن اتصف بهذه الصفات الحميدة؛ أنه ﴿يَرْضَى﴾: سوف يعطيه الله ﷻ في الجنة ما يُرضيه في الآخرة.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ تتضح أوجه التفاضل بين المؤمنين والكافرين، وَعَنْ عَلِيٍّ ؓ، قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةِ فِي بَقِيعِ الْعَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَكَسَّ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ

عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنْ أُمَّةٍ أَمِلَ السَّعَادَةَ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أُمَّةٍ أَمِلَ الشَّقَاوَةَ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل-٦ الآية (١)]



سميت "سورة الضحى" بهذا الاسم في أكثر المصاحف وفي كثير من كتب التفسير؛ وفي بعض كتب السنة، وجه التسمية هو وقوع لفظ "الضحى" في أولها، وهي سورة مكية بالاتفاق، وموقعها (٢٠) في عدد ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة "الفجر" وقبل سورة "الانشراح"، وعدد آياتها (١١) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالضُّحَى﴾ (١)

لما تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ، ثم جاء الملك الكريم؛ فأوحى إليه والضحى، والليل إذا سجي؛ كبر الرسول فرحاً وسروراً، ولذلك يُستحب التكبير من آخر الضحى إلى آخر سورة الناس، عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «اِحْتَبَسَ جِبْرِيلُ ﷺ عَلَى النَّبِيِّ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ: أَبْطَأَ عَلَيْهِ شَيْطَانُهُ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (٢).

﴿و﴾: حرف واو القسم ﴿الضُّحَى﴾: يُقسم الله ﷻ بالضحى، وهو وقت ارتفاع الشمس أول النهار، جاء اللفظ القرآني "الضُّحَى" هنا بمعنى كلِّ النهار، وما فيه من ضياء الشمس وقت ارتفاعها، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ (٢)

(١) صحيح البخاري (٢/٩٦) (١٣٦٢).

(٢) صحيح البخاري (٢/٤٩) (١١٢٥).

﴿و﴾: واو القسم؛ يُقسمُ الله تعالى بـ ﴿اللَّيْلِ﴾: ويقسم الله ﷻ بالليل ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها وهو سجي بما قبلها وهو الضحى ﴿سَجَى﴾: من "السجو" وهو السكون المطلق، والإسناد مجازي حيث أسند ﷻ السكون إلى الليل والمقصود الناس في الليل؛ غطى الكون بظلامه؛ وسكن الناس والخلق.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (٣)

هنا جواب القسم ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿وَدَّعَكَ﴾: ما تركك وهو هنا مستعار؛ لأنه يُستعمل للترك فإن الوداع إنما يكون بين الأحباب ومن تعزَّ مفارقتة، ﴿رَبُّكَ﴾: فهو ﷻ مالك كلِّ أمر فهو مالك أمر السموات والأرض ﴿وَمَا﴾: أيضًا هنا نفي ﴿قَلَى﴾: ما أبغضك؛ وكان هذا عندما أبطأ نزول الوحي على سيدنا محمد ﷺ بمعنى أنّ الوحي لم ينقطع عن النبي ﷺ.

﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ (٤)

﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْآخِرَةِ﴾: إنّ الدار الآخرة هي النشأة الثانية في مقابل النشأة الأولى ﴿خَيْرٌ﴾: أفضل مقاماً ﴿لَكَ﴾: تخصيصاً ﴿مِنَ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿الْأُولَى﴾: من هذه الحياة التي تعيشها على الأرض، فكان ﷺ أزهّد النَّاسِ، ينام على حصير؛ فتترك أثرها في جنبه، أن يضعوا على الحصير بساطاً، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَكَابٍ اسْتَنْظَلَتْ حَتَّى شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا^(١)

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (٥)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿ل﴾: حرف يفيد الابتداء؛ وليست للقسم، بمعنى ولأنّك ﴿سَوْفَ﴾: كلمة تُفيد وعداً في المستقبل بالتأكيد ﴿يُعْطِيكَ﴾: يمنحك في أمّتك، وفيك، ﴿رَبُّكَ﴾: هو مالك كلِّ أمرك ﷻ يهبك أنت فيما أعدّ لك من كرمه ﷻ ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿تَرْضَى﴾: وعدك الله ﷻ يا محمد ﷺ نهر الكوثر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوّف، وطينته مسك

(١) سنن الترمذي ٥٨٨/٤ (٢٣٧٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

أذخر، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم-٣٦] الآية، وَقَالَ عِيسَى الْكَرِيمُ: ﴿إِن تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة-١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي، وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جِبْرِيلُ أَذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلَّهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ، أَذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ^(١).

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ (٦)

﴿أَلَمْ﴾: أداة استفهامٍ بغرض التقرير ﴿يَجِدْكَ﴾: يا محمد ﷺ ﴿يَتِيمًا﴾: صغيرًا مات أبوك، وأنت في بطن أمك، وماتت أمك آمنة بنت وهب وعمرك ست سنوات ﴿ف﴾: حرفٌ سببٍ وتتابعٍ سريع ﴿آوَى﴾: كفلك جدك عبد المطلب، وكان عمره ثمانين عامًا، فكفلك من بعده عمك أبو طالب حتى البعثة.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ (٧)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحال ﴿وَجَدَكَ﴾: كنت ﴿ضَالًّا﴾: ليس المقصود الانحراف عن الحق؛ فهذا إجحافٌ في حق الرسول ﷺ، بل المراد بالضلال أنه كان لا يعرف الدين الحق؛ لوجوده في قوم الضلال؛ فهداهم الله ﷻ بك؛ أو فهداك إلى إرشادهم؛ وكنت فيما سبق ما تدري ما الكتاب، ولا الإيمان ﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿هَدَى﴾: أوحى إليك روحًا من أمره؛ فعلمك ما لم تكن تعلم وستعلم من بعدك البشرية إلى يوم القيامة.

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ (٨)

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾: كنت فقيرًا صاحب عيال ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿أَغْنَى﴾: أغناك الله ﷻ عن سؤال غيره؛ فكنت الفقير الصابر، والغني الشاكر، وأغناك بالقناعة بما يسر لك من الرزق الحلال من استثمار مال زوجتك خديجة، ومن مال أبي بكرٍ الصديق رضي الله ﷻ عنهما.

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (٩)

(١) صحيح مسلم ١/١٩١ (٢٠٢).

﴿فَأَمَّا﴾: حرفٌ تفضيلٍ وتوكيدٍ بمعنى أي ﴿الْيَتِيمِ﴾: الذي فقد أباه، وفقد العطف والحنان،
والمال ﴿فَلَا﴾: حرفٌ تخصيصٍ ونهيٍ يفيد طلب عدم الفعل ﴿تَفْهَرُ﴾: لا تذله ولا تنهه، فكما
كنت يتيمًا وأكرمك الله ﷻ، فأكرم اليتيم، وتلطف به، وهذا ما يُعرف اليوم بحقوق الإنسان، وهذا
النهي ليس له ﷻ فقط بل لكلِّ أمته؛ لأنهم أسوته في الناس.

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (١٠)

﴿وَأَمَّا﴾: أي ﴿السَّائِلَ﴾: الذي يسألك علمًا؛ ليسترشد به، ويستتير ﴿فَلَا﴾: أداة تخصيص ونهي
تفيد طلب عدم الفعل ﴿تَنْهَرُ﴾: لا تزجره، ولا تنهه، ولا تُنهه، ولا تُذله، ولا تكن جبارًا متكبرًا،
ولا فاحشًا، ولا فظًا على الضعفاء، قال قتادة: رد المسكين برحمةٍ ولينٍ.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (١١)

﴿وَأَمَّا﴾: أي ﴿بِنِعْمَةِ﴾: حرف باء الصلة والمصاحبة تحدث بفضل الله ﷻ عليك وكرمه، فإن
من شكر النعم التحدث بها، قال ﷻ: لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ^(١) ﴿رَبِّكَ﴾: فهو ﷻ
مالك كلِّ أمر فهو مالك أمر السموات والأرض ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر
ويفيد سرعة التنفيذ ﴿حَدِّثْ﴾: قال الحسن بن علي؛ ما علمت من خيرٍ فحدث إخوانك. والحديث
عن نعم الله ﷻ على سبيل الإباحة وليس للوجوب.

التكليف: بدراسة مقاصد السورة؛ ندرك رعاية الله ﷻ لرسوله الكريم، وكرامة الوحي، وطمأنة
المؤمنين، فقد جاءت الآيات (٩، ١٠، ١١) آيات تربيةٍ وتوجيهٍ وإرشادٍ للنبي ﷺ.



سميت "سورة الشرح" بهذا الاسم في أكثر المصاحف، وفي كثير من كتب التفسير؛
وسميت أيضًا سورة "ألم نشرح" وأيضًا سميت سورة "ألم نشرح لك صدرك" وهي سورة مكية
بالاتفاق، وموقعها (١٢) في عداد ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة "الضحى" بالاتفاق وقبل
سورة "العصر" وعدد آياتها (٨) آيات.

(١) سنن أبي داود ٢٥٥/٤ (٤٨١١)، قال الألباني: صحيح.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (١)

﴿أَلَمْ﴾: أداة استفهام بهدف التقرير ﴿نَشْرَحْ﴾: قد أفسحنا ووسعنا لك يا محمد ﷺ بالحكمة وبالنبوة وشرائع الدين ﴿لَكَ﴾: تخصيصًا ﴿صَدْرَكَ﴾: لقد شرح الله ﷻ صدر نبيه الكريم بالنبوة، وبشقه وتطهيره، وملئه حكمة وإيمانًا، وإزالة حظّ الشيطان منه، المقصود هو القلب الذي هو في الصدر، أي يا محمد ﷺ أنرنا قلبك بالإيمان، حبتنا إليك تلقي الوحي بلا خوف، وقيل جعلنا قلبك فسيحًا، رحيبًا، واسعًا، وقيل لا حرج فيه، ولا إصر، ولا تضيق، وقيل شرح صدره ليلة الإسراء وهو الشرح المعنوي؛ وسّعنا صدرك بالإسلام.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ (٢)

﴿و﴾: عطفًا على ما جاء ﴿وَضَعْنَا﴾: حططنا؛ وخففنا؛ وسهلنا ﴿عَنكَ وِزْرَكَ﴾: المقصود ليس بالذنب الذي هو الوزر؛ ولكنه ما يحمل من الجهد، والمشى، والسهر، والدعوة لله ﷻ حملك، وقيل ثقل أعباء الدعوة.

﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ (٣)

﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمفرد المذكر ﴿أَنْقَضَ﴾: أثقل عليك ما تحتل ﴿ظَهْرَكَ﴾: ثقل عليك حملة؛ بالمعنى، وليس بحمل الثقل المادي.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (٤)

﴿وَرَفَعْنَا﴾: أعلينا ﴿لَكَ﴾: تخصيصًا ﴿ذِكْرَكَ﴾: شأنك، قال ابن عباس، ومجاهد في الأذان؛ مقترنًا باسم الله ﷻ، في الشهادتين أي رفع الله ﷻ ذكره في الأولين والآخرين، وفي الأذان والإقامة للصلاة، والخطب؛ وغيرها. وقد أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به، وأن يأمروا أممهم بالإيمان به، ثم رفع ذكره في أمته، فلا يُذكر اسمُ الله ﷻ إلا دُكر معه محمدٌ ﷺ، وفي مقامه ﷺ روى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَأَضْرَبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا:

مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدِبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ المَأْدِبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدِبَةِ، فَقَالُوا: أَوْلَاهَا لَهُ يَقْفَهَهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ (١).

﴿فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا﴾ (٥)

﴿فَإِنَّ﴾: حرف تأكيد من الله ﷻ ﴿مَعَ العُسْرِ﴾: الشدة والضيق في المال، والصحة، وجاء العُسْرُ مُعْرَفًا ﴿يُسْرًا﴾: جاء بصيغة النكرة للتفخيم والتعظيم، سهولةً، وسعةً، وفرجًا، وجاء اليُسْرُ نكرةً؛ والنكرة تعيد العموم، ولذلك قالوا لا يغلب عسرٌ يُسرين.

﴿إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا﴾ (٦)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿مَعَ﴾: ملازم مع ﴿العُسْرِ﴾: أشكال الضيق والحرَجُ ﴿يُسْرًا﴾: سهولةً وفرجًا، مصاحبة اليسر للعسر هو ما يُهَوِّنُ على المُعسر الضيق والحرَجُ، ويهَوِّنُ عليه مصاعب ومصائب الدنيا، فالعسر واحدٌ واليسر اثنان، بمعنى أن مع العُسْر يُسرين.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (٧)

﴿فَإِذَا﴾: حرف مفاجأة وأمر للمستقبل ﴿فَرَغْتَ﴾: إذا قضيت أمور الدنيا وأشغالها؛ وفرغت بخاصة من صلاتك، أو من تبليغ دعوة ربك ﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿انصَبْ﴾: قم واجتهد وانشغل في الدعاء؛ والطلب، نشيطًا، فارغ البال، وأخلص لربك، قال ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض؛ فقم فانصب في قيام الليل، وقال ابن عباس: بعد فراغك من الصلاة فانصب بالدعاء، وقال الضحَّاك: إذا فرغت من الجهاد فانصب في العبادة، وكلها لازمة.

﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ (٨)

﴿وَ﴾: حرف عطف يُفيد الحال؛ عطفًا على ما سبق ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾: هو ﷻ المُعبود، والمُرَبِّي، والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت،

(١) صحيح البخاري ٩٣/٩ (٢٢٨١).

والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ؛ فهو ﷺ مالك كلِّ أمر فهو مالك أمر السموات والأرض؛ لذلك اجعل كلَّ عملك ونيتك ورغبتك لله ﷻ ﴿ف﴾: حرفٌ يُفيدُ السبب ﴿ارغب﴾: اخرج إليه راغبًا فيما عنده ﷻ من الخيرات والبركات؛ اجتهد في عبادته حُبًّا، وطاعة لله ﷻ.
التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نعلم بشرى الله ﷻ بزوال الغم، والحرَج، والعسر عن المؤمنين كما رفعه عن رسوله ﷺ.



سمّيت "سورة التين" بهذا الاسم في معظم المصاحف وفي كتب التفسير؛ ووجه التسمية هو وقوع لفظ "التين" في أولها، وهي سورة مكّية عند أكثر العلماء، وموقعها (٢٨) في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة "البروج" وقبل سورة "الإيلاف"، وعدد آياتها (٨) آيات.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿والتين والزيتون﴾ (١)

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كُلُوا الزَّيْتِ وَأَدْهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ (١)
﴿و﴾: حرف واو القسم، يُقسم الله ﷻ بنوعٍ من الشجر، ومكان نباته ﴿التين﴾: من فوائد التين المحافظة على صحة الجهاز الهضمي؛ لكثرة الألياف فيه، وتعزيز صحّة القلب؛ لاحتوائه على مادة البوتاسيوم، وصحة الأوعية الدموية؛ لأنه يحتوي على فيتامين ك الذي يساعد على تجلط الدم، بشكل صحي، ويحفظ صحة العينين؛ بتزويده بما لا يقل عن (٣٤١) وحدة دولية من فيتامين "أ" في الحبة الواحدة، كما يُستخلص من أوراق التين مادة الأنسولين الذي تعالج مرض البول السكري ﴿و﴾: يقسم الله ﷻ أيضًا بـ ﴿الزيتون﴾: قال مجاهد وعكرمة: الزيتون الذي تعصرون، نبات الزيتون. وعن مكانه، قال قتادة: مسجد بيت المقدس، في فلسطين، منبتهما من الأرض المباركة، تحتوي ثمار الزيتون على المغذيات الآتية: مضادات الأكسدة ويحتوي على الفيتامينات، مثل النياسين، والكولين، وحمض البانتوثينك، ويحتوي على المعادن مثل

(١) سنن الترمذي ٢٨٥/٤ (١٨٥١)، وقال حديث غريب. وقال الحاكم ٣٤٢/٢: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

الحديد؛ لتقوية كرات الدم الحمراء، والكالسيوم للعظام، ونشاط العضلات، والزنك، والنحاس، والمنجنيز، وكذلك تحتوي على الدهون المفيدة مثل الوميجا (٣ و ٦) وما يحفظ من السكتات القلبية، والسكتات الدماغية، ووقاية الجسم من السرطان، والالتهابات، وأمراض الأعصاب، ومن مرض السكري، ويحتوي على الكاروتينات، ومن فوائد زيت الزيتون تخفيض نسب النوبات القلبية بنسبة (٤١) %، وعلاج ضغط الدم، وتقليل الإصابة بالسرطان؛ لاحتوائه على مادة الفينول، وغيرها من الفوائد الجمّة.

﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾ (٢)

﴿و﴾: يقسم الله ﷻ أيضًا بـ ﴿طُورِ﴾: والطور هو ما امتد من البناء، وهو الجبل الذي في الشام؛ الأرض المقدسة؛ فقد جاء ﴿إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ [الإسراء-١] ﴿سَيْنِينَ﴾: الجبل الذي كلم الله ﷻ عليه موسى ﷺ؛ جبل المُناجاة في سيناء.

﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ (٣)

﴿و﴾: يقسم الله ﷻ أيضًا بـ ﴿هَذَا﴾: اسم إشارة ﴿الْبَلَدِ﴾: إجماع جمهور المُفسرين: هي مكة المكرمة ﴿الْأَمِينِ﴾: قال ابن عباس، ومجاهد: هذه مَحَالُّ أَمَاكِنِ ثَلَاثَةٌ بَعَثَ اللَّهُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا نَبِيًّا مُرْسَلًا مِنْ أَوْلِي الْعِزْمِ مِنَ الرِّسْلِ: الأول: محل التين والزيتون، وهو بيت المقدس، الذي بُعِثَ فِيهِ عِيسَى ﷺ، والثاني: طور سنين؛ هو طور سيناء الذي كلم الله ﷻ عليه موسى بن عمران ﷺ، والثالث: مكة؛ البلد الأمين، الذي من دخله كان آمنًا، وأُرْسِلَ فِيهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، جاء ذلك بترتيب وجودهم، وترتيب زمانهم؛ فأقسم الله ﷻ بالأشرف، ثم بالأشرف منه، ثم بالأشرف منهما.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٤)

ونرى أنّ الآية التالية هي جواب القسم ﴿ل﴾: لام القسم ﴿قَدْ﴾: حرف جرّ أفاد التأكيد؛ لأنّه دخل هنا على الفعل الماضي ﴿خَلَقْنَا﴾: أوجدنا من غير سابق وجود ﴿الْإِنْسَانَ﴾: آدم ﷺ، قال ﷻ بصيغة الجمع؛ دليلًا على قيمة المقسوم عليه: لقد خلقنا آدم ﷺ، وذريته من بعده ﴿فِي أَحْسَنِ﴾: جاءت بصيغة أفضل ﴿تَقْوِيمٍ﴾: وهي كلمة جامعة، لكل ما في الإنسان من

معجزات: صورته الجميلة، وشكله، وانتصاب قامته، فلا هو يمشي على أربع، ولا على بطنه، ولا يطير بجناحيه، إنّ في خلق عقدة إصبعٍ واحدة تتجلى عظمة الخالق، ﷺ كما ذكر ﷺ: ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة-٤].

التكليف: إنّ الدارس لعلم تشريح الإنسان، وعلم وظائف الأعضاء؛ يدركُ درجة عظمة وجمال هذه الخلق.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ (٥)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني غير السريع، على التراخي ﴿رَدَدْنَاهُ﴾: أعدنا الإنسان إلى حالة ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾: حالة الشيخوخة وفيها الضعف والخرف والهرم؛ لم يُعد ينتفع بعافيته كما لم ينتفع بها الكافر بعصيان ربّه ﷺ، وقال مجاهد، والحسن، وأبو العالية، وابن زيد: أعدناه إلى النار؛ وذلك أنّ النار دركات بعضها أسفل من بعض؛ فالكافر يرد أسفل الدرجات السافلة. التكليف: بعد هذا الفضل في الخلق والتكريم والرزق فإنّ النار هي مصير من يعصي الله ﷺ، ويكفر برسله؛ النار.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٦)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء، يُستثنى من هذا المصير ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: بقلوبهم قناعة، ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال؛ عطفًا على إيمانهم ﴿عَمِلُوا﴾: بذلك ﴿الصَّالِحَاتِ﴾: الطاعات المفروضة ﴿ف﴾: حرفٌ يفيدُ السبب ﴿لَهُمْ﴾: نُملّكهم ﴿أَجْرٌ﴾: ثوابٌ ﴿غَيْرٌ﴾: حرف استثناء بمعنى إلا ﴿مَمْنُونٍ﴾: عظيم كامل غير مقطوع، ولا منقوص.

التكليف: ما أجمل هذا الاستثناء وهذه البشارة للذين تقدّم بهم العمر فهموا؛ فالشيخ المسلم الهرم الصالح يُكتب له ما كان يفعله أيام شبابه وقدرته؛ فأجره في الدنيا لم ينقطع بموته.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ﴾ (٧)

﴿فَمَا﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الخبر ﴿يُكَذِّبُكَ﴾: الخطاب إلى الإنسان الكافر؛ والتقرّيع والتوبيخ؛ وإلزام الحُجّة؛ ما الذي يجعلك ويحملك يا ابن آدم أن تُكذّب ﴿ب﴾: حرف باء الصلة والمصاحبة

﴿الَّذِينَ﴾: بيوم القيامة، يوم الميعاد؛ فقد علمت النشأة الأولى، وعلمت أنّ الله ﷻ هو القادرُ على البداية؛ هو القادر على الرجعة؛ فلا تكذب بمحمد ﷺ.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ (٨)

﴿أَلَيْسَ﴾: حرف استفهام للتوكيد ﴿اللَّهُ﴾: أما علمت أنّ الله ﷻ ﴿بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿أَحْكَمِ﴾: أعدلُّ من حكم؛ لا يجورُ ولا يظلم ﴿الْحَاكِمِينَ﴾: بدخول الاستفهام على النفي صار الكلامُ إيجابًا وتقريرًا بمعنى أليس الذي فعل ما فعل؛ الذي يقضي؛ فيحكم بين عباده بالحق، بلى والله إنّه أحكم الحاكمين، والكون على ذلك من الشاهدين، جاء عن الترمذي عن أبي هريرة: من قرأ سورة والتين والزيتون وقرأ أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة؛ ندرك قيمة وتشريف الإنسان بالخلقة الجميلة، وبالرسالة الشريفة.



سمّيت "سورة العلق" واشتهرت هذه السورة بهذا الاسم في المصاحف ومعظم كتب التفسير؛ وسمّيت أيضًا "اقرأ باسم ربك" وسمّيت أيضًا سورة "اقرأ" وهي سورة مكيّة بالاتفاق، وقيل هي أول سورة نزلت في القرآن الكريم، ترتيبها (١) في عدد نزول سور القرآن الكريم، وعدد آياتها (١٩) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١)

﴿اقْرَأْ﴾: هذه أول كلمات نزل بها الوحي جبريل ﷺ، على محمد ﷺ؛ وهو في غار حراء (١) أول كلمة من ربّ السماوات والأرض ﷻ؛ تُعَلِّمُ النَّاسَ جَمِيعًا، ليشرف بها الإنسان؛ ويكرمه؛ ويرفع شأنه بالعلم، فعلم يكون تارة في الأذهان والعقول، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون بالبنان،

(١) انظر: صحيح البخاري ١٧٣/٦ (٤٩٥٣).

الكتابة ﴿ب﴾: حرف باء الاستعانة ﴿اسم﴾: بذكر اسم الله ﷻ؛ مستعيناً بالله ﷻ، ومتوكلاً عليه ﴿ربك﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ، هو ﷻ المعبود، والمربي، وهو المنشئ للكون وما فيه من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام، وهو ﷻ الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابزُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ؛ فهو ﷻ مالك كلِّ أمرٍ فهو مالك أمر السموات والأرض ﴿الذي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد، والمقصود هنا الواحدُ، الأحدُ، الفردُ، الصمدُ، ﷻ ﴿خلق﴾: هو الذي أوجد الكون؛ بمن وبما فيه، من غير سابق وجود: الخالق ﷻ لعموم الخلق من بشرٍ، وحجرٍ، وشجرٍ، وسماءٍ من غير سابق مثال.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (٢)

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾: يُخبر الله ﷻ النبي الأمي ﷺ في زمن الأُمّة شيئاً من الغيب، لم يقرأ التاريخ صفحاته، إلّا في نهاية القرن التاسع عشر حيث اخترع الإنسان المجهر الميكروسكوب ﴿من﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿عَلَقٍ﴾: وهي المرحلة الثانية غير المرئية بعد النطفة التي كانت من الحيوان المنوي من الذكر، والبويضة من الأنثى، التي اندمجت، ثم علقت في جدار الرحم، على هيئة كتلةٍ دمٍ صغيرةٍ.

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (٣)

﴿اقْرَأْ﴾: يكرر الله ﷻ الأمر بالقراءة، لعظمتها عند العظيم ﷻ، ولصعوبة الأمر واندھاش الرسول ﷺ بما يُوحى إليه ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيد الحال؛ عطفاً على هذا فإن ﴿رَبُّكَ﴾: الضمير يعود هنا على رسول الله ﷻ للمفاجأة، فهو خالقك، ومالكك، ورازقك، ومُحييك، ومميتك، وباعتك، ومُدخلك الجنّة ﴿الأكْرَمُ﴾: الذي ليس له نُدٌّ في الكرم ولا في أيّ شيءٍ؛ كثيرُ العطاء، بالغ الكرم، والجود، والنعمة، والكرم إذا وُصف به الله ﷻ؛ فهو اسم لإحسانه، وإنعامه المتظاهر، وإذا وُصف به الإنسان؛ فهو اسم للأخلاق، والأفعال المحمودة التي تظهر منه.

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ (٤)

﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد، والمقصود هنا الله ﷻ ﴿عَلَّمَ﴾: الإنسان ما لم يعلم من قبل وأهمها الكتابة والقراءة ﴿ب﴾: حرف باء الالتصاق ﴿الْقَلَمُ﴾: يقول الخالق ﷻ لنبيٍّ أميٍّ من فضله الجليل تعليم الإنسان الكتابة، لتبقى هذه الآية الكريمة حافزاً لكل مخلوق وبخاصة أهل الإسلام بالتعلم، خلق للإنسان عقلاً يعقل، وحرّك بالعقل اليد؛ لتكتب، وعلمه كيف يكتب، وأرشده إلى صناعة الحبر، والقلم، والورق؛ فالعلم الذي في الذهن يجري على اللسان؛ ليكون على الورق بالبنان.

التكليف: لولا القلم ما قام دينٌ ولم يصلح عيشٌ، فالتعليم من كمال كرمه ﷻ إذ علم عباده ما لم يعلموا؛ ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم.

﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٥)

﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ﴾: علم الله ﷻ ﴿الْإِنْسَانَ﴾: وهو ابن آدم، إنَّ المُعَلَّم هو ﷻ ﴿مَا﴾: الذي ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمْ﴾: أرشده ليبحث في المجهول، ليكشفه.

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ﴾ (٦)

﴿كَلَّا﴾: حرف ردعٍ وزجرٍ واستنكارٍ حقاً ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الْإِنْسَانَ﴾: الفاجر من ابن آدم من أمثال أبي جهل الأول ﴿ل﴾: حرف تعلّة وسبب ﴿يَطْفَى﴾: يتجاوز الحدود المشروعة، بالعصيان، والتكبر، والتجبر.

﴿أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْنَى﴾ (٧)

﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿رَأَاهُ﴾: هذه من أدوات الطغيان، أنّه كما رأى نفسه استغنى، اعتمد على ماله وولده وعائلته وأسلحته ﴿اسْتَفْنَى﴾: بها عن الطاعة، والعمل بما أنزل الله ﷻ.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ (٨)

﴿إِنَّ﴾: بالتأكيد ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: المخاطب هنا رسول الله ﷺ إلى مالك أمرك كلّه، ولكلِّ إنسانٍ ﴿الرُّجْعَى﴾: أنّ مصيرك الموت مهما طال العمر، وسترجع إلى الله ﷻ وسيحاسبك على مالك: كيف جمعته، وفيما أنفقته، قال ابن مسعود: اثنان منهومان، لا يشبعان: صاحب العلم وصاحب الدنيا، ولا يستويان؛ فأما صاحبُ العلم فيزداد في رضا الرحمن، وأما صاحب الدنيا؛ فيتمادي

في الطغيان؛ مُفسِّراً قول رسول الله ﷺ الذي رواه عنه عن أنسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: مَنْهُومٌ فِي عِلْمٍ لَا يَشْبَعُ، وَمَنْهُومٌ فِي دُنْيَا لَا يَشْبَعُ^(١). هنا تهديد للإنسان وتحذير من الطغيان.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾ (٩)

﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض التعجب، نزلت في أبي جهل؛ لعنة الله ﷻ ﴿رَأَيْتَ﴾: شاهدت وعلمت هل يوجد أعجب من هذا، والهدف هو التأكيد ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد المذكر ﴿يَنْهَى﴾: الذي توعده رسول الله ﷺ إذا صلى عند الكعبة المشرفة.

﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ (١٠)

﴿عَبْدًا﴾: محمداً ﷺ لما رآه أبو جهل ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها، ﴿صَلَّى﴾: يُصَلِّي في الكعبة.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ (١١)

﴿أ﴾: حرف استفهام ﴿رَأَيْتَ﴾: أخبرني إن كنت شاهدت، ما ظنك أن الذي نُهي عن الصلاة وهو محمد ﷺ والهدف هو التأكيد ﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد ﴿كَانَ﴾: محمد ﷺ ﴿عَلَى الْهُدَى﴾: على الطريق المستقيم الذي يرفع شأن الإنسان.

﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾ (١٢)

﴿أَوْ﴾: حرف عطف يفيد التسوية بين مُتعاطفين، هنا بين الهدى والتقوى ﴿أَمَرَ﴾: المقصود الرسول ﷺ دعا الناس ﴿بِ﴾: حرف باء الالتصاق ﴿التَّقْوَى﴾: أن يعبدوا من يستحق العبادة، يقيناً، وتصديقاً؛ طمعاً في جنّته، وخوفاً من عذابه.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (١٣)

﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض التعجب ﴿رَأَيْتَ﴾: للتأكد هل شاهدت وتعني ما ظنك ﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد ﴿كَذَّبَ﴾: المقصود هنا أولاً هو أبو جهل عليه من الله ما يستحق، ومن بعد كل من تبع منهجه، من رفض ويرفض أن يعترف أن للكون خالقاً، هو الله ﷻ، وأنه الرازق وهو

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ١/١٦٩ (٣١٢)، وقال: صحیح علی شرط الشیخین.

المحيي، والمميت، والمحاسب ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال؛ عطفًا على تكذيبه ﴿تَوَلَّى﴾: فبعد أن كَذَبَ بهذا، ذهب بعيدًا في ظلمه، وطغيانه، ومحاربة الرسول ﷺ.

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (١٤)

﴿أَلَمْ﴾: حرف استفهامٍ هنا بغرض التقرُّع والتوبيخ ﴿يَعْلَمُ﴾: أبو جهل وأمثاله في كلِّ زمان، ومكان هؤلاء، المحاربون للإسلام وأهله ﴿ب﴾: حرفُ باء التوكيد ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿اللَّهُ يَرَى﴾: يُشاهد، ويسمع ما يفعلون.

﴿كَلَّا لئن لَمْ يَنْتَه لِنَسْفَعَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ (١٥)

﴿كَلَّا﴾: حرف ردِّعٍ وزجرٍ واستنكارٍ حَقًّا ﴿لئن﴾: حرف شرطٍ ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَنْتَه﴾: كان التهديد الأول لأبي جهلٍ لئن لم يتوقف عن أذية الرسول ﷺ إذا لم يرجع ويكفَّ عما هو فيه من عداءٍ، وشقاقٍ، وعنادٍ ﴿لن﴾: حرف علَّةٍ وسببٍ ﴿نَسْفَعَا﴾: أي الجذب بشدَّةٍ، وتعني الإصابة بالضرر، لناخذه بكل تأكيد من مقدمة راسه أخذًا عنيفًا؛ ويُسحب إلى جهنم صاغرًا، جاءت الكلمات بأدوات التوكيد اللام والنون ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿النَّاصِيَةِ﴾: أطلق الله ﷻ الجزء من الجسم وهو الناصية التي هي مقدمة أعلى الرأس، وفيها يوجد المخ الذي هو الأمر والناهي للأعضاء التي تضرب، وتسرق، وتزني، واللسان الذي يكفر، وأراد بذلك الجسم كَلَّهُ، المعنى: سيعاقبُ الله ﷻ هذه المنطقة المسئولة عن الخطايا بالحرق، فإنَّ الناصية هي القائد في الجسم الذي أعطى الأوامر؛ فوجب عقابه، والنواصي والأقدام تعني الرأس، الأقدام تعني جسم أبي جهلٍ كَلَّهُ، وليس الرأس والقدمين؛ أي سوف نأخذ بكل تأكيد بمقدمة رأسه مجذوبًا إلى النَّار بتحقيق.

﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ (١٦)

﴿نَاصِيَةٍ﴾: إن صاحب الناصية ﴿كَاذِبَةٍ﴾: هو كذاب فيما يقول عن الله ﷻ، وفيما يفعله ضد محمد ﷺ ﴿خَاطِئَةٍ﴾: لا يفعل الصواب، مخطئٌ فيما يقول ويفعل.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ (١٧)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿نِدْعُ﴾: فليستعن المجرمُ بمن شاء، ويستجير بأهل ﴿نَادِيَةٍ﴾: مجلسه وأهله، وعشيرته، وأهل مجلسه، يستتصر بهم لينقذوه.

﴿سَنَدُغُ الزَّبَانِيَةِ﴾ (١٨)

﴿س﴾: حرف توكيد الفعل والقول في المستقبل ﴿نِدْعُ﴾: سيُسَلِّطُ رَبُّ الْعَالَمِينَ خِزْنَةَ جَهَنَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ يَنْصُرُهُ؛ وَسَيُعَلِّمُ الْجَمِيعَ لِمَنْ سَتَكُونُ الْغَلْبَةُ؟ إِنَّهَا بِكَلِّ تَأْكِيدٍ لِلْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَنْصَارِهِ، سَيُدْعُو اللَّهُ ﷻ أَمْرًا ﴿الزَّبَانِيَةِ﴾: مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ الْغَلَاظِ الشَّدَادِ، هُمْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ؛ وَلنَنْظُرُ مِنْ سَيَنْتَصِرُ؟ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَأُنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَطَانٍ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لِأَعْفَرَنَ وَجْهَهُ فِي النَّزَابِ، قَالَ: فَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، رَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِنَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخُنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهُوَلًا وَأَجْنَحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷻ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْتَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا» قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - لَا نَذْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَوْ شَيْءٍ بَلَغَهُ: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَغْيَى، أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرَّجْعَى، أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى، عَبْدًا إِذَا صَلَّى، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى، أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَى، أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [العلق-٧] - يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ - ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى، كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَه لِنَسْفَعَا بِالنَّاصِيَةِ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ، فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدُغُ الزَّبَانِيَةِ، كَلَّا لَا تَطِعُهُ﴾ [العلق-١٤]، زَادَ عَبْدُ اللَّهِ فِي حَدِيثِهِ قَالَ: وَأَمْرُهُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ. وَزَادَ ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق-١٧]، يَعْنِي قَوْمَهُ^(١).

﴿كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (١٩)

﴿كَلَّا﴾: حرف ردعٍ وزجرٍ واستنكارٍ صدقًا، وعدلًا، ورفضًا لما يقول ﴿لَا﴾: حرف نهي رباني ﴿تَطِعُهُ﴾: والأمر هنا من الله ﷻ لرسوله ﷺ وداوم واستمر على العبادة وكثرتها، وصل حيث شئت؛ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ حَافِظُكَ وَنَاصِرُكَ ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفِيدُ الْحَالَ عَطْفًا عَلَى مَا جَاءَ مِنْ

(١) صحيح مسلم ٢١٥٤/٤ (٢٧٩٧).

فضل الله تعالى ﴿اسْجُدْ﴾: لله ﷻ ﴿وَاقْتَرِبْ﴾: أيضاً بالسجود تكون أقرب إلى الله ﷻ وأنت ساجد؛ فأكثر السجود، والصلاة، والدعاء.

التكليف: وجدنا هنا أنّ أول السورة كان مدح العلم وكان آخرها ذمّ المال، ويكفي هذا أن يُرغّب في الدين والعلم والتتفير من الدنيا والمال. وبدراسة مقاصد السورة الكريمة؛ ندرك أنه من عمل بعلمٍ تعلّمه أورثه الله ﷻ علم ما لم يكن يعلم.



سمّيت "سورة القدر" بهذا الاسم في المصاحف وفي كتب التفسير؛ وفي بعض كتب السنّة، ووجه التسمية وقوع لفظ "ليلة القدر" في أولها، وهي سورة مكّية في قول الجمهور، وموقعها (٢٥) في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة "عبس" وقبل سورة "الشمس"، وعدد آياتها (٥) آيات في العدّ المدنيّ والبصريّ والكوفيّ.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (١)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحد؛ للتعظيم والتوكيد ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: يخبر الله ﷻ أنه أنزل القرآن الكريم، جاءت بصيغة الجمع لعظم الحدث؛ بالضمير وليس بالاسم الظاهر ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾: وهي الليلة المباركة؛ أي كثيرة الخيرات؛ قال ﷻ في المعنى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾ [الدخان-٣] في شهر رمضان المبارك، وقال ﷻ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة-١٨٥]، وقال ابن عباس: أنزل الله القرآن جملةً واحدةً من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مُفصلاً في رمضان بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ (٢)

﴿وَمَا﴾: حرف استفهام بغرض التفخيم لشأن الليلة ﴿أَدْرَاكَ﴾: هل تدري أيها الرسول ﷺ؟ سؤال بغرض الإعلام؛ وليس للاستفسار؛ لأنها خارجة عن دراية الخلق ﴿مَا﴾: حرف استفهام ﴿لَيْلَةُ

الْقَدْرِ: كم من الخير، والفضل، والبركة في هذه الليلة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ^(١).

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (٣)

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾: يُخْبِرُ اللهُ صلى الله عليه وسلم رسوله صلى الله عليه وسلم **﴿خَيْرٌ﴾**: ليلة مباركة فضلها، وثواب العاملين، وعطاء الله صلى الله عليه وسلم فيها أفضل من عمل **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الزمانيّة، يأتي في إطار التفضيل **﴿أَلْفِ شَهْرٍ﴾**: المقصود جميع الدهر؛ لأنّ العرب تذكر الألف في كثير من الأشياء على سبيل المبالغة، فقد عرف أنّ العابد كان فيما مضى لا يُسمّى عابدًا حتى يعبد الله صلى الله عليه وسلم ألف شهر؛ فجعل الله صلى الله عليه وسلم لأمة محمد صلى الله عليه وسلم عبادة ليلة القدر خيرًا في أجزائها من عبادة ألف شهر.

﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ (٤)

﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ﴾: تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة ينزلون مع تنزيل البركة والرحمة، كان نزول الملائكة قبل نزول جبريل عليه السلام **﴿و﴾**: حرف عطفٍ يُفيد الحال؛ أيضًا يُنزَلُ **﴿الرُّوحُ فِيهَا﴾**: هو جبريل عليه السلام؛ دلالة على قدره العظيم عند الله صلى الله عليه وسلم، جاء كعطفٍ للخاص جبريل عليه السلام، على العام الملائكة. انظر تفسير [النبا-٣٨]، مع قراءة القرآن وتلاوته، يُحيطون بحلقات الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم؛ تعظيمًا له **﴿بِ﴾**: حرف باء المصاحبة **﴿إِذْنِ﴾**: أمر **﴿رَبِّهِمْ﴾**: هو صلى الله عليه وسلم المُعبود، والمُرَبِّي، والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد؛ فهو صلى الله عليه وسلم مالك كلِّ أمر فهو مالك أمر السموات والأرض **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية **﴿كُلِّ﴾**: تفيد الجميع **﴿أَمْرٍ﴾**: بكلِّ أمرٍ قضاه الله صلى الله عليه وسلم في تلك السنة؛ من الرزق والموت أو الولادة.

﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ (٥)

(١) صحيح البخاري ٢٦/٣ (١٩٠١).

﴿سَلَامٌ هِيَ﴾: وتسليم من الملائكة، قال مجاهد: سالمة من كل شر لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً أو أذى، تُقضى فيها الحاجات، وتُقَدَّر فيها الأجال، والأرزاق، جاء في المعنى: ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان-٤]، ففيها خيرٌ كُلُّها، ليس فيها شرٌّ، تُسَلَّمُ الملائكةُ على العابدين من المؤمنين والمؤمنات ﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يفيد انتهاء الغاية الزمنية، وهي هنا بسلام ﴿مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾: إلى مطلع الفجر، طلوع الشمس، وقد ذكر العلماء أنّ من أمارات ليلة القدر: تكون صافيةً، بلجةً، مضيئةً، كأنّ فيها قمرًا ساطعًا، وساكنة لا برد فيها ولا حرّ، تخرج الشمس صبيحتها مستوية، ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر، وهي في ليالي الأوتار جمع وتر؛ الأيام الفردية؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنّ النبي ﷺ، قال: التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر، في تاسعة تنبئ، في سابعة تنبئ، في خامسة تنبئ^(١).
التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ ندرك فضل ليلة القدر؛ للاغتنام.



سمّيت "سورة البينة" بهذا الاسم في أكثر المصاحف وفي كتب التفسير؛ والسنة، ووجه التسمية هو وقوع لفظ "البينة" في أول آية فيها، وأطلق عليها اسم سورة "لم يكن الذين كفروا" وسمّيت سورة "القيمة"، وسورة "البرية" وأيضًا سورة "الانفكاك" وهي سورة اختلفت في كونها مدنية أو مكية، والأشهر أنها مكية، وموقعها (١٠٠) في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة "الطلاق" وقبل سورة "الحشر"، وعدد آياتها (٨) آيات عند الجمهور.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (١)

﴿لم﴾: حرف نفي ﴿يَكُنِ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع من ﴿كَفَرُوا﴾: الذين غطّوا دين الحق الذي جاءهم به الرسل عليهم السلام، وحرّفوه، وبدّلوه، وأخفوه ﴿من﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿أهل﴾: أصحاب ﴿الكتاب﴾: هم اليهود والنصارى

(١) صحيح البخاري ٤٧/٣ (٢٠٢١).

﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾: أيضًا الذين عبدوا الأصنام والأوثان والنَّار، من العرب والعجم، رُبط هنا بين أهل الكتاب السابقين وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم، ودرجة إجرامهم ﴿مُنْفَكِينَ﴾: تاركين كفرهم منتهين عنه ﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يفيد انتهاء الغاية الشرطية ﴿تَأْتِيَهُمْ﴾: تصلهم ويعلمون ﴿النَّبِيَّةُ﴾: الحُجَّة الجليّة؛ والبرهان الواضح، وهو الرسول ﷺ والقرآن الكريم.

﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ (٢)

﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾: حرفٌ يُفيدُ بداية الغاية الكلية: هو محمد ﷺ، مرسلٌ بكتاب الله ﷻ وهو القرآن الكريم ﴿يَتْلُو﴾: يقرأ عليهم ﴿صُحُفًا﴾: المُكتتب في الملاء الأعلى ﴿مُطَهَّرَةً﴾: والطهارة نوعان طهارة النفس من الباطل والآثام، وطهارة الجسد من الأوساخ، وجاء في تفسير هذا الآية الكريمة الآتي: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة-٧٩]؛ من الدنس والغش وجاء أيضًا: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس-١٣، ١٤، ١٥، ١٦].

﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ (٣)

﴿فِيهَا﴾: تحتوي هذه الصحف المطهرة على ﴿كُتُبٌ﴾: تقرأ منها آياتٍ وأحكامًا في كتبٍ ﴿قَيِّمَةٌ﴾: أحكامًا مكتوبةً، وأخبارًا صادقةً، وأوامرَ عادلةً مستقيمة.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ النَّبِيُّ﴾ (٤)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿تَفَرَّقَ﴾: كان سبب اختلاف وتفرق ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿أُوتُوا﴾: أعطوا ﴿الْكِتَابَ﴾: من اليهود، والنصارى، والذين اختلفوا اختلافًا كبيرًا، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ أَوْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَالنَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ، وَتَفَرَّقَتْ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً^(١) ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿بَعْدَ مَا﴾: الذي ﴿جَاءَتْهُمْ النَّبِيُّ﴾: بإرسال الرُّسل فيهم، وأقام الله ﷻ عليهم الحُجَّة، وأنزل لهم كُتُبهم؛ فاختلَفوا، وتفرَّقوا، وتنازعوا.

(١) الترمذي ٢٥/٥ (٢٦٤٠)، وقال: حديث حسن صحيح.

﴿وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّینَ حُنَفَاءَ وَیُقِیمُوا الصَّلَاةَ وَیُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِینُ
النَّقِیْمَةِ﴾ (٥)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَمُرُوا﴾: كانت أوامر الله ﷻ لهم مُحدّدة وواضحة ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء
﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿یَعْبُدُوا اللَّهَ﴾: طاعة الله ﷻ والعمل بأوامره، والانتهاز عن نواهيه
﴿مُخْلِصِينَ﴾: مُحررين ﴿لَهُ﴾: تخصیصًا ﴿الدِّینَ﴾: تحریرٌ بغرض العبادة، إلا لعبادة ورضا
الله ﷻ، ليس للناس، ولا لمالٍ، أو جاهٍ، أو سلطانٍ ﴿حُنَفَاءَ﴾: مائلين عن الباطل إلى الإسلام،
مبتعدین عن الشرك، متجنّبين الطاغوت، انظر تفسير [الحج-٣] ﴿و﴾: حرف عطفٍ یفید
الحال ﴿یُقِیمُوا الصَّلَاةَ﴾: یؤدونها على الوجه الصحيح، وهي أعظم العبادات البدنية والذهنية،
في أوقاتها، وهيئاتها، وبتفكيرٍ وتدبرٍ لما یقال فيها، إن ضیاع هذه الأمور العظيمة من أمراض
العصر، حيث تُهمَل الصلاة أو تُؤدى على غير وجهها الصحيح ﴿و﴾: أيضًا من الإخلاص
في العبادة ﴿یُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾: إخراج المال المُستحق إلى الفقراء والمحتاجین في أوقاتها، وقيمتها
بالرضا، والحب ﴿وَذَٰلِكَ﴾: إشارة للبعید، الإیمان، والصلاة، والزكاة یكون ذلك ﴿دِینٌ﴾: الملة
﴿النَّقِیْمَةِ﴾: هنا المقصود الدین القیم؛ وإضافة الهاء للمدح والمبالغة وعلو الرتبة وسمو المكانة،
على العدل في الأمة المستقيمة المعتدلة، أو الكتب عالية الشأن وذات القيمة العالية.

﴿إِنَّ الذِّینَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِیَّةِ﴾
(٦)

تُحدّد هذه الآية مصیر الكفار من أهل الكتاب والمشركين ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك
والإنكار ﴿الذِّینَ﴾: اسمٌ موصولٌ یفید هنا جمیع مَنْ ﴿كَفَرُوا مِنْ﴾: حرف یفید بداية الغاية
المكانية، جزء أو بعض ﴿أَهْلِ﴾: أصحاب جنس ﴿الْكِتَابِ﴾: الرّبّاني، وهم اليهود والنصارى
﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾. انظر تفسير [البينة-١] ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾: مصیرهم يوم القيامة ﴿خَالِدِينَ﴾
﴿فِيهَا﴾: ماكنين فيها لا یزولون، ولم یذكر الله ﷻ هنا أبلا انقطاع وللابد كما سیأتي في الآية
(٧) من نفس السورة ﴿أُولَٰئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعید ﴿هُم﴾: ضمیر الجمع المذكر، وهي
للتخصیص، وتحديدًا ﴿شَرُّ﴾: هؤلاء أشرُّ ﴿الْبَرِیَّةِ﴾: الأسوأ والأكثرُ ضررًا على الخلیقة التي

خلقها الله ﷻ التي برأها وذراها وهذا نجده اليوم في الذين كفروا من الملحدين، والمُنكرين للدين، والمُحاربين لأولياء الله ﷻ، ومن النصارى، والصليبيين، ومن اليهود الذين أفسدوا المسيحيين، وأفسدوا كثيراً من المسلمين بالمال، والنساء، وأبعدوهم عن دينهم، ويرتكبون أبشع الجرائم في المجتمعات المسلمة وغيرها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (٧)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: من الرجال والنساء؛ يقيناً، وتصديقاً، وتسليماً، بالله ﷻ وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، وسلّموا تسليماً ﴿و﴾: حرفٌ عطفٌ يفيد الحال؛ عطفاً على إيمانهم ﴿عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: انظر تفسير [البينة-٥] ﴿أُولَئِكَ﴾: اسم يشير للقريب والبعيد ﴿هُم﴾: ضمير الجمع المذكور، وهي هنا تخصيصاً ﴿خَيْرٌ﴾: أكثر نفعاً ﴿الْبَرِيَّةِ﴾: هم خيرُ النَّاسِ، خيرُ الخلائق، قال أبو هريرة ؓ، وطائفةٌ من العلماء: إنَّ هذا تفضيلٌ للمؤمنين على الملائكة؛ والله أعلم.

﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (٨)

﴿جَزَاؤُهُمْ﴾: ثواب المؤمنين، الذين آمنوا، وعملوا الصالحات ﴿عِنْدَ﴾: حرف ظرف زمانٍ وظرف مكانٍ ﴿رَبِّهِمْ﴾: هو مالك أمرهم كلّهم، ويوم القيامة أعدّها لهم وكتبها لهم ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ﴾: جاءت بصيغة الجمع لتكافئ الجمع بالجمع، الإقامةُ فيها دائمةٌ ﴿تَجْرِي مِنْ﴾: حرفٌ يفيدُ بداية الغاية المكانية ﴿تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: فالجَنّاتُ مُرتفعةٌ، بديعةٌ، وزيادةٌ في الجمال تجري أنهار الجنة من تحتها ﴿خَالِدِينَ﴾: ماكتين بلا انفصال، ولا انقطاع ولا انقضاء ﴿فِيهَا﴾: في الجنة ﴿أَبَدًا﴾: الأبد عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾: ورضا الله أعلى مقاماً مما أُوتوه من النعيم المقيم ﴿و﴾: أيضاً ﴿رَضُوا عَنْهُ﴾: قبلوا ورضوا ما أعطاهم الله ﷻ من فضله ﴿ذَلِكَ﴾: إشارةٌ للبعيد، هذا مفتاح الخير كلّهُ ﴿لِمَنْ﴾: لجنس العاقل ﴿خَشِيَ﴾: المخلوق الذي يخاف ﴿رَبَّهُ﴾: وهو الله ﷻ، ولا يحدث ذلك إلا إذا آمن العبد أنّ هناك ربّاً، وأنّ البعث بعد الموت حق، وأن الثواب والعقاب في القيامة حق، فخاف من عذابه، وآمن أن الله

سببته على إيمانه، وما جاء في هذه السورة الكريمة عن نعيم المتقين؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً، أَوْ فَرْعَةً طَارَ عَلَيْهِ، يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَطَانَّةً، أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأْسِ شَعْفَةٍ مِنْ هَذِهِ الشَّعَفِ، أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِنْ هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ (١).

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ ندرك فضل ليلة القدر، وقيمة الصلاة، والزكاة، كأدلة على الإيمان، وندرك منزلة الرسول ووضوح رسالته ﷺ.



سميت "سورة الزلزلة" بهذا الاسم في أكثر المصاحف، وكتب التفسير؛ ووجه التسمية هو وقوع لفظ "زلزلت" في أولها، وهي سورة مكية على الأصح، وموقعها (٩٣) في عداد نزول السور، وعدد آياتها (٨) آيات عند أهل الكوفة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (١)

﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها
 ﴿زُلْزِلَتِ﴾: حُرِّكَتْ من أسفلها تحريكًا عنيفًا متكررًا ﴿الْأَرْضِ﴾: قال ابن عباس تحركت من أسفلها؛ أي رُجبت الأرض، وحُرِّكَتْ بقوةٍ وعنْفٍ، عند النفخة الأولى ﴿زِلْزَالَهَا﴾: جاءت الإضافة للتهويل والتأكيد على وقوعها زُلْزِلت زلزلاً أي تحركت الأرض عند قيام الساعة فإنها تضطرب من شدة صوت إسرافيل عليه السلام، رُجبت الأرض رجًا.

﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا﴾ (٢)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال؛ عطفًا على هذا ﴿أُخْرِجَتِ﴾: من باطنها إلى السطح ﴿الْأَرْضِ﴾: جاء تكرار الأرض لزيادة التقرير والتوكيد ﴿أَنْقَالَهَا﴾: والوصف هنا للموتى؛ وقيل أفلاذ أكبادها؛

(١) صحيح مسلم ١٥٠٣/٣ (١٨٨٩).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الْأَسْطُوانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ، قَالَ: فَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي مِثْلِ هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، وَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا^(١)، وقيل ما فيها من الموتى؛ والله أعلم.

﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ (٣)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قَالَ الْإِنْسَانُ﴾: يقول ابن آدم الكافر حينها سائلًا مُستغربًا ومتعجبًا ﴿مَا لَهَا﴾: حرف استفهام؛ للاستغراب والاستهجان مُتَحِيرًا، مُسْتَكْرًا، ومتعجبًا من تَغْيِيرِ حال الأرض بعد أن كانت مستقرة، ساكنة؛ فاضطربت، وهو الإنسان يرى خروج ما في بطنها، وجاء: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم-٤٨].

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (٤)

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: عندها وفي يوم القيامة ﴿تُحَدِّثُ﴾: تُخْبِرُ الأرض بما أمرها ربُّها؛ بما وقع عليها من خيرٍ وشرٍّ، وتشهدُ لأهل الخير وأهل الشر، يومها تتكلم الأرض كالإنسان الذي يتكلم، تتحدث عن ﴿أَخْبَارَهَا﴾: لأنها تشهد على كلِّ عبدٍ وأمةٍ بما عمل على ظهرها؛ تقول كذا وكذا؛ تدلُّ بحالها على ما تم عليها، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: خَلَّتِ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ، فَأَرَادَ بَنُو سَلَمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ، قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ: «يَا بَنِي سَلَمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبُ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبُ آثَارُكُمْ^(٢)».

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ (٥)

﴿بِ﴾: حرف باء التأكيد للفعل ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿رَبَّكَ﴾: مالك كلِّ أمر فهو مالك أمر السموات والأرض ﴿أَوْحَى لَهَا﴾: وهي بالمعنى نفسه مثل، وأوحى إليها، وأوحى لها، والمعنى هذا أوحى إليها، أمرها أن تنشق عنهم، فجعل في حالها دلالةً على ما عمل عليها.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ﴾ (٦)

^(٢) سنن الترمذي ٤/٩٣ (٢٢٠٨)، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

^(١) صحيح مسلم ١/٤٦٢ (٦٦٥).

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: في هذا اليوم؛ يوم القيامة ﴿يَصْدُرُ﴾: يخرج ﴿النَّاسُ﴾: بنو آدم جميعًا، يخرجون من القبور إلى المحشر، وقيل يرجعون عند موقف الحساب ﴿أَشْنَاءًا﴾: يتفرقون أنواعًا، وأصنافًا بين شقي وسعيد، بين مأمورٍ به إلى الجنة، ومأمورٍ به إلى النار، وقال ابن جريج: يتصدعون، ويتفرقون؛ فلا يجتمعون ﴿ل﴾: حرفٌ علّةٌ وسببٌ ﴿يُرَوُّا﴾: يُشاهدوا وليأخذوا جزاء ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾: من خيرٍ أو شرٍّ؛ ليجازيهم الله ﷻ على أعمالهم.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧)

﴿فَمَنْ﴾: حرف استفهامٍ استثنائي بمعنى الذي ﴿يَعْمَلْ مِثْقَالَ﴾: وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾: إنَّ الذرّة هي معيار الحساب؛ وكانوا قديمًا يعدّون الذرّة هباءةً ترابٍ، ويطبّقون ذلك بشقّ تمرّة، وقيل وزنٌ أقلُّ وأصغرُ من النملة، واليوم نعلم أنّ الذرّة أصغرُ من أن تُرى بالعين المجردة ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾: يُجازى عليها، فلا تحقير لحسنه أُعطيت أو عُملت في سبيل الله ﷻ، حتى وإن لم تُشاهد.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيد الحال؛ أيضًا الذي ﴿مَنْ﴾: الذي من البشر ﴿يَعْمَلْ﴾: ومن يرتكب من الخطايا، والجرائم، والهفوات، والزلات الصغيرة ﴿مِثْقَالَ﴾: وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾: سواء كانت بوزن هباءة ترابٍ أو نملة أو ذرّة لا تُرى بالعين المجردة أو التي تتكون من إلكترون وبروتون ونيوترون ﴿شَرًّا﴾: من السوء والضرر ﴿يَرَهُ﴾: سيحاسب عليها.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ ندرك ضرورة استنهاض القلوب الغافلة، وعدم تحقير المعروف، أو الاستهانة بالذنب؛ فلكل حساب.



سمّيت "سورة العاديات" بهذا الاسم في أكثر المصاحف، وكتب التفسير؛ ووجه التسمية هو وقوع لفظ "العاديات" في أولها، وسميت بسورة "والعاديات" وهي سورة مكيّة، وموقعها (١٤) في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة العصر وقبل سورة الكوثر، وعدد آياتها (١١) آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ (١)

﴿و﴾: حرف واو القسم؛ يُقسمُ الله تعالى بـ ﴿الْعَادِيَاتِ﴾: يقسم الله ﷻ بالخيل التي تجري في الغزو في سبيله ﴿ضَبْحًا﴾: هو صوتُ أنفاسِ الخيل حين تعدو، حيث تُعدُّ الخيول وسيلةَ المواصلات، وأداةَ حربٍ، فهل ينطبق على غيرها من وسائل النقل الحديثة، ما ينطبق على الخيل؟ الله أعلم، ففي كلِّ واحدةٍ منها إعجازٌ علميٌّ، وفق الله ﷻ الإنسان لاختراعه.

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ (٢)

﴿ف﴾: حرف عطف يفيد السبب ﴿الْمُورِيَاتِ﴾: وأقسم الله ﷻ بالخيل التي باحتكاك حدودات قدم الحصان بالصخور تخرج ﴿قَدْحًا﴾: شرًّا ونارًا بسبب شدّة احتكاكها، هنا تشبيه الحرب بالنار المشتعلة.

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ (٣)

﴿ف﴾: حرف عطف يفيد السبب ﴿الْمُغِيرَاتِ﴾: هي الخيل التي تهجم على الأعداء، والمقصود أهل الخيل ﴿صُبْحًا﴾: حيث هذا أفضلُ وقتٍ لبدء القتال؛ فقد ارتاح الجنود قبله بالنوم، وهدأت في الليل الأعضاء، وبعد أذان وأداء فريضة الصبح، وقد ارتفع الأذان؛ إشارةً لبدء لمباغته العدو الذي يغطُّ في نومه. إنَّ الهجوم على العدو صباحًا من وسائل المباغته. التكليف: وهنا ندرك تفضيل الله ﷻ للمقاومين في سبيله أن يبادروا العدو بالجهوم ولا ينتظروا هجوم العدو عليهم.

﴿فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا﴾ (٤)

﴿ف﴾: حرف عطف يفيد السبب ﴿أَثَرُنَ بِهِ﴾: الخيل أثاروا، وهيجوا التراب والغبار، وما يحدثه من أثرٍ في نفوس أعداء الله ﷻ، وهي من أدوات الحرب النفسية، مثل أزيز الطائرات، وجنازير الدبابات، وقعقة الآلات الحديدية ﴿نَقْعًا﴾: غبارُ ساحةِ المواجهة.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ (٥)

﴿ف﴾: حرف عطف يفيد السبب ﴿وَسَطْنَ﴾: تجمعت الخيل في وسط ساحة المعركة؛ لأنها تعدو بسرعةٍ ﴿بِهِ﴾: بالجنود، ووسائل نقلهم ﴿جَمْعًا﴾: إشارةً إلى أفضلية التجمع في المواجهة،

وعدم التفرق. بعد هذا القسم يُجزئ من خَلَقَ اللهُ ﷻ، الخيل وأمثالها المستخدمة في القتال في سبيل الله ﷻ؛ أما البشر فهذه صفاتهم:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ (٦)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد من الله ﷻ وهذا جواب القسم ﴿الْإِنْسَانَ﴾: ابن آدم عموماً ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿رَبِّهِ﴾: مالك كل أمر بأن الله ﷻ مالك كل أمر عباده ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿كَنُودٌ﴾: كفور، جود، مانع للخير، الذي يريده لنفسه من ربه ﷻ؛ إنه شديد الكُفْر؛ قال ابن عباس: جود؛ شديد الجود، وقال الحسن: هو الذي يُحصي المصائب، وينسى النعم الربّانية، والأرض الكنود هي: التي لم تثبت شيئاً.

﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ (٧)

﴿وَ﴾: أيضاً ﴿إِنَّهُ﴾: هو الإنسان بالتأكيد ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾: على كنوده وعصيانه لله ﷻ ﴿ل﴾: حرف تأكيد ﴿شَهِيدٌ﴾: قال قتادة، والثوري: المقصود هو الله ﷻ، وقيل يعود الضمير على الإنسان الذي يشهد عليه لسانه وجوارحه؛ مانعاً للخير، ليكون ظاهراً في أقواله وأفعاله، والمعنيان صحيحان، والله ﷻ أعلم.

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (٨)

﴿وَإِنَّهُ﴾: أي الإنسان ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿حُبِّ الْخَيْرِ﴾: هنا حب المال ووسائل الثروة ﴿لَشَدِيدٌ﴾: شديد الحب للمال، مفرط في حرصه على المال، بخيل في الإنفاق.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَافِعٌ فِي الْقُبُورِ﴾ (٩)

﴿أَفَلَا﴾: حرف استفسار بغرض الإنكار والتهديد والوعيد ﴿يَعْلَمُ﴾: إن الإنسان قد علم علم اليقين من الرُّسُلِ ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿بُعِثَ﴾: قُلب الذي أسفلها إلى الأعلى، والمُرَاد هو إحياء ما في القبور من الأموات للحساب ﴿مَا﴾: الذي من غير العاقل ﴿فِي الْقُبُورِ﴾: خروج رفات الأموات من القبور إلى سطح الأرض، وتجمعت الرُفات وتشكلت.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ (١٠)

﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال؛ عطفًا على ما سبق ﴿حُصِّلَ﴾: جُمع وأحصي كلُّ شيءٍ ليُحاسب الإنسانُ عليه، وتمّ التمايزُ، وظهرت الخفايا ﴿مَا﴾: الذي ﴿فِي الصُّدُورِ﴾: ما أسروه في أنفسهم.

﴿إِنْ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ (١١)

﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿رَبَّهُمْ﴾: مالك أمرهم كلّه ﴿ب﴾: حرف باء الالتصاق ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، هنا بمعنى الذين يعملون ويضمرون ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة، وقبل ذلك، وقبل خلقهم، فقد كتب الله ﷻ في اللوح المحفوظ، كلُّ شيءٍ قبل وقوعه، وبعد وقوعه ﴿لَّخَبِيرٌ﴾: عالمٌ بجميع ما صنعوا، ويصنعون، ويحاسبهم بالعدل، وقد جاء بالمعنى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة-٧، ٨].



سمّيت "سورة القارعة" بهذا الاسم في المصاحف، وكتب التفسير والسنة؛ ولم يرد شيء في تسميتها من كلام الصحابة والتابعين، وهي سورة مكيّة بالاتفاق، وموقعها (٣٠) في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة "قريش"، وقبل سورة "القيامة"، وعدد آياتها (١١) آية في عدّ أهل الكوفة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْقَارِعَةُ﴾ (١)

﴿الْقَارِعَةُ﴾: يُقسم الله ﷻ بالقارعة، وهو اسمٌ من أسماء القيامة، مثل الحاقة، والطامة، والصاخّة، والغاشية، وغيرها من الأسماء، سمّيت بسبب صوت إسرافيل؛ لأنّه إذا نفخ في الصور مات جميع الخلائق من شدّة صوت نفخته.

﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ (٢)

سؤال يُعِيدُ بعظمة هذا اليوم، وهي التي تفرغُ قلوبَ البشر؛ لعظم هولها؛ الأصل أن يقال ما هي القارعة ولكن.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ (٣)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيدُ الحالَ ﴿مَا﴾: حرفٌ استفهامٌ هنا للتفخيم والتعظيم؛ لأنها؛ بغرض التحذير ﴿أَدْرَاكَ﴾: ماذا تعرف لإظهار شأنها، وتعظيم أمرها، ممن خلقها ﷻ ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾: كيف عرفت هذه الساعة التي تكاد تقتلع القلوب لعظم هولها؟ الحالة الخارجة عن دائرة علوم الخلق ولم يدرك هولها أحدٌ من قبل.

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ (٤)

﴿يَوْمَ﴾: القيامة ﴿يَكُونُ﴾: يصير ﴿النَّاسُ﴾: عموم بني آدم ﴿ك﴾: مثل وحال، حرف تشبيهه ﴿الْفَرَاشِ﴾: حشراتٌ ضعيفةٌ أكبر من الذباب ﴿الْمَبْثُوثِ﴾: حالةٌ من الطيش بسبب الرعب الشديد؛ وهم مُنتشرون، مُتناثرون، مُتفرقون، بكثرةٍ كبيرةٍ، بعضهم فوق بعض؛ بعضها يطير، ثم يقع في النَّارِ؛ من حيرتهم، وتفرقهم، وتصادمهم، وذهابهم، ومجيئهم بخوفٍ شديدٍ، جاء في المعنى نفسه: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر-٧].

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ (٥)

﴿وَتَكُونُ﴾: أيضًا تصير ﴿الْجِبَالُ ك﴾: مثل وحال ﴿الْعِهْنِ﴾: الصوف الملون بألوانٍ مختلفةٍ ﴿الْمَنْفُوشِ﴾: المندوف، الذي تفرقت خيوطه، وتطايرت، وتباعدت، وتمزقت، بألوانٍ متعددةٍ؛ لخشّة وزنه، إنَّها حالةٌ من الخوف، والهلع، ونسيان الآخرين. جاء في المعنى نفسه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس-٣٤، ٣٥، ٣٦].

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٦)

﴿فَأَمَّا﴾: حرفٌ تفضيلٍ وتوكيدٍ بمعنى أي ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس بني آدم ﴿ثَقُلَتْ﴾: رجحت، زادت، والثقل والخفة متقابلان؛ فكلّ ما يترجح على ما يوزن به أو يقدر به ﴿مَوَازِينُهُ﴾: موازين حسناته على موازين سيئاته، وهذا وصفٌ أهل الجنة.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (٧)

﴿ف﴾: حرف استثنائيّ بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكر، هنا المقصود المؤمن ﴿فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾: في الجنة، راضٍ بمصيره، مرضيٌّ من ربه هذه الآية جاءت على المعنى المجازي وليس الحقيقي؛ لأنّ الذي يرضى بها هو الإنسان الذي يعيش فيها.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٨)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿أَمَّا﴾: حال ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾: رجحت موازين سيئاته على حسناته، وهم أهل الكفر والتكذيب بالدين.

﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (٩)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب، وأيضاً يفيد سرعة الفعل ﴿أُمُّهُ﴾: هي في اللغة أعلى جزء في رأسه، وتم تشبيهها هنا لتعني المأوى؛ وفيها تهكم بهم، ووجه الشبه هو أنّ الأمّ تحيط بابنها إحاطة رحم الأمّ بولدها ﴿هَاوِيَةٌ﴾: قال قتادة: يسقط، يهوي على أمّ رأسه في نار جهنّم. وقال أيضاً أمّه هي التي يرجع إليها، أي مأواه، وهي اسمٌ من أسماء جهنّم، والعياذ بالله ﷻ.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ (١٠)

﴿وَمَا﴾: حرف استفهام للتهويل وبيان فظاعة الخارجة عن العهود بحيث لا تحيط بها علوم البشر ﴿أَدْرَاكَ﴾: ما أعلمك؛ لإظهار شأنها، وتعظيم أمرها، ممن خلقها ﷻ؛ كيف عرفت ﴿مَا هِيَ﴾: ما كنهها؟ وطبيعتها؟ والضمير يعود على الهاوية.

﴿نَارٍ حَامِيَةٍ﴾ (١١)

﴿نَارٍ﴾: جهنم ﴿حَامِيَةٍ﴾: شديدة الحرّ، قوية اللهب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقَدُ ابْنُ آدَمَ جُرْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُرْءًا، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ قَالُوا: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: فَإِنَّهَا فَضِلَّتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسِتِّينَ جُرْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا^(١)، أي ستكون درجة الحرارة هي (٧٠٠٠) درجة مئوية بحساب أهل الأرض، علماً أنّ درجة الغليان للماء هي (١٠٠) درجة مئوية، وقال ﷻ اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلْ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ:

(١) صحيح مسلم ٢١٨٤/٤ (٢٨٤٣).

نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الرَّمْهِيرِ^(١)، ومن الثابت علمياً أنّ البرودة الشديدة؛ درجة صفر وهي درجة تجمّد الماء، إذا أصابت قدماً، أو يداً، أو أيّ جزءٍ من جسم الإنسان، تقتله بقطع الدّم عنه، وهو ما يُعرف بالغرغرينا، ويصبح لورن العضو أسوداً مثلما تفعل النّار، ويُسمى عَصّة الثلج.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نرى صورةً من صور يوم القيامة، وجهان متناقضان: أهل الجنّة في نعيمٍ لا حدود لوصفه، وأهل النّار في عذاب لا حدود لوصفه؛ فاختر الطريق التي تريد.



سمّيت "سورة التكاثر" بهذا الاسم في معظم المصاحف، وكتب التفسير، وأُطلق عليها سورة "المقبرة"؛ وسورة "ألهاكم" وهي سورة مكيّة عند الجمهور ولا يُعلم فيها خلاف، وموقعها (١٦) في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة "الكوثر"، وقبل سورة "الماعون"، وعدد آياتها (٨) آيات.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ (١)

﴿أَلْهَاكُمُ﴾: المقصود هو الخبر للتذكير والتوبيخ واللوم؛ شغلتكم الدنيا ومفاتها، ونعيمها عن طاعة الله ﷻ، وطلب الآخرة، والعمل لها وتماديتم في ﴿التَّكَاثُرُ﴾: جاءت بصيغة مطلقّة؛ لأنّه أبلغ في الذم، ويدخل في كلّ مذهب في الأموال والأولاد. عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، قَالَ: يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِستَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟^(٢)

﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ (٢)

(١) صحيح البخاري ٤/١٢٠ (٣٢٦٠).

(٢) صحيح مسلم ٤/٢٢٧٣ (٢٩٥٨).

﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يفيد انتهاء الغاية الشرطية ﴿زُرْتُمْ﴾: كناية عن ذكر الموتى؛ بهدف التهكم بهم حتى يأتيكم الموت، أي صرتم إليه، ودُفنتم في المقابر، وصفها الله ﷻ بالزائر؛ فإنّ الزائر يرحل من مقامه إلى غيره، هي المرحلة الأولى من الحياة إلى ﴿المقابر﴾: ويبقى فيها كالزائر حتى يوم القيامة؛ فيرحل من المقابر إلى الجنة؛ ليقيم فيها أبدًا، أو يدخل النار مقيمًا فيها أبدًا.

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٣)

﴿كَلَّا﴾: حرف ردع وزجر واستنكارٍ حقًا وصدقًا ﴿سَوْفَ﴾: وعدٌ لعملٍ في المستقبل ﴿تَعْلَمُونَ﴾: يأتيكم العلم اليقين أيها الكفار سوء العاقبة، ويكون العلم الأول هو الموت، جاء التكرار كلاً للتهديد والإنذار والردع.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٤)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني البطيء، هنا بقصد التنبيه على أنّ الثاني أبلغ من الأول؛ فأصبح مغايرًا ﴿كَلَّا﴾: حرف ردع وزجرٍ واستنكارٍ حقًا ﴿سَوْفَ﴾: وعدٌ لعملٍ في المستقبل، وهي للمؤمنين أنهم أيضًا ﴿تَعْلَمُونَ﴾: سوف يعلمون، وقد يكون المقصود أنّ الكفار سيعلمون يوم القيامة؛ والله أعلم.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ (٥)

﴿كَلَّا﴾: حرف ردع وزجرٍ واستنكارٍ حقًا ﴿لَوْ﴾: حرف يفيد هنا التهويل والتفخيم ﴿تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾: إنه العلم اليقيني عن المال، الذي لا شك فيه، أنكم مبعوثون إلى الله ﷻ وأنه مجازيكم عن عملكم، وعمّا انشغلتم بالمال، والولد، والملذات عن الله ﷻ، رأيتم ما يُدهش ويُفزع على وجه اليقين.

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ (٦)

﴿ل﴾: حرف تأكيد الفعل؛ قسم من الله ﷻ ﴿تَرَوُنَّ﴾: أيها الكفار هذا تفسير الوعيد الذي حدّرناكم رؤيته حقيقةً، ومشاهدة وقد يكون الخطاب عامًا أي سيمر على الصراط وهو جسرٌ فوق جهنم؛ فيشاهدها ﴿الْجَحِيمَ﴾: النار يا أهل النار، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ

لَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ آنِفًا، فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ، وَأَنَا أُصَلِّي، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ»^(١).

﴿ثُمَّ لَتَرُونَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ (٧)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفِيدُ التتابعَ الزمني غير السريع؛ يفيد هنا تغليظ التهديد؛ وزيادةً في التهويل ﴿ل﴾: حرف يفيد هنا القسم ﴿تَرُونَهَا﴾: ستشاهدون جهنم يقينًا بلا شكٍّ، سترون ﴿عَيْنَ﴾: ذات، نفس ﴿الْيَقِينِ﴾: هي المشاهدة والمعاناة الحقيقية الصادقة.

﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (٨)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفِيدُ التتابعَ الزمني البطيء والترتيب الإخباري لا المعنوي ﴿ل﴾: حرف لام علةٍ وسببٍ ﴿نَسْأَلَنَّ﴾: سوف نسألهم بغرض أن تحاسبون بكل تأكيد ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة. ﴿عَنِ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفِيدُ ﴿النَّعِيمِ﴾: نعيم الدنيا عن كلِّ أنواع النعيم من الأمن، والأهل، والطعام، والماء العذب، البارد، والملبس على الجسد، والقدمين، وظلال المسكن، واعتدال الخلق، ولذة النوم، وصحة الأبدان، والأسماع والأبصار، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: نِعْمَتَانِ مَغْبُورٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ^(٢)؛ أَي أَنَّهُمْ مَقْصَرُونَ فِي شُكْرِ اللَّهِ ﷻ عَلَيْهِمَا، وَلَا يَقُومُونَ بِوَجِبِهِمْ، وَمَنْ لَا يَقُومُ بِمَا عَلَيْهِ مِنْ وَاجِبٍ؛ فَهُوَ مَغْبُورٌ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر-٨] قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَنِ أَيِّ النَّعِيمِ نُسْأَلُ؟ فَإِنَّمَا هُمَا الْأَسْوَدَانِ وَالْعَدُوُّ حَاضِرٌ، وَسُيُوفُنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا؟ قَالَ: «إِنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ»^(٣).

التكليف: هنا بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نرى تذكير الله ﷻ اللاهين في الدنيا بالموت، وما بعده.

(٢) صحيح البخاري ٩٥/٩ (٧٢٩٤).

(٣) صحيح البخاري ٨٨/٨ (٦٤١٢).

(٤) سنن الترمذي ٤٤٨/٥ (٣٣٥٧). وقال الألباني: حسن لغيره.

سمّيت "سورة العصر" بهذا الاسم في أكثر المصاحف، ومعظم كتب التفسير، وأطلق عليها سورة "والعصر"؛ وهي سورة مكيّة على قول الجمهور، وموقعها (١٣) في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة "الانشراح"، وقبل سورة "العاديات"، وعدد آياتها (٣) آيات.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالْعَصْرِ﴾ (١)

﴿و﴾: يقسم الله ﷻ بحرف واو القسم **﴿الْعَصْرِ﴾**: يقسم الله ﷻ بالعصر، وهو الدهر أو الزمان، لما فيه من عجائب قدرة الله ﷻ، الذي عاش فيه النبي ﷺ، وما يعمل فيه الإنسان من خير وشر، وصحةٍ وسقم ومالٍ وغنى، وفقر؛ وهذا هو الأظهر، وقيل صلاة العصر، وقيل عصر النبوة؛ والله أعلم.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ (٢)

﴿إِنَّ﴾: هذا جواب القسم بالتأكيد الرباني **﴿الْإِنْسَانَ﴾**: لفظٌ يستغرق جنس الإنسان **﴿ل﴾**: حرف علةٍ وسببٍ **﴿فِي خُسْرٍ﴾**: جاءت بصيغة النكرة لتفيد حالة الخسران العظيم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (٣)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ **﴿آمَنُوا﴾**: استثنى ﷻ الذين أيقنت قلوبهم، واطمأنت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ ﷺ نبيًّا ورسولًا، وعملوا بطاعته طمعًا في جنته ﷻ، وانتهوا عن معاصيه؛ خوفًا عن عذابه **﴿و﴾**: حرف عطفٍ يفيد الحال **﴿عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾**: بجوارحهم صلاةً، وصيامًا، وزكاةً، وحجًّا، ودعوةً، وجهادًا **﴿و﴾**: عطفًا على ما جاء **﴿تَوَاصَوْا بِ﴾**: حرف باء الالتصاق **﴿الْحَقِّ﴾**: جاء لفظ الحق هنا خاصًا بعد عام اسم الله ﷻ؛ بمعنى التواصي بطاعته، وعمل الخير كلّهُ اعتقادًا وعملاً، وتركوا المحرّمات **﴿وَتَوَاصَوْا﴾**: جاء تكرار الفعل لزيادة العناية به والعمل بمضمونه **﴿بِ﴾**: حرف باء الاستعانة **﴿الصَّبْرِ﴾**: جعل الله ﷻ التواصي بالصبر قرينًا للتواصي بالحق، هنا ترابطٌ بين التوصية

بالصبر والتواصي بالحق وأوصى، ونصح، وحضَّ بعضهم بعضًا على الصبر على المصائب، والنوائب، وأدى المؤذنين لهم.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ ندرك المعايير الحقيقية للريح، والخسارة في الدنيا، وأبرزها الصبر والحق والتواصي بهما بعد العمل بهما.



سمّيت "سورة الهمزة" بهذا الاسم في المصاحف، وكتب التفسير، وأطلق عليها سورة "ويل لكل همزة"؛ أيضًا "سورة الحطمة" وهي سورة مكّية بالاتفاق، وموقعها (٣٢) في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة "القيامة"، وقبل سورة "المرسلات"، وعدد آياتها (٩) آيات بالإجماع.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (١)

﴿وَيْلٌ﴾: شرٌّ وهلاكٌ، وبالّ، وشدةٌ، وحسرةٌ، وهذه من آيات الدعاء، وقيل هو اسمٌ وادٍ في جهنّم
﴿ل﴾: حرفٌ تخصيصٍ ﴿كُلِّ﴾: تقييد الجميع ﴿هُمَزَةٍ﴾: الذي يغتاب النَّاسَ، ويطعن في أعراضهم، وقيل الذي يزدرى النَّاسَ، وينتقصهم، قال ابن عباس: الطعان، وقال الربيع بن أنس: الهمزُ هو الذمُّ في الوجه، وقال قتادة: باللسان، وقال مجاهد: باليد، وهي عامّة ﴿لُمَزَةٍ﴾: الذي يعيب الناس، وينال منهم بتحريك الحاجب والعين، قال الربيع بن أنس: الطعن في غياب الإنسان. وقال قتادة، ومجاهد: الغمزُ بالعين.

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ (٢)

﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمفرد للمذكر ﴿جَمَعَ﴾: الذي كان همُّه تكديس ماله؛ بعضه فوق بعضٍ ﴿مَالًا﴾: بلغ في الخبث والفساد أقصى الدرجات جاء بصيغة النكرة للتعظيم؛ أي ما جمع من المال، والأرض، والمصاغ، والشركات وغيرها بما خالف شرع الله ﷻ ﴿وَعَدَّدَهُ﴾: أيضًا أحصاه وعده؛ فألهاه ماله عن الطاعة بالنهار، ونام ليله بلا عبادة، ولا قيام.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ (٣)

﴿يَحْسَبُ﴾: يظنُّ بمعنى التأكد ﴿أَنَّ﴾: حرفٌ يُفيدُ التأكيد ونفي الإنكار والشكَّ ﴿مَالَةً﴾: ثروته
﴿أَخَذَهُ﴾: سيجعل صاحبه خالداً في الحياة الدنيا؛ فلا يموت أبداً.

﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ (٤)

﴿كَلَّا﴾: حرف ردعٍ وزجرٍ واستنكارٍ حقاً ليس الأمر كما يزعم؛ حقاً إنَّ الأمر مختلف ﴿ل﴾:
حرف علّةٍ وسببٍ ﴿يُنْبَذَنَّ﴾: بكلِّ تأكيد سيُلقي ويُغذف وحيداً، صاحب المال الذي جمع وعدد
﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾: في النَّارِ؛ فهذا اسمٌ من أسماء النَّارِ، تُحطم كلُّ ما يُلقى فيها.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ (٥)

﴿وَمَا﴾: حرفُ استفهامٍ ونفي ﴿أَدْرَاكَ﴾: ما أعلمك؟ كيف عرفت؟ أيها الرسول؛ لإظهار شأنها؛
وتعظيم أمرها تهويل نار جهنم ﴿مَا﴾: هي هذه؟ ﴿الْحُطَمَةُ﴾: ليطرحن في جهنم التي تُحطم
كلَّ ما يُلقى فيها؛ كأنها ليست مما تدركه وتفهمه العقول وتبلغه. أيضاً هي:

﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ﴾ (٦)

والإجابة هي ﴿نَارُ﴾: أشعلها ﴿اللَّهُ الْمَوْقَدَةُ﴾: إضافة النار إلى اسم الله ﷻ تعظيمٌ لها وتفخيم؛
وكذلك في وصفها بالإيقاد، نارُ الله المشتعلة، الشديدة اللهب التي لا تخمد أبداً ووجب تسعيرها.

﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ (٧)

﴿الَّتِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمفرد المؤنث ﴿تَطَّلِعُ عَلَى﴾: من شدة حرّها تغشى حرارتها فتتفد من
الأجسام إلى ﴿الْأَفْئِدَةِ﴾: القلوب، قال ثابت البياني: تحرقهم فتتفد من أجسادهم إلى قلوبهم التي
في صدورهم، وهم أحياء، وقال محمد بن كعب: تأكل كلَّ شيءٍ في أجسادهم حتى تبلغ مبلغ
القلوب ولا تصلها؛ فترجع إلى جسده، وقيل يبلغ ألسنتها أوساط القلوب؛ والله أعلم.

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ (٨)

﴿إِنَّهَا﴾: بالتأكيد الرباني أي النَّارِ ﴿عَلَيْهِمْ﴾: على المجرمين ﴿مُّوَصَّدَةٌ﴾: مُطبقةٌ عليهم، محيطةٌ
بهم. في سلاسل وأغلال مطوّلة لئلا يخرجوا منها. انظر سورة [البلد-٢٠].

﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ (٩)

﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾: في إشارة إلى تعظيم النار وهي أرسخ بسبب أنها مُمتدة، طويلة، مغلقة عليهم، بأعمدة على الأبواب تغلقها؛ حتى لا يخرجوا منها. وقيل أعمدة من حديد، وقال السدي: أعمدة من نار، وقال ابن عباس: الأبواب هي الممددة. وقال ابن جرير: يُعذَّبون بأعمدة من النار، وقال أبو صالح: قيود ثقيلة.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة؛ ندرك مصير الساخرين من الدين في الآخرة، والعياذ بالله ﷻ.



سميت "سورة الفيل" لورود لفظ الفيل في الآية الأولى منها، وقيل لأنها ذكرت قصة أصحاب الفيل، وهي سورة مكية على قول الجمهور، وموقعها (١٠٥) في عداد السور، نزلت بعد سورة "الكافرون" وقيل قبل سورة الفلق، وعدد آياتها (٥) آيات.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (١)

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: حرف يُفيد التقرير والتوبيخ؛ ويفيد أيضاً الوجد والحزن، ألم ينته إلى علمك ما فعل ربك بأصحاب الفيل؟ ألم تدرك بقلبك وبصيرتك وليس ببصرك؛ لأنه علم ضروري ومساوٍ في القوة والوضوح للمشاهدة والعيان؛ بهدف الاعتبار والاعتاظ ﴿كَيْفَ﴾: استفهام يُفيد التعجب والاستنكار والتوبيخ ﴿فَعَلَ﴾: أصاب وعاقب ﴿رَبُّكَ﴾: هو ﷻ المُعبود، والمُربي، والخالق، والمالك، والعاطي، وكثير الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابِرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد؛ فهو ﷻ مالك كلِّ أمر فهو مالك أمر السموات والأرض، وهو ﷻ مالك أمرك كلّه يا محمد ﷺ ﴿بِ﴾: حرف باء الالتصاق ﴿أَصْحَابِ الْفِيلِ﴾: قال الله ﷻ أصحاب الفيل ليدل على أن الفيل ليس معهم، ولم يطعمهم، ولم يتقدم خطوة واحدة تجاه هدم الكعبة كما أراد أبرهة الحبشي وأعوانه؟.

التكليف: حدثت هذه الواقعة في العام الأول لمولد الرسول محمد ﷺ.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ (٢)

﴿أَلَمْ﴾: أداة استفهام بغرض التقرير ﴿يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾: جعل سعيهم، ونيتهم، لتخريب الكعبة المعظمة ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾: فشل، وضياحٍ عن تحقيق الهدف الخبيث.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ (٣)

﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال؛ عطفًا على ما سبق ﴿أَرْسَلَ﴾: سلَّط الله ﷻ ﴿عَلَيْهِمْ﴾: على أبرهة وجنوده ليعذبهم ﴿طَيْرًا﴾: هي كل ذي أجنحة يسبح في الهواء ﴿أَبَابِيلَ﴾: جماعات متفرقة، من طير أصغر من الحمام، لون أرجلها أحمر.

﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ (٤)

﴿تَرْمِيهِمْ﴾: تقذفهم ومع كل واحدةٍ منها ثلاثة حجارة؛ ﴿بِ﴾: حرف باء الالتصاق ﴿حِجَارَةٍ مِنْ﴾: حرف يُفيد بداية الغاية المكانية ﴿سِجِّيلٍ﴾: طين مطبوخ، جاف مُتجبرٍ، ما تصيب منهم أحدًا إلا أهلكته، تتساقط أعضاؤهم، عضوًا، عضوًا؛ أو يموت من فوره، وكان نصيب أبرهة أن أعضاءه تساقطت؛ حتى مات في بلاد خثعم.

التكليف: جاءت بصيغة المضارع تعبيرًا عن الماضي؛ لتفيد على أن كل من سؤلت له نفسه بالوقوف في وجه الحق؛ فإن الله ﷻ متكفلٌ بعقابه.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ (٥)

﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿جَعَلَهُمْ﴾: صاروا به مُحطمين ﴿ك﴾: حال أو مثل ﴿عَصْفٍ﴾: كأوراق الشجر اليابسة، أو التبن، أو القش الخالي من الثمر؛ المتطاير المقطع الأوصال، المتفرق بالريح ﴿مَأْكُولٍ﴾: الذي أكلتها الدواب، أو التي هضمتها وصارت من الفضلات. قال سعيد بن جبير: مثل التبن، وقال ابن عباس: كالقشور التي على الحبوب، والحنطة، وقيل ورق الزرع والبقل، الذي أكلته الدواب؛ ثم بصقته.

سمّيت "سورة قريش" بهذا الاسم في أكثر المصاحف، ومعظم كتب التفسير، وأُطلق عليها سورة "ألم تر كيف"؛ وقيل سورة "إيلاف قريش" وهي سورة مكّية جمهور العلماء، وموقعها (٢٩) في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة "التين"، وقبل سورة "القارعة"، وعدد آياتها (٤) آيات عند جمهور العادين.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ (١)

ترتبط هذه السورة بما سبقها؛ سورة الفيل ولكنها مفصولة عنها ببسم الله الرحمن الرحيم ﴿ل﴾: حرف تخصيص، وتمليك وقيل إنّها للتعجب، قال ابن جرير: أعجبوا بقريش ما أفوه، واعتادوا عليه ﴿إِيلَافٍ﴾: الإيلاف هو مصدر آلف الشيء يؤالفه إيلاف، إذا اعتاد، وزالت الكُفَّةُ عنه، وزالت النفرة منه، هنا من أجل عادة ﴿قُرَيْشٍ﴾: جاء التقديم للتذكير بالنعم عليهم؛ أعجبوا لإلف قريش وأمنهم واستقامة مصالحهم، وانتظام رحلتهم وما أفوه ومنها الرحلتان، آلفين المنافع التي يجنونها منهما، واجتماعهم في بلدهم مكّة آمنين، مُتَمَتِّعِينَ باحترام الخلق.

﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ (٢)

﴿إِيلَافِهِمْ﴾: فقد تعودوا وألفوا على رحلتين في السنة ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ﴾: إلى اليمن؛ كانوا يذهبون إليها بملابس خاصة بالفصل، الملابس الثقيلة ﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال؛ أيضًا رحلة ﴿الصَّيْفِ﴾: بملابس خفيفة؛ إلى الشام؛ يسيرون مطمئنين، إذا عرفهم النَّاسُ أكرمهم، وأمَّنوهم في أسفارهم؛ لأنهم سُكَّانُ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ. من هنا وجب على قريش بعد هذا الإيلاف أن تعبد الله ﷻ.

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ (٣)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿يَعْبُدُوا﴾: فليشكروا ويوحّدوا ويعبدوا الله ﷻ بالطاعة، ولا يعبدوا أوثانًا وأصنامًا، لا تتفعهم، بينما ينفعم كونهم يسكنون مكّة المكرّمة ﴿رَبِّ﴾:

هو الجائر لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، مالك وصاحب والمتصرف في ملكه ﴿هَذَا﴾: إشارة للبيت لكرمه ﴿النَّبِيَّتِ﴾: إنَّ الله ﷻ خالق إبراهيم، وإسماعيل، عليهما السلام؛ اللذين بنيا الكعبة، البيت الحرام، البيت الآمن.

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (٤)

﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد، والمقصود هنا الواحد الأحد ﴿أَطْعَمَهُمْ﴾: الله الذي رزقهم، فأكلوا ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿جُوعٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة لتفيد الشدة، وهم جياع بشدة ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الحال ﴿آمَنَهُمْ﴾: وهبهم الأمن والأمان، وبأمنهم؛ ازدهرت تجارتهم ﴿مِنْ خَوْفٍ﴾: تفضل الله ﷻ عليهم بالأمن مع الرزق.

التكليف: إنَّ أفضل ما يعيشه مجتمعٌ إنساني هو توفر الأمن العام، والرزق الوفير، وتوفر الأمن للجميع؛ وبدراسة هذه السورة الكريمة؛ نذكر فضل الله ﷻ على قريش، وهي ظاهرةٌ مُتجددة.



سميت "سورة الماعون" بهذا الاسم في كثير من المصاحف، وكتب التفسير، وأطلق عليها سورة "أرأيت"، وأيضًا سورة "أرأيت الذي" وسورة "الدين" وسورة "التكذيب" وسورة "اليتيم"؛ وهي سورة مكّية على قول أكثر الجمهور، وموقعها (١٧) في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة "التكاثر"، وقبل سورة "الكافرون"، وعدد آياتها (٧) آيات.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ (١)

نزلت الثلاث آيات الأولى في هذه السورة الكريمة في العاص بن وائل والوليد بن المغيرة وتسري على أمثالهم من المنكرين للدين وسلوكوا مسلكهم ﴿أ﴾: حرف استنهام بغرض تشويق السامع إلى الخبر والتعجب منه، ﴿رَأَيْتَ﴾: بمعنى هل عرفت يا محمد ﷺ وهل شاهدت، كان كلامُ الله ﷻ مُوجهًا إلى محمد ﷺ، ومن بعده لكل مسلم؛ أن يتعرف على ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمفرد

المُذَكَّرُ يفيد هنا حال ذلك الذي ﴿يُكَذِّبُ﴾: مَنْ يُنْكِرُ وَلَا يُصَدِّقُ بِثَوَابِ اللَّهِ ﷻ وَعِقَابِهِ ﴿ب﴾: حرف باء الالتصاق ﴿الَّذِينَ﴾: بالعقيدة الإسلامية، ومنها البعث والنشور في يوم القيامة، يوم الحساب؛ حيث الجزاء، الثواب والعقاب.

﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ (٢)

من صفات الذي يكذب بيوم الدين: ﴿ف﴾: حرف عطف يفيد السبب ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿يَدْعُ﴾: يقهر، ويدفع بقوة ﴿الْيَتِيمَ﴾: الذي فقد والده أو والديه، ولا يطعمه، ولا يُحَسِّنُ إليه.

﴿وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ (٣)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَخْضُ﴾: لا يحتُّ ولا يشجعُ النَّاسَ ﴿عَلَى طَعَامِ﴾: إطعام ﴿الْمَسْكِينِ﴾: الذي لا يجد قوت يومه، ولا يملك ما يكفيهِ ويسد حاجته.

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ (٤)

﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ، والترتيب للدعاء عليهم بالويل ﴿وَيْلٌ﴾: الويلُ لهم من العذاب، وقيل وادٍ في جهنم؛ الهدف هو زيادة في التقيح ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْمُصَلِّينَ﴾: أهل النفاق في الصلاة التي يؤدونها رياء النَّاسِ، وليس في سبيل رضا الله ﷻ، وللذين يصلونها في غير وقتها ويؤخرونها دونَ عُذْرٍ مقبولٍ.

﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (٥)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، وتحديدًا ﴿عَنْ﴾: حرف جر يفيد التجاوز ﴿صَلَاتِهِمْ﴾: عن أدائها لاهون لا يكثرثون بها حتى ينقضي وقتها، ولم يقل ﷻ في صلاتهم ﴿سَاهُونَ﴾؛ لأنَّ كثيرًا من المصلين يسهون ويغفلون.

التكليف: ليحذر المسلم أن يكون من الذين يؤخرون الصلاة إلى آخر الوقت، ولا مع الذين لا يؤدونها بأركانها وشروطها خاليةً من الخشوع والتدبر، وقد وصفهم بصلاة المنافقين.

﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ (٦)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا كل مَنْ ﴿هُمْ﴾: ضمير الجمع المذكر، وهي للتخصيص، هنا تحديدًا ﴿يُرَاءُونَ﴾: الذين يُصَلُّونَ صلاة المُرَائِي المُنَافِقِ، حملهم عليها مرأاة النَّاسِ؛ ومنهم:

الحامل لكتاب الله ﷻ رياءً، أو المصدق في غير ذات الله ﷻ، أو الحاج إلى بيت الله الحرام رياءً، أو كالخارج في سبيل الله ﷻ بلا إيمان، طلباً للمصلحة؛ هذه أوجهٌ وغيرها يسعى إليها المرآئي ولا يؤدي صلاته لله ﷻ؛ أي إذا ظهرت الصلاة فصلوها فقط قال ﷺ: مَنْ سَمِعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ سَمِعَ خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَهُ^(١).

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (٧)

﴿و﴾: أيضاً من حال أصحاب الويل الذين ﴿يَمْنَعُونَ﴾: يرفضون إعطاء ﴿الْمَاعُونَ﴾: ولا يحسنون إلى الناس المحتاجين، والذين لا يعيرون الآخرين ما يُنتفعُ به مع حقهم برجوع هذه الأدوات إليهم، وقال مجاهد: لا يُعطون الزكاة، وقال ابن مسعود: لا يُعطون ما يتعاطاه الناس بينهم من الفأس والقدر، والدلو، وأشباه ذلك، وقال النسائي: كلُّ معروفٍ صدقةٌ، وكُنَّا نعدُّ الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية إعاره الدلو والقدر، وقال ابن عباس: متاعُ البيت. قال ﷺ: وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ^(٢)

التكليف من صفات المنافقين إذا ظهرت الصلاة صلّوها، وإذا جُمعت الزكاة منعوها، وبدراسة هذه السورة الكريمة يكشف الله ﷻ سلوك المنافقين يوم القيامة، ومن عمل عملاً لله ﷻ فأطلع عليه النَّاسُ فأعجبه ذلك فليس من الرياء.



سمّيت "سورة الكوثر" بهذا الاسم في جميع المصاحف، وكتب التفسير، وأُطلق عليها سورة "إنا أعطيناك الكوثر"؛ وأيضاً "سورة النحر"، وهي سورة مكّية عند الجمهور، وموقعها (١٥) في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة "العاديات"، وقبل سورة "التكاثر"، وعدد آياتها (٣) آيات بالاتفاق، وهي أقصر سور عدد كلمات وعدد حروف القرآن، أمّا في عدد الآيات فسورة العصر وسورة النصر مثلها، ولكن كلماتها أكثر.

(١) مسند أحمد ١١/٦٦٦ (٦٩٨٦)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) صحيح مسلم ٤/٢٠٧٤ (٢٦٩٩).

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (١)

﴿إِنَّا﴾: هي في اللغة ضميرٌ للجمع المتكلم الحاضر، جاءت هنا من الله ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحد؛ للتوكيد الدالة على التعظيم؛ وجاءت بحرف التأكيد الذي يفيد معنى القسم؛ لأن أصلها إنّ ونحن ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾: جاءت بصيغة الماضي التي تفيد التحقق والوقوع بصيغة الجمع لعظم الحدث، ولم يقل سنعطيك للدلالة على تحقق الوعد كأنه وقع وحدث، قال ابن عباس: ﴿الْكَوْثَرَ﴾ من الكثرة، وقال أيضًا: نهر في الجنة، حافظه ذهبٌ وفضةٌ، يجري على النياقوت والدر، مائه أبيض من الثلج، وأحلى من العسل. وقال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد: الكوثر هو الخير الذي أعطاه الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ في الدنيا، وفي الآخرة، وقال عكرمة: هو النبوة، والقرآن، وثواب الآخرة، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ، حَافَتَاهُ قَبَابُ اللَّوْلُؤِ مُجَوَّفَا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيْلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ^(١)، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْمَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: أَنْزَلْتُ عَلَيَّ أَنْفَا سُورَةَ فَقرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ فَصَلَّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرَ * إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿[الكوثر - ١، ٢، ٣] ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ فَقُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ حَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرْدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَنِيئُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحَدَثْتَ بَعْدَكَ^(٢)

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرَ﴾ (٢)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿صَلِّ﴾: أعبد من يملك أمرك كله بإقامة الصلاة ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿رَبِّكَ﴾: فهو ﷻ مالك كل أمر فهو مالك أمر السموات والأرض، أخلص صلاتك لله ﷻ المكتوبة والنافلة، فقد أعطاك الخير الوفير في الدنيا، ووعدك نهر الكوثر في الآخرة ﴿و﴾:

(١) صحيح البخاري ١٧٨/٦ (٤٩٦٤).

(٢) صحيح مسلم ٣٠٠/١ (٤٠٠).

أعطفًا على ما سبق ﴿أنحر﴾: اذبح باسم الله، ولله ﷻ وحده، لا شريك له، قال ابن عباس
نحرُ البُدن ونحوها من الماشية، وهذا هو الأرجح، وقيل استقبل بنحرك القبلة.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (٣)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿شَانِئَكَ﴾: مُبغضُك أيها الرسول ﷺ كارهك، وكاره
ما جئت به من الهدى والحق والبرهان، وهو عدو الرسول ﷺ، وقد قيل إنها نزلت في شخص
العاص بن وائل، ولم يذكر القرآن اسمه تحقيرًا له، هو الذي قال: دعوه فإنه رجلٌ أبتُر لا عقب
له، فإذا هلك انقطع ذكره لا ولد له، ولذلك سموه الأبتُر ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً
مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، المقصود هنا الذي يبغض النبي ﷺ وما أرسل به ﴿الأبتُر﴾: من
المعروف أن الأبتُر هو مقطوع النسل ومقطوع البركة. هنا إفادة الحصر؛ ظنوا أن الأبتُر هو
محمد ﷺ الذي لم يُبق خلفه ولدًا، وقد كان محمدٌ ﷺ ولا يزال إلى يوم القيامة باقي الذكر
على رؤوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمرًا على دوام الآباد إلى يوم المحشر،
والمعاد؛ صلوات ربي وسلامه عليه دائمًا أبدًا إلى يوم التناد.



سميت "سورة الكافرون" بهذا الاسم في المصاحف، ومعظم كتب التفسير، وأطلق عليها
سورة "والكافرون"؛ وأيضًا سموها سورة "قل يا أيها الكافرون"، وهي سورة مكيّة بالاتفاق، وترتيبها
(١٨) في عدد نزول سور القرآن الكريم، نزلت بعد سورة "الماعون"، وقبل سورة "الفيل"، وعدد
آياتها (٦) آيات.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ (١)

فضل السورة: قرأ رسول الله ﷺ بهذه السورة في ركعتي سنة الفجر، عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ ركعتين قبل الفجر، وكان يقول: نعم السورتان هما، يقرأ بهما في ركعتي الفجر، قل هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون^(١)

وهي تعدل ربع القرآن، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا زُلزِلت تعدل نصف القرآن، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن». ^(٢)، وكان ﷺ يقرأها قبل النوم إذا أخذ مضجعه؛ فهي براءة من الشرك.

﴿قل﴾: كانت أمراً لمحمد ﷺ ليعلم براءته من كفار قريش، وهي براءة كل مسلم من الكافرين في كل زمان، وكل مكان **﴿يا أيها﴾**: حرف نداء للقريب والبعيد **﴿الكافرون﴾**: الذين أنكروا الحق، حقيقة ربهم ورسولهم، وملأنكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر. التكليف: إن الإيمان بالله ﷻ، وترك عبادة ما سواه من محكمات العقيدة، ومسلمات التوحيد، وأن الحق كله عند ﷻ.

﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ (٢)

﴿لا﴾: حرف نفي **﴿أعبد﴾**: لا أطيع ولا أترف ولا أتبع؛ جاءت بصيغة المضارع؛ لأنّ القصد هو ما سيأتي في المستقبل، بمعنى لا أفعل في هذا الحال ولا الذي بعده **﴿ما﴾**: تطالبون من عبادة الذي من جنس غير العاقل **﴿تعبدون﴾**: براءة كاملة من دينهم، وأصنامهم، وأوثانهم، ومعتقداتهم القديمة والجديدة، وألهتهم القديمة والمستحدثة كالشيعوية والعلمانية وكل الأفكار المتناقضة مع الشريعة الإسلامية.

﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ (٣)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد الحال؛ أيضاً **﴿لا﴾**: حرف نفي **﴿أنتم عابدون﴾**: تؤدون ما فرضه الله تعالى عليكم من عبادات كالصلاة والصوم والحق والزكاة وغيرها **﴿ما﴾**: الذي **﴿أعبد﴾**: تُقرّر الآيات هنا حقائق وقتها، فقد أغلقت قلوب الكفار على الكفر، واستيقنت قلوب المؤمنين

(١) سنن ابن ماجه ٣٦٣/١ (١١٥٠)، قال الألباني: صحيح.

(٢) المستدرک على الصحيحين للحاكم ٧٥٤/١ (٢٠٧٨)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

على الإيمان بالله ﷻ ؛ لكنّها ليست أبدية، فكثير من المشركين أسلموا، وكثير من المسلمين كفروا؛ والعياذ بالله.

التكليف: جاء النفي في الجانبين تحقيقاً للبراءة المطلوبة مع إنّها صريحة واضحة.

﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ (٤)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿أَنَا عَابِدٌ مَا﴾: هنا إشارة مهمة أن حرف ما يفيد أنهم كانوا يعبدون الذي من غير العاقل، من الأصنام وغيرها ﴿عَبَدْتُمْ﴾: مؤمن مطيع ما أنتم تعبدون من دون الله ﷻ، الذي أعبدته؛ أطيعه، وأتبع شريعته. هذه جملة اسمية، وهي في اللغة نافية بالكلية؛ فالجملة الاسمية أكثر تأكيداً من الجملة الفعلية.

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (٥)

﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿أَنْتُمْ﴾: تحديداً ﴿عَابِدُونَ﴾: في المستقبل ﴿مَا﴾: الذي ﴿أَعْبُدُ﴾: المعبود الحق ﷻ، إلهاً واحداً، ولا أعبد الذين تعبدون من الأصنام، والأوثان، وما استحدثه الشيطان من بعدهم، وجاءت هنا مكررة للتأكيد؛ أي إنكم لا تتقادون لأوامر الله ﷻ وشريعته، وقد جاء قوله ﷻ: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [النجم-٢٣].

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (٦)

﴿لَكُمْ﴾: حرف تملك وتخصيص ﴿دِينُكُمْ﴾: الذي أصررتم على اتباعه، قال البخاري: الكفر، وقد جاء: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي دِينِيَ وَلَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [يونس-٤٢] ﴿و﴾: حرف عطفٍ يُفيد الحال؛ هذا الحرف هنا ليس للتخيير؛ بل المعنى أنّ دينكم الذي هو الإشراف مقصورٌ على الحصول لكم؛ لا يتجاوزهُ إلى الحصول لي كما تطمعون؛ وديني الذي هو التوحيد مقصورٌ على الحصول ﴿لي﴾: لا يتجاوزهُ إلى الحصول لكم، تحديداً وتخصيصاً الذي لا أبغي غيره ﴿دين﴾: لم يقل الله ﷻ على لسان رسوله ولي ديني حتى لا يشكل على الإنسان أنّ لمحمد ديناً خاصاً به جاء من عنده؛ لم يقل ديني؛ لأنّ الآيات جاءت بختام النون مثل فهو يهديني.

التكليف. نزلت هذه السورة في أشخاصٍ بعينهم من المشركين قد علم الله ﷻ أنهم لن يؤمنوا
أبدًا وبدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ ندرك أهمية وضرورة أن نؤمن بالله ﷻ وحده، والبراءة
من الشرك.



سمّيت "سورة النصر" بهذا الاسم في المصاحف، ومعظم كتب التفسير، وأطلق عليها
سورة "إذا جاء نصر الله والفتح"؛ وأيضًا سمّيت "سورة الفتح"، وسورة "التوديع"، وهي سورة مدنيّة
بالإتفاق، نزلت قبل وفاة النبي ﷺ بستين وموقعها (١١٤) في عدد نزول سور القرآن الكريم،
نزلت بعد سورة "الحشر"، وقبل سورة "النور"، وعدد آياتها (٣) آيات.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (١)

جاءت هذه السورة المباركة بشرى للرسول وللمؤمنين بفتح مكّة؛ واكتمال الإسلام، وإشارةً إلى
اقتراب أجل الرسول ﷺ. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ، يُذْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ،
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: إِنَّ لَنَا أَبْنَاءَ مِثْلِهِ، فَقَالَ: إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ تَعْلَمُ، فَسَأَلَ عُمَرُ ابْنَ
عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر-١]، فَقَالَ: «أَجَلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
أَعْلَمَهُ إِيَّاهُ» قَالَ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ^(١)، وقد نزلت هذه السورة الكريمة على رسول الله
ﷺ أوسط أيام التشريق، ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط
ما بعدها بما قبلها ﴿جَاءَ﴾: تحقق ﴿نَصْرٌ﴾: فوز وغلبة من ﴿اللَّهُ وَ﴾: أيضًا حصل وتحقق
﴿الْفَتْحُ﴾: إذا تمّ وتحقق لك أيها الرسول النصر على الكفّار وفتح مكّة دون جدال، فقد كان
العرب يقولون إنَّ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ ﷺ على قومه فهو نبيّ.

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ (٢)

(١) صحيح البخاري ٢٠٤/٤ (٣٦٢٧).

لما فتح الله على محمد ﷺ مكة في العام الثامن للهجرة ﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال؛ عطفًا على الفتح ﴿رَأَيْتَ﴾: شاهدت وتيقنت أن ﴿النَّاسَ﴾: دخلوا في ﴿دينِ اللَّهِ﴾: في الإسلام ﴿أَفْوَاجًا﴾: أي جماعات كثيرة تلو جماعاتٍ. ولم يمض عامان حتى استوثقت جزيرة العرب إيمانًا، وسادت في سائر المنطقة مظاهر الإسلام.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (٣)

﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿سَبِّحْ﴾: تنزيه الله ﷻ عن النواقص ﴿بِحَمْدِ﴾: بالشكر والثناء ﴿رَبِّكَ﴾ هو ﷻ المُعبود، والمُربي، وهو إنشاء الشيء من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابُر لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد؛ فهو ﷻ مالك كلِّ أمر فهو مالك أمر السموات والأرض ﴿و﴾: حرف عطف يُفيد الحال ﴿اسْتَغْفِرْهُ﴾: المراد هنا ليس استغفار النبي ﷺ ولكن تنبيهًا لأُمَّته وتعريضًا بهم؛ فكأنهم هم المأمورون بالاستغفار، الاستغفار لأُمَّته ليس لذنبه أكثر من طلب المغفرة والعفو؛ فيكون التسبيح والاستغفار سمة النصر، وليس للتفاخر والتباهي، والبهرجة ﴿إِنَّهُ﴾: ﷻ بالتأكيد ﴿كَانَ﴾: دائمًا، أبدًا، أزليًا ﴿تَوَّابًا﴾: يقبل توبة التائب، كثيرَ القبول لتوبة عباده، وهذه الآية أشعرت النبي ﷺ دون أجله، فإنه بعد اكتمال الدين، ودخول الناس فيه أفواجًا؛ لم يبق إلا انتهاء المهمة، ودنو الأجل، ولذلك كان الأمر للنبي ﷻ بالاستعداد للقاء الله ﷻ.

التكليف: جاءت الآية الأخيرة لتشعر النبي ﷺ بدنو أجله فإنه بعد اكتمال الدين ودخول الناس فيه أفواجًا لم يبق إلا انتهاء المهمة ودنو الأجل ولذلك كان الأمر له ﷻ بالاستعداد للقاء الله ﷻ، كما أنّ دراسة مقاصد هذه السورة الكريمة تؤدي إلى إيمان المسلم بنصر الله ﷻ والفتح إذا أخذ بالأسباب.

سمّيت "سورة المسد" بهذا الاسم في أكثر المصاحف، وكتب التفسير، وأطلق عليها جمع من المفسرين سورة "أبي لهب"؛ وسمّيت أيضاً سورة "الذهب" وهي سورة مكيّة بالاتفاق، وترتيبها (٦) في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة "الفاتحة"، وقبل سورة "التكوير"، وعدد آياتها (٥) آيات.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (١)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْبَطْحَاءِ، فَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ فَنَادَى: يَا صَبَا حَاهُ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّكُكُمْ، أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا تَبًّا لَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد-١] إِلَى آخِرِهَا^(١).

﴿تَبَّتْ﴾: خسرت، وخابت، وهلكت ﴿يَدَا﴾: دعاء أن تُصاب يداه بالشلل أو القطع؛ خصّ الله ﷺ اليدين بالتباب؛ لأنّ أكثر العمل يكون بهما، وقيل المراد باليدين نفس الإنسان، كما في قوله ﷺ ﴿بِمَا قَدَّمْت يَدَاكَ﴾ أي نفسك؛ والعرب تعبر كثيراً ببعض الشيء عن الكلّ مثل أصابته يد الدهر، وأصابته يد المنايا ﴿أَبِي لَهَبٍ﴾: أبو لهب هو أحد أعمام الرسول ﷺ، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب كان وضيء الوجه أبيض، أحول ذا غديرتين، صابئاً، كاذباً، يتتبّع الرسول حيث ذهب، يشتم الرسول ﷺ ويقول إنّه يريد أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجنّ، فلا تتبعوه، وقد دعا على سيدنا محمد ﷺ؛ فقال: تبت يداك؛ ألهذا جمعنا ﴿وَتَبَّ﴾: هذا خبرٌ يُفيدُ أنّه حصل وتحقق الدعاء عليه، فكانت الخسارة والهلاك، وهذا خير، الأولى دعاء، والثانية خبر. التكليف: جاء في هذه الآية الكريمة نمط إطلاق، أي الحديث عن الجزء وهي يدُ أبي لهب والحقيقة هو المقصود بالجسد كلّهُ.

(١) صحيح البخاري ١٨٠/٦ (٤٩٧٢).

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ (٢)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿أَغْنَىٰ﴾: ما دفع ﴿عَنْهُ﴾: حرفٌ يفيد المجاوزة ﴿مَالُهُ﴾: ما عنده من مالٍ
سخره لمحاربة الرسول ﷺ ﴿وَمَا﴾: حرفٌ عطفٌ يفيد الحال؛ أيضًا ما أغنى عنه من غير المال
﴿مَا﴾: الذي ﴿كَسَبَ﴾: أي ولده، فقد كان يقول: إن كان ما يقول ابن أخي حقًا فإنني أفترى
نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي. وقيل: ما كسب بنفسه.

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ (٣)

﴿سَ﴾: حرف تأكيد الفعل والقول في المستقبل ﴿يَصْلَىٰ﴾: سوف يدخل ويُقاسي حرَّ ﴿نَارًا﴾:
جهنم وبئس المصير، جاءت بصيغة نكرة لتعظيم شدتها وحرارتها العالية ﴿ذَاتَ﴾: صاحبة
﴿لَهَبٍ﴾: ذات اشتعالٍ، شديدٍ، وشريرٍ، وإحراقٍ؛ أراد الله ﷻ أن يحقق نسبته بأن يدخله النار
فيكون أبا لهبٍ تحقيقًا للنسب وتحقيق الفأل والطيرة التي اختارها لنفسه.

﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ (٤)

هذا حالُ أبي لهبٍ، وقد شاركته زوجته العذاب؛ فقال ﷻ ﴿وَأَمْرَأَتُهُ﴾: زوجة أبي لهب من
سيدات نساء قريش، اسمها أروى بنت حرب بن أمية وكنيتها أم جميل، أخت أبي سفيان كانت
عونا لزوجها في محاربة الإسلام ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾: قال ابن عباس، والضحاك: كانت تضع
الشوك في طريق رسول الله ﷺ وكانت تحمل الحطب تُلقيه إلى زوجها؛ ليزداد شرًا، قال مجاهد،
وعكرمة: كانت تمشي بالنميمة؛ والمعنيان واردان.

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ (٥)

﴿فِي جِيدِهَا﴾: في عنقها، أو حول عنقها ﴿حَبْلٌ مِّن﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية المكانية ﴿مَّسَدٍ﴾:
مما يُقتل من الحبال القويّة، محكم القتل، قال مجاهد: من نار، وقال سعيد بن المسيب: كانت
لها قلادة فاخرة، قالت لأنفقنها في عداوة محمد ﷺ؛ فكان عقابها حبلًا من النار حول عنقها،
قال مجاهد: المسد هو الليف؛ وقيل طوقٌ من حديدٍ، ولما نزلت هذه الآية؛ غضبت أم جميل،
وأخذت تطوف باحثة عن محمد ﷺ، وهي تقول: تعس مُذمم؛ أي الذي ذمها؛ فدخلت ولم تره،

كانت امرأة عوراء حاقدة. هذه الآية تُفيدُ بشقاء أمّ جميل، وعدم الإيمان، وماتت على ذلك؛ كواحدةٍ من الأدلّةِ على صدق الرسالة.

التكليف: بدراسةٍ مقاصدِ هذه السورةِ الكريمة؛ نخلص إلى أنّ الكفر يُبدد نعمة الجاه والنسب.



سمّيت "سورة الإخلاص" بهذا الاسم المشهور في عهد النبي محمد ﷺ في أكثر المصاحف، ومعظم كتب التفسير، وأُطلق عليها سورة "قل هو الله أحد"؛ وسورة "الأساس" وأيضًا سمّيت سورة "الشافية" وهي سورة مكيّة في قول الجمهور، وموقعها (٢٢) في عدد نزول سور القرآن الكريم، نزلت بعد سورة "الناس"، وقبل سورة "النجم"، وعدد آياتها (٤) آيات عند أهل العدد بالمدينة، والكوفة، والبصرة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١)

سمّيت بسورة الإخلاص لأنها تتحدث عن التوحيد الخالص لله ﷻ المنزه عن كلّ نقص، المُبرأ من كلّ شرك، وهي تخصّ العبد من الشرك، ومن النار.

عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص-١] (١).

فضل سورة الإخلاص: أولاً: إنّ الله يُحبُّ من يقرأها ويقرأ بها في صلاته، عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيُخْتِمُ بِقَوْلِ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ (٢)، ثانيًا: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُؤْمِنُهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، وَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةَ يَقْرَأُ بِهَا لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ

(١) المستدرک علی الصحیحین ٢/٥٤٠ (٣٩٨٧)، وقال: حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه.

(٢) صحیح البخاری ٩/١١٥ (٧٣٧٥).

مِمَّا يَقْرَأُ بِهِ افْتَتَحَ: يَقُلُ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةَ أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لَا تَرَى أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِأُخْرَى، فِيمَا تَقْرَأُ بِهَا وَإِنَّمَا أَنْ تَدْعَهَا، وَتَقْرَأَ بِأُخْرَى فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أُؤَمِّكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يُؤَمِّمَهُ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «يَا فُلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ» فَقَالَ: إِنِّي أَحْبَبْتُهَا، فَقَالَ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ»^(١)، ثَالِثًا: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: أَيْعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ^(٢) رَابِعًا: أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَالْمَعْوَدَتَيْنِ، حَيْثُ تُمَسِّي وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثًا؛ تَكْفِيكَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ قَالَ: حَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ، وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ، نَطَلَبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيَصَلِّيَ لَنَا، فَأَدْرَكْنَاهُ، فَقَالَ: أَصَلَيْتُمْ؟ فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ: قُلْ فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: قُلْ فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: قُلْ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَقُولُ؟ قَالَ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمَعْوَدَتَيْنِ حِينَ تُمَسِّي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ^(٣) خَامِسًا: قَالَ ﷺ: مَنْ قَرَأَ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ حَتَّى يَخْتِمَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ، بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: إِذَا نَسْتَكْتَبِرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُ أَكْثَرُ وَأَطْيَبُ^(٤).

﴿قُلْ﴾: أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ لِرَسُولِهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ؛ وَهُوَ أَمْرٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ مُؤْمِنٍ حَتَّى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: لَمْ يَقُلْ وَاحِدٌ؛ لِأَنَّ هَذَا يَقُودُ إِلَى الْقَوْلِ اثْنَيْنِ وَثَلَاثَةً، أَمَّا أَحَدٌ فَهُوَ فَرْدٌ ﷻ، وَاحِدٌ أَحَدٌ، لَا نَظِيرَ لَهُ، وَلَا وَزِيرَ، وَلَا شَبِيهَ، وَلَا عَدِيلَ، الْكَامِلُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، الْمَتَفَرِّدُ بِالْأَلُوْهِيَّةِ، وَالرَّبُوبِيَّةِ، وَالْأَسْمَاءِ وَالْمُوصُوفَةِ بِجَمِيعِ أَوْصَافِ الْكَمَالِ.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (٢)

(٣) صحيح البخاري ١٥٥/١ باب الجمع بين السورتين في الركعة.

(٤) صحيح مسلم ٥٥٦/١ (٨١١).

(١) سنن أبي داود ٣٢١/٤ (٥٠٨٢)، قال الألباني: حسن.

(٢) مسند أحمد ٣٧٦/٢٤ (١٥٦١٠)، قال الألباني: حسن.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾: السيدُ الكاملُ في سُودده، وغناه، الذي يُقصد في قضاء الحوائج، على الدوام والمسائل، الشريف الذي كَمَلَ في شرفه، العظيم الذي كمل في عظمته، الحليم الذي كَمَلَ في حلمه، والحكيم الذي كمل في حكمته، الباقي بعد خلقه، الحي القيوم، الذي لا زوال له، الذي لم يلد، ولم يولد، الذي لا جوف له، ولا يأكل ولا يشرب.

التكليف: حُصَّ هذان الاسمان بالذات دون غيرهما لأنهما يتضمنان جميع أوصاف الكمال.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٣)

﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَلِدُ﴾: ليس له ولد؛ قدّر الله ﷻ نفي الولد مع أنّ للاهتمام لأجل ما يقوله الكفّار من المشركين الملائكة بنات الله واليهود عزيزّ ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ولم يدع أحدٌ أنّ له والدًا فهذا السبب بدأ بالاهتمام فقال لم يلد فكلّ من يلد هو فان ﴿و﴾: أيضًا

﴿لَمْ﴾: حرف جزم ينفي ﴿يُولَدُ﴾: هنا انتفاء كونه ﷻ كذلك في المستقبل، ليس له أبٌّ وأمٌّ.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٤)

﴿وَلَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَكُنْ﴾: ليس ﴿لَهُ﴾: على قوله ﴿كُفُوًا أَحَدٌ﴾: هنا نفي المكافأة عن ذاته؛ فكيف يكون من خلقه نظيرٌ يساويه.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ ندرك الغرض الرئيس وهو نفي المماثلة ونفي المناسبة عن الله ﷻ بوجهٍ من الوجوه؛ لأن المماثل إمّا الولد أو الوالد أو النظير؛ فوجب التأكيد على وحدانية الخالق ﷻ.



سمّيت "سورة الفلق" بهذا الاسم في أكثر المصاحف، ومعظم كتب التفسير، وأُطلق عليها سورة "قل أعوذ برب الفلق"؛ والأصح أنّها سورة مكّيّة، وترتيبها (٢٠) في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة "الفيل"، وقبل سورة "الناس"، وعدد آياتها (٥) آيات.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١)

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْجُحْفَةِ، وَالْأَبْوَاءِ، إِذْ غَشِيَتْنَا رِيحٌ، وَظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ بِأَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَأَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، وَيَقُولُ: «يَا عُقْبَةُ، تَعَوَّذْ بِهِمَا فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوَّذٌ بِمِثْلِهِمَا»، قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يُؤْمِنَا بِهِمَا فِي الصَّلَاةِ^(١).

﴿قُل﴾: أمر ربّاني لمحمد ﷺ ﴿أَعُوذُ﴾: أعتصم وألتجئ، وأستجير ﴿ب﴾: حرف باء الصلة ﴿رَبِّ﴾: المعبود، والمُربي، وهو المنشئ الكون بما وبمن فيه، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثير الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابر لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، مالك أمرك كله، هو ﷺ مالك ﴿الْفَلَقِ﴾: قال ابن عباس فالق الصبح أول النهار.

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ (٢)

﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿شَرِّ﴾: كل ما هو مؤذٍ وضارٌّ جاء تكرر كلمة الشر مرّات عدّة؛ للتنبية على قبح وشناعة هذه الأوصاف لله ﷻ ﴿مَا﴾: حرفٌ يُراد به العموم العاقل وغيره فالمعنى هنا على الشمول والله ﷻ أعلم ﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق وجودٍ، جميع المخلوقات، قال الحسن البصري جهنّم، أو إبليس وذريته.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ (٣)

﴿وَمِنْ﴾: بعض ﴿شَرِّ﴾: أذى وضرر ﴿غَاسِقٍ﴾: قال مجاهد: الليل، شديد الظلمة، وقال أبو هريرة الكواكب، وقال ابن جرير وآخرون: القمر، وهذا ما قالته عائشة، قالت: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ تَعَوَّذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ، هَذَا غَاسِقٌ إِذَا وَقَبَ^(٢) ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿وَقَبَ﴾: قال مجاهد: هو غروب الشمس، وقال قتادة: أُقبل بظلامه؛ إذا ذهب نوره.

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ (٤)

﴿وَمِنْ﴾: جزء أو بعض ﴿شَرِّ﴾: أذى وضرر ﴿النَّفَّاثَاتِ﴾: الساحرات أو السحرة، صاحبات النفوس الخبيثة؛ اللواتي ينفخن ﴿فِي الْعُقَدِ﴾: جاء أنّ لبيد بن أعصم سحر النبي ﷺ^(٣).

(١) سنن أبي داود ٥٩١/٢ (١٤٦٣)، قال الأرنؤوط: صحيح.

(٢) مسند أحمد ٤٢/٤٦٨ (٢٥٧١١)، قال الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٣) انظر: صحيح البخاري ١٣٧/٧ (٥٧٦٦).

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (٥)

﴿وَمِنْ﴾: جزء أو بعض ﴿شَرِّ﴾: أذى وضرر ﴿حَاسِدٍ﴾: إذا أصابت الإنسان، عيون السحر؛ التي تُسبب الأذى ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿حَسَدَ﴾: إذا استطاع أن يحسد أنساناً؛ والعياذ بالله ﷻ، والحسد تمنى زوال النعمة من مستحق لها، وربما كان مع ذلك سعيًا في إزالتها.
التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة؛ يجب أن نُحصن بها أنفسنا من الشرّ الظاهر؛ وهو السحر.



سمّيت "سورة الناس" بهذا الاسم في المصاحف، وكتب التفسير، وأطلق عليها سورة "قل أعوذ برب الناس"؛ وسمّيت هي وسورة الفلق "المعوذتين" وهي سورة مكيّة على قول الجمهور، وترتيبها (٢١) في عداد تنزيل سور القرآن الكريم وعدد آياتها (٦) آيات.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (١)

﴿قُلْ﴾: أمر ربّاني لمحمد ﷺ ﴿أَعُوذُ﴾: أعتصم وألتجئ، وأستجير، وأتحصن ﴿بِ﴾: حرف باء الاستعانة ﴿رَبِّ﴾: بالله تعالى، بدأ ربّ النَّاس وهو ربُّ جميع الخلق؛ للدلالة على شرفهم ولكون الاستعاذة وقعت من شرّ ما يوسوس في صدورهم تعني كلمة الرّب: هو ﷻ المعبود، والمُرَبّي، وهو إنشاء الشيء من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد؛ فهو ﷻ مالك كلِّ أمر فهو مالك أمر السموات والأرض. جاء اسمُ الرّب أول صفة من صفات الله ﷻ ﴿النَّاسِ﴾: جاء تخصيص ربّ النَّاس مع أنّه ﷻ ربُّ جميع الخلق للدلالة على شرفهم؛ ولأنّ الاستعاذة وقعت من شرّ ما يُوسوس في صدور أولاد آدم، منذ خلقه الله ﷻ إلى قيام الساعة، وهو يعني كلَّ إنسان.

﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ (٢)

﴿مَلِكِ﴾: جاءت هنا لبيان رتبته ﷺ ليست كرتبة سائر الملوك لما تحت أيديهم من الممالك، بل صاحب الملك الكامل، والسلطان القاهر ﴿النَّاسِ﴾: ومليكهم، وهذه الصفة الثانية لله ﷻ المالك.

﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ (٣)

﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾: هو أيضًا عطف بيان؛ لبيان أن ربوبيته وملكه قد انضم إليهما المعبودية المبنية على الألوهية التي تقتضي القدرة التامة على التصرف الكلي بالإيجاد والعدم، فهو ﷻ إله ولا يوجد إله غيره، هو معبودهم بحقٍ، الذي يُطيعون أوامره، ويعملون بهديه، وشريعته، وهذه الصفة الثالثة لله ﷻ الإله، فالاستعانة طلب العون من خالق البشر والكون، مالك الملك، والملكوت، المعبود في الأرض والسموات.

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ (٤)

﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿شَرِّ﴾: الضرر الذي يأتي من ﴿الْوَسْوَاسِ﴾: وسوسة الشيطان الرجيم للإنسان، الجاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل؛ وسوسة من الجنّ أو وسوسة ابن آدم من الإنس ﴿الْخَنَّاسِ﴾: وهي الإيحاء والهمس سرًّا، المتواري والمُخْتَفِي، وإذا ذكر ابن آدم الله ﷻ خنس الشيطان، وتراجع، وسكت، وهرب.

﴿الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ (٥)

﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمفرد المذكر ﴿يُوسْوِسُ﴾: يُزَيِّنُ الْمُنْكَرَ وَالْحَرَامَ وَيُبَيِّثُ الشَّرَّ وَالْكَفْرَ ﴿فِي صُدُورِ﴾: حيث القلب مركز الوعي والإدراك ﴿النَّاسِ﴾: إذا غفلوا، إذن الفئة المُستهدفة هي النَّاسُ، عموم بني آدم، قلوب أبناء آدم ﷺ، وهي مناط الوعي، والإدراك، والإيمان، والكفر.

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (٦)

﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يُفيد بيان وتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿الْجِنَّةِ﴾: هم هؤلاء أدوات الاستهداف؛ هم شياطين الجنّ ﴿و﴾: أيضًا ﴿النَّاسِ﴾: كرر الله ﷻ لفظ الناس في المواضع الثلاثة؛ لأنّ عطف البيان يحتاج إلى ميزة وخاصية الإظهار والوضوح؛ ويكون التكرار

سببًا في مزيد شرف الناس، رغم ما يدعيه ويدعو إليه شياطين الإنس، والسحرة وفي السياق قال الله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام-١١٢].

التكليف: بدراسة مقاصد السورة الكريمة؛ نعلم إنذارًا للكافرين وتثبيتًا للمؤمنين.

الخاتمة

اللهم إنِّي أسألك أنْ تجنّبني شياطين الإنس وشياطين الجن، وأنْ تكتب لي أجر قراءة وكتابة ما وفقتني إليه من دراسة كتابك الكريم، وأنْ تنفّعي به يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، وأنْ تزيد به في حسناتي، وتُحطُّ به من سيئاتي، وتجعله وشفاعة حبيبي محمد ﷺ أنيساً في قبري، وأنْ تكتب الجنة لمن قرأ هذا الكتاب، ومن يؤمن بما جاء فيه، ويُصلح عقيدته، ويقوّي إيمانه، وأنْ تغفر لوالديّ، وزوجتي، وأولادي، وبناتي، وأحفادي، وإخواني وأخواتي، وجيراني المسلمين أجمعين؛ اللهم آمين، وصليّ اللهم وسلّم على سيدنا محمد ﷺ، وآله، وصحبه، والتابعين، والحمد لله ربّ العالمين.

تم بحمد الله ﷻ ومنّه، وفضله، وبركته، وتوفيقه، وعظّمته، ورحمته، ورضوانه.

العبد الفقير إلى الله ﷻ محمود خالد الزهار

غزة - فلسطين

٢٠٢١م - ١٤٤٣هـ